يطبع لأول مرة محققاً

إتحاف السادة المتقين

للسيد الإمام

محمد بن محمد بن محمد المرتضى الحسيني الزبيدي

بشرح

إحياء علوم الدين

لحجة الإسلام الإمام

محمد بن محمد بن محمد الطوسي الغزالي

تحقيق

أشرف محمد أحمد

راجعه ودققه

عثمان أيوب البوريني

محمد سميح الشيخ حسين

2024

المجلد السابع عشر وفيه كتابا آداب المعيشة وأخلاق النبوة وشرح عجائب القلب

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة

- تأديب الله تعالىٰ حبيبه وصفه محمدا ﷺ بالقرآن
- جملة من محاسن أخلاقه
- جملة أخرىٰ من أخلاقه وآدابه
- كلامه وضحكه
- أخلاقه وآدابه في الطعام
- آدابه وأخلاقه في اللباس
- عفوه مع القدرة
- إغضاؤه عما كان يكرهه
- سخاؤه وجوده
- شجاعته
- تواضعه
- صورته وخلقته
- معجزاته وآياته الدالة علىٰ صدقه

٢٠ - كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلىٰ الله علىٰ سيدنا ونبينا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا. الله ناصر كل صابر.

الحمد لله مفيض المواهب علىٰ الإطلاق، مولي الرغائب بالإغداق، الذي لا خير إلا من يديه، ولا فضل إلا من لديه، أحمده سبحانه حمدًا أستمطر به سحاب كرمه الغيداق، وأستغفره من ذنوب أحاطت إحاطة الرباق[١]، وعمَّت عموم الاستغراق. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله وضع الآجال وقسم الأرزاق، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدًا عبده ورسوله وحبيبه وخليله، صاحب النجيب والبُراق، والطرف الكحيل والخد الأسيل والثغر البَرَّاق، الذي بعثه لتتميم مكارم الأخلاق، وهدىٰ به السبيل فلا يحيد عنه غير أهل الشقاق والنفاق. صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وورثته وحزبه وسلم ما تحركت الأغصان بالأوراق، وهبَّت الرياح بالعَشِيِّ والإشراق.

وبعد، فهذا شرح كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة، وهو العاشر من الربع الثاني من كتاب الإحياء لحُجة الإسلام، مجدِّد دين الملك العَلاَّم، الإمام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، قدَّس الله سره، وأفاض علينا بِرَّه، سلكتُ

(١) الربق: حبل فيه عري.

شِعابه، ورُضْتُ صِعابه، وخُضْتُ لَجَجه، وأثبتُّ حججه، حتىٰ وضح السبيلُ، وصفا السلسبيل، وراقَ الزُّلال، وامتدت الظلال، وعُمِّرت ربوعه، وأُنبطت نبوعه، وبانت مساربه، وحليت مشاربه. وإلىٰ الله أرغب في حسن التوفيق لمراضيه ومَحابِّه، وأن يلحقني بالمنعَم عليهم من صدِّيقيه وأحبابه، إنه بكل فضل جدير، وعلىٰ ما يشاء قدير.

قال المصنف رحمه الله تعالىٰ: (**بسم الله الرحمن الرحيم**) اقتداءً بالقرآن، واستفتاحًا باسمه الذي هو فاتحة كل عنوان، واتِّباعًا لخبر سيد ولد عدنان ﷺ ما دارت الأزمان (**الحمد لله الذي خلق كل شيء فأحسن خَلقه وترتيبه**) أي جعل كل شيء في مرتبته، وهو المعبَّر عنه بالإحسان، أشار به إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝ ﴾ [الفرقان: ٢] أي حدَّه بحدِّه الذي يوجد من حُسن وقبح ونفع وضر وغيرها حسبما اقتضت حكمتُه[١] (**وأدَّب نبيَّه محمدًا ﷺ فأحسن تأديبه**) بأن أعطاه رياضة النفس وحلاَّه بأحسن الأخلاق. أخرج[٢] العسكري في الأمثال من طريق السُّدِّي عن أبي عمارة عن علي رضي الله عنه قال: قدم بنو نهد بن زيد علىٰ النبي ﷺ، فقالوا: أتيناك من غوراء تهامة ... وذكر خطبتهم وما أجابهم به النبي، قال: فقلنا: يا نبي الله، نحن بنو أب واحد، ونشأنا في بلد واحد، وإنك لَتكلمُ العرب بلسان ما نفهم أكثرَه. فقال: «إن الله عز وجل أدَّبني فأحسن تأديبي، ونشأت في بني سعد بن بكر». والسدي ضعيف. هذا، وفي أدب الإملاء[٣] لأبي سعد ابن السمعاني من حديث ابن مسعود رفعه: «إن الله أدَّبني فأحسن تأديبي، ثم أمرني بمكارم الأخلاق». وسنده منقطع. وفي الدلائل لثابت السرقسطي[٤] أن أبا بكر رضي الله عنه قال: يا رسول الله، ما

---

(١) عبارة الجرجاني في التعريفات ص ٦٧: «التقدير: هو تحديد كل مخلوق بحده الذي يوجد من حسن وقبح ونفع وضر وغيرها».

(٢) المقاصد الحسنة ص ٢٩.

(٣) أدب الإملاء والاستملاء ص ٨٧ - ٨٨.

(٤) ورواه أيضا حمزة السهمي في تاريخ جرجان ص ١٤٧، وفيه: «يا رسول الله، لقد طفت في =

رأيت أفصح منك، فمَن أدَّبك؟ قال: «أدَّبني ربي، ونشأت في بني سعد»[١] **(وزكىٰ أوصافه)** الدالة علىٰ ذاته، أي نمَّاها **(وأخلاقه)** الباطنة، أي طهَّرها بحيث صدرت عنها الأفعال الحسنة بسهولة **(ثم اتخذه صفيَّه)** أي مختاره من خلقه **(وحبيبه)** وخليله **(ووفَّق للاقتداء به)** أي اتِّباع طريقته **(مَن أراد تهذيبه)** أي هدايته وخلوصه من الردَىٰ **(وحرم من التخلُّق بأخلاقه)** أي منع عنه **(من أراد)** أي سبق في إرادته الأزلية **(تخييبه)**[٢] أي تخسيره وإضلاله. واكتفىٰ عن جملة الصلاة بما تقدم له في أوله من ذِكره في الفقرة الثانية بقوله: **(وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد سيد المرسلين وعلىٰ آله الطيبين الطاهرين وسلم كثيرًا.**

أما بعد، فإن آداب الظواهر عنوان آداب البواطن) عُنوان[٣] كل شيء، بالضم: ما يُستدل به عليه ويُظهِره. والمعنىٰ: أن البواطن يُستدل عليها بالظواهر، فإن كانت جارية علىٰ وفق الاستقامة فالظواهر تتبعها **(وحركات الجوارح)** الظاهرة **(ثمرات الخواطر)** الباطنة، إن حسنًا فحسنًا، وإن سيئًا فسيئًا **(والأعمال نتيجة الأخلاق)** فإن الخُلق[٤] بالضم عبارة عن هيئة[٥] [للنفس] راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة من غير حاجة إلىٰ فِكر ورويَّة، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال

= العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك ...» الخ. وعزاه المتقي الهندي في كنز العمال ١١/ ٤٣١ لابن عساكر في تاريخ دمشق. ولكن أشار محقق التاريخ إلىٰ أن هذا الحديث مع أحاديث أخر غير موجود في النسخة التي اعتمد عليها في تحقيق الكتاب. غير أن الحديث موجود في مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٢/ ٢٠٦ (ط - دار الفكر بدمشق).

(١) في المقاصد: إسناده واهٍ. وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوىٰ ١٨/ ٣٧٥: «معنىٰ الحديث صحيح، لكن لا يعرف له إسناد ثابت».

(٢) وتكون بمعنىٰ الحرمان، يقال: خيبه الله: أي حرمه. انظر التاج ٢/ ٣٨٨.

(٣) المصباح المنير ص ٤٣٤.

(٤) التعريفات ص ١٠٦.

(٥) قيل: هو هيئة احتراز عن النادر العارض. وانظر التعريفات للجرجاني. وسيأتي للغزالي في كتاب التوبة عن كيفية تسلل الأفعال إلىٰ القلب حتىٰ تصير هيئة.

الجميلة عقلاً وشرعًا بسهولة سُمِّيت الهيئة خلقًا حسنًا، أو الأفعال القبيحة سُمِّيت الأفعال[١] خلقًا سيئًا. فالأعمال كلها إنما هي نتائج للأخلاق تختلف باختلافها **(والآداب رشح المعارف)** أي إن الآداب في الظاهر إنما ترشح عن بحر المعارف، فإن وُجدت المعارف رشحت منها رشحًا تبعث صاحبها علىٰ الكمال في الآداب **(وسرائر القلوب)** أي ما تُسِرُّه القلوب وتضمره وتكنُّه **(هي مغارس الأفعال ومنابعها)** أي هي محل ظهورها[٢] ومنشؤها **(وأنوار)** تلك **(السرائر هي التي تشرق علىٰ الظواهر)** أي تلوح عنها أنوارها **(فتزيِّنها وتجلِّيها، وتبدل بالمحاسن مكارهها ومساويها، ومن لم يخشع قلبه)** لجلال الله وعظمته **(لم تخشع جوارحه)** روىٰ الحكيم الترمذي في نوادر الأصول[٣] من حديث أبي هريرة أنه ﷺ رأىٰ رجلاً يعبث [بلحيته] في صلاته، فقال: «لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه»[٤] **(ومن لم يكن صدره مشكاة للأنوار الإلهية)** والمِشكاة بالكسر: كوَّة في الحائط يوضع فيها المصباح **(لم يَفِضْ علىٰ ظاهره جمالُ الآداب النبوية.**

ولقد كنت عزمت علىٰ أن أختم ربع العادات من هذا الكتاب بكتاب جامع لآداب المعيشة؛ لئلاَّ يشق علىٰ طالبها استخراجُها من جميع هذه الكتب) المذكورة والآتية **(ثم رأيت كل كتاب من ربع العبادات وربع العادات قد أتىٰ علىٰ جملة من الآداب)** مفرَّقة في مواضع منها **(فاستثقلت تكريرها وإعادتها)** ثانيًا **(فإنَّ ظل[٥] الإعادة ثقيل، والنفوس مجبولة علىٰ مُعاداة)** أي مجافاة **(المُعادات)** المكرَّرات،

---

(١) في التعريفات: الهيئة.

(٢) لعله المنشأ فقط. أما محل الطهور فلم أفهمه. والله أعلم.

(٣) نوادر الأصول ص ١٠٠٧، ١٠٩٨.

(٤) في سنن الحكيم سليمان بن عمرو قال ابن عدي: أجمعوا علىٰ أنه كان يضع الحديث. قال العراقي: والمعروف أنه من قول سعيد ابن الحبيب. انظر: مصنف عبد الرزاق (٢/ ٢٦٦)، ابن أبي شيبة (٢/ ٢٨٩)، المغني ١/ ١/ ٢١٠٥، وتخريج أحاديث الكشاف للزيلعي ٢/ ٤٠٠.

(٥) في الزبيدي في ظل. والأولىٰ اتباعه غالبًا. وهو من الأمثال السائرة.

فالأول مصدر عاداه يعاديه معاداةً، وهاؤه مربوطة، والثانية جمع سالم للمُعاد وهو الذي أُعيدَ ثانيًا في الذِّكر، وتاؤه مطوّلة، وبينهما جِناس (**فرأيت أن أقتصر في هذا الكتاب علىٰ ذِكر آداب رسول الله ﷺ وأخلاقه**) الشريفة (**المأثورة عنه**) أي المنقولة (**بالإسناد**) عن فلان عن فلان (**فأسردها مجموعةً فصلاً فصلاً محذوفة الإسناد**) وفي نسخة: الأسانيد (**ليجتمع فيه مع الآداب تجديد الإيمان**) وتطريته (**وتأكيده بمشاهدة أخلاقه الكريمة التي شهد آحادها علىٰ القطع**) والجزم (**بأنه أكرم خلق الله تعالىٰ وأعلاهم رتبة وأجلُّهم قدْرًا**) وأفضلهم مقامًا (**فكيف مجموعها، ثم أضيفُ إلىٰ ذكر أخلاقه**) الباطنة (**ذكر خِلقته**) الظاهرة (**ثم ذكر معجزاته التي صحَّت بها الأخبار**) ودلَّت عليها الآثار ونقلها الثقات من الأخيار (**ليكون ذلك معربًا عن**) أي مبيِّنًا. وفي بعض النسخ: معرِّفًا (**مكارم الأخلاق والشِّيَم**) جمع[1] الشِّيمة بالكسر وهي الغريزة والطبيعة والجِبلَّة وهي التي خُلق الإنسان عليها (**ومنتزعًا عن آذان الجاحدين**) أي المنكرين (**لنبوَّته**) ﷺ (**صمام الصمم**) الصِّمام[2] بالكسر: ما يُسدُّ به فم القارورة ونحوها وهو ما يُجعل في فمها سِدادًا. والصَّمَم محرَّكة: بطلان حاسَّة السمع. وبينهما جِناس (**والله تعالىٰ وليُّ التوفيق**) وهو الهداية والإرشاد (**للاقتداء بسيد المرسلين**) ﷺ (**في الأخلاق والأحوال وسائر معالم الدين، فإنه**) جل وعز (**دليل المتحيِّرين**) أي مرشدهم من حيرتهم إلىٰ ما يخلِّصهم منها (**ومجيب دعوة المضطرين**) أي الملجئين إلىٰ المشقة والهلاك. وفيه[3] أن العبد وإن علت منزلتُه فهو دائم الاضطرار؛ لأن الاضطرار تعطيه حقيقة العبد؛ إذ هو ممكن، وكل ممكن مضطر إلىٰ مُمِدٍّ يمده، وكما أن الحق هو الغني المطلق فالعبد مضطر إليه أبدًا، ومَن اتسعت أنواره لم يتوقَّف اضطراره، وقد عيَّب الله قومًا اضطروا إليه عند

---

(١) المصباح المنير ص ٣٣٠.

(٢) السابق ص ٣٤٧ – ٣٤٨.

(٣) فيض القدير ٢/ ١١٧.

وجود أسباب ألجأتهم إلىٰ الاضطرار، فلما زالت زال اضطرارُهم[١] **(ولنذكر فيه أولاً بيان تأديب الله تعالىٰ إياه بالقرآن، ثم بيانَ جوامعَ من محاسنِ أخلاقه)** التي جُبل عليها **(ثم بيان جملة من آدابه)** الظاهرة **(وأخلاقه)** الباطنة **(ثم بيان كلامه وضحكه، ثم بيان أخلاقه وآدابه في الطعام، ثم بيان أخلاقه وآدابه في اللباس، ثم بيان عفوه)** عن الجاني **(مع القدرة)** علىٰ الانتقام منه **(ثم بيان إغضائه)** أي مسامحته **(عمَّا كان يكره، ثم بيان سخاوته وجوده، ثم بيان شجاعته وبأسه)** في الحروب **(ثم بيان تواضعه، ثم بيان صورته وخِلقته)** الظاهرة **(ثم بيان جوامع معجزاته وآياته)** الباهرة (ﷺ) إجمالاً وتفصيلاً.

---

(١) وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [الإسراء ٦٧]. وقال المناوي بعده: ولما لم تقبل عقولُ العامة إلىٰ ما تعطيه حقيقة وجودهم؛ سلط الله عليهم الأسباب المثيرة للاضطرار ليعرفوا قهر ربويته وعظمة إلهيته.

(بيان تأديب الله تعالى حبيبه وصفيَّه محمدًا ﷺ بالقرآن)

اعلمْ أنه (**كان رسول الله ﷺ كثير الضراعة والابتهال**) الضَّراعة بالفتح: اسم من التضرُّع. والابتهال هو التضرُّع إلىٰ الله تعالىٰ وهو إظهار الضراعة أي الذل بين يدي الله تعالىٰ (**دائم السؤال من الله تعالىٰ أن يزيِّنه بمحاسن الآداب**) الظاهرة (**ومكارم الأخلاق**) الباطنة (**فكان يقول في دعائه: اللهم حسِّن خَلْقي وخُلُقي**) الأول بفتح فسكون، والثاني بضمتين واحد الأخلاق. أي[١] لأقوىٰ علىٰ تحمُّل أثقال الخَلق وأتخلَّق بمحض العبودية والرضا بالقدر ومشاهدة الربوبية، وقال الطيبي[٢]: ويحتمل أن يُراد به طلب الكمال وإتمام النعمة عليه بإكمال دينه، وفيه إشارة إلىٰ ما سيأتي من قول عائشة: كان خُلقه القرآن. وأن يكون قد طلب المزيد والثبات علىٰ ما كان.

قال العراقي[٣]: رواه أحمد[٤] من حديث ابن مسعود ومن حديث عائشة، ولفظهما: «اللهم أحسنتَ خَلقي فأحسِن خُلقي». وإسنادهما جيد، وحديث ابن مسعود رواه ابن حبان[٥].

قلت[٦]: ووهم مَن زعم أنه أبو مسعود، ولفظه ولفظ أحمد: كان رسول الله ﷺ إذا نظر إلىٰ المرآة قال: اللهم أحسنتَ ... الخ. وفي رواية: «اللهم كما حسَّنت

---

(١) السابق ٢/ ١٢٠.

(٢) شرح مشكاة المصابيح ١٠/ ٣٢٤١.

(٣) المغني ١/ ٦٠٣.

(٤) مسند أحمد ٦/ ٣٧٣، ٤٠/ ٤٥٧، ٤٢/ ١٢٥.

(٥) صحيح ابن حبان ٣/ ٢٣٩.

(٦) هذا كلام العراقي نقله المناوي في الفيض ثم ذكر ما بعده.

خَلقي فحسِّن خُلقي». وفي أخرىٰ: «فأحسِنْ خلقي». وتمسَّك بهذا الحديث مَن قال: إن حُسن الخُلق غريزي لا مكتسَب. والمختار أن أصول الأخلاق غرائز، والتفاوت في الثمرات، وهو الذي به التكليف.

وروىٰ ابن السني في عمل اليوم والليلة[١] من حديث أنس رفعه: كان إذا نظر وجهَه في المرآة قال: «الحمد لله الذي سوَّىٰ خَلقي فعدَّله، وكرَّم صورة وجهي فحسَّنها، وجعلني من المسلمين»[٢].

وروىٰ أبو يعلىٰ[٣] والطبراني[٤] من حديث ابن عباس رفعه: كان إذا نظر في المرآة قال: «الحمد لله الذي حسَّن خَلقي وخُلقي وزانَ مني ما شانَ من غيري»[٥].

(و) كان ﷺ (يقول: **اللهم جنِّبْني منكرات الأخلاق**) قال العراقي[٦]: رواه الترمذي[٧] وحسَّنه والحاكم[٨] وصحَّحه - واللفظ له - من حديث قطبة بن مالك، وقال الترمذي: اللهم إني أعوذ بك.

قلت: وقُطبة بن مالك هو عم زياد بن علاقة، روىٰ عنه زياد. ولفظ الترمذي وكذا الطبراني[٩] في الكبير[١٠]: «اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء». ولفظ الحاكم: «اللهم جنِّبني منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء».

---

(١) عمل اليوم والليلة ص ١١٣.

(٢) وهو في الأوسط للطبراني ١/ ٢٤٠، وفيه عللًا ولا يصح بحال.

(٣) مسند أبي يعلىٰ ٤/ ٤٧٨.

(٤) المعجم الكبير ١٠/ ٣٨٢.

(٥) قال الهيثمي ٥/ ١٧١: رواه أبو يعلي وفيه عمرو بن حصين، وهو متروك.

(٦) المغني ١/ ٦٠٣.

(٧) سنن الترمذي ٥/ ٥٤٤.

(٨) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٢٢.

(٩) هو حديث: مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة... إلخ (٤٩٣٧).

(١٠) المعجم الكبير ١٩/ ١٩.

ومنكرات[١] الأخلاق كحقد وبخل وحسد وجبن ونحوها، ومنكرات الأعمال: الكبائر من نحو قتل وزنا وشرب [خمر] وسرقة ونحوها، ومنكرات الأهواء: الزيغ والانهماك في الشهوات أي المسلتذّات والمستحسَنات عند النفس؛ لأنه شغلٌ عن الطاعة يؤدي إلىٰ الأَشَر والبطر، ومنكرات الأدواء من نحو جُذام وبَرَص وسُل واستسقاء وذات جَنْب، فهذه كلها نوائب الدهر، فهو يقول: أعوذ بك من نوائب الدهر. وعطف العمل علىٰ الخُلق والهوىٰ علىٰ العمل والداء عليه وإن كان الكل علىٰ الأول من باب الترقِّي في الدعاء إلىٰ ما يعمُّ نفعُه. وقال الطيبي[٢]: والإضافة في القرينتين الأوليين من إضافة الصفة إلىٰ الموصوف. قال الحكيم الترمذي[٣]: وإنما استعاذ من هذه الأربع لأن ابن آدم لا ينفكُّ عنها في منقلبه ليلاً ولا نهارًا، ومنها ما يعظُم الخطبُ فيه حتىٰ يصير منكرًا غير متعارَف فيما بينهم فذاك الذي يُشار إليه بالأصابع في ذلك [الأمر] ومنه يعظُم الوبالُ. وذكر هذا مع عصمته تعليمًا لأمَّته.

(**فاستجاب الله دعاءه وفاءً بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠] فأنزل عليه القرآن وأدَّبه به**) وتقدم ما يتعلق بهذه الآية في كتاب الأوراد والأدعية (**فكان خُلقُه القرآن. قال سعد بن هشام**) بن[٤] عامر الأنصاري المدني، ابن عم أنس بن مالك، روىٰ عن أبيه وعائشة، وعنه زُرارة بن أوفىٰ والحسن وحميد بن هلال. قال النسائي: ثقة. وذكر البخاري[٥] أنه قُتل بأرض مُكْران[٦] علىٰ أحسن أحواله. روىٰ

---

(١) فيض القدير ٢/ ١١٠ - ١١١.

(٢) شرح مشكاة المصابيح ٦/ ١٩١٨.

(٣) نوادر الأصول ص ٣٣٦ - ٣٣٧.

(٤) تهذيب الكمال ١٠/ ٣٠٧ - ٣٠٩.

(٥) التاريخ الكبير ٤/ ٦٦.

(٦) مكران: منطقة كبيرة يقع جزء منها غرب باكستان (ويسمىٰ بلوشستان) والجزء الآخر جنوب شرق إيران، والجزء الساحلي منها الواقع علىٰ خليج عمان عبارة عن سلاسل من الجبال الشاهقة.

له البخاري حديثًا واحدًا[١] والباقون (**دخلت علىٰ عائشة ﵂ فسألتها عن أخلاق رسول الله ﷺ، فقالت: أما تقرأ القرآن؟ قلت: بلىٰ. قالت: كان خُلق رسول الله ﷺ القرآن**) أي[٢] ما دلَّ عليه القرآن من أوامره ونواهيه ووعده ووعيده ... إلىٰ غير ذلك. وقال القاضي[٣]: أي خلقه كان جميع ما فُصِّل في القرآن، فإنَّ كل ما استحسنه وأثنىٰ عليه ودعا إليه فقد تحلَّىٰ به، وكل ما استهجنه ونهىٰ عنه تجنَّبه وتخلَّىٰ عنه، فكان القرآن بيان خُلقه. وقال في الديباج: معناه[٤] العمل به، والوقوف عند حدوده، والتأدُّب بآدابه، والاعتبار بأمثاله وقصصه، وتدبُّره، وحُسن تلاوته. وقال السهروردي في العوارف[٥]: فيه رمز غامض وإيماء خفيٌّ إلىٰ الأخلاق الربانية، فاحتشم الراوي الحضرةَ الإلهية أن يقول: كان متخلِّقًا بأخلاق الله تعالىٰ، فعبَّر الراوي عن المعنىٰ بقوله: كان خلقه القرآن، استحياءً من سبحات الجلال، وسترًا للحال بلطف المقال، وذا من وفور العقل وكمال الأدب. وبذلك عُرف أن كمالات خُلقه لا تتناهَىٰ، كما أن معاني القرآن لا تتناهَىٰ، وأن التعرُّض لحصر جزئياتها غير مقدور للبشر.

قال العراقي[٦]: رواه مسلم[٧]، ووهم الحاكمُ[٨] في قوله: إنهما لم يخرجاه.

قلت: ورواه كذلك أحمد[٩] وأبو داود[١٠].

---

(١) بل لفظ الطبراني: اللهم جنبني... إلخ. وكذا اللفظ عن ابن حبان في صحيحه (٣/ ٢٤٠).

(٢) فيض القدير ٥/ ١٧٠.

(٣) تحفة الأبرار للقاضي البيضاوي ١/ ٣٧٠ - ٣٧١.

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي ٦/ ٣٨ - ٣٩.

(٥) عوارف المعارف ص ١٦٦.

(٦) المغني ١/ ٦٠٣.

(٧) صحيح مسلم ١/ ٣٣٦.

(٨) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٥٨٦.

(٩) مسند أحمد ٤٠/ ٣١٥، ٤١/ ١٤٨، ٤٢/ ١٨٣.

(١٠) سنن أبي داود ٢/ ٢١٣.

(وإنما أدَّبه القرآن بمثل قوله تعالىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩] وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾ [النحل: ٩٠] وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾) [لقمان: ١٧] وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورىٰ: ٤٣] (وقوله تعالىٰ: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [المائدة: ١٣] وقوله تعالىٰ: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢] وقوله تعالىٰ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت: ٣٤] وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٤] وقوله تعالىٰ: ﴿ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾) [الحجرات: ١٢] وأمثال ذلك، وهي كثيرة. وفي أدب الإملاء لابن السمعاني من حديث ابن مسعود رفعه: «أدَّبني ربي فأحسن تأديبي، ثم أمرني بمكارم الأخلاق فقال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ الآية». وأخرج القشيري نحوه في التحبير[1].

(ولما كُسرت رَباعيته) وهو[2] علىٰ وزن ثمانية: السن التي بين الثَّنية والناب، والجمع: رَباعيات، بالتخفيف أيضًا (وشُج) وجهه (يوم أُحد فجعل الدمُ يسيل علىٰ وجهه وهو يمسحه) ولفظ [حديث] أنس: وجعل يمسح وجهه (ويقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيِّهم بالدم وهو يدعوهم إلىٰ ربهم. فأنزل الله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾) [آل عمران: ١٢٨] قال العراقي[3]: رواه مسلم[4] من حديث أنس، وذكره البخاري[5] تعليقًا.

---

(١) التحبير في علم التذكير [شرح أسماء الله الحسنىٰ] ص ٤٠ (ط - دار آزال ببيروت).

(٢) المصباح المنير ص ٢١٧.

(٣) المغني ١/ ٦٠٣.

(٤) صحيح مسلم ٢/ ٨٦٢.

(٥) صحيح البخاري ٣/ ١٠٧.

قلت: وكذلك[١] رواه ابن إسحاق في سيرته[٢] من طريق حميد عن أنس، ورواه أحمد[٣] والترمذي[٤] والنسائي[٥] من طرق عن حميد به.

وعند ابن عائذ من طريق الأوزاعي قال: بلغنا أن النبي ﷺ لما جُرح يوم أحد أخذ شيئًا فجعل ينشِّف دمه وقال: «لو وقع منه شيء على الأرض لنزل عليهم العذاب من السماء». ثم قال: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون».

وفي المواهب اللدنية[٦]: جرح وجهه عبد الله بن قمئة وعتبة بن أبي وقاص أخو سعد، وهو الذي كسر رباعيته.

وروى ابن هشام من حديث أبي سعيد الخدري أن عتبة بن أبي وقَّاص هو الذي كسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى، وأن عبد الله بن شهاب الزهري شجَّه في جبهته، وأن ابن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من المِغفر في وجنته. وفي رواية: وهشموا البيضة على رأسه.

وعند الطبراني[٧] من حديث أبي أمامة قال: رمى عبد الله بن قمئة رسول الله ﷺ فشجَّ وجهه وكسر رباعيته فقال: خذها وأنا ابن قمئة. فقال ﷺ وهو يمسح الدم عن وجهه: «أقماك الله». فسلَّط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطَّعه قطعة قطعة.

---

(١) من هنا إلى قوله (أو المبالغة) نقله الشارح عن المواهب اللدنية للقسطلاني ١/ ٢٠٩ - ٢١٠.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٤٢.

(٣) مسند أحمد ١٩/ ٢٠، ٢٠/ ٢١٣، ٣٦٤، ٣٩٠، ٤٢/ ٢٤١، ٤٥٦.

(٤) سنن الترمذي ٥/ ١٠٥.

(٥) السنن الكبرى ١٠/ ٥١.

(٦) المواهب، للقسطلاني ١/ ٢٤٧.

(٧) المعجم الكبير ٨/ ١٥٤.

وروىٰ عبد الرزاق[1] عن معمر عن الزهري قال: ضُرب وجه النبي ﷺ يومئذٍ بالسيف سبعين ضربة وقاه الله تعالىٰ شرَّها كلها.

قال في فتح الباري[2]: وهذا مرسل قوي، ويحتمل أن يكون أراد بالسبعين حقيقتها أو المبالغة.

(تأديبًا له علىٰ ذلك، وأمثال هذه التأديبات في القرآن لا تنحصر، وهو ﷺ المقصود الأول بالتأديب والتهذيب ثم منه يشرق النور علىٰ كافَّة الخلق، فإنه أُدِّب بالقرآن) فتأدَّبَ به **(وأدَّب الخَلق به، ولذلك قال ﷺ: بُعثت لأتمِّم مكارم الأخلاق)** قال العراقي[3]: رواه أحمد والحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة، قال الحاكم: صحيح علىٰ شرط مسلم. وقد تقدم في آداب الصحبة.

قلت[4]: رواه مالك في الموطأ بلاغًا عن النبي ﷺ بلفظ: إنما بُعثت. وقال ابن عبد البر: هو متصل من وجوه صِحاح عن أبي هريرة مرفوعًا، منها ما أخرجه أحمد في مسنده والخرائطي في أول مكارم الأخلاق من طريق محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعًا بلفظ: صالح الأخلاق[5]. ورجاله رجال الصحيح. وللطبراني في الأوسط بسند ضعيف عن جابر مرفوعًا بلفظ: «إن الله بعثني بتمام مكارم الأخلاق وكمال محاسن الأفعال».

(ثم رغَّب الخَلقَ في محاسن الأخلاق) وفي بعض النسخ: في حُسن الخُلق **(بما أوردناه في كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق)** وسيأتي إن شاء الله تعالىٰ قريبًا **(فلا نعيده هنا. ثم لما أكمل الله خلقه أثنىٰ عليه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾**

---

(١) مصنف عبد الرزاق ٥/ ٣٦٧.

(٢) فتح الباري ٧/ ٤٣١.

(٣) المغني ١/ ٦٠٣ - ٦٠٤.

(٤) هذا كلام السخاوي في المقاصد الحسنة صـ١٨٠.

(٥) وعن البزار من طريق ابن عجلان أيضًا بلفظ: مكارم الأخلاق.

[القلم: ٤] **فسبحانه ما أعظم شانِه وأتم امتنانه)** وأعم إحسانه **(ثم انظر إلىٰ عميم لطفه وعظيم فضله**[١] **كيف أعطىٰ ثم أثنىٰ، فهو الذي زيَّنه بالخُلق الكريم، ثم أضاف إليه ذلك فقال:** ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾) وقد أشار السهروردي إلىٰ ذلك في العوارف فقال[٢]: وما انطوىٰ عليه من جميل الأخلاق لم يكن باكتساب ورياضة، وإنما كان في أصل خِلقته بالجود الإلهي والإمداد الرحماني الذي لم تزل تشرق أنوارُه في قلبه إلىٰ أن وصل لأعظم غاية وأتم نهاية **(ثم بيَّن رسولُ الله ﷺ للخَلق أن الله يحب مكارم الأخلاق)** وفي لفظ: معالي الأخلاق **(ويبغض سفسافها)** وفي[٣] لفظ: ويكره. وفي آخر: إن الله يحب معالي الأمور وأشرافها. والسَّفْساف بالفتح: ما يطير من غبار الدقيق والتراب إذا نُشر[٤]. والمراد حقيرها ورديئها، أي مَن اتَّصف من عبيده بالأخلاق الزكية أحبه، ومن تخلَّق بالأوصاف الرديئة كرهه، وقد خلق سبحانه لكلٍّ من القسمين أهلاً لِما أن بني آدم تابعون للتربة التي خلقهم منها، فالتربة الطيبة نفوسها علية كريمة مطبوعة علىٰ الجود والسعة واللين والرفق، لا كزازة ولا يبوسة فيها، والتربة الخبيثة نفوسها التي خُلقت منها مطبوعة علىٰ [الشقوة و] الصعوبة والشح والحقد وما أشبهه، وقد عُلم ممَّا تقرَّر أن العبد إنما يكون في صفات الإنسانية التي فارقَ بها غيرَه من الحيوانات والنبات والجماد بارتقائه عن صفاتها إلىٰ معالي الأمور وأشرافها التي هي صفات الملائكة، فحينئذٍ ترتفع همَّتُه إلىٰ العالَم الرضواني، وتنساق إلىٰ الملأ الروحاني.

---

(١) الذي في الزبيدي ٧/ ٩٣ عميم فضله. والزائد من ط الشعب ٧/ ١٢٨٠.

(٢) هذا ليس كلام السهروردي، وإنما هو كلام المناوي في فيض القدير ٥/ ١٧٠. المناوي لم يشر إلىٰ نهاية النقل عن العوارف، فاختلط كلامه في آخره بكلام العوارف وأوله، ولا يعاب بهذا، والله يغفر لنا جميعًا.

(٣) فيض القدير ٢/ ٢٩٥ عدا تفسير السفساف.

(٤) عبارة ابن الأثير في النهاية ٢/ ٣٧٤: «السفساف: الأمر الحقير والرديء من كل شيء، وهو ضد المعالي والمكارم، وأصله ما يطير من غبار الدقيق إذا نُخل، والتراب إذا أثير».

قال العراقي[١]: رواه البيهقي[٢] من حديث سهل بن سعد متصلاً، ومن رواية طلحة بن عبيد الله بن كريز مرسلاً، ورجالهما ثقات.

قلت: ولفظ «معالي الأخلاق» رواه الطبراني في الكبير[٣] باللفظ الأخير من حديث الحسين بن علي بن أبي طالب، وفيه خالد بن إلياس، ضعيف.

(**وقال علي**) بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **يا عجبًا لرجل مسلم يجيئه أخوه المسلم في حاجة فلا يرىٰ نفسه للخير أهلاً، فلو كان لا يرجو ثوابًا ولا يخاف عقابًا لقد كان ينبغي له أن يسارع إلىٰ مكارم الأخلاق فإنها ممَّا تدل علىٰ سبيل النجاة. فقال له رجل: أسمعتَه من رسول الله ﷺ؟ فقال: نعم وما هو خير منه، لمَّا أُتي بسبايا طَيِّئ**) القبيلة المعروفة، وكان[٤] ذلك في ربيع الأول سنة تسع من الهجرة في سرية علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ القَلْس بفتح القاف وسكون اللام[٥]، وهو اسم صنم لطيِّئ، وبعث معه مائة وخمسين رجلاً من الأنصار علىٰ مائة بعير وخمسين فرسًا، وعند ابن سعد مائتي رجل[٦]، فهدمه وغنم سبيًا ونعمًا وشاءً (**وقعت جارية في السبي**) وهي سَفَّانة بنت حاتم الطائي أخت عدي بن حاتم (**فقالت: يا محمد، إن رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب، فإني بنت سيد قومي**) تعني به حاتم بن عدي بن [عبد الله بن سعد بن] الحشرج، فإنه كان سادَ قومَه بالجود والسخاء والمروءة وحُسن الخُلق، كما قالت (**وإن أبي كان يحمي الذمار، ويفك العاني**) أي الأسير

---

(١) المغني ١/ ٤٠٦.

(٢) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٣٢٢.

(٣) المعجم الكبير ٣/ ١٤٢.

(٤) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٢/ ١٥٠. وفيه: في ربيع الآخر.

(٥) كذا ضبطه الشارح هنا، والصواب: الفِلْس، بكسر الفاء وسكون اللام. كما ذكره الشارح نفسه في تاج العروس ١٦/ ٣٤٣. بل بضم الفاء وسكون اللام، وقيل بالقاف انظر النهاية لابن الاثيم ٣/ ٤٧٠، والسيرة الحلبية، للحلبي. ط المعرفة ٣/ ٢٢٣. والمواهب اللدنية ١/ ٤١٤.

(٦) ذكر ابن سعد هنا أنهم مائة وخمسون رجلا، وفي ترجمة عدي بن حاتم ٦/ ٢١٥ أنهم مائتا رجل.

(ويُشبع الجائعَ، ويُطعِم الطعامَ، ويفشي السلام، ولم يردَّ طالب حاجة قط) وأخباره في ذلك مشهورة **(أنا ابنة حاتم الطائي. فقال ﷺ: يا جارية، هذه صفة المؤمنين حقًّا، لو كان أبوكِ مسلمًا لترحَّمنا عليه)** أي لأنه مات في الجاهلية قبل البعثة **(خلُّوا عنها)** أي لأنها كانت مربوطة بحبل خوفًا من الفرار **(فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، وإن الله يحب مكارم الأخلاق)** فأطلقوها فأسلمت، وكان ذلك سبب إسلام أخيها عدي، وعند ابن سعد أن الذي كان سباها خالد بن الوليد[١] **(فقام أبو بُردة)** هانئ[٢] **(بن نِيار)** بكسر النون، بعدها تحتية خفيفة، ابن عمرو بن عُبَيد بن كِلاب بن غَنْم بن هُبَيرة البَلَوي، حليف الأنصار، صحابي، وهو خال البراء بن عازب، وقيل: عمه، شهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلَّها، ويقال في اسمه: الحارث بن عمرو، وقيل: مالك بن هُبَيرة، مات سنة إحدىٰ وأربعين، وقيل: بعدها، روىٰ له الجماعة **(فقال: يا رسول الله، الله يحب مكارم الأخلاق؟ فقال: والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة إلا حسن الأخلاق)** قال العراقي[٣]: الحديث المرفوع منه رواه الترمذي الحكيم في نوادر الأصول[٤] بسند ضعيف.

قلت: روىٰ القصة بطولها وفيها الحديث المذكور الخرائطيُّ في مكارم الأخلاق، قال الحافظ في الإصابة[٥]: وفي سنده مَن لا يُعرَف. وقال محمد بن إسحاق في المغازي[٦]: أصابت خيلُ رسول الله ﷺ ابنة حاتم في سبايا طيىء، فقُدِمَ بها علىٰ رسول الله ﷺ، فجُعلت في حظيرة بباب المسجد، فمرَّ بها رسول الله

---

(١) الذي في ترجمة عدي من الطبقات أن الذي سباها هو علي رضي الله عنه.

(٢) تهذيب الكمال ٣٣/ ٧١ - ٧٢.

(٣) المغني ١/ ٦٠٤.

(٤) بل روىٰ القصة بتمامها كما أوردها الغزالي، ولكن بسياق أطول.
نوادر الأصول ص ٧٢٦ - ٧٢٧.

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة ١٢/ ٣٠٦.

(٦) السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٢٢١ - ٢٢٢.

ﷺ، فقامت إليه، وكانت امرأة جزلة، فقالت: يا رسول الله، هلك الوالد وغاب الوافد. فقال: «ومَن وافدكِ»؟ قالت: عدي بن حاتم. قال: «الفارُّ من الله ورسوله»؟ ومضىٰ حتىٰ مر ثلاثًا. قالت: فأشار إليَّ رجلٌ من خلفه أنْ قومي فكلِّميه، فقلت: يا رسول الله، هلك الوالد وغاب الوافد، فامننْ عليَّ مَنَّ اللهُ عليك. قال: «قد فعلتُ، فلا تعجلي حتىٰ تجدي ثقة يبلغكِ بلادَك ثم آذنيني». فسألتُ عن الرجل الذي أشار إليَّ فقيل: علي بن أبي طالب، وقدم رَكْبٌ من بَلِيٍّ[1]، فأتيت رسولَ الله ﷺ فقلت: قدم رهطٌ من قومي. قالت: فكساني رسول الله ﷺ، وحملني، وأعطاني نفقة، فخرجت حتىٰ قدمت علىٰ أخي، فقال: ما ترين في هذا الرجل؟ قلت: أرىٰ أن تلحق به. قال الحافظ في الإصابة: قال ابن الأثير[2]: كذا رواه يونس، ولم يسمِّ سفانة، وسمَّاها غيرُه، ورواه عبد العزيز بن أبي رَوَّاد بنحوه وزاد: وكانت أسلمت وحسُن إسلامُها، أخرجه أبو نعيم[3] من طريقه، وأخرج قصتها الطبراني[4] وسمَّاها.

(وعن معاذ بن جبل) رضي الله عنه (عن النبي ﷺ قال: إن الله حفَّ الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ومن ذلك) أي من محاسن الأعمال: (حُسن المعاشرة) مع الناس (وكرم الصنيعة) أي حُسنها (ولِين الجانب) وهو كناية عن التواضع (وبذل المعروف) وهو اسم عامٌّ جامع للخير كلِّه، وبذلُه: إعطاؤه، وقيل: المراد به القرض (وإطعام الطعام، وإفشاء السلام، وعيادة المريض المسلم برًّا كان أو فاجرًا، وتشييع جنازة المسلم) أي المشي خلفها حتىٰ تُدفَن (وحُسن الجوار لمَن جاورتَ مسلمًا كان أو كافرًا، وتوقير ذي الشيبة المسلم) أي تعظيمه (وإجابة)

---

(١) بلي: قبيلة عظيمة من قضاعة من القحطانية، تنتسب إلىٰ بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، وكانت مساكنها تقع بين المدينة ووادي القرىٰ، وانتقلت منهم طائفة إلىٰ بلاد الحبشة وصعيد مصر والنوبة وكثروا هناك، وتفرعت منها فروع كثيرة. معجم قبائل العرب ١/ ١٠٤ - ١٠٧.

(٢) أسد الغابة ٧/ ١٤٤.

(٣) معرفة الصحابة ٦/ ٣٣٦٢ - ٣٣٦٣.

(٤) المعجم الكبير ٢٤/ ٣٠٣. واقتصر علىٰ تسميتها، ولم يرو لها شيئا.

الداعي لدعوة (**الطعام، والدعاء عليه، والعفو**) عمَّن اجترأ عليه (**والإصلاح بين الناس، والجود، والكرم، والسماحة، والابتداء بالسلام، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس، واجتناب ما حرَّمه الإسلام من اللهو والباطل والغناء والمعازف**) وفي بعض النسخ: وأذهب الإسلام اللهو والباطل والغناء والمعازف (**كلها**) وتقدم الكلام علىٰ المعازف في الكتاب الذي قبله واختلافهم فيها (**وكل ذي وتر وكل ذي دخلٍ**) وهما بفتح فسكون التاء وكسر دال «دخل» لبني تميم، وفتحها لأهل الحجاز، وفيه خلاف أوردته في شرحي علىٰ القاموس[1] (**والغِيبة، والكذب، والبخل، والشُّح، والجفاء، والمكر، والخديعة، والنميمة، وسوء ذات البين، وقطيعة الأرحام، وسوء الخُلق، والتكبُّر، والفخر، والاختيال، والاستطالة، والبذخ، والفُحش، والتفحُّش، والحقد، والحسد، والطِّيرة، والبغي، والعدوان، والظلم**) قال العراقي[2]: الحديث بطوله لم أقف له علىٰ أصل، ويغني عنه حديثُ معاذ الآتي بعده بحديث.

(**قال أنس**) بن مالك (رضي الله عنه: **فلم يَدَع**) ﷺ (**نصيحة جميلة إلا وقد دعانا إليها وأمرنا بها، ولم يَدَع غشًّا - أو قال: عيبًا ولا شيئًا إلا حذَّرناه ونهانا عنه، ويكفي من ذلك كلِّه هذه الآيةُ**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠] **الآية**) قال العراقي[3]: لم أقف له علىٰ إسناد، وهو صحيح من حيث الواقع.

قلت: والذي يظهر لي من سياق المصنف أن الحديث المتقدم هو من رواية أنس عن معاذ، فتأمل.

وأخرج[4] ابن النجار في تاريخه من طريق الحارث العكلىٰ عن أبيه قال: مر علي بن أبي طالب بقوم يتحدثون، فقال: فيمَ أنتم؟ قالوا: نتذاكر المروءة. فقال:

---

(١) انظر: تاج العروس ٢٨/ ٤٧٩ - ٤٨٠.

(٢) المغني ١/ ٦٠٤.

(٣) السابق ١/ ٦٠٤ - ٦٠٥.

(٤) الدر المنثور ٩/ ١٠٣ - ١٠٤.

أوَ ما كفاكم اللهُ عَزَّوَجَلَّ ذاك في كتابه إذ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾؟ فالعدل: الإنصاف، والإحسان: التفضُّل، فما بقي بعد هذا؟

وأخرج ابن جرير[1] وابن أبي حاتم عن قتادة قال: ليس من خُلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويعظِّمونه ويحبونه إلا أمر الله به، وليس من خُلق سيئ كانوا يتعايرونه بينهم إلا نهىٰ الله عنه، وإنما نهىٰ عن سفاسف الأخلاق ومَذامِّها.

(وقال معاذ) بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **(أوصاني رسول الله ﷺ فقال: يا معاذ، أوصيك باتِّقاء الله، وصِدق الحديث، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، وحفظ الجار، ورحمة اليتيم، ولين الكلام، وبذل السلام، وحُسن العمل، وقِصَر الأمل، ولزوم الإيمان، والتفقُّه في القرآن، وحب الآخرة، والجزع من الحساب، وخفض الجناح، وأنهاك أن تسبَّ حكيمًا، أو تكذِّب صادقًا، أو تطيع آثمًا، أو تعصي إمامًا عادلاً، أو تفسد أرضًا، وأوصيك باتِّقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر، وأن تُحدِث لكل ذنب توبةً، السر بالسر، والعلانية بالعلانية)** قال العراقي[2]: رواه أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الزهد، وتقدم في آداب الصحبة.

قلت: قال أبو نعيم في الحلية[3]: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، ثنا أبو بكر ابن أبي عاصم، ثنا يعقوب بن حميد، ثنا إبراهيم بن عيينة، عن إسماعيل ابن رافع، عن ثعلبة بن صالح، عن رجل من أهل الشام، عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معاذ، انطلِقْ وأرحِلْ راحلتَك ثم ائتني أبعثك إلىٰ اليمن». فانطلقت فرحلت راحلتي، ثم جئت فوقفت بباب المسجد حتىٰ أذن لي رسولُ الله ﷺ، فأخذ بيدي ثم مضىٰ معي فقال: «يا معاذ، إني أوصيك بتقوىٰ الله، وصِدق الحديث، ووفاء العهد، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، ورحمة اليتيم، وحفظ الجار،

---

(١) جامع البيان ١٤/ ٣٣٧.

(٢) المغني ١/ ٦٠٥.

(٣) حلية الأولياء ١/ ٢٤٠ - ٢٤١.

وكظم الغيظ، وخفض الجناح، وبذل السلام، ولين الكلام، ولزوم الإيمان، والتفقُّه في القرآن، وحب الآخرة، والجزع من الحساب، وقِصَر الأمل، وحُسن العمل، وأنهاك أن تشتم مسلمًا، أو تكذِّب صادقًا، أو تصدِّق كاذبًا، أو تعصي إمامًا عادلاً. يا معاذ، اذكر الله عند كل حجر وشجر، وأحدِثْ مع كل ذنب توبةً، السر بالسر، والعلانية بالعلانية». رواه ابن عمر نحوه، أخبرناه الحسن بن منصور الحمصي في كتابه، ثنا الحسن بن معروف، ثنا محمد بن إسماعيل بن عيَّاش، ثنا أبي، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر قال: لما أراد النبي ﷺ أن يبعث معاذًا إلىٰ اليمن ركب معاذ ورسول الله ﷺ يمشي إلىٰ جانبه يوصيه فقال: «يا معاذ، أوصيك وصية الأخ الشفيق، أوصيك بتقوىٰ الله ...» فذكر نحوه، وزاد: «وعُد المريضَ، وأسرِعْ في حوائج الأرامل والضعفاء، وجالِس الفقراء والمساكين، وأنصِف الناس من نفسك، وقُل الحقَّ ولا تخفْ[1] في الله لومة لائم». قلت: وأورده ابن الجوزي في الموضوعات[2] من طريق ركن بن عبد الله الدمشقي عن مكحول الشامي عن معاذ فذكره بطوله مع زيادة، قال: والمتهم به ركن، قال ابن معين: ليس بشيء، وقال النسائي[3] والدارقطني[4]: متروك. وقال ابن حبان[5]: لا يجوز الاحتجاج به.

قلت: والذي ساقه أبو نعيم ليس فيه ركن.

(فهكذا أدَّب عِبادَ الله ودعاهم إلىٰ مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب).

---

(١) في الحلية: ولا تأخذك.

(٢) الموضوعات ٣/ ١٨٤ - ١٨٥.

(٣) الضعفاء والمتروكون للنسائي ص ١٠٧، وتصحف فيه إلىٰ: ركين.

(٤) اقتصر الدارقطني في كتاب الضعفاء والمتروكين ص ١٢٧ علىٰ قوله: مقل.

(٥) المجروحون من المحدثين ١/ ٣٧٧، وفيه: «روىٰ عن مكحول شبيها بمائة حديث ما لكثير منها أصل، لا يجوز الاحتجاج به بحال، روىٰ عن مكحول عن أبي أمامة نسخة أكثرها موضوعة».

بيان جملة من محاسن أخلاقه التي جمعها بعض العلماء والتقطها من الأخبار

(فقال: كان ﷺ أحلم الناس) قال العراقي[١]: رواه أبو الشيخ في كتاب أخلاق رسول الله ﷺ[٢] من رواية عبد الرحمن بن أبزىٰ: كان رسول الله ﷺ من أحلم الناس ... الحديث، وهو مرسل. وروىٰ أبو حاتم ابن حبان[٣] من حديث عبد الله بن سلام في قصة إسلام زيد بن سَعْنة من أحبار اليهود وقول زيد لعمر بن الخطاب: يا عمر، كل علامات النبوة قد عرفتُها في وجه رسول الله ﷺ حين نظرتُ إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حِلمُه جهلَه، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا، فقد اختبرتهما ... الحديث.

قلت: روىٰ[٤] هذه القصة أيضًا الطبراني[٥] والحاكم[٦] وابن حبان والبيهقي[٧] وأبو الشيخ في الأخلاق[٨] كلهم من طريق الوليد بن مسلم عن محمد بن حمزة ابن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده عن عبد الله بن سلام قال: قال زيد بن سعنة: ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتُه في وجه محمد حين نظرتُ إليه

---

(١) المغني ١/ ٦٠٦.

(٢) أخلاق النبي وآدابه ١/ ٤٦٨ (ط - دار المسلم بالرياض).

(٣) صحيح ابن حبان ١/ ٥٢١ - ٥٢٤.

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة ٤/ ٥٤ - ٥٥.

(٥) المعجم الكبير ٥/ ٢٢٢.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٣٤ - ٣٥.

(٧) دلائل النبوة ٦/ ٢٧٨ - ٢٨٠.

(٨) أخلاق النبي وآدابه ١/ ٤٧٥ - ٤٧٦.

إلا خصلتين [لم أخبرهما منه]: يسبق حِلمُه جهلَه، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا، فكنت أتلطَّف له لأنْ أخالطه فأعرف حلمه وجهله، فابتعت منه تمرًا إلىٰ أجل، فأعطيته الثمن، فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة أتيته فأخذت بمجامع ثوبه ونظرت إليه بوجه غليظ، ثم قلت له: ألا تقضيني يا محمد حقي؟ فواللهِ إنكم يا بني عبد المطلب مُطْلٌ. فقال عمر: أيْ عدو الله، أتقول لرسول الله ما أسمع؟! فواللهِ لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي رأسك. ورسول الله ينظر إلىٰ عمر في سكون وتُؤَدة وتبسُّم، ثم قال: «أنا وهو كنا أحوج إلىٰ غير هذا منك يا عمر: أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن التقاضي، اذهب به يا عمر فاقضِه حقَّه، وزِدْه عشرين صاعًا [من غيره] مكانَ ما رُعْتَه». ففعل، فقلت: يا عمر، كل علامات النبوة كنت قد عرفتُها في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما ... فذكرهما ثم قال: أُشهِدك أني قد رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا. ورجال الإسناد موثَّقون، وقد صرَّح الوليد فيه بالتحديث، ومداره علىٰ محمد بن أبي السري الراوي له عن الوليد، وثَّقه ابن معين، وليَّنه أبو حاتم(١)، وقال ابن عدي(٢): محمد كثير الغلط. قال الحافظ في الإصابة: وقد وجدت لقصته شاهدًا من وجه آخر، لكن لم يُسَمَّ فيه، قال ابن سعد(٣): حدثنا يزيد، ثنا جرير بن حازم، حدثني مَن سمع الزهري يحدِّث أن يهوديًّا قال: ما كان بقي شيء من نعت محمد في التوراة إلا رأيتُه إلا الحِلم ... فذكر القصة.

وقال الواسطي لما سُئل: لأيِّ شيء كان رسول الله ﷺ أحلم الخَلق؟ قال: لأنه خُلق روحه أولاً فوقعت له صحة التمكين والاستقرار(٤).

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٨/ ١٠٥.

(٢) الكامل في الضعفاء ٦/ ٢١٣٥.

(٣) الطبقات الكبرىٰ ١/ ٣١٠.

(٤) ذكره في عوارف المعارف ٢/ ٢٤٥.

(و) كان ﷺ **(أشجع الناس)** قال العراقي[١]: متفق عليه[٢] من حديث أنس.

قلت: ولفظهما: كان ﷺ أحسن الناس، وأشجع الناس، وأجود الناس. والاقتصار[٣] علىٰ هذه الثلاثة من جوامع الكلم، فإنها أمَّهات الأخلاق؛ إذ لا يخلو كل إنسان من ثلاث قوىٰ: الغضبية وكمالها الشجاعة، والشهوانية وكمالها الجود، والعقلية وكمالها النطق بالحكمة.

(و) كان ﷺ **(أعدل الناس)** قال العراقي[٤]: رواه الترمذي في الشمائل[٥] من حديث علي بن أبي طالب في الحديث الطويل في صفته ﷺ: لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه. وفيه: قد وسع الناسَ بسطُه وخُلقُه، فصار لهم أبًا، وصاروا عنده في الحق سواء ... الحديث. وفيه مَن لم يُسَمَّ.

قلت: وفي هذا الحديث قبلُ جملة «لا يقصر»: معتدل الأمر غير مختلف. والمعنىٰ[٦]: أن جميع أقواله وأفعاله علىٰ غاية الاستواء والاعتدال، وهي مع ذلك محفوظة عن أن يصدر منه فيها أمور متخالفة المحامل متناقضة الأواخر والأوائل. وقوله «لا يقصر عن الحق» من التقصير والقصور، أي في سائر أحواله حتىٰ يستوفيه لصاحبه وإن علم منه شحًّا فيه، ولا يعطي فيه رخصة ولا تهاونًا. و«لا يجاوزه»: أي فلا يأخذ أكثر منه. وهذا شأن العُدَّل، ومنهم مَن فسَّر الجملتين بقوله: أي لا إفراط فيه ولا تفريط فيه، وهذا هو معنىٰ العدل؛ إذ هو الأمر المتوسط بينهما، ومعنىٰ «أعدل الناس»: أي أكثرهم عدلاً.

---

(١) المغني ١/ ٦٠٦.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٣١١، ٣٣٤، ٣٦٩، ٤/ ٩٧. صحيح مسلم ٢/ ١٠٩١.

(٣) فتح الباري ١٠/ ٤٧٢.

(٤) المغني ١/ ٦٠٦.

(٥) الشمائل المحمدية ص ١٦٠ - ١٦٢.

(٦) من هنا إلىٰ قوله (أكثر منه) منقول عن كتاب أشرف الوسائل إلىٰ فهم الشمائل لابن حجر الهيتمي ص ٤٨٧ - ٤٨٨.

(و) كان ﷺ (أعفَّ الناسِ) أي أكثرهم عِفَّة، وهي[١] بالكسر: حصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة. ولذلك قال: (**لم تمسَّ يده قط يد امرأة لا يملك رِقَّها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات مَحرم منه**) قال العراقي[٢]: رواه الشيخان[٣] من حديث عائشة: ما مسَّت يدُ رسول الله ﷺ يد امرأة إلا امرأة يملكها.

قلت: أخرجه[٤] البخاري عن محمود بن غيلان عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري [عن عروة] عن عائشة، وأخرجه الترمذي[٥] عن عبد بن حميد عن عبد الرزاق بلفظ: قال معمر: فأخبرني ابن طاووس عن أبيه قال: ما مسَّت يد رسول الله ﷺ يد امرأة إلا امرأة يملكها. وأخرجه البخاري تعليقًا ومسلم والنسائي[٦] وابن ماجه[٧] من طريق يونس بن يزيد عن الزهري، وفيه: قالت عائشة: ولا واللهِ ما مسَّت يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط، غير أنه يبايعهنَّ بالكلام. قالت عائشة: ما أخذ رسول الله ﷺ علىٰ النساء قط إلا بما أمره الله عَزَّوَجَلَّ، وما مسَّت كفُّ رسول الله ﷺ كف امرأة قط، وكان يقول لهن إذا أخذ عليهن: «قد بايعتكن كلامًا». هذا لفظ مسلم، وأخرجه مسلم وأبو داود[٨] من طريق مالك عن الزهري [بلفظ]: ما مس رسول الله ﷺ بيده امرأة قط إلا أن يأخذ عليها، فإذا أخذ عليها فأعطته قال: «اذهبي فقد بايعتكِ». والمفهوم من هذه الأخبار أنه ﷺ لم تمس يده قط يد امرأة غير زوجاته وما ملكت يمينه، لا في مبايعة ولا في غيرها، وإذا هو لم يفعل

---

(١) المفردات للراغب ص ٣٣٩.

(٢) المغني ١/ ٦٠٧.

(٣) صحيح البخاري ٢/ ٣٧٢، ٣/ ٣٠٧، ٤٠٩، ٤/ ٣٤٥. صحيح مسلم ٢/ ٩٠٤.

(٤) طرح التثريب ٧/ ٤٣ - ٤٥.

(٥) سنن الترمذي ٥/ ٣٣٥.

(٦) السنن الكبرىٰ ٨/ ٦٩، ١٠/ ٢٩٧.

(٧) سنن ابن ماجه ٤/ ٣٨٦.

(٨) سنن أبي داود ٣/ ٤٣٠.

ذلك مع عصمته وانتفاء الريبة في حقه فغيره أولىٰ بذلك، والظاهر أنه كان يمتنع من ذلك لتحريمه عليه، فإنه لم يُعَدَّ جوازه من خصائصه، وقد قال الفقهاء من أصحاب الشافعي وغيرهم: إنه يحرُم مسُّ الأجنبية ولو في غير عورتها كالوجه، وإن اختلفوا في جواز النظر حيث لا شهوة ولا خوف فتنة، فتحريم المس آكَدُ من تحريم النظر، ومحل التحريم ما إذا لم تَدْعُ إلىٰ ذلك ضرورةٌ، وإلا فقد أجازوه، ودخل فيما لا يملكه المحارم، وذلك علىٰ سبيل التورُّع، وليس ذلك ممتنعًا في حقه ﷺ، وإن اقتضت عبارة النووي في الروضة امتناعَه، حيث قال[1]: ويحرُم مسُّ كل ما جاز النظر إليه من المحارم. وحكىٰ الإسنوي في المهمَّات[2] الجواز، وإليه يشير قول المصنف: أو تكون ذات مَحرم منه. والذي ذكره الرافعي[3] وغيره أنه لا يجوز للرجل مس بطن أمه ولا ظهرها، ولا أن يغمز ساقها ولا رجلها، ولا أن يقبِّل وجهها. وقد يكون لفظ الحديث من العموم المخصوص، أو يُدَّعَىٰ دخول المحارم فيما يملك مسه لا أن المراد يملك الاستمتاع به، وهو بعيد.

(وكان) ﷺ (أسخىٰ الناس) أي أكثرهم سخاءً. قال العراقي[4]: رواه الطبراني في الأوسط[5] من حديث أنس: «فُضلت علىٰ الناس بأربع: بالسخاء والشجاعة ...» الحديث، ورجاله ثقات، وقال صاحب الميزان[6]: إنه منكر. وفي الصحيحين من حديثه: كان ﷺ أجود الناس. واتفقا عليه من حديث ابن عباس، وقد تقدم في الزكاة.

قلت: حديث أنس تقدم قريبًا. وفي[7] حديث آخر سنده ضعيف: «أنا

---

(١) روضة الطالبين ٧/ ٢٨.

(٢) المهمات ٧/ ٢٥.

(٣) فتح العزيز ٧/ ٤٨٠.

(٤) المغني ١/ ٦٠٧.

(٥) المعجم الأوسط ٧/ ٤٩، وتمامه: «وكثرة الجماع، وشدة البطش».

(٦) ميزان الاعتدال للذهبي ٤/ ٩٣. وذكره في موضع آخر ١/ ٥٤٣ وقال: خبر باطل.

(٧) أشرف الوسائل ص ٥١٣.

أجود بني آدم»، وهو بلا ريب أجودهم مطلقًا، كما أنه أكملهم في سائر الأوصاف، ولأن جوده لله تعالىٰ في إظهار دينه، بل كان بجميع أنواع الجود من بذل العلم والمال، وبذل نفسه لله تعالىٰ في إظهار دينه، وهداية عباده، وإيصال النفع إليهم بكل طريق من إطعام جائعهم، ووعظ جاهلهم، وقضاء حوائجهم، وتحمُّل أثقالهم، وكان جوده ﷺ كله لله تعالىٰ وفي ابتغاء مرضاته.

(**لا يبيت عنده دينار ولا درهم**) قط (**فإن فضل**) أي بقي (**شيء ولم يجد من يعطيه وفجأه الليلُ**) أي أتاه فجأةً (**لم يأوِ إلىٰ منزله حتىٰ يتبرَّأ منه إلىٰ من يحتاج إليه**) قال العراقي[(١)]: رواه أبو داود[(٢)] من حديث بلال في حديث طويل فيه: أهدىٰ صاحب فَدَك لرسول الله ﷺ أربع قلائص، وكانت عليهن كسوة وطعام وبيع بلال لذلك ووفىٰ دَينه، ورسول الله ﷺ قاعد في المسجد وحده. وفيه: قال: «فضل شيء»؟ قلت: نعم ديناران. قال: «انظر أن تريحني منهما، فلست بداخل علىٰ أحد من أهلي حتىٰ تريحني منهما». فلم يأتنا أحد، فبات في المسجد حتىٰ أصبح، وظلَّ في المسجد اليوم الثاني، حتىٰ إذا كان في آخر النهار جاءه راكبان، فانطلقت بهما فكسوتهما وأطعمتهما، حتىٰ إذا صلىٰ العَتَمة دعاني فقال: «ما فعل الذي قبلك»؟ فقلت: قد أراحك الله منه. فكبَّر وحمد الله شفقةً من أن يدركه الموت وعنده ذلك، ثم اتبعه حتىٰ جاء أزواجه ... الحديث. وللبخاري[(٣)] من حديث عُقبة بن الحارث: «ذكرتُ وأنا في الصلاة تِبرًا، فكرهتُ أن يمسي أو يبيت عندنا، فأمرت بقسمته». ولأبي عبيد في غريبه[(٤)] من حديث الحسن بن محمد مرسلاً: كان لا يقيل مالاً عنده ولا يبيِّته.

---

(١) المغني ١/ ٦٠٧.

(٢) سنن أبي داود ٣/ ٤٩٨ - ٥٠٠.

(٣) صحيح البخاري ١/ ٣٧٧.

(٤) بل في كتاب الأموال ١/ ٣٦٠.

(ولم يأخذ ممَّا آتاه الله إلا قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير، ويضع باقي ذلك في سبيل الله) قال العراقي[١]: متفق عليه بنحوه من حديث عمر بن الخطاب، وقد تقدم في الزكاة. ا.ﻫ.

ولا[٢] تعارُض بينه وبين ما رُوىٰ عنه أنه ﷺ كان لا يدَّخر قوت غد. رواه أبو داود والترمذي[٣] فإن معناه: لنفسه، وأما لعياله فقد كان يدخر لهم قوت سنة، علىٰ أنه مع ذلك كان تنوبه أشياء يُخرِج فيها ما ادخره لهم، فلا تَنافي بين ادِّخاره ومُضيِّ الزمن الطويل عليه وليس عنده شيء له ولا لهم.

ويشير إلىٰ ذلك سياق المصنف فيما بعد، حيث قال: **(لا يُسئل شيئًا إلا أعطاه)** قال العراقي[٤]: رواه الطيالسي والدارمي[٥] من حديث سهل بن سعد. وللبخاري[٦] من حديثه في الرجل الذي سأله الشملة فقال له القوم: سألتَه إياها وقد علمتَ أنه لا يردُّ سائلاً ... الحديث. ولمسلم[٧] من حديث أنس: ما سُئل علىٰ الإسلام شيئًا إلا أعطاه. وفي الصحيحين[٨] من حديث جابر: ما سُئل شيئًا قط فقال لا.

قلت: ورواه الحاكم[٩] من حديث أنس بلفظ: لا يُسئل شيئًا إلا أعطاه أو سكت.

---

(١) المغني ١/ ٦٠٨.

(٢) أشرف الوسائل ص ٥١٥.

(٣) سنن الترمذي ٤/ ١٧٦ من حديث أنس. وليس هو عند أبي داود.

(٤) المغني ١/ ٦٠٨.

(٥) سنن الدارمي ١/ ٤٨.

(٦) صحيح البخاري ١/ ٣٩٤، ٢/ ٨٧، ٤/ ٥٨، ٩٨.

(٧) صحيح مسلم ٢/ ١٠٩٣.

(٨) صحيح البخاري ٤/ ٩٧. صحيح مسلم ٢/ ١٠٩٣.

(٩) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ١٥٦.

ولله در القائل حيث يقول يمدحه ﷺ:

ما قال لا قط إلا في تشهُّده لولا التشهد كانت لاؤه نعم[١]

وروىٰ أحمد[٢] من حديث أبي أسيد الساعدي: كان لا يمنع شيئًا يُسأله.

وكان ﷺ يؤثر علىٰ نفسه وأولاده فيعطي عطاء تعجز عنه الملوك، كما سيأتي للمصنف تفصيله. ومن ذلك ممَّا لم يذكره: جاءته[٣] امرأة يوم حنين أنشدته شعرًا تذكِّره أيام رضاعته في هوازن، فردَّ عليهم ما قيمته خمسمائة ألف ألف. قال ابن دحية: وهذا نهاية الجود الذي لم يُسمَع بمثله[٤].

(**ثم يعود علىٰ قوت عامه**) الذي ادَّخره لعياله (**فيؤثر منه**) علىٰ نفسه وعياله (**حتىٰ لربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأته شيء**) قال العراقي[٥]: هذا معلوم، ويدل عليه ما رواه الترمذي[٦] وابن ماجه[٧] والنسائي[٨] من حديث ابن عباس أنه ﷺ توفي ودرعه مرهونة بعشرين صاعًا من طعام أخذه لأهله. وقال ابن ماجه: بثلاثين صاعًا من شعير. وإسناده جيد. وللبخاري[٩] من حديث عائشة: توفي ودرعه مرهونة عند يهودي.

قلت: هذا[١٠] اليهودي هو أبو الشحم، والجمع بين الروايتين أنه أخذ منه

---

(١) تقدم هذا البيت في الباب الأول من كتاب ترتيب الأوراد.

(٢) مسند أحمد ٢٥/ ٤٥٢.

(٣) أشرف الوسائل ص ٥١٤.

(٤) المواهب اللدنية ٢/ ١٣٩.

(٥) المغني ١/ ٦٠٨ - ٦٠٩.

(٦) سنن الترمذي ٢/ ٥٠٢.

(٧) سنن ابن ماجه ٤/ ٩٠.

(٨) سنن النسائي ص ٧٠٩.

(٩) صحيح البخاري ٢/ ٣٣٧، ٣/ ١٨٧.

(١٠) أشرف الوسائل ص ٤٧٧ - ٤٧٨.

أولاً عشرين ثم عشرة، ثم رهنه إياها علىٰ الجميع، فمَن روىٰ العشرين لم يحفظ العشرة الأخرىٰ، ومَن روىٰ الثلاثين حفظها، علىٰ أن روايتها أصح وأشهر فكانت أَولىٰ بالاعتبار، وهذا يدل علىٰ غاية تواضعه ﷺ؛ إذ لو سأل مياسير أصحابه في رهن درعه لرهنوها علىٰ أكثر من ذلك، فإذا ترك سؤالهم وسأل يهوديًّا ولم يبالِ بأن منصبه الشريف يأبىٰ أن يسأل مثل يهودي في ذلك، فدلَّ علىٰ غاية تواضعه وعدم نظره لحقوق[1] مرتبته، وفيه دليل علىٰ ضيق عيشه ﷺ لكن عن اختيار لا عن اضطرار؛ لأن الله تعالىٰ فتح عليه في أواخر عمره من الأموال ما لا يُحصَىٰ وأخرجها كلها في سبيل الله، وصبر هو وأهل بيته علىٰ مُر الفقر والضِّيق والحاجة التامة[2].

(وكان) ﷺ **(يخصف النعل)** أي يصلحها بترقيع وخَرْز **(ويرقِّع الثوب)** أي يضع لِما وَهَىٰ منه رقعة أخرىٰ يخيطها به **(ويخدم في مهنة أهله)** المِهنة[3] بالكسر، وأنكرها الأصمعي وقال: الكلام بالفتح، يقال: هو في مهنة أهله: أي في خدمتهم، وخرج في ثياب مهنته: أي في ثياب خدمته التي يلبسها في أشغاله وتصرفاته.

قال العراقي[4]: رواه أحمد[5] من حديث عائشة: كان يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته. ورجاله رجال الصحيح. ورواه أبو الشيخ[6] بلفظ: ويرقع الثوب. وللبخاري[7] من حديث عائشة: كان يكون في مهنة أهله.

---

(١) في أشرف الوسائل: لفوت.

(٢) قال الحلبي في الشعب ٢/ ١٤٩: من تعظيمه ﷺ ألا يوصف بما هو عند الناس من أوصاف، فلا يقال كان فقيرًا. وكان السبكي يشدد النكير علىٰ من وصفه بفقر المال. انظر المواهب اللدنية ٢/ ١٥٦.

(٣) المصباح المنير ص ٥٨٣.

(٤) المغني ١/ ٦٠٩.

(٥) مسند أحمد ٤٢/ ٢٠٩.

(٦) أخلاق النبي وآدابه ١/ ٣٥١، ٣٥٦.

(٧) صحيح البخاري ١/ ٢٢٤، ٣/ ٤٢٧، ٤/ ٩٨.

قلت: وروىٰ الترمذي في الشمائل[١]: كان يفلي ثوبه. أي[٢] يلقط ما فيه من القمل ونحوه، وظاهر ذلك أن نحو القمل كان يؤذي بدنه الشريف، إلا أن يقال: لا يلزم من التفلية وجوده بالفعل، ونقل ابن سبع أنه لم يكن القمل يؤذيه تعظيمًا له[٣].

وروىٰ أبو نعيم في الحلية[٤] من حديث عائشة: كان يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه.

(**ويقطِّع اللحم معهنَّ**) قال العراقي[٥]: رواه أحمد[٦] من حديث عائشة: أرسل إلينا آل أبي بكر بقائمة شاة ليلاً، فأمسكتُ وقطع رسول الله ﷺ. أو قالت: فأمسك رسول الله ﷺ وقطعت. وفي الصحيحين[٧] من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر في أثناء حديث: وأيم الله، ما من الثلاثين ومائة إلا حزَّ له رسول الله ﷺ من سواد بطنها.

(**وكان**) ﷺ من (**أشد الناس حياءً، لا يثبِّت بصرَه في وجه أحد**) قال العراقي[٨]: رواه الشيخان[٩] من حديث أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خِدرها.

قلت: ورواه كذلك الترمذي في الشمائل[١٠].

---

(١) الشمائل المحمدية ص ١٦٤.

(٢) أشرف الوسائل ص ٤٩٤.

(٣) انظر المواهب ٢/ ٢٠٠.

(٤) حلية الأولياء ٨/ ٣٣١.

(٥) المغني ١/ ٦٠٩.

(٦) مسند أحمد ٤١/ ١٧٧، ٤٣/ ٢٣.

(٧) صحيح البخاري ٢/ ٢٤١، ٣/ ٤٣٢. صحيح مسلم ٢/ ٩٨٨.

(٨) المغني ١/ ٦٠٩.

(٩) صحيح البخاري ٢/ ٥١٨، ٤/ ١١٠، ١١٣. صحيح مسلم ٢/ ١٠٩٦.

(١٠) الشمائل المحمدية ص ١٧٣.

والعذراء[١]: البِكر؛ لأن عذرتها – وهي جلدة بكارتها – باقية. والخِدر بالكسر: ستر يُجعَل لها في جنب البيت تكون فيه وحدها حتىٰ عن النساء، وهي فيه أشد حياءً منها خارجه؛ إذ الخلوة مَظنَّة وقوع الفعل بها، فعُلم أن المراد الحالة التي تعتريها عند دخول أحد عليها فيه لا التي تكون عليها حين انفرادها أو اجتماعها بمثلها فيه، وفيه بيان عظيم حيائه ﷺ، وأن الحياء من الأوصاف المحمودة المطلوبة المرغَّب فيها، وقد جُمع له ﷺ الغريزي والمكتسَب الذي هو مناط التكليف، فكان في الغريزي أشد حياء من البِكر في خدرها، ومن ذلك ما رُوي أنه كان من حيائه لا يثبِّت بصرَه في وجه أحد.

(و) كان ﷺ **(يجيب دعوة العبد والحر)** قال العراقي[٢]: رواه الترمذي[٣] وابن ماجه[٤] والحاكم[٥] من حديث أنس: كان يجيب دعوة المملوك. قال الحاكم: صحيح الإسناد. قلت: بل ضعيفه، وللدارقطني في «غرائب مالك» [وضعَّفه] والخطيب في «أسماء رُواة مالك» من حديث أبي هريرة: كان يجيب دعوة العبد إلىٰ أيِّ طعام دُعي ويقول: «لو دُعيتُ إلىٰ كراع لأجبت». وهذا بعمومه دالٌّ علىٰ إجابة دعوة الحر، وهذه القطعة الأخيرة عند البخاري من حديث أبي هريرة، وقد تقدَّم[٦]. وروىٰ ابن سعد[٧] من رواية حمزة بن عبد الله بن عُتبة: كان لا يدعوه أحمر ولا أسود من الناس إلا أجابه ... الحديث، وهو مرسَل.

(و) كان ﷺ **(يقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافئ عليها)**

---

(١) أشرف الوسائل ص ٥١٩ – ٥٢٠.

(٢) المغني ١/ ٦٠٩ – ٦١٠.

(٣) سنن الترمذي ٢/ ٣٢٧.

(٤) سنن ابن ماجه ٣/ ٦١٠، ٥/ ٥٩٨.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٥٤٨، ٤/ ٢٢٢.

(٦) في الباب الرابع من كتاب آداب الأكل.

(٧) الطبقات الكبرىٰ ١/ ٣١٩.

قال العراقي[١]: روىٰ البخاري[٢] من حديث عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها. وأما ذِكر جرعة اللبن وفخذ الأرنب ففي الصحيحين[٣] من حديث أم الفضل: أنها أرسلت بقدح من اللبن إلىٰ النبي ﷺ وهو واقف بعرفة فشربه. ولأحمد[٤] من حديث عائشة: أهدتْ أم سنبلة لرسول الله ﷺ لبنًا[٥][٦].

قلت: والذي رواه البخاري من جهة قبول الهدية والإثابة عليها رواه كذلك أحمد[٧] وأبو داود[٨] والترمذي في السنن[٩] وفي الشمائل[١٠].

ومعنىٰ[١١] «يثيب عليها»: أي يجازي عليها، فيُسَن التأسِّي به ﷺ [في ذلك] ولكن محل ندب القبول حيث لا شُبهة قوية فيها، وندب الإثابة حيث لم يظن المُهدَىٰ إليه أن المُهدي إنما أهدىٰ له حياءً لا في مقابل، فأما إذا ظن أن الباعث عليه إنما هو الإثابة فلا يجوز له [القبول] إلا إن أثابه بقدْر ما في ظنِّه مما تدل عليه قرائن حاله.

---

(١) المغني ١/ ٦١٠.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٢٣٢.

(٣) صحيح البخاري ١/ ٥٠٩، ٢/ ٥٦، ٤/ ١٥، ١٨، ٢٢. صحيح مسلم ١/ ٥٠١.

(٤) مسند أحمد ٤١/ ٤٦٨.

(٥) بعده في المغني: «وفي الصحيحين من حديث أنس أن أبا طلحة بعث بورك أرنب أو فخذها إلىٰ رسول الله ﷺ فقبله». والحديث في: صحيح البخاري ٢/ ٢٢٩، ٣/ ٤٥٤، ٤٦٣. صحيح مسلم ٢/ ٩٤٠.

(٦) وفي حديث أبي هريرة أيضًا: فدخل فوجد لبنًا في قدح، فقال: من أين هذا اللبن؟ قالوا: أهداه الله فلان أو فلانة. البخاري ٦٤٥٢. وفيها عن أم حفيدة أيضًا.

(٧) مسند أحمد ٤١/ ١٣٨.

(٨) سنن أبي داود ٤/ ١٩٣.

(٩) سنن الترمذي ٣/ ٥٠٤.

(١٠) الشمائل المحمدية ص ١٧٣.

(١١) أشرف الوسائل ص ٥١٧.

وقد تقدم البحث في ذلك في باب هدايا الأمراء.

(و) كان ﷺ **(يأكلها)** أي الهدية **(ولا يأكل الصدقة)** رواه الشيخان[١] من حديث أبي هريرة، وقد تقدم. ورواه أحمد[٢] والطبراني[٣] من حديث سلمان. ورواه ابن سعد[٤] من حديث عائشة.

(و) كان ﷺ **(لايستكبر عن إجابة الأمة والمسكين)** هكذا في النسخ، وفي نسخة العراقي: لا يستكبر أن يمشي مع المسكين. وقال[٥]: رواه النسائي والحاكم من حديث عبد الله بن أبي أوفىٰ بسند صحيح، وقد تقدم في الباب الثاني[٦] من آداب الصحبة. ورواه الحاكم[٧] أيضًا من حديث أبي سعيد وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين.

قلت: ولفظ النسائي: كان لا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين. وبهذا يظهر أن الذي في سياق المصنف من ذِكر الأمة تحريف من النُّسَّاخ، والصواب: الأرملة. ثم وجدت في البخاري: إن كانت الأمة لَتأخذ بيده ﷺ فتنطلق به حيث شاءت. وعند أحمد: فتنطلق به في حاجتها. وعنده أيضًا: كانت الوليدة من ولائد أهل المدينة لَتجيءُ فتأخذ بيد رسول الله ﷺ، فما ينزع يده من يدها حتىٰ تذهب به حيث شاءت.

---

(١) صحيح البخاري ٢/ ٢٣٠. صحيح مسلم ١/ ٤٨٠. ولفظه: «كان إذا أتي بطعام سأل عنه: أهدية أم صدقة؟ فإن قيل: صدقة، قال لأصحابه: كلوا، ولم يأكل. وإن قيل: هدية، ضرب بيده فأكل معهم». وتقدم هذا الحديث في الباب الثاني من كتاب الحلال والحرام.

(٢) مسند أحمد ٣٩/ ١٠٩، ١٢٧.

(٣) المعجم الكبير ٦/ ٢٢٦، ٢٤٩.

(٤) الطبقات الكبرىٰ ١/ ٣٣٤.

(٥) المغني ١/ ٦١١.

(٦) بل في الباب الثالث عند ذكر حقوق المسلم.

(٧) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٧٢١.

(و) كان ﷺ (يغضب لربِّه) عَزَّوَجَلَّ (ولا يغضب لنفسه) قال العراقي[١]: رواه الترمذي في الشمائل[٢] من حديث هند بن أبي هالة، وفيه: كان لا تغضبه الدنيا وما كان منها، فإذا تُعُدِّي الحق لم يقُمْ لغضبه شيءٌ حتىٰ ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها. وفيه مَن لم يُسَمَّ.

قلت: ومعناه: لا تغضبه العوارض المتعلقة بها، الناشئة عن غلبة الهوىٰ والنفس واستيلاء الشيطان علىٰ القلب بتزيين زخارفها الزائلة[٣] الفانية عنده حتىٰ يؤثرها علىٰ الكمالات الباقية، وكيف تغضبه وهو ما كان خُلق لها، أي للتمتُّع بلذَّاتها وشهواتها. وقوله «لم يقُم لغضبه [شيء]»: أي لم يقاومه شيءٌ؛ لأنه إنما يغضب للحق، وهو لا قدرة للباطل علىٰ مقاومته. وقوله «لا ينتصر لها»، أي لأنه ليس فيه حظ من حظوظها وشهواتها، وإنما تمحَّضت حظوظه وأغراضه وإرادته لله، فهو قائم بها، ممتثل لِما أمره به فيها.

(ويُنفِذ الحقَّ وإن عاد ذلك بالضرر عليه أو علىٰ أصحابه) أشار به إلىٰ قصة أبي جندل بن سُهَيل بن عمرو، وهي عند البخاري[٤] في قصة الحديبية، وذكرها في الشروط مطوَّلة. كذا وُجد بخط الحافظ ابن حجر في طرة كتاب شيخه، وقد أغفله العراقي.

(عُرض عليه) ﷺ (الانتصار بالمشركين علىٰ المشركين وهو في قلة وحاجة إلىٰ إنسان واحد يزيده في عدد مَن معه فأبىٰ وقال: إنَّا لا ننتصر بمشرك) وفي نسخة: إنَّا لا ننتصر بالمشركين، أو قال: بمشرك. قال العراقي[٥]: رواه مسلم[٦] من حديث

---

(١) المغني ١/ ٦١١.

(٢) الشمائل المحمدية ص ١٠٦.

(٣) أشرف الوسائل ص ٣١٥.

(٤) صحيح البخاري ٢/ ٢٦٨، ٢٧٣، ٢٧٩، ٣/ ١٣١.

(٥) المغني ١/ ٦١١.

(٦) صحيح مسلم ٢/ ٨٨١. وفي آخر الحديث: «ثم رجع فأدركه بالبيداء، فقال له كما قال أول =

عائشة: خرج رسول الله ﷺ قِبَل بدر، فلما كان بحَرَّة الوَبَرة[١] أدركه رجل قد كان تُذكَر منه جرأة ونجدة، ففرح به أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه، فلما أدركه قال: جئت لأتَّبعك وأصيب معك. فقال له: «أتؤمن بالله ورسوله»؟ فقال: لا. قال: «فارجعْ، فلن نستعين بمشرك ...» الحديث.

قلت: وكذلك رواه أحمد[٢] وأبو داود[٣] وابن ماجه[٤] بلفظ: «إنَّا لا نستعين بمشرك».

ورواه أحمد[٥] أيضًا والبخاري في التاريخ[٦] من حديث خُبَيب بن يساف بلفظ: «إنَّا لا نستعين بالمشركين علىٰ المشركين».

وروىٰ البيهقي من حديث أبي حميد الساعدي قال: خرج رسول الله ﷺ يوم أُحد حتىٰ جاوز ثنيَّة الوداع إذا كتيبة خشناء، قال: «مَن هؤلاء»؟ قالوا: عبد الله بن أبيٍّ في ستمائة من مواليه بني قينقاع. قال: «وقد أسلموا»؟ قالوا: لا. قال: «فليرجعوا، إنَّا لا نستعين بالمشركين علىٰ المشركين»[٧].

(**ووجد من فضلاء أصحابه وخيارهم قتيلاً بين اليهود، فلم يحفِ**) أي لم

= مرة: تؤمن بالله ورسوله؟ قال: نعم. فقال له رسول الله ﷺ: فانطلق».

(١) قال ياقوت في معجم البلدان ٢/ ٢٥٠: «وهي علىٰ ثلاثة أميال من المدينة».

(٢) مسند أحمد ٤٠/ ٤٥٠، ٤٢/ ٨٠.

(٣) سنن أبي داود ٣/ ٣٢٥.

(٤) سنن ابن ماجه ٤/ ٣٥٨.

(٥) مسند أحمد ٢٥/ ٤٢.

(٦) التاريخ الكبير ٣/ ٢٠٩.

(٧) هذا لفظ الطبراني في المعجم الأوسط ٥/ ٢٢١. أما لفظ البيهقي في السنن الكبرىٰ ٩/ ٦٤ فهو: «خرج رسول الله ﷺ، حتىٰ إذا خلف ثنية الوداع إذا كتيبة، قال: من هؤلاء؟. قالوا: بنو قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام. قال: وأسلموا؟. قالوا: لا. قال: بل هم علىٰ دينهم، قولوا لهم فليرجعوا؛ فإنا لا نستعين بالمشركين».

يَجُرْ (عليهم، ولا زاد علىٰ مُر الحق) أي لم يتجاوز عن الحق الذي هو مرٌّ (بل وَداه) أي القتيل من عنده (بمائة ناقة وإن بأصحابه لَحاجةً إلىٰ بعير واحد يتقوَّون به) قال العراقي[١]: متفق عليه[٢] من حديث سهل بن أبي حثمة ورافع بن خديج، والرجل الذي وُجد مقتولاً هو عبد الله بن سهل الأنصاري.

(وكان) ﷺ (يعصب الحجر علىٰ بطنه من الجوع) قال العراقي[٣]: متفق عليه[٤] من حديث جابر في قصة حفر الخندق، وفيه: فإذا رسول الله ﷺ قد شد علىٰ بطنه حجرًا. وأغرب ابن حبان فقال في صحيحه[٥]: إنما هو «الحُجَز» بضم الحاء وآخره زاي جمع حُجزة. وليس بمتابَع علىٰ ذلك، ويردُّ عليه ما رواه الترمذي[٦] من حديث أبي طلحة: شكونا إلىٰ رسول الله ﷺ الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر، فرفع رسول الله ﷺ عن حجرين. ورجاله كلهم ثقات.

قلت: وقد[٧] استُشكل بما في الصحيحين[٨] أنه ﷺ قال: «لا تواصلوا». قالوا: إنك تواصل. قال: «إني لست كأحدكم، إني أُطعَم وأُسقَىٰ». وفي رواية: «[إني]

---

(١) المغني ١/ ٦١٢.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٤١٢، ٤/ ١١٧، ٢٧٢، ٣٤١. صحيح مسلم ٢/ ٧٩٢ - ٧٩٤.

(٣) المغني ١/ ٦١٢.

(٤) صحيح البخاري ٣/ ١١٥. صحيح مسلم ٢/ ٩٧٩. وليس في رواية مسلم ذكر الحجر.

(٥) صحيح ابن حبان ٨/ ٣٤٥، ونصه بعد أن روىٰ حديث أنس في وصال النبي ﷺ وقوله «إني لست كأحدكم، إني أطعم وأسقىٰ»: «هذا الخبر دليل علىٰ أن الأخبار التي فيها ذكر وضع النبي ﷺ الحجر علىٰ بطنه هي كلها أباطيل، وإنما معناها: الحجز، لا الحجر، والحجز: طرف الإزار؛ إذ الله جل وعلا كان يطعم رسول الله ﷺ ويسقيه إذا واصل، فكيف يتركه جائعا مع عدم الوصال حتىٰ يحتاج إلىٰ شد حجر علىٰ بطنه، وما يغني الحجر عن الجوع»؟!

(٦) سنن الترمذي ٤/ ١٨٢.

(٧) أشرف الوسائل ص ٥٤٠ - ٥٤١.

(٨) صحيح البخاري ٢/ ٣٦، ٤٨ - ٤٩، ٤/ ٣٦٣. صحيح مسلم ١/ ٤٩٠ - ٤٩٢ من حديث ابن عمر وأبي هريرة وعائشة وأبي سعيد الخدري وأنس بن مالك.

يطعمني ربي ويسقيني». وبهذا تمسَّك ابن حبان في حكمه ببطلان الأحاديث الواردة بأنه ﷺ كان يجوع ويشد الحجر علىٰ بطنه من الجوع، قال: وإنما هو «الحجز» بالزاي، وهو طرف الإزار، وما يغني الحجر عن الجوع؟! ويُجاب بأن هذا خاص بالمواصلة، فكان إذا واصل يعطَىٰ قوة الطاعم والشارب، أو يُطعَم ويُسقَىٰ حقيقةً علىٰ الخلاف في ذلك، وأما في غير حالة المواصلة فلم يرد فيه ذلك، فوجب الجمع بين الأحاديث بحمل الأحاديث الناصَّة علىٰ جوعه علىٰ غير حالة المواصلة. وروىٰ ابن أبي الدنيا: أصاب النبيَّ ﷺ جوعٌ يومًا، فعمد إلىٰ حجر فوضعه علىٰ بطنه ثم قال: «ألا رُب نفس طاعمة ناعمة في الدنيا جائعة عارية يوم القيامة ...» الحديث[١]. وفي الصحيح من حديث جابر: إنا يوم الخندق نحفر، فعرضتْ كُدْية، فقالوا للنبي ﷺ: هذه كدية عرضت في الخندق. فقام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقًا ... الحديث. وقد رواه أيضًا أحمد[٢] والنسائي[٣]. فقد عُلم بما تقرَّر أن الصواب صحة الأحاديث. وقد ردَّ الضياء المقدسي قول ابن حبان المتقدم في رسالة عد فيها أوهامه، وعد ذلك من جملتها. وحكمة شد الحجر أنه يسكِّن بعض ألم الجوع؛ لأن البطن إذا خلا ضعُف صاحبُه عن القيام لتقوُّس ظهره، فاحتيجَ لربط الحجر لشدِّه وإقامة صلبه، وممَّا أكرم الله تعالىٰ به نبيَّه ﷺ أنه مع تألُّمه بالجوع ليضاعف له الأجر حفظ قوَّته ونضارة جسمه، حتىٰ إنه مَن رآه لا يظن أن به جوعًا، بل كان جسمه الشريف مع ذلك يُرَىٰ أشد نضارة ورونقًا من أجسام المترفين بنعيم الدنيا.

(يأكل ما حضر) لديه **(ولا يردُّ ما وجد)** وفي كتاب الشمائل لأبي الحسن ابن

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٣/ ٥٧، والقضاعي في مسند الشهاب ٢/ ٣٠٨ وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني ٥/ ١٦٥ وأبو نعيم في معرفة الصحابة ٦/ ٣٠٥٦ من حديث أبي البجير [أو ابن البجير].

(٢) مسند أحمد ٢٣/ ٢٧٦.

(٣) لم أقف عليه عند النسائي.

الضحَّاك بن المقري من رواية الأوزاعي: قال رسول الله ﷺ: «ما أبالي ما رددتُ به عني الجوع». وهذا معضَل؛ قاله العراقي[١].

قلت: وقد رواه ابن المبارك في الزهد[٢] عن الأوزاعي كذلك.

(ولا يتورَّع عن مَطعم حلال) ففي الترمذي[٣] من حديث أم هانئ قالت: دخل عليَّ النبي ﷺ فقال: «أعندكِ شيء»؟ قلت: لا، إلا خبز يابس وخل. فقال: «هاتي ...» الحديث.

ولمسلم[٤] من حديث جابر أن النبي ﷺ سأل أهله الأدم، فقالوا: ما عندنا إلا خل. فدعا به ... الحديث.

(وإن وجد تمرًا دون خبز أكله) روى مسلم[٥] والترمذي[٦] من حديث أنس قال: رأيته مُقْعيًا يأكل تمرًا.

وروى أبو داود[٧] من حديث أنس قال: كان يؤتَىٰ بالتمر فيه دود فيفتِّشه يُخرِج السوسَ منه.

(وإن وجد شواء أكله) روى الترمذي في السنن[٨] وصحَّحه وكذا في

---

(١) المغني ١/ ٦١٢ - ٦١٣.

(٢) الزهد والرقائق ص ١٩١.

(٣) سنن الترمذي ٣/ ٤٢٢، ولفظه: «دخل عليَّ رسول الله ﷺ فقال: هل عندكم شيء؟ فقلت: لا، إلا كسر يابسة وخل. فقال النبي ﷺ: قربيه، فما أقفر بيت من أدم فيه خل».

(٤) صحيح مسلم ٢/ ٩٨٥.

(٥) صحيح مسلم ٢/ ٩٨٢.

(٦) الشمائل المحمدية ص ٧٣.

(٧) سنن أبي داود ٤/ ٣١٠. وفيه: أتي النبي ﷺ بتمر عتيق فجعل يفتشه ... الخ. ثم ذكر رواية أخرىٰ عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة: أن النبي ﷺ كان يؤتىٰ بالتمر فيه الدود ... فذكر معناه.

(٨) سنن الترمذي ٣/ ٤١٤.

الشمائل[١] من حديث أم سلمة أنها قرَّبت إليه جنبًا مشويًّا فأكل منه ... الحديث.

(وإن وجد خبز بُرٍّ أو شعير أكله) روىٰ الشيخان[٢] من حديث عائشة: ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعًا من خبز بُرٍّ حتىٰ مضىٰ لسبيله. لفظ مسلم، وفي رواية له: ما شبع من خبز شعير يومين متتابعين.

وللطبراني في الكبير[٣] من حديث ابن عباس: كان يجلس علىٰ الأرض، ويأكل علىٰ الأرض، ويعتقل الشاة، ويجيب دعوة المملوك علىٰ خبز الشعير.

وللترمذي[٤] وصحَّحه وابن ماجه[٥] من حديث ابن عباس: كان أكثر خبزهم الشعير.

وروىٰ الترمذي في الشمائل[٦]: كان يُدعَىٰ إلىٰ خبز الشعير والإهالة السنخة.

(وإن وجد حلواء أو عسلاً أكله) روىٰ الشيخان[٧] والأربعة[٨] من حديث عائشة: كان يحب الحلواء والعسل. والحلواء[٩] يُمَد ويُقصَر: كل ما فيه حلاوة، فالعسل تخصيص بعد تعميم. وقال الخطابي[١٠]: الحلواء يختصُّ بما دخلته

---

(١) الشمائل المحمدية ص ٨٠.

(٢) صحيح البخاري ٣/ ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤٣، ٤/ ١٨٣، ٢٢٦. صحيح مسلم ٢/ ١٣٥٧.

(٣) المعجم الكبير ١٢/ ٦٧.

(٤) سنن الترمذي ٤/ ١٧٦.

(٥) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٠.

(٦) الشمائل المحمدية ص ١٥٨ من حديث أنس.

(٧) صحيح البخاري ٣/ ٤٤١، ٤/ ١٥، ١٨، ٣٣، ٢٩١. صحيح مسلم ١/ ٦٧٨.

(٨) سنن أبي داود ٤/ ٢٦٧. سنن الترمذي ٣/ ٤١٥. سنن ابن ماجه ٥/ ٤٧. السنن الكبرىٰ للنسائي ٦/ ٢٤٤، ٧/ ٨١.

(٩) أشرف الوسائل ص ٢٢٣.

(١٠) أعلام الحديث ٣/ ٢٠٥٢ - ٢٠٥٣.

الصنعة. وقال ابن سيده[١]: هي ما عولج من الطعام بحلو، وقد تطلق علىٰ الفاكهة. وقال الثعالبي في فقه اللغة[٢]: إن حلواءه ﷺ التي كان يحبها هي المَجِيع، وهي تمر يُعجَن بلبن. وقال الخطابي: لم تكن محبَّته ﷺ للحلواء علىٰ معنىٰ كثرة التشهِّي لها وشدة نزع النفس، وإنما كان ينال منها إذا أُحضرت [إليه] نيلاً صالحًا فيُعلَم بذلك أنها تعجبه.

(**وإن وجد لبنًا دون خبز اكتفىٰ به**) روىٰ الشيخان[٣] من حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ شرب لبنًا فدعا بماء فمضمض.

(**وإن وجد بطيخًا أو رُطبًا أكله**) روىٰ الحاكم[٤] من حديث أنس قال: كان يأكل الرُّطب ويلقي النوىٰ في الطبق.

وروىٰ النسائي[٥] من حديث عائشة قالت: كان يأكل الرطب بالبطيخ. وإسناده صحيح. ولفظ الترمذي[٦]: كان يأكل البطيخ بالرطب. وهكذا رواه ابن ماجه[٧] من حديث سهل بن سعد، والطبراني[٨] من حديث عبد الله بن جعفر. وزاد أبو داود[٩] والبيهقي[١٠] في حديث عائشة: ويقول: «نكسر حر هذا ببرد هذا، وبرد هذا بحر هذا».

---

(١) المحكم ٤/ ٤.

(٢) فقه اللغة ص ٢٩٢ - ٢٩٣ (ط - المكتبة العصرية ببيروت).

(٣) صحيح البخاري ١/ ٨٨، ٤/ ١٦. صحيح مسلم ١/ ١٦٩. وتمامه قول النبي ﷺ: «إن له دسما».

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٢٢٤ وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين.

(٥) السنن الكبرىٰ ٦/ ٢٥٠، ٢٥١.

(٦) سنن الترمذي ٣/ ٤٢٣.

(٧) سنن ابن ماجه ٥/ ٤٨.

(٨) المعجم الكبير ١٣/ ١٤١.

(٩) سنن أبي داود ٤/ ٣١١.

(١٠) السنن الكبرىٰ ٧/ ٤٥٩.

وروىٰ الطبراني في الأوسط[١] والحاكم[٢] وأبو نعيم في الطب[٣] من حديث أنس قال: كان يأخذ الرطب بيمينه والبطيخ بيساره فيأكل الرطب بالبطيخ، وكانا أحب الفاكهة إليه.

(**لا يأكل متكئًا**) تقدم في الباب الأول من كتاب آداب الأكل. وروىٰ أحمد[٤] من حديث ابن عمرو: كان لا يأكل متكئًا، ولا يطأ عقبه رجلان.

(**ولا**) يأكل (**علىٰ خِوان**) تقدم أيضًا في الباب المذكور. وهو[٥] بالكسر ويُضَم: المائدة [ما لم يكن] عليها طعام، معرَّب، يعتاد بعض المترفِّهين والمتكبِّرين الأكل عليه احترازًا عن خفض رؤوسهم، فالأكل عليه بدعة لكنها جائزة.

(**منديله باطن قدميه**) قال العراقي[٦]: لا أعرفه من فعله، وإنما المعروف فيه ما رواه ابن ماجه[٧] من حديث جابر: كنا زمن رسول الله ﷺ قليلاً ما نجد الطعام، فإذا وجدناه لم تكن لنا مناديل إلا أكُفُّنا وسواعدنا [وأقدامنا]. وقد تقدَّم في الطهارة.

(**لم يشبع من خبز بُرٍّ ثلاثة أيام متوالية حتىٰ لقي الله عز وجل**) رواه الشيخان من حديث عائشة: ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعًا من خبز بُرٍّ حتىٰ مضىٰ لسبيله. وقد تقدم قريبًا (**إيثارًا**) منه للغير (**علىٰ نفسه، لا فقرًا ولا بخلاً**) لأن[٨] الله تعالىٰ فتح عليه في أواخر عمره من الأموال ما لا يُحصَىٰ، فأخرجها كلَّها في سبيل الله،

---

(١) المعجم الأوسط / ٤٤.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٢٢٤.

(٣) الطب النبوي ٢/ ٧٢٩.

(٤) مسند أحمد ١١/ ١٠٧، ١٢١.

(٥) أشرف الوسائل ص ٢١٢.

(٦) المغني ١/ ٦١٣.

(٧) سنن ابن ماجه ٥/ ٢٤.

(٨) أشرف الوسائل ص ٤٧٨.

وصبر هو وأهل بيته علىٰ مُر الفقر والضِّيق والحاجة التامة **(يجيب الوليمة)** وهي طعام العرس، وتقدم قوله: «لو دُعيتُ إلىٰ كراع لأجبتُ». وفي الأوسط[١] للطبراني من حديث ابن عباس: إن كان الرجل من أهل العوالي لَيدعو رسول الله ﷺ بنصف الليل علىٰ خبز الشعير فيجيب. وإسناده ضعيف. وقد تقدم قريبًا.

(ويعود المرضىٰ) حتىٰ لقد عاد غلامًا يهوديًا كان يخدمه، وعاد عمَّه وهو مشرك، وعرض عليهما الإسلام، فأسلم الأول، وقصته في البخاري[٢]. وروىٰ أبو داود[٣] من حديث عائشة: كان يعود المريض وهو معتكف.

(ويشهد الجنائز) روىٰ الترمذي[٤] وضعَّفه وابن ماجه[٥] والحاكم[٦] وصحَّحه من حديث أنس قال: كان يعود المريض، ويشهد الجنائز. ورواه الحاكم[٧] من حديث سهل بن حنيف وقال: صحيح الإسناد. وفي الصحيحين وغيرهما عدة أحاديث من عيادته للمرضىٰ وشهوده للجنائز، منها: حديث جابر عندهما[٨] قال: مرضتُ، فأتاني النبي ﷺ يعودني وأبو بكر رضي الله عنه وهما ماشيان ...

---

(١) المعجم الأوسط ١/ ٨٧.

(٢) صحيح البخاري ١/ ٤١٦ من حديث أنس، ولفظه: «كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ، فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه فقال له: أسلم. فنظر إلىٰ أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ. فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار». ورواه في موضع آخر ٤/ ٢٧ مختصرا، وفي آخره: «قال سعيد بن المسيب عن أبيه: لما حضر أبو طالب جاءه النبي ﷺ».

(٣) سنن أبي داود ٣/ ١٩٨.

وفي لفظ آخر له: كان النبي ﷺ يمر بالمريض وهو معتكف فيمر كما هو ولا يعرج يسأل عنه.

(٤) سنن الترمذي ٢/ ٣٢٧.

(٥) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٩٨.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٥٤٨.

(٧) السابق ٢/ ٥٤٩.

(٨) صحيح البخاري ٤/ ٢٥، ٢٣٥، ٣٦٦. صحيح مسلم ٢/ ٧٥٨.

الحديث. وقد أخرجه أبو الشيخ وأبو داود[١].

(**ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارس**) قال العراقي[٢]: رواه الترمذي[٣] والحاكم[٤] من حديث عائشة: كان رسول الله ﷺ يُحرَس، حتىٰ نزلت هذه الآية: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧] فأخرج رأسه من القبَّة فقال: «انصرِفوا، فقد عصمني الله». قال الترمذي: غريب، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

(**أشد الناس تواضعًا**) اعلم[٥] أن العبد لا يبلغ حقيقةَ التواضع - وهو التذلُّل والتخشُّع - إلا إذا دام تجلِّي نور الشهود في قلبه؛ لأنه حينئذٍ يذيب النفس ويصفِّيها عن غش الكبر والعُجب، فتلين وتطمئن للحق والخلق بمحو آثارها وتسكين وهجها ونسيان حقها والذهول عن النظر إلىٰ قدْرها، ولما كان الحظ الأوفر من ذلك لنبيِّنا ﷺ كان أشد الناس تواضعًا، وحسبك شاهدًا علىٰ ذلك أن الله سبحانه خيَّره بين أن يكون ملكًا نبيًّا أو عبدًا نبيًّا فاختار أن يكون نبيًّا عبدًا، ومن ثَم لم يأكل متكئًا بعدُ وقال: «آكل كما يأكل العبد» حتىٰ فارق الدنيا، ولم يقل لشيء فعله أنس خادمه «أف» قط، وما ضرب أحدًا من عبيده وإمائه، وهذا أمر لا يتسع له الطبع البشري لولا التأييد الإلهي.

قال العراقي[٦]: روىٰ أبو الحسن ابن الضحَّاك في الشمائل من حديث أبي سعيد الخدري في صفته ﷺ: متواضع في غير ذلة. وسنده ضعيف، وفي الأحاديث الصحيحة الدالة علىٰ شدة تواضعه غُنية عنه، منها عند النسائي من حديث ابن أبي

---

(١) سنن أبي داود ٣/ ٤٠٥.
(٢) المغني ١/ ٦١٤.
(٣) سنن الترمذي ٥/ ١٣٨.
(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٣٧٣.
(٥) أشرف الوسائل ص ٤٧٠.
(٦) المغني ١/ ٦١٥.

أوفَىٰ: كان لا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين ... الحديث، وقد تقدم.

قلت: ومنها ما رُوي عن عائشة: ما كان أحد أحسن خُلقًا منه، ما دعاه أحد من أصحابه إلا قال لبيك. وكان يركب الحمار، ويردف خلفه.

وفي[1] مختصر السيرة للطبري: أنه كان يركب حمارًا عريًّا إلىٰ قُباء، ومعه أبو هريرة، فقال: «أحملك»؟ فقال: ما شئتَ يا رسول الله. فقال: «اركب». فوثب ليركب فلم يقدر، فاستمسك به ﷺ فوقعا جميعًا، ثم ركب وقال له مثل ذلك ففعل فوقعا جميعًا، ثم ركب فقال له مثل ذلك فقال: لا والذي بعثك بالحق لا رميتك ثالثًا. وأنه كان في سفر، فأمر أصحابه بإصلاح شاة، فقال رجل: عليَّ ذبحُها، وقال آخر: عليَّ سلخُها، وقال آخر: عليَّ طبخها. فقال ﷺ: «عليَّ جمع الحطب». فقالوا: يا رسول الله، نكفيك العملَ. فقال: «قد علمت أنكم تكفوني، ولكن أكره أن أتميَّز عليكم، وإن الله تعالىٰ يكره من عبده أن يراه متميِّزا بين أصحابه».

وروىٰ ابن عساكر[2] القصة الأخيرة مختصرة.

وروىٰ أيضًا أنه ﷺ كان في الطواف، فانقطع شِسْع نعله، فقال بعض أصحابه: ناوِلْني أصلحه لك. فقال: «هذه أَثرة، ولا أحب الأثرة»[3].

وفي الشفاء[4]: أنه ﷺ خدم وفد النجاشي، فقال له أصحابه: نكفيك. فقال:

---

(١) المواهب اللدنية للقسطلاني ٢/ ٩٤.

(٢) المقصود هنا أبو اليمن عبد الصمد بن عبد الوهاب ابن عساكر في جزء له سماه: تمثال النعل الشريف.

(٣) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده ٢/ ٤٦٣، والبيهقي في شعب الإيمان ٥/ ١٧٠، وأبو يعلىٰ في مسنده ١٣/ ١٦٢، والبزار في مسنده ٩/ ٢٦٣، والضياء في المختارة ٨/ ٢٠١ - ٢٠٢. كلهم من حديث عامر بن ربيعة.

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ للقاضي عياض ١/ ١٢٧.

«إنهم كانوا لأصحابنا مكرِمين، وأنا أحب أن أكافئهم»[١].

فكل هذه الأخبار دالة علىٰ شدة تواضعه ﷺ.

(**وأسكنهم**) أي أكثرهم سكونًا (**في غير كِبْر**) قال العراقي[٢]: روىٰ أبو داود[٣] وابن ماجه[٤] من حديث البراء: فجلس وجلسنا كأنَّ علىٰ رؤوسنا الطير. ولأصحاب السنن[٥] من حديث أسامة بن شريك: أتيت النبيَّ ﷺ وأصحابه كأنَّما علىٰ رؤوسهم الطير. وفي الشمائل[٦] للترمذي: [وإذا تكلم] أطرق جلساؤه كأنَّما علىٰ رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا. وفي الشمائل لأبي الحسن ابن الضَّحَّاك من حديث أبي سعيد الخدري: دائب الإطراق. وسنده ضعيف. أي دائم السكون. وقوله[٧] «كأنما علىٰ رؤوسهم الطير» كناية عن كونهم عند كلامه ﷺ علىٰ غاية تامة من السكون والإطراق وعدم الحركة والالتفات، أو عن كونهم مهابين مدهوشين من هيبته لِما أن كلامه عليه أبَّهة الوحيٰ وجلالة الرسالة، وأصل ذلك أن سليمان عليه السلام كان إذا أمر الطير بأن تظلِّل أصحابه غضُّوا أبصارهم ولم يتكلموا حتىٰ يسألهم مهابةً منه، أو عن كونهم متلذِّذين بكلامه، وأصل ذلك أن الغراب يقع علىٰ رأس البعير يلقط منه صغار القراد فيسكن سكون راحة ولذة، ولا يحرك رأسه خوفًا من طيرانه عنه، وهذه الحالة لهم إنما هي من تخلُّقهم بأخلاقه ﷺ؛ إذ كان ﷺ لكمال

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان ١١/ ٣٨١، وقوام السنة في الترغيب والترهيب ٣/ ٣٦، والصيداوي في معجم الشيوخ ص ٩٧ عن أبي قتادة.

(٢) المغني ١/ ٦١٥.

(٣) سنن أبي داود ٥/ ٢٥٠.

(٤) سنن ابن ماجه ٣/ ٨٠. وأول الحديث: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلىٰ القبر ولما يلحد فجلس ... الخ.

(٥) سنن أبي داود ٤/ ٣١٨. السنن الكبرىٰ للنسائي ٥/ ٣٧٧، ٣٨٠، ٧/ ٧٨.

(٦) الشمائل المحمدية ص ١٧٠.

(٧) أشرف الوسائل ص ٥١٠.

استغراقه بالمشاهدة في سكون دائم وإطراق ملازم.

(**وأبلغهم**) أي أكثرهم بلاغة في الكلام (**من غير تطويل**) قال العراقي[(١)]: روىٰ الشيخان[(٢)] من حديث عائشة: كان يحدِّث حديثًا لو عدَّه العادُّ لأحصاه. ولهما[(٣)] من حديثها: لم يكن يسرد الحديث كسردكم. علَّقه البخاري، ووصله مسلم. زاد الترمذي[(٤)]: ولكنه كان يتكلم بكلام يبيِّنه فصلٍ يحفظه مَن جلس إليه. وله في الشمائل[(٥)] من حديث هند بن أبي هالة: يتكلم بجوامع الكلم فصل، لا فضول ولا تقصير.

(**وأحسنهم بِشرًا**) قال العراقي[(٦)]: رواه الترمذي في الشمائل[(٧)] من حديث علي ابن أبي طالب: كان ﷺ دائم البِشر، سهل الخُلُق ... الحديث. وله في الجامع[(٨)] من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء: ما رأيت أحدًا كان أكثر تبسُّمًا من رسول الله ﷺ. وقال: غريب. قلت: وفيه ابن لهيعة.

(**لا يهوله شيء من أمور الدنيا**) يقال: هالَه الشيءُ: إذا راعه وأعجبه. قال العراقي[(٩)]: روىٰ أحمد[(١٠)] من حديث عائشة: ما أعجب رسولَ الله ﷺ شيءٌ من الدنيا، ولا أعجبه أحد قط إلا ذو تُقىٰ. وفي لفظ له: ما أُعجِب النبيَّ ﷺ بشيء ولا

---

(١) المغني ١/ ٦١٥.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٥١٩. صحيح مسلم ٢/ ١٣٦٦.

(٣) صحيح البخاري ٢/ ٥١٩. صحيح مسلم ٢/ ١١٦٥.

(٤) سنن الترمذي ٦/ ٢٩.

(٥) الشمائل المحمدية ص ١٠٥.

(٦) المغني ١/ ٦١٥ - ٦١٦.

(٧) الشمائل المحمدية ص ١٧٠.

(٨) سنن الترمذي ٦/ ٣٠.

(٩) المغني ١/ ٦١٦.

(١٠) مسند أحمد ٤٠/ ٤٦٤، ٤٦٦.

أعجبه شيء من الدنيا إلا أن يكون فيها ذو تُقىٰ. وفيه ابن لهيعة.

(ويلبس ما وجد) من غير قيد (فمرة) يلبس **(شملة، ومرة بُرد حبرة يمانية، ومرة جبَّة صوف، ما وجد من المباح لبس)** قال العراقي[١]: روىٰ البخاري[٢] من حديث سهل بن سعد: جاءت امرأة ببُردة، قال سهل: هل تدرون ما البردة؟ هي الشملة منسوج في حاشيتها. وفيه: فخرج علينا وإنها لإزاره ... الحديث. ولابن ماجه[٣] من حديث عُبادة بن الصامت: أن رسول الله صلىٰ الله عليه سلم صلىٰ في شملة قد عقد عليها. فيه الأحوص بن حكيم مختلَف فيه. وللشيخين[٤] من حديث أنس: كان أحب الثياب إلىٰ رسول الله ﷺ أن يلبسها الحبرة. ولهما[٥] من حديث المغيرة: وعليه جُبّة من صوف ضيقة الكُمَّينِ.

(وخاتمه فضة) متفق[٦] عليه[٧] من حديث أنس: اتخذ خاتمًا من فضة.

(يلبسه في خِنصره الأيمن) رواه مسلم[٨] وأحمد[٩] والترمذي[١٠] والنسائي[١١] وابن ماجه[١٢] من حديث أنس: أن رسول الله ﷺ لبس خاتم فضة في

---

(١) المغني ١/ ٦١٦.

(٢) صحيح البخاري ١/ ٣٩٤، ٢/ ٨٦، ٤/ ٥٨، ٩٧.

(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ١٨٨.

(٤) صحيح البخاري ٤/ ٥٩. صحيح مسلم ٢/ ١٠٠١.

(٥) صحيح البخاري ١/ ١٣٧، ٢/ ٣٣٧، ٤/ ٥٦. صحيح مسلم ١/ ١٣٩.

(٦) المغني للعراقي ١/ ٦١٧.

(٧) صحيح البخاري ١/ ٤٠، ٢/ ٣٤٢، ٤/ ٦٩، ٧٠، ٣٣٣. صحيح مسلم ٢/ ١٠٠٦.

(٨) صحيح مسلم ٢/ ١٠٠٧.

(٩) مسند أحمد ٢١/ ٦٧.

(١٠) سنن الترمذي ٣/ ٣٥١.

(١١) سنن النسائي ص ٧٨٥.

(١٢) سنن ابن ماجه ٥/ ٢٤١. وليس في رواية أحمد والترمذي وابن ماجه ذكر اليمين. وزاد مسلم: «فيه فص حبشي كان يجعل فصه مما يلي كفه».

يمينه. وللبخاري[١] من حديثه: فإني لأرىٰ بريقه في خِنصره. ولأن[٢] التختُّم فيه نوع تشريف وزينة، واليمين بهما أَولىٰ وأحق، وبه قال أبو حنيفة والشافعي.

(و) تارةً في خنصره (**الأيسر**) لبيان الجواز. روىٰ مسلم[٣] وأحمد عن أنس: كان خاتمه ﷺ في هذه. وأشار لخنصر يساره. وروىٰ أبو داود[٤] من حديث ابن عمر: كان ﷺ يتختَّم في يساره. وهو مذهب مالك ورواية عن أحمد، وقد انتصر بعضهم لأفضليَّة التختم في اليسار، حتىٰ قال بعض الحفَّاظ: التختُّم بها مرويٌّ عن عامة الصحابة والتابعين. والجواب: أن حديث التختُّم في اليمين رواه مسلم وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه، وقال الترمذي: قال محمد، يعني البخاري: هذا[٥] أصح شيء [رُوي] عن النبي ﷺ في هذا الباب. وإذا كان حديثه أصح وكان هو الموافق المعروف من حاله ﷺ أنه كان يؤثر اليمين بكل ما فيه تكريم وزينة فلا محيد عن اعتماد أفضلية التختم في اليمين.

(**يردف خلفه عبده**) أردف ﷺ أسامة بن زيد من عرفة، كما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس ومن حديث أسامة. وأردفه مرة أخرىٰ علىٰ حمار، وهو في الصحيحين أيضًا من حديث ابن عباس ومن حديث أسامة، وهو مولاه وابن مولاه (**أو غيره**) أردف الفضل بن عباس من المزدلفة، وهو في الصحيحين أيضًا من حديث أسامة ومن حديث ابن عباس والفضل بن عباس، وأردف معاذ بن جبل وابن عمر وغيرهم من الصحابة؛ قاله العراقي[٦].

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ٦٩.

(٢) أشرف الوسائل ص ١٥٥ - ١٥٦.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ١٠٠٧. ولم أقف عليه في مسند أحمد.

(٤) سنن أبي داود ٤/ ٤٧٠.

(٥) الكلام هنا عن حديث عبد الله بن جعفر: كان النبي ﷺ يتختم في يمينه. سنن الترمذي ٣/ ٣٥٤.

(٦) المغني ١/ ٦١٧.

وروىٰ أبو داود[(١)] وغيره أن قيس بن سعد صحبه راكبًا حمار أبيه، فقال له: «اركبْ»، فأبىٰ، فقال له: «إما أن تركب وإما أن تنصرف». وفي رواية: «اركب أمامي، فصاحب الدابّة أولىٰ بمقدَّمها»[(٢)].

وتقدم ركوبُ أبي هريرة خلفه علىٰ حمار عريٍّ وهو متوجِّه إلىٰ قُباء عن السيرة الطبرية قريبًا.

(**يركب ما أمكنه، مرةً فرسًا**) روىٰ[(٣)] الشيخان[(٤)] من حديث أنس ركوبه ﷺ فرسًا لأبي طلحة. ولمسلم[(٥)] من حديث [جابر بن] سمرة ركوبه الفرس عريًّا حين انصرف من جنازة ابن الدحداح. ولمسلم[(٦)] من حديث سهل بن سعد: كان للنبي ﷺ فرس يقال لها: اللُّحَيف.

(**ومرةً بعيرًا**) روىٰ الشيخان[(٧)] من حديث ابن عباس: طاف النبي ﷺ في حجة الوداع علىٰ بعير.

(**ومرةً بغلة شهباء**) روىٰ الشيخان[(٨)] من حديث البراء: رأيت النبي ﷺ علىٰ

---

(١) سنن أبي داود ٥/ ٤٢٦ - ٤٢٧.

(٢) هذه الرواية ذكرها عياض في الشفاء ١/ ١٢٠. وفي رواية للطبراني في المعجم الكبير ١٨/ ٣٥٠: «فقال رسول الله ﷺ: احمله بين يدي. فقال سعد: يا رسول الله، أحمله بين يديك؟! قال: نعم، هو أحق بصدر حماره. قال: يا رسول الله، الحمار لك. قال: احمله خلفي». ثم ذكر رواية أخرىٰ فيها: «صاحب الدابة أحق بصدرها».

(٣) المغني للعراقي ١/ ٦١٨.

(٤) صحيح البخاري ٢/ ٢٤٣، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٣٤، ٣٥٠، ٣٦٩، ٤/ ٩٧، ١٣٠. صحيح مسلم ٢/ ١٠٩١.

(٥) صحيح مسلم ١/ ٤٢٩.

(٦) حديث سهل ليس في صحيح مسلم، وإنما في صحيح البخاري ٢/ ٣٢٠.

(٧) صحيح البخاري ١/ ٤٩٦، ٥٠١، ٣/ ٤١١. صحيح مسلم ١/ ٥٧٩.

(٨) صحيح البخاري ٢/ ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٤٠، ٣/ ١٥٥. صحيح مسلم ٢/ ٨٥٣ - ٨٥٤.

بغلته البيضاء يوم حنين.

(ومرة حمارًا) روىٰ الشيخان[١] من حديث أسامة أنه ﷺ ركب علىٰ حمار عليه إكاف ... الحديث.

(ومرة يمشي راجلاً) أي ماشيًا علىٰ الرِّجل. وروىٰ الشيخان[٢] من حديث ابن عمر: كان يأتي قُباء راكبًا وماشيًا.

(ومرة حافيًا) أي بلا نعل **(ومرة بلا رِداء ولا عمامة ولا قلنسوة. يعود المرضىٰ في أقصىٰ المدينة)** روىٰ مسلم[٣] من حديث ابن عمر في عيادته ﷺ لسعد بن عُبادة: فقام وقمنا معه، ونحن بضعة عشر، ما علينا نعال ولا خِفاف ولا قلانس ولا قُمُص، نمشي في السِّباخ.

(يحب الطِّيب) وفي نسخة زيادة: والرائحة الطيبة **(ويكره الرائحة الرديئة)** وفي نسخة: الروائح الرديئة. اعلم[٤] أنه ﷺ كان طيب الرائحة دائمًا وإن لم يمسَّ طِيبًا، ومن ثَم قال أنس: ما شممت ريحًا قط ولا مسكًا ولا عنبرًا أطيب من ريح رسول الله ﷺ. وروىٰ أبو يعلىٰ والبزار[٥] بسند صحيح: أنه ﷺ كان إذا مر من طريق وُجد منه رائحة المسك وقالوا: مر رسول الله ﷺ من هذا الطريق.

ومع ذلك كان يحب الطِّيب والروائح الطيبة، روىٰ النسائي[٦] والطبراني[٧] والخطيب من حديث أنس: «حُبِّب إليَّ النساء والطِّيب». ورواه الحاكم في

---

(١) صحيح البخاري ٢/ ٣٥٥، ٣/ ٢١٢، ٤/ ٢٨، ٨٣، ١٢٩، ١٤١. صحيح مسلم ٢/ ٨٦٥.

(٢) صحيح البخاري ١/ ٣٦٧ - ٣٦٨، ٤/ ٣٦٩. صحيح مسلم ١/ ٦٢٨ - ٦٢٩.

(٣) صحيح مسلم ١/ ٤١١.

(٤) أشرف الوسائل ص ٢٩٥.

(٥) مسند أبي يعلىٰ ٥/ ٤٣٣، مسند البزار ١٣/ ٤٠٦ من حديث أنس بن مالك.

(٦) سنن النسائي ص ٦٠٩.

(٧) المعجم الأوسط ٥/ ٢٤١، ٦/ ٥٤.

المستدرك[١] وقال: صحيح على شرط مسلم. وروى أبو داود[٢] والحاكم[٣] من حديث عائشة: أنها صنعت لرسول الله ﷺ جُبَّة من صوف [سوداء] فلبسها، فلما عرقَ وجد ريح الصوف فخلعها، وكان تعجبه الريح الطيبة. لفظ الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين. ولابن عدي[٤] من حديث عائشة: كان يكره أن يوجد منه إلا ريح طيبة.

(**ويجالس الفقراء**) روى[٥] أبو داود[٦] من حديث أبي سعيد: جلست في عصابة من ضعفاء المهاجرين وإن بعضهم لَيستترُ ببعض من العري. وفيه: فجلس رسول الله ﷺ وسطنا ليعدل بنفسه فينا ... الحديث. ولابن ماجه[٧] من حديث خَبَّاب: وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا ... الحديث في نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم﴾ الآية [الأنعام: ٥٢] وإسنادهما حسن.

(**ويؤاكل المساكين**) روى البخاري[٨] من حديث أبي هريرة قال: وأهل الصُّفَّة أضياف الإسلام، لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا إلى أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها [شيئًا] فإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها.

(**ويكرم أهلَ الفضل في أخلاقهم، ويتألَّف أهل الشرف بالبر لهم**) روى[٩]

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٢/ ١٩٠.

(٢) سنن أبي داود ٤/ ٤١٠.

(٣) المستدرك على الصحيحين ٤/ ٣٠٧.

(٤) الكامل في الضعفاء ٥/ ١٧٤٩.

(٥) المغني للعراقي ١/ ٦١٩.

(٦) سنن أبي داود ٤/ ٢٤٦.

(٧) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٦٧ - ٥٦٩.

(٨) صحيح البخاري ٤/ ١٨٣.

(٩) المغني للعراقي ١/ ٦١٩ - ٦٢٠.

الترمذي في الشمائل[١] من حديث عليٍّ الطويل في صفته ﷺ: وكان من سيرته إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمه علىٰ قدْر فضلهم في الدين. وفيه: ويؤلِّفهم ولا ينفِّرهم، ويكرم كريمَ كل قوم ويولِّيه عليهم ... الحديث. وللطبراني[٢] من حديث جرير في قصة إسلامه: فألقىٰ إليَّ كساءه، ثم أقبل علىٰ أصحابه ثم قال: إذا أتاكم كريم قوم فأكرِموه» [وإسناده جيد] ورواه الحاكم[٣] من حديث معبد بن خالد الأنصاري [عن أبيه] نحوه وقال: صحيح الإسناد.

(ويصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم علىٰ مَن هو أفضل منهم) روىٰ[٤] الحاكم[٥] من حديث ابن عباس: كان يجِلُّ العباس إجلال الوالد والوالدة. وله[٦] من حديث سعد بن أبي وقاص: أنه أخرج عمَّه العباس وغيره من المسجد، فقال له العباس: تخرجنا ونحن عصبتك وعمومتك وتُسكِن عليًّا؟! فقال: «ما أنا أُخرِجكم وأُسكِنه، ولكن الله عَزَّوَجَلَّ أخرجكم وأسكنه». قال في الأول: صحيح الإسناد، وسكت عن الثاني، وفيه مسلم الملائي، وهو ضعيف. قال العراقي: فآثر عليًّا لفضله بتقدُّم إسلامه وشهوده بدرًا، والله أعلم.

قلت: ووجدت بخط الحافظ ابن حجر ما نصه: في مسند أحمد ما يدل علىٰ أن إبقاء باب عليٍّ لكونه لم يكن له باب غيره[٧].

---

(١) الشمائل المحمدية ص ١٦١ - ١٦٢.

(٢) المعجم الكبير ٢/ ٣٠٤.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٣٠ عن معبد بن خالد الأنصاري عن أبيه عن جابر بن عبد الله.

(٤) المغني للعراقي ١/ ٦٢٠.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ٣٩٨، وتمامه: «خاصة خص الله العباس بها من بين الناس».

(٦) السابق ٣/ ١٣٥.

(٧) روىٰ أحمد في مسنده ٥/ ١٨٠ من حديث ابن عباس في أثناء حديث طويل في مناقب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وسد أبواب المسجد غير باب علي، فيدخل المسجد جنبا، وهو طريقه ليس له طريق غيره».

وفي الصحيحين[١] من حديث أبي سعيد: «لا يبقىٰ في المسجد باب إلا سُدَّ إلا باب أبي بكر».

(**لا يجفو علىٰ أحد**) روىٰ[٢] أبو داود[٣] والترمذي في الشمائل[٤] والنسائي في اليوم والليلة[٥] من حديث أنس: كان قلَّما يواجه رجلاً بشيء يكرهه. وفيه ضعفٌ. وللشيخين[٦] من حديث أبي هريرة أن رجلاً استأذن عليه ﷺ، فقال: «بئس أخو العشيرة»، فلما دخل ألانَ له القولَ ... الحديث.

(**ويقبل معذرة المعتذر إليه**) متفق[٧] عليه[٨] من حديث كعب بن مالك في قصة الثلاثة الذين خُلِّفوا، وفيه: طفق المخلَّفون يعتذرون إليه، فقَبِل منهم علانيتهم ... الحديث.

(**يمزح**) أحيانًا (**ولا يقول إلا حقًّا**) رواه أحمد[٩] من حديث أبي هريرة، وهو عند الترمذي[١٠] بلفظ: قالوا: إنك تداعبنا. قال: «إني لا أقول إلا حقًّا» وقال: حسن. قاله العراقي[١١].

اعلم[١٢] أنه ﷺ كان مع أصحابه وأهله وغيرهم علىٰ غاية من سعة الصدر

---

(١) صحيح البخاري ١/ ١٦٧، ٣/ ٨، ٦٨. صحيح مسلم ٢/ ١١١٩.

(٢) المغني للعراقي ١/ ٦٢٠.

(٣) سنن أبي داود ٤/ ٤٥٣، ٥/ ٢٧١.

(٤) الشمائل المحمدية ص ١٦٨.

(٥) السنن الكبرىٰ ٩/ ٩٨.

(٦) صحيح البخاري ٤/ ٩٧، ١٠١، ١١٥. صحيح مسلم ٢/ ١٢٠٢.

(٧) المغني للعراقي ١/ ٦٢١.

(٨) صحيح البخاري ٣/ ١٧٧. صحيح مسلم ٢/ ١٢٧٠.

(٩) مسند أحمد ١٤/ ١٨٥، ٣٣٩.

(١٠) سنن الترمذي ٣/ ٥٢٩.

(١١) المغني ١/ ٦٢١.

(١٢) أشرف الوسائل ص ٣٢٧، ٣٣١ - ٣٣٢.

ودوام البِشر وحُسن الخُلق، حتىٰ يظن كل أحد من أصحابه أنه أحبهم إليه، وهذا ميدان ليس فيه إلا واجب أو مستحب، ولو لم يكن من مباسطته لهم إلا الاستضاءة بنور هدايته والاقتداء به في ذلك، وتألُّفهم حتىٰ يزول ما عندهم من هيبته فيقدرون علىٰ الاجتماع به والأخذ عنه، لكان ذلك هو الغاية العظمىٰ في الكمال، والحاصل أن المداعبة لا تنافي الكمالَ، بل هي من توابعه ومتمِّماته إذا كانت جارية علىٰ القانون الشرعي، بأن تكون علىٰ وفق الصدق والحق، وبقصد تألُّف قلوب الضعفاء وجبرهم وإدخال السرور والرفق عليهم، والمنهيُّ عنه من المزاح إنما هو الإفراط فيه والدوام عليه؛ لأنه يورث كثرة الضحك وقسوة القلب والإعراض عن ذكر الله تعالىٰ وعن التفكُّر في مهمَّات الدين، بل ربما يؤول كثيرًا إلىٰ إيذاء وحقد وسقوط المهابة والوقار، ومزاحه ﷺ سالم من جميع هذه الأمور، يقع منه علىٰ جهة الندرة لمصلحة تامة من مؤانسته بعض أصحابه، فهو بهذا القصد سنَّة، وما قال بعضهم: الأظهر أنه مباح لا غير، فضعيف؛ إذ الأصل في أفعاله ﷺ وجوب أو ندب للتأسِّي به فيها إلا لدليل يمنع من ذلك، ولا دليل هنا يمنع منه، فتعيَّن الندبُ، كما هو مقتضَىٰ كلام الفقهاء والأصوليين، هذا وقد ألقىٰ الله سبحانه عليه المهابة، ولم يؤثِّر فيه مزاحه ولا مداعبته، فقد قام رجل بين يديه فأخذته رعدة شديدة ومهابة، فقال: «هوِّنْ عليك، فإني لست بملك ولا جبار، إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد بمكة». فنطق الرجل بحاجته. وروىٰ مسلم[1] من حديث عمرو بن العاص: صحبت رسول الله ﷺ ما ملأت عيني منه قط حياءً وتعظيمًا له، ولو قيل لي صِفْه لَما قدرتُ. فإذا كان هذا حاله وهو من أجلاَّء أصحابه فما ظنك بغيرهم؟! ومن ثَم لولا مزيد تألُّفه ومباسطته لهم لَما قدر أحدٌ منهم أن يجتمع به هيبةً وخوفًا منه سيَّما عقب ما كان يتجلَّىٰ عليه من مواهب القُرب وعوائد الفضل،

---

(١) صحيح مسلم ١/ ٦٦، ولفظه: «ما كان أحد أحب إليَّ من رسول الله ﷺ، ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت؛ لأني لم أكن أملأ عيني منه».

لكن كان لا يخرج إليهم بعد ركعتَي الفجر إلا بعد الكلام مع عائشة أو الاضطجاع بالأرض؛ إذ لو خرج إليهم على حالته التي تجلَّىٰ بها من القرب في مناجاته وسماع كلام ربه وغير ذلك ممَّا يكلُّ اللسانُ عن وصف بعضه لَما استطاع بشر أن يلقاه، فكان يتحدث معها أو يضطجع بالأرض ليستأنس بجنسه أو بجنس أصل خلقه وهي الأرض ثم يخرج إليهم بحالة يقدرون علىٰ مشاهدتها رفقًا بهم ورحمةً لهم.

(**يضحك من غير قهقهة**) روىٰ[1] الشيخان[2] من حديث عائشة: ما رأيت رسول الله ﷺ قط مستجمعًا ضاحكًا حتىٰ أرىٰ لَهَواته، إنما كان يبتسم. وللترمذي[3] من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء: ما كان ضحك رسول الله ﷺ إلا تبسُّمًا. وقال: صحيح غريب. ولفظه في الشمائل[4]: لا يضحك إلا تبسُّمًا. وله في الشمائل[5] أيضًا من حديث هند بن أبي هالة: جلُّ ضحكِه التبسم.

وقوله «إلا تبسُّما» جعلُه من الضحك مجاز؛ إذ هو مبدؤه كجعل السِّنة من النوم. ومعنىٰ قوله: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ [النمل: ١٩] أي شارعًا في الضحك؛ إذ هو انبساط الوجه حتىٰ تظهر الأسنان من السرور، ثم إن كان بصوت وكان بحيث يُسمَع من بعيد فهو القهقهة وإلا فالضحك، وإن كان بلا صوت فهو التبسم.

وروىٰ الترمذي في الشمائل[6] من حديث أبي ذر في حديث ساقه وفيه: ضحك رسول الله ﷺ حتىٰ بدتْ نواجذُه.

قيل[7]: المراد منه المبالغة في كونه ضحك فوق ما كان يصدر عنه، وفيه دليل

---

(١) المغني للعراقي ١/ ٦٢١.
(٢) صحيح البخاري ٣/ ٢٩١، ٤/ ١٠٨. صحيح مسلم ١/ ٣٩٩.
(٣) سنن الترمذي ٦/ ٣٠.
(٤) الشمائل المحمدية ص ١٠٧.
(٥) السابق ص ١٠٦.
(٦) السابق ص ١٠٧. والحديث رواه مسلم في صحيحه ١/ ١٠٥.
(٧) أشرف الوسائل ص ٣٢١.

علىٰ أن الضحك في مواطن التعجُّب لا يُكرَه ولا يخرم المروءةَ إذا لم يجاوز به الحدَّ المعتاد، ولا ينافي هذا ما مر من حديث عائشة؛ لأنها إنما نفت رؤيتها، وأبو ذر أخبر بما شاهده، والمثبِت مقدَّم علىٰ النافي. والحاصل من مجموع الأحاديث أنه ﷺ كان في أغلب أحواله لا يزيد علىٰ التبسُّم، وربما زاد علىٰ ذلك فضحك، والمكروه من ذلك الإكثار منه أو الإفراط فيه؛ لأنه يُذهِب الوقارَ.

(**يرىٰ اللعب المباح فلا ينكره**) روىٰ[١] الشيخان من حديث عائشة في لعب الحبشة بين يديه في المسجد، وقال لهم: «دونكم يا بني أرفدة». وقد تقدم في كتاب السماع.

(**ويسابق أهله**) رواه[٢] أبو داود والنسائي في الكبرىٰ وابن ماجه من حديث عائشة في [مسابقته لها، وتقدم في] الباب الثالث من كتاب النكاح.

(**تُرفَع الأصوات عليه**) هكذا في النسخ، وعند العراقي: عنده (**فيصبر**) قال العراقي[٣]: روىٰ البخاري[٤] من حديث عبد الله بن الزبير[٥]: قَدِم رَكْبٌ من بني تميم علىٰ النبي ﷺ، فقال أبو بكر: أمِّر القعقاعَ بن معبد، وقال عمر: بل أمِّر الأقرع بن حابس. فقال أبو بكر: ما أردتَ إلا خلافي. فقال عمر: ما أردتُ خلافك. فتماريا حتىٰ ارتفعت أصواتهما، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١].

قلت: وكذلك رواه ابن المنذر وابن مردويه. وروىٰ البخاري وابن المنذر أيضًا

---

(١) المغني للعراقي ١/ ٦٢١.

(٢) السابق ١/ ٦٢١ - ٦٢٢.

(٣) المغني ١/ ٦٢٢.

(٤) صحيح البخاري ٣/ ١٦٦، ٢٩٥، ٤/ ٣٦٤.

(٥) كأن الأولىٰ حديث سعد بن أبي وقاص الذي في الصحيحين وفيه: وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهم علىٰ صوته... الحديث. وهذا لفظ خ ٣٦٨٣.

والطبراني[١] عن ابن أبي مُلَيكة قال: كاد الخَيِّران أن يهلكا أبو بكر وعمر، رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه رَكْبٌ من بني تميم ... فساقه. وأخرجه الترمذي[٢] من هذا الطريق قال: وحدثني عبد الله بن الزبير به. وأخرجه ابن جرير[٣] مثله.

(وكان له لِقاح وغنم يتقوَّت هو وأهله من ألبانها) روى[٤] محمد بن سعد كاتب الواقدي في الطبقات[٥] من حديث أم سلمة: كان عيشنا مع رسول الله ﷺ اللبن. أو قالت: أكثر عيشنا كانت لرسول الله ﷺ لقاح بالغابة ... الحديث. وفي رواية له: كانت لنا أعنز سبع، فكان الراعي يبلغ بهن مرةً الجُمُد[٦]، ومرة أُحدًا، ويروح بهن علينا، وكانت لرسول الله ﷺ لقاح بذي الجَذْر[٧]، فتئوب إلينا ألبانها بالليل ... الحديث. وفي إسنادهما محمد بن عمر الواقدي، ضعيف في الحديث. وفي الصحيحين[٨] من حديث سلمة بن الأكوع: كانت لقاح رسول الله ﷺ تُرعَىٰ بذي قَرَد[٩] ... الحديث. ولأبي داود[١٠] من حديث لقيط بن صبرة: «لنا غنم مائة لا

(١) المعجم الكبير ١٤/ ٢٣٠ - ٢٣١.

(٢) سنن الترمذي ٥/ ٣٠٧.

(٣) جامع البيان ٢١/ ٣٤٢.

(٤) المغني للعراقي ١/ ٦٢٢ - ٦٢٣.

(٥) الطبقات الكبرىٰ ١/ ٤٢٥، ٤٢٧.

(٦) كذا هنا وفي المغني. وفي الطبقات: الجماء، وهو الصواب، ففي معجم البلدان لياقوت ٢/ ١٥٨: «الجماء: جبيل من المدينة علىٰ ثلاثة أميال من ناحية العقيق إلىٰ الجرف، وقال الزمخشري: الجماء: جبيل بالمدينة، سميت بذلك لأن هناك جبلين هي أقصرهما، فكأنها جماء. وفي كتاب أبي الحسن المهلبي: الجماء: اسم هضبة سوداء، وهما جماوان، يعني هضبتين عن يمين الطريق للخارج من المدينة إلىٰ مكة».

(٧) في معجم البلدان ٢/ ١١٤: «ذو جدر: مسرح علىٰ ستة أميال من المدينة بناحية قباء، كانت فيها لقاح رسول الله ﷺ تروح عليه إلىٰ أن أغير عليها وأخذت».

(٨) صحيح البخاري ٣/ ١٣٤. صحيح مسلم ٢/ ٨٧٢.

(٩) في معجم البلدان ٤/ ٣٢١: «ذو قرد: ماء علىٰ ليلتين من المدينة، بينها وبين خيبر، وكان رسول الله ﷺ انتهىٰ إليه لما خرج في طلب عيينة حين أغار علىٰ لقاحه سنة ست».

(١٠) سنن أبي داود ١/ ٢١٤.

نريد أن تزيد، فإذا ولَّدَ الراعي بَهْمة ذبحنا مكانها شاة» ... الحديث.

(**وكان له عبيد وإماء لا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملبس**) روىٰ[1] محمد بن سعد في الطبقات[2] من حديث سلمىٰ قالت: كان خدم النبيِّ ﷺ أنا وخضرة ورضوىٰ وميمونة بنت سعد، أعتقهن كلَّهن. وإسناده ضعيف. وروىٰ أيضًا أن أبا بكر بن حزم كتب إلىٰ عمر بن عبد العزيز بأسماء خدم رسول الله ﷺ، فذكر بركة أم أيمن وزيد بن حارثة وأبا كبشة وأَنَسة وشقران وسفينة وثوبان ورباحا ويسارًا وأبا رافع وأبا مويهبة ورافعًا، أعتقهم كلَّهم، وفضالة ومدعمًا وكركرة. وروىٰ أبو بكر ابن الضحاك في الشمائل من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد ضعيف: كان ﷺ يأكل مع خادمه. ولمسلم[3] من حديث أبي اليسر: «أطعِموهم مما تَطعمون، وألبِسوهم مما تَلبسون ...» الحديث.

(**ولا يمضي له وقتٌ في غير عمل لله تعالىٰ أو فيما لا بد له منه لصلاح نفسه**) روىٰ الترمذي في الشمائل[4] من حديث علي: كان إذا آوىٰ إلىٰ منزله جزَّأ دخولَه ثلاثة أجزاء: جزءًا لله، وجزءًا لأهله، وجزءًا لنفسه، ثم جزَّأ جزأه بينه وبين الناس، فيردُّ ذلك بالخاصة علىٰ العامة ... الحديث.

(**يخرج إلىٰ بساتين أصحابه**) تقدم[5] في الباب الثالث من آداب الأكل خروجه ﷺ إلىٰ بستان أبي الهيثم بن التيهان وأبي أيوب الأنصاري وغيرهما.

(**لا يحقر مسكينًا لفقره وزمانته، ولا يهاب ملكًا لمُلكه، يدعو هذا وهذا**

---

(١) المغني للعراقي ١/ ٦٢٣.

(٢) الطبقات الكبرىٰ ١/ ٤٢٨.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ١٣٦٩.

(٤) الشمائل المحمدية ص ١٦١.

(٥) المغني للعراقي ١/ ٦٢٤.

إلىٰ الله دعاء واحدًا) روىٰ البخاري[١] من حديث سهل بن سعد: مر رجل علىٰ رسول الله ﷺ، فقال: «ما تقولون في هذا»؟ قالوا: حريٌّ إن خطب أن يُنكَح ... الحديث، وفيه: فمر رجل من فقراء المسلمين، فقال: «ما تقولون في هذا»؟ قالوا: حريٌّ إن خطب أن لا يُنكَح ... الحديث، وفيه: «هذا خير من ملء الأرض مثل هذا». ولمسلم[٢] من حديث أنس: أن النبي ﷺ كتب إلىٰ كسرىٰ وقيصر والنجاشي وإلىٰ كل جبار يدعوهم إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

(قد جمع الله له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو أمِّي) منسوب إلىٰ بطن الأم **(لا يكتب ولا يقرأ)** تقدم الكلام فيه في كتاب العلم **(نشأ في بلاد الجهل والصحاري في فقر وفي رعاية الغنم يتيمًا لا أب له ولا أم)** إذ كانا قد توفِّيا من قبل أن يكبر **(فعلَّمه الله تعالىٰ جميع محاسن الأخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأولين والآخرين وما فيه الفوز والنجاة في الآخرة والغبطة والخلاص في الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول)** هذا[٣] كله معروف معلوم، فروىٰ الترمذي في الشمائل[٤] من حديث عليٍّ في صفته: وكان من سيرته في جزء الأمَّة إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمه ... الحديث، وفيه: فسألته عن سيرته في جلساته، فقال: كان دائم البِشر، سهل الخُلق، ليِّن الجانب ... الحديث، وفيه: كان يخزن لسانه إلا فيما يعينه. وفيه: قد ترك نفسه من ثلاث: من المِراء، والإكثار، وما لا يعنيه ... الحديث، وقد تقدم بعضه. وروىٰ ابن مردويه من حديث ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ الآية [العنكبوت: ٤٨] قال: كان نبي الله ﷺ أميًّا لا يقرأ ولا يكتب. وقد تقدم في العلم. وللبخاري[٥] من حديث ابن عباس:

---

(١) صحيح البخاري ٣/ ٣٦٠، ٤/ ١٨٢.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ٨٥٢. زاد في إحدىٰ الروايات: وليس بالنجاشي الذي صلىٰ عليه النبي ﷺ.

(٣) المغني للعراقي ١/ ٦٢٤ - ٦٢٥.

(٤) الشمائل المحمدية ص ١٦١، ١٦٢، ١٦٩، ١٧٠.

(٥) صحيح البخاري ٢/ ٥١٠ - ٥١١.

إذا سرَّك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٣٠] ولأحمد[١] وابن حبان من حديث أم سلمة في قصة هجرة الحبشة أن جعفرًا قال للنجاشي: أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ... الحديث. ولأحمد[٢] من حديث أبيٍّ بن كعب: «إني لفي صحراء ابن عشر سنين وأشهُرٍ فإذا بكلام فوق رأسي» ... الحديث. وللبخاري[٣] من حديث أبي هريرة: «كنت أرعاها - أي الغنم - علىٰ قراريط لأهل مكة». ولأبي يعلىٰ[٤] وابن حبان[٥] من حديث حليمة: كنا نرجو كرامة الرضاعة من والد المولود، وكان يتيمًا.

تتمة: قال[٦] الحليمي في شعب الإيمان[٧]: من تعظيمه ﷺ أن لا يوصف بما هو عند الناس من أوصاف الضعة، فلا يقال: كان فقيرًا. ومن ثَم أنكر بعضهم إطلاق الزهد في حقه، ولقد قيل لمحمد بن واسع: فلان زاهد، فقال: وما قدْر الدنيا حتىٰ يُزهَد فيها[٨]؟ ونقل السبكي عن الشفاء[٩] وأقرَّه: أن فقهاء الأندلس

---

(١) مسند أحمد ٣/ ٢٦٦، ٣٧/ ١٧٢.

(٢) السابق ٣٥/ ١٨١.

(٣) صحيح البخاري ٢/ ١٣٠.

(٤) مسند أبي يعلىٰ ١٣/ ٩٤.

(٥) صحيح ابن حبان ١٤/ ٢٤٤.

(٦) أشرف الوسائل ص ٥٤٦.

(٧) المنهاج في شعب الإيمان ٢/ ١٤٩، ونصه: «ومما يدخل في تعظيم النبي ﷺ أن لا يقابل قول حكي عنه أو فعل له بوصف أو حال له يذكر بما يكون إبقاؤه ولا يسمىٰ بشيء من الأسماء التي هي في متعارف الناس من أسماء الضعة، فلا يقال: كان النبي فقيرا، أو لا يقال له إذا ذكرت مجاعته أو شدة لقيها: مسكين، كما يقال في مثل هذه الحالة لغيره ترحما وتعطفا عليه».

(٨) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٧/ ١٢٠ بلفظ: «مر محمد بن واسع بقوم، فقالوا: إن هذا أزهد من في الدنيا. فقال محمد لهم: وما قدر الدنيا حتىٰ يُحمد من زهد فيها»؟

(٩) الشفا للقاضي عياض ٢/ ٢١٨، ونصه: «أفتىٰ فقهاء الأندلس بقتل ابن حاتم المتفقه =

أفتوا بقتل مَن استخفَّ بحقِّه ﷺ فسمَّاه أثناء مناظرته باليتيم، وزعم أن زهده لم يكن قصدًا، ولو قدر علىٰ الطيبات لأكلها. وذكر البدر الزركشي عن بعض الفقهاء [المتأخرين] أنه ﷺ لم يكن فقيرًا من المال قط، ولا حاله حال فقير، بل كان أغنىٰ الناس بالله تعالىٰ، قد كُفي أمر دنياه في نفسه وعياله، وكان يقول في قوله: «اللهم أحيني مسكينًا»: المراد به استكانة القلب لا المسكنة الشرعية، وكان يشدِّد النكير علىٰ من يعتقد خلاف ذلك.

(وفَّقنا الله لطاعته في أمره والتأسِّي به في فعله ... آمين) أي استجبْ **(يا رب العالمين)**.

= الطليطلي وصلبه بما شُهد عليه به من استخفافه بحق النبي ﷺ وتسميته إياه أثناء مناظرته باليتيم، وختن حيدرة، وزعمه أن زهده لم يكن قصدًا، ولو قدر علىٰ الطيبات أكلها ... إلىٰ أشباه لهذا».

(بيان جملة أخرى من أخلاقه وآدابه)

(ممَّا رواه أبو البَخْتري) سعيد[١] بن فيروز الطائي مولاهم، قال ابن معين: ثبت، وقال أبو زرعة وأبو حاتم وابن معين أيضًا: ثقة، زاد أبو حاتم: صدوق[٢]. قال ابن معين: لم يسمع من علي شيئًا. وقال أبو داود: لم يسمع من أبي سعيد. وقال هلال بن خَبَّاب: كان من أفاضل أهل الكوفة. قال أبو نعيم: مات في الجماجم سنة ثلاث وثمانين. روىٰ له الجماعة **(قالوا: ما شتم رسول الله ﷺ أحدًا من المؤمنين بشتيمة إلا جعل لها كفارة ورحمة)** وفي نسخة العراقي: إلا جعلها الله، وقال[٣]: متفق عليه[٤] من حديث أبي هريرة في أثناء حديث فيه: «فأيُّ المؤمنين شتمته لعنته جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقُربة». وفي رواية: «فاجعلها زكاة ورحمة». وفي رواية: «فاجعلها له كفَّارة وقُربة». وفي رواية: «فاجعل ذلك له كفَّارة يوم القيامة».

(وما لعن امرأة قط ولا خادمًا بلعنة) قال العراقي[٥]: المعروف «ما ضرب» مكان «لعن»، كما هو متفق عليه[٦] من حديث عائشة. وللبخاري[٧] من حديث أنس: لم يكن فحَّاشًا ولا لعَّانًا. وسيأتي الحديث الذي بعده فيه هذا المعنىٰ.

(وقيل له وهو في القتال: لو لعنتهم يا رسول الله. فقال: إنما بُعثتُ رحمة

---

(١) تهذيب الكمال ١١/ ٣٢ - ٣٥.

(٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٤/ ٥٥.

(٣) المغني ١/ ٦٢٦.

(٤) صحيح البخاري ٤/ ١٦٤. صحيح مسلم ٢/ ١٢٠٥ - ١٢٠٦.

(٥) المغني ١/ ٦٢٦.

(٦) هذا القدر من الحديث عند مسلم ٢/ ١٠٩٨، وليس هو في صحيح البخاري.

(٧) صحيح البخاري ٤/ ٩٧، ٩٩.

ولم أُبعَث لعَّانًا) رواه مسلم(١) من حديث أبي هريرة. ورواه البخاري في التاريخ(٢) بلفظ: «إنما بُعثتُ رحمة ولم أُبعَث عذابًا».

(وكان إذا سُئل أن يدعو علىٰ أحد مسلم أو كافر عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه ودعا له) روىٰ الشيخان(٣) من حديث أبي هريرة: قالوا: يا رسول الله، إن دوسًا قد كفرت وأبت فادْعُ الله عليها. فقيل: هلكت دوس(٤)، فقال: «اللهم اهد دوسًا وائتِ بهم».

ولما آذاه المشركون يوم أُحد وكسروا رُباعيته وشجُّوا وجهه شقَّ ذلك علىٰ أصحابه فقالوا: لو دعيتَ عليهم. فقال: «إني لم أُبعَث لعَّانًا ولكن بُعثت داعيًا ورحمة، اللهم اغفر لقومي - أو اهْدِ قومي - فإنهم لا يعلمون».

(وما ضرب بيده أحدًا قط إلا أن يضرب بها في سبيل الله، وما انتقم من شيء صُنع إليه قط إلا أن تُنتهَك حرمة الله) رواه الترمذي في الشمائل(٥) من حديث علي: ولا ضرب بيده شيئًا قط إلا أن يجاهد، ولا ضرب خادمًا ولا امرأة، وما رأيته منتصرًا من مَظلمة ظُلمها ما لم تُنتهَك محارم الله. وفي المتفق عليه من حديث عائشة نحو ذلك، وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصحبة.

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ١٢٠٤.

(٢) لم أقف عليه في التاريخ الكبير، وقد رواه بهذا اللفظ: البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٥٢٩، والبزار في مسنده ١٧/ ١٥٢، وأبو نعيم في دلائل النبوة ص ٤٠.

(٣) صحيح البخاري ٢/ ٣٤١، ٣/ ١٧٢، ٤/ ١٧١. صحيح مسلم ٢/ ١١٧٥.

(٤) دوس: بطن من شنوءة، من الأزد، من القحطانية، وهم بنو دوس بن عدثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر - وهو شنوءة - بن الأزد. سكنوا إحدىٰ السروات المطلة علىٰ تهامة والحيرة والعراق، وقدم وفد منهم علىٰ النبي ﷺ وهو بخيبر. معجم قبائل العرب ١/ ٣٩٤.

(٥) الشمائل المحمدية ص ١٦٧ من حديث عائشة، وليس من حديث علي. وهما حديثان أدمجهما الشارح في سياق واحد.

وروى الحاكم[١]: ما لعن رسول الله ﷺ مسلمًا بذكرى[٢] - أي بصريح اسمه - وما ضرب بيده شيئًا قط إلا أن يضرب بها في سبيل الله، ولا سُئل شيئًا قط فمنعه إلا أن يُسئل مأثمًا، ولا انتقم لنفسه من شيء إلا أن تُنتهَك حرمات الله تعالى فيكون الله ينتقم.

(وما خُيِّرَ بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما، إلا أن يكون فيه إثم أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس من ذلك) أي[٣] إما بأن يخيِّره الله تعالى فيما فيه عقوبتان فيختار الأخف، أو في قتال الكفار وأخذ الجزية فيختار أخذها، أو في حق أُمَّته في المجاهدة في العبادة والاقتصاد فيختار الاقتصاد، وإما بأن يخيِّره المنافقون أو الكفار، فعلى هذا [يتضح] قوله: إلا أن يكون فيه إثم ... الخ.

رواه البخاري[٤] والترمذي في الشمائل[٥] والطبراني[٦] من حديث عائشة، ولفظ البخاري: ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه. ولفظ الترمذي: مأثمًا. ولفظ الطبراني: ما لم يكن لله فيه سخطٌ.

(وما كان يأتيه أحد حر أو عبد أو أمة إلا قام معه في حاجته) روى[٧] البخاري تعليقًا من حديث أنس: إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لَتأخذُ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت. ووصله ابن ماجه وقال: فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت من المدينة في حاجتها. وقد تقدم قريبًا. وتقدم أيضًا حديث

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٢/ ٧٢٠.

(٢) في المستدرك: من لعنة تذكر.

(٣) أشرف الوسائل ص ٥٠٥. وانظر: إكمال المعلم للقاضي عياض ٧/ ٢٩١.

(٤) صحيح البخاري ٢/ ٥١٨، ٤/ ١١٤، ٢٤٨.

(٥) الشمائل المحمدية ص ١٦٧.

(٦) المعجم الأوسط ٤/ ٣٠٣، ٧/ ٢٥٦، ٣٣٣، ٩/ ٧١.

(٧) المغني للعراقي ١/ ٦٢٧.

ابن أبي أوفىٰ: ولا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين حتىٰ يقضي لهما حاجتهما.

(وقال أنس) خادمه (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ): **والذي بعثه بالحق ما قال لي في شيء قط كرهه لِمَ فعلتَه؟ ولا لامني أحدٌ من أهله إلا قال: دعوه، إنما كان هذا بكتاب وقَدَر)** روىٰ[١] الشيخان[٢] من حديثه: ما قال لشيء صنعتُه لِمَ صنعتَه؟ ولا لشيء تركتُه لِمَ تركتَه؟ وروىٰ أبو الشيخ في كتاب الأخلاق[٣] من حديث له قال فيه: ولا أمرني بأمر فتوانيت فيه فعاتبني عليه، فإن عاتبني أحد من أهله قال: «دعوه، فلو قُدِّر شيء كان». وفي رواية له: كذا قُضي.

(قالوا: وما عاب رسول الله ﷺ مضجعًا، إن فرشوا له اضطجع، وإن لم يُفرَش له اضطجع علىٰ الأرض) قال العراقي[٤]: لم أجده بهذا اللفظ، والمعروف: ما عاب طعامًا. ويؤخذ من عموم حديث علي بن أبي طالب: ليس بفَظٍّ. إلىٰ أن قال: ولا عَيَّاب. رواه الترمذي في الشمائل[٥] والطبراني[٦] وأبو نعيم في دلائل النبوة[٧]. وروىٰ ابن أبي عاصم في كتاب السنَّة[٨] من حديث أنس: ما عاب عليَّ شيئًا قط. وفي الصحيحين[٩] من حديث عمر اضطجاعه علىٰ حصير. وللترمذي[١٠]

---

(١) السابق ١/ ٦٢٧.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٢٩٦، ٤/ ٩٨، ٢٧٦. صحيح مسلم ٢/ ١٠٩٢.

(٣) أخلاق النبي وآدابه ١/ ١٧٥، ١٩٢.

(٤) المغني ١/ ٦٢٨.

(٥) الشمائل المحمدية ص ١٧٠.

(٦) المعجم الكبير ٢٢/ ١٥٨.

(٧) دلائل النبوة ص ٦٣١.

(٨) السنة ص ١٥٧.

(٩) صحيح البخاري ٢/ ١٩٨، ٣/ ٣١٣، ٣٨٦، ٤/ ٦٤. صحيح مسلم ١/ ٦٨١.

(١٠) سنن الترمذي ٤/ ١٨٦.

وصحَّحه من حديث ابن مسعود: نام علىٰ حصير فقام وقد أثَّر في جنبه ... الحديث.

قلت: وقد رواه الطبراني[١] عنه بأبسط من ذلك، وهو أنه دخل عليه في غرفة كأنها بيت حمام - أي لشدة حرِّها - وهو نائم علىٰ حصير قد أثَّر في جنبه، فبكىٰ، فقال: «ما يبكيك يا عبد الله»؟ قال: يا رسول الله، كسرىٰ وقيصر ينامون علىٰ الديباج والحرير وأنت نائم علىٰ هذا الحصير وقد أثَّر بجنبك. فقال: «فلا تبكِ يا عبد الله، فإنَّ لهم الدنيا ولنا الآخرة»[٢].

وصح[٣] عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ معه ﷺ نظير ذلك، لكن بزيادة: لم يكن عليه غير إزار، وأنه كان مضطجعًا علىٰ خصفة وإن بعضه لعلىٰ التراب[٤].

(**وقد وصفه الله تعالىٰ في التوراة**) الذي أُنزِل علىٰ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ (**قبل أن يبعثه**) بمدة طويلة (**في السطر الأول فقال: محمد رسول الله عبدي المختار**) أي اخترتُه من بين عبادي (**لا فَظ، ولا غليظ، ولا صَخَّاب**) من[٥] الصَّخَب بالصاد والسين، والخاء محرَّكة، وهو الضجر واضطراب الأصوات للخصام (**في الأسواق**) أي لأنه ليس ممَّن ينافس في الدنيا وجمعِها حتىٰ يحضر الأسواق لذلك، فذِكرُها إنما هو لكونها محل ارتفاع الأصوات لذلك لا لإثبات الصخب في غيرها، أو لأنه إذا انتفىٰ فيها انتفىٰ في غيرها بالأَولىٰ، والمراد بالمبالغة هنا أصل الفعل (**ولا يجزي بالسيئة السيئة**) ولما كان ذلك موهمًا أنه ترك الجزاء عجزًا فاستدركه بقوله: (**ولكن يعفو**) أي بباطنه (**ويصفح**) يعرض بظاهره امتثالاً لقوله تعالىٰ: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ

---

(١) المعجم الكبير ١٠/ ٢٠٠.

(٢) هو عند البخاري من حديث ابن عباس (٣٣٢) ومسلم (١٤٧٩).

(٣) أشرف الوسائل ص ٤٦٧.

(٤) هذه الرواية أخرجها الحاكم في المستدرك ٤/ ٢٠٥، وهناد في الزهد ٢/ ٣٨٢ دون قوله (لم يكن عليه غير إزار).

(٥) أشرف الوسائل ص ٥٠٢.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣﴾ [المائدة: ١٣] **(مولده بمكة، وهجرته بطابة)** وهو من أسماء المدينة المنورة **(ومُلكه بالشام)** المراد به الإقليم **(يأتزر علىٰ وسطه)** أي يستعمل الإزار، كما هو من عادة العرب **(هو ومَن معه)** من أصحابه **(رعاة للقرآن والعلم)** أي حَمَلة لهما وحَفَظة يرعونهما حق الرعاية بالفهم والحفظ والعمل بما فيه **(يتوضأ علىٰ أطرافه)** أي يغسل أطرافه عند الوضوء.

أخرج البيهقي في الدلائل(١) من حديث فُلَيح عن هلال بن علي عن عطـاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو فقلت له: أخبِرْني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة. فقال: أجل، واللهِ إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبي، إنَّا أرسلناك شاهدًا ومبشِّرًا ونذيرًا وحِرْزًا للأمِّيين، أنت عبدي ورسولي، سمَّيتك المتوكل، ليس بفَظٍّ، ولا غليظ، ولا صَخِبٍ بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ... الحديث. وفي لفظ له: ولا صخَّاب في الأسواق. وفيه: ولكن يعفو ويصفح. ورواه البخاري(٢) عن محمد بن سِنان عن فُلَيح. وروىٰ البيهقي نحو ذلك من حديث عبد الله بن سلام وكعب الأحبار، وفيه: ولكن يعفو ويغفر ويتجاوز. ومن طريق محمد بن ثابت بن شرحبيل عن أم الدرداء أنها سألت كعبًا عن صفته ﷺ في التوراة، فقال: نجده: محمد رسول الله، اسمه المتوكل، ليس بفظٍّ ولا غليظ ولا صخَّاب في الأسواق ... الحديث. ورواه من طريق المسيب بن رافع عن كعب: قال الله عَزَّوَجَلَّ لمحمد ﷺ: عبدي المتوكل المختار، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخَّاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح. وأخرج البيهقي من طريق عمر بن الحكم بن رافع بن سِنان عن بعض عمومته وآبائه أنه كانت عندهم ورقة يتوارثونها عن الجاهلية حتىٰ جاء الله بالإسلام، وفيها: [هذا الذِّكر] لأمَّة تأتي في آخر الزمان يسبلون أطرافهم، ويتَّزرون علىٰ أوساطهم

(١) دلائل النبوة ١/ ٣٧٤ – ٣٨٣.
(٢) صحيح البخاري ٢/ ٩٦.

... الحديث (**وكذلك نعته في الإنجيل**) من جهة بعثته ومهاجرته وما خصَّه الله من أوصاف. أخرج البيهقي في الدلائل من طريق العَيْزار بن حُرَيث عن عائشة قالت: إن رسول الله ﷺ مكتوب في الإنجيل: لا فظ، ولا غليظ، ولا صخَّاب بالأسواق، ولا يجزي بالسيئة مثلها، ولكن يعفو ويصفح.

وقد ذكر ذلك صاحب الشفاء[١] وغيره، وأوسع شراحه الكلام فيه[٢].

وروىٰ الترمذي في الشمائل[٣] من حديث عائشة: لم يكن فاحشًا ولا متفحِّشًا ولا سخَّابًا في الأسواق، ولا يجزي السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح.

(**وكان من خُلقه**) ﷺ (**أن يبدأ مَن لقيه بالسلام**) رواه الترمذي في الشمائل[٤] من حديث هند بن أبي هالة: يسوق أصحابه، ويبدأ مَن لقيه بالسلام. وكذلك رواه الطبراني[٥] والبيهقي[٦]. وفي لفظ: ويبدر، بدل: يبدأ.

(**ومَن قاومه**) وفي بعض النسخ: فاوضه (**لحاجة صابَرَه حتىٰ يكون هو المنصرف**) رواه[٧] الطبراني[٨] ومن طريقه أبو نعيم في دلائل النبوة[٩] من حديث علي. ولابن ماجه[١٠] من حديث أنس: كان إذا لقي الرجلَ فكلَّمه لم يصرف وجهه

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ ١/ ٢٤ - ٢٥.

(٢) انظر: نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض للشهاب الخفاجي ١/ ٢٤١ - ٢٥١.

(٣) الشمائل المحمدية ص ١٦٧. وفي السنن أيضًا ٢٠١٦.

(٤) السابق ص ١٣.

(٥) المعجم الكبير ٢٢/ ١٥٦.

(٦) شعب الإيمان ٣/ ٢٩.

(٧) المغني للعراقي ١/ ٦٢٨.

(٨) المعجم الكبير ٢٢/ ١٥٨.

(٩) دلائل النبوة ص ٦٣١.

(١٠) سنن ابن ماجه ٥/ ٢٨٦.

حتىٰ يكون هو المنصرف. ورواه الترمذي[(١)] نحوه وقال: غريب.

قلت: ورواه ابن سعد في الطبقات[(٢)] من حديث أنس بلفظ: كان إذا لقيه أحد من أصحابه فقام معه فلم ينصرف حتىٰ يكون الرجل هو الذي ينصرف عنه.

(وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتىٰ يرسلها الآخذ) رواه الترمذي وابن ماجه في حديث أنس الذي قبله: كان إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتىٰ يكون الرجل ينزع [لفظ الترمذي] وقال: غريب. قاله العراقي[(٣)].

قلت: ورواه ابن سعد في الطبقات بلفظ: وإذا لقيه أحد من أصحابه فتناول يده ناولها إياه، ثم لم ينزعها منه حتىٰ يكون الرجل هو الذي ينزعها منه.

(وكان) ﷺ **(إذا لقي أحدًا من أصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ بيده فشابَكَه ثم شد قبضته عليها)** روىٰ أبو داود[(٤)] من حديث أبي ذر وسأله رجل من عنزة: هل كان رسول الله ﷺ يصافحكم إذا لقيتموه؟ قال: ما لقيته قط إلا صافحني ... الحديث. وفيه الرجل الذي من عنزة ولم يُسَمَّ، وسمَّاه البيهقي في الأدب[(٥)]: عبد الله. وروينا في علوم الحديث[(٦)] للحاكم من حديث أبي هريرة قال: شبَّك بيدي أبو القاسم ﷺ. وهو عند مسلم[(٧)] بلفظ: أخذ رسول الله ﷺ بيدي. قاله العراقي[(٨)].

---

(١) سنن الترمذي ٤/ ٢٦٧.

(٢) الطبقات الكبرىٰ ١/ ٣٢٦.

(٣) المغني ١/ ٦٢٩.

(٤) سنن أبي داود ٥/ ٤٣٦.

(٥) الآداب ص ٩١، ولفظه: «عن عبد الله بن العنزي قال: سألت أبا ذر: أكان رسول الله ﷺ إذا لقي الرجل يصافحه يأخذ بيده؟ فقال: علىٰ الخبير سقطت، لم يلقني قط إلا أخذ بيدي غير مرة واحدة، وكانت تلك أجودهن، أرسل إليَّ في مرضه الذي توفي فيه، فأتيته وهو مضطجع فأكببت عليه، فرفع يده فالتزمني».

(٦) معرفة علوم الحديث ص ١٨٦.

(٧) صحيح مسلم ٢/ ١٢٨٥.

(٨) المغني ١/ ٦٢٩.

قلت: وقد وقع لنا مسلسلاً بالمشابكة من طريق أبي العباس جعفر بن محمد المستغفري قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن عبد العزيز المكي وشبَّك بيدي، أخبرنا أبو الحسن محمد بن طالب وشبَّك بيدي قال: حدثنا أبو عمر عبد العزيز بن الحسن بن بكر بن عبد الله بن الشَّرُود الصنعاني وشبَّك بيده قال: شبَّك بيدي أبي وقال أبي: شبَّك بيدي أبي وقال: شبك بيدي إبراهيم بن أبي يحيىٰ قال: شبك بيدي صفوان بن سليم وقال: شبك بيدي أيوب بن خالد قال: شبك بيدي عبد الله بن رافع قال: شبك بيدي أبو هريرة قال: شبك بيدي أبو القاسم ﷺ وقال: «خلق الله سبحانه وتعالىٰ الأرض يوم السبت، والجبال يوم الأحد، والشجر يوم الاثنين، والمكروه يوم الثلاثاء، والنور يوم الأربعاء، والدواب يوم الخميس، وآدم يوم الجمعة». وقد رواه عن عبد العزيز بن الحسن بن بكر جماعة علىٰ المتابعة: محمد بن أحمد بن سعيد الفامي، ومحمد بن إبراهيم بن زُوزان الحارثي، وأبو بكر محمد بن الحسن بن إبراهيم بن فيل الأنطاكي، ومحمد بن محمد بن عبد الله بن حمزة البغدادي، ومحمد بن محمد بن مهدي القشيري، وأحمد بن علي بن الحسن المقري، وخيثمة بن سليمان الأطرابلسي، وآخرون. ورواه كذلك عن بكر بن عبد الله بن الشرود: أيوب بن سالم، وعن إبراهيم بن أبي يحيىٰ: محمد بن همَّام. وأصل الحديث مخرَّج في صحيح مسلم، كما أشار إليه العراقي، رواه من طريق حجاج بن محمد عن ابن جريج عن إسماعيل بن أميَّة عن أيوب بن خالد.

وقول المصنف «بدأه بالمصافحة» أي بعد السلام؛ لِما روىٰ الطبراني في الكبير[1] من حديث جندب: كان إذا لقي أصحابه لم يصافحهم حتىٰ يسلِّم عليهم. وقوله «ثم شد قبضته» قال بعض الشيوخ: أراد بذلك زيادة المحبة وتأكيدها، وقد وقع لنا كذلك مسلسلاً في بعض طرق المصافحة.

(وكان) ﷺ **(لا يقوم ولا يجلس إلا علىٰ ذِكر الله تعالىٰ)** رواه الترمذي في

---

(١) المعجم الكبير ٢/ ١٧٦.

الشمائل من حديث عليٍّ في حديثه الطويل فى صفته وقال: علىٰ ذِكرٍ، بالتنكير. ويُفهَم من عموم حديث «كان يذكر الله علىٰ كل أحيانه».

(وكان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفَّف صلاته وأقبل عليه فقال: ألك حاجة؟ فإذا فرغ من حاجته عاد إلىٰ صلاته) قال العراقي[١]: لم أجد له أصلاً.

قلت: ولكن روىٰ أحمد في مسنده[٢] عن رجل من الصحابة قال: كان ممَّا يقول للخادم: ألك حاجة. وهذا يدل علىٰ أنه إذا جاءه الخادم ووجده في الصلاة كان يخفِّف ويُقبِل عليه بالسؤال عن الحاجة، وهو من جملة مكارم الأخلاق؛ إذ لا يأتيه في ذلك الوقت إلا لحاجة، فإذا طوَّل في الصلاة فقد أوقعه في الانتظار.

(وكان) ﷺ **(أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعًا ويمسك بيديه عليهما شِبه الحَبْوة)** روىٰ أبو داود[٣] والترمذي في الشمائل[٤] من حديث أبي سعيد الخدري: كان رسول الله ﷺ إذا جلس في المجلس احتبىٰ بيده. وإسناده ضعيف. وللبخاري[٥] من حديث ابن عمر: رأيت رسول الله ﷺ بفناء الكعبة محتبيًا بيده. قاله العراقي[٦].

قلت: وحديث[٧] أبي سعيد رواه أيضًا البيهقي[٨]، وفيه: احتبىٰ بيديه. ورواه البزار[٩] وزاد: ونصب ركبتيه. وفي بعض نسخ أبي داود: إذا جلس في المسجد.

---

(١) المغني ١/ ٦٢٩ - ٦٣٠.

(٢) مسند أحمد ٢٥/ ٤٧٩ عن خادم للنبي ﷺ رجل أو امرأة قال ... فذكره.

(٣) سنن أبي داود ٥/ ٢٩٢.

(٤) الشمائل المحمدية ص ٦٠.

(٥) صحيح البخاري ٤/ ١٤٦.

(٦) المغني ١/ ٦٣٠.

(٧) فيض القدير ٥/ ١١٩.

(٨) السنن الكبرىٰ ٣/ ٣٣٤.

(٩) كشف الأستار عن زوائد البزار ٢/ ٤٢٦.

وقول العراقي «وإسناده ضعيف» أشار به إلىٰ أنهم رووه من طريق عبد الله بن إبراهيم الغِفاري عن إسحاق الأنصاري عن رُبَيح بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده أبي سعيد. قال أبو داود: الغفاري منكر الحديث. وقال الذهبي في المهذَّب[1]: إنه ليس بثقة. وقال الصدر المناوي في ربيح عن أحمد: إنه غير معروف[2]. ثم الاحتباء هو جمع الساقين إلىٰ البطن مع الظهر باليدين عوضًا عن جمعهما بالثوب، وفي بعض الأخبار أن الاحتباء حيطان العرب، فإذا أرادوا الاستناد احتبوا؛ لأن الاحتباء يمنعهم من السقوط ويصير لهم كالجدار.

(ولم يكن يُعرَف مجلسه من مجالس أصحابه) روىٰ أبو داود[3] والنسائي[4] من حديث أبي هريرة وأبي ذر: كان رسول الله ﷺ يجلس بين ظهراني أصحابه فيجيء الغريب فلا يدري أيُّهم هو حتىٰ يسأل ... الحديث **(لأنه كان حيث انتهىٰ به المجلس جلس)** رواه الترمذي في الشمائل في حديث عليٍّ الطويل.

(وما رُؤي) ﷺ **(قط مادًّا رجليه بين أصحابه حتىٰ يضيق بهما علىٰ أحد إلا أن يكون المكان واسعًا لا ضِيق فيه)** قال العراقي[5]: رواه الدارقطني في «غرائب مالك» من حديث أنس وقال: باطل. وللترمذي وابن ماجه: لم يُرَ مقدِّمًا ركبتيه بين يدي جليس له. زاد ابن ماجه: قط. وسنده ضعيف[6].

(وكان) ﷺ **(أكثر ما يجلس مستقبل القِبلة)** وكان يحثُّ أصحابه بذلك ويقول: «أكرمُ المجالس ما استُقبل به القبلة» كما رواه الطبراني في الأوسط وابن

---

(١) المهذب في اختصار السنن الكبرىٰ ٣/ ١١٦٦.

(٢) انظر: ميزان الاعتدال ٢/ ٣٨. الكامل في الضعفاء ٣/ ١٠٣٤.

(٣) سنن أبي داود ٥/ ٢٢٦.

(٤) سنن النسائي ص ٧٥٨.

(٥) المغني ١/ ٦٣٠.

(٦) وهو جزء من الحديث الذي تقدم قريبا في مصافحته ﷺ.

عدي من حديث ابن عمر(١).

(وكان) ﷺ (يكرم من يدخل عليه حتىٰ ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه) إكرامًا له وتأليفًا لقلبه. روىٰ الحاكم وصحَّح إسناده من حديث أنس: دخل جرير بن عبد الله علىٰ النبي ﷺ. وفيه: فأخذ بُردته فألقاها إليه فقال: «اجلس عليها يا جرير ...» الحديث. وفيه: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرِموه». وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصحبة. وللطبراني في الكبير من حديث جرير: فألقىٰ إليَّ كساءه. ولأبي نعيم في الحلية: فبسط إليَّ رداءه. وأما مَن بينه وبينه قرابة فروىٰ(٢) الخرائطي في مكارم الأخلاق عن محمد بن عمير بن وهب خال النبي ﷺ: أن عميرًا - يعني أباه - جاء والنبي ﷺ قاعد، فبسط له رداءه، فقال: أجلس علىٰ ردائك يا رسول الله؟ قال: «نعم، فإنما الخال والد». وإسناده ضعيف. ويُروَىٰ عن القاسم عن عائشة أن الأسود بن وهب خال النبي ﷺ استأذن عليه، فقال: «يا خال، ادخلْ». فبسط رداءه(٣).

وكذا وقع لأمه وأخيه وأبيه من الرضاعة، كما هو مذكور في السِّيَر.

(وكان) ﷺ (يؤثر الداخلَ عليه بالوسادة التي تكون تحته) وهي المفرشة لا المخدَّة **(فإن أبىٰ أن يقبلها عزم عليه حتىٰ يفعل)** أي يقبل. تقدم في الثالث من آداب الصحبة.

(وما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه حتىٰ يعطي كل مَن جلس إليه نصيبه من وجهه حتىٰ كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف مجلسه وتوجُّهه للجالس إليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وأمانة) رواه الترمذي في

(١) تقدم هذا الحديث في كتاب الصلاة.

(٢) المقاصد الحسنة للسخاوي ص ١٩٧.

ولم أقف علىٰ هذا الحديث في مكارم الأخلاق.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق ص ٢٦١ - ٢٦٢ (ط - دار الكتب العلمية).

الشمائل من حديث عليٍّ الطويل، وفيه: ويعطي كل جلسائه نصيبه، لا يحسب جليسُه أن أحدًا أكرم عليه منه. وفيه: ومجلسه مجلس حِلم وحياء وصبر وأمانة.

(**قال الله تعالىٰ**) ممتنًّا عليه في كتابه العزيز: (﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾) [آل عمران: ١٥٩] فحلاَّه بحُسن الأخلاق ثم امتنَّ عليه بذلك. يقال[١]: رجل فظ غليظ القلب: أي شديد. وقد فظَّ فَظاظةً: إذا غلُظ حتىٰ يُهاب في غير موضعه. والانفضاض: التفرُّق.

(**ولقد كان**) ﷺ (**يدعو أصحابه بكُناهم إكرامًا لهم واستمالة لقلوبهم**) ففي الصحيحين[٢] في قصة الغار من حديث أبي بكر: «يا أبا بكر، ما ظنُّك باثنين اللهُ ثالثهما»؟

ولأبي يعلىٰ الموصلي[٣] من حديث سعد بن أبي وقاص: فقال: «من هذا؟ أبو إسحاق»؟ فقلت: نعم.

(**ويكني من لم تكن له كنية**) بأكبر أولاده، وتارةً وإن لم يولد له (**فكان يُدعَىٰ بما كنَّاه به**) تبرُّكًا بكنيته الشريفة. روىٰ الحاكم[٤] من حديث ابن عباس أنه قال لعمر: «يا أبا حفص، أيُضرَب وجه عم رسول الله ﷺ [بالسيف]»؟ قال عمر: إنه لأول يوم كناني فيه بأبي حفص. وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم.

وفي الصحيح[٥] أنه قال لعليٍّ: «يا أبا تراب».

---

(١) المصباح المنير ص ٤٧٨.

(٢) صحيح البخاري ٣/ ٧، ٧٥. صحيح مسلم ٢/ ١١١٩.

(٣) مسند أبي يعلىٰ ٢/ ١١١.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ٢٦٩.

(٥) صحيح البخاري ١/ ١٥٩، ٣/ ٢٢، ٤/ ١٢٩، ١٤٨. صحيح مسلم ٢/ ١١٣١ من حديث سهل بن سعد.

وللحاكم[١] من حديث رافع بن مالك: «إنَّ أبا حسن وجد مغصًا في بطنه ...» الحديث، يريد عليًّا.

وله[٢] أيضًا من حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ كناه أبا عبد الرحمن ولم يولَد له.

وروى الترمذي[٣] من حديث أنس قال: كنَّاني رسول الله ﷺ ببَقْلة كنت أجتنيها. يعني أبا حمزة. وقال: حديث غريب.

ولابن ماجه[٤] أن عمر قال لصُهَيب: ما لك تكتني وليس لك ولد؟ قال: كناني رسول الله ﷺ بأبي يحيىٰ.

وللطبراني[٥] من حديث أبي بكرة: تدلَّيت ببكرة يوم الطائف، فقال النبي ﷺ: «فأنت أبو بكرة».

(و) كان ﷺ (**يكني أيضًا النساء اللاتي لهن الأولاد واللاتي لم يلدن يبتدئ لهن الكُنَىٰ**) روى الحاكم[٦] من حديث أم أيمن في قصة شربها بول النبي ﷺ فقال: «يا أم أيمن، قومي إلىٰ تلك الفخارة ...» الحديث.

ولابن ماجه[٧] من حديث عاشة أنها قالت للنبي ﷺ: كل أزواجك كنَّيتَ

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ٢٨٠.

(٢) السابق ٣/ ٣٨٤.

(٣) سنن الترمذي ٦/ ١٥١.

(٤) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٠١.

(٥) لم أقف عليه عند الطبراني، وقد رواه الحاكم في المستدرك ٤/ ٤١٥، والبزار في مسنده ٩/ ١٣٢، وابن السني في عمل اليوم والليلة ص ٢٤٥، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني ٣/ ٢٠٧.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ١٥٥.

(٧) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٠٢.

غيري. قال: «فأنتِ أم عبد الله». وفيه مولىٰ الزبير لم يُسَمَّ. ورواه أبو داود[١] بإسناد صحيح نحوه.

وللبخاري[٢] من حديث أم خالد أن النبي ﷺ قال لها: «يا أم خالد، هذا سناه». وكانت صغيرة.

(ويكني الصبيان فيستلين به قلوبهم) ففي الصحيحين[٣] من حديث أنس: أن النبي ﷺ قال لأخ له صغير: «يا أبا عُمَير، ما فعل النُّغَير»؟

(وكان) ﷺ **(أبعد الناس غضبًا وأسرعهم رضا)** هذا[٤] من المعلوم، ويدل علىٰ ذلك إخباره ﷺ أن «بني آدم خيرهم بطيء الغضب سريع الفيء». رواه الترمذي[٥] من حديث أبي سعيد الخدري وقال: حديث حسن. وهو ﷺ خير بني آدم وسيدهم. وكان ﷺ لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها. رواه الترمذي في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة، وقد تقدم.

(وكان) ﷺ **(أرأف الناس بالناس، وخير الناس للناس، وأنفع الناس للناس)** هذا[٦] من المعلوم، وروينا في الجزء الأول من فوائد أبي الدحداح[٧] من حديث عليٍّ في صفة النبي ﷺ: كان أرحم الناس بالناس ... الحديث بطوله.

(ولم يكن تُرفَع في مجلسه الأصوات) لأنهم كانوا علىٰ غاية الخضوع والتأدُّب والإطراق كأنما علىٰ رؤوسهم الطير. رواه الترمذي في الشمائل في حديث

---

(١) سنن أبي داود ٥/ ٣٤٢.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ٦٠، ٦٥.

(٣) صحيح البخاري ٤/ ١١٤، ١٢٨. صحيح مسلم ٢/ ١٠٣٠.

(٤) المغني للعراقي ١/ ٦٣٣.

(٥) سنن الترمذي ٤/ ٥٩.

(٦) المغني للعراقي ١/ ٦٣٤.

(٧) ورواه أيضا ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٤/ ١٩٨.

عليٍّ الطويل.

(وكان) ﷺ **(إذا قام من مجلسه قال: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك. ثم يقول: علَّمنيهن جبريل** عليه السلام) أخبرناه[١] عمر بن أحمد بن عقيل، عن أحمد بن محمد، عن زين العابدين بن عبد القادر الطبري، عن أبيه، أخبرني جدي يحيىٰ بن مكرم، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن، أخبرنا الشهاب الحجازي، أخبرنا أبو الفضل العراقي، أخبرنا عمر بن عبد العزيز[٢]، أخبرنا أحمد بن محمد الحلبي، أخبرنا يوسف بن خليل، أخبرنا الحافظ أبو طاهر السلفي، أخبرنا الحسن بن أحمد، أخبرنا أبو نعيم الحافظ، حدثنا عبد الله بن جعفر، ثنا إسماعيل بن عبد الله، ثنا سعيد بن الحكم، ثنا خلاَّد بن سليمان، حدثني خالد بن أبي عمران، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما جلس رسول الله ﷺ مجلسًا ولا تلا قرآنًا ولا صلىٰ [صلاة] إلا ختم ذلك بكلمات، فقلت: يا رسول الله، أراك ما تجلس مجلسًا ولا تتلو قرآنًا ولا تصلي صلاة إلا ختمتَ بهؤلاء الكلمات. قال: «نعم، من قال خيرًا كنَّ طابعًا له علىٰ ذلك الخير، ومن قال شرًّا كانت كفَّارة له: سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك». أخرجه النسائي في اليوم والليلة عن محمد بن سهل بن عسكر عن سعيد بن الحكم به، فوقع لنا بدلاً له عاليًا. وأخرجه أيضًا الحاكم في المستدرك من حديث رافع بن خديج. وقد تقدم في الأذكار والدعوات.

---

(١) تقدم هذا الحديث في آخر الباب الثاني من كتاب آداب الصحبة، مع اختلاف في بعض أسماء رجال الإسناد.

(٢) في كتاب آداب الصحبة: أخبرنا القاضي أبو عمر عبد العزيز بن جماعة.

بيان كلامه وضحكه ﷺ

(كان ﷺ أفصح الناس منطقًا وأحلاهم كلامًا، ويقول: أنا أفصح العرب) روىٰ[١] أبو الحسن ابن الضحَّاك في الشمائل وابن الجوزي في الوفاء[٢] بإسناد ضعيف من حديث بُرَيدة: كان رسول الله ﷺ من أفصح العرب، وكان يتكلم بكلام لا يدرون ما هو حتىٰ يخبرهم. وروىٰ الطبراني في الكبير[٣] من حديث أبي سعيد الخدري: «أنا أعربُ العرب» وإسناده ضعيف. وللحاكم[٤] من حديث عمر قال: قلت: يا رسول الله، ما بالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهُرنا ... الحديث. وفيه علي بن الحسين بن واقد، مختلَف فيه. وفي كتاب الرعد والمطر[٥] لابن أبي الدنيا في حديث مرسل: أن أعرابيًّا قال للنبي ﷺ: ما رأيت الذي هو أفصح منك.

(وإن أهل الجنة يتكلمون فيها بلغة محمد ﷺ) روىٰ الحاكم[٦] من حديث ابن عباس وصحَّحه: «كلام أهل الجنة عربي».

---

(١) المغني للعراقي ١/ ٦٣٥.

(٢) ورواه أيضا السلفي في معجم السفر ص ٣٢٨.

(٣) المعجم الكبير ٦/ ٣٦.

(٤) معرفة علوم الحديث ص ٣٦٩.

وتمام الحديث: «فقال رسول الله ﷺ: إن لغة إسماعيل كانت قد درست فجاء بها جبريل إليَّ فحفظنيها فحفظتها».

(٥) المطر والرعد والبرق والريح ص ٥٧ (ط - دار ابن الجوزي) عن محمد بن إبراهيم التيمي، وفيه: «فقال رجل: يا رسول الله، ما أفصحك، ما رأيت الذي هو أعرب منك! فقال: حق لي، وإنما أنزل القرآن علىٰ لساني بلسان عربي مبين».

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ١٨٣.

وروى الطبراني في الأوسط[١] من طريق شبل بن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده عن أبي هريرة رفعه: «أنا عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجنة عربي». وسنده ضعيف.

(وكان) ﷺ (**نزر الكلام**) أي قليله عند الحاجة إليه. سيأتي بعد هذا من حديث عائشة (**سمح المقالة إذا نطق، ليس بمهذار**) وهو الرجل الكثير الكلام (**وكان كلامه كخرزات النظم**) روى الطبراني[٢] من حديث أم معبد: وكأنَّ منطقه خرزات نظمٍ ينحدرن، حلو المنطق [فصل] لا نَزْر ولا هَذْر. وقد تقدم. وفي الصحيحين من حديث عائشة: كان يحدثنا حديثًا لو عدَّه العادُّ لأحصاه.

(**قالت عائشة** ﵂**: كان لا يسرد الكلام كسردكم هذا**) رواه البخاري ومسلم.

(**كان كلامه نزرًا، وأنتم تنثرون الكلام نثرًا**) رواه الخلعي في فوائده[٣] من حديث عائشة بإسناد منقطع.

(**قالوا: وكان**) ﷺ (**أوجز الناس كلامًا، وبذلك جاءه جبريل** ﵇**، وكان مع الإيجاز يجمع كل ما أراد**) من المعاني (**وكان يتكلم بجوامع الكَلِم لا فضول ولا تقصير كأنه يُتبع بعضَه بعضًا، بينَ كلامِه توقفٌ يحفظه سامعه ويعيه**) قال العراقي[٤]: روى عبد بن حميد[٥] من حديث عمر بسند منقطع والدارقطني[٦] من حديث ابن عباس بإسناد جيد: «أُعطيتُ جوامع الكلم، واختُصِر لي الحديث اختصارًا».

---

(١) المعجم الأوسط ٩/ ٦٩.

(٢) المعجم الكبير ٤/ ٤٩.

(٣) وكذلك ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت وآداب اللسان ص ٣٠٦، وابن وهب في الجامع ص ٥٣٧، وابن الأعرابي في المعجم ١/ ١٣٥. وفيه انقطاع بين يزيد بن أبي حبيب وعائشة.

(٤) المغني ١/ ٦٣٦ - ٦٣٧.

(٥) وكذلك البيهقي في شعب الإيمان ٣/ ٣٨.

(٦) سنن الدارقطني ٥/ ٢٥٤.

وشطره الأول متفق عليه[١]، قال البخاري[٢]: بلغني في «جوامع الكلم» أن الله جمع له الأمور الكثيرة في الأمر الواحد والأمرين ونحو ذلك. وللحاكم من حديث عمر المتقدم: «كانت لغة إسماعيل قد درست، فجاء بها جبريل فحفَّظنيها». وروى الترمذي في الشمائل[٣] من حديث هند بن أبي هالة: كان يتكلم بجوامع الكلم، لا فضول ولا تقصير. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: «بُعثتُ بجوامع الكلم». ولأبي داود[٤] من حديث جابر: كان في كلامه ﷺ ترتيل أو ترسيل. وفيه شيخ لم يُسَمَّ. وله[٥] وللترمذي من حديث عائشة: كان كلام النبي ﷺ كلامًا فصلاً يفهمه كل مَن سمعه. وقال الترمذي[٦]: يحفظه كل مَن جلس إليه. وقال النسائي في اليوم والليلة[٧]: يحفظه مَن سمعه. وإسناده حسن.

قلت: روى[٨] العسكري في الأمثال من طريق سليمان بن عبد الله النوفلي عن جعفر بن محمد عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «أوتيتُ جوامع الكلم، واختُصر لي الكلام اختصارًا». وهو مرسل، في سنده من لم يُعرَف. وللديلمي[٩] بلا سند من حديث ابن عباس مثله بلفظ «أُعطيتُ»، و«الحديث» بدل «الكلم». وعند البيهقي في الشعب[١٠] من طريق عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة أن عمر

---

(١) صحيح البخاري ٢/ ٣٥٣، ٤/ ٢٩٩، ٣٠٢، ٣٥٩. صحيح مسلم ١/ ٢٣٧ من حديث أبي هريرة.

(٢) الصواب أن قائل هذا هو محمد بن مسلم بن شهاب الزهري. انظر فتح الباري ١٢/ ٤١٨، شعب الإيمان ١/ ٢٩٤ وفي الصفحة الآتية سيصحح المصنف أنه لابن شهاب.

(٣) الشمائل المحمدية ص ١٠٥.

(٤) سنن أبي داود ٥/ ٢٨٨.

(٥) السابق ٥/ ٢٨٩.

(٦) سنن الترمذي ٦/ ٢٩.

(٧) السنن الكبرى ٩/ ١٥٨.

(٨) المقاصد الحسنة ص ١٣٢ - ١٣٣.

(٩) الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ٤٠٠.

(١٠) شعب الإيمان ٧/ ١٧١. وليس فيه (من التوراة).

مر برجل يقرأ كتابًا من التوراة ... فذكر الحديث، وفيه: فقال ﷺ: «إنما بُعثتُ فاتحًا وخاتمًا، وأُعطيتُ جوامع الكلم وفواتحه، واختُصر لي الحديث اختصارًا». وللطبراني من طريق أبي الدرداء قال: جاء عمر ... وذكره. ولأبي يعلىٰ من طريق خالد بن عُرفطة قال: كنت عند عمر، فجاءه رجل ... فذكره، وفيه قوله ﷺ: «يا أيها الناس، قد أوتيتُ جوامع الكلم وخواتمه، واختُصِر لي اختصارًا»[١]. وأصل الحديث من طريق ابن سيرين عن أبي هريرة بلفظ: «أُعطيتُ فواتح». وفي لفظ: «مفاتيح». وفي آخر: «جوامع الكلم، ونُصرتُ بالرعب». ومن حديث سعيد ابن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن كلاهما عن أبي هريرة بلفظ: «أُعطيتُ جوامع الكلم». وفي لفظ: «بُعثتُ بجوامع الكلم». ومن طريق أبي يونس مولىٰ أبي هريرة عن مولاه بلفظ: «أوتيت جوامع الكلم». ومن طريق العلاء عن أبيه عن أبي هريرة بلفظ: «أُعطيتُ». ومن حديث عطاء بن السائب عن أبي جعفر عن أبيه عن علي في حديث: «أُعطيت خمسًا»، ففيه: «وأعطيت جوامع الكلم». وفي حديث أبي موسىٰ الأشعري: «أُعطيت فواتح الكلم وخواتمه». ونص البخاري في الصحيح فيما رواه عن ابن شهاب قال[٢]: بلغني في «جوامع الكلم» أن الله يجمع له الأمور الكثيرة التي كانت تُكتَب في الكتب قبله في الأمر الواحد والأمرين ونحو ذلك. وحاصله أنه ﷺ كان يتكلم بالقول الموجز القليل اللفظ الكثير المعاني. وقال سليمان بن عبد الله النوفلي: كان يتكلم بالكلام القليل يجمع فيه المعاني الكثيرة. وقال غيره:

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٤٣٥ - ٤٣٦ وقال: «فيه عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي، ضعفه أحمد وجماعة».

(٢) الذي في الصحيح: «قال أبو عبد الله: وبلغني ...»، فهذا ظاهر في أنه كلام البخاري وليس ابن شهاب. لكن قال ابن حجر في فتح الباري ١٢/ ٤١٨: «كذا لأبي ذر. ووقع في رواية كريمة: قال محمد. فقال بعض الشراح: لا منافاة؛ لأنه اسمه، والقائل هو البخاري. والذي يظهر لي أن الصواب ما عند كريمة، فإن هذا الكلام ثبت عن الزهري واسمه محمد بن مسلم، وقد ساقه البخاري هنا من طريقه، فيبعد أن يأخذ كلامه فينسبه لنفسه، وكأن بعضهم لما رأىٰ «وقال محمد» ظن أنه البخاري فأراد تعظيمه فكناه فأخطأ؛ لأن محمدا هو الزهري، وليست كنيته أبا عبد الله، بل هو أبو بكر».

يعني القرآن بقرينة قوله «بُعثت»، والقرآن هو الغاية في إيجاز اللفظ واتساع المعاني. وقال آخر: القرآن وغيره ممَّا أوتيه في منطقه فبانَ به من غيره بالإيجاز والإبلاغ والسداد، ودليل هذا: كان يعلِّمنا جوامع الكلم وفواتحه.

(**وكان**) ﷺ (**جهير الصوت**) قال العراقي[١]: روىٰ الترمذي[٢] والنسائي في الكبرىٰ[٣] من حديث صفوان بن عَسَّال قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فبينما نحن عنده إذ ناداه أعرابيٌّ بصوت له جهوري: يا محمد، فأجابه رسول الله ﷺ عن نحو من صوته: هاؤم ... الحديث. وقال أحمد في مسنده[٤]: وأجابه نحوًا ممَّا تكلم به ... الحديث. فقد يؤخذ منه أنه ﷺ كان جهوري الصوت ولم يكن يرفعه دائمًا، وقد يقال: لم يكن جهوري الصوت وإنما رفع صوته رفقًا بالأعرابي حتىٰ لا يكون صوته أرفع من صوته، وهو الظاهر.

(**أحسن الناس نغمة**) روىٰ الشيخان[٥] من حديث البراء: ما سمعت أحدا أحسن صوتًا منه.

(**وكان**) ﷺ (**طويل السكوت، لا يتكلم في غير حاجة**) وبذلك وُصف أبدال هذه الأمَّة: لا يتكلمون إلا عن ضرورة. رواه الترمذي في الشمائل من حديث هند ابن أبي هالة.

(**ولا يقول المنكر**) من القول، وحاشاه من ذلك (**ولا يقول في الرضا والغضب إلا الحق**) روىٰ أبو داود[٦] من حديث عبد الله بن عمرو قال: كنت أكتب

---

(١) المغني ١/ ٦٣٧.

(٢) سنن الترمذي ٥/ ٥٠٥.

(٣) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٩٧.

(٤) مسند أحمد ٣٠/ ١٩.

(٥) صحيح البخاري ١/ ٢٤٩، ٤/ ٤١٥. صحيح مسلم ١/ ٢١٤، ولفظه: «سمعت النبي ﷺ قرأ في العشاء بالتين والزيتون، فما سمعت أحدا أحسن صوتا منه».

(٦) سنن أبي داود ٤/ ٢٣٩.

كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش وقالوا: تكتب كل شيء ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا؟! فأمسكتُ عن الكتاب، فذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ، فأومأ بأصبعه إلىٰ فيه وقال: «اكتب، فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق». ورواه الحاكم[1] وصحَّحه.

(**ويُعرِض عمَّن تكلم بغير جميل**) روىٰ الترمذي في الشمائل في حديث علي الطويل: يتغافل عمَّا لا يشتهي ... الحديث.

(**ويكني عمَّا اضطره الكلامُ إليه ممَّا يكره**) فمن[2] ذلك قوله ﷺ لامرأة رفاعة: «حتىٰ تذوقي عُسَيلته ويذوق عسيلتكِ». رواه البخاري[3] من حديث عائشة. ومن ذلك ما اتفقا عليه[4] من حديثها في المرأة التي سألته عن الاغتسال من الحيض: «خذي فرصة ممسَّكة فتطهَّري بها ...» الحديث.

(**وكان**) ﷺ (**إذا سكت تكلم جلساؤه**) كذا في سائر النسخ، وبخط الحافظ ابن حجر: إذا جلس (**ولا يُتنازَع عنده في الحديث**) أي لا يُتخاصَم فيه. رواه الترمذي في الشمائل في حديث علي الطويل: إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما علىٰ رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا، لا يتنازعون عنده الحديث. أي[5] ذلك من عظيم أدبهم في حضرته ﷺ وخضوعهم بين يديه وإجلالهم له وهيبته عندهم وتوقيرهم له؛ لشهودهم عَلِيَّ شأنه وكمال مرتبته وتخلُّقهم بأخلاقه ﷺ.

(**ويعظ بالجد والنصيحة**) روىٰ مسلم[6] من حديث جابر: كان رسول الله

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ١٧٦.

(٢) المغني للعراقي ١/ ٦٣٨.

(٣) صحيح البخاري ٢/ ٢٤٧، ٣/ ٤٠٢، ٤٠٣، ٤١٧، ٤/ ٥٥، ١٠٧. وقد رواه أيضا مسلم في صحيحه ١/ ٦٥٢.

(٤) صحيح البخاري ١/ ١١٨، ٤/ ٣٧٤. صحيح مسلم ١/ ١٦٠ - ١٦١.

(٥) أشرف الوسائل ص ٥١٠.

(٦) صحيح مسلم ١/ ٣٨٥.

ﷺ إذا خطب احمرَّت عيناه وعلا صوتُه واشتد غضبه حتىٰ كأنه منذر جيش يقول صبَّحكم ومسَّاكم ... الحديث.

(ويقول: **لا تضربوا القرآن بعضه ببعض**) روىٰ الطبراني[١] من حديث عبد الله بن عمرو بإسناد حسن: «إن القرآن يصدِّق بعضُه بعضًا، فلا تكذِّبوا بعضَه ببعض». وفي رواية للهروي في ذم الكلام[٢]: «إن القرآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض». وفي رواية له: «أبهذا أُمِرتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض»؟! (**فإنه نزل علىٰ وجوه**) ففي الصحيحين[٣] من حديث عمر بن الخطاب: «إن هذا القرآن أُنزِل علىٰ سبعة أحرُف».

(**وكان**) ﷺ (**أكثر الناس تبسُّمًا وضحكًا في وجوه أصحابه وتعجُّبًا مما تحدَّثوا به وخلطًا لنفسه بهم**) روىٰ[٤] الترمذي من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء: ما رأيت أحدًا أكثر تبسُّمًا من رسول الله ﷺ[٥]. وفي الصحيحين[٦] من حديث جرير: ولا رآني إلا تبسم. وللترمذي في الشمائل من حديث علي: يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجَّبون منه. ولمسلم[٧] من حديث جابر بن سَمُرة: كانوا يتحدثون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسَّم.

(**ولربما ضحك حتىٰ تبدو نواجذه**) أي[٨] أضراسه، وقيل: أربع آخر الأسنان كل منها يسمَّىٰ: ضرس العقل؛ لأنه لا ينبت إلا بعد البلوغ، وقيل: أنيابه، وقيل:

---

(١) المعجم الكبير ١٣/ ٤١٠ - ٤١١.

(٢) ذم الكلام وأهله ١/ ٣٣٠ - ٣٣١.

(٣) صحيح البخاري ٢/ ١٨١، ٣/ ٣٣٩، ٣٤٩، ٤/ ٢٨٢، ٤١٦. صحيح مسلم ١/ ٣٦٦.

(٤) المغني للعراقي ١/ ٦٣٩ - ٦٤٠.

(٥) تقدم هذا الحديث عند الكلام عن جملة من أخلاقه ﷺ.

(٦) صحيح البخاري ٢/ ٣٦٧، ٣/ ٤٨، ٤/ ١٠٨. صحيح مسلم ٢/ ١١٥٧.

(٧) صحيح مسلم ١/ ٣٠١.

(٨) أشرف الوسائل ص ٣٢١.

ضواحكه. وفي القاموس[١]: هي أقصىٰ الأسنان أو الأنياب أو التي تلي الأنياب أو الأضراس. قيل: ضحكُه إلىٰ أن يبدو آخر أسنانه بعيد من شيمته، فلذا قيل: المراد المبالغة في كون ضحكه هذا فوق ما كان يصدر منه، ويؤيِّده قول الجوهري[٢]: [يقال: ضحك] حتىٰ بدتْ نواجذه: إذا استغرق فيه.

وقد[٣] جاء ذلك في المتفق عليه من حديث ابن مسعود في قصة آخر من يخرج من النار، وفي قصة الحَبر الذي قال: إن الله يضع السموات علىٰ أصبع، ومن حديث أبي هريرة في قصة المُجامِع في رمضان، وغير ذلك.

وفي كل ذلك دليل علىٰ أن الضحك في مواطن التعجب سيَّما ما هو في مثل تعجُّبه ﷺ لا يُكرَه ولا يخرم المروءة إذا لم يجاوز به الحدَّ المعتاد.

وقد تقدم الكلام عليه قريبًا.

(**وكان ضحكُ أصحابه عنده التبسم اقتداءً به وتوقيرًا له**) رواه الترمذي في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة في أثناء حديثه الطويل: جُلُّ ضحكِه التبسُّم.

(**قالوا: وقد جاءه أعرابي**) أي من سكان البادية (**يومًا وهو ﷺ متغيِّر لونه ينكره أصحابه، فأراد أن يسأله**) في شيء (**فقالوا: لا تفعل يا أعرابي، فإنَّا ننكر لونه. فقال: دعوني، فوالذي بعثه بالحق نبيًّا لا أدعه حتىٰ يتبسم. فقال: يا رسول الله، بلغنا أن المسيح - يعني الدجَّال - يأتي الناسَ بالثريد وقد هلكوا جوعًا، أفترىٰ لي بأبي أنت وأمىٰ أن أكفَّ عن ثريده تعفُّفًا وتنزُّهًا حتىٰ أهلك هزالاً أم أضرب**) اليد (**في ثريده حتىٰ إذا تضلَّعتُ شبعًا**) أي امتلأت (**آمنت بالله**) وحده (**وكفرت**

---

(١) تاج العروس ٩/ ٤٨٤. ونص القاموس: «النواجذ: أقصي الأضراس، وهي أربعة، أو هي الأنياب، أو التي تلي الأنياب، أو هي الأضراس كلها، جمع ناجذ».

(٢) الصحاح ٢/ ٥٧١.

(٣) المغني للعراقي ١/ ٦٤٠.

به) يعني الدجال؟ (**قالوا: فضحك رسول الله ﷺ حتىٰ بدت نواجذه ثم قال: لا، بل يغنيك الله بما أغنىٰ به المؤمنين**) قال العراقي[١]: وهو حديث منكر لم أقف له علىٰ أصل، ويردُّه قوله ﷺ في المتفق عليه[٢] من حديث المغيرة بن شعبة حين سأله: إنهم يقولون: إنَّ معه جبل خبز ونهر ماء. قال: «هو أهون علىٰ الله من ذلك». وفي رواية لمسلم: [إنهم] يقولون: معه جبال من خبز ولحم ... الحديث. نعم، في حديث حذيفة وأبي مسعود المتفق عليهما[٣]: إن معه ماء ونارًا ... الحديث.

(**قالوا: وكان**) ﷺ (**من أكثر الناس تبسمًا**) رواه الترمذي من حديث عبد الله ابن الحارث بن جزء: ما رأيت أحدًا أكثر تبسمًا منه. وقد تقدم قريبًا.

(**وأطيبهم نفسًا**) روىٰ الطبراني في الكبير[٤] من حديث أبي أمامة: كان من أضحك الناس وأطيبهم نفسًا. ولا[٥] ينافيه ما تقدم من أنه كان لا يضحك إلا تبسمًا؛ لأن التبسم كان أغلب أحواله، أو كل راوٍ روىٰ بحسب ما شاهَدَ، أو أولاً كان يضحك ثم صار آخرًا لا يضحك إلا تبسمًا.

وروىٰ ابن عساكر[٦] من حديث أنس: كان من أفكه الناس.

(**ما لم ينزل عليه قرآن أو يذكر الساعة أو يخطب بخطبة عظة**) روىٰ الطبراني في مكارم الأخلاق[٧] من حديث جابر: كان إذا نزل عليه الوحي قلتُ نذير قوم، فإذا سُرِّي عنه فأكثر الناس ضحكًا. وفيه ابن أبي ليلىٰ وهو سيئ الحفظ. ولأحمد[٨]

---

(١) المغني ١/ ٦٤٠ - ٦٤١.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ٣٢٥. صحيح مسلم ٢/ ١٠٣٠، ١٣٤٤.

(٣) صحيح البخاري ٢/ ٤٩١، ٤/ ٣٢٦. صحيح مسلم ٢/ ١٣٤٠ - ١٣٤١.

(٤) المعجم الكبير ٨/ ٢٤٦.

(٥) فيض القدير ٥/ ١٧٩.

(٦) تاريخ دمشق ٤/ ٣٧.

(٧) مكارم الأخلاق ص ٣١٩.

(٨) مسند أحمد ٣/ ٤٧.

من حديث علي أو الزبير: كان يخطب فيذكِّر بأيام الله حتىٰ يُعرَف ذلك في وجهه وكأنه نذير قوم يصبِّحهم الأمرُ غدوةً، وكان إذا كان حديث عهد بجبريل لم يتبسم ضاحكًا حتىٰ يرتفع عنه. وفيه عبد الله بن سلمة، مختلَف فيه. ورواه أبو يعلىٰ[١] من حديث الزبير من غير شك. وللحاكم[٢] من حديث جابر: كان إذا ذكر الساعة احمرَّت وَجْنتاه واشتدَّ غضبه. وهو عند مسلم [بلفظ]: كان إذا خطب.

(وكان) ﷺ **(إذا سُرَّ ورضي فهو أحسن الناس رضا)** في[٣] الصحيحين[٤] من حديث كعب بن مالك قال: وهو يبرق وجهُه من السرور. وفيه: وكان إذا سُرَّ استنار وجهُه حتىٰ كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه ... الحديث. وروىٰ أبو الشيخ في كتاب أخلاق النبي ﷺ[٥] من حديث ابن عمر: كان رسول الله ﷺ يُعرَف رضاه وغضبه بوجهه، كان إذا رضي فكأنَّما تلاحك الجدر وجهه. وإسناده ضعيف. والمراد به المرآة توضع في الشمس فيُرَىٰ ضوءها علىٰ الجدار.

(وإن وعظ وعظ بجدٍّ) أي من غير تهاون **(وإن غضب - ولم يكن يغضب إلا لله - لم يقُمْ لغضبه شيءٌ، وكذلك كان في أموره كلِّها)** روىٰ مسلم من حديث جابر: كان إذا خطب احمرَّت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه ... الحديث. وللترمذي في الشمائل في حديث هند بن أبي هالة: لا تغضبه الدنيا وما كان منها، فإذا تُعُدِّي الحق لم يقُمْ لغضبه شيء حتىٰ ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها. وقد تقدم.

(وكان) ﷺ (إذا نزل به الأمرُ فوَّض الأمر إلىٰ الله تعالىٰ وتبرَّأ من الحول

---

(١) مسند أبي يعلىٰ ٢/ ٣٨.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٦٩٥.

(٣) المغني للعراقي ١/ ٦٤١ - ٦٤٢.

(٤) صحيح البخاري ٢/ ٥١٧، ٣/ ١٧٩. صحيح مسلم ٢/ ١٢٧٣.

(٥) أخلاق النبي وآدابه ١/ ٣٩٧. وزاد في آخره: وإذا غضب خسف لونه واسود.

والقوة) إلىٰ حول الله وقوته **(واستنزل الهدىٰ فيقول: اللهم أرِني الحقَّ حقًّا فأتَّبعه، وأرني المنكر منكرًا وارزقني اجتنابه، وأعِذني من أن يشتبه عليَّ فأتَّبع هواي بغير هدىٰ منك، واجعل هواي تبعًا لطاعتك، وخذ رضا نفسك من نفسي في عافيي، واهدني لِما اختُلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلىٰ صراط مستقيم)** قال العراقي[1]: لم أقف لأوله علىٰ أصل، وروىٰ المستغفري في الدعوات[2] من حديث أبي هريرة: كان النبي ﷺ يدعو فيقول: «اللهم إنك سألتنا من أنفسنا ما لا نملكه إلا بك فأعطِنا منها ما يرضيك عنا». وفيه دِلْهاث بن جُبَير ضعَّفه الأزديُّ. ولمسلم[3] من حديث عائشة فيما كان يفتتح به صلاته من الليل: «اهدني لِما اختُلف فيه ...» إلىٰ آخر الحديث.

---

(١) المغني ١/ ٦٤٣.

(٢) وكذلك تمام في فوائده ٤/ ٤٧٧، وأبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصفهان ٣/ ٢٢٥، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٦/ ٣٢١، وأبو نعيم في تاريخ أصفهان ٢/ ١٢٦.

(٣) صحيح مسلم ١/ ٣٥٠.

(بيان أخلاقه وآدابه في الطعام)

(كان ﷺ يأكل ما وجد) تقدم قريبًا.

(وكان أحب الطعام إليه ما كان علىٰ ضَفَف. والضَّفَف) محرَّكة: (ما كثرت عليه الأيدي[1]) قال العراقي[2]: رواه أبو يعلىٰ[3] والطبراني في الأوسط[4] وابن عدي في الكامل[5] من حديث جابر بإسناد حسن: «أحبُّ الطعامِ إلىٰ الله ما كثرت عليه الأيدي». ولأبي يعلىٰ[6] من حديث أنس: لم يجتمع له غداء وعَشاء خبز ولحم إلا علىٰ ضفف. وإسناده جيد.

قلت: وحديث جابر رواه أيضًا ابن حبان والبيهقي[7] والضياء.

(وكان) ﷺ (إذا وُضعت المائدة قال: بسم الله، اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة) قال العراقي[8]: أما التسمية فرواها النسائي[9] من رواية مَن خدم النبيَّ ﷺ ثمان سنين أنه سمع رسول الله ﷺ إذا قَرَّب إليه طعامًا قال: بسم الله ... الحديث، وإسناده صالح. وأما بقية الحديث فلم أجده.

---

(١) هو قول الخليل، وانظر الصحاح للجوهري ٤/ ١٣٩١.

(٢) المغني ١/ ٦٤٤.

(٣) مسند أبي يعلىٰ ٤/ ٣٩.

(٤) المعجم الأوسط ٧/ ٢١٨.

(٥) الكامل في الضعفاء ٥/ ١٩٨٣.

(٦) مسند أبي يعلىٰ ٥/ ٤٢٠.

(٧) شعب الإيمان ١٢/ ١٣٨.

(٨) المغني ١/ ٦٤٤.

(٩) السنن الكبرىٰ ٦/ ٣١٠.

(وكان) ﷺ **(كثيرًا إذا جلس يأكل يجمع بين ركبتيه وبين قدميه كما يجمع المصلِّي)** في حال صلاته **(إلا أن الركبة تكون فوق الركبة، والقدم فوق القدم، ويقول: إنما أنا عبد، آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد)** قال العراقي[1]: رواه عبد الرزاق في المصنَّف[2] من رواية أيوب معضلاً: أن النبي ﷺ كان إذا أكل احتفز وقال: «آكل كما يأكل العبد ...» الحديث. وروىٰ ابن الضحاك في الشمائل من حديث أنس بسند ضعيف: كان إذا قعد علىٰ الطعام استوفز علىٰ ركبته اليسرىٰ وأقام اليمنىٰ ثم قال: «إنما أنا عبد، أجلس كما يجلس العبد، وأفعل كما يفعل العبد». وروىٰ أبو الشيخ في الأخلاق[3] بسند جيد من حديث أبيٍّ بن كعب: أن النبي ﷺ كان يجثو علىٰ ركبتيه، وكان لا يتَّكئ. أورده في صفة أكل رسول الله ﷺ. وللبزار[4] من حديث ابن عمر: «إنما أنا عبد، آكل كما يأكل العبد». ولأبي يعلىٰ[5] من حديث عائشة: «آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد». وإسنادهما ضعيف.

قلت: ويُروَىٰ[6] بسند حسن: أُهديتْ للنبي ﷺ شاة، فجثا علىٰ ركبتيه يأكل، فقال له أعرابي: ما هذه الجلسة؟ فقال: إن الله جعلني كريمًا، ولم يجعلني جبارًا عنيدًا». وإنما فعل ذلك رسول الله ﷺ تواضعًا لله تعالىٰ، ومن ثَم قال: «إنما أنا عبد ...» الخ. وفي خبر مرسل أو معضل عن الزهري: أتي النبيَّ ﷺ مَلَكٌ لم يأتِه قبلها فقال: إن الله يخيِّرك بين أن تكون عبدًا نبيًّا أو نبيًّا مَلِكًا، فنظر إلىٰ جبريل كالمستشير له، فأومأ إليه أنْ تواضعْ، فقال: «لا، بل عبدًا نبيًّا». قال: فما أكل متكئًا

---

(١) المغني ١/ ٦٤٥.

(٢) مصنف عبد الرزاق ١٠/ ٤١٥.

(٣) أخلاق النبي وآدابه ٣/ ١٩٩.

(٤) مسند البزار ١٢/ ١٥٥.

(٥) مسند أبي يعلىٰ ٨/ ٣١٨.

(٦) أشرف الوسائل ص ٢٠٦.

قط. ووصله النسائي[١] قال: ما رؤي النبي ﷺ يأكل متكئًا قط. والسنَّة أن يجلس جاثيًا علىٰ ركبتيه وظهور قدميه أو ينصب رجله اليمنىٰ ويجلس علىٰ اليسرىٰ، قال ابن القيم[٢]: ويُذكَر عنه ﷺ أنه كان يجلس للأكل متورِّكًا علىٰ ركبتيه ويضع ظهر اليمنىٰ علىٰ بطن قدمه اليسرىٰ تواضعًا لله ﷿ وأدبًا بين يديه. قال: وهذه الهيئة أنفع الهيئات للأكل وأفضلها؛ لأن الأعضاء كلها تكون علىٰ وضعها الطبيعي الذي خلقها الله تعالىٰ عليه.

(وكان) ﷺ **(لا يأكل)** الطعام **(الحار، ويقول: إنه غير ذي بركة، وإن الله تعالىٰ لم يطعمنا نارًا، فأبرِدوه)** قال العراقي[٣]: روىٰ البيهقي[٤] من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح: أُتي النبي ﷺ يومًا بطعام سخن، فقال: «ما دخل بطني طعامٌ سخن منذ كذا وكذا قبل اليوم». ولأحمد[٥] بإسناد جيد والطبراني[٦] والبيهقي في الشعب[٧] من حديث خولة بنت قيس: فقدمتُ له خزيرة، فوضع يده فيها فوجد حرها فقبضها. لفظ الطبراني والبيهقي، وقال أحمد: فأحرقت أصابعه فقال: حَس. وللطبراني في الأوسط[٨] من حديث أبي هريرة: «أبرِدوا الطعام، فإن الطعام الحار غير ذي بركة». وله فيه[٩] وفي الصغير[١٠] من حديثه: أُتي بصَحْفة تفور، فرفع يده منها وقال: «إن الله لم يطعمنا نارًا». وكلاهما ضعيف.

---

(١) السنن الكبرىٰ ٦/ ٢٥٧ من حديث ابن عباس، ولفظه: «فما أكل بعد تلك الكلمة طعاما متكئا».

(٢) زاد المعاد ٤/ ٢٠٣.

(٣) المغني ١/ ٦٤٥ - ٦٤٦.

(٤) السنن الكبرىٰ ٧/ ٤٥٧.

(٥) مسند أحمد ٤٥/ ٢٩٦.

(٦) المعجم الكبير ٢٤/ ٢٣١.

(٧) شعب الإيمان ٨/ ٧٥.

(٨) المعجم الأوسط ٦/ ٢٠٩.

(٩) السابق ٧/ ١١٤.

(١٠) المعجم الصغير ٢/ ١٤٥.

قلت: حديث الطبراني في الأوسط رواه من طريق هشام بن عمار، حدثنا عبد الله بن يزيد البكري، عن ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة. وحديثه فيه وفي الصغير معًا رواه من طريق هشام عن البكري المذكورينِ قال: حدثنا يعقوب بن محمد بن طحلاء المدني، حدثنا بلال بن أبي هريرة، عن أبيه ... فساقه. وفي لفظ: فأسرع يده فيها ثم رفع يده. وقال: لم يروه عن بلال إلا يعقوب، ولا عنه إلا عبد الله، تفرَّد به هشام، وبلال قليل الرواية عن أبيه. ا.هـ. والبكري ضعَّفه أبو حاتم[1].

ولابن ماجه[2] من طريق علي بن مُسهِر عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة بلفظ: أُتي يومًا بطعام سُخْن فأكل منه، فلما فرغ قال: «الحمد لله، ما دخل ...» فساقه كسياق البيهقي.

وروىٰ[3] الديلمي من طريق عبد الصمد بن سليمان عن قزعة بن سويد عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر مرفوعًا: «أبرِدوا بالطعام، فإن الحارَّ لا بركة فيه».

ولأبي نعيم في الحلية[4] من طريق يوسف بن أسباط عن [العزرمي عن] صفوان بن سليم عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يكره الكي والطعام الحار، ويقول: «عليكم بالبارد، فإنه ذو بركة، ألا وإن الحار لا بركة فيه».

وللطبراني في الكبير[5] بسند فيه مَن لم يُسَمَّ عن جويرية: أن النبي ﷺ كان يكره [أن يؤكل] الطعام حتىٰ تذهب فورة دخانه.

---

(١) في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٥/ ٢٠١ عن أبيه: «ضعيف الحديث، ذاهب الحديث».
(٢) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٨٢.
(٣) فيض القدير ١/ ٧٧.
(٤) حلية الأولياء ٨/ ٢٥٢.
(٥) المعجم الكبير ٢٤/ ٦٦.

وأما حديث خولة فرواه كذلك ابن منده في معرفة الصحابة، كلهم من طريق معاذ بن رفاعة بن رافع عنها، وفيه بعد قوله «فقبضها»: وقال: «يا خولة، لا نصبر على حر ولا برد». الحديث، لفظ البيهقي والطبراني.

(وكان) ﷺ (يأكل ممَّا يليه) قال العراقي[١]: رواه أبو الشيخ[٢] من حديث عائشة، وفي إسناده رجل لم يُسَمَّ، وسمَّاه في رواية له وكذلك البيهقي في روايته في الشعب[٣]: عبيد بن القاسم نسيب سفيان الثوري. وقال البيهقي: تفرَّد به عبيد هذا، وقد رماه ابن معين بالكذب[٤]. ولأبي الشيخ[٥] من حديث عبد الله بن جعفر نحوه.

قلت: وروى البخاري في التاريخ عن جعفر بن أبي الحكم مرسلاً: كان إذا أكل لم تَعْدُ أصابعه ما بين يديه. ورواه أبو نعيم في المعرفة[٦] عن الحكم بن رافع بن سِنان. ورواه الطبراني في الكبير[٧] عن الحكم بن عمرو الغفاري.

وروى الخطيب[٨] من حديث عائشة: كان إذا أُتي بطعام أكل ممَّا يليه، وإذا أُتي بالتمر جالت يدُه.

ثم[٩] إن الأكل ممَّا يلي الآكلَ على الندب على الأصح، وقيل: على

---

(١) المغني ١/ ٦٤٦.

(٢) أخلاق النبي وآدابه ٣/ ٢٠١، ٢٨٩.

(٣) شعب الإيمان ٨/ ٣٥.

(٤) كما رواه عنه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٥/ ٤١٢.

(٥) أخلاق النبي وآدابه ٣/ ٢١٠، ولفظه: «كان رسول الله ﷺ إذا أكل لم تَعْدُ يده ما بين يديه».

(٦) معرفة الصحابة ٢/ ٧٢٠.

(٧) المعجم الكبير ٣/ ٢٣٨ من طريق جعفر بن عبد الله قال: رآني الحكم الغفاري وأنا آكل وأنا غلام من ههنا وههنا، فقال: يا بني، لا تأكل هكذا، هكذا يأكل الشيطان، إن رسول الله ﷺ كان إذا وضع يده في القصعة أو في الإناء لم تجاوز أصابعه موضع كفه.

(٨) تاريخ بغداد ١٢/ ٣٨٥.

(٩) أشرف الوسائل ص ٢٧٠.

الوجوب؛ لأن فيه إلحاق الضرر بالغير ومزيد الشَّره والنهمة، وانتصر له السبكي[١]، ونص عليه الشافعي في الرسالة ومواضع من الأم[٢]. ومحل الكراهة أو الحرمة إن لم يعلم رضا من يأكل معه وإلا فلا؛ لِما ثبت أنه ﷺ كان يتتبَّع الدُّبَّاء من حوالي القصعة، كما سيأتي؛ لأنه علم أن أحدًا لا يكره ذلك ولا يستقذره، ومَن أجاب بأنه كان يأكل وحده مردود بأن إنسانًا كان يأكل معه. علىٰ أن قضية كلام الأصحاب أن الأكل مما يليه سنَّة وإن كان وحده، ويُفهَم من خبر عائشة السابق التفصيل في الطعام والتمر، وفيما إذا كان الطعام لونًا واحدًا فلا يتعدَّىٰ الآكلُ ما يليه، وإذا كان أكثر يتعدَّاه، ولا ضرر في نحو التمر ولا تقذُّر، وبحث بعضُهم التعميمَ غفلةً عن المعنىٰ وعن السنَّة. والله أعلم.

(ويأكل بأصابعه الثلاث) الإبهام والسبَّابة والوسطىٰ. قال العراقي[٣]: رواه مسلم[٤] من حديث كعب بن مالك.

قلت: وكذلك رواه أحمد[٥] وأبو داود[٦] والترمذي في الشمائل[٧]، ولفظهم جميعًا: كان يأكل بثلاث أصابع، ويلعق يده قبل أن يمسحها. ورواه الطبراني في الأوسط[٨] بلفظ: رأيت رسول الله ﷺ يأكل بأصابعه الثلاث: بالإبهام والتي تليها

---

(١) قال السبكي في الإبهاج ٢/ ١٦ تعقيبا علىٰ تمثيل البيضاوي استخدام صيغة «افعلْ» للندب بحديث عمر بن أبي سلمة: كل مما يليك: «التمثيل بالأكل مما يليه ليس بجيد، فإن الذي نص عليه الشافعي في غير موضع أن من أكل مما لا يليه عالما بنهي النبي ﷺ كان آثما عاصيا».

(٢) الأم ٩/ ٥٥.

(٣) المغني ١/ ٦٤٦.

(٤) صحيح مسلم ٢/ ٩٧٦.

(٥) مسند أحمد ٢٥/ ٤٧، ٤٥/ ١٤٤، ١٤٥.

(٦) سنن أبي داود ٤/ ٣١٥.

(٧) الشمائل المحمدية ص ٧٢.

(٨) المعجم الأوسط ٢/ ١٨٠ من حديث كعب بن عجرة.

والوسطىٰ، ثم رأيته يلعق أصابعه الثلاث قبل أن يمسحها: الوسطىٰ ثم التي تليها ثم الإبهام.

(وربما استعان بالرابعة) قال العراقي[١]: رويناه في الغيلانيات[٢] من حديث عامر بن ربيعة، وفيه القاسم بن عبد الله العمري، هالك. وفي مصنَّف ابن أبي شيبة[٣] من رواية الزهري مرسلاً: كان النبي ﷺ يأكل بالخمس.

قلت: حديث عامر بن ربيعة رواه أيضًا الطبراني في الكبير، ولفظه: كان يأكل بثلاث أصابع، ويستعين بالرابعة.

وأما[٤] مرسل الزهري فمحمول علىٰ المائع، وذلك لأن الاقتصار علىٰ الثلاث محلُّه إن كفتْ، وإلا فكما في المائع زاد بحسب الحاجة.

(ولم يكن) ﷺ **(يأكل بأصبعين، ويقول: إن ذلك أكلة الشياطين)** قال العراقي[٥]: رواه الدارقطني في الأفراد[٦] من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف: «لا تأكل بأصبع فإنه أكل الملوك، ولا تأكل بأصبعين فإنه أكل الشياطين ...» الحديث.

قلت: ورواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول[٧] بلفظ: «لا تأكلوا بهاتين – وأشار بالإبهام والمشيرة – كلوا بثلاث فإنها سنَّة، ولا تأكلوا بالخمس فإنها أكلة الأعراب».

(و) يُروَىٰ أنه ﷺ **(جاءه عثمان بن عفان** رضي الله عنه **بفالوذج)** وهو اسم أعجمي

---

(١) المغني ١/ ٦٤٦.
(٢) الغيلانيات ص ٣١٨.
(٣) مصنف ابن أبي شيبة ٨/ ٢١٩.
(٤) أشرف الوسائل ص ٢٠٧ – ٢٠٨.
(٥) المغني ١/ ٦٤٦ – ٦٤٧.
(٦) ومن طريقه رواه ابن الجوزي في العلل المتناهية ٢/ ٦٥٣. وتمامه: «وكل بثلاث أصابع فإنه السنة».
(٧) نوادر الأصول ص ١١٤.

لنوع من الحلواء (**فأكل منه وقال: ما هذا يا أبا عبد الله**)؟ قال ابن عبد البر[١]: يكنىٰ أبا عبد الله وأبا عمرو، كنيتان مشهورتان له، وأبو عمرو أشهرهما، قيل: إنه ولدت له رقية بنت رسول الله ﷺ ابنًا فسمَّاه عبد الله واكتنىٰ به ومات، ثم وُلد له عمرو فاكتنىٰ به إلىٰ أن مات. قال: وقد قيل إنه كان يكنىٰ أبا ليلىٰ (**قال: بأبي أنت وأمي، نجعل السمن والعسل في البُرمة**) وهي بالضم: قِدْر من فخار (**ونضعها علىٰ النار حتىٰ نغليه، ثم نأخذ مخ الحنطة**) أي لُبابها (**إذا طُحنت فنقليه علىٰ السمن والعسل في البُرمة ثم نسوِّطه**) أي نحرِّكه بالسوط (**حتىٰ ينضج**) أي يستوي (**فيأتي كما ترىٰ. فقال ﷺ: إن هذا طعام طيِّب**) قال العراقي[٢]: المعروف أن الذي صنعه عثمان الخبيص، رواه البيهقي في الشعب[٣] من حديث ليث بن أبي سليم قال: أول مَن خبص الخبيصَ عثمان بن عفان، قَدِمت عليه عِيرٌ تحمل النقي والعسل ... الحديث، وقال: هذا منقطع. وروىٰ الطبراني[٤] والبيهقي في الشعب[٥] من حديث عبد الله بن سلام: أقبل عثمان ومعه راحلة وعليها غرارتان. وفيه: فإذا دقيق وسمن وعسل. وفيه: ثم قال لأصحابه: كلوا، هذا الذي تسمِّيه فارس: الخبيص. وأما خبر الفالوذج فرواه ابن ماجه[٦] بإسناد ضعيف من حديث ابن عباس قال: أول ما سمعنا بالفالوذج أن جبريل أتىٰ النبيَّ ﷺ فقال: إن أمَّتك تُفتَح عليهم الأرض ويُفاض عليهم من الدنيا حتىٰ إنهم لَيأكلون الفالوذج. قال النبي ﷺ: «وما الفالوذج»؟ قال: يخلطون السمن والعسل جميعًا. قال ابن الجوزي في الموضوعات[٧]: هذا حديث باطل لا أصل له.

---

(١) الاستيعاب ٢/ ١١.

(٢) المغني ١/ ٦٤٧.

(٣) شعب الإيمان ٨/ ٨٧.

(٤) المعجم الكبير ١٤/ ٣١٦.

(٥) شعب الإيمان ٨/ ٨٧.

(٦) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٦.

(٧) الموضوعات ٣/ ٢١ - ٢٢.

قلت: أخرجه ابن الجوزي من طريق ابن أبي الدنيا قال: حدثني إبراهيم بن سعد الجوهري، ثنا أبو اليمان، عن إسماعيل بن عيَّاش، عن محمد بن طلحة، عن عثمان بن يحيىٰ، عن ابن عباس ... فذكره. وفي رواية أخرىٰ بزيادة: فشهق النبيُّ ﷺ شهقة. قال: وهذا حديث باطل لا أصل له، ومحمد بن طلحة قد ضعَّفه يحيىٰ بن معين. وعثمان بن يحيىٰ الحضرمي قال الأزدي: لا يُكتَب حديثه عن ابن عباس. وقال النسائي[١]: إسماعيل بن عيَّاش ضعيف.

قلت: وهذا القدر الذي ذكره لا يوجب أن يكون الحديث باطلاً لا أصل له، كيف وقد أخرجه ابن ماجه، وغاية ما يقال إن إسماعيل بن عياش إذا روىٰ عن غير الشاميين فلا يُحتج بحديثه، وفرقٌ بين أن يقال ضعيف وأن يقال باطل، والعجب من الحافظ العراقي كيف سكت عن التعقُّب عليه[٢].

(وكان) ﷺ **(يأكل خبز الشعير غير منخول)** من[٣] نُخالته، وفي هذا تركُه ﷺ التكلُّف والاعتناء بشأن الطعام، فإنه لا يعتني به إلا أهل البطالة والغفلة.

قال العراقي[٤]: رواه البخاري[٥] من حديث سهل بن سعد.

قلت: ورواه مسلم[٦] والترمذي[٧] نحوه.

---

(١) الضعفاء والمتروكون ص ٤٩.

(٢) رد صنيع ابن الجوزي الحافظ في تهذيب التهذيب ٧/ ١٥٩، وعلىٰ كل حال، فالحديث لا يصح، وقد قال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٠٤، ٤٠٥): حديث منكر.

(٣) أشرف الوسائل ص ٢١١.

(٤) المغني ١/ ٦٤٧.

(٥) صحيح البخاري ٣/ ٤٣٨.

(٦) لم أقف عليه في صحيح مسلم.

(٧) سنن الترمذي ٤/ ١٧٧.

(وكان) ﷺ **(يأكل القِثَّاء بالرُّطب)** قال[١] الكرماني[٢]: الباء للمصاحبة أو للملاصقة. ا.هـ. وإنما يفعل ذلك لأن الرطب حار رطْب في الثانية، يقوِّي المعدة الباردة، ولكنه سريع التعفُّن، مورِث للسُّدَد[٣]. والقثاء بارد رطْب في الثانية، منعش للقوىٰ، ملطِّف للحرارة. ففي كلٍّ منهما إصلاح للآخر.

قال العراقي[٤]: متفق عليه[٥] من حديث عبد الله بن جعفر.

قلت: وكذلك رواه أحمد[٦] والأربعة إلا النسائي[٧]. ورواه الطبراني في الأوسط[٨] بلفظ: رأيت النبي ﷺ في يمينه قثاء، وفي شماله رطب، وهو يأكل من ذا مرة ومن ذا مرةً. وسنده ضعيف.

(و) كان ﷺ يأكل القثاء **(بالملح)** لكونه يدفع ضرره. قال العراقي[٩]: رواه أبو الشيخ[١٠] من حديث عائشة، وفيه يحيىٰ بن هاشم، كذَّبه ابن معين وغيرُه. ورواه ابن عدي[١١]، وفيه عَبَّاد بن كثير، متروك.

(وكان) ﷺ **(أحب الفواكه الرطبة إليه البطيخ والعنب)** البِطيخ معروف، وبتقديم الطاء علىٰ الباء لغة فيه. وهل المراد به الأصفر أو الأخضر؟ مختلَف فيه.

---

(١) فيض القدير ٥/ ١٩٥.

(٢) الكواكب الدراري شرح صحيح البخاري ٢٠/ ٥٦.

(٣) هذا لمن لم يعتده، كما قال ابن القيم في زاد المعاد ٤/ ٢٨٣.

(٤) المغني ١/ ٦٤٨.

(٥) صحيح البخاري ٣/ ٤٤٣، ٤٤٥. صحيح مسلم ٢/ ٩٨٢.

(٦) مسند أحمد ٣/ ٢٧١.

(٧) سنن أبي داود ٤/ ٣١٠. سنن الترمذي ٣/ ٤٢٤. سنن ابن ماجه ٥/ ٤٨.

(٨) المعجم الأوسط ٧/ ٣٧٢.

(٩) المغني ١/ ٦٤٨.

(١٠) أخلاق النبي وآدابه ٣/ ٣٦١.

(١١) الكامل في الضعفاء ٤/ ١٦٤٢.

كان[١] يأكل هذا بهذا دفعًا لضرر كلٍّ منهما بالآخر.

قال العراقي[٢]: روىٰ أبو نعيم في الطب النبوي[٣] من رواية أميَّة بن زيد العَبْسي أن النبي ﷺ كان يحب من الفاكهة العنب والبطيخ. وروىٰ ابن عدي[٤] من حديث عائشة: «فإنَّ خير الفاكهة العنب». وسنده ضعيف.

قلت: وقد روىٰ ابن عدي هذا الحديث الذي ساقه المصنِّف بهذا اللفظ في ترجمة عبَّاد بن كثير الثقفي[٥]، وهو ضعيف، وساقه أيضًا الذهبي في ميزانه[٦] في ترجمته ونقل تضعيفه عن جماعة، وكذلك أبو عمر النوقاني في كتاب «البطيخ» من حديث أبي هريرة.

(وكان) ﷺ **(يأكل البطيخ بالخبز)** قال العراقي[٧]: لم أره، وإنما وجدت أكله العنب بالخبز في حديث عائشة عند ابن عدي بسند ضعيف.

(و) يأكله تارةً **(بالسكر)** قال العراقي: إن أريدَ بالسكر نوع من التمر والرطب مشهور فهو الحديث الآتي بعده، وإن أريدَ به السكر الذي هو بطبرزذ فلم أرَ له أصلاً إلا في حديث منكر معضَل رواه أبو عمر النوقاني في كتاب البطيخ من رواية محمد بن علي بن الحسين: أن النبي ﷺ أكل بطيخًا بسكر. وفيه موسىٰ بن إبراهيم المروزي، كذَّبه يحيىٰ بن معين.

---

(١) فيض القدير ٥/ ٨٥.

(٢) المغني ١/ ٦٤٨.

(٣) الطب النبوي ٢/ ٧١٨.

(٤) الكامل في الضعفاء ٥/ ١٧٧٨، ولفظه: «قال رسول الله ﷺ: عليكم بالمرازمة. قيل: يا رسول الله، وما المرازمة؟ قال: أكل الخبز مع العنب، فإن خير الفاكهة العنب، وخير الطعام الخبز».

(٥) بل في ترجمة عمرو بن خالد الأسدي الكوفي.

(٦) ميزان الاعتدال ٣/ ٢٥٧ في ترجمة عمرو بن خالد أيضا.

(٧) المغني ١/ ٦٤٨ - ٦٤٩.

قلت: قال في المصباح[١]: السكر: نوع من الرُّطب شديد الحلاوة، قال أبو حاتم في كتاب النخلة: نخل السكر، الواحدة سكرة. وقال الأزهري[٢]: العَمْر: نخل السكر، وهو معروف عند أهل البحرين.

فإن كان المراد بالسكر هنا هو الطبرزذي فيتعيَّن أن يكون المراد بالبطيخ هو الأصفر فإنه الذي يؤكل به، مع احتمال إرادة الأخضر، إلا أن ابن حجر ذكر في شرح الشمائل[٣] أن النبي ﷺ لم يرَ السكر، وما ورد بأنه حضر إملاك بعض الأنصار فنثر علىٰ العروس بالسكر واللوز فلا أصل له.

(وربما أكله بالرطب) قال العراقي[٤]: رواه الترمذي[٥] والنسائي[٦] من حديث عائشة، وحسَّنه الترمذي. ولابن ماجه[٧] من حديث سهل بن سعد: كان يأكل الرطب بالبطيخ. وهو عند الدارمي بلفظ: البطيخ بالرطب. وروىٰ أبو الشيخ[٨] وابن عدي في الكامل[٩] والطبراني في الأوسط[١٠] والبيهقي في الشعب[١١] من حديث أنس: كان يأخذ الرطب بيمينه، والبطيخ بيساره، فيأكل الرطب بالبطيخ، وكان أحب الفاكهة إليه. فيه يوسف بن عطية الصَّفَّار، مُجمَع علىٰ ضعفه. وروىٰ

---

(١) المصباح المنير ص ٢٨١.
(٢) تهذيب اللغة ٢/ ٣٨٤.
(٣) أشرف الوسائل ص ٢٢٣.
(٤) المغني ١/ ٦٤٨ - ٦٤٩.
(٥) سنن الترمذي ٣/ ٤٢٣.
(٦) السنن الكبرىٰ ٦/ ٢٥٠، ٢٥١.
(٧) سنن ابن ماجه ٥/ ٤٨.
(٨) أخلاق النبي وآدابه ٣/ ٣٥٧.
(٩) الكامل في الضعفاء ٧/ ٢٦١١.
(١٠) المعجم الأوسط ٨/ ٤٤.
(١١) شعب الإيمان ٨/ ١٢٩.

ابن عدي[1] من حديث عائشة: كان أحب الفاكهة إلىٰ رسول الله ﷺ الرطب والبطيخ. وهو ضعيف أيضًا.

قلت: ورواه الطبراني في الكبير[2] من حديث عبد الله بن جعفر بلفظ: كان يأكل البطيخ بالرطب.

وروىٰ الطيالسي[3] من حديث جابر بسند حسن: كان يأكل الخِرْبِز بالرطب ويقول: «هما الأطيبانِ». وهذا يؤيِّد قولَ من قال إن المراد بالبطيخ هو الأصفر.

وروىٰ أبو داود[4] والبيهقي[5] من حديث عائشة: كان يأكل البطيخ بالرطب ويقول: «يُكسَر حر هذا ببرد هذا، وبرد هذا بحرِّ هذا».

قال ابن القيم[6]: في البطيخ عدة أحاديث لا يصح منها شيء غير هذا الحديث الواحد.

(**ويستعين باليدين جميعًا**) قال العراقي[7]: رواه أحمد[8] من حديث عبد الله ابن جعفر قال: آخر ما رأيت رسول الله ﷺ في إحدىٰ يديه رُطبات وفي الأخرىٰ قِثَّاء، يأكل من هذه ويعضُّ من هذه. وتقدم حديث أنس في أكله بيديه قبل هذا بثلاثة أحاديث.

قلت: وتقدم أيضًا أكله القثاء بالرطب بيديه من رواية الطبراني في

---

(١) الكامل في الضعفاء ٤/ ١٦٤٢.

(٢) المعجم الكبير ١٤/ ١٤١.

(٣) مسند الطيالسي ٣/ ٣١٩.

(٤) سنن أبي داود ٤/ ٣١١.

(٥) السنن الكبرىٰ ٧/ ٤٥٩.

(٦) زاد المعاد ٤/ ٢٦٣.

(٧) المغني ١/ ٦٤٩.

(٨) مسند أحمد ٣/ ٢٧٨.

الأوسط بنحوه. قال[١] العراقي: ولا يلزم من هذا [الحديث] لو ثبت أكلُه بشماله، فلعله كان يأخذ بيده اليمنىٰ من الشمال رطبة رطبة فيأكلها مع ما في يمينه، فلا مانع من ذلك.

(وأكل) ﷺ **(يومًا رطبًا كان في يمينه، وكان يحفظ النوىٰ في يساره، فمرَّت به شاة، فأشار إليها بالنوىٰ، فجعلت تأكل من كفِّه اليسرىٰ وهو يأكل بيمينه حتىٰ فرغ وانصرفت الشاة)** قال العراقي[٢]: هذه القصة رويناها في فوائد أبي بكر الشافعي[٣] من حديث أنس بإسناد ضعيف.

قلت: وروىٰ الحاكم[٤] في الأطعمة من حديث أنس: كان يأكل الرطب ويلقي النوىٰ علىٰ الطبق. وقال: صحيح علىٰ شرطهما. وأقرَّه الذهبي.

(وكان ربما أكل العنب خرطًا) يقال: خرط العنقودَ واخترطه: إذا وضعه في فمه وأخذ حبه وأخرج عرجونه عاريًا[٥]. وفي رواية ذكرها ابن الأثير[٦] «خرصًا» بالصاد بدل الطاء، أي من غير عدد[٧] **(يُرَىٰ رُؤاله علىٰ لحيته كخرز اللؤلؤ)** وهو - أي الرُّؤال بالضم - الماء الذي يتقطَّر منه. قال العراقي[٨]: رواه ابن عدي في

---

(١) فيض القدير ٥/ ١٩٢.

(٢) المغني ١/ ٦٤٩.

(٣) الغيلانيات ص ٣٢٢، ولفظه: «أهدي إلىٰ رسول الله ﷺ رطب، فجعل يأكل بيمينه ويتناول النوىٰ بشماله، فمرت داجن فناولها فأكلت من يمينه ﷺ».

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٢٢٤.

(٥) ذكره المناوي في فيض القدير ٥/ ١٩٤ نقلا عن الفائق للزمخشري ١/ ٣٦٢. وعبارة الزمخشري: «يقال: خرط العنقود واخترطه: إذا وضعه في فيه وأخرج عمشوقه عاريا».

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٢٣.

(٧) هكذا فسره الشارح، وفسره ابن الأثير كتفسير الخرط بالطاء.

(٨) المغني ١/ ٦٥٠.

الكامل[١] من حديث العباس، والعقيلي في الضعفاء[٢] من حديث ابن عباس هكذا مختصرًا، وكلاهما ضعيف.

قلت: وكذا رواه الطبراني في الكبير[٣] هو والعقيلي من طريق داود بن عبد الجبار عن أبي الجارود عن حبيب بن يسار عن ابن عباس رفعه: كان يأكل العنب خرطًا. قال العقيلي: داود ليس بثقة، ولا يتابَع عليه. وأخرجه البيهقي في الشعب[٤] من طريقين ثم قال: ليس فيه إسناد قويٌّ. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات[٥] ولم يُصِب، بل هو ضعيف.

(**وكان أكثر طعامه**) ﷺ (**التمر والماء**) قال العراقي[٦]: روى البخاري[٧] من حديث عائشة: توفي رسول الله ﷺ وقد شبعنا من الأسودين: التمر والماء.

(**وكان**) ﷺ (**يتمجَّع اللبن بالتمر ويسمِّيهما الأطيبينِ**) قال العراقي[٨]: روى أحمد[٩] من رواية إسماعيل بن أبي خالد عن أبيه قال: دخلت على رجل وهو يتمجَّع لبنًا بتمر، فقال: ادْنُ، فإن رسول الله ﷺ سمَّاهما الأطيبينِ. ورجاله ثقات، وإبهام الصحابي لا يضر.

قلت: المجيع كأمير: تمر يُعجَن بلبن، وقد جاء ذِكرُه في «فقه اللغة» للثعالبي وأنه ﷺ كان يحبه، وتقدم من حديث جابر: كان يأكل الخِرْبِز بالرطب ويقول:

---

(١) الكامل في الضعفاء ٦/ ٢١٠٤.

(٢) الضعفاء الكبير ٢/ ٣٨٣.

(٣) المعجم الكبير ١٢/ ١٤٩.

(٤) شعب الإيمان ٨/ ١١٠ - ١١١.

(٥) الموضوعات ٢/ ٢٨٧ - ٢٨٨.

(٦) المغني ١/ ٦٥٠.

(٧) صحيح البخاري ٣/ ٤٣٢، ٤٤٤.

(٨) المغني ١/ ٦٥٠.

(٩) مسند أحمد ٢٥/ ٢٢٨.

«هما الأطيبانِ».

(وكان أحبُّ الطعام إليه) ﷺ (اللحم، ويقول: هو يزيد في السمع، وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة، ولو سألت ربي أن يطعمنيه كل يوم لفعل) قال العراقي[١]: رواه أبو الشيخ[٢] من رواية ابن سمعان قال: سمعت [رجالاً] من علمائنا يقولون: كان أحب الطعام إلىٰ رسول الله ﷺ اللحم ... الحديث. وللترمذي في الشمائل[٣] من حديث جابر: أتانا النبي ﷺ في منزلنا، فذبحنا له شاة، فقال: «كأنَّهم علموا أنَّا نحب اللحم». وإسناده صحيح. ولابن ماجه[٤] من حديث أبي الدرداء بإسناد ضعيف: «سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم».

قلت: قصة جابر وقعت في غزوة الخندق، وسيأتي ذِكرُها عند ذكر المعجزات، وهي طويلة أشار إليها الترمذي في الشمائل بقوله: وفي الحديث قصة. وقال الزهري: أكل اللحم يزيد سبعين قوة. وقال الشافعي: أكله يزيد في العقل[٥]. وعن علي رضي الله عنه: يصفِّي اللون، ويحسِّن الخَلق، ومَن تركه أربعين صباحًا ساء خُلقُه. وروىٰ أبو نعيم في الطب[٦] من حديث علي: «سيد طعام الدنيا والآخرة اللحم». ورواه البيهقي[٧] من حديث بريدة بزيادة: «وسيد الشراب [الماء] ...» الحديث بطوله. ورواه[٨] الحاكم في تاريخه من حديث صهيب بزيادة: «ثم الأرز».

(وكان) ﷺ (يأكل الثريد باللحم والقرع) رواه مسلم من حديث أنس.

---

(١) المغني ١/ ٦٥٠ - ٦٥١.

(٢) أخلاق النبي وآدابه ٣/ ٢٧٠.

(٣) الشمائل المحمدية ص ٨٦.

(٤) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٧.

(٥) رواه البيهقي في مناقب الشافعي ٢/ ١٢٠.

(٦) الطب النبوي ٢/ ٧٣٦، ولفظه: «سيد طعام الدنيا اللحم ثم الأرز».

(٧) شعب الإيمان ٨/ ٦٩.

(٨) كنز العمال ١٥/ ٢٩١.

وروىٰ أبو داود[١] والحاكم[٢] من حديث ابن عباس: كان أحب الطعام إليه الثريد من الخبز والثريد من الحَيْس.

(وكان) ﷺ **(يحب القَرْع)** وهو الدُّبَّاء **(ويقول: إنها شجرة أخي يونس عليه السلام)** قال العراقي: روىٰ النسائي[٣] وابن ماجه[٤] من حديث أنس: كان النبي ﷺ يحب القرع. وقال النسائي: الدباء. وهو عند مسلم[٥] بلفظ: يعجبه. وروىٰ ابن مردويه في تفسيره من حديث أبي هريرة في قصة يونس: «فلفظته في أصل شجرة وهي الدباء».

قلت: وروىٰ الترمذي في الشمائل[٦] من حديث أنس: كان يتتبَّع الدباء من حوالي القصعة. وعند أحمد[٧] كما عند مسلم: كان يعجبه القرعُ. وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ١٤٦﴾ [الصافات: ١٤٦] قالوا: هي الدباء[٨].

(قالت عائشة رضي الله عنها**: كان)** ﷺ **(يقول: يا عائشة، إذا طبختم قِدرًا فأكثِروا فيها من الدباء، فإنه يشد قلب الحزين)** قال العراقي[٩]: رويناه في فوائد أبي بكر الشافعي[١٠] من حديثها، ولا يصح.

(وكان) ﷺ **(يأكل لحم الطير الذي يُصاد)** قال العراقي[١١]: روىٰ الترمذي[١٢]

---

(١) سنن أبي داود ٤/ ٢٩٢. وضعفه.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٢١٩ دون ذكر الخبز والحيس.

(٣) السنن الكبرىٰ ٦/ ٢٣١.

(٤) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٥.

(٥) صحيح مسلم ٢/ ٩٨١.

(٦) الشمائل المحمدية ص ٨٠.

(٧) مسند أحمد ١٩/ ١٠٨، ٢٠/ ٧٨، ١٤٤، ١٨٤.

(٨) انظر: تفسير القرطبي ١٨/ ١٠١ - ١٠٤. تفسير ابن كثير ٧/ ٣٩ - ٤٠. تفسير البغوي ٧/ ٦١.

(٩) المغني ١/ ٦٥١.

(١٠) الغيلانيات ص ٣١٧.

(١١) المغني ١/ ٦٥١ - ٦٥٢.

(١٢) سنن الترمذي ٦/ ٨٤.

من حديث أنس قال: كان عند النبي ﷺ طير، فقال: «اللهم ائتني بأحب الخَلق إليك يأكل معي هذا الطير»، فجاء عليٌّ فأكل معه. قال: حديث غريب. قلت: وله طرق كلها ضعيفة. وروىٰ أبو داود[١] والترمذي[٢] واستغربه من حديث سفينة قال: أكلت مع النبي ﷺ لحم حُبارَىٰ.

(**وكان لا يتَّبعه ولا يصيده ويحب أن يُصاد له فيؤتَىٰ به فيأكله**) قال العراقي[٣]: هذا هو الظاهر من أحواله، فقد قال: «مَن تبع الصيدَ غفل». رواه أبو داود[٤] والترمذي[٥] والنسائي[٦] من حديث ابن عباس، وقال الترمذي: حسن غريب. وأما حديث صفوان بن أميَّة عند الطبراني[٧]: «قد كانت قبلي لله رسل كلهم يصطاد أو يطلب الصيد» فهو ضعيف جدًّا.

(**وكان**) ﷺ (**إذا أكل اللحم لم يطأطئ رأسه إليه ويرفعه إلىٰ فيه رفعًا ثم ينتهسه انتهاسًا**) روىٰ أبو داود[٨] من حديث صفوان بن أمية قال: كنت آكل مع النبي ﷺ فآخُذ اللحم من العظم، فقال: «ادْنُ العظمَ من فيك، فإنه أهنأ وأمرأ». وللترمذي[٩] من حديثه: «انهسوا اللحم نهسًا، فإنه أهنأ وأمرأ». وهو والذي قبله منقطع. وللشيخين[١٠] من حديث أبي هريرة: فتناول الذراع فنهس منها نهسة ...

---

(١) سنن أبي داود ٤/ ٢٩٧.
(٢) سنن الترمذي ٣/ ٤١٣.
(٣) المغني ١/ ٦٥٢.
(٤) سنن أبي داود ٣/ ٣٩٠.
(٥) سنن الترمذي ٤/ ١٠٧.
(٦) سنن النسائي ص ٦٦٣.
(٧) المعجم الكبير ٨/ ٦١.
(٨) سنن أبي داود ٤/ ٢٩١.
(٩) سنن الترمذي ٣/ ٤١٨.
(١٠) صحيح البخاري ٢/ ٤٥٣، ٣/ ٢٥٠. صحيح مسلم ١/ ١١٠ - ١١١.

الحديث. قاله العراقي[١]. والنهس والانتهاس: الأخذ بمقدم الأسنان.

(وكان) ﷺ (**يأكل الخبز والسمن**) متفق[٢] عليه[٣] من حديث أنس في قصة طويلة فيها: فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله ﷺ ففُتَّ، وعصرت أم سليم عكَّة فآدمتْه ... الحديث، وفيه: ثم أكل النبي ﷺ. وفي رواية ابن ماجه[٤]: وضعت فيها شيئًا من سمن. ولا يصح. ولأبي داود[٥] وابن ماجه[٦] من حديث ابن عمر: وددت أن عندي خبزة بيضاء من بُرَّة سمراء ملبَّقة بسمن. قال أبو داود: منكر.

(وكان) ﷺ (**يحب من الشاة الذراع والكتف**) روىٰ الشيخان من حديث أبي هريرة قال: وضعت بين يدي رسول الله ﷺ قصعة من ثريد ولحم، فتناول الذراع وكانت أحب الشاة إليه ... الحديث[٧]. وروىٰ أبو الشيخ[٨] من حديث ابن عباس: كان أحب اللحم إلىٰ رسول الله ﷺ الكتف. وإسناده ضعيف. ومن[٩] حديث أبي هريرة: لم يكن يعجبه من الشاة إلا الكتف. قاله العراقي[١٠].

قلت: وروىٰ أحمد[١١] وأبو داود[١٢] وابن السني وأبو نعيم[١٣] كلاهما في

---

(١) المغني ١/ ٦٥٢.

(٢) السابق ١/ ٦٥٣.

(٣) صحيح البخاري ٢/ ٥٢٣، ٤٣٢، ٤/ ٢٢٦. صحيح مسلم ٢/ ٩٧٩.

(٤) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٨.

(٥) سنن أبي داود ٤/ ٣٠٦، وفيه: بسمن ولبن.

(٦) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٧.

(٧) وهو جزء من الحديث السابق: فتناول الذراع فنهس منها نهسة. وهذا اللفظ في رواية مسلم وحده.

(٨) أخلاق النبي وآدابه ٣/ ٢٦٣.

(٩) السابق ٣/ ٢٦١.

(١٠) المغني ١/ ٦٥٣.

(١١) مسند أحمد ٦/ ٢٧٨، ٣١٨.

(١٢) سنن أبي داود ٤/ ٢٩١.

(١٣) الطب النبوي ٢/ ٧٤٥.

الطب من حديث ابن مسعود: كان أحب العُراق إليه ذراع الشاة. وحديث ابن عباس المذكور رواه أيضًا أبو نعيم في الطب[١]. وروىٰ أبو داود[٢] أيضًا من حديث ابن مسعود بلفظ: كان يعجبه الذراع. ولابن السني وأبي نعيم[٣] في الطب من حديث أبي هريرة: كان يعجبه الذراعان والكتف.

(ومن **القِدر**) أي المطبوخ في القدر (**الدباء**) تقدَّم حديث أنس قبل هذا بستة أحاديث: كان يحب الدباء. ولأبي الشيخ[٤] من حديث أنس: كان أعجبُ الطعام إليه الدباء.

(ومن **الصباغ الخلُّ**) روىٰ أبو الشيخ[٥] من حديث ابن عباس: كان أحب الصباغ إلىٰ رسول الله ﷺ الخل. وإسناده ضعيف. قاله العراقي[٦].

قلت: ورواه كذلك أبو نعيم في الطب[٧]. والمراد به ما يصبغ الخبز فيكون إدامًا له، وقد ورد: «نِعم الإدام الخل».

(ومن **التمر العجوة**) روىٰ أبو الشيخ[٨] من حديث ابن عباس بسند ضعيف: كان أحب التمر إلىٰ رسول الله ﷺ العجوة. قاله العراقي[٩].

---

(١) السابق ٢/ ٧٤٤.
(٢) سنن أبي داود ٤/ ٢٩١.
(٣) الطب النبوي ٢/ ٧٤٤.
(٤) أخلاق النبي وآدابه ٣/ ٣٣٥.
(٥) السابق ٣/ ٣٢٠.
(٦) المغني ١/ ٦٥٣.
(٧) الطب النبوي ٢/ ٧٦٠.
(٨) أخلاق النبي وآدابه ٣/ ٢٧٩.
(٩) المغني ١/ ٦٥٣.

قلت: وكذا رواه أبو نعيم في الطب[١].

والمراد[٢] بالعجوة عجوة المدينة، وهي أجود التمر وألينه وألذُّه.

(ودعا) ﷺ **(في العجوة بالبركة وقال: هي من الجنة)** يريد المبالغة في الاختصاص بالمنفعة والبركة فكأنها منها[٣] **(وشفاء من السم والسحر)** قال العراقي[٤]: روىٰ البزار[٥] والطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن الأسود قال: كنا عند رسول الله ﷺ في وفد سدوس[٦]، فأهدينا له تمرًا. وفيه: حتىٰ ذكرنا له تمرًا فقلنا له: هذا الجذامي. فقال: «بارك الله في الجُذامي وفي حديقة خرج هذا منها ...» الحديث. قال أبو موسىٰ المديني[٧]: قيل: هو تمر أحمر. وللترمذي[٨] والنسائي[٩] وابن ماجه[١٠] من حديث أبي هريرة: «العجوة من الجنة، وهي شفاء من السم». وفي

---

(١) الطب النبوي ٢/ ٧٣٣.

(٢) فيض القدير ٥/ ٨٢. وفي فتح الباري لابن حجر ١٠/ ٢٤٩: «العجوة: ضرب من أجود تمر المدينة وألينه، وقال الداودي: هو من وسط التمر. وقال ابن الأثير: العجوة: ضرب من التمر أكبر من الصيحاني، يضرب إلىٰ السواد، وهو مما غرسه النبي ﷺ بيده بالمدينة. وذكر هذا الأخير القزاز».

(٣) عبارة المناوي في فيض القدير ٤/ ٣٧٦: «قال القاضي: يريد به المبالغة في الاختصاص بالمنفعة والبركة، فكأنها من طعامها؛ لأن طعامها يزيل الأذىٰ والعناء».

(٤) المغني ١/ ٦٥٤.

(٥) كشف الأستار عن زوائد البزار ٣/ ٣٣٥.

(٦) سدوس: بطن من بني شيبان من بكر بن وائل، من العدنانية، وهم بنو سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، ينسب إليهم خلق كثير من العلماء، وكانوا أرداف ملوك كندة بني آكل المرار، من قراهم: القَرِّية، ومن مياههم: مأواه، باليمامة. معجم قبائل العرب ٢/ ٥٠٦.

(٧) المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث ١/ ٣١٢ (ط - دار المدني بجدة) ونصه: «قيل: الجذامي نوع من تمر اليمامة أحمر اللون».

(٨) سنن الترمذي ٣/ ٥٨٢، ٥٨٤.

(٩) السنن الكبرىٰ ٦/ ٢٣٣، ٢٤٩.

(١٠) سنن ابن ماجه ٥/ ١٢٨.

الصحيحين[١] من حديث سعد بن أبي وقاص: «مَن تصبَّح بسبع تمرات من عجوة لم يضرَّه ذلك اليوم سم ولا سحر».

قلت: وروىٰ أبو نعيم في الطب[٢] بسند ضعيف من حديث بريدة: «العجوة من فاكهة الجنة».

وروىٰ أحمد[٣] وابن ماجه[٤] والحاكم[٥] والديلمي[٦] من حديث رافع بن عمرو المزني: «العجوة والصخرة والشجرة من الجنة».

ولابن النجار[٧] من حديث ابن عباس: «العجوة من الجنة، وفيها شفاء من السم ...» الحديث.

وأما حديث أبي هريرة الذي أورده العراقي فقد رواه أيضًا أحمد[٨].

ويُروَىٰ عن أبي سعيد الخدري وجابر، رواه كذلك أحمد[٩] والنسائي[١٠] وابن ماجه[١١] وابن منيع والديلمي، وعندهم كلهم زيادة: «والكَماة من المَنِّ، وماؤها شفاء للعين».

---

(١) صحيح البخاري ٣/ ٤٤٥، ٤/ ٤٩، ٥١. صحيح مسلم ٢/ ٩٨٣.

(٢) الطب النبوي ٢/ ٧٣٣.

(٣) مسند أحمد ٣٣/ ٤٥٣.

(٤) سنن ابن ماجه ٥/ ١١٣.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٣٢٥.

(٦) الفردوس بمأثور الخطاب ٣/ ٨٣.

(٧) وكذلك الطبراني في المعجم الأوسط ٣/ ٣٦٢، والضياء في الأحاديث المختارة ١٠/ ٢١٦.

(٨) مسند أحمد ١٣/ ٣٧٩، ٤١٧، ١٤/ ٦٠، ٣٠٤، ٣١٠، ١٦/ ٢٢٣، ٢٣٤، ٣٧٤.

(٩) السابق ١٨/ ٣٦.

(١٠) السنن الكبرىٰ ٦/ ٢٣٥، ٢٤٨.

(١١) سنن ابن ماجه ٥/ ١٢٦.

قال الزمخشري[١]: العجوة: تمر بالمدينة من غرس رسول الله ﷺ.

وقال الحليمي[٢]: معنىٰ كونها من الجنة أن فيها شبهًا من ثمار الجنة في الطبع، فلذلك صارت شفاءً من السم.

وقال السمهودي[٣]: لم يزل إطباق الناس علىٰ التبرُّك بالعجوة، وهو النوع المعروف الذي يأثره الخلف عن السلف بالمدينة، ولا يرتابون في ذلك.

وأما حديث «من تصبَّح كل يوم ...» الخ، فقد رواه كذلك أحمد[٤] وأبو داود[٥] كلهم من طريق عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه.

(وكان) ﷺ **(يحب من البقول الهِندباء والباذروج)** هو الريحان القرنفلي، وهو الضيمران **(والبقلة الحمقاء التي يقال لها الرِّجلة)** قال العراقي[٦]: روىٰ أبو نعيم في الطب[٧] من حديث ابن عباس: «عليكم بالهندباء، فإنه ما من يوم إلا وهو تقطر عليه قطرة من قطر الجنة». وله من حديث الحسين بن علي وأنس بن مالك نحوه، وكلها ضعيفة. قلت: في سند حديث ابن عباس عمر [بن يحيىٰ] بن أبي سلمة، ضعَّفه ابنُ معين وغيره.

---

(١) الفائق في غريب الحديث ٢/ ٣٩٥.

(٢) المنهاج في شعب الإيمان ٢/ ٢٩.

(٣) وفاء الوفا بأخبار دار المصطفىٰ ١/ ٧١، ونصه: «قال ابن التين: يحتمل أن يكون المراد نخلا خاصا من المدينة لا يعرف الآن، ويحتمل أن يكون ذلك خاصا بزمانه ﷺ. انتهىٰ. وهو مردود؛ لأن سوق الأحاديث وإيراد العلماء لها وإطباق الناس علىٰ التبرك بعجوة المدينة وتمرها يرد التخصيص بزمنه ﷺ، مع أن الأصل عدمه، ولم تزل العجوة معروفة بالمدينة يأثرها الخلف عن السلف، يعلمها كبيرهم وصغيرهم علما لا يقبل التشكيك».

(٤) مسند أحمد ٣/ ١٤٠.

(٥) سنن أبي داود ٤/ ٣٢٦.

(٦) المغني ١/ ٦٥٤.

(٧) الطب النبوي ٢/ ٦٢٨ - ٦٣٠.

قال العراقي: وأما الباذروج فلم أجد فيه حديثًا. وأما الرِّجلة فروىٰ أبو نعيم في الطب[١] من رواية ثور قال: مر النبي ﷺ بالرجلة وفي رجله قرحة، فداواها بها فبرئتْ، فقال رسول الله ﷺ: «بارك الله فيكِ، انبتي حيث شئتِ، أنتِ شفاء من سبعين داء أدناها الصداع». وهو مرسل ضعيف.

(**وكان**) ﷺ (**يكره الكُلْيتين**) تثنية كُلْية، وهي[٢] من الأحشاء معروفة، و«الكُلوة» بالواو لغة لأهل اليمن، وهما بضم الأول. قالوا: ولا تُكسَر. وقال الأزهري[٣]: الكليتان للإنسان ولكل حيوان، وهما مَنبت زرع الولد (**لمكانهما من البول**) أي[٤] لقُربهما منه فتعافهما النفس، ومع ذلك يحل أكلُهما، وإنما قال «لمكانهما من البول» لأنهما - كما في التهذيب - لحمتان حمراوان لاصقتان بعظم الصُّلب عند الخاصرتين. فهما مجاوران لتكوُّن البول وتجمُّعه.

قال العراقي[٥]: رويناه في جزء من حديث أبي بكر محمد بن عبيد الله بن الشِّخِّير من حديث ابن عباس بسند ضعيف فيه أبو سعيد الحسن بن علي العدوي أحد الكذَّابين.

قلت: وكذلك رواه ابن السنىٰ في كتاب الطب النبوي.

(**وكان لا يأكل من الشاء**) جمع شاة، والشاة الواحدة من الغنم للذكر والأنثىٰ (**سبعًا**) مع كونها حلالاً: (**الذكَر والأنثيين**) أي[٦] الخُصيتين (**والمَثانة**) وهي مَجمع

---

(١) السابق ٢/ ٦٣١.
(٢) المصباح المنير ص ٥٤٠.
(٣) تهذيب اللغة ١٠/ ٣٥٧ - ٣٥٨.
(٤) فيض القدير ٥/ ٢٤٥.
(٥) المغني ١/ ٦٥٥.
(٦) تقدم تعريف هذه الأعضاء في الباب الأول من كتاب الحلال والحرام، وكذلك حديث ابن عباس السابق، وكلام الخطابي، ورد أبي شامة عليه.

البول (**والمرارة**) وهي ما في جوف الحيوان، فيها ماء أخضر، قال الليث: المرارة لكل ذي روح إلا البعير فلا مرارة له (**والغُدَد**) جمع غُدَّة بالضم، وهي لحم يحدث من داء بين الجلد واللحم يتحرك بالتحريك (**والحياء**) ممدود: الفرْج من ذوات الخُف والظلف؛ قاله ابن الأثير[١] (**والدم**) غير المسفوح؛ لأن الطبع السليم يعاف هذه الأشياء، وليس كل حلال تطيب النفسُ لأكله (**ويكره ذلك**) قال الخطابي: الدم حرام إجماعًا، وعامَّة المذكورات معه مكروهة لا محرَّمة، وقد يجوز أن يفرَّق بين القرائن التي يجمعها نظم واحد بدليل يقوم علىٰ بعضها فيُحكَم له بخلاف حكم صواحباتها. وردَّه أبو شامة بأنه لم يُرِدْ بالدم هنا ما فهمه الخطابي، فإنَّ الدم المحرَّم بالإجماع قد انفصل من الشاة وخلت منه عروقُها، فكيف يقول الراوي: كان يكره من الشاة - يعني بعد ذبحها - سبعًا؟! والسبع موجودة فيها. وأيضًا، فمنصبه ﷺ يجلُّ عن أن يوصَف بأنه كره شيئًا هو منصوص علىٰ تحريمه علىٰ الناس كافة، وكان أكثرهم يكرهه قبل تحريمه، ولا يُقدِم علىٰ أكله إلا الجُفاة في شَظَف من العيش وجهد من القلة، وإنما وجه هذا الحديث المنقطع الضعيف أنه كره من الشاة ما كان من أجزائها دمًا منعقدًا مما يحل أكله لكونه دمًا غير مسفوح، كما في خبر: «أُحِلَّت لنا ميتتان ودمانِ». فكأنه أشار بالكراهة إلىٰ الطحال والكبد ممَّا ثبت أنه أكله. والله أعلم.

قال العراقي[٢]: رواه ابن عديٍ[٣] ومن طريقه البيهقي[٤] من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف، ورواه البيهقي من رواية مجاهد مرسلاً.

قلت: رواه ابن عدي من طريق فهر بن بشر عن عمر بن موسىٰ بن وجيه

---

(١) النهاية ١/ ٤٧٢.

(٢) المغني ١/ ٦٥٥.

(٣) الكامل في الضعفاء ٥/ ١٦٧٢.

(٤) السنن الكبرىٰ ١٠/ ١٢ - ١٣.

[عن واصل بن أبي جميل] عن مجاهد عن ابن عباس. ثم قال البيهقي بعد أن أخرجه من طريقه: وعمر ضعيف، ووصلُه لا يصح. وقال ابن القَطَّان[١]: عمر ابن موسىٰ متروك. وقد جزم عبد الحق[٢] بتضعيفه، وتبعه العراقيُّ. وأما مرسل مجاهد فأخرجه البيهقي عن سفيان عن الأوزاعي عن واصل بن أبي جميل عنه. ورواه أبو حنيفة الإمام [عن الأوزاعي] عن واصل بن أبي جميل. ورواه الطبراني في الأوسط[٣] من حديث ابن عمر، وفيه يحيىٰ الحِمَّاني، وهو ضعيف.

(وكان) ﷺ **(لا يأكل الثوم، ولا البصل، ولا الكرَّاث)** قال العراقي[٤]: رواه مالك في الموطأ[٥] عن الزهري عن سليمان بن يسار مرسلاً، وهو عند الدارقطني في «غرائب مالك» عن الزهري عن أنس. وفي الصحيحين[٦] من حديث جابر: أُتي ببدر فيه خضرات من بقول فوجد لها ريحًا ... الحديث، وفيه: «فإني أناجي من لا تناجي». ولمسلم[٧] من حديث أبي أيوب في قصة بعثِه إليه بطعام فيه ثوم فلم يأكل منه وقال: «لكني أكرهه من أجل ريحه».

قلت: ويُقاس علىٰ هؤلاء الفجل وكل بقلة كريهة، وروىٰ أبو داود في سننه[٨] من حديث عائشة: آخر طعام أكله ﷺ فيه بصل. ولا[٩] ينافي ما تقدم من الأخبار؛ لأن محله في النيئ، علىٰ أن الأصح أن نيئ هذه مكروه عليه وليس بمحرَّم.

---

(١) بيان الوهم والإيهام ٣/ ٢٤٢ - ٢٤٣.
(٢) الأحكام الوسطىٰ ٤/ ١٢٢.
(٣) المعجم الأوسط ٩/ ١٨١.
(٤) المغني ١/ ٦٥٥.
(٥) الموطأ برواية أبي مصعب الزهري ٢/ ١١٠ (ط - مؤسسة الرسالة).
(٦) صحيح البخاري ١/ ٢٧٤، ٤/ ٣٧٤. صحيح مسلم ١/ ٢٥٢.
(٧) صحيح مسلم ٢/ ٩٨٦.
(٨) سنن أبي داود ٤/ ٣٠٩.
(٩) أشرف الوسائل ص ٢٧٩.

وروىٰ أبو نعيم في الحلية[١] والخطيب في التاريخ[٢] عن أنس: كان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا الكراث من أجل أن الملائكة تأتيه وأنه يكلِّم جبريل.

(وما ذمَّ) ﷺ **(طعامًا قط، لكن إن أعجبه أكله، وإن كرهه تركه)** وهذا قد تقدم بلفظ: ما عاب. والذم والعيب مترادفان **(وإن عافه لم يبغِّضه إلىٰ غيره)** ففي الصحيحين[٣] من حديث ابن عمر في قصة الضب: «كلوا، فإنه ليس بحرام ولا بأس به، ولكنه ليس من طعام قومي».

(وكان) ﷺ **(يعاف الضب والطحال ولا يحرِّمهما)** أما[٤] الضب ففي الصحيحين[٥] من حديث ابن عباس: «لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه». ولهما من حديث ابن عمر: «لست بآكله ولا محرِّمه». وأما الطحال فروىٰ ابن ماجه[٦] من حديث ابن عمر: «أُحلَّت لنا ميتتان ودمانِ». وفيه: «وأما الدمانِ فالكبد والطحال». وللبيهقي[٧] موقوفًا علىٰ زيد بن ثابت: إني لآكل الطحال وما بي إليه حاجة إلا ليعلم أهلي أنه لا بأس به.

قلت: وروىٰ[٨] ابن صصرىٰ في أماليه: كان لا يأكل الجراد ولا الكلوتين ولا الضب من غير أن يحرمها.

(وكان) ﷺ **(يلعق بأصابعه الصحفة)** التي فيها الطعام **(ويقول: آخر الطعام**

---

(١) حلية الأولياء ٦/ ٣٣٢.

(٢) تاريخ بغداد ٣/ ٦٧.

(٣) صحيح البخاري ٣/ ٤٦٣، ٤/ ٣٥٧. صحيح مسلم ٢/ ٩٣٦ - ٩٣٧.

(٤) المغني للعراقي ١/ ٦٥٦.

(٥) صحيح البخاري ٣/ ٤٣٤. صحيح مسلم ٢/ ٩٣٧.

(٦) سنن ابن ماجه ٥/ ٤١.

(٧) السنن الكبرىٰ ١٠/ ١٢.

(٨) كنز العمال ٧/ ١٠٥ من حديث ابن عباس.

أكثر بركةً) قال العراقي[١]: رویٰ البيهقي في الشعب[٢] من حديث جابر في حديث قال فيه: «ولا يرفع القصعة حتىٰ يَلعقها أو يُلعِقها، فإن آخر الطعام فيه البركة». ولمسلم[٣] من حديث أنس: أمرنا أن نسلت الصحفة وقال: «إن أحدكم لا يدري في أيِّ طعامه يبارَك له فيه».

قلت: وفي بعض روايات مسلم من حديث أنس: «فإنكم لا تدرون في أيِّ طعامكم البركة». وأما حديث جابر الذي رواه البيهقي فقد رواه أيضًا ابن حبان[٤] بلفظ: «ولا يرفع الصحفة حتىٰ يَلعقها [أو يُلعِقها] فإنَّ في آخر الطعام البركةَ».

ورویٰ أحمد[٥] والترمذي[٦] وابن ماجه[٧] والبغوي[٨] والدارمي[٩] وابن أبي خيثمة[١٠] وابن السكن وابن شاهين وابن قانع[١١] والدارقطني من حديث نُبَيشة الخير الهُذَلي مرفوعًا: «مَن أكل في قصعة ولحسها استغفرت له [القصعة]». قال الترمذي والدارقطني: غريب. وأورده بعضهم [بلفظ]: «تستغفر القصعة للاحسها».

(وكان) ﷺ **(يلعق أصابعه من الطعام حتىٰ تحمر)** قال العراقي[١٢]: رواه

---

(١) المغني ١/ ٦٥٦.

(٢) شعب الإيمان ٨/ ٤٠.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ٩٧٧. وليس فيه هذا اللفظ، وإنما لفظه ما سيذكره الشارح بقوله: وفي بعض روايات مسلم ... الخ.

(٤) صحيح ابن حبان ١٢/ ٥٧.

(٥) مسند أحمد ٣٤/ ٣٢٥.

(٦) سنن الترمذي ٣/ ٣٩٧.

(٧) سنن ابن ماجه ٥/ ١٨.

(٨) شرح السنة ١١/ ٣١٦.

(٩) سنن الدارمي ٢/ ١٣٢.

(١٠) تاريخ ابن أبي خيثمة - السفر الثاني ص ٥٧٨.

(١١) معجم الصحابة ٣/ ١٦٩.

(١٢) المغني ١/ ٦٥٦ - ٦٥٧.

مسلم من حديث كعب بن مالك دون قوله «حتىٰ تحمر» فلم أقف له علىٰ أصل.

قلت: والمعنىٰ: يبالغ في لعقها، وكأنَّه أخذ ذلك من رواية الترمذي في الشمائل[(١)]: كان يلعق أصابعه ثلاثًا. أي يلعق كل أصبع ثلاث مرات.

(وكان) ﷺ (لا يمسح يده بالمنديل حتىٰ يلعق أصابعه واحدة واحدة ويقول: إنه لا يُدرَىٰ في أيِّ الأصابع البركة) قال العراقي[(٢)]: روىٰ مسلم[(٣)] من حديث كعب بن مالك: أن النبي ﷺ كان لا يمسح يده بالمنديل حتىٰ يلعقها. وله من حديث جابر: «فإذا فرغ فليلعق أصابعه، فإنه لا يدري في أيِّ طعامه تكون البركة». وللبيهقي في الشعب من حديثه: «لا يمسح أحدكم يده بالمنديل حتىٰ يلعق يده، فإن الرجل لا يدري في أيِّ طعامه يبارَك له فيه»[(٤)].

قلت: رُوي في هذا عن ابن عباس وجابر وأبي هريرة وزيد بن ثابت وأنس، فلفظ حديث ابن عباس: «إذا أكل أحدكم طعامًا فلا يمسح يده بالمنديل حتىٰ يَلعقها أو يُلعِقها». رواه كذلك أحمد[(٥)] والشيخان وأبو داود[(٦)] وابن ماجه[(٧)]. وحديث جابر مثله بزيادة: «فإنه لا يدري في أيِّ طعامه البركة». رواه كذلك أحمد[(٨)] ومسلم

---

(١) الشمائل المحمدية ص ٧١.

(٢) المغني ١/ ٦٥٧.

(٣) أحاديث لعق الأصابع رواها مسلم في صحيحه ٢/ ٩٧٥ - ٩٧٧ عن ابن عباس وكعب بن مالك وجابر بن عبد الله وأنس وأبي هريرة. وليس في حديث كعب ذكر المنديل. ورواه البخاري في صحيحه ٣/ ٤٤٧ من حديث ابن عباس فقط.

(٤) وهو جزء من الحديث السابق: ولا يرفع القصعة ... الخ.

(٥) مسند أحمد ٣/ ٤٠١، ٤/ ٤١٢، ٥/ ٢٨٩، ٤٥٠.

(٦) سنن أبي داود ٤/ ٣١٥.

(٧) سنن ابن ماجه ٥/ ١٦.

(٨) مسند أحمد ٢٢/ ١٢٩، ٤١٨، ٤٦٧، ٢٣/ ١٩٩.

والنسائي[١] وابن ماجه[٢]. وأما حديث أبي هريرة فلفظه: «إذا أكل أحدكم طعامًا فليلعق أصابعه، فإنه لا يدري في أي طعامه تكون البركة». رواه كذلك أحمد[٣] ومسلم والترمذي[٤]. ورواه كذلك الطبراني في الكبير[٥] عن زيد بن ثابت. ورواه كذلك الطبراني في الأوسط[٦] عن أنس.

قال ابن حجر في شرح الشمائل[٧]: الأكمل أن يلعق كل أصبع ثلاثًا متوالية لاستقلال كلٍّ فناسب كمالَ تنظيفها قبل الانتقال إلىٰ البقية، فيبدأ بالوسطىٰ لكونها أكثر تلويثًا؛ إذ هي أطول فيبقىٰ فيها من الطعام أكثر من غيرها، ولأنها لطولها أول ما ينزل الطعام، ثم بالسبَّابة، ثم بالإبهام؛ لِما روىٰ الطبراني في الأوسط[٨]: رأيت رسول الله ﷺ يأكل بأصابعه الثلاث [بالإبهام والتي تليها والوسطىٰ، ثم رأيته يلعق أصابعه الثلاث] قبل أن يمسحها الوسطىٰ ثم التي تليها ثم الإبهام. وعند مسلم: «إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها وليُمِطْ ما كان بها من أذىٰ ولا يدعها للشيطان، ولا يمسح يده بالمنديل حتىٰ يلعق أصابعه؛ لأنه لا يدري في أيِّ طعامه البركة». وفي هذه الأخبار الردُّ علىٰ مَن كره اللعق استقذارًا، ومن ثَم قال الخطابي[٩]: عاب قومٌ أفسد عقولَهم الترفُّه لعق الأصابع، وزعموا أنه مستقبَح، كأنهم لم يعلموا أن الطعام الذي علق بالأصابع والصحفة جزء مما أكلوه، فإذا لم يُستقذَر كله فلا يُستقذَر

(١) السنن الكبرىٰ ٦/ ٢٦٧، ٢٧١.

(٢) سنن ابن ماجه ٥/ ١٧.

(٣) مسند أحمد ١٤/ ١٩٥، ١٥/ ٢١٨.

(٤) سنن الترمذي ٣/ ٣٩٥.

(٥) المعجم الكبير ٥/ ١٥٢.

(٦) المعجم الأوسط ٤/ ٥٦.

(٧) أشرف الوسائل ص ٢٠٣ - ٢٠٥.

(٨) المعجم الأوسط ٢/ ١٨٠ من حديث كعب بن عجرة.

(٩) معالم السنن ٤/ ٢٦٠.

بعضه، وليس فيه أكثر من مصِّها بباطن الشفة، ولا يشك عاقل أنه لا بأس بذلك، وقد يُدخِل الإنسان أصبعه في فيه فيدلكه، ولم يستقذر ذلك أحد. ا.هـ. ملخصًا. ويؤيِّده أن الاستقذار إنما يُتوهَّم في اللعق أثناء الأكل؛ لأنه يعيدها في الطعام وعليها آثار ريقه، وهذا غير سنَّة. واعلمْ أن الكلام فيمن استقذر ذلك من حيث هو لا مع نسبته للنبي ﷺ وإلا خُشي عليه الكفر؛ إذ مَن استقذر شيئًا من أحواله ﷺ مع علمه بنسبته إليه كفر. ثم قوله «أو يُلعِقها غيرَه» أي ممَّن لا يتقذَّره من نحو ولد وخادم وزوجة يحبونه ويتلذَّذون بذلك منه، فإنَّ في ذلك بركة.

(و) كان ﷺ **(إذا فرغ)** من الطعام **(قال: الحمد لله[1]، اللهم لك الحمد)** لأن[2] الطعام نعمة، والحمد عقيب النعم يقيِّدها ويؤذن باستمرارها وزيادتها، فلذلك أتىٰ ﷺ بتلك الصفات البليغة تحريضًا لأمَّته علىٰ التأسِّي به في ذلك فقال: **(أطعمتَ فأشبعت، وسقيت فأرويتَ، لك الحمد غير مكفور)** أي غير مجحود بفضله ونعمته **(ولا مودّع)** بتشديد الدال مع فتحها، أي غير متروك. ومع كسرها، أي حال كوني غير تارك له ومُعرِض عنه، فمآل الروايتين واحد وهو دوام الحمد واستمراره **(ولا مستغنًىٰ عنه)** بفتح النون، قيل: عطف تفسير؛ إذ المتروك: المستغنَىٰ عنه، وفيه نظرٌ، بل فيه فائدة لم تُستفَد من سابقه نصًّا وهي أنه لا استغناء لأحد عن الحمد لوجوبه [علىٰ كل مكلَّف؛ إذ لا يخلو أحد عن نعمة بل نعم لا تُحصَىٰ، وهو في مقابلة النعم واجب، لكن ليس المراد بوجوبه] أن مَن تركه لفظًا يأثم به بل إن من أتىٰ به في مقابلة النعمة أُثيبَ عليه ثواب [الواجب، ومَن أتىٰ به لا في مقابلة شيء أثيبَ عليه ثواب] المندوب.

---

(١) زائدة من ط الشعب، ويثبت نص الزبيدي فقط.

(٢) أشرف الوسائل ص ٢٧٠ - ٢٧٣.

قال العراقي[(١)]: رواه الطبراني[(٢)] من حديث الحارث بن الحارث بسند ضعيف.

قلت: هو صحابي أزدي[(٣)]، والحديث المذكور من رواية محمد بن أبي قيس عن عبد الأعلىٰ. ورواه أحمد[(٤)] عن رجل من بني سُلَيم له صحبة، ولفظه: كان إذا فرغ من طعامه قال: «اللهم لك الحمد، أطعمت وسقيت وأشبعت وأرويت، فلك الحمد غير مكفور ولا مودَّع ولا مستغنًىٰ عنك». قال الحافظ ابن حجر: وفيه عبد الله بن عامر الأسلمي، فيه ضعفٌ من قِبَل حفظه، وسائر رجاله ثقات.

قال العراقي: وللبخاري من حديث أبي أمامة: كان إذا فرغ من طعامه قال: «الحمد لله الذي كفانا وآوانا غير مكفيٍّ ولا مكفور». وقال مرة: «الحمد لله ربَّنا غير مكفي ولا مودَّع ولا مستغنًىٰ عنه ربنا».

قلت: وروىٰ الجماعة إلا مسلمًا[(٥)] من حديث أبي أمامة: كان إذا رفع مائدته قال: «الحمد لله كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، غير مكفيٍّ ولا مودَّع ولا مستغنىٰ عنه ربنا». وفي رواية الترمذي وابن ماجه وإحدىٰ روايات النسائي: الحمد لله حمدًا. وفي لفظ للنسائي: اللهم لك الحمد حمدًا.

وعن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ كان إذا فرغ من طعامه قال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين». رواه الأربعة[(٦)] واللفظ لأبي داود وابن

---

(١) المغني ١/ ٦٥٧.

(٢) المعجم الكبير ٣/ ٣٠٣.

(٣) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ١٥٠. الاستيعاب ١/ ١٧٣. أسد الغابة ١/ ٥٩٣.

(٤) مسند أحمد ٢٩/ ٦١٣.

(٥) صحيح البخاري ٣/ ٤٤٧. سنن أبي داود ٤/ ٣١٦. سنن الترمذي ٥/ ٤٥١. سنن ابن ماجه ٥/ ٢٥. السنن الكبرىٰ للنسائي ٦/ ٣٠٩، ٩/ ١١٤ - ١١٥.

(٦) سنن أبي داود ٤/ ٣١٦. سنن الترمذي ٥/ ٤٥١. سنن ابن ماجه ٥/ ٢٥. السنن الكبرىٰ للنسائي ٩/ ١١٦.

ماجه، ولفظ الترمذي: كان النبي ﷺ إذا أكل أو شرب قال ... فذكر نحوه.

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أكل أو شرب قال: «الحمد لله الذي أطعم وسقىٰ وسوَّغه وجعل له مخرجًا». رواه أبو داود[١] والنسائي[٢] وابن حبان في صحيحه[٣].

وعن أبي هريرة قال: دعا رجل من الأنصار من أهل قُباء النبيَّ ﷺ، فانطلقنا معه، فلمَّا طعمَ وغسل يده - أو يديه - قال: «الحمد لله الذي يُطعِم ولا يُطعَم، منَّ علينا فهدانا، وأطعمنا وسقانا، وكلَّ بلاء حسن أبلانا، الحمد لله غير مودَّع ولا مكافأ ولا مكفور ولا مستغنًىٰ عنه، الحمد لله الذي أطعم من الطعام، وأسقىٰ من الشراب، وكسا من العُري، وهدىٰ من الضلالة، وبصَّر من العمىٰ، وفضَّل علىٰ كثير ممَّن خلق تفضيلاً، الحمد لله رب العالمين». رواه النسائي[٤] - واللفظ له - والحاكم[٥] وابن حبان[٦] في صحيحيهما، وقال الحاكم: صحيح علىٰ شرط مسلم.

وروىٰ ابن أبي شيبة[٧] من مرسل سعيد بن جبير أنه ﷺ كان إذا فرغ من طعامه قال: اللهم أشبعت وأرويت فهنِّئنا، ورزقتنا فأكثرتَ وأطيبت فزِدنا.

وروىٰ الحاكم[٨] من حديث أبي الهيثم بن التيهان: «فإذا شبعتم فقولوا:

---

(١) سنن أبي داود ٤/ ٣١٦.

(٢) السنن الكبرىٰ ٦/ ٣٠٨، ٩/ ١١٥.

(٣) صحيح ابن حبان ١٢/ ٢٤.

(٤) السنن الكبرىٰ ٩/ ١٢٠.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٤٠.

(٦) صحيح ابن حبان ١٢/ ٢٣.

(٧) مصنف ابن أبي شيبة ٨/ ٢٢٨ موقوفا علىٰ سعيد بن جبير، وليس مرفوعا.

(٨) رواه الحاكم في المستدرك ٤/ ٢٣٦ من حديث أبي هريرة في ذهاب النبي ﷺ وأبي بكر وعمر إلىٰ منزل أبي الهيثم عندما أصابهم الجوع، ولكن ليس عنده المتن المذكور. فأبو الهيثم صاحب القصة وليس راوي الحديث. أما المتن المذكور فرواه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٣٣٢ وابن حبان =

الحمد لله الذي هو أشبعنا وأروانا وأنعم علينا وأفضلَ».

(وكان) ﷺ (إذا أكل الخبز واللحم خاصةً غسل يديه غسلاً جيدًا) قال العراقي[١]: روىٰ أبو يعلىٰ[٢] من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف: «مَن أكل من هذه اللحوم شيئًا فليغسل يده من ريح وَضَرِه، لا يؤذي مَن حذاءه».

قلت: ورواه ابن عدي في الكامل[٣] بلفظ: «إذا أكل أحدكم طعامًا فليغسل يده من وَضَر اللحم». وإسناده ضعيف أيضًا. وعليه يُحمَل ما رواه أحمد[٤] والطحاوي[٥] والطبراني[٦] وابن عساكر[٧] من حديث سهل ابن الحنظلية رفعه: «مَن أكل لحمًا فليتوضأ». أي فليغسل يده من وَضَره، أي زهومته ودسمه. وتقدم قريبًا حديث أبي هريرة: دعانا رجل من الأنصار. وفيه: فلما طعمَ وغسل يده أو يديه.

(ثم يمسح بفضل الماء علىٰ وجهه. وكان) ﷺ (يشرب في ثلاث دفعات، وله فيها ثلاث تسميات، وفي أواخرها ثلاث تحميدات) قال العراقي[٨]: رواه الطبراني في الأوسط[٩] من حديث أبي هريرة، ورجاله ثقات. ولمسلم[١٠] من حديث أنس:

= في صحيحه ١٢/ ١٨ والطبراني في المعجم الأوسط ٢/ ٣٦٦ من حديث ابن عباس، ولكن عندهم أن صاحب القصة هو أبو أيوب الأنصاري وليس أبا الهيثم.

(١) المغني ١/ ٦٥٨.

(٢) مسند أبي يعلىٰ ٩/ ٤١٧.

(٣) الكامل في الضعفاء ٧/ ٢٥٥٦. وفيه: اللحم، بدل: طعاما.

(٤) مسند أحمد ٢٩/ ١٦٢، ٣٧/ ١٥٨.

(٥) شرح معاني الآثار ١/ ٦٤.

(٦) المعجم الكبير ٦/ ٩٨.

(٧) تاريخ دمشق ٧٣/ ٢٤.

(٨) المغني ١/ ٦٥٨.

(٩) المعجم الأوسط ١/ ٢٥٧، ولفظه: كان رسول الله ﷺ يشرب في ثلاثة أنفاس، إذا أدنىٰ الإناء إلىٰ فيه سمىٰ الله، فإذا أخره حمد الله، يفعل به ثلاث مرات.

(١٠) صحيح مسلم ٢/ ٩٧٤. وقد رواه أيضا البخاري في صحيحه ٤/ ٢١.

كان إذا شرب تنفَّس ثلاثًا.

قلت: وروىٰ ابن السني[(١)] من حديث نوفل بن معاوية: كان يشرب بثلاثة أنفاس، يسمِّي الله في أوله، ويحمد الله في آخره.

وروىٰ أيضًا الطبراني[(٢)] من حديث ابن مسعود: كان إذا شرب تنفَّس في الإناء ثلاثًا، يسمِّي عند كل نفس، ويشكر عند آخرهن. قال[(٣)] النووي[(٤)]: ضعيف. وهذا يدل علىٰ أنه إنما يشكر مرة واحدة بعد فراغ الثلاث.

وفي الغيلانيات[(٥)] من حديث ابن مسعود: كان إذا شرب تنفَّس في الإناء ثلاثًا، يحمد الله علىٰ كل نفَس، ويشكره عند آخرهن.

وروىٰ أحمد[(٦)] والشيخان[(٧)] والأربعة[(٨)] من حديث أنس: كان إذا شرب تنفَّس ثلاثًا ويقول: «هو أهنأ وأمرأ وأبرأ».

وروىٰ الترمذي[(٩)] وابن ماجه[(١٠)] من حديث ابن عباس: كان إذا شرب تنفَّس مرتين. أي[(١١)] في أثناء الشرب، فيكون قد شرب ثلاث مرات، وسكت عن التنفس

---

(١) عمل اليوم والليلة ص ٢٨٤.

(٢) المعجم الكبير ١٠/ ٢٥٣.

(٣) فيض القدير ٥/ ١٤٥.

(٤) الأذكار ص ٢٠٣.

(٥) الغيلانيات ص ٣٣٩.

(٦) مسند أحمد ١٩/ ٢٢٤، ٢٠/ ٢٦٢، ٤٢٩، ٢١/ ٢٣٠.

(٧) صحيح البخاري ٤/ ٢١. صحيح مسلم ٢/ ٩٧٤.

(٨) سنن أبي داود ٤/ ٢٧٠. سنن الترمذي ٣/ ٤٥٤. سنن ابن ماجه ٥/ ١٠٣. السنن الكبرىٰ للنسائي ٦/ ٣٠٥-٣٠٦.

(٩) سنن الترمذي ٣/ ٤٥٦.

(١٠) سنن ابن ماجه ٥/ ١٠٣.

(١١) فيض القدير ٥/ ١٤٥.

الأخير لكونه من ضرورة الواقع، فلا تعارُض بينه وبين ما قبله من الثلاث.

(وكان) ﷺ (**يمص الماء مصًّا**) قال العراقي[١]: روىٰ البغوي[٢] والطبراني[٣] وابن عدي[٤] وابن قانع[٥] وابن منده[٦] وأبو نعيم[٧] في الصحابة من حديث بهز: كان يستاك عرضًا، ويشرب مصًّا.

قلت: ورواه كذلك ابن السني وأبو نعيم[٨] في الطب، وكلهم[٩] من طريق ثُبَيت بن كثير عن يحيىٰ بن سعيد عن ابن المسيب عن بهز وهو القشيري، قال البغوي: وليس له إلا هذا الحديث، وهو منكر. وفي الإصابة: ورواه بعضهم[١٠] عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، فقيل: إن ابن المسيب سمعه منه فأرسله الراوي عنه فظنه بعضهم صحابيًّا، ولكن رُوي في بعض طرقه عن جد بهز وهو معاوية، فسقط لفظ «جد» من الراوي، وبالجملة فإسناده مضطرب ليس بالقائم.

ورواه أيضًا البيهقي في السنن[١١] عن ربيعة بن أكثم وكذا العقيلي[١٢] كلاهما من طريق علي بن ربيعة عن [يحيىٰ بن سعيد عن] ابن المسيب عنه، وهو أيضًا

---

(١) المغني ١/ ٦٥٨.
(٢) معجم الصحابة ١/ ٣٥٨.
(٣) المعجم الكبير ٢/ ٤٨.
(٤) الكامل في الضعفاء ٧/ ٢٦٣٩.
(٥) معجم الصحابة ١/ ١٠٥.
(٦) معرفة الصحابة ١/ ٣٠٦.
(٧) معرفة الصحابة ١/ ٤٤٠.
(٨) الطب النبوي ٢/ ٦٧٤.
(٩) الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٢٧٦.
(١٠) في الإصابة: ورواه مخيس بن تميم.
(١١) السنن الكبرىٰ ١/ ٦٦.
(١٢) الضعفاء الكبير ٣/ ٩٥٧.

ضعيف.

(ولا يعب عبًّا) قال العراقي[(١)]: رواه الطبراني[(٢)] من حديث أم سلمة: كان لا يعب. ولأبي الشيخ[(٣)] من حديث ميمونة: لا يعب ولا يلهث. وكلها ضعيفة.

قلت: لفظ حديث أم سلمة عند الطبراني: كان يبدأ بالشراب إذا كان صائمًا، وكان لا يعب، فيشرب مرتين أو ثلاثًا. وفيه يحيىٰ الحِمَّاني، وهو ضعيف.

وروىٰ سعيد بن منصور وابن السني وأبو نعيم في الطب[(٤)] والبيهقي في الشعب[(٥)] من مرسل ابن أبي حسين: «إذا شرب أحدكم فليمص مصًّا، ولا يعُب عبًّا، فإن الكِباد من العَب».

وروىٰ الديلمي[(٦)] من حديث علي: «إذا شربتم الماء فاشربوه مصًّا، ولا تشربوه عَبًّا، فإنَّ العَب يورث الكباد».

وروىٰ أبو داود في مراسيله[(٧)] عن عطاء بن أبي رباح: «إذا شربتم فاشربوا مصًّا، وإذا استكتم فاستاكوا عرضًا».

(وربما كان) ﷺ (يشرب بنفَس واحد حتىٰ يفرغ) قال العراقي[(٨)]: رواه أبو الشيخ[(٩)] من حديث زيد بن أرقم بإسناد ضعيف. وللحاكم من حديث أبي

(١) المغني ١/ ٦٥٨.
(٢) المعجم الكبير ٢٣/ ٣٣٣.
(٣) أخلاق النبي وآدابه ٣/ ٤١٢.
(٤) الطب النبوي ١/ ٤١٤.
(٥) شعب الإيمان ٨/ ١٤١.
(٦) الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ٢٧٥.
(٧) المراسيل ص ٧٤.
(٨) المغني ١/ ٦٥٩.
(٩) أخلاق النبي وآدابه ٣/ ٤٠٣.

قتادة وصحَّحه: «إذا شرب أحدكم فليشرب بنفَس واحد»[١]. ولعل تأويل هذين الحديثين علىٰ ترك التنفس في الإناء. والله أعلم.

(وكان) ﷺ **(لا يتنفس في الإناء)** أي[٢] في جوفه **(بل ينحرف عنه)** لأنه يغيِّر الماء إما لتغيُّر الفم بالمأكول: وإما لترك السواك، وإما لأن النفَس يصعد ببخار المعدة.

قال العراقي[٣]: روىٰ الحاكم[٤] من حديث أبي هريرة: «لا يتنفس أحدكم في الإناء إذا شرب منه، ولكن إذا أراد أن يتنفس فليؤخِّره عنه ثم يتنفس». وقال: حديث صحيح الإسناد.

قلت: وروىٰ ابن ماجه[٥] والطبراني[٦] من حديث ابن عباس: كان لا ينفخ في طعام ولا شراب، ولا يتنفَّس في الإناء.

وأما[٧] ما رُوِيَ عن ابن مسعود: كان إذا شرب تنفس في الإناء ثلاثًا، فمعناه أن يشرب ثم يزيله عن فمه ثم يتنفس ثم يشرب ثم يفعل كذلك ثم يشرب ثم يفعل كذلك.

(وكان) ﷺ **(يدفع فضل سؤره)** أي ما بقي من الشراب **(إلىٰ مَن علىٰ يمينه)**

(١) هذا الحديث ساقط من طبعة دار الحرمين، وهو في طبعة دار الكتب العلمية ٤/ ١٥٥.
(٢) فيض القدير ٥/ ١٩١.
(٣) المغني ١/ ٦٥٩.
(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٢٤٦.
(٥) سنن ابن ماجه ٥/ ٢٧.
(٦) المعجم الأوسط ٥/ ٢٢٠، وليس فيه (ولا يتنفس في الإناء).
(٧) أشرف الوسائل ص ٢٩١.

قال العراقي[١]: متفق عليه[٢] من حديث أنس.

قلت: ومن[٣] ثَم قال ﷺ: «الأيمن فالأيمن» أو «الأيمنون فالأيمنون»، واستُفيد منه تقديم الأيمن ندبًا ولو صغيرًا مفضولاً.

(فإن كان مَن علىٰ يساره أجلَّ رتبةً قال للذي علىٰ يمينه: السنَّة أن تعطَىٰ، فإن أحببتَ آثرتَهم) قال العراقي[٤]: متفق عليه[٥] من حديث سهل بن سعد.

قلت: ورُوي عن ابن عباس قال: دخلت مع رسول الله ﷺ أنا وخالد بن الوليد علىٰ ميمونة، فجاءتنا بإناء من لبن، فشرب رسول الله ﷺ، وأنا عن يمينه، وخالد عن شماله، فقال لي: «الشربة لك، فإن شئتَ آثرتَ بها خالدًا». فقلت: ما كنت أوثر علىٰ سؤرك أحدًا ... الحديث. رواه أبو داود[٦] والترمذي[٧] وابن ماجه[٨]، وقال الترمذي واللفظ له: هذا حديث حسن. وروىٰ النسائي هذا القدر المذكور.

---

(١) المغني ١/ ٦٥٨.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ١٦٢، ٢٢٩، ٤/ ١٧، ١٨. صحيح مسلم ٢/ ٩٧٤ - ٩٧٥. ولفظ إحدىٰ روايات البخاري: «حُلبت لرسول الله ﷺ شاة داجن، وهي في دارنا، وشيب لبنها بماء من البئر التي في دارنا، فأعطيت رسول الله ﷺ القدح، فشرب منه، حتىٰ إذا نزع القدح من فيه، وعلىٰ يساره أبو بكر، وعن يمينه أعرابي، فقال عمر وخاف أن يعطيه الأعرابي: أعط أبا بكر يا رسول الله عندك. فأعطاه الأعرابي الذي عن يمينه ثم قال: الأيمن فالأيمن».

(٣) أشرف الوسائل ص ٢٨٦.

(٤) المغني ١/ ٦٥٨.

(٥) صحيح البخاري ٢/ ١٦٢، ١٦٦، ١٩٣، ٢٣٧، ٢٣٨، ٤/ ١٩. صحيح مسلم ٢/ ٩٧٥. ولفظه: «أن رسول الله ﷺ أتي بشراب، فشرب منه، وعن يمينه غلام، وعن يساره أشياخ، فقال للغلام: أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟ فقال الغلام: لا والله لا أؤثر بنصيبي منك أحدا. فأعطاه إياه».

(٦) سنن أبي داود ٤/ ٢٧١.

(٧) سنن الترمذي ٥/ ٤٥٠.

(٨) سنن ابن ماجه ٥/ ١٠٨.

(وأُتي) ﷺ **(بإناء فيه عسل ولبن، فأبىٰ أن يشربه، وقال: شربتان في شربة وإداماان في إناء واحد؟! ثم قال** ﷺ: **لا أحرِّمه، ولكني أكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غدًا وأحب التواضع، فإن مَن تواضع لله رفعه الله)** قال العراقي[(١)]: رواه البزار[(٢)] من حديث طلحة بن عبيد الله دون قوله: شربتان في شربة ... الخ، وسنده ضعيف.

قلت: ورواه الطبراني في الأوسط[(٣)] والحاكم في المستدرك[(٤)] في الأطعمة من حديث أنس قال: أُتي النبي ﷺ بقَعْب فيه لبن وعسل، فأبىٰ أن يشربه وقال: «أُدُمانِ في إناء؟! لا آكله ولا أحرِّمه». قال الحاكم: صحيح. وردَّه الذهبي في التلخيص وقال: بل منكر واهٍ. وقال الهيثمي عقب عزوه للحاكم[(٥)] فيه: [محمد بن] عبد الكبير بن شعيب، لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. وقال الحافظ ابن حجر[(٦)]: في طريق الطبراني راوٍ مجهول.

وأما قوله «مَن تواضع لله رفعه» فرواه أبو نعيم في الحلية[(٧)] من حديث أبي هريرة. ورواه ابن النجار بزيادة: «ومَن اقتصد أغناه الله»[(٨)].

---

(١) المغني ١/ ٦٥٩.

(٢) مسند البزار ٣/ ١٦١، ولفظه: «تمشىٰ رسول الله ﷺ معنا بمكة وهو صائم، فأجهده الصوم، فحلبنا له ناقة لنا في قعب وصببنا عليه عسلا نكرم به رسول الله ﷺ عند فطره، فلما غابت الشمس ناولناه القعب، فلما ذاقه قال بيده كأنه يقول: ما هذا؟ قلنا: لبنا وعسلا أردنا أن نكرمك به. فقال: أكرمك الله بما أكرمتني. أو دعوة هذا معناها، ثم قال: من اقتصد أغناه الله، ومن بذَّر أفقره الله، ومن تواضع رفعه الله، ومن تجبر قصمه الله».

(٣) المعجم الأوسط ٧/ ٢٤٦.

(٤) المستدرك على الصحيحين ٤/ ٢٢٦.

(٥) كذا هنا، وهو سبق قلم، والصواب: للطبراني. مجمع الزوائد ٥/ ٤٠.

(٦) فتح الباري ٩/ ٤٨٥.

(٧) حلية الأولياء ٨/ ٤٦.

(٨) كنز العمال ٣/ ١١٣.

ورواه ابن منده وأبو نعيم[١] من حديث أوس بن خولي بزيادة: «ومَن تكبَّر وضعه الله».

ورواه[٢] أبو الشيخ من حديث معاذ بلفظ: «مَن تواضع تخشُّعًا لله رفعه الله».

وروىٰ تمام[٣] وابن عساكر[٤] من حديث ابن عمر في أثناء حديث: «إني قد أوحي إليَّ أن تواضعوا، ولا يبغي أحد علىٰ أحد، فمَن رفع نفسه وضعه الله، ومَن وضع نفسه رفعه الله ...» الحديث.

(وكان) ﷺ **(في بيته أشد حياءً من العاتق)** يقال[٥]: عَتَقت المرأةُ: خرجت عن خدمة أبويها وعن أن يملكها زوج، فهي عاتق، بلا هاء.

روىٰ الشيخان والترمذي من حديث أبي سعيد: كان أشد حياءً من العذراء في خِدرها. وقد تقدم.

(لا يسألهم طعامًا) يعتنيه **(ولا يتشهَّاه عليهم، إن أطعموه أكل، وما أعطوه)** وفي بعض النسخ: وما أطعموه **(قَبِل، وما سقوه شرب)** والمراد بعدم سؤاله إياهم طعاما يتشهَّاه لنفسه، وأما مطلق السؤال فقد ثبت. قال العراقي[٦]: روىٰ مسلم[٧] من حديث عائشة أنه قال لها ذات يوم: «هل عندكم شيء»؟ قالت: فقلت: ما عندنا شيء ... الحديث، وفيه: فلما رجع قلتُ: أُهديتْ لنا هدية. قال: «ما هو»؟ قلت:

---

(١) معرفة الصحابة ١/ ٣٠٢.

(٢) كنز العمال ٣/ ١١٣.

(٣) فوائد تمام ٣/ ٣٤٧.

(٤) تاريخ دمشق ٤/ ٨٠.

(٥) المصباح المنير ص ٣٩٢.

(٦) المغني ١/ ٦٥٩ - ٦٦٠.

(٧) صحيح مسلم ١/ ٥١٢.

حَيْس. قال: «هاتيه». وفي رواية: «قرِّبيه»[١]. وفي رواية للنسائي[٢]: «أصبح عندكم شيء تطعمينيه»؟ ولأبي داود[٣]: «هل عندكم طعام»؟ وللترمذي[٤]: «أعندكِ غَداء»؟ وفي الصحيحين[٥] من حديث عائشة: فدعا بطعام، فأُتي بخبز وأَدَم من أدم البيت، فقال: «ألم أرَ بُرمة على النار فيها لحم ...» الحديث. وفي رواية لمسلم: «لو صنعتم لنا من هذا اللحم ...» الحديث. فليس في قصة بريرة إلا الاستفهام والعرض، والحكمة فيه بيان الحكم لا التشهِّي. والله أعلم. وللشيخين[٦] من حديث أم الفضل أنها أرسلت إليه بقدح لبن وهو واقف على بعيره [بعرفة] فشربه. ولأبي داود[٧] من حديث أم هانئ: فجاءت الوليدة بإناء فيه شراب فناولته فشرب منه. وإسناده حسن.

(وكان) ﷺ **(ربما قام فأخذ ما يأكل أو يشرب بنفسه)** قال العراقي[٨]: روى أبو داود[٩] من حديث أم المنذر بنت قيس: دخل عليَّ رسولُ الله ﷺ ومعه علي، وعليٌّ ناقِه، ولنا دَوالٍ معلَّقة، فقام رسول الله ﷺ فأكل منها ... الحديث. وإسناده حسن. وللترمذي[١٠] وصحَّحه وابن ماجه[١١] من حديث كبشة: دخل عليَّ رسول الله ﷺ فشرب من في قربة معلَّقة قائمًا ... الحديث.

---

(١) في صحيح مسلم: أرينيه.
(٢) سنن النسائي ص ٣٦٤.
(٣) سنن أبي داود ٣/ ١٩١.
(٤) سنن الترمذي ٢/ ١٠٣.
(٥) صحيح البخاري ٣/ ٣٦٢، ٤٤١. صحيح مسلم ١/ ٧٠٣ - ٧٠٤.
(٦) صحيح البخاري ١/ ٥٠٩، ٢/ ٥٦، ٤/ ١٨. صحيح مسلم ١/ ٥٠١.
(٧) سنن أبي داود ٣/ ١٩١.
(٨) المغني ١/ ٦٦٠.
(٩) سنن أبي داود ٤/ ٣١٩.
(١٠) سنن الترمذي ٣/ ٤٦٠.
(١١) سنن ابن ماجه ٥/ ١٠٧.

بيان آدابه وأخلاقه ﷺ في اللباس

(كان ﷺ يلبس من الثياب ما وجد من إزار أو رِداء أو قميص أو جُبَّة أو غير ذلك) قال العراقي[١]: روىٰ الشيخان[٢] من حديث عائشة أنها أخرجت إزارًا ممَّا يُصنَع باليمن وكساء من هذه الملبَّدة فقالت: في هذا قُبض النبي ﷺ. وفي رواية: إزارًا غليظًا. ولهما[٣] من حديث أنس: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه رِداء نجراني غليظ الحاشية ... الحديث، لفظ مسلم، وقال البخاري: بُرْد نجراني. ولابن ماجه[٤] بسند ضعيف من حديث ابن عباس: كان رسول الله ﷺ يلبس قميصًا قصير اليدين والطول. ولأبي داود[٥] والترمذي[٦] - وحسَّنه - والنسائي[٧] من حديث أم سلمة: كان أحب الثياب إلىٰ رسول الله ﷺ القميص. ولأبي داود[٨] من حديث أسماء بنت يزيد: كانت يد كم قميص رسول الله ﷺ إلىٰ الرُّسْغ. وفيه شهر بن حوشب، مختلَف فيه. وتقدم قبل ذلك حديث الجُبَّة والشَّمْلة والحبرة.

قلت: ومن ذلك ما رواه الشيخان[٩] وأبو داود[١٠] والنسائي[١١] من حديث

---

(١) المغني ١/ ٦٦١.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٣٩٠. صحيح مسلم ٢/ ١٠٠١.

(٣) صحيح البخاري ٢/ ٤٠٤، ٤/ ٥٨، ١٠٨. صحيح مسلم ١/ ٤٦٦.

(٤) سنن ابن ماجه ٥/ ٢٠٣.

(٥) سنن أبي داود ٤/ ٣٨٩.

(٦) سنن الترمذي ٣/ ٣٦٥ - ٣٦٦.

(٧) السنن الكبرىٰ ٨/ ٤٢٥.

(٨) سنن أبي داود ٤/ ٣٩٠.

(٩) صحيح البخاري ٤/ ٥٩، صحيح مسلم ٢/ ١٠٠١.

(١٠) سنن أبي داود ٤/ ٤٠٤.

(١١) سنن النسائي ص ٨٠٠.

أنس: كان أحب الثياب إليه الحِبَرة.

ولفظ حديث ابن عباس عند ابن ماجه: كان يلبس قميصًا فوق الكعبين، مستوي الكُمَّين بأطراف أصابعه[١]. وقد أخرجه كذلك ابن عساكر في التاريخ[٢].

وروىٰ الحاكم[٣] من حديثه: كان قميصه فوق الكعبين، وكان كُمُّه مع الأصابع.

وروىٰ ابن سعد[٤] من مرسل يزيد بن أبي حبيب: كان يرخي الإزار من بين يديه ويرفعه من ورائه.

(وكان) ﷺ **(يعجبه الثياب الخضر)** أغفله العراقي. وقد روىٰ أبو الشيخ وأبو نعيم في الطب[٥] من حديث أنس: كان أحب الألوان إليه الخضرة. أي[٦] من الثياب وغيرها؛ لأن الخضرة من ثياب الجنة، قال ابن بطَّال[٧]: وكفىٰ به شرفًا موجِبًا للمحبة. ورواه كذلك البزار[٨].

وأخرج ابن عدي[٩] والبيهقي[١٠] عن قتادة قال: خرجنا مع أنس إلىٰ أرض،

---

(١) هذا اللفظ ليس عند ابن ماجه، وهو في معجم ابن الأعرابي ١/ ١٢٠، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب ١/ ٦٠٣، وتاريخ أصفهان لأبي نعيم ٢/ ٣٤٧.

(٢) تاريخ دمشق ٤/ ١٩٥.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٣١٥، وقال: صحيح الإسناد. وتعقبه الذهبي في التلخيص بقوله: فيه مسلم الملائي، تالف.

(٤) الطبقات الكبرىٰ ١/ ٣٩٥.

(٥) الطب النبوي ١/ ٣١٢.

(٦) فيض القدير ٥/ ٨٢.

(٧) شرح صحيح البخاري ٩/ ١٠٢، ونصه: «الثياب الخضر من لباس أهل الجنة، قال تعالىٰ: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ وكفىٰ بهذا شرفا للخضرة وترغيبا فيها».

(٨) مسند البزار ١٣/ ٤٥٨.

(٩) الكامل في الضعفاء ٣/ ١١٧٢.

(١٠) شعب الإيمان ٨/ ٣٤٢ من طريق ابن عدي، وعندهما: «خرجنا مع أنس إلىٰ أرض يقال =

فقيل: ما أحسن هذه الخضرة! فقال أنس: كنا نتحدَّث أن أحب الألوان إلىٰ النبي ﷺ الخضرة.

(وكان) ﷺ **(أكثر لباسه البياض، ويقول: ألبِسوها أحياءكم، وكفِّنوا فيها موتاكم)** قال العراقي[١]: رواه ابن ماجه[٢] والحاكم[٣] من حديث ابن عباس: «خير ثيابكم البيض، فألبِسوها أحياءكم، وكفِّنوا فيها موتاكم». قال الحاكم: صحيح الإسناد. وله[٤] ولأصحاب السنن[٥] من حديث سمرة: «عليكم بهذه الثياب البياض، فليلبسها أحياؤكم، وكفِّنوا فيها موتاكم». لفظ الحاكم وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين. وقال الترمذي: حسن صحيح.

قلت: حديث ابن عباس أخرجه أيضًا الطبراني[٦] بتقديم وتأخير وزيادة: «وخير أكحالكم الإثمد، يُنبِت الشعر، ويجلو البصرَ». وحديث سمرة أخرجه كذلك أحمد[٧] وابن سعد[٨] والروياني[٩] والطبراني[١٠] والبيهقي[١١] والضياء بزيادة: «فإنها من خير ثيابكم».

= لها الزاوية، فقال حنظلة السدوسي: ما أحسن ...» الخ. قال ياقوت في معجم البلدان ٣/ ١٢٨: «الزاوية: موضع قرب المدينة، فيه كان قصر أنس بن مالك، وهو علىٰ فرسخين من المدينة».

(١) المغني ١/ ٦٦١.

(٢) سنن ابن ماجه ٣/ ٣١، ٥/ ١٨٠.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٥٠٠، ٤/ ٣٠٣.

(٤) السابق ١/ ٥٠١، ٤/ ٣٠٢ - ٣٠٣.

(٥) سنن الترمذي ٤/ ٥٠٢. سنن النسائي ص ٨٠٠ - ٨٠١. سنن ابن ماجه ٥/ ١٩٦.

(٦) المعجم الكبير ١٢/ ٤٥.

(٧) مسند أحمد ٣٣/ ٢٩٧، ٣١٨، ٣٢٧، ٣٨٢.

(٨) الطبقات الكبرىٰ ١/ ٣٨٦.

(٩) مسند الروياني ٢/ ٤٥.

(١٠) المعجم الكبير ٧/ ٢٨٤.

(١١) السنن الكبرىٰ ٣/ ٥٦٥.

(وكان) ﷺ **(يلبس القباء المحشو)** بالقطن أو الصوف **(وغير المحشو)** قال العراقي[(١)]: روىٰ الشيخان[(٢)] من حديث المسور بن مخرمة أن النبي ﷺ قدمتْ عليه أقبية من ديباج مزرَّر بالذهب ... الحديث. وليس في طرق الحديث لبسها إلا في طريق علَّقها البخاري قال: فخرج وعليه قباء من ديباج مزرَّر بالذهب ... الحديث. ولمسلم[(٣)] من حديث جابر: لبس النبيُّ ﷺ يومًا قباء من ديباج أُهدي له، ثم نزعه ... الحديث.

(وكان) ﷺ **(له قباء سندس فيلبسه فتحسُن خضرتُه علىٰ بياض لونه)** قال العراقي[(٤)]: روىٰ أحمد[(٥)] من حديث أنس: أن أكيدر دومة أهدىٰ إلىٰ النبي ﷺ جُبَّة سندس أو ديباج قبل أن ينهىٰ عن الحرير، فلبسها. والحديث في الصحيحين[(٦)]، وليس فيه أنه لبسها، وقال فيه: وكان ينهىٰ عن الحرير. وعند الترمذي[(٧)] - وصحَّحه - والنسائي[(٨)] أنه لبسها، ولكنه قال: بجُبَّة ديباج منسوجة فيها الذهب.

(وكانت ثيابه) ﷺ **(كلها مشمَّرة فوق الكعبين، ويكون الإزار فوق ذلك إلىٰ نصف الساق)** قال العراقي[(٩)]: روىٰ أبو الفضل محمد بن طاهر في كتاب صفوة التصوف[(١٠)] من حديث عبد الله بن بسر: كانت ثياب رسول الله ﷺ إزاره

---

(١) المغني ١/ ٦٦٢.
(٢) صحيح البخاري ٢/ ٢٥٢، ٤/ ٦٧، ١١٥. صحيح مسلم ١/ ٤٦٦.
(٣) صحيح مسلم ٢/ ٩٩٨.
(٤) المغني ١/ ٦٦٢.
(٥) مسند أحمد ٢٠/ ٣٩٥، ٢١/ ١٢٣.
(٦) صحيح البخاري ٢/ ٢٤٠ - ٢٤١، ٤٣٣. صحيح مسلم ٢/ ١١٥٢ - ١١٥٣.
(٧) سنن الترمذي ٣/ ٣٣٨.
(٨) سنن النسائي ص ٧٩٨.
(٩) المغني ١/ ٦٦٢ - ٦٦٣.
(١٠) صفوة التصوف ص ٢٢٧.

فوق الكعبين، وقميصه فوق ذلك، ورِداؤه فوق ذلك. وإسناده ضعيف. وللحاكم وصحَّحه من حديث ابن عباس: كان يلبس قميصًا فوق الكعبين ... الحديث. وهو عند ابن ماجه بلفظ: قميصًا قصير اليدين والطول. وسندهما ضعيف[١]. وللترمذي في الشمائل[٢] من رواية الأشعث قال: سمعت عمتي تحدِّث عن عمِّها ... فذكر النبي ﷺ. وفيه: فإذا إزاره إلىٰ نصف ساقيه. ورواه النسائي[٣] وسمَّىٰ الصحابي: عبيد بن خالد، واسم عمة الأشعث: رهم بنت الأسود، ولا تُعرَف.

قلت: عبيد[٤] بن خالد السُّلَمي البَهْزي، وقيل: عُبَيدة، وقيل: عبد، شهد صِفين مع علي، قال له النبي ﷺ: «لو رفعت إزارك كان أبقىٰ وأنقىٰ». قاله شيبان النحوي عن أشعث بن أبي الشعثاء عن عمته عن عبيد، قال خليفة[٥]: كنيته أبو عبد الله، من ساكني الكوفة، أدرك زمن الحجاج. وقال ابن أبي حاتم[٦]: اسمه عبيدة.

(وكان) ﷺ (قميصه مشدود الأزرار، وربما حلَّ الأزرار في الصلاة وغيرها) قال العراقي[٧]: رواه أبو داود[٨] وابن ماجه[٩] والترمذي في الشمائل[١٠] من رواية

---

(١) وتقدما قريبا.

(٢) الشمائل المحمدية ص ٥٦.

(٣) السنن الكبرىٰ ٨/ ٤٢٩.

(٤) خلط الشارح في هذه الترجمة بين عبيد بن خالد السلمي وعبيد بن خالد المحاربي، فصاحب حديث الإزار هو المحاربي. انظر: الإصابة ٦/ ٣٥٨. تهذيب التهذيب ٣/ ٣٥. الاستيعاب ١/ ٦١٠، ٦١٣.

(٥) طبقات خليفة بن خياط ص ٥٢.

(٦) الجرح والتعديل ٦/ ٩٠ - ٩١.

(٧) المغني ١/ ٦٦٣.

(٨) سنن أبي داود ٤/ ٤١٣.

(٩) سنن ابن ماجه ٥/ ٢٠٤.

(١٠) الشمائل المحمدية ص ٣٤.

معاوية بن قرَّة بن إياس [عن أبيه] قال: أتيت النبيَّ ﷺ في رهط من مُزَينة فبايعناه وإن قميصه لَمطلق الأزرار. وللبيهقي[١] من رواية زيد بن أسلم قال: رأيت ابن عمر يصلي محلولة أزراره، فسألته عن ذلك، فقال: رأيت رسول الله ﷺ يفعله. وفي العلل[٢] للترمذي أنه سأل البخاري عن هذا الحديث فقال: أنا أتَّقي هذا الشيخ، كأنَّ حديثه موضوع. يعني زهير بن محمد راويه عن زيد بن أسلم. قلت: تابعه عليه الوليد بن مسلم عن زيد، رواه ابن خزيمة في صحيحه[٣].

قلت: وجدت بخط الشمس الداودي: كذا في الأصل[٤]، والوليد لم يلحق زيد بن أسلم، وإنما رواه عن زهير بن محمد أيضًا، كذا في أصل ابن خزيمة في كتاب الصلاة. ا.هـ. وبخط الشمس الشامي[٥] تحته: وكذا أخرجه ابن حبان[٦] والحاكم[٧] من الوجه الذي أخرجه منه ابن خزيمة، وكذا أخرجه البيهقي، وكذا في مسند البزار[٨] وغيره.

قال العراقي: وللطبراني[٩] من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف: دخلت علىٰ رسول الله ﷺ وهو يصلي محتبيًا محلل الأزرار.

(وكانت له) ﷺ **(مِلحفة)** بكسر الميم: الملاءة تلتحف بها المرأة **(مصبوغة**

---

(١) السنن الكبرىٰ ٢/ ٣٤٠.

(٢) العلل الكبير ص ٣٨١.

(٣) صحيح ابن خزيمة ١/ ٣٨٢.

(٤) أي أصل العراقي من تخريجه الكبير علىٰ الإحياء، والله أعلم.

(٥) محمد بن علي بن يوسف الشامي (ت: ٦٠٠ج) صاحب السيرة المشهورة.

(٦) صحيح ابن حبان ١٢/ ٢٦٧ - ٢٦٨.

(٧) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٣٦٨.

(٨) كشف الأستار عن زوائد البزار ١/ ٨٠.

(٩) المعجم الكبير ١١/ ١٥٢.

بالزعفران، وربما صلىٰ بالناس فيها وحدها) قال العراقي[١]: روىٰ أبو داود والترمذي[٢] من حديث قَيْلة بنت مَخرمة قالت: رأيت النبي ﷺ وعليه أسمال ملاءتين كانتا بزعفران. قال الترمذي: لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن حسان. قلت: ورواته موثَّقون. ولأبي داود[٣] من حديث قيس بن سعد: فاغتسل، ثم ناوله أبي سعد ملحفة مصبوغة بزعفران أو وَرْس فاشتمل بها ... الحديث، ورجاله ثقات.

قلت: وروىٰ الخطيب في تاريخه[٤] في ترجمة نوح القومسي من حديث أنس: كان له ملحفة مصبوغة بالوَرْس والزعفران يدور بها علىٰ نسائه، فإذا كانت ليلة هذه رشَّتها بالماء، وإذا كانت ليلة هذه رشَّتها بالماء. وسنده ضعيف. والورس[٥]: نبت أصفر يُزرَع باليمن ويُصبَغ به، أو المراد صنف من الكُركم أو يشبهه، وفيه حِلُّ لبس المزعفر والمورَّس، وفيه اختلاف عند العلماء.

(وربما لبس) ﷺ (الكساء وحده ما عليه غيره) قال العراقي[٦]: رواه ابن ماجه[٧] وابن خزيمة[٨] من حديث ثابت بن الصامت: أن النبي ﷺ صلىٰ في بني عبد الأشهل وعليه كساء متلفِّف به ... الحديث. وفي رواية البزار: في كساء.

(وكان له) ﷺ (كساء ملبَّد يلبسه) قال العراقي[٩]: روىٰ الشيخان من رواية

---

(١) المغني ١/ ٦٦٤.

(٢) سنن الترمذي ٤/ ٥٠٦.

ولم أقف علىٰ هذا المتن عند أبي داود.

(٣) سنن أبي داود ٥/ ٤٢٦.

(٤) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٣٩.

(٥) فيض القدير ٥/ ١٧٩.

(٦) المغني ١/ ٦٦٤.

(٧) سنن ابن ماجه ٢/ ٢٥٤.

(٨) صحيح ابن خزيمة ١/ ٣٣٦.

(٩) المغني ١/ ٦٦٤.

أبي بُرْدة قال: أخرجت إلينا عائشة كساء ملبَّدًا وإزارًا غليظًا فقالت: في هذين قُبض رسول الله ﷺ. وقد تقدم.

(**ويقول: إنما أنا عبد، ألبس كما يلبس العبد**) رواه البخاري من حديث عمر: «إنما أنا عبد». ولعبد الرزاق في المصنَّف من رواية أيوب السختياني مرفوعًا معضلاً: «إنما أنا عبد، آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد». وتقدم من حديث أنس وابن عمر وعائشة متصلاً. قاله العراقي.

قلت: وروىٰ تمام وابن عساكر من حديث ابن عمر: «مَن لبس الصوف وانتعل بمخصوف ...» الحديث، وفيه: «أنا عبد ابن عبد، آكل أكلة العبد، وأجلس جلسة العبد ... الحديث[1].

(**وكان له**) ﷺ (**ثوبان لجمعته خاصةً سوىٰ ثيابه في غير الجمعة**) قال العراقي[2]: رواه الطبراني في الصغير[3] والأوسط[4] من حديث عائشة بسند ضعيف، زاد: فإذا انصرف طويناهما إلىٰ مثله. ويردُّه حديثُ عائشة عند ابن ماجه: ما رأيته يسبُّ أحدًا، ولا يُطوَىٰ له ثوب.

قلت: ويمكن الجمع بينهما بأن يُستثنَىٰ، أي غير ثوبَي الجمعة، وسيأتي أنه كان له بُرد أخضر للجمعة خاصةً.

(**وربما لبس**) ﷺ (**الإزار الواحد ليس عليه غيره، ويعقد طرفيه بين كتفيه**) قال العراقي[5]: روىٰ الشيخان[6] من حديث عمر في حديث اعتزاله أهله: فإذا عليه

---

(١) هذا جزء من الحديث الذي مر قريبا بلفظ: إنه قد أوحي إليّ أن تواضعوا ... الخ.

(٢) المغني ١/ ٦٦٥.

(٣) المعجم الصغير ١/ ٢٥٩.

(٤) المعجم الأوسط ٤/ ٢٤.

(٥) المغني ١/ ٦٦٥.

(٦) هذا اللفظ عند مسلم ١/ ٦٨١ فقط، وليس عند البخاري.

إزاره، وليس عليه غيره. وللبخاري[١] من رواية محمد بن المنكدر[٢]: صلىٰ بنا جابر في إزار قد عقده من قِبَل قفاه، وثيابه موضوعة علىٰ المشجب. وفي رواية له: وهو يصلي في ثوب ملتحفًا به، ورِداؤه موضوع. وفيه: رأيت النبي ﷺ يصلي هكذا.

(**وربما أَمَّ به الناسَ علىٰ الجنائز**) قال العراقي[٣]: لم أقف عليه.

(**وربما صلىٰ في بيته في الإزار الواحد ملتحفًا به، مخالفًا بين طرفيه**) يدل له حديثُ جابر السابق قبله (**ويكون ذلك الإزار الذي جامع فيه يومئذٍ**) قال العراقي[٤]: روىٰ أبو يعلىٰ[٥] بإسناد حسن من حديث معاوية قال: دخلت علىٰ أم حبيبة زوج النبي ﷺ، فرأيت النبي ﷺ يصلي في ثوب واحد، فقلت: يا أم حبيبة، أيصلي النبي ﷺ في الثوب الواحد؟ قالت: نعم، وهو الذي كان فيه ما كان. تعني الجماع. ورواه الطبراني في الأوسط[٦].

(**وكان**) ﷺ (**ربما صلىٰ بالليل في الإزار ويرتدي ببعض الثوب ممَّا يلي هدبه ويلقي البقية علىٰ بعض نسائه فيصلي كذلك**) قال العراقي[٧]: روىٰ أبو داود[٨] من حديث عائشة: أن النبي ﷺ صلىٰ في ثوب بعضُه عليَّ. ولمسلم[٩]: كان يصلي من

---

(١) صحيح البخاري ١/ ١٣٤، ١٣٩.

(٢) رواية ابن المنكدر: صلىٰ جابر. وقوله: صلىٰ بنا. فهي عند مسلم ن طريق جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي بن حسين.

(٣) المغني ١/ ٦٦٥.

(٤) السابق ١/ ٦٦٥ - ٦٦٦.

(٥) مسند أبي يعلىٰ ١٣/ ٦١، ٣٦٤.

(٦) المعجم الأوسط ٦/ ٢٢٦.

(٧) المغني ١/ ٦٦٦.

(٨) سنن أبي داود ١/ ٤٤٤.

(٩) صحيح مسلم ١/ ٢٣٣.

الليل وأنا إلىٰ جنبه وأنا حائض وعليَّ مِرْط، وعليه بعضه إلىٰ جنبه. وللطبراني في الأوسط[١] من حديث أبي عبد الرحمن حاضن عائشة: رأيت النبي ﷺ وعائشة يصلِّيان في ثوب واحد نصفه علىٰ النبي ﷺ ونصفه علىٰ عائشة. وسنده ضعيف.

(ولقد كان له) ﷺ (كساء أسود، فوهبه) لآخر (فقالت له أم سلمة) رضي الله عنها: (بأبي أنت وأمي) يا رسول الله (ما فعل ذلك الكساء الأسود؟ فقال: كسوتُه. فقالت: ما رأيت شيئًا قط كان أحسن من بياضك علىٰ سواده) قال العراقي[٢]: لم أقف عليه من حديث أم سلمة. ولمسلم[٣] من حديث عائشة: خرج النبي ﷺ وعليه مِرط مرحَّل [من شعر] أسود. ولأبي داود[٤] والنسائي[٥]: صُنعت للنبي ﷺ بُردة سوداء من صوف فلبسها ... الحديث. وزاد فيه ابن سعد في الطبقات[٦]: فذكرت بياض النبي ﷺ وسوادها. ورواه الحاكم[٧] بلفظ «جُبَّة» وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين.

(وقال أنس) رضي الله عنه: (ربما رأيته) ﷺ (يصلي بنا الظهر في شَمْلة عاقدًا بين طرفيها) قال العراقي[٨]: رواه البزار[٩] وأبو يعلىٰ[١٠] بلفظ: صلىٰ في ثوب واحد

---

(١) المعجم الأوسط ٦/ ٢٨.

(٢) المغني ١/ ٦٦٦.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ١٠٠٢، ١١٣٦.

(٤) سنن أبي داود ٤/ ٤١٠.

(٥) السنن الكبرىٰ ٨/ ٣٩٠، ٤٢٢. وتمام الحديث: «فلما عرق فوجد ريح الصوف طرحها، وكان يحب الريح الطيبة».

(٦) الطبقات الكبرىٰ ١/ ٣٩٠.

(٧) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٣٠٧.

(٨) المغني ١/ ٦٦٧.

(٩) مسند البزار ١٣/ ١٠٨، وليس فيه (قد خالف بين طرفيه).

(١٠) مسند أبي يعلىٰ ٧/ ٩٢.

قد خالف بين طرفَيْه. وللبزار[١]: خرج في مرضه الذي مات فيه مرتديًا بثوب قطن فصلىٰ بالناس. وإسنادهما صحيح. ولابن ماجه[٢] من حديث عُبادة بن الصامت: صلىٰ في شملة قد عقد عليها. وفي كامل ابن عدي[٣]: قد عقدها هكذا، وأشار سفيان إلىٰ قفاه. وفي جزء ابن الغِطريف: فعقدها في عنقه، ما عليه غيرها. وإسناده ضعيف.

(وكان) ﷺ (يتختَّم) رواه الشيخان[٤] من حديث ابن عمر وأنس. قاله العراقي[٥]. ولفظهما: كان يتختَّم في يمينه. وكذلك رواه الترمذي[٦] عن ابن عمر. ورواه مسلم والنسائي[٧] عن أنس. ورواه أحمد[٨] والترمذي[٩] وابن ماجه[١٠] من حديث عبد الله بن جعفر. ورواه ابن عدي[١١] عن ابن عمر بزيادة: ثم حوَّله في يساره. وكذلك رواه ابن عساكر عن عائشة. وروىٰ مسلم عن أنس: كان يتختَّم في يساره. وكذلك رواه أبو داود[١٢] عن ابن عمر. وعند الطبراني[١٣] من حديث عبد الله بن جعفر: كان يتختَّم بالفضة.

(وربما خرج) ﷺ (وفي خاتمه خيط مربوط يتذكَّر به الشيء) قال العراقي[١٤]:

---

(١) مسند البزار ١٣/ ١٩٦.

(٢) سنن ابن ماجه ٥/ ١٨٨.

(٣) الكامل في الضعفاء ١/ ٤٠٥.

(٤) صحيح البخاري ٤/ ٦٨ - ٧٠. صحيح مسلم ٢/ ١٠٠٥ - ١٠٠٧.

(٥) المغني ١/ ٦٦٧.

(٦) سنن الترمذي ٣/ ٣٥٢.

(٧) سنن النسائي ص ٧٨٥.

(٨) مسند أحمد ٣/ ٢٧٥، ٢٨٢.

(٩) سنن الترمذي ٣/ ٣٥٤.

(١٠) سنن ابن ماجه ٥/ ٢٤٢.

(١١) الكامل في الضعفاء ٣/ ١١١١.

(١٢) سنن أبي داود ٤/ ٤٧٠ - ٤٧١.

(١٣) المعجم الكبير ١٤/ ١٦٣.

(١٤) المغني ١/ ٦٦٧.

رواه ابن عدي[١] من حديث واثلة بسند ضعيف: كان إذا أراد الحاجة أوثق في خاتمه خيطًا. وزاد الحارث بن أبي أسامة في مسنده[٢] من حديث ابن عمر: ليذكره به. وسنده ضعيف.

قلت: حديث ابن عمر هذا أخرجه أبو يعلىٰ من طريق سالم بن عبد الأعلىٰ أبي الفيض عن نافع عنه: أن النبي ﷺ كان إذا أشفق من الحاجة أن ينساها ربط في أصبعه خيطًا ليذكرها[٣]. وكذا هو في رابع الخلعيات، وسالم ضعيف جدًّا. وقال الدارقطني في الأفراد[٤] أنه تفرَّد به. ورواه ابن سعد في الطبقات[٥] والحكيم الترمذي في النوادر[٦] بلفظ: كان إذا أشفق من الحاجة ينساها ربط في خِنصره أو خاتمه الخيطَ. ويُروَىٰ عن رافع بن خديج قال: رأيت في يد النبي ﷺ خيطًا، فقلت: ما هذا؟ قال: «أستذكر به». رواه الدارقطني في الأفراد[٧] وقال[٨]: تفرَّد به غياث بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن الحارث بن عيَّاش بن أبي ربيعة عن سعيد المقبري عنه.

(وكان) ﷺ (يختم به على الكتب) روىٰ[٩] الشيخان[١٠] من حديث أنس: لمَّا أراد النبي ﷺ أن يكتب إلىٰ الروم قالوا: إنهم لا يقرأون كتابًا إلا مختومًا. فاتخذ

---

(١) الكامل في الضعفاء ٢/ ٤٤٦.

(٢) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ١/ ١٩١.

(٣) ورواه من هذا الطريق أيضا العقيلي في الضعفاء الكبير ٢/ ٥٢١.

(٤) أطراف الغرائب والأفراد ١/ ٥٦٩.

(٥) الطبقات الكبرىٰ ١/ ٣٣٣.

(٦) نوادر الأصول ص ٤٩.

(٧) وكذلك الطبراني في المعجم الكبير ٤/ ٢٨٢، وابن عدي في الكامل ٦/ ٢٣٧٢.

(٨) أطراف الغرائب والأفراد ١/ ٣٨٤.

(٩) المغني للعراقي ١/ ٦٦٧ - ٦٦٨.

(١٠) صحيح البخاري ١/ ٤٠، ٢/ ٣٤٢، ٤/ ٧٠، ٤/ ٣٣٣. صحيح مسلم ٢/ ١٠٠٦.

خاتمًا من فضة ... الحديث. وللنسائي[١] والترمذي في الشمائل[٢] من حديث ابن عمر: اتخذ خاتمًا من فضة، فكان يختم به ولا يلبسه. وسنده صحيح.

(ويقول: **الخاتم علىٰ الكتاب خير من التهمة**) قال العراقي[٣]: لم أقف له علىٰ أصل.

(**وكان**) ﷺ (**يلبس القلانس**) جمع قَلَنْسُوة، فَعَنْلُوة بفتح العين وسكون النون (**تحت العمائم**) جمع عِمامة (و) تارةً يلبسها (**بغير عمامة**) والظاهر[٤] أنه كان يفعل ذلك في بيته، وأما إذا ظهر للناس فالظاهر أنه كان لا يخرج إلا بعمامة فوق القلنسوة (**وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلي إليها**) الظاهر أنه كان يفعل ذلك عند عدم تيسُّر ما يستتر به، أو بيانًا للجواز.

قال العراقي[٥]: رواه الطبراني[٦] وأبو الشيخ[٧] والبيهقي في الشعب[٨] من حديث ابن عمر: كان رسول الله ﷺ يلبس قلنسوة بيضاء. ولأبي الشيخ[٩] من حديث ابن عباس: كان لرسول الله ﷺ ثلاث قلانس: قلنسوة بيضاء مضرية، وقلنسوة بُرد حِبَرة، وقلنسوة ذات آذان يلبسها في السفر، وربما وضعها بين يديه

---

(١) سنن النسائي ص ٧٨٨، ٧٩٦.

(٢) الشمائل المحمدية ص ٤٤.

(٣) المغني ١/ ٦٦٨.

(٤) فيض القدير ٥/ ٢٤٦ - ٢٤٧.

(٥) المغني ١/ ٦٦٨.

(٦) المعجم الكبير ١٣/ ٢٠٤.

(٧) أخلاق النبي وآدابه ٢/ ٢٠٥.

(٨) شعب الإيمان ٨/ ٢٩٤.

(٩) أخلاق النبي وآدابه ٢/ ٢١١.

إذا صلىٰ. وإسنادهما ضعيف. ولأبي داود[١] والترمذي[٢] من حديث رُكانة: «فرقُ ما بيننا وبين المشركين العمائم علىٰ القلانس». قال الترمذي: غريب وليس إسناده بالقائم.

قلت: وحديث ابن عباس أخرجه أيضًا الروياني وابن عساكر[٣] بلفظ: «كان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير العمائم، ويلبس العمائم بغير قلانس، وكان يلبس القلانس اليمانية وهي البِيض المُضَرية، ويلبس ذوات الآذان في الحرب، وكان ربما نزع قلنسوته فجعلها سترته بين يديه وهو يصلي.

وحديث ابن عمر الذي أورده أولاً تفرَّد به عبد الله بن خراش، وهو ضعيف.

وقال[٤] العراقي في شرح الترمذي: أجود إسناد في القلانس ما رواه أبو الشيخ[٥] عن عائشة: كان يلبس القلانس في السفر ذوات الآذان، وفي الحضر المشمرة، يعني الشامية.

(وربما لم تكن العمامة فيشد العصابة علىٰ رأسه وعلىٰ جبهته) قال العراقي[٦]: رواه البخاري[٧] من حديث ابن عباس: صعد النبي ﷺ المنبر وقد عصب رأسه بعصابة دسماء[٨]... الحديث.

---

(١) سنن أبي داود ٤/ ٤١١.

(٢) سنن الترمذي ٣/ ٣٨٠.

(٣) هذا الحديث غير موجود في النسخة المطبوعة من تاريخ دمشق، وهو في المختصر لابن منظور ٢/ ٣٦٤.

(٤) فيض القدير ٥/ ٢٤٦.

(٥) أخلاق النبي وآدابه ٢/ ٢٠٩.

(٦) المغني ١/ ٦٦٨.

(٧) صحيح البخاري ١/ ٢٩٣، ٢/ ٥٣٥، ٣/ ٤٣.

(٨) أي سوداء.

(وكانت له) ﷺ **(عمامة تسمَّىٰ: السحاب، فوهبها من علي)** رضي الله عنه **(فربما طلع علي فيها فيقول** ﷺ**: أتاكم علي في السحاب)** قال العراقي[١]: رواه ابن عدي[٢] وأبو الشيخ[٣] من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جده، وهو مرسل ضعيف جدًّا. ولأبي نعيم في دلائل النبوة من حديث عمر في أثناء حديث: عمامته السحاب ... الحديث.

قلت: ومن هنا اشتبه علىٰ الرافضة فزعموا أن المراد بالسحاب الذي في السماء فقالوا: هو حي ورُفع في السحاب. وهذا من ضلالهم وجهلهم بالسنَّة.

(وكان) ﷺ **(إذا لبس ثوبًا)** أي إذا أراد لبسه **(يلبسه من قِبَل ميامنه)** قال العراقي[٤]: رواه الترمذي[٥] من حديث أبي هريرة، ورجاله رجال الصحيح، وقد اختُلف في رفعه.

قلت: الميامن[٦] جمع مَيمنة، والمراد بها هنا جهة اليمين. وقال الهروي: أي كان يُخرِج يدَه اليمنىٰ من الثوب. وقال الطيبي[٧]: بميامنه: أي بجانب يمينه. أي فيُندَب التيامن في اللبس. ولفظ الترمذي: كان إذا لبس قميصًا بدأ بميامنه. ورواه أيضًا النسائي[٨] في الزينة بنحوه.

(ويقول: الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمَّل به في الناس) قال

---

(١) المغني ١/ ٦٦٩.
(٢) الكامل في الضعفاء ٦/ ٢٣٨٦.
(٣) أخلاق النبي وآدابه ٢/ ١٩٧.
(٤) المغني ١/ ٦٦٩.
(٥) سنن الترمذي ٣/ ٣٦٧.
(٦) فيض القدير ٥/ ١٥٩.
(٧) شرح مشكاة المصابيح ٩/ ٢٨٩٧.
(٨) السنن الكبرىٰ ٨/ ٤٢٥.

العراقي[١]: رواه الترمذي[٢] - وقال: غريب - وابن ماجه[٣] والحاكم[٤] وصحَّحه من حديث عمر بن الخطاب.

قلت: رووه من حديث أبي أمامة قال: لبس عمر بن الخطاب ثوبًا جديدًا فقال: الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمَّل به في حياتي. ثم [عمد إلىٰ الثوب الذي أخلق فتصدَّق به ثم] قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن لبس ثوبًا جديدًا فقال: الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمَّل به في حياتي، ثم عمد إلىٰ الثوب الذي أخلق فتصدَّق به كان في كنف الله وفي حفظ الله وفي ستر الله حيًّا وميتًا». هذا لفظ الترمذي، ففي الإسناد رواية صحابي عن صحابي. وقد رواه كذلك أبو بكر ابن أبي شيبة[٥] وابن السني في عمل يوم وليلة[٦] والطبراني في الدعاء[٧] كلهم من حديث عمر.

وروىٰ ابن السني[٨] من حديث معاذ بن أنس رفعه: «مَن لبس ثوبًا فقال: الحمد لله الذي كساني هذا [الثوب] ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة، غُفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر».

(**وإذا نزع ثوبه أخرجه من مياسره**) جمع ميسرة، ضد الميمنة. قال العراقي[٩]:

---

(١) المغني ١/ ٦٦٩.
(٢) سنن الترمذي ٥/ ٥٢٤.
(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ١٩١.
(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٣١٢.
(٥) مصنف ابن أبي شيبة ٨/ ٣٣٠، ٩/ ٥٨٩.
(٦) عمل اليوم والليلة ص ١٧٥.
(٧) الدعاء ص ٩٧٧ - ٩٧٨.
(٨) عمل اليوم والليلة ص ١٧٥، وليس فيه (وما تأخر).
(٩) المغني ١/ ٦٦٩.

رواه أبو الشيخ[١] من حديث ابن عمر: كان إذا لبس شيئًا من الثياب بدأ بالأيمن، وإذا نزع بدأ بالأيسر. وله[٢] من حديث أنس: كان إذا ارتدىٰ أو ترجَّل أو انتعل بدأ بيمينه، وإذا خلع بدأ بيساره. وسندهما ضعيف. وهو في الانتعال في الصحيحين[٣] من حديث أبي هريرة من قوله لا من فعله.

قلت: فيُندَب التياسُر في النزع كما يُندَب التيامُن في اللبس. ومعنىٰ «أخرجه من مياسره»: أي أخرج اليد اليسرىٰ من الثوب.

(وكان له) ﷺ **(ثوب لجمعته خاصةً سوىٰ ثيابه لغير الجمعة)** قال العراقي[٤]: تقدَّم قريبًا بلفظ «ثوبين».

قلت: روىٰ البيهقي[٥] من حديث جابر: كان له بُرد يلبسه في العيدين والجمعة. وفي رواية: أخضر. وفي رواية: كان يلبس برده الأحمر في العيدين والجمعة. ورواه ابن خزيمة في صحيحه[٦] من غير ذِكر الأحمر.

وأخذ منه الإمام الرافعي[٧] أنه يُسَن للإمام يوم الجمعة أن يزيد في حسن الهيئة واللباس ويتعمَّم ويرتدي.

وروىٰ الخطيب[٨] من حديث أنس: كان إذا استجدَّ ثوبًا لبسه يوم الجمعة.

---

(١) أخلاق النبي وآدابه ٤/ ١٣٥.

(٢) السابق ٤/ ١٣٣.

(٣) صحيح البخاري ٤/ ٦٦. صحيح مسلم ٢/ ١٠٠٨. ولفظ البخاري: «إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمين، وإذا انتزع فليبدأ بالشمال، لتكن اليمنىٰ أولهما تنعل وآخرهما تنزع». وفي رواية مسلم بدل الجملة الأخيرة: «ولينعلهما جميعا أو ليخلعهما جميعا».

(٤) المغني ١/ ٦٧٠.

(٥) السنن الكبرىٰ ٣/ ٣٥٠، ٣٩٧.

(٦) صحيح ابن خزيمة ٣/ ١٣٢ بلفظ: «كانت للنبي ﷺ جبة يلبسها في العيدين ويوم الجمعة».

(٧) فتح العزيز ٢/ ٣١٤.

(٨) تاريخ بغداد ٥/ ٢٢٥.

(وكان) ﷺ **(إذا لبس)** ثوبًا **(جديدًا أعطىٰ خلق ثيابِه مسكينًا ثم يقول: ما من مسلم يكسو مسلمًا من سمل ثيابه لا يكسوه إلا لله إلا كان في ضمان الله وحِرزه وخيره ما واراه حيًّا وميتًا)** قال العراقي[١]: رواه الحاكم في المستدرك[٢] والبيهقي في الشعب[٣] من حديث عمر قال: رأيت رسول الله ﷺ دعا بثيابه فلبسها، فلما بلغ تراقيه قال: «الحمد لله الذي كساني ما أتجمَّل به في حياتي وأواري به عورتي». ثم قال: «ما من مسلم يلبس ثوبًا جديدًا ...» الحديث دون ذِكر تصدُّقه ﷺ بثيابه. قال البيهقي: إسناده غير قوي. وهو عند الترمذي وابن ماجه دون ذِكر لبس النبي ﷺ لثيابه، وهو أصح، وقد تقدم.

قلت: رویٰ الترمذي[٤] - وقال: حسن غريب - من حديث ابن عباس: «ما من مسلم كسا مسلمًا ثوبًا إلا كان في حفظ من الله ما دام عليه منه خرقة». وهو عند ابن النجار [بلفظ]: «مَن كسا مسلمًا ثوبًا كان في حفظ من الله عَزَّوَجَلَّ ما بقي عليه منه خرقة»[٥]. ورواه الحاكم[٦] - وتُعُقِّب - وأبو الشيخ بلفظ: «مَن كسا مسلمًا ثوبًا لم يزل في ستر الله ما دام عليه منه خيط أو سلك»[٧].

(وكان له) ﷺ **(فِراش من أَدَم)** أي[٨] جلد مدبوغ، وهي محرَّكة جمع أدمة أو

(١) المغني ١/ ٦٧٠.
(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٣١٢.
(٣) شعب الإيمان ٨/ ٣١٠ - ٣١١.
(٤) سنن الترمذي ٤/ ٢٦٣.
(٥) كنز العمال ١٥/ ٧٩٢ - ٧٩٣.
(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/٣١٦، وقال: صحيح الإسناد. وتعقبه الذهبي بقوله: خالد بن طهمان ضعيف.
(٧) وعند أبي داود (١٦٨٤) من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: أيما مسلم كسا مسلمًا علىٰ عري كساه الله من خضر الجنة...
(٨) أشرف الوسائل ص ٤٦٧.

أديم (**حشوه ليف**) أي من ليف النخل؛ لأنه الكثير، بل المعروف عندهم، والضمير للأدم باعتبار لفظه وإن كان معناه جمعًا، فالجملة صفة لـ «أدم»، خلافًا لمَن منع ذلك وجعلها حاليَّة من الفِراش.

وهو متفق عليه[١] من حديث عائشة. قاله العراقي[٢].

قلت: ورواه الترمذي في الشمائل[٣]. وروىٰ أحمد[٤] والأربعة إلا النسائي[٥]: كانت وسادته التي ينام عليها من أَدَم وحشوها ليف.

(**طوله ذراعان أو نحوه، وعرضه ذراع وشبر أو نحوه**) قال العراقي[٦]: رواه أبو الشيخ[٧] من حديث أم سلمة: كان فراش النبي ﷺ نحو ما يوضع للإنسان في قبره. وفيه مَن لم يُسَم.

قلت: رواه أبو داود في اللباس من سننه[٨] عن بعض آل أم سلمة، وهذا الذي أشار إليه الشيخ أن فيه من لم يُسَم، ولفظه: كان فراشه نحوًا مما يوضع للإنسان في قبره، وكان المسجد عند رأسه. وقد رواه أيضًا ابن ماجه[٩] في الصلاة. فيمكن أن يؤخذ التحديد الذي ذكره المصنف من هذا الحديث.

(**وكانت له**) ﷺ (**عباءة تُفرَش له حيثما تنقَّلَ تُثنىٰ طاقين تحته**) قال

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ١٨٣. صحيح مسلم ٢/ ١٠٠٢.

(٢) المغني ١/ ٦٧٠.

(٣) الشمائل المحمدية ص ١٥٦.

(٤) مسند أحمد ٤٠/ ٣٣٥، ٤١/ ٢٨٦.

(٥) سنن أبي داود ٤/ ٤٣٨. سنن الترمذي ٣/ ٣٦٤، ٤/ ٢٥٤. سنن ابن ماجه ٥/ ٥٨٢.

(٦) المغني ١/ ٦٧٠.

(٧) أخلاق النبي وآدابه ٢/ ٥٠٢.

(٨) سنن أبي داود ٥/ ٣٦٩.

(٩) لم أقف عليه عند ابن ماجه.

العراقي[١]: رواه ابن سعد في الطبقات[٢] وأبو الشيخ[٣] من حديث عائشة: دخلت عليَّ امرأةٌ من الأنصار، فرأتْ فِراش رسول الله ﷺ عَباءة مَثنيَّة ... الحديث. ولابن سعد[٤] عنها: أنها كانت تفرش للنبي ﷺ عباءة باثنين ... الحديث. وكلاهما لا يصح. وللترمذي في الشمائل[٥] من حديث حفصة وسُئلت: ما كان فراشه؟ قالت: مسحٌ نثنيه ثنيتينِ فينام عليه ... الحديث، وهو منقطع.

قلت: وقصة الأنصارية رواها البخاري[٦] عن عائشة: أن أنصارية دخلت عليَّ، فرأت فراشه ﷺ قطيفة مثنيَّة، فبعثت لها بفراش حشوه صوف، فدخل عليها ﷺ فقال: «ما هذا»؟ فذكرت له القصة، فقال: «رُدِّيه، فواللهِ لو شئتُ لأجرىٰ الله معي جبال الذهب والفضة».

(وكان) ﷺ **(ينام علىٰ الحصير ليس تحته شيء غيره)** قال العراقي[٧]: متفق عليه من حديث عمر في قصة اعتزال النبي ﷺ نساءه.

قلت: وذلك أنه دخل عليه في مشربة، وكان مضطجعًا علىٰ خصفة، وإن بعضه لعلىٰ التراب[٨] ... الحديث. وعن ابن مسعود: أنه ﷺ نام علىٰ حصير، فقام وقد أثَّر في جنبه. وعند الطبراني أنه دخل عليه في غرفة وهو نائم علىٰ حصير قد أثَّر

---

(١) المغني ١/ ٦٧٠ - ٦٧١.
(٢) الطبقات الكبرىٰ ١/ ٤٠٠.
(٣) أخلاق النبي وآدابه ٢/ ٥٠٠.
(٤) الطبقات الكبرىٰ ١/ ٤٠٠.
(٥) الشمائل المحمدية ص ١٥٦.
(٦) هذا الحديث ليس في صحيح البخاري، وقد رواه البيهقي في شعب الإيمان ٣/ ٦١، وأحمد في الزهد ص ١٥، والطبراني في المعجم الأوسط ٦/ ١٤١.
(٧) المغني ١/ ٦٧١.
(٨) هذا اللفظ ليس في الصحيحين، وإنما هو عند الحاكم في المستدرك ٤/ ٢٠٥. وتقدم هذا الحديث وحديث ابن مسعود بعده في: بيان جملة أخرىٰ من أخلاقه ﷺ.

في جنبه فبكىٰ ... الحديث. وعند ابن حبان في صحيحه[(١)]: أن أبا بكر وعمر دخلا عليه، فإذا هو نائم علىٰ سرير له مزمَّل بالبَرْدي عليه كساء أسود حشوه بالبردي، فلما رآهما استوىٰ جالسًا، فنظرا فإذا أثرُ السرير في جنبه ... الحديث.

(**وكان من خُلُقه**) ﷺ (**تسمية دوابِّه وسلاحه ومتاعه**) أغفله العراقي. وقد روىٰ الروياني وابن عساكر[(٢)] من حديث ابن عباس: كان يلبس القلانس تحت العمائم ... الحديث، وفي آخره: وكان من خُلُقه أن يسمِّي سلاحه ودوابَّه ومتاعه. أي كما كان يسمي قميصه ورداءه وعمامته.

(**وكان اسم رايته العُقاب**) رواه[(٣)] ابن عدي[(٤)] من حديث أبي هريرة بسند ضعيف: كانت راية رسول الله ﷺ سوداء تسمىٰ: العقاب. ورواه أبو الشيخ[(٥)] من حديث الحسن مرسلاً. قاله العراقي.

قلت: وكذلك رواه ابن سعد في الطبقات[(٦)].

وروىٰ[(٧)] الترمذي[(٨)] وابن ماجه[(٩)] والحاكم[(١٠)] من حديث ابن عباس: كانت

---

(١) صحيح ابن حبان ٢/ ٤٧٩ من حديث عائشة.

(٢) تقدم هذا الحديث قريبا، وذكرنا أنه غير موجود في المطبوع من تاريخ دمشق، بل في مختصر ابن منظور.

(٣) المغني للعراقي ١/ ٦٧١ - ٦٧٢.

(٤) الكامل في الضعفاء ٤/ ١٦٠١.

(٥) أخلاق النبي وآدابه ٢/ ٤١٩.

(٦) الطبقات الكبرىٰ ١/ ٣٩٢.

(٧) فيض القدير ٥/ ١٧٠ - ١٧١.

(٨) سنن الترمذي ٣/ ٣٠٦.

(٩) سنن ابن ماجه ٤/ ٣٥٠.

(١٠) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ١٢٦.

رايته سوداء، ولواؤه أبيض. قال الطيبي[(١)]: أي غالب لونها أسود بحيث تُرَىٰ من بعيد سوداء لا أن لونها أسود خالص. وسكت عنه الحاكم ولم يصحِّحه؛ لأن فيه يزيد بن حيان، مضعَّف، وقيل: بل هو مجهول الحال. وساقه ابن عدي[(٢)] من مناكير حيان بن عبيد الله. نعم، رواه الترمذي في العلل[(٣)] عن البراء من طريق آخر بلفظ: كانت سوداء مربَّعة من نمرة. ثم قال: سألت عنه محمدًا - يعني البخاري - فقال: حديث حسن. وروواه الطبراني باللفظ المذكور من هذا الوجه وزاد: مكتوب عليه: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله»[(٤)]. وفي سنن أبي داود[(٥)] أنها كانت صفراء.

تنبيه: الراية: العَلَم الكبير، واللواء: العلم الصغير، فالراية هي التي يتولاَّها صاحب الحرب ويقاتل عليها، وإليها تميل المقاتِلة، واللواء علامة كبكبة الأمير، تدور معه حيث دار. وقال ابن العربي[(٦)]: اللواء: ما يُعقَد في طرف الرمح ويكون عليه، والراية: ما يُعقَد فيه ويُترَك حتىٰ تصفقه الرياح.

(واسم سيفه الذي) كان (**يشهد به الحروب ذو الفَقار**) قال[(٧)] ابن القيم[(٨)]: تنفَّله يوم بدر، وهو الذي أُرِي فيه الرؤيا، ودخل به يوم فتح مكة، وكانت أسيافه

---

(١) شرح مشكاة المصابيح ٨/ ٢٦٢٧. وانظر: تحفة الأبرار للبيضاوي ٢/ ٦١٠، والميسر للتوربشتي ٣/ ٨٩٠.

(٢) الكامل في الضعفاء ٢/ ٨٣١.

(٣) العلل الكبير ص ٢٧٧.

(٤) الحديث في المعجم الأوسط ٥/ ٨٢ بدون هذه الزيادة.

(٥) سنن أبي داود ٣/ ٢٥٤ قال: «حدثنا عقبة بن مكرم، حدثنا سلم بن قتيبة، عن شعبة، عن سماك، عن رجل من قومه، عن آخر منهم قال: رأيت راية رسول الله ﷺ صفراء».

(٦) عارضة الأحوذي ٧/ ١٧٧. وعبارته: «اللواء هو ما يعقد في طرف الرمح ويلوىٰ معه، والراية ثوب يجعل في طرف الرمح ويخلىٰ كهيئته تصفقه الرياح».

(٧) فيض القدير ٥/ ١٧٥ - ١٧٦.

(٨) ذكر ابن القيم في زاد المعاد ١/ ١٢٦ أنه كان للنبي ﷺ تسعة أسياف، وذكر أسمائها، فما سيذكره الشارح أن ابن القيم ذكر أنها سبعة خطأ.

سبعة، وهذا ألزمُها له. وقال الزمخشري[١]: سُمِّي ذا الفقار لأنه كانت في إحدىٰ شفرتيه حزوز، شُبِّهت بفقار الظهر، وكان هذا السيف لمنبِّه بن الحجاج. أو منبه بن وهب أو العاص بن منبه أو الحجاج بن علاط أو غيرهم، ثم صار عند الخلفاء العباسيين.

قال العراقي: روىٰ أبو الشيخ[٢] من حديث علي بن أبي طالب: كان اسم سيف رسول الله ﷺ ذا الفقار. وللترمذي[٣] وابن ماجه[٤] من حديث ابن عباس: أنه ﷺ تنفَّل سيفه ذا الفقار يوم بدر. وللحاكم[٥] من حديث عليٍّ في أثناء حديث: وسيفه ذو الفقار. وهو ضعيف. ا.هـ.

وقال الأصمعي: دخلت علىٰ الرشيد، فقال: أريكم سيف رسول الله ﷺ ذا الفقار؟ قلنا: نعم. فجاء به، فما رأيتُ سيفًا أحسن منه، إذا نُصب لم يُرَ فيه شيء، وإذا بُطح عُدَّ فيه سبع فِقَر، وإذا صفيحته يمانية، يحار الطرفُ فيه من حسنه[٦].

وقال قاسم في الدلائل: إن ذلك كان يُرَىٰ في رونقه شبيهًا بفقار الحية، فإذا التُمس لم يوجد.

وله ذِكرٌ في حديث ابن عباس الطويل، وسيأتي ذِكرُه.

(وكان له) ﷺ **(سيف يقال له: المِخْذَم)** كمنبر **(وآخر يقال له: الرسوب،**

---

(١) الفائق في غريب الحديث ٣/ ١٣٢ حتىٰ قوله (لمنبه بن الحجاج). وفيه أن النبي ﷺ تنفله في غزوة بني المصطلق في السنة السادسة.

(٢) أخلاق النبي وآدابه ٢/ ٣٧٥.

(٣) سنن الترمذي ٣/ ٢٢٠.

(٤) سنن ابن ماجه ٤/ ٣٤٣.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٧١٥.

(٦) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤/ ٢١٧.

وآخر يقال له: القضيب) قال العراقي: روىٰ ابن سعد في الطبقات[(١)] من رواية مروان بن أبي سعيد بن المعلَّىٰ مرسلاً قال: أصاب رسولُ الله ﷺ من سلاح بني قينقاع ثلاثة أسياف: سيف قَلَعيٌّ، وسيف يُدعَىٰ بَتَّارًا، وسيف يُدعَىٰ الحَتْف، وكان عنده بعد ذلك المِخْذَم ورسوب، أصابهما من الفُلْس. وفي سنده الواقدي. وذكر ابن أبي خيثمة في تاريخه أنه يقال إنه ﷺ قدم المدينةَ ومعه سيفان، يقال لأحدهما: القضيب، شهد به بدرًا.

قلت: اختلفوا في عدد سيوفه ﷺ، فقيل: خمسة، وهو قول عبد الملك بن عُمَير. وقيل: سبعة، نقله صاحب «رأس مال النديم»[(٢)]، وتقدم أيضًا عن ابن القيم. وقيل: تسعة، ذكره عبد الباسط البلقيني، والمخذم ورسوب أحد السيوف التي أهدتها بلقيس لسليمان عليه السلام ثم آل إلىٰ الحارث بن أبي شمر الغَسَّاني. وفي أنساب الأشراف[(٣)] للبلاذري في سرية علي رضي الله عنه لما توجه إلىٰ هدم الفُلْس - بضم الفاء وسكون اللام: اسم صنم لطيئ - كان مقلَّدًا بسيفين أهداهما إليه الحارث ابن أبي شَمِر: المخذم ورَسُوب، وفيهما يقول علقمة بن عبدة:

مظاهر سربالي حديد عليهما ... عقيلاً سيوفٍ مخذم ورسوبُ[(٤)]

فأتىٰ بهما رسولَ الله ﷺ.

والقضيب في اللغة: هو اللطيف من السيوف[(٥)].

(وكانت قَبِيعة سيفه) ﷺ **(محلاَّة بالفضة)** القبيعة بالقاف كسفينة: ما علىٰ

---

(١) الطبقات الكبرىٰ ١/ ٤١٨.

(٢) رأس مال النديم في تواريخ أعيان أهل الإسلام لابن بابه القاشي ص ٣٠٥ - ٣٠٦ (ط - مركز زايد للتراث والتاريخ).

(٣) أنساب الأشراف ٢/ ١٧٥ - ١٧٦.

(٤) البيت في ديوان علقمة بشرح الأعلم الشنتمري ص ٢٩ (ط - دار الكتاب العربي).

(٥) تاج العروس ٤/ ٥٠.

طرف مِقبض السيف[١]. قال العراقي: روىٰ أبو داود[٢] والترمذي[٣] وقال: حسن، والنسائي[٤] وقال: منكر، من حديث أنس: كانت قبيعة سيف رسول الله ﷺ فضة.

قلت: ولفظ الشمائل[٥]: من فضة. وفي حديث ابن عباس الآتي ذِكره: كان له سيف محلىٰ قائمته من فضة، ونصله من فضة، وفيه حِلَق من فضة، وكان يسمىٰ ذا الفقار ... الحديث. وأراد بالنصل: الحديدة التي في أسفل قِرابه.

قال ابن حجر في شرح الشمائل[٦]: فيه حِلُّ تحلية آلة الحرب بها للرجال، أما بالذهب فيحرُم كهو بهما للنساء، ووقع لمَن لا فقه عنده في التضبيب والتمويه بالذهب ما لا يُرضَىٰ، فاحذرْه. والحاصل أن الذهب لا يحل للرجال مطلقًا لا استعمالاً ولا اتخاذًا ولا تضبيبًا ولا تمويهًا لا لآلة حرب ولا لغيرها، وكذا الفضة إلا في التضبيب والخاتم [والتمويه] وتحلية آلة الحرب، وما وقع في بعض العبارات من حِل المموه تارةً وحرمته أخرىٰ محمول علىٰ تفصيل عُلم من مجموع كلامهم وهو أنه إن حصل شيء بالعرض علىٰ النار من ذلك المموه حرمت استدامتُه كابتدائه، وإن لم يحصل منه شيء حرُم الابتداءُ فقط، أما نفس التمويه الذي هو الفعل والإعانة عليه والتسبُّب فيه فحرام مطلقًا، ويأتي هذا التفصيل في تمويه الرجل الخاتم وآلة الحرب بالذهب، فتفطَّنْ لذلك لتأمن من العثار الواقع فيه بعض

(١) في تاج العروس ٢١/ ٥١٩: «قبيعة السيف: ما علىٰ طرف مقبضه من فضة أو حديد، وقيل: هي التي علىٰ رأس السيف، وهي التي يُدخَل القائم فيها، وربما اتخذت من فضة علىٰ رأس السكين، وقيل: هي ما تحت شاربي السيف مما يكون فوق الغمد فيجيء مع قائم السيف. وقيل: قبيعة السيف: رأسه الذي فيه منتهىٰ اليد إليه».

(٢) سنن أبي داود ٣/ ٢٥١.

(٣) سنن الترمذي ٣/ ٣١٢.

(٤) السنن الكبرىٰ ٨/ ٤٦٧. وليس فيه (منكر).

(٥) الشمائل المحمدية ص ٥٠.

(٦) أشرف الوسائل ص ١٦١.

الشرَّاح ممَّن لا يتقن المسائل الفقهية التي هي أحق بالإتقان من سفاسف الحكمة ومقدمات البرهان.

(**وكان**) ﷺ (**يلبس المِنطقة**) بكسر الميم (**من الأَدَم**) محرَّكة: الجلد المدبوغ أو الأحمر أو مطلقًا، أقوال (**فيها ثلاث حِلَق من الفضة**) قال العراقي[١]: لم أقف له على أصل، ولابن سعد في الطبقات[٢] وأبي الشيخ[٣] من رواية [محمد بن] علي بن الحسين مرسلاً: كان في درع النبي ﷺ حلقتان من فضة عند موضع الثدي، وحلقتان خلف ظهره من فضة.

(**وكان اسم قوسه**) ﷺ (**الكَتُوم، و**) اسم (**جُعْبته: الكافور**) قال العراقي[٤]: لم أجد له أصلاً، وفي حديث ابن عباس عند الطبراني أنه كان له قوس تسمى: السداد، وكانت له كنانة تسمى: الجمع. وقال ابن أبي خيثمة في تاريخه: أخذ رسول الله ﷺ يوم أُحُد من سلاح بني قينقاع ثلاثة قسي: قوس اسمها الروحاء، وقوس شوحط تُدعَىٰ البيضاء، وقوس صفراء تدعىٰ الصفراء من نَبْع[٥].

قلت: يقال[٦]: قوس كَتُوم: أي لا تُرِنُّ إذا أُنبِضتْ، أو التي لا شق فيها، أو التي لا صدع في نَبْعها. وأنشد الجوهري[٧] لأوس:

---

(١) المغني ١/ ٦٧٣.

(٢) الطبقات الكبرىٰ ١/ ٤٢٠.

(٣) أخلاق النبي وآدابه ٢/ ٤٠١.

(٤) المغني ١/ ٦٧٣.

(٥) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ١/ ٤٢١، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤/ ٢١٦ عن مروان بن أبي سعيد بن المعلىٰ. وليس عندهما (يوم أحد).

(٦) لسان العرب ١٢/ ٥٠٧.

(٧) الصحاح ٣/ ١٢٥٤، ٥/ ٢٠١٩. ولم ينسبه إلىٰ أوس. نسبها له ابن قتيبة في الشعر والشعراء ١/ ٢٠٤ ط شاكر.

كَتُومٌ طِـلاعُ الكـفِّ لا دون مِلئها ولا عَجْسُها عن موضع الكف أفضلا[١]

وأما الكافور فهو وعاء كل شيء من النبات[٢].

(وكان اسم ناقته) ﷺ (القَصْوَىٰ، وهي التي يقال لها: العَضْباء، واسم بغلته: الدلدل، وكان اسم حماره: يعفور، واسم شاته التي يشرب لبنها: عينة) قال العراقي[٣]: بعضه مذكور في حديث ابن عباس - أي الآتي ذِكره - وروىٰ البخاري[٤] من حديث أنس: كان للنبي ﷺ ناقة يقال لها: العضباء. ولمسلم[٥] من حديث جابر في حجة الوداع: ثم ركب القصوىٰ. وللحاكم[٦] من حديث علي: وناقته القصوىٰ، وبغلته دلدل، وحماره عُفَير ... الحديث. ورويناه في فوائد أبي الدحداح فقال: حماره يعفور[٧]. وفيه: شاته بركة[٨]. وللبخاري[٩] من حديث معاذ: كنت رِدْف النبي ﷺ علىٰ حمار يقال له: عفير. ولابن سعد في الطبقات[١٠] من رواية إبراهيم بن عبد الله من ولد عتبة بن غزوان: كانت منائح رسول الله ﷺ من الغنم سبعًا: عجوة وزمزم وسُقْيا وبركة ووَرِسة وإطلال وإطراف. وفي سنده الواقدي. وله من رواية مكحول مرسلاً: كانت له شاة تسمىٰ: قمر.

---

(١) البيت في ديوان أوس بن حجر ص ٨٩.

(٢) المحكم لابن سيده ٧/ ٧.

(٣) المغني ١/ ٦٧٣ - ٦٧٤.

(٤) صحيح البخاري ٢/ ٣٢٤.

(٥) صحيح مسلم ١/ ٥٥٦.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٧١٥.

(٧) عند أحمد في مسنده (٢٢٠٧٣) من حديث معاذ بن جبل، عن النبي ﷺ: أنه ركب يومًا علىٰ حمار له يقال له يعفور.. الحديث.

(٨) ورواه أيضا ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٨/ ٧٦، ٥٤/ ١٩٨.

(٩) صحيح البخاري ٢/ ٣٢٠. وهو أيضا في صحيح مسلم ١/ ٣٦.

(١٠) الطبقات الكبرىٰ ١/ ٤٢٦ - ٤٢٧.

قلت: حديث الحاكم الذي أخرجه عن علي قد أخرجه أيضًا البيهقي[(١)]، ولفظه: كان فرسه يقال له المرتجز، وناقته القصوىٰ، وبغلته دلدل، وحماره عفير، ودرعه ذات الفضول، وسيفه ذو الفقار.

وروىٰ أحمد[(٢)] من حديث علي، والطبراني في الكبير[(٣)] والأوسط[(٤)] من حديث ابن مسعود بسند حسن: كان له حمار اسمه عفير.

(وكانت له) ﷺ (مِطهرة من فخار يتوضأ فيها ويشرب منها فيرسل الناس أولادهم الصغار الذين قد عقلوا فيدخلون علىٰ رسول الله ﷺ فلا يُدفعون عنه، فإذا وجدوا في المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا علىٰ وجوههم وأجسادهم، يبتغون بذلك البركة) قال العراقي[(٥)]: لم أقف له علىٰ أصل.

ولنذكر حديث ابن عباس الموعود بذكره، وهو جامع لِما تقدم مع زيادة، ساقه العراقي فقال: روىٰ الطبراني[(٦)] من حديث ابن عباس: كان لرسول الله ﷺ سيف قائمته من فضة وقبيعته من فضة وكان يسمىٰ ذا الفقار، وكان له قوس تسمىٰ السداد، وكانت له كِنانة تسمىٰ الجمع، وكانت له درع موشَّحة بنُحاس تسمىٰ ذات الفضول، وكانت له حربة تسمىٰ النبعة، وكانت له مجن تسمىٰ الذَّقْن، وكان له تُرس أبيض يسمىٰ الموجز، وكان له فرس أدهم يسمىٰ السكب، وكان له سَرْج يسمىٰ الداج، وكانت له بغلة شهباء يقال لها دلدل، وكانت له ناقة تسمىٰ القصوىٰ، وكان له حمار يسمىٰ يعفور، وكان له بساط يسمىٰ الكز، وكانت له عنزة تسمىٰ

---

(١) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٤٤ - ٤٥.

(٢) مسند أحمد ٢/ ٢٢٦.

(٣) المعجم الكبير ١٠/ ١٨٢.

(٤) المعجم الأوسط ٨/ ٢٣.

(٥) المغني ١/ ٦٧٤.

(٦) المعجم الكبير ١١/ ١١١.

النمر، وكانت له رَكْوة تسمىٰ الصادر، وكانت له مرآة تسمىٰ المدلة، وكان له مِقراض يسمىٰ الجامع، وكان له قضيب شوحط يسمىٰ الممشوق. وفيه علي بن عروة الدمشقي، نُسب إلىٰ وضع الحديث.

قلت: رواه[1] من طريق عثمان بن عبد الرحمن عن علي بن عروة عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء وعمرو بن دينار كلاهما عن ابن عباس. وعلي ابن عروة قال الهيثمي[2]: متروك. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات[3] وقال: عبد الملك وعلي وعثمان متروكون. ونوزعَ في عبد الملك، فإنَّ الجماعة سوىٰ البخاري رووا له[4]. وفي بعض ألفاظ هذا الحديث: كان له سيف محلىٰ قائمته من فضة، ونصله من فضة، وفيه حِلَقٌ من فضة. وفيه: وكان له قوس تسمىٰ ذا السداد. قال ابن القيم[5]: كان له ست قِسيٍّ، هذا أحدها. وفيه: وكان له كنانة تسمىٰ ذا الجُمْع. وهو بضم الجيم وسكون الميم. والكنانة: جُعبة السهام. والدرع المسمَّاة ذات الفضول هي التي رهنها عند أبي الشحم اليهودي، وكان له سبعة دروع، هذه أحدها. والنَّبْعاء بتقديم النون علىٰ الموحدة، ممدودة. كذا في بعض ألفاظه. قال ابن القيم: وكانت له حربة أخرىٰ كبيرة تُدعَىٰ: البيضاء. والمِجن بالكسر: الذي يُتستَّر به في الحرب، وهو الترس. والذَّفْن بفتح الذال وسكون الفاء، وفي بعض النسخ بالقاف بدل الفاء. وليس في بعض رواياته ذِكر الترس، بل زاد

---

(١) فيض القدير ٥/ ١٧٤ - ١٧٧.

(٢) مجمع الزوائد ٥/ ٤٩٦.

(٣) الموضوعات ١/ ٢٩٣. وعبارته: «هذا حديث موضوع، وفيه آفات، منها: عبد الملك وهو العرزمي، وقد تركه شعبة. ومنها علي بن عروة، قال يحيىٰ: ليس بشيء، وقال أبو حاتم الرازي: متروك الحديث، وقال ابن حبان: يضع الحديث. ومنها عثمان بن عبد الرحمن، وقد قدحوا فيه».

(٤) قال السيوطي في اللآلئ المصنوعة ١/ ٢٧٥: «عبد الملك روىٰ له مسلم والأربعة، وقال الذهبي في الميزان: هو أحد الثقات المشهورين، تكلم فيه شعبة لتفرده عن عطاء بخبر الشفعة للجار. وقال أحمد: حديثه في الشفاعة منكر، وأما هو فثقة».

(٥) زاد المعاد ١/ ١٢٦.

بعده: وكان له فرس أشقر يقال له: المرتجز. والسَّكْب المذكور كان أغر محجلاً طلق اليمين، وهو أول فرس غزا عليه. قاله النووي في التهذيب[١]. ودُلْدُل كقنفذ، أهداها له يوحنا ملك أيلة. وظاهر البخاري أنه أهداها له في غزوة حنين[٢]، وقد كانت هذه البغلة عند رسول الله ﷺ قبل ذلك. قال القاضي[٣]: ولم يُرْوَ أنه كانت له بغلة غيرها. نقله النووي[٤] عنه. وتعقَّبه الجلالُ البلقيني[٥] بأن البغلة التي كان عليها يوم حنين غير هذه، ففي مسلم[٦] أنه كان على بغلة بيضاء أهداها له الجُذامي. قال: وفيما قاله القاضي نظرٌ، فقد قيل: كان له دلدل، وفضة، والتي أهداها ابن العلماء، والأيلية، وأخرىٰ أهداها له كسرىٰ، وأخرىٰ من دومة الجندل، وأخرىٰ من النجاشي. كذا في سيرة مغلطاي[٧]. وقال ابن القيم[٨]: كان له من البغال: دلدل وكانت شهباء أهداها له المقوقس، وأخرىٰ اسمها فضة أهداها له فروة الجذامي، وأخرىٰ شهباء أهداها له صاحب أيلة، وأخرىٰ أهداها له صاحب دومة الجندل. وقوله «القصوىٰ» هيٰ التي قُطع طرف أذنها، فإذا جاوز القطع فهي العضباء، قال ابن الأثير[٩]: ولم تكن ناقته ﷺ كذلك، بل هو لقب لها، وجاء في خبر أن له ناقة

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٣٦.

(٢) الذي في صحيح البخاري أن ذلك كان في غزوة تبوك، فقد روىٰ ١/ ٤٥٩، ٢/ ٤٠٨ من حديث أبي حميد الساعدي قال: غزونا مع النبي ﷺ غزوة تبوك ... الحديث، وفيه: وأهدىٰ ملك أيلة للنبي ﷺ بغلة بيضاء، وكساه بردا، وكتب له بخبرهم. ورواه أيضا مسلم في صحيحه ٢/ ١٠٨٢.

(٣) إكمال المعلم للقاضي عياض ٦/ ١٢٦.

(٤) شرح صحيح مسلم ١٢/ ١٦١.

(٥) الإفهام لما في البخاري من الإبهام لجلال الدين البلقيني ص ١٥٠ (ط - دار النوادر).

(٦) صحيح مسلم ٢/ ٨٥٢ من حديث العباس بن عبد المطلب.

(٧) الإشارة إلىٰ سيرة المصطفىٰ وتاريخ من بعده من الخلفا لمغلطاي ص ٣٨٥ - ٣٨٧ (ط - دار القلم بدمشق).

(٨) زاد المعاد ١/ ١٢٩.

(٩) النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/ ٧٥.

تسمىٰ العضباء، وأخرىٰ تسمىٰ الجدعاء[1]، فيحتمل أن كل واحدة صفة ناقة مفردة، ويحتمل كون الكل صفة ناقة واحدة، فسمَّاها كل واحد منهم بما تخيَّل فيها. وقوله «يعفور» أو «عُفَير» هو بضم العين المهملة، تصغير أعفر، أخرجوه عن بناء أصله كسُوَيد تصغير أسود، من العُفرة بالضم وهي حمرة يخالطها بياض؛ ذكره جمعٌ، ووهَّموا عياضًا في ضبطه بإعجام الغين[2]، قال الحافظ ابن حجر[3]: وهو غير الذي يقال له يعفور، وزعم ابن عبدوس أنهما واحد، وردَّه الدمياطيُّ[4] فقال: عفير أهداه له المقوقس، ويعفور أهداه له فروة بن عمرو. وقيل بالعكس. قال الواقدي: نفق يعفورُ منصرَف رسول الله ﷺ من حجة الوداع[5]، وقيل: طرح نفسه في بئر يوم موته ﷺ[6]. وقوله «وكان له بساط» كذا في نسخ الطبراني، ووقع في بعض النسخ بدله: فسطاط. وهو تصحيف[7]. و«الكز» بالزاي المعجمة، هكذا ضبطه بعضٌ[8]. قوله «وكانت له عَنَزة» هو بالتحريك: أي حربة. وقوله «تسمىٰ الصادر» سُمِّيت

(١) بعده في النهاية: «وفي حديث آخر: صلماء، وفي رواية أخرىٰ: مخضرمة. هذا كله في الأذن».

(٢) بل ضبطه بالعين المهملة، وهذا نصه في كتاب مشارق الأنوار ٢/ ١١١: «سعيد بن عفير بضم العين غير المعجمة بعدها فاء، ومثله اسم حمار النبي ﷺ».

(٣) فتح الباري ٦/ ٧٠.

(٤) السيرة النبوية للدمياطي ص ١٨٠.

(٥) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ١/ ٤٢٣ عن الواقدي عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن زامل بن عمرو.

(٦) رواه ابن حبان في كتاب المجروحين ٢/ ٣٢٨ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤/ ٢٣٢ وابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٢٩٤ عن أبي منظور، وكانت له صحبة. وفيه: «فلما قبض النبي ﷺ جاء إلىٰ بئر كانت لأبي الهيثم بن التيهان فتردىٰ فيها، فصارت قبره، جزعا منه علىٰ رسول الله ﷺ». قال ابن حبان: «وهذا حديث لا أصل له، وإسناده ليس بشيء». وقال ابن الجوزي: «هذا حديث موضوع، فلعن الله واضعه، فإنه لم يقصد إلا القدح في الإسلام والاستهزاء به».

(٧) عبارة المناوي في الفيض: «كذا بخط المصنف - يعني السيوطي - فما في نسخ من أنه فسطاط تصحيف عليه».

(٨) المقصود بالبعض هو السيوطي، كما في الفيض.

به لأنه يُصدَر عنها بالرِّي؛ ذكره ابن الأثير[١]. وقوله «قضيب شوحط» أي غصن مقطوع من شوحط، وهي من أشجار الجبال، تُعمَل منها القِسي والسهام، قيل: هو الذي كان الخلفاء يتداولونه. وروى البخاري[٢] من حديث سهل بن سعد قال: كان للنبي ﷺ في حائطنا فرس يقال له اللحيف. ورواه البيهقي[٣] عنه بلفظ: كان له فرس يقال له الظَّرِب، وآخر يقال له اللِّزاز. وجملة أفراسه ﷺ سبعة متفق عليها، جمعها ابنُ جماعة[٤] في بيت فقال:

والخيل سَكْب سَبْحة لحيف ظَرِب لِــزاز مرتجــز وَرْدٌ لهــا أســرارُ

وقيل: كانت له أفراس [أُخَر] خمسة عشر. والله أعلم.

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ١٦.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٣٢٠.

(٣) السنن الكبرى ١٠/ ٤٤.

(٤) هو القاضي أبو عبد الله بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة الحموي، والبيت ذكره ولده عبد العزيز في كتابه المختصر الكبير من سيرة الرسول ص ١٣٦ (ط - دار البشير).

بيان عفوه ﷺ مع القدرة

(**كان ﷺ أحلم الناس**) أي أكثرهم حلمًا، وقد تقدم.

(و) كان (**أرغبهم في العفو مع القدرة**) علىٰ الانتقام (**حتىٰ أُتِي بقلائد من ذهب وفضة**) أي القلائد المصنوعة منهما وهو الحلي (**فقسمها بين أصحابه**) بما أراه اللهُ تعالىٰ (**فقام رجل من أهل البادية**) أي من الأعراب الجُفاة (**فقال: يا محمد، واللهِ لئن أمرك الله أن تعدل**) في القسمة (**فما أراك تعدل**) حيث أعطىٰ بعضًا وترك بعضًا، أو أكثر لبعض وأقل لآخرين (**فقال**) ﷺ: (**ويحك! فمَن يعدل عليك بعدي؟! فلما ولّىٰ**) الأعرابي (**قال: رُدُّوه عليَّ رُوَيدًا**) أي من غير استعجال، فحلمَ عليه وعفا عنه مع غلظة كلامه، وأمر بردِّه علىٰ إمهال لئلاً يرتاع. قال العراقي[1]: رواه أبو الشيخ[2] من حديث ابن عمرو بإسناد جيد.

قلت: ورواه الحاكم[3] من حديث ابن عمرو، وفيه زيادة في آخره.

(**وروىٰ جابر**) بن عبد الله رضي الله عنه (**أنه ﷺ كان يقبض**) مبنيًّا للفاعل، أي يعطي. وفي بعض النسخ: كان يفيض. من الإفاضة (**للناس يوم حنين من فضة في ثوب**

---

(١) المغني ١/ ٦٧٥.

(٢) أخلاق النبي وآدابه ١/ ٢٣٩.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ١٧٤، ولفظه: «أتىٰ رسول الله ﷺ رجل وهو يقسم تمرا يوم حنين، فقال: يا محمد، اعدل. قال: ويحك! ومن يعدل عليك إذا لم أعدل؟ - أو عند من تلتمس العدل بعدي؟ - ثم قال: يوشك أن يأتي قوم مثل هذا يتلون كتاب الله وهم أعداؤه، يقرءون كتاب الله محلقة رؤوسهم، فإذا خرجوا فاضربوا رقابهم». قال الحاكم: هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين، ولم يخرجاه بهذه السياقة. وتعقبه الذهبي بقوله: فيه محمد بن سنان، كذبه أبو داود وغيره.

بلال، فقال له رجل: يا نبي الله، اعدلْ. فقال له رسول الله ﷺ: ويحك! فمَن يعدل إذا لم أعدل؟! فقد خبتُ إذًا وخسرت إن كنت لا أعدل. فقام عمر) رضي الله عنه **(فقال: ألا أضرب عنقه فإنه منافق؟ فقال: مَعاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي)** رواه مسلم في صحيحه[1]؛ قاله العراقي[2].

قلت: ورواه أيضًا أحمد[3] والبخاري[4] والطبراني في الكبير[5] بزيادة: «إن هذا وأصحابه يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرُقون من الدين مروقَ السهم من الرميَّة»[6].

(**وكان** ﷺ **في حرب، فرأوا من المسلمين غرة**) أي غفلة (**فجاء رجل**) منهم (**حتىٰ قام علىٰ رسول الله** ﷺ) وهو قائل تحت شجرة في قائلة، وسيفه معلَّق بها، وقد تفرَّق عنه أصحابه (**بالسيف**) أي بسيفه ﷺ الذي كان معلَّقًا بالشجرة، فاخترطه، وانتبه ﷺ من نومه فرآه واقفًا علىٰ رأسه وبيده السيف (**فقال: من يمنعك مني**)؟ أي أنا قاتلك به الآن (**فقال**) ﷺ: (**الله**) عز وجل يمنعني منك (**قال**) الراوي: (**فسقط السيف من يده**) واندهش في نفسه (**فأخذ رسول الله** ﷺ **السيف**) من الأرض (**وقال: من يمنعك مني**) الآن؟ (**فقال: كنْ خير آخِذٍ. قال: قل: أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله. فقال: لا**) أقول ذلك (**غير أني لا أقاتلك، ولا أكون معك**) أي في نصرتك (**ولا أكون مع قوم يقاتلونك**) أي لا أكون عونًا لك ولا عليك (**فخلىٰ سبيلَه**) أي تركه حتىٰ ذهب (**فجاء إلىٰ قومه فقال: جئتكم من عند خير الناس**) قال

---

(١) صحيح مسلم ١/ ٤٧١.

(٢) المغني ١/ ٦٧٥.

(٣) مسند أحمد ٢٣/ ١١٢، ١٢٢.

(٤) صحيح البخاري ٢/ ٣٩٩ مختصرا. ورواه في الأدب المفرد ص ٢٣٢ تاما.

(٥) المعجم الكبير ٢/ ١٨٥.

(٦) وهو بها عند أبي يعلى ٢/ ٢٩٨. من حديث أبي سعيد الخدري.

العراقي[١]: متفق عليه[٢] من حديث جابر بنحوه، وهو في مسند أحمد[٣] أقرب إلىٰ لفظ المصنف، وسمَّىٰ الرجل: غَوْرَث بن الحارث.

قلت: أخرجه أحمد وكذا مسدَّد بن مُسرهَد في مسنديهما عن أبي عوانة عن أبي بِشر عن سليمان بن قيس عن جابر بطوله، وفيه بعد قوله «كن خير آخذ»: قال: «لا أو تُسلِم». قال: لا، ولكن أعاهدك أني لا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك. فخلَّىٰ سبيله، فجاء إلىٰ أصحابه فقال: جئتكم من عند خير الناس.

وأما البخاري فقد أخرجه من ثلاث طرق: إحداها موصولة، والأخرىٰ معلَّقة، والأخرىٰ مختصرة جدًّا. أما الموصولة فمن طريق الزهري عن سِنان بن أبي سنان عن جابر أنه غزا مع رسول الله ﷺ قِبَل نجد ... فذكر الحديث، وفيه: فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، فجئناه، فإذا عنده أعرابي جالس، فقال: «إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده مصلت، فقال: من يمنعك مني؟ فقلت: الله. فها هو ذا جالس». ثم لم يعاقبه رسول الله ﷺ. ولم يُسَمَّ في هذه الرواية. وأما المعلَّقة فقال البخاري عقب هذه: قال أبان: حدثنا يحيىٰ عن أبي سلمة عن جابر قال: كنا مع رسول الله ﷺ بذات الرقاع ... فذكر الحديث بمعناه، وفيه أن أصحاب رسول الله ﷺ تهدَّدوه. وليس فيه تسميته أيضًا. وأما المختصرة فقال: قال مسدَّد: عن أبي عوانة عن أبي بشر: اسم الرجل غورث بن الحارث.

(وروىٰ أنس) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **(أن يهودية أتت إلىٰ النبي ﷺ بشاة مسمومة ليأكل منها، فجيء بها إلىٰ النبي ﷺ، فسألها عن ذلك، فقالت: أردتُ قتلك. فقال: ما كان الله**

---

(١) المغني ١/ ٦٧٥.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٣٣٥، ٣٣٦، ٣/ ١٢٣. صحيح مسلم ١/ ٣٧٦، ٢/ ١٠٨٣.

(٣) مسند أحمد ٢٢/ ٢٣٩، ٢٣/ ١٩١ - ١٩٣، ٣٦٩.

ليسلِّطكِ علىٰ ذلك. قالوا: أفلا نقتلها؟ فقال: لا) قال العراقي[١]: رواه مسلم[٢]، وهو عند البخاري[٣] من حديث أبي هريرة.

قلت: وروىٰ الحاكم في المستدرك[٤] وصحَّحه من حديث أبي سعيد الخدري أن يهودية أهدت شاة إلىٰ رسول الله ﷺ سميطًا، فلما بسط القوم أيديهم قال لهم النبي ﷺ: «كُفُّوا أيديكم، فإنَّ عضوًا من أعضائها يخبرني أنها مسمومة». قال: فأرسل إلىٰ صاحبتها: «أسممتِ طعامكِ هذا»؟ قالت: نعم، أحببتُ إن كنتَ كاذبًا أن أريح الناسَ منك، وإن كنت صادقًا علمت أن الله سيطلعك عليه. فقال رسول الله ﷺ: «اذكروا اسم الله وكلوا». فأكلنا فلم يضرَّ أحدًا منا شيء.

قال صاحب سلاح المؤمن[٥]: اسم هذه اليهودية زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مِشْكَم، وكان بشر بن البراء بن معرور ممَّن أكل من الشاة فمات منها، وذلك عامَ خيبر. قال: وقوَّىٰ شيخُنا الدمياطي[٦] القولَ بأن رسول الله ﷺ قتل اليهودية به[٧].

(وسحره) ﷺ **(رجل من اليهود، فأخبره جبريل** عليه السلام **بذلك حتىٰ استخرجه)** من بئر ذروان **(وحل عُقَده، فوجد لذلك خفَّة، وما ذكر ذلك لليهودي ولا أظهره عليه قط)** قال العراقي[٨]: رواه النسائي[٩] بإسناد صحيح من حديث زيد بن أرقم،

---

(١) المغني ١/ ٦٧٦.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ١٠٤٤. ورواه أيضا البخاري في صحيحه ٢/ ٢٤١.

(٣) صحيح البخاري ٢/ ٤١٠، ٤/ ٥١.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٢١٠.

(٥) سلاح المؤمن في الدعاء والذكر لأبي الفتح ابن الإمام ص ٣٩٣.

(٦) السيرة النبوية ص ٢٢١.

(٧) الحديث عند أبي داود في مثلها (٤٥١٣، ٤٥١٤) عن أبي هريرة.

(٨) المغني ١/ ٦٧٦.

(٩) سنن النسائي ص ٦٣٠.

وقصة سحره في الصحيحين(1) من حديث عائشة بلفظ آخر.

قلت: اسم ذلك اليهودي: لبيد بن الأعصم، وقد رُوي حديث سحره من طرق، وتقدم بعضها في كتاب العلم.

أما حديث زيد بن أرقم فأخرجه أيضًا عبد بن حميد في مسنده(2) قال: سحر النبيَّ ﷺ رجلٌ من اليهود، فاشتكىٰ، فأتاه جبريل فنزل عليه بالمعوِّذتين وقال: إن رجلاً من اليهود سحرك، والسحر في بئر فلان. فأرسل عليًّا فجاء به، فأمره أن يحل العقد ويقرأ آية، فجعل يقرأ ويحل حتىٰ قام النبي ﷺ كأنما نشط من عقال.

وأما حديث عائشة أيضًا فأخرجه ابن مردويه والبيهقي في الدلائل(3) قالت: كان لرسول الله ﷺ غلام يهودي يخدمه يقال له: لَبِيد بن الأعصم، فلم تزل به يهود حتىٰ سحر النبيَّ ﷺ، وكان النبي ﷺ يذوب ولا يدري ما وجعُه، فبينا رسول الله ﷺ ذات ليلة نائم إذ أتاه مَلَكانِ، فجلس أحدهما عند رأسه، والآخَر عند رجليه، فقال الذي هو عند رأسه للذي عند رجليه: ما وجعُه؟ قال: مطبوب. قال: مَن طَبَّه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: بِمَ طبَّه؟ قال: بمشط ومشاطة وجُفِّ طلعةِ ذَكَرٍ بذي أروان، وهي تحت راعوفة البئر. فلما أصبح رسول الله ﷺ غدا ومعه أصحابه إلىٰ البئر، فنزل رجل فاستخرج جُف طلعة من تحت الراعوفة، فإذا فيها مشط رسول الله ﷺ ومن مشاطة رأسه، وإذا تمثال من شمع تمثال رسول الله ﷺ، وإذا فيها إبر مغروزة، وإذا وترٌ فيه إحدىٰ عشرة عقدة ... الحديث، وفيه: فقيل: يا رسول الله، لو قتلتَ اليهودي. فقال: «قد عافاني الله، وما وراءه من عذاب الله أشد».

وأخرج ابن مردويه من حديث ابن عباس نحوه، ومن حديث أنس مختصرًا.

---

(1) صحيح البخاري ٢/ ٤٣٧، ٤/ ٤٨ - ٤٩، ١٠٣، ١٧٠. صحيح مسلم ٢/ ١٠٤٤.

(2) المنتخب من مسند عبد بن حميد ١/ ٢٢٨.

(3) دلائل النبوة ٧/ ٩٢ - ٩٤.

(وقال علي كرَّم الله وجهه: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمِقداد) بن الأسود (فقال: انطلِقوا حتىٰ تأتوا روضة خاخ) موضع بين الحرمين[(١)] (فإنَّ بها ظعينة) في المصباح[(٢)]: يقال للمرأة: ظَعِينة، فعيلة بمعنىٰ مفعولة؛ لأن زوجها يظعَن بها، أي يرتحل، ويقال: الظعينة: الهودج سواء كان فيه امرأة أم لا، ويقال: الظعينة في الأصل وصفٌ للمرأة في هودجها، ثم سُمِّيت بهذا الاسم وإن كانت في بيتها؛ لأنها تصير مظعونة. ا.هـ. وهي هنا امرأة من مُزَينة. قال ابن إسحاق[(٣)]: بلغني أنها كانت مولاة لبني عبد المطلب، وجعل لها جُعلاً علىٰ أن تبلِّغه قريشًا، فجعلته في رأسها ثم فتلت عليه قرونها وخرجت به (معها كتاب فخذوه منها. فانطلقنا) تعادي بنا خيلُنا (حتىٰ أتينا روضة خاخ) فإذا نحن بها (فقلنا: أخرجي الكتاب. فقالت: ما معي من كتاب. فقلنا: لتخرجِنَّ الكتاب أو لننزعن الثياب. فأخرجته من عقاصها) أي من شعرها المعقوص. وفي رواية: من حجزتها (فأتينا به) أي بالكتاب (النبيَّ ﷺ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة) واسم أبي بلتعة عمرو بن عمير بن سلمة اللخمي، وكان حاطب حليف بني أسد بن عبد العزَّىٰ (إلىٰ أُناس من المشركين بمكة يخبرهم أمرًا من أمور رسول الله ﷺ) أي ببعض أمره بتجهيزه إليهم (فقال: يا حاطب، ما هذا؟ فقال: يا رسول الله، لا تعجل عليَّ، إني كنت امرأً ملصقًا في قومي) أي لكونه من بني لَخْم، وأنه حالف بني أسد (وكان مَن معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهلهم، فأحببتُ إذ فاتني ذلك منهم من النسب أن أتَّخذ فيهم يدًا يحمون بها قرابتي) ولا يؤذونهم (ولم أفعل ذلك كفرًا ولا رضًىٰ بالكفر بعد الإسلام ولا ارتدادًا عن ديني. فقال رسول الله: صدقكم حاطب. فقال عمر رضي الله عنه:

---

(١) ذكره ياقوت في معجم البلدان ٢/ ٣٣٥ - ٣٣٦، قال: «وهو بقرب حمراء الأسد من المدينة، وذُكر في أحماء المدينة التي حماها النبي ﷺ والخلفاء الراشدون بعده: خاخ».

(٢) المصباح المنير ص ٣٨٥.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٣٩. وفيه: «زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة، وزعم لي غيره أنها سارة مولاة لبعض بني عبد المطلب».

دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال ﷺ: إنه شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله عزوجل قد اطَّلع علىٰ أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم) قال العراقي[١]: متفق عليه[٢].

قلت: هو عندهما من طريق ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن حسن بن محمد عن عبيد الله بن أبي رافع قال: سمعت عليًّا يقول. وأخرجاه أيضًا من حديث أبي عبد الرحمن السُّلَمي عن علي، وأنه فيه نزلت: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ الآية [الممتحنة: ١] قال سفيان: فلا أدري أذاك في الحديث أم قولاً من عمرو بن دينار[٣]. ورواه ابن مردويه في تفسيره[٤] من حديث ابن عباس عن عمر ... فذكر يعني حديث علي، وفيه: فقال: «يا حاطب، ما دعاك إلىٰ ما صنعتَ»؟ فقال: يا رسول الله، كان أهلي فيهم، فكتبت كتابًا لا يضر الله ولا رسوله.

وروىٰ[٥] ابن شاهين والباوردي والطبراني[٦] وسمويه من طريق الزهري عن عروة عن عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة قال: وحاطب رجل من أهل اليمن، وكان حليفًا للزبير، وكان قد شهد بدرًا، وكان بنوه وإخوته بمكة، فكتب حاطب

---

(١) المغني ١/ ٦٧٦.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٣٦٠، ٣٨٢، ٣/ ٨٧، ١٤٧، ٣٠٧، ٤/ ١٤٢، ٢٨٣. صحيح مسلم ٢/ ١١٦٥- ١١٦٦.

(٣) في رواية البخاري: «قال عمرو: ونزلت فيه هذه الآية. قال: لا أدري الآية في الحديث أو قول عمرو. وقيل لسفيان: في هذا فنزلت هذه الآية؟ فقال: هذا في حديث الناس حفظته من عمرو، ما تركت منه حرفا، وما أرىٰ أحدا حفظه غيري». وقال مسلم: «وليس في حديث أبي بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب ذكر الآية، وجعلها إسحاق بن إبراهيم في روايته من تلاوة سفيان».

(٤) وكذلك الحاكم في المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ١٧٢، والضياء في الأحاديث المختارة ١/ ٢٨٥- ٢٨٧، والبزار في مسنده ١/ ٣٠٨ - ٣٠٩. والطحاوي في شرح المشكل ١١/ ٢٦٨.

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ١٩٢ - ١٩٣.

(٦) المعجم الكبير ٣/ ٢٠٦. والطبري في التفسير ٢٢/ ٥٦٣.

من المدينة إلىٰ كفار قريش [كتابًا] ينتصح لهم ... فذكر الحديث نحو حديث علي، وفي آخره: فقال حاطب: واللهِ ما ارتبتُ في الله منذ أسلمت، ولكنني كنت امرأً غريبًا، ولي بمكة بنون وإخوة ... الحديث، وزاد في آخره: فأنزل الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ الآيات. ورواه ابن شاهين من حديث ابن عمر بإسناد قويٍّ.

(وقسم ﷺ قسمة، فقال رجل من الأنصار: هذه قسمة ما أُريدَ بها وجه الله. فذُكر ذلك للنبي ﷺ، فاحمرَّ وجهُه وقال: رحم الله أخي موسىٰ قد أوذي بأكثر من هذا فصبر) قال العراقي[١]: متفق عليه[٢] من حديث ابن مسعود.

قلت: ورواه كذلك أحمد[٣]. وتمامه: لما كان يوم حنين آثر النبي ﷺ أناسًا في القسمة، فأعطىٰ الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطىٰ عُيَينة مثلها، وأعطىٰ أناسًا من أشراف العرب فآثرهم يومئذٍ في القسمة، فقال رجل ما قال، وفيه: فقلت: واللهِ لأخبرنَّ رسول الله ﷺ. فأتيته فأخبرته، فقال ﷺ ما قال.

وقوله[٤] «قد أوذي بأكثر من هذا فصبر»، أي آذاه قومه بأشد مما أوذيتُ به من تشديد فرعون وقومه وإبائه عليه وقصدِه إهلاكه، بل ومن تعنُّت مَن آمن معه من بني إسرائيل حتىٰ رموه بالأدرة، واتَّهموه بقتل أخيه هارون عليهما السلام لما مات معه في التيه، ولما سلك بهم البحرَ قالوا له: إنَّ صَحْبنا لا نراهم. فقال: سيروا، فإنهم علىٰ طريق كطريقكم. قالوا: لا نرضىٰ حتىٰ نراهم. فقال: اللهم أعِنِّي علىٰ أخلاقهم السيئة. ففُتحت لهم كُوَّات في الماء فتراءوا وتسامعوا[٥]. إلىٰ غير ذلك

---

(١) المغني ١/ ٦٧٦.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٤٠٤، ٤٧٧، ٣/ ١٥٩، ٤/ ١٠٢، ١١٠، ١٥٠، ١٦٠. صحيح مسلم ١/ ٤٧٠.

(٣) مسند أحمد ٦/ ٩٩، ٧/ ١٨، ٢١٤، ٢٥٦.

(٤) فيض القدير ٤/ ٢٧.

(٥) رواه الطبري في جامع البيان ١/ ٦٥٩ عن ابن عباس ضمن أثر طويل.

من تعنُّتاتهم معه عليه السلام. وكلامه ﷺ ذلك شفقة عليهم ونصحًا في الدين لا تهديدًا وتثريبًا.

(وكان ﷺ يقول: لا يبلِّغني أحدٌ منكم عن أحد من أصحابي شيئًا، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر) قال العراقي[١]: رواه أبو داود[٢] والترمذي[٣] من حديث ابن مسعود، وقال: غريب من هذا الوجه.

قلت: ورواه كذلك أحمد[٤] والبيهقي[٥].

---

(١) المغني ١/ ٦٧٦.

(٢) سنن أبي داود ٥/ ٢٩٩.

(٣) سنن الترمذي ٦/ ١٨٩ - ١٩٠.

(٤) مسند أحمد ٦/ ٣٠٢.

(٥) السنن الكبرى ٨/ ٢٨٨.

(بيان إغضائه ﷺ عمَّا كان يكرهه)

(كان ﷺ رقيق البَشَرة) محرَّكة: ظاهر الجلد، وهو علامة اعتدال المزاج، ويكنىٰ به عن الحياء أيضًا (لطيف الظاهر والباطن، يُعرَف في وجهه) الشريف (غضبه ورضاه) قال العراقي[1]: روىٰ أبو الشيخ من حديث ابن عمر: كان رسول الله ﷺ يُعرَف رضاه وغضبه بوجهه ... الحديث. وقد تقدم.

(وكان) ﷺ (إذا اشتد وجدُه) أي غضبه، يقال: وجد عليه وجدًا وموجدةً: إذا غضب عليه (أكثرَ من مسِّ لحيته الكريمة) قال العراقي[2]: رواه أبو الشيخ[3] من حديث عائشة ﵂ بإسناد حسن.

(وكان) ﷺ (لا يشافه أحدًا بما يكرهه) لئلاً يشوِّش عليه، وذلك لكثرة حيائه وسعة صدره، وسببه أنه (دخل عليه رجل وعليه صفرة، فكرهها فلم يقل له شيئًا) أي في وجهه (حتىٰ خرج) من عنده (فقال لبعض القوم: لو قلتم لهذا) «لو»[4] للشرط، فالجزاء محذوف، أي لكان أحسن، أي لأن فيه نوع تشبُّهٍ بالنساء، وهو من غير قصد التشبُّه بهن مكروه. أو للتمني (أن يَدَع هذه. يعني الصُّفرة) الظاهر أن ذلك الأثر لم يكن محرَّمًا وإلا لم يؤخر أمره ﷺ بتركه إلىٰ مفارقته للمجلس، فزعمُ بعضهم أن غضبه ﷺ عند انتهاك المحارم لا ينافي تفويضَه لغيره والأمر بإزالتها وإن أدَّىٰ إلىٰ تأخيرها - غفلة عن كلام الأئمَّة في بحث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أنه يجب علىٰ القادر إزالة المنكر فورًا بلسانه أو يده، ولا يجوز له

(١) المغني ١/ ٦٧٧.

(٢) السابق ١/ ٦٧٧.

(٣) أخلاق النبي وآدابه ١/ ٤٢٥. وهو عند البزار ٢/ ٣٩٥ من حديث أبي هريرة.

(٤) أشرف الوسائل ص ٥٠٠ - ٥٠١.

أن يستنيب غيرَه في ذلك إذا أدَّت استنابتُه إلىٰ تأخير ذلك المنكر ولو لحظة، وهو ﷺ سمع كلام هذا الرجل ثَم، ولم يأمرهم أن يقولوا له أَزِلْ هذا إلا بعد قيامه من المجلس، فأخَّر الإزالة إلىٰ انقضاء المجلس، وهذا لا يقوله إلا جاهل بالفقه وقواعده، فتعيَّن ما ذكرتُه من أن ذلك الأثر الذي كان عليه لم يكن محرَّمًا، ويؤيِّد ذلك أنه ﷺ لمَّا رأىٰ علىٰ عمرو بن العاص[1] ثوبين معصفرين أمره فورًا بإزالتهما. فإن قلتَ: لِمَ أمر هنا عمرًا وثَم أنابهم في ذلك؟ قلت: لِما تقرَّر أن عمرًا عليه محرَّم، بخلاف ذلك الرجل. وبفرض عدم تحريم المعصفَر الذي قال به كثيرون فوجهُه أن عمرًا يفرح بذلك ويبادر إلىٰ امتثاله، وذلك الرجل لعله كان قريب عهد بالإسلام، فخشي عليه إن واجهه بأمره بإزالة ما عليه، ففوَّضه لغيره لا علىٰ وجه الإلزام به، وهذا أيضًا ممَّا يصرِّح بأنه لم يكن محرَّمًا.

قال العراقي[2]: رواه أبو داود[3] والترمذي في الشمائل[4] والنسائي في اليوم والليلة[5] من حديث أنس بإسناد ضعيف.

قلت: وكذلك رواه أحمد[6] والبخاري في الأدب المفرد[7]. وفي رواية للطيالسي[8] وأحمد والنسائي: «لو أمرتم هذا أن يغسل عنه هذه الصفرة». ورواه كذلك البخاري والبيهقي من حديث أبي هريرة بهذا اللفظ.

(وبال أعرابيٌّ في المسجد بحضرته، فهمَّ به الأصحابُ) أي قصدوا منعه عن

(١) الصواب: عبد الله بن عمرو بن العاص كما في ص مسلم (٢٠٧٧)، وقد أمر ﷺ بإحراقهما.

(٢) المغني ١/ ٦٧٧.

(٣) سنن أبي داود ٤/ ٤٥٣، ٥/ ٢٧١.

(٤) الشمائل المحمدية ص ١٦٨.

(٥) السنن الكبرىٰ ٩/ ٩٨.

(٦) مسند أحمد ١٩/ ٣٦٦، ٣٥، ٧٧.

(٧) الأدب المفرد ص ١٣٥.

(٨) مسند الطيالسي ٣/ ٥٩٠.

ذلك (**فقال ﷺ: لا تزرموه**) بضم التاء الفوقية وسكون الزاي (**أي لا تقطعوا عليه البول**) فإنه يضر البائلَ، قال ذلك شفقةً عليه (**ثم قال له: إن هذه المساجد لا تصلُح لشيء من القذر والبول والخلاء**) أي الغائط (**وفي رواية: قرِّبوا ولا تنفِّروا**) قال العراقي[١]: متفق عليه[٢] من حديث أنس.

(**وجاءه أعرابي يومًا يطلب منه شيئًا، فأعطاه رسول الله ﷺ ثم قال له: أحسنتُ إليك**)؟ يخبر بذلك باطنَه (**فقال الأعرابي: لا، ولا أجملتَ. قال: فغضب المسلمون**) لذلك (**وقاموا إليه، فأشار إليهم أنْ كُفُّوا**) أي امتنِعوا عنه (**ثم قام ودخل منزله، وأرسل إلىٰ الأعرابي وزاده شيئًا، ثم قال: أحسنتُ إليك؟ فقال**) الأعرابي: (**نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرًا. فقال له النبي ﷺ: إنك قلت ما قلت**) آنفًا (**وفي نفس أصحابي شيء من ذلك، فإن أحببتَ فقل بين أيديهم ما قلتَ بين يدي حتىٰ يذهب من صدورهم ما فيها عليك. قال: نعم. فلما كان من الغد أو من العشيِّ جاء، فقال النبي ﷺ: إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضي، أكذلك؟ فقال الأعرابي: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرًا. فقال ﷺ: إن مَثَلي ومَثَل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه، فاتَّبعها الناسُ فلم يزيدوها إلا نفورًا، فناداهم صاحب الناقة: خلُّوا بيني وبين ناقتي، فإني أرفَقُ بها وأعلمُ. فتوجَّه لها صاحب الناقة بين يديها فأخذ لها من قُمام الأرض**) أي ممَّا يُقَمُّ من وجهها من حشيش وتبن (**فردَّها هُوي هوي**) هكذا بضم الهاء وسكون الواو والياء فيهما، كذا في بعض النسخ، وهو اسم صوت لدعاء الناقة. وفي بعض النسخ: هونًا هونًا (**حتىٰ جاءت واستناخت وشد عليها رَحْلها واستوىٰ عليها**) راكبًا (**وإني لو تركتكم حيث**

---

(١) المغني ١/ ٦٧٧.

(٢) صحيح البخاري ١/ ٩٠، ٩١، ٩٦. صحيح مسلم ١/ ١٤٤.

قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار) قال العراقي[١]: رواه البزار[٢] وأبو الشيخ[٣] من حديث أبي هريرة بسند ضعيف.

(١) المغني ١/ ٦٧٨.

(٢) مسند البزار ١٥/ ٢٩٤.

(٣) أخلاق النبي وآدابه ١/ ٤٧٢.

(بيان سخائه ﷺ وجوده)

(كان ﷺ أجود الناس وأسخاهم) أي أكثرهم جودًا وسخاءً، وهما مترادفان، وقال بعضهم[١]: الجود: صفة هي مبدأ إفادة ما ينبغي لا لغرض. والسخاء[٢]: إعطاء ما ينبغي لمَن ينبغي. روىٰ الشيخان[٣] من حديث أنس: كان ﷺ أحسن الناس وأجود الناس. قاله العراقي[٤]. قلت: وكذلك رواه الترمذي[٥] وابن ماجه[٦].

(وكان) ﷺ (في شهر رمضان كالريح المرسَلة) بفتح السين، أي المطلَقة (لا يمسك شيئًا) قال العراقي[٧]: روىٰ الشيخان[٨] من حديث ابن عباس: كان أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان. وفيه: فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسَلة.

قلت: وكذلك رواه الترمذي في الشمائل[٩].

وعبَّر[١٠] بالمرسَلة إشارةً إلىٰ دوام هبوبها بالرحمة، وإلىٰ عموم النفع بجوده

---

(١) هو الجرجاني في التعريفات ص ٨٤.
(٢) الكواكب الدراري للكرماني ٢١/ ١٨٣.
(٣) صحيح البخاري ٢/ ٣١١، ٣٦٩، ٤/ ٩٧. صحيح مسلم ٢/ ١٠٩١.
(٤) المغني ١/ ٦٧٩.
(٥) سنن الترمذي ٣/ ٣٠٩.
(٦) سنن ابن ماجه ٤/ ٣١٩.
(٧) المغني ١/ ٦٧٩.
(٨) صحيح البخاري ١/ ١٦، ٢/ ٣١، ٤٢٦، ٥١٧، ٣/ ٣٤٠. صحيح مسلم ٢/ ١٠٩٢.
(٩) الشمائل المحمدية ص ١٧١.
(١٠) أشرف الوسائل ص ٥١٤ - ٥١٥.

ﷺ كما تعم الريحُ المرسلة جميعَ ما تهبُّ عليه. ورواه كذلك أحمد[١] بزيادة: لا يُسأل شيئًا إلا أعطاه. وسبب أجوديَّته إتيان جبريل له كل ليلة من رمضان، كما في الصحيحين، وإنما كان إتيانه سببًا لذلك لأنه رسول ربه إليه وأمين حضرته والمتولِّي لقسمة مواهبه، وذلك موجب نهاية الأجودية. وأيضًا [فإنه] إذا جاءه جبريل وعرض عليه القرآن تجدَّد تخلُّقُه بأخلاق ربه وأُفيضَ عليه غاية جوده ونهاية قُربه، فحينئذٍ يزداد جوده ويتسع وجوده.

(**وكان علي** ﵁ **إذا وصف النبي** ﷺ **قال: كان أجود الناس كفًّا، وأجرأ الناس صدرًا**) وفي بعض النسخ: أوسع، بدل: أجرأ. ولفظ[٢] الشمائل: أجود الناس صدرًا. أي قلبًا، تسميةً للشيء باسم محله أو مُجاوِره، أي جوده ﷺ بالسجيَّة والطبع لا بالتكلُّف. وقيل: من الجودة، أي أحسنهم قلبًا؛ لسلامته من كل غش ودَنَس، كيف وقد صح أن جبريل شقَّه واستخرج منه عَلَقة وقال: هذا حظ الشيطان منك. ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم (**وأصدق الناس لهجةً**) بفتحتين أو بفتح فسكون، أي لسانًا، أي كان لسانه ﷺ أصدق الألسنة؛ إذ هو أفصح الخلق، وأعذبهم كلامًا، وأسرعهم أداءً، وأحلاهم منطقًا، كان حُسن كلامه يأخذ بمَجامِع القلوب (**وأوفاهم بذمة**) وفي نسخة: ذمةً (**وألينهم عريكة**) أي طبيعة، فهو مع الناس علىٰ غاية من السلامة والمطاوعة وقلة الخلاف والنفور (**وأكرمهم عشيرة**) وفي نسخة: عِشرة. أي اختلاطًا وصحبة. وعلىٰ الأول هنا: أكرمهم قبيلة، أي قومًا من جهة أبيه وأمه (**مَن رآه بديهةً**) أي فجأةً عن غير قصد (**هابَه**) أي أخذته الهيبةُ؛ لِما كان يظهر عليه من عظيم الجلالة والمهابة والوقار (**ومَن خالطه معرفةً أحبَّه**) لكمال حُسن معاشرته وباهر عظيم تألُّفه (**يقول ناعته**) أي واصفُه: (**لم أرَ قبله ولا بعده مثله** ﷺ) للزوم هذا الوصف له وظهوره عند مَن له أدنىٰ بصيرة، فلمَّا لم

---

(١) مسند أحمد ٣/ ٤٨١، ٥/ ١٤٦.

(٢) أشرف الوسائل ص ٥٧ - ٦١.

يَخْفَ كان كل واصف ملزومًا بأن هذا القول يصدر عنه وإن لم يصدر عنه التصريح به غفلةً وذهولاً، فالرؤية هنا علمية، أي لم أعلم له مماثلاً في وصف من أوصاف الكمال، وأما ما ثبت من وجوه شبهه ﷺ بمن ذكروهم - وهم اثنا عشر أو أكثر - فإن المراد به الشبه في البعض، وإلا فجملة محاسنه منزَّهة عن الشريك، كما أفاده صاحب البُردة رحمه الله تعالىٰ[١].

قال العراقي[٢]: رواه الترمذي[٣] وقال: ليس إسناده بمتصل.

قلت: ولفظه: «أجود الناس صدرًا، وأصدقُ الناس لهجة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عِشرة» والباقي سواء.

(وما سُئل) ﷺ **(قط علىٰ الإسلام شيئًا)** من متاع الدنيا **(إلا أعطاه)** وجادَ به أو وعد أو سكت **(فإن رجلاً أتاه فسأله، فأعطاه غنمًا سدَّت ما بين جبلين، فرجع إلىٰ قومه وقال)**: يا قوم **(أسلِموا، فإن محمدًا يعطي عطاء من لا يخشىٰ الفاقة)** وفي لفظ: الفقر. رواه مسلم[٤] من حديث أنس. قاله العراقي[٥]. قلت: رواه من طريق عاصم بن النضر عن خالد بن الحارث حدثنا حميد عن موسىٰ بن أنس عن أبيه. ورواه البيهقي في الدلائل[٦] من طريق محمد بن أبي يعقوب الكِرماني عن خالد بن الحارث. وتمامه عند مسلم: وأعطىٰ صفوان بن أمية يوم حنين مائة من النعم ثم مائة ثم مائة، حتىٰ صار أحب الناس إليه بعدما كان أبغضهم إليه. فكان

---

(١) حيث قال:

منـزه عـن شـريك في محاسـنه ... فجوهـر الحسـن فيـه غيـر منقسـم

(٢) المغني ١/ ٦٧٩.

(٣) سنن الترمذي ٦/ ٢٨. الشمائل المحمدية ص ١٠ - ١١.

(٤) صحيح مسلم ٢/ ١٠٩٣ - ١٠٩٤.

(٥) المغني ١/ ٦٧٩.

(٦) دلائل النبوة ١/ ٣٢٧.

ذلك سببًا لحُسن إسلامه، وروىٰ مسلم والترمذي[١] من طريق سعيد ابن المسيب عن صفوان بن أمية قال: واللهِ لقد أعطاني النبي ﷺ [ما أعطاني] وإنه لأبغضُ الناس إلَّي، فما زال يعطيني حتىٰ إنه لأحبُّ الناس إليَّ.

(وما سُئل) ﷺ **(شيئًا قط فقال لا)** قال العراقي[٢]: متفق عليه من حديث جابر.

قلت: وروىٰ ابن سعد في الطبقات[٣] من مرسَل محمد ابن الحنفية: كان لا يكاد يقول لشيء لا، فإذا هو سُئل فأراد أن يفعل قال نعم، وإذا لم يُرِدْ أن يفعل سكت.

ومن هنا قال الشاعر:

ما قال لا قط إلا في تشهُّده … لولا التشهد كانت لاؤه نعم

وقد تقدَّم شيء من ذلك في أول الباب.

(وحُمل إليه تسعون ألف درهم، فوضعها علىٰ حصير، ثم قام إليها يقسمها، فما ردَّ سائلاً حتىٰ فرغ منها) هكذا رواه الترمذي. وقال العراقي[٤]: روىٰ أبو الحسن ابن الضَّحَّاك في الشمائل من حديث الحسن مرسلاً: أن رسول الله ﷺ قَدِم عليه مال من البحرين ثمانون ألفًا، لم يقدم عليه مالٌ أكثر منه، لم يسأله أحد يومئذٍ إلا أعطاه، ولم يمنع سائلاً، ولم يعطِ ساكتًا، فقال له العباس ... الحديث. وللبخاري[٥] تعليقًا من حديث أنس: أُتي النبي ﷺ بمال من البحرين، وكان أكثر

(١) سنن الترمذي ٢/ ٤٥.

(٢) المغني ١/ ٦٧٩. وحديث جابر تقدم غير مرة، وكذلك البيت المذكور بعده.

(٣) الطبقات الكبرىٰ ١/ ٣١٧.

(٤) المغني ١/ ٦٧٩ - ٦٨٠.

(٥) صحيح البخاري ١/ ١٥٢، ٢/ ٤٠٩.

مال أُتي به رسول الله ﷺ ... الحديث، وفيه: فما كان يرىٰ أحدًا إلا أعطاه إذ جاءه العباس ... الحديث. ووصله عمر بن محمد البجيري في صحيحه.

قلت: ولفظ البخاري: وقال إبراهيم بن طهمان عن عبد العزيز بن صُهَيب عن أنس: أُتي بمال من البحرين، فأمر بصبِّه في المسجد، وكان أكثر مال أُتي به، فخرج إلىٰ المسجد ولم يلتفت [إليه] فلما قضىٰ الصلاة جاء فجلس إليه، فما كان يرىٰ أحدًا إلا أعطاه، إذ جاءه العباس فسأله، فقال: «خذ». فحثا في ثوبه، ثم ذهب يُقِلُّه فلم يستطع، فقال: يا رسول الله، مُرْ بعضَهم يرفعه لي. قال: «لا». قال: ارفعه أنت عليَّ. قال: لا. فنثر منه، ثم ذهب يُقِلُّه فلم يستطع، فقال كالأول، فقال له: «لا». فنثر منه، ثم احتمله، فأتبعه ﷺ بصرَه حتىٰ غاب عجبًا من حرصه، فما قام ﷺ وثَم منها درهم.

قال ابن دحية: هذا علىٰ امتداد قامة العباس وطوله في الناس؛ إذ كان ممَّن يُقِلُّ من الأرض فيما الجمل إذا برك يحمله، فما يُدرَىٰ قَدْر ما حمل من تلك الدراهم النقرة علىٰ كاهله.

وفي خبر مرسل أنه كان مائة ألف ألف، رواه أبو بكر ابن أبي شيبة عن حميد ابن هلال[1].

(وجاءه رجل فسأله) شيئًا من متاع الدنيا (**فقال: ما عندي شيء، ولكن ابْتَعْ عليَّ**) بتقديم الموحدة علىٰ المثناة الفوقية، أي اشترِ شيئًا بثمن في الذمة عليَّ أداؤه (**فإذا جاءنا شيء قضيناه. فقال عمر**) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (**يا رسول الله، ما كلَّفك الله ما لا تقدر عليه. فكره النبي ﷺ ذلك، فقال الرجل: أنفِقْ ولا تخفْ من ذي العرش إقلالًا**) أي شيئًا من الفقر (**فتبسم النبي ﷺ، وعُرِف السرور في وجهه**) قال العراقي[2]: رواه

---

(١) الذي في مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٣٠٣: «ثمانمائة ألف».

(٢) المغني ١/ ٦٨٠.

الترمذي في الشمائل[١] من حديث عمر، وفيه موسىٰ بن أبي علقمة الفروي لم يروِ عنه غير ابنه هارون.

قلت: وفيه عنده: فقال عمر: يا رسول الله، قد أعطيتَه، فما كلَّفك الله ما لا تقدر عليه. ومعنىٰ[٢] قوله «أعطيته»: أي شيئًا مرة بعد أخرىٰ قبل هذه، أو الميسور من القول وهو قولك «ما عندي شيء»، فاكتفِ بذلك ولا تجعل في ذمتك شيئًا[٣]، وفيه: فكره النبيُّ ﷺ قول عمر. أي من حيث التزامه قنوط السائل وحرمانه لا بمخالفة الشرع. وفيه: فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أنفِقْ ... الخ. وفي آخره: «بهذا أُمِرتُ»، أي بالإنفاق وعدم الخوف لا بما قال عمر، كما أفاده تقديم الظرف المفيد للقصر، أي قصر القلب ردًّا لاعتقاد عمر، وأفاد ﷺ بذكره أمره بالإنفاق في هذه الحالة أنه مأمور به في كل حال دعت المصلحة إليه لاستلاف أو نحوه؛ لأنه يمكنه بقرض أو نحوه، فإن عجز فبِعَدة؛ إذ هي إنفاق لا أنها التزام للنفقة.

تنبيه: الحديث المشهور علىٰ الألسنة: «أنفِقْ بلال ولا تخشَ من ذي العرش إقلالاً». وفي لفظ: يا بلال. وفي لفظ: ولا تخافنَّ. رواه الطبراني[٤] والبزار[٥] من حديث ابن مسعود، ورواه العسكري في الأمثال[٦] من حديث عائشة، وأخرجه الطبراني[٧] أيضًا من حديث أبي هريرة، وكذلك رواه البيهقي في الشعب[٨] متصلاً ومن مرسل ابن سيرين. وما يُحكَىٰ عن كثيرين في لفظه «أنفِقْ بلالاً» ويتكلَّفون في

(١) الشمائل المحمدية ص ١٧٢.
(٢) أشرف الوسائل ص ٥١٦.
(٣) في أشرف الوسائل: دينا.
(٤) المعجم الكبير ١/ ٣٤٠، ١٠/ ١٩٢.
(٥) مسند البزار ٥/ ٣٤٩.
(٦) وكذلك البيهقي في شعب الإيمان ٣/ ٦٠.
(٧) المعجم الكبير ١/ ٣٤٢.
(٨) شعب الإيمان ٢/ ٤٨٤، ٥/ ٤٢.

توجيهه بكونه نهيًا عن المنع فليس له أصل. نبَّه عليه الحافظ السخاوي[١].

(ولمَّا قفل) ﷺ **(من حنين جاءت الأعراب يسألونه حتىٰ اضطروه إلىٰ شجرة فخطفت رداءه، فوقف رسول الله** ﷺ **وقال: أعطوني ردائي، لو كان لي عدد هذه العضاة)** هي من أشجار البادية **(نعمًا)** أي إبلاً **(لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذابًا ولا جبانًا)** قال العراقي[٢]: رواه البخاري[٣] من حديث جبير بن مطعم.

قلت: ولفظه: بينما أنا مع النبي ﷺ ومعه الناس مقفلة من حنين علقت برسول الله ﷺ الأعراب [يسألونه] حتىٰ اضطرُّوه إلىٰ سَمُرة ... فذكره، وفيه: ولا كذوبًا، بدل: كذابًا. ورواه البيهقي في الدلائل[٤] من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بلفظ المصنِّف.

(١) المقاصد الحسنة ص ١٠٣ - ١٠٤.

(٢) المغني ١/ ٦٨٠.

(٣) صحيح البخاري ٢/ ٣١٢، ٤٠٤.

(٤) دلائل النبوة ٥/ ١٩٥ - ١٩٦.

(بيـان شجاعتـه ﷺ)

(كان ﷺ أنجد الناس وأشجعهم) قال العراقي[١]: رواه الدارمي[٢] من حديث ابن عمر بسند صحيح: ما رأيت أجلد ولا أجود ولا أشجع ولا أرضىٰ من رسول الله ﷺ. وللشيخين من حديث أنس: كان أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس.

(قال علي رضي الله عنه: لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي ﷺ وهو أقربنا إلىٰ العدو، وكان من أشد الناس بأسًا يومئذٍ) قال العراقي[٣]: رواه أبو الشيخ في الأخلاق[٤] بإسناد جيد.

(وقال) رضي الله عنه **(أيضًا: كنا إذا احمرَّ البأس)** أي اشتد الكرب في الحرب **(ولقي القومُ القومَ اتَّقينا برسول الله ﷺ، فما يكون أحد أقرب إلىٰ العدو منه)** قال العراقي[٥]: رواه النسائي[٦] بإسناد صحيح. ولمسلم نحوه من حديث البراء[٧].

(وقيل: كان رسول الله ﷺ قليل الكلام، قليل الحديث، فإذا أمر الناس

---

(١) المغني ١/ ٦٨١.

(٢) سنن الدارمي ١/ ٤٤، وفيه: أنجد، بدل: أجلد. أما قوله «أرضىٰ» ففي المغني: أرمىٰ. وفي مطبوع الدارمي وحلية الأولياء ٧/ ٢٤٤: أوضأ، أو أضوأ. وفي مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ص ١٢٠: أوفىٰ. وحديث أنس تقدم غير مرة.

(٣) المغني ١/ ٦٨١.

(٤) أخلاق النبي وآدابه ١/ ٣١٣.

(٥) المغني ١/ ٦٨١.

(٦) السنن الكبرىٰ ٨/ ٣٤.

(٧) وسيأتي لفظه قريبا.

بالقتال تشمَّر) قال العراقي[١]: رواه أبو الشيخ[٢] من حديث سعد بن عياض الثُّمالي مرسلاً.

قلت: وروىٰ أحمد[٣] من طريق سِماك قال: قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس النبيَّ ﷺ؟ قال: نعم، وكان طويل الصمت، قليل الضحك. رجاله رجال الصحيح غير شريك، وهو ثقة[٤]. وسعد بن عياض المذكور تابعي، يروي عن ابن مسعود، وعنه أبو إسحاق السبيعي، وُثِّق، روىٰ له أبو داود والنسائي. كذا في الكاشف[٥].

(وكان) ﷺ **(من أشد الناس بأسًا)** رواه أبو الشيخ من حديث علي في قصة بدر، وقد تقدَّم قريبًا.

(وكان الشجاع هو الذي يقرُب منه في الحرب؛ لقُربه من العدو) قال العراقي[٦]: رواه مسلم[٧] من حديث البراء: كنا واللهِ إذا حمي البأسُ نتَّقي به، وإن الشجاع منا الذي يحاذي به.

(وقال عمران بن حصين) رضي الله عنه: **(ما لقي رسول الله ﷺ كتيبة)**: طائفة من الجيش مجتمعة **(إلا كان أول من يضرب)** قال العراقي[٨]: رواه أبو الشيخ[٩]، وفيه من لم أعرفه.

---

(١) المغني ١/ ٦٨١.

(٢) أخلاق النبي وآدابه ١/ ٣١٩.

(٣) مسند أحمد ٣٤/ ٤٠٥.

(٤) مجمع الزوائد ١٠/ ٥٣٣.

(٥) الكاشف للذهبي ١/ ٤٣٠.

(٦) المغني ١/ ٦٨١ - ٦٨٢.

(٧) صحيح مسلم ٢/ ٨٥٣.

(٨) المغني ١/ ٦٨٢.

(٩) أخلاق النبي وآدابه ١/ ٣٢٧.

(قالوا: وكان) ﷺ **(قوي البطش)** قال العراقي[١]: رواه أبو الشيخ[٢] من رواية أبي جعفر معضلاً.

قلت: ورواه ابن سعد[٣] عن محمد بن علي مرسلاً بلفظ: كان شديد البطش.

قال الشارح[٤]: ومع ذلك فلم تكن الرحمة منزوعة عن بطشه؛ لتخلُّقه بأخلاق الله تعالىٰ، وهو سبحانه ليس له وعيد وبطش شديد ليس فيه شيء من الرحمة واللطف.

وقال العراقي: وللطبراني [في الأوسط][٥] من حديث عبد الله بن عمرو: «وأُعطيتُ قوة أربعين في البطش والجماع». وسنده ضعيف.

(ولما غشيه المشركون) يوم حنين **(نزل عن بغلته فجعل يقول: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب)** قال العراقي[٦]: متفق عليه[٧] من حديث البراء.

قلت: ومعنىٰ[٨] قوله «أنا النبي لا كذب»: أي حقًّا فلا أفرُّ ولا أزول، أي صفة النبوة يستحيل معها الكذب، فكأنَّه قال: أنا النبي، والنبي لا يكذب، فلست بكاذب فيما أقول حتىٰ أنهزمُ، بل أنا متيقِّن أن ما وعدني الله تعالىٰ من النصر حقٌّ، فلا يجوز عليَّ الفرارُ. «أنا ابن عبد المطلب» فيه دليل لجواز قول الإنسان في الحرب: أنا فلان ابن فلان، ومنه قول علي رضي الله عنه: أنا الذي سمَّتني أمي حيدرة. وقول سلمة:

(١) المغني ١/ ٦٨٢.
(٢) أخلاق النبي وآدابه ١/ ٣٣٤.
(٣) الطبقات الكبرىٰ ١/ ٣٦١.
(٤) فيض القدير ٥/ ١٧٢.
(٥) المعجم الأوسط ١/ ١٧٨.
(٦) المغني ١/ ٦٨٢.
(٧) صحيح البخاري ٢/ ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٤٠، ٣٧٠، ٣/ ١٥٤. صحيح مسلم ٢/ ٨٥٣ - ٨٥٤.
(٨) أشرف الوسائل ص ٣٤٤ - ٣٤٦.

أنا ابن الأكوع. والمنهيُّ عنه قول ذلك علىٰ وجه الافتخار كما كانت الجاهلية تفعله. وانتسب لجده عبد المطلب دون أبيه عبد الله لأنه توفي شابًّا في حياة أبيه عبد المطلب، فلم يشتهر كاشتهار أبيه، وكان عبد المطلب سيد قريش وسيد أهل مكة، ومن ثَم نُسب إليه ﷺ في نحو قول ضمام: أيُّكم ابن عبد المطلب[1]؟ **(فما رُؤي يومئذٍ أحد أشد منه)** ﷺ؛ لأنه لما استقبلهم من هوازن ما لم يروا مثله قط من السواد والكثرة وذلك في غبش الصبح، وخرجت الكتائب من مضيق الوادي، فحملوا حملة واحدة، فانكشفت خيل بني سليم مولية، وتبعهم أهل مكة والناس، ولم يثبُت معه ﷺ [يومئذٍ] إلا عمه العباس وأبو سفيان ابن الحارث وأبو بكر وعمر وأسامة في أناس من أهل بيته وأصحابه، قال العباس: وأنا آخِذ بلجام بغلته أكفُّها مخافةَ أن يصل إلىٰ العدو؛ لأنه كان يتقدم في نحرهم وأبو سفيان آخِذ بِركابه. ومما يدل علىٰ شجاعته ﷺ وكونه أشدهم بأسًا ركوبه يومئذٍ علىٰ بغلته البيضاء وهي دلدل - كما في رواية مسلم - مع عدم صلاحيتها للحرب كرًّا وفرًّا ومن ثَم لم يسهم لها، ومع [أنها في] العادة إنما هي من مراكب الطمأنينة، ومع أن الملائكة الذين قاتلوا معه في ذلك اليوم لم يكونوا إلا علىٰ الخيل لا غير، ومع أنه كان له أفراس متعددة في مواطن الحرب، وهذا هو النهاية القصوىٰ في الشجاعة والثبات، وفيه إعلام بأن سبب نصرته مدده السماوي والتأييد الإلهي الخارق للعادة، وبأنه ظاهر المكانة والمكان؛ ليرجع إليه المسلمون وتطمئن قلوبهم بمشاهدة جميل ذاته وجليل آياته كركضه بها في نحر العدو مع فرار الناس عنه ولم يبقَ معه إلا أكابر أصحابه، وكنزوله عنها إلىٰ الأرض مبالغةً في الثبات والشجاعة، ومساواةً في مثل هذا المقام للماشينَ من أصحابه. والله أعلم.

---

(١) كما عند أبي داود (٤٨٧) من حديث ابن عباس.

(بيـــان تواضعـــه ﷺ)

(**كان ﷺ أشد الناس تواضعًا علىٰ علوِّ منصبه**) قال العراقي[١]: رویٰ أبو الحسن ابن الضحاك في الشمائل من حديث أبي سعيد الخدري في حديث طويل في صفته قال فيه: متواضع في غير مذلة [وإسناده ضعيف].

(**قال ابن عامر**) كذا في النسخ الصحيحة، ووقع في بعضها: ابن عباس. وهو غلط (**رأيته**) ﷺ (**يرمي الجمرة**) أي جمرة العقبة (**علىٰ ناقة صهباء، لا طرد ولا ضرب ولا إليك إليك**) قال العراقي[٢]: رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث قُدامة بن عبد الله بن عمَّار، قال الترمذي: حسن صحيح. وفي كتاب أبي الشيخ[٣]: قدامة بن عبد الله بن عامر، كما ذكره المصنف.

قلت: تقدم هذا الحديث في الكتاب الذي قبله من رواية سفيان الثوري عن أيمن بن نابل نزيل عسقلان عن قدامة، وكذا من رواية البهلول عن أيمن بن نابل في قصة الرشيد، وهو[٤] قدامة بن عبد الله بن عمار بن معاوية العامري الكلابي، له صحبة، وله أحاديث، وقال ابن السكن: كان يسكن بنجد، ولم يهاجر، لقي النبيَّ ﷺ في حجة الوداع. وروىٰ عبد الرزاق عن أيمن بن نابل هذا الحديث ونسبه فيه إلىٰ جده فقال: قدامة بن عمار. وبه يظهر أن المصنف تبع نسخةَ أبي الشيخ في قوله: ابن عامر.

---

(١) المغني ١/ ٦٨٣.

(٢) المغني ١/ ٦٨٣.

(٣) أخلاق النبي وآدابه ١/ ٣٤٣.

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة ٨/ ١٤٢ - ١٤٣.

(وكان) ﷺ **(يركب الحمار موكفًا)** أي مشدودًا عليه بالإكاف **(عليه قطيفة)** وهي دِثار له خَمَلٌ **(وكان مع ذلك يستردف)** رواه الشيخان[١] من حديث أسامة ابن زيد. وتارةً يركبه عريًّا ليس عليه شيء، كما رواه ابن سعد[٢] من حديث حمزة بن عبد الله بن عُتبة مرسلاً. وهذا يدل علىٰ غاية التواضع ونهاية الخضوع.

(وكان) ﷺ **(يعود المريض)** ولو كان في آخر المدينة راكبًا وماشيًا **(ويتَّبع الجنازة، ويجيب دعوة المملوك)** وفي لفظ: العبد. إلىٰ[٣] أيِّ حاجة دعاه إليها، قرُب محلُّها أو بعُد. رواه الترمذي وضعَّفه وابن ماجه والحاكم وصحَّح إسناده من حديث أنس، وتقدم مقطَّعًا. ولفظ الحاكم: كان يُردِف خلفه، ويضع طعامه علىٰ الأرض، ويجيب دعوة المملوك، ويركب الحمار.

(ويخصف النعل) أي يخرزها بيده **(ويرقِّع الثوب)** أي يخيطه أو يحط له رقعة. روىٰ ابن عساكر[٤] من حديث أبي أيوب: كان يركب الحمار، ويخصِف النعل، ويرقِّع القميص، ويلبس الصوف.

(وكان يصنع في بيته مع أهله في حاجتهم) روىٰ أحمد من حديث عائشة: كان يخيط ثوبه، ويخصف نعله، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم. وقد تقدم في أوائل آداب المعيشة.

(وكان أصحابه) ﷺ **(لا يقومون له)** إذا أقبل عليهم **(لِما عرفوا من كراهته لذلك)** أي[٥] لأجل المعلوم المستقر عندهم وهو كراهته تواضعًا وشفقةً عليهم وإسقاطًا لبعض حقوقه المتعيَّنة عليهم، فاختاروا إرادته علىٰ إرادتهم، ولا يعارض

---

(١) صحيح البخاري ٣/ ٢١٢، ٤/ ٢٨، ٨٣، ١٢٩، ١٤١. صحيح مسلم ٢/ ٨٦٥.

(٢) الطبقات الكبرىٰ ١/ ٣١٩.

(٣) أشرف الوسائل ص ٤٧٧.

(٤) تاريخ دمشق ٤/ ٧٧.

(٥) أشرف الوسائل ص ٤٨٠.

ذلك قولُه ﷺ للأنصار: «قوموا لسيدكم». أي سعد بن معاذ؛ لأن هذا حق للغير، فأعطاه ﷺ له وأمرهم بفعله، بخلاف قيامهم له ﷺ فإنه حق لنفسه فتركه تواضعًا.

قال العراقي[١]: رواه الترمذي من حديث أنس، وتقدم في آداب الصحبة.

قلت: لفظ الترمذي في الشمائل: وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لِما يعلمون من كراهته لذلك.

(وكان) ﷺ **(يمر علىٰ الصبيان)** وهم يلعبون **(فيسلِّم عليهم)** فيردُّون عليه. رواه الترمذي من حديث أنس، وتقدم في آداب الصحبة، ورواه البخاري بلفظ: أنه ﷺ مر علىٰ صبيان فسلَّم عليهم. وروىٰ النسائي[٢] من حديثه: كان يزور الأنصار ويسلِّم علىٰ صبيانهم ويمسح رؤوسهم.

(وأُتي النبي ﷺ برجل فأُرعِد من هيبته) أي انتفض جسمه من مهابته ﷺ عند وقوع بصره عليه؛ إذ قد تقدم من وصفه أنه مَن رآه بديهةً هابه **(فقال له: هوِّنْ عليك فلستُ بملك)** كملوك الأرض يُهاب منهم **(إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل من القديد)** وهو اللحم اليابس، وكانت قريش تقدِّد اللحم وترفعه لوقت الحاجة.

قال العراقي[٣]: رواه الحاكم[٤] من حديث جرير، وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين.

(وكان) ﷺ **(يجلس بين أصحابه)** حالة كونه **(مختلطًا بهم كأنه أحدهم، فيأتي الغريب)** من الخارج **(فلا يدري أيهم هو)** ﷺ **(حتىٰ يسأل عنه)** فكان يقول:

---

(١) المغني ١/ ٦٨٤.

(٢) السنن الكبرىٰ ٧/ ٣٨٦، ٩/ ١٣١. وزاد في آخره: ويدعو لهم.

(٣) المغني ١/ ٦٨٤.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٥٤٨. ورواه هو ٣/ ٥٣ وابن ماجه ٥/ ٤١ من حديث أبي مسعود الأنصاري.

أيُّكم ابن عبد المطلب؟ أو: أيُّكم رسول الله؟ فكانوا يقولون: هذا الأبيض المتَّكئ (**حتىٰ طلبوا إليه أن يجلس مجلسًا**) مرتفعًا (**يعرفه الغريب**) فسكت ﷺ موافقًا لِما رأوه (**فبنوا له دكَّانًا من طين، فكان يجلس عليه**) في المصباح[١]: الدُّكَّان يطلق علىٰ الحانوت وعلىٰ الدكة التي يُقعَد عليها، قال الأصمعي: إذا مالت النخلة بُني تحتها من قِبَل المَيل بناء كالدكان فيمسكها بإذن الله تعالىٰ[٢]. أي دكة مرتفعة. وقال الفارابي: الطَّلَل: ما شخصَ من آثار الدار كالدكان ونحوه. وأما وزنه فقال السرقسطي[٣]: النون زائدة عند سيبويه[٤]، وكذلك قال الأخفش، وهي مأخوذة من قولهم: أَكَمة دَكَّاء، أي منبسطة. وقال ابن القَطَّاع[٥] وجماعة: هي أصلية، مأخوذة من دكنت المتاع: إذا نضدته. ووزنه علىٰ الزيادة: فُعْلان، وعلىٰ الأصالة: فُعَّال. حكىٰ القولين الأزهري[٦] وغيره. فإن جعلتَ الدكان بمعنىٰ الحانوت ففيه التذكير والتأنيث. ووقع في كلام المصنِّف في كتب الفروع: حانوت أو دكان. فاعترض بعضهم[٧] عليه وقال: الصواب حذف إحدىٰ اللفظتين، فإن الحانوت هي الدكان.

---

(١) المصباح المنير ص ١٩٨.

(٢) نقله عنه أبو حاتم السجستاني في كتاب النخلة ص ٨٢ (ط - دار البشائر الإسلامية) وأوله: «إذا كرمت النخلة ونُفس فيها ثم مالت ...» الخ.

(٣) الأفعال ٣/ ٣٣١.

(٤) ذكر ذلك في الكتاب ٤/ ٢٥٩ تحت باب: ما لحقته الزوائد من بنات الثلاثة من غير الفعل، وفيه: «ويكون الاسم علىٰ فُعْلان، نحو: عثمان وذبيان ودكان».

(٥) الأفعال ١/ ٣٥١. ونصه: «دكنت المتاع دكنا: نضدت بعضه علىٰ بعض، ومنه اشتقاق الدكان».

(٦) اقتصر الأزهري في تهذيب اللغة ١٠/ ١٢٤ علىٰ القول الثاني فقط فقال: «قال الليث: والدكان فعال، والفعل: التدكين».

(٧) المعترض هو الرافعي، حيث قال في فتح العزيز ٦/ ١٦٤: «قول الغزالي في الوجيز: وقد استأجر دكانا أو حانوتا. الوجه طرح أحد اللفظين، فإن الدكان هو الحانوت، قال في الصحاح: الدكان واحد الدكاكين وهي الحوانيت». والمذكور في متن الوجيز ١/ ٤١٣ (ط - دار الأرقم) هو الحانوت فقط، فلعله وقعت للرافعي نسخة فيها ذكر الدكان.

ولا وجه لهذا الاعتراض؛ لِما تقدم من أن الدكان يطلق علىٰ الحانوت وعلىٰ الدكة. والله أعلم.

قال العراقي[١]: رواه أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة وأبي ذر، وقد تقدم.

(وقالت عائشة ﷺ**)** لرسول الله: **(كُلْ جعلني الله فداءك متكئًا، فإنه أهون عليك. قالت: فأصغىٰ برأسه حتىٰ كاد أن تصيب جبهته الأرضَ ثم قال: بل آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد)** قال العراقي[٢]: رواه أبو الشيخ[٣] من رواية عبد الله بن عبيد بن عمير عنها بسند ضعيف.

قلت: ورواه أيضًا ابن سعد في الطبقات[٤] وأبو يعلىٰ[٥] نحوه.

وهذا[٦] أورده علىٰ منهج التربية لأمَّته، فإنه المربِّي الأكبر، فإخباره عن نفسه بذلك في ضمنه الإرشاد لهم إلىٰ مثل ذلك الفعل، وأما هو في حد ذاته فيخالف جميع العباد في العبادة والعادة تمكَّنَ للأكل أو لم يتمكن، إذ لو لم يكن مستحضرًا لمَرائي ربه من إقباله في سائر حالاته لَما حسُن منه هذا القولُ.

(وكان) ﷺ **(لا يأكل علىٰ خوان)** بالكسر[٧] ويُضَم، هو المائدة ما لم يكن عليها طعام، وهو ممَّا يعتاد بعض المتكبِّرين والمترفِّهين الأكلَ عليه احترازًا عن خفض رؤوسهم، فالأكل عليه بدعة إلا أنها جائزة **(ولا في سُكُرُّجة)** بضم أحرفه

---

(١) المغني ١/ ٦٨٥.
(٢) السابق ١/ ٦٨٥.
(٣) أخلاق النبي وآدابه ١/ ٣٩١.
(٤) الطبقات الكبرىٰ ١/ ٣١٩ - ٣٢٠.
(٥) مسند أبي يعلىٰ ٨/ ٣١٨.
(٦) فيض القدير ١/ ٥٥ حتىٰ قوله (أو لم يتمكن).
(٧) أشرف الوسائل ص ٢١٢.

الثلاث مع تشديد الراء، وقيل: الصواب فتحُ رائه لأنه معرَّب عن مفتوحها، وهي إناء صغير يُجعَل فيه ما يُشتهَىٰ ويُهضَم علىٰ الموائد حول الأطعمة **(حتىٰ لحق بالله ﷻ)** قال العراقي[١]: رواه البخاري من حديث أنس، وتقدم في آداب الأكل.

قلت: ورواه كذلك الترمذي في الشمائل.

(وكان) ﷺ (لا يدعوه أحد من أصحابه وغيرهم إلا قال: لبيك) قال العراقي[٢]: رواه أبو نعيم في الدلائل[٣] من حديث عائشة، وفيه حسين بن علوان، متهم بالكذب. وللطبراني في الكبير[٤] بإسناد جيد من حديث محمد بن حاطب في أثناء حديث: أن أمه قالت: يا رسول الله، فقال: «لبيكِ وسعديكِ ...» الحديث.

قلت: لفظ أبي نعيم في الدلائل: ما كان أحد أحسن خُلقًا منه، ما دعاه أحد من أصحابه [ولا من أهله] إلا قال: لبيك.

وقد أخرج حديث محمد بن حاطب أيضًا أحمد[٥] والبغوي، وفيه: أن أمه قالت: يا رسول الله، هذا محمد بن حاطب، وهو أول مَن سُمِّي بك ... الحديث. وليس في سياقه ما زاده الطبرانيُّ.

(وكان) ﷺ (إذا جلس مع الناس إن تكلموا في معنىٰ الآخرة أخذ معهم) أي في الحديث **(وإن تحدثوا في طعام أو شراب تحدث معهم، وإن تكلموا في الدنيا تحدث معهم، رفقًا بهم وتواضعًا لهم)** قال العراقي[٦]: رواه الترمذي في الشمائل[٧]

---

(١) المغني ١/ ٦٨٥.

(٢) السابق ١/ ٦٨٥.

(٣) دلائل النبوة ص ١٨١.

(٤) المعجم الكبير ١٩/ ٢٤١، ٢٤/ ٣٦٤.

(٥) مسند أحمد ٢٤/ ١٩١، ٤٥/ ٤٥٨. وليس فيه (وهو أول من سمي بك) وهذه الزيادة عند ابن حبان في صحيحه ٧/ ٢٤٢، والحاكم في المستدرك ٤/ ١٥٤.

(٦) المغني ١/ ٦٨٥.

(٧) الشمائل المحمدية ص ١٦٥ - ١٦٦.

من حديث زيد بن ثابت دون ذِكر الشراب، وفيه سليمان بن خارجة، تفرَّد عنه الوليد بن أبي الوليد، ذكره ابن حبان في الثقات[١].

قلت: وأخرجه البيهقي في الدلائل[٢] من هذا الوجه عن سليمان بن خارجة عن خارجة بن زيد أن نفرًا دخلوا علىٰ أبيه زيد بن ثابت فقالوا: حدِّثْنا عن بعض أخلاق رسول الله ﷺ. فقال: كنت جاره، فكان إذا نزل الوحي عليه بعث إليَّ فآتيه فأكتب الوحي، وكنا إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا، فكل هذا نحدِّثكم عنه.

(وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه أحيانًا) فيَسمعهم **(ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية ويضحكون فيتبسم هو إذا ضحكوا)** ولا يزيد علىٰ ذلك **(ولا يزجرهم إلا عن حرام)** قال العراقي[٣]: رواه مسلم[٤] من حديث جابر بن سمرة دون قوله: ولا يزجرهم إلا عن حرام.

قلت: رواه مسلم عن يحيىٰ بن يحيىٰ حدثنا أبو خيثمة عن سِماك بن حرب: قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس رسولَ الله ﷺ؟ قال: نعم كثيرًا، كان لا يقوم من مصلاَّه الذي يصلي فيه [الصبح] حتىٰ تطلُع الشمس، فإذا طلعت قام، وكانوا يتحدَّثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم.

ورواه البيهقي في الدلائل[٥] من رواية شريك وقيس عن سِماك عن جابر بن سمرة بلفظ: قال: نعم، كان طويل الصمت، قليل الضحك، وكان أصحابه ربما تناشدوا عنده الشعر والشيء من أمورهم فيضحكون وربما يتبسَّم.

---

(١) الثقات ٦/ ٣٨٨.
(٢) دلائل النبوة ١/ ٣٢٤.
(٣) المغني ١/ ٦٨٦.
(٤) صحيح مسلم ١/ ٣٠١، ٢/ ١٠٩٦.
(٥) دلائل النبوة ١/ ٣٢٣ - ٣٢٤.

(بيان صورته ﷺ وخِلقته)

وإنما[١] قدَّم الكلامَ علىٰ خُلقه ﷺ إذ هو أَولىٰ بالتقديم من حيث إن الكلام فيه أظهر وأتم؛ إذ هو الطبع والسجيَّة وحقيقة الصورة الباطنة من النفس وأوصافها ومعانيها المختصَّة بها، ثم عقَّبه بذكر ما يتعلق بخَلقه الظاهر لكونه تابعًا للباطن وعنوانًا عليه. واعلمْ أن من تمام الإيمان به ﷺ اعتقاد أنه لم يجتمع في بدن آدمي من المحاسن الظاهرة ما اجتمع في بدنه ﷺ، وسر ذلك أن المحاسن الظاهرة آيات علىٰ المحاسن الباطنة والأخلاق الزكية، ولا أكمل منه ﷺ بل ولا مساوٍ له في هذا المدلول، فكذلك في الدالِّ، ومن ثَم نقل القرطبي عن بعضهم أنه لم يظهر تمام حُسنه ﷺ وإلا لَما طاقت أعين الصحابة النظر إليه. ثم اعلمْ أن الكلام علىٰ خَلقه ﷺ يستدعي الكلامَ علىٰ ابتداء وجوده فاحتيجَ إلىٰ ذِكره وإن أغفله المصنف رحمه الله تعالىٰ، وملخَّصه أنه صح في مسلم[٢] أنه قال: «إن الله كتب مقادير الخَلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه علىٰ الماء». ومن جملة ما كتب في الذِّكر - وهو أم الكتاب - أن محمدًا خاتم النبيين. وصح أيضًا: «إني عبد الله في أم الكتاب لَخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته». أي لَطريح ملقًىٰ قبل نفخ الروح فيه. وصح أيضًا: يا رسول الله، متىٰ كنتَ نبيًّا؟ فقال: «وآدم بين الروح والجسد». ورُوي: كُتبتَ، من الكتابة. وروىٰ الترمذي[٣] وحسَّنه: يا رسول الله، متىٰ وجبت لك النبوةُ؟ فقال: «وآدم بين الروح والجسد». ومعنىٰ وجوب النبوة وكتابتها: ثبوتها وظهورها في الخارج، أي: للملائكة[٤]، وروحه

(١) أشرف الوسائل ص ٣٢ - ٤٠.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ١٢٢٥ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٣) سنن الترمذي ٦/ ٧ من حديث أبي هريرة.

(٤) الصواب: أي للملائكة.

ﷺ في عالَم الأرواح إعلامًا بعظيم شرفه وتميُّزه عن بقية الأنبياء عليهم السلام، وخص الإظهار بحالة كون آدم بين الروح والجسد لأنه أوان دخول الأرواح إلىٰ عالَم الأجساد، والتمايُز حينئذٍ أتم وأظهرُ، فاختصَّ ﷺ بزيادة إظهار شرفه حينئذٍ ليتميَّز علىٰ غيره تميُّزًا أظهر[١] وأتم. وأجاب المصنِّف في بعض كتبه عن وصف نفسه بالنبوة قبل وجود ذاته وخبر «أنا أول الأنبياء خلقًا، وآخرهم بعثًا» بأن المراد بالخَلق هنا التقدير لا الإيجاد، فإنه قبل أن تحمل به أمُّه لم يكن مخلوقًا موجودًا، ولكن الغايات والكمالات سابقة في التقدير، لاحقة في الوجود، فقوله «كنت نبيًا» أي في التقدير[٢] قبل تمام خِلقة آدم؛ إذ لم ينشأ إلا ليُنتزَع من ذريته محمد ﷺ، وتحقيقه: أن للدار في ذهن المهندسين وجودًا ذهنيًا سببًا للوجود الخارجي وسابقًا عليه، فالله تعالىٰ يقدِّر ثم يوجِد علىٰ وفق التقدير ثانيًا. ا.هـ. وذهب السبكي[٣] إلىٰ ما هو أحسن وأبين وهو أنه جاء أن الأرواح خُلقت قبل الأجساد، والإشارة بـ «كنت نبيًّا» إلىٰ روحه الشريفة أو حقيقة من حقائقه ولا يعلمها إلا الله ومَن حباه بالاطِّلاع عليها، ثم إن الله تعالىٰ يؤتي كل حقيقة منها ما شاء في أيِّ وقت شاء، فحقيقته ﷺ قد تكون من قبل خلق آدم آتاها الله ذلك الوصف بأن خلقها متهيِّئة له وأفاضه عليها من ذلك الوقت فصار نبيًّا وكتب اسمه علىٰ العرش ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته عنده، فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وإن تأخر جسده الشريف المتَّصف بها، فحينئذٍ فإيتاؤه النبوة والحكمة وسائر أوصاف حقيقته وكمالاته معجَّل لا تأخير فيه، وإنما المتأخر تكوُّنه وتنقُّله في الأصلاب والأرحام الطاهرة إلىٰ أن ظهر ﷺ، ومَن فسَّر ذلك بعلم الله أنه سيصير نبيًّا لم يصل لهذا المعنىٰ؛ لأن علمه تعالىٰ محيط بجميع الأشياء، فالوصف بالنبوة في ذلك الوقت ينبغي أن

---

(١) كذا في الزبيدي، وفي الوسائل: أعظم.

(٢) كذا: أو لعلها: التقديم.

(٣) فتاوىٰ السبكي ١/ ٣٨ - ٤١.

يُفهَم منه أنه أمر ثابت له فيه وإلا لم يختصَّ بأنه نبيٌّ حينئذٍ؛ إذ الأنبياء كلهم كذلك بالنسبة لعلمه تعالىٰ. وقال العماد ابن كثير[1]: [عن علي وابن عباس] في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ الآية [آل عمران: ٨١]: إن الله تعالىٰ لم يبعث نبيًّا إلا أخذ عليه العهد في محمد ﷺ لئن بُعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنَّه، ويأخذ العهد بذلك [علىٰ قومه]. وأخذ السبكي من الآية أنه علىٰ تقدير مجيئه في زمانهم مرسل إليهم فتكون نبوَّته ورسالته عامة لجميع الخلق من آدم إلىٰ يوم القيامة، وتكون الأنبياء والأمم كلهم من أمَّته، فقوله «وبُعثت إلىٰ الناس كافةً» يتناول مَن قبل زمانه أيضًا، وبه يتبيَّن معنىٰ قوله «كنت نبيًّا وآدم بين الروح والجسد»، وكذا حكمة كون الأنبياء تحت لوائه في الآخرة وصلاته بهم ليلة الإسراء. فأول الأشياء علىٰ الإطلاق النور المحمدي، ثم الماء، ثم العرش، ثم القلم. ولمَّا خلق الله آدم جعل ذلك النور في ظهره، فكان يلمع في جبينه، ولما توفي كان ولده شيث وصيَّه، فوصَّىٰ ولده بما وصَّاه به أبوه أن لا يوضع هذا النور إلا في المطهَّرات من النساء، ولم يزل العمل بهذه الوصية إلىٰ أن وصل ذلك النور إلىٰ عبد الله مطهَّرًا من سِفاح الجاهلية، كما أخبر رسول الله ﷺ عن ذلك في عدَّة أحاديث، ثم زوَّج عبدُ المطلب ابنَه عبد الله بآمنة بنت وهب، وهي يومئذٍ أفضل امرأة في قريش نسبًا وموضعًا، فدخل بها وحملت بمحمد ﷺ، فظهر في حمله ومولده عجائب تدل لِما يؤول إليه أمرُ ظهوره ورسالته، وقد صح أن أمَّه ﷺ رأت حين وضعته نورًا أضاء لها قصور الشام. ووُلد مختونًا في قولٍ عامَ الفيل، وحُكي الاتفاق عليه، والمشهور أنه بعده بخمسين يومًا، وقيل: بأربعين، وقيل: بعشر سنين، وقيل غير ذلك. ثم الجمهور علىٰ أنه وُلد في شهر ربيع الأول، فقيل: ثانيه، وقيل: ثامنه، وانتصر له كثيرون من المحدِّثين، وقيل: عاشره، وقيل: ثاني عشره، وهو المشهور، وقيل غير ذلك، وذلك في يوم الاثنين كما صح في مسلم، عقب الفجر كما في رواية ضعيفة.

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/ ٦٧.

ومدة حمله تسعة أشهُر أو عشرة أو ثمانية أو سبعة أو ستة، أقوال، بمكة بمولده المشهور الآن، وهو الأصح، وقيل: بالشِّعب، وقيل: بالردم. ثم أرضعته حليمة السعدية. والمشهور موت أبيه بعد حمله بشهرين، وقيل: وهو في المهد، وماتت أمه ودُفنت بالأبواء، وقيل: بالحجون، بعد أربع سنين أو خمس أو ست أو سبع أو تسع أو اثنىٰ عشر وشهرًا أو وعشرة أيام، أقوال. ومات جده كافله عبد المطلب وله ثمان سنين أو تسع أو عشر أو ست، أقوال. ثم كفله عمُّه شقيق أبيه أبو طالب. وتزوج خديجة وهي بنت أربعين. وهدمت قريش الكعبة وعمرة خمس وثلاثون سنة. ثم لما بلغ أربعين سنة أو وأربعين يومًا أو وشهرين بعثه الله رحمة للعالمين يوم الاثنين لخبر مسلم، في رمضان، وقيل: في ربيع. فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة عشر سنين.

فهذا ما يتعلق بمولده ﷺ علىٰ وجه الاختصار.

(**كان من صفة رسول الله ﷺ**) في قامته الشريفة (**أنه لم يكن بالطويل البائن**) بالهمز[١]، ووهم مَن جعله بالياء، أي المفرط طولاً مع اضطراب [القامة] (**ولا بالقصير المتردد**) الذي يتردد بعض خَلقه علىٰ بعض، ففيه نفيُ الطول المفرط والقِصَر المفرط (**بل كان يُنسَب إلىٰ الرَّبْعة**) بفتح فسكون، وقد يحرَّك، وتأنيثه باعتبار النفس، ولذلك استوىٰ فيه المذكَّر والمؤنث؛ إذ يقال في جمع كلٍّ منهما: رَبْعات، بالسكون، والتحريك شاذ.

روىٰ الشيخان[٢] والخرائطي[٣] من حديث البراء: كان أحسن الناس وجهًا، وأحسنهم خُلقًا، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير ... الحديث. وروىٰ البيهقي في الدلائل[٤] من حديث أبي هريرة: كان رَبْعة، إلىٰ الطول مائل ... الحديث.

---

(١) أشرف الوسائل ص ٤١ - ٤٢، ٤٩ - ٥٠، ٥٦.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٥١٦. صحيح مسلم ٢/ ١١٠٠.

(٣) مكارم الأخلاق ص ٢٨ حتىٰ قوله (خلقا).

(٤) دلائل النبوة ١/ ٢٥٣، ٢٧٥.

وعند الذهلي في الزُّهريات من حديثه: كان ربعة، وهو إلىٰ الطول أقرب. وإسناده حسن. وعند البيهقي[١] من حديث علي: وهو إلىٰ الطول أقرب. وعنده[٢] أيضًا من حديث عائشة: كان يُنسب إلىٰ الربعة. وفي زوائد المسند[٣] لعبد الله بن أحمد: ليس بالذاهب طولاً، وفوق الربعة. ولا[٤] تَنافي بين الأخبار؛ لأنه أمر نسبي، فمَن وصفه بالربعة أراد الأمر التقريبي ولم يُرِد التحديد، ومن ثَم قال ابن أبي هالة: كان أطول من المربوع وأقصر من المشذَّب. وهو البائن الطول في نحافة. رواه الترمذي في الشمائل[٥] والطبراني[٦] والبيهقي[٧]. وروىٰ الترمذي أيضًا في الشمائل[٨]: ليس بالطويل الممغَّط، ولا بالقصير المتردد. وذلك **(إذا مشىٰ وحده، ومع ذلك فلم يماشِه أحدٌ من الناس يُنسَب إلىٰ الطول إلا طاله رسولُ الله ﷺ، ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما، فإذا فارقاه نُسبا إلىٰ الطول ونُسب هو ﷺ إلىٰ الربعة)** رواه ابن أبي خيثمة في التاريخ والبيهقي في الدلائل[٩] وابن عساكر[١٠] من حديث عائشة. وفي خصائص ابن سبع: كان إذا جلس يكون كتفه أعلىٰ من المُجالِس.

(ويقول ﷺ: جُعل الخير كلُّه في الربعة) يعني المعتدل القامة. رواه أبو بكر ابن لال في مكارم الأخلاق والديلمي من حديث عائشة[١١]. ويُروَىٰ عن الحسن

---

(١) السابق ١/ ٢٥٢.

(٢) السابق ١/ ٢٩٨.

(٣) مسند أحمد ٢/ ٤٢٩ من حديث علي بن أبي طالب.

(٤) أشرف الوسائل ص ٤١.

(٥) الشمائل المحمدية ص ١٢.

(٦) المعجم الكبير ٢٢/ ١٥٥.

(٧) دلائل النبوة ١/ ٢٨٦.

(٨) الشمائل المحمدية ص ١٠ من حديث علي بن أبي طالب.

(٩) دلائل النبوة ١/ ٢٩٨.

(١٠) تاريخ دمشق ٣/ ٣٥٦.

(١١) وهو جزء من الحديث الذي قبله.

ابن علي [رفعه]: «إن الله جعل البهاء والهوج في الطوال». قال السخاوي[١]: وما اشتهر على الألسنة «ما خلا قصير من حكمة» فلم أقف عليه.

(وأما لونه) ﷺ **(فقد كان أزهر اللون)** أي[٢] مشرقه نيِّره، قال في الروض[٣]: الزُّهرة لغةً: إشراق في اللون أيّ لونٍ كان من بياض أو غيره. وسيأتي للمصنف تفسيره بعد ذلك **(ولم يكن بالآدَم)** بالمد، أي لم يكن شديد السمرة، وإنما تخالط بياضَه الحمرةُ، لكنها حمرة بصفاء، فيصدُق عليه أنه أزهر **(ولا بالشديد البياض)** وهو المعبَّر عنه بالأمهق. رواه البخاري[٤] والترمذي[٥] من حديث أنس بلفظ: أزهر اللون، ليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم ... الحديث. ورواه الترمذي في الشمائل[٦] عن هند بن أبي هالة [بلفظ]: أزهر اللون، واسع الجبين ... الحديث **(والأزهر)** في اللغة **(هو الأبيض الناصع)** أي الخالص الصافي **(الذي لا تشوبه صفرة ولا حمرة ولا شيء من الألوان)** والاسم: الزُّهرة، بالضم، قال ابن السكِّيت[٧]: هو البياض. وزاد غيره: النَّيِّر، وتقدم عن السهيلي في الروض نقلاً عن أبي حنيفة: هو الإشراق في أيِّ لون كان[٨]. وقال[٩] شَمِر: الأزهر هو الأبيض العتيق البياض النيِّر الحَسن، وهو أحسن البياض، كأنَّ له بريقًا ونورًا يُزهِر كما يزهر النجم والسراج.

---

(١) المقاصد الحسنة ص ٣٦٧.

(٢) فيض القدير ٥/ ٧٤.

(٣) الروض الأنف للسهيلي ٢/ ٧.

(٤) صحيح البخاري ٢/ ٥١٥. والحديث أيضا في صحيح مسلم ٢/ ١٠٩٨، ١١٠٣.

(٥) سنن الترمذي ٦/ ١٧ دون قوله (أزهر اللون).

(٦) الشمائل المحمدية ص ١٢.

(٧) إصلاح المنطق ص ٤٢٩.

(٨) وأبو حنيفة هنا هو الديسنوري، وانظر التاج للمصنف ١١/ ٤٧٤.

(٩) تهذيب اللغة ٦/ ١٥٠.

وروىٰ مسلم[١] وأبو داود[٢] والترمذي في الشمائل[٣] من حديث أبي الطفيل: كان أبيض مليحًا مُقصَّدًا، وفي رواية لمسلم: كان أبيض مليح الوجه. وللترمذي في الشمائل[٤] من حديث أبي هريرة: كان أبيض، كأنَّما صِيغَ من فضة. وفي رواية لأحمد[٥]: فنظرت إلىٰ ظهره كأنه سبيكة فضة. وروىٰ البزار[٦] ويعقوب ابن سفيان[٧] من طريق سعيد بن المسيب عن أبي هريرة: كان شديد البياض. وللطبراني[٨] من حديث أبي الطفيل: ما أنسىٰ شدة بياض وجهه مع شدة سواد شعره.

(ونعته عمُّه) شقيق أبيه **(أبو طالب)** عبد مناف بن عبد المطلب والد علي رضي الله عنه وإخوته الحارث وجعفر وعقيل **(فقال)** في قصيدة طويلة:

(وأبيض يُستسقَىٰ الغمام بوجهه ... ثِمال اليتامىٰ عصمة للأرامل[٩])

ذكره[١٠] ابن إسحاق في السيرة[١١]. وفي المسند[١٢] عن عائشة: أنها تمثَّلت

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ١١٠١.

(٢) سنن أبي داود ٥/ ٣٠١، وفيه بدل (مقصدا): إذا مشىٰ كأنما يهوي في صبوب.

(٣) الشمائل المحمدية ص ١٥ - ١٦.

(٤) السابق ص ١٤.

(٥) مسند أحمد ٢٤/ ٢٧١، ٢٧/ ٢٠٠، ٣٨/ ٢٦٦ من حديث محرش الخزاعي.

(٦) مسند البزار ١٤/ ٢٢٤.

(٧) المعرفة والتاريخ ٣/ ٣٤٢.

(٨) وكذلك ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني ٢/ ١٩٩، ٦/ ٢٠١، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣/ ٣٠٤، وابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ١/ ٣٦٠، وأبو نعيم في معرفة الصحابة ٥/ ٢٩٤٣، ٦/ ٣٥٣٤.

(٩) ديوانه صـ٦٧ ط/ دار الكتاب العربي والبخاري (١٠٠٨).

(١٠) المغني للعراقي ١/ ٦٨٨.

(١١) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣٠٧.

(١٢) مسند أحمد ١/ ٢٠٥ - ٢٠٦.

بهذا البيت وأبو بكر يقضي، فقال أبو بكر: ذاك رسول الله ﷺ. وفيه علي بن زيد بن جدعان، مختلَف فيه. وللبخاري[١] تعليقًا من حديث ابن عمر: ربما ذكرتُ قول الشاعر وأنا أنظر إلىٰ وجه رسول الله ﷺ يستسقي الغمام فما ينزل حتىٰ يجيش كلُّ ميزاب. فأنشده. وقد وصله ابن ماجه[٢] بإسناد صحيح.

(ونعته بعضهم بأنه) ﷺ (**مُشرب**) بتخفيف[٣] الراء وتشديدها (**بحمرة**) وقد رُوي بالوجهين، والإشراب: مداخَلة نافذة سائغة كالشراب وهو الماء الداخل كِلية الجسم للطافته ونفوذه[٤]. ومن قاله بالتشديد أراد به التكثير والمبالغة في شدة البياض [المائل] للحمرة، وبه فُسِّر «كان أزهر اللون» كما عند مسلم عن أنس[٥]. وهذا القول نقله صاحب المصباح[٦] عن بعضهم. وروىٰ البيهقي في الدلائل[٧] من حديث علي: كان أبيض مشربًا بياضه بحمرة ... الحديث. ورواه الترمذي[٨] كذلك. و[رواه] البيهقي[٩] أيضًا من حديثه: كان أبيض مشربًا بحمرة، ضخم الهامة ... الحديث. ثم اعلمْ أن البياض إذا كان مشربًا بالحمرة فإن العرب تطلق عليه الأسمر، ويقولون: السمرة هي الحمرة التي تخالط البياض. وعليه يُحمَل

(١) صحيح البخاري ١/ ٣١٨.

(٢) سنن ابن ماجه ٢/ ٤٢٩.

(٣) فيض القدير ٥/ ٧٠ - ٧٤. أشرف الوسائل ص ٤٢ - ٤٣.

(٤) هذا تعريف أبي الحسن الحرالي، كما نقله عنه البقاعي في نظم الدرر ٢/ ٥٤.

(٥) بل وعند البخاري (٣٥٤٧) أيضًا.

(٦) المصباح المنير ص ٢٥٨، ونصه: «زهَر الشيء يزهَر: صفا لونه وأضاء، وقد يستعمل في اللون الأبيض خاصة، وزهِر الرجل: ابيض وجهه، فهو أزهر، والأنثىٰ زهراء».

(٧) دلائل النبوة ١/ ٢١٢.

(٨) سنن الترمذي ٦/ ٢٧، وليس فيه (بحمرة).

(٩) دلائل النبوة ١/ ٢١٧.

ما رواه أحمد(١) والبزار(٢) وابن منده أنه ﷺ كان أسمر. قال الحافظ(٣): وسنده صحيح، وصحَّحه ابن حبان(٤). وروىٰ البيهقي في الدلائل(٥): كان أبيض، بياضه إلىٰ السمرة. وفي لفظ لأحمد(٦) بسند حسن: أسمر إلىٰ البياض. ويُروَىٰ عن ابن عباس: كان جسمه ولحمه أحمر(٧) إلىٰ البياض. فثبت بمجموع الروايات أن المراد بالسمرة: حمرة تخالط البياض، وبالبياض المثبَت في روايات معظم الصحابة: ما تخالطه الحمرة، وإن وُصف في رواية بأنه شديد الوضح. وفي أخرىٰ سندها قوي [بأنه] شديد البياض؛ لإمكان حملِ شدته علىٰ الأمر النسبي فلا ينافي كونَه مشربًا بها، وبالمنفيِّ ما لا تخالطه هي، وهو الذي تكرهه العرب وتسميه: أمهق، وما روىٰ البخاري والبيهقي في الدلائل من حديث أنس: أزهر اللون، أمهق، ليس بأبيض ولا آدم ... الحديث، فمحمول علىٰ أن المراد بالأمهق: الأخضر اللون الذي ليس بياضه في الغاية الأحمرية والأسمرية، فقد نُقل عن رؤبة بن العَجَّاج أن المَهَق: خضرة الماء(٨)، كما قاله الحافظ ابن حجر، فما توهَّم القاضي أن رواية «ليس بالأبيض ولا بالآدم» غير صواب(٩) – مردود، بل معناها صحيح كما تقرر،

(١) مسند أحمد ٢١/ ٢٦٩، ٣٢٣ من حديث أنس.

(٢) مسند البزار ١٣/ ١٨٠.

(٣) فتح الباري ٦/ ٦٥٨.

(٤) صحيح ابن حبان ١٤/ ١٩٧.

(٥) دلائل النبوة ١/ ٢٠٤ من حديث أنس.

(٦) مسند أحمد ٥/ ٣٨٨ - ٣٨٩ من حديث ابن عباس.

(٧) الذي في مسند أحمد: (أسمر) بالسين. وهي نفسها الرواية السابقة عن ابن عباس.

(٨) نقله عنه الجوهري في الصحاح ٤/ ١٥٥٧.

(٩) نص القاضي عياض في إكمال المعلم ٧/ ٣١٥: «قال المازري: وقوله: ليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم، يعني: لم يكن بالشديد البياض الذي يتوهم الناظر إليه برصا كان بياضه مشربا بحمرة. قلت: المهق هو البياض الناصع الذي لا تخالطه حمرة ولا إشراق لبياضه ولا صفرة كأنه برص، وقد قال في الحديث الآخر: أبيض مشرب. يريد بحمرة، قال الخليل: المهق: بياض في =

وهذا الذي قرَّرناه في الجمع بين الأخبار حسن. وقد أشار المصنف إلىٰ الجمع بتقرير آخر بقوله: (**فقال**) أي هذا البعض الذي نعته بأنه مشرب بحمرة، بعد ثبوت روايات: كان أبيض شديد البياض. وفي بعض النسخ: فقيل. وفي أخرىٰ: فقالوا (**إنما كان المشرب منه بالحمرة ما ظهر للشمس والرياح كالوجه والرقبة، والأزهر الصافي عن الحمرة ما تحت الثياب منه**) وهذا القول نقله البيهقي في الدلائل[١] فقال: يقال: إن المشرب منه بحمرة وإلىٰ السمرة ما ضحا منه للشمس والريح، وأما ما تحت الثياب فهو الأبيض الأزهر.

وهذا القول قد ردَّه ابن حجر في شرح الشمائل بأن أنسًا لملازمته له وقربه منه لا يخفَىٰ عليه أمرُه حتىٰ يصفه بغير صفته الأصلية الملازمة له، فتعيَّن حملُ السمرة في روايته علىٰ الحمرة التي تخالط البياض، كما مر، علىٰ أنه ثبت في [وصف] عنقه الشريف أنه أبيض كأنما صِيغَ من فضة، مع أن العنق بارز. ورُدَّ ذلك أيضًا بأن تأثير الشمس فيه ينافي ما ورد أنه كان تظلِّله سحابة، وهو غفلة؛ لأنه إذ ذاك كان إرهاصًا متقدِّمًا علىٰ النبوة، وأما بعدها فلم يُحفَظ ذلك، كيف وأبو بكر قد ظلَّل عليه بثوبه لما وصل المدينة، وصح أنه ظُلِّل بثوب وهو يرمي الجمرات في حجة الوداع.

تنبيه: قالوا: يكفُر من قال: كان النبي ﷺ أسود؛ لأن وصفه بغير صفته نفيٌ له وتكذيب به، ومنه يؤخذ أن كل صفة عُلم ثبوتها له بالتواتر كان نفيُها كفرًا للعلة المذكورة. وقول بعضهم: لا بد في الكفر من أن يصفه بصفة تُشعِر بنقصه كالأسود هنا، فإن السواد لون مفضول - فيه نظرٌ؛ لأن العلة - كما علمتَ - ليست هي النقص بل ما ذُكر، فالوجه أنه لا فرق. فإن قلت: لونه ﷺ أشرف الألوان، ولون أهل الجنة كذلك، فلِمَ لم تكن ألوانهن البياض المشرب بالحمرة بل بالصفرة،

= زرقة، والمقت مثله، وقيل: أشد منه، والآدم: الأسمر، سمي به لشبه لونه بأدمة الأرض. قال المازري: أي ليس بالشديد السمرة».

(١) دلائل النبوة ٦/ ٢٠٦، وسقطت منه عبارة (وإلىٰ السمرة ما ضحا منه للشمس والريح).

كما قاله جمهور المفسرين في قوله تعالىٰ: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ۝﴾ [الصافات: ٤٩] شبَّههن ببيض النعام المكنون في عشه، ولونها بياض به صفرة حسنة(١). قلت: اللون واحد، وإنما اختلف فيما شِيبَ به، وحكمته - والله أعلم - أن الشوب بالحمرة ينشأ عن الدم وصفائه واعتدال جريانه في البدن وعروقه، وهو من الفضلات الجيدة التي تنشأ عن أغذية هذه الدار، فناسب الشوب فيها، وأما الشوب بالصفرة التي تورث البياض صفاءً وصقالة فلا ينشأ عادةً عن غذاء من أغذية هذه الدار، فناسب أن يختصَّ الشوب به في تلك الدار، فظهر أن الشوب في كلٍّ من الدارين بما يناسبها. فإن قلت: من عادة العرب مدحُ النساء بالبياض المشوب بصفرة، كما وقع في لامية امرئ القيس(٢)، وهذا يدل علىٰ أنه فاضل في ألوان أهل الدنيا أيضًا. قلت: لا نزاع في أنه فاضل، وإنما النزاع في أنه أفضل الألوان في هذه الدار، وليس كذلك، بل أفضلها المشرب بحمرة؛ لِما تقرَّر أن لونه ﷺ أفضل الألوان.

(**وكان عرقه** ﷺ) العَرَق محرَّكة: ما يترشَّح من الجلد (**في وجهه كاللؤلؤ**) في الصفاء والبياض. روىٰ مسلم(٣) في المناقب من حديث أنس: كان أزهر اللون، كأنَّ عرقه اللؤلؤ ... الحديث. وروىٰ البيهقي(٤) من حديث عائشة: كان يخصف نعله، وكنت أغزل، فنظرت إليه، فجعل جبينه يعرق، وجعل عرقه يتلألأ(٥) نورًا.

---

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ص ١٥٧٧، وأبو حيان في البحر المحيط ٧/ ٣٤٤. وروىٰ الطبري في جامع البيان ١٩/ ٥٤٠ عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: البيض الذي يكنه الريش مثل بيض النعام الذي قد أكنه الريش من الريح، فهو أبيض إلىٰ الصفرة، فكأنه يبرق، فذلك المكنون.

(٢) يعني قوله:

كبكر المقاناة البياض بصفرة ... غذاها نمير الماء غير المحلل

ديوانه ص ١١٦. كبكر: كبيضة النعامة أول ما تبيض. المقاناة: التي خالط بياضها صفرة وحمرة. النمير: الصافي. غير المحلل: الذي لم تكدره السابلة عند نزولها عليه.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ١٠٩٨.

(٤) السنن الكبرىٰ ٧/ ٤٢٢. والحديث رواه أبو نعيم في الحلية ٢/ ٤٥.

(٥) الصواب: يتولد. كما في مصادر الحديث، وعند صاحب فتح القدير الناقل عنه المصنف.

وروى[١] أيضًا من حديث علي: كأنَّ عرقه اللؤلؤ **(أطيب من المسك الأذفر)** أي شديد الرائحة. رواه البيهقي من حديث علي: ولَريح عرقه أطيب من المسك الأذفر. وفي سنده رجل مجهول.

وروى مسلم[٢] من طربق سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال: دخل علينا النبي ﷺ، فنام عندنا فعرق، وجاءت أمي بقارورة، فجعلت تسلت العرق [فيها] فاستيقظ النبي ﷺ فقال: «يا أم سليم، ما هذا الذي تصنعين»؟ قالت: هذا عرقك نجعله لطِيبنا، وهو أطيب الطِّيب.

ورواه أيضًا من طريق أبي قِلابة عن أنس عن أم سليم أن النبي ﷺ كان يأتيها فيقيل عندها فتبسط له نِطعًا فيقيل عليه، وكان كثير العرق، فكانت تجمع عرقه فتجعله في الطِّيب والقوارير، فقال النبي ﷺ: «يا أم سليم، ما هذا»؟ قالت: عرقك أدوف به طيبي.

(وأما شعره، فقد كان) ﷺ **(رَجِل الشعرة حسنها)** بسكون الجيم وكسرها **(ليس بالسَّبْط)** بسكون[٣] الباء وكسرها **(ولا الجعد القَطط)** بفتح الطاء الأولىٰ وكسرها، أي شعره ﷺ ليس بنهاية في الجعودة وهي تكسُّره الشديد، ولا في السبوطة وهي عدم انكساره أصلاً، بل كان وسطًا بينهما.

رواه مسلم[٤] والبيهقي في الدلائل[٥] من طريق علي بن حُجْر عن إسماعيل بن جعفر عن ربيعة عن أنس. ورواه البخاري[٦] ومسلم أيضًا من طريق مالك وغيره

---

(١) دلائل النبوة ١/ ٢٧٤.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ١٠٩٩.

(٣) أشرف الوسائل ص ٤٤.

(٤) صحيح مسلم ٢/ ١١٠٣.

(٥) دلائل النبوة ١/ ٢٠٣، ٢١٩.

(٦) صحيح البخاري ٢/ ٥١٥، ٤/ ٧٤.

عن ربيعة. وروى البخاري[١] عن مسلم بن إبراهيم وعمرو بن علي كلاهما عن وهب بن جرير عن أبيه عن [قتادة عن] أنس قال: شعره بين الشعرين، لا سبط ولا جعد، بين أذنيه وعاتقه. ورواه البيهقي في الدلائل[٢] من طريق مسلم بن إبراهيم. وفي رواية لمسلم[٣] من طريق قتادة عن أنس: كان شَعَرًا رَجِلاً، ليس بالجعد ولا بالسبط، بين أذنيه وعاتقه. وروى الترمذي في الشمائل[٤] من حديث أبي هريرة: كان أبيض، كأنَّما صِيغَ من فضة، رَجِل الشعر.

(وكان) ﷺ (إذا مشطه بالمشط) أي سرَّحه به (يأتي كأنه حُبُك الرمل) بضم الحاء المهملة والباء الموحدة، وهي طرائق الرمل. وهذا[٥] يؤيد مَن فسَّر الرَّجِل بالمتكسِّر قليلاً، ولا ينافي ذلك ما تقدم من الروايات؛ لأن الرجولة أمر نسبيٌّ، فحيث أُثبتت أريدَ بها الأمر الوسط بين السبوطة والجعودة، وحيث نُفيت أريدَ بها السبوطة.

(وقيل: كان شعره) ﷺ (يضرب منكبيه) مثنىٰ مَنْكِب كمجلس، وهو مجتمَع رأس العضو والكتف. روىٰ الشيخان[٦] من حديث أنس: كان شعره يضرب منكبيه. أخرجاه من طريق حِبَّان عن همام [عن قتادة] عن أنس. ورواه البخاري[٧] من طريق أبي غسان عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء بلفظ: أن جُمَّته تضرب قريبًا من منكبيه. ورواه كذلك البيهقي في الدلائل[٨]، ورواه مسلم[٩] من طريق أبي كُرَيب عن

---

(١) السابق ٤/ ٧٤.

(٢) دلائل النبوة ١/ ٢١٩.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ١١٠٠.

(٤) الشمائل المحمدية ص ١٤.

(٥) أشرف الوسائل ص ٤٤.

(٦) صحيح البخاري ٤/ ٧٤. صحيح مسلم ٢/ ١١٠٠.

(٧) صحيح البخاري ٤/ ٧٤.

(٨) دلائل النبوة ١/ ٢٢٢ - ٢٢٣.

(٩) صحيح مسلم ٢/ ١١٠٠.

وكيع عن سفيان عن أبي إسحاق عن البراء بلفظ: له شعر يضرب منكبيه ... الحديث **(وأكثر الرواية أنه كان إلىٰ شحمة أذنيه)** روىٰ الشيخان من حديث البراء: يبلغ شعرُه شحمةَ أذنيه. أخرجاه من طريق شعبة عن أبي إسحاق عن البراء. وروىٰ البيهقي في الدلائل[١] من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ثابت عن أنس: كان شعر رسول الله ﷺ إلىٰ شحمة أذنيه. وروىٰ مسلم[٢] من طريق حميد عن أنس: كان شعره إلىٰ أنصاف أذنيه. ولفظ الترمذي في الشمائل[٣]: عظيم الجُمَّة إلىٰ شحمة أذنيه. أي[٤] تكاثُفها ينتهي إلىٰ شحمة أذنيه، وتقدم عن الصحيحين في حديث أنس أنه كان بين أذنيه وعاتقه. وفي أخرىٰ عند الترمذي[٥] وغيره: فوق الجُمَّة ودون الوفرة. وفي رواية: إن انفرقت عقيصته فرق وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره. وفي أخرىٰ: كان إلىٰ أذنيه. وفي أخرىٰ: إلىٰ كتفيه. والجمع بين هذه الروايات: أن ما يلي الأذنَ هو الذي يبلغ شحمتها، وما خلفها هو الذي يضرب منكبيه، أو بأن ذلك لاختلاف الأوقات، فكان إذا ترك تقصيرها بلغت المنكب، وإذا قصَّرها كانت إلىٰ الأذن أو شحمتها أو نصفها، فكانت تطول وتقصر بحسب ذلك.

(وربما جعله غدائر أربعًا تخرج كل أذن من بين غديرتين) قال العراقي[٦]: روىٰ أبو داود[٧] والترمذي[٨] وحسَّنه وابن ماجه[٩] من حديث أم هانئ: قَدِم مكة وله أربع غدائر.

---

(١) دلائل النبوة ١/ ٢٢١.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ١١٠١.

(٣) الشمائل المحمدية ص ٨ من حديث البراء.

(٤) أشرف الوسائل ص ٥١ - ٥٢.

(٥) سنن الترمذي ٣/ ٣٦٠ من حديث عائشة.

(٦) المغني ١/ ٦٨٧.

(٧) سنن أبي داود ٤/ ٤٥٦.

(٨) سنن الترمذي ٣/ ٣٧٨ - ٣٧٩.

(٩) سنن ابن ماجه ٥/ ٢٣٣.

قلت: ورواه البيهقي في الدلائل[١] من طريق سفيان عن ابن أبي نَجِيح عن مجاهد قال: قالت أم هانئ: قَدِم رسولُ الله ﷺ مكة قدمةً وله أربع غدائر. تعني ضفائر. والغديرة والضفيرة هي الذؤابة. ولفظ الترمذي في الشمائل[٢]: قَدِم مكة قدمةً وشعره إلىٰ أنصاف أذنيه، وله أربع غدائر.

والظاهر[٣] أنها عنيتْ قدومه مكة عام الفتح؛ لأنه حينئذٍ اغتسل وصلىٰ الضحىٰ في بيتها، وقدماته إلىٰ مكة أربع متفق عليها: في عمرة القضاء، والفتح، ولما رجع من حنين دخلها حين اعتماره من الجعرانة، وفي حجة الوداع.

(وربما جعل شعره علىٰ أذنيه فتبدو سوالفه تتلألأ) أي تضيء وتتنوَّر من وبيص الطِّيب.

(وكان شيبه) ﷺ **(في الرأس واللحية سبع عشرة شعرة، ما زاد علىٰ ذلك)** رواه البيهقي في الدلائل[٤] من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قيل له: هل كان شابَ رسولُ الله ﷺ؟ فقال: ما شانَه الله تعالىٰ بالشيب، ما كان في رأسه إلا سبع عشرة أو ثمان عشرة شعرة. هكذا هو في نسخة الدلائل عندي، وفي لفظ له عنده: ما كان في رأسه ولحيته. ولم أره في الدلائل[٥]. ورویٰ البخاري[٦] من طريق الليث عن

---

(١) دلائل النبوة ١/ ٢٢٤.

(٢) الشمائل المحمدية ص ٢٢، وليس فيه (وشعره إلىٰ أنصاف أذنيه) وهذه العبارة في حديث أنس، كما تقدم.

(٣) أشرف الوسائل ص ٩٥.

(٤) دلائل النبوة ١/ ٢٣١ - ٢٣٢.

(٥) هو كما قال وقد رواه البيهقي عن شيخه الحاكم وهو عند الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٠٧) من طريق حجاج عن حماد أما لفظة: في رأسه ولحيته. فهي عن أحمد في مسنده (١٣٦٦٢) وابن سعد ١/ ٤٣١ من طريق عفان عن حماد بن سلمة به وعند ابن حبان (١٤/ ٢٠٢) من طريق هدبة بن خالد عن حماد. والذي ذكر هذه اللفظة معزوة إلىٰ البيهقي هو ابن حجر في أشرف الوسائل صـ١٠٣، وما مر يصوبها. والله أعلم.

(٦) صحيح البخاري ٢/ ٥١٥، ٥١٦، ٤/ ٧٤.

خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن ربيعة عن أنس: توفي رسول الله ﷺ وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء. ورواه هو ومسلم[١] أيضًا من طريق مالك عن ربيعة. وروىٰ الترمذي في الشمائل[٢] من حديث ابن عمر: إنما كان شيبه ﷺ نحوًا من عشرين شعرة بيضاء. ولا[٣] مُنافاة بين الروايتين؛ لأن الأربع عشرة دون العشرين؛ لأنها أكثر من نصفها، ومَن زعم أنه لا دلالة لنحو الشيء علىٰ القرب منه فقد وهمَ. ويُجمَع بين هذه الأخبار وبين ما قال المصنف بأنها اختلفت لاختلاف الأوقات، أو بأن الأول إخبار عن عدِّه والثاني إخبار عن الواقع، فهو لم يعدَّ إلا أربع عشرة، وأما في الواقع فكان سبع عشرة أو ثمان عشرة. ونفيُ الشيب[٤] في رواية أنس المراد به نفيُ كثرته لا أصله، وسبب قلة شيبه أن النساء يكرهنه غالبًا، ومَن كره من النبي ﷺ شيئًا كفر، وأما خبر «إن الشيب وقار ونور» فيُجاب عنه بأنه وإن كان كذلك لكنه شَيْن عند النساء غالبًا، أو أن المراد بالشيب المنفيِّ فيما مر الشين عند من يكرهنه لا مطلقًا لتجتمع الروايتان، وأما أمرُه ﷺ لهم لما رأىٰ أبا قُحافة ورأسه ولحيته كالثُّغامة بياضًا بتغييره وكرهه ولذلك قال: «غَيِّروا الشيب» فلا يدل علىٰ أنه شين مطلقًا بل بالنسبة لما مر، وفي تغييره مصلحة بالنسبة إلىٰ الجهاد وإرهاب الكفار وبالنسبة لوقوع الألفة بين الزوجين، والجمع بين الأحاديث ما أمكن أسهلُ من دعوىٰ النسخ وإن أيَّدها منعُ الأكثرين للتغيير. والله أعلم.

(**وكان ﷺ أحسن الناس وجهًا وأنورهم**) روىٰ الشيخان من حديث البراء: كان أحسن الناس وجهًا، وأحسنهم خلقًا ... الحديث. ولهما وللترمذي وابن ماجه من حديث أنس: كان أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس. وقد تقدم.

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ١١٠٣.

(٢) الشمائل المحمدية ص ٢٦.

(٣) أشرف الوسائل ص ٤٩، ١٠٣.

(٤) انظر: أشرف الوسائل صـ٤٩.

وروىٰ مسلم من حديث أبي الطفيل: كان أبيض، مليح الوجه. وروىٰ الترمذي في الشمائل من حديث أبي هريرة: كان أبيض، كأنَّما صِيغَ من فضة ... الحديث. وقد تقدم. وفي حديث هند بن أبي هالة عند الترمذي والبيهقي والطبراني: أنور المتجرَّد.

وقوله[١] «كأنما صِيغَ من فضة» أي باعتبار ما كان يعلو بياضَه من النور والإضاءة.

(لم يصفه واصفٌ إلا شبَّهه بالقمر) وإنما[٢] اختيرَ علىٰ الشمس لأنه يُتمكَّن من النظر إليه ويؤنَس مَن شاهده من غير أذىٰ يتولَّد عنه، بخلاف الشمس لأنها تغشي البصرَ وتؤذي. وقال: **(ليلة البدر)** لأن القمر فيها في نهاية إضاءته وكماله.

رواه البيهقي في الدلائل[٣] من حديث أبي إسحاق الهَمْداني عن امرأة من هَمْدان سمَّاها قالت: حججت مع رسول الله ﷺ مرَّات علىٰ بعير له يطوف بالكعبة، بيده مِحْجَن، عليه بُردان أحمران ... الحديث، وفيه: قال أبو إسحاق: فقلت لها: شبِّهيه. فقالت: كالقمر ليلة البدر، لم أرَ قبله ولا بعده مثله ﷺ.

وروىٰ البخاري[٤] من حديث كعب بن مالك: لما سلَّمت علىٰ رسول الله ﷺ وهو يبرُق وجهُه [من السرور] وكان إذا سُرَّ استنار وجهه [حتىٰ] كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه.

وروىٰ البيهقي[٥] من طريق أبي إسحاق عن جابر بن سمرة قال: رأيت رسول الله ﷺ في ليلة إضْحِيان وعليه حُلَّة حمراء، فجعلتُ أماثل بينه وبين القمر. ورواه من حديث جابر بن سمرة بلفظ: فجعلت أنظر إليه وإلىٰ القمر، فلهو كان

---

(١) السابق ص ٧٤.

(٢) السابق ص ٦٥.

(٣) دلائل النبوة ١/ ١٩٩.

(٤) صحيح البخاري ٢/ ٥١٧، ٣/ ١٧٩. ورواه أيضا مسلم ٢/ ١٢٧٣.

(٥) دلائل النبوة ١/ ١٩٦.

أحسن في عيني من القمر.

وروىٰ البخاري[١] من طريق زهير عن أبي إسحاق: قال رجل للبراء: أليس كان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟ قال: لا، كان مثل القمر. ورواه مسلم[٢] بلفظ: لا، بل مثل الشمس والقمر مستديرًا.

وفي الشمائل للترمذي من حديث هند بن أبي هالة: فخمًا مفخَّمًا، يتلألأ وجهُه تلألؤ القمر ليلة البدر.

وروىٰ البيهقي[٣] من طريق أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: قلت للرُّبَيِّع بنت معوِّذ: صِفي لي رسول الله ﷺ. قالت: لو رأيتَه لقلتَ الشمس طالعة. وفي رواية: يا بنيَّ، لو رأيتَه رأيتَ الشمس طالعة.

ورواه[٤] من طريق أبي يونس مولىٰ أبي هريرة عن أبي هريرة قال: ما رأيت شيئًا أحسن من النبي ﷺ، كأنَّ الشمس تجري في وجهه ... الحديث.

ثم[٥] إن تشبيه بعض صفاته بنحو القمر والشمس إنما جرىٰ علىٰ عادة العرب والشعراء أو علىٰ سبيل التقريب والتمثيل، وإلا فلا شيء يعادل شيئًا من أوصافه ﷺ؛ إذ هي أعلىٰ وأجلُّ من كل مخلوق.

(وكان يُرَىٰ رضاه وغضبه في وجهه لصفاء بشرته) تقدم في أول الباب.

(وكانوا يقولون: هو كما وصفه صاحبه أبو بكر الصدِّيق ﷺ حين يقول:

---

(١) صحيح البخاري ٢/ ٥١٦.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ١١٠٢ من حديث جابر بن سمرة.

(٣) دلائل النبوة ١/ ٢٠٠.

(٤) السابق ١/ ٢٠٩.

(٥) أشرف الوسائل ص ٦٥.

أمينًا مصطفىٰ للخير يدعو كضوء البدر زايَلَه الظلامُ)[١]

وفي بعض النسخ «أمينٌ» بالرفع. وزايله: فارقه، فالبدر أضوأ ما يكون إذ ذاك. وفي بعض النسخ «الطِّلام» بكسر الطاء المهملة، وليس له وجه.

(**وكان ﷺ واسع الجبهة**) أي واضحها، قال الخليل[٢]: هي مستوَىٰ ما بين الحاجبين إلىٰ الناصية. وقال الأصمعي: هي موضع السجود، والجمع: جِباه (**أزج الحاجبين**) أي[٣] مقوَّسهما مع كثرة شعرهما وطول في طرفه وامتداده، أو دقيقهما مع طول (**سابغهما**) أي كاملهما (**وكان أبلج ما بين الحاجبين كأنَّ ما بينهما الفضة المخلصة**) أي كان بين حاجبيه بلجة أي فرجة بيضاء دقيقة لا تتبيَّن إلا لمتأمِّل، فهو غير أقرن في الواقع، وإن كان أقرن بحسب الظاهر عند من لم يتأمله؛ لأنهما سُبغا حتىٰ كادا يلتقيان. قال[٤] الأصمعي: كانت العرب تكره القَرَن وتستحب البَلَج، والبلج هو أن ينقطع الحاجبان فيكون ما بينهما نقيًّا.

روىٰ البيهقي في الدلائل[٥] من حديث أبي هريرة: كان مُفاض الجبين، أهدب الأشفار. وروىٰ الترمذي في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة: كان واسع الجبين، أزج الحواجب سوابغ في غير قرن، بينهما عرق يدره الغضب ... الحديث. وروىٰ البيهقي[٦] من طريق حرب بن شريح صاحب الخُلْقان قال: حدثني رجل من بلعدوية قال: حدثني جدي قال: انطلقت إلىٰ المدينة ... فذكر الحديث في

---

(١) البيت في: دلائل النبوة لأبي نعيم ص ٦٣٨، ودلائل النبوة للبيهقي ١/ ٣٠١، وتاريخ دمشق ٣/ ٣٥٨، والوافي بالوفيات ١/ ٦٩.

(٢) العين ٣/ ٣٩٥.

(٣) أشرف الوسائل ص ٦٥.

(٤) غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٤٩١.

(٥) دلائل النبوة ١/ ٢١٤.

(٦) السابق ١/ ٢٤٨.

رؤيته رسول الله ﷺ، قال: فإذا رجل حسن الجسم، عظيم الجبهة ... الحديث. وروىٰ[١] من حديث أبي هريرة: كان أحسن الناس صفة وأجملها ... الحديث، وفيه: أَسِيل الجبين، شديد سواد الشعر ... الحديث. وفي بعض الروايات: كان صَلْت الجبين. وكلها تؤول إلىٰ معنىٰ واحد.

(**وكانت عيناه**) ﷺ (**نجلاوين**) أي واسعتين (**أدعجهما**) أي شديد سواد حدقتهما.

روىٰ البيهقي[٢] من طريق عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده قال: قيل لعلي: انعتْ لنا رسولَ الله ﷺ. فقال: كان أبيض مشربًا بياضه حمرة، وكان أسود الحدقة، أهدب الأشفار. وروىٰ من طريق إبراهيم بن محمد من ولد علي قال: كان علي إذا نعت رسولَ الله ﷺ قال: كان في الوجه تدوير، أبيض مشرب، أدعج العينين، أهدب الأشفار. ولأبي بكر ابن أبي شيبة[٣] من حديث جابر بن سمرة قال: كنت إذا نظرت إلىٰ رسول الله ﷺ قلت أكحل العينين وليس بأكحل ... الحديث.

(**وكان في عينيه تمزُّجٌ من حمرة**) روىٰ البيهقي[٤] من طريق عبد الله بن محمد ابن عقيل عن محمد بن علي عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ عظيم العينين، أهدب الأشفار، مشرب العينين بحمرة. وروىٰ مسلم[٥] من طريق غندر عن شعبة عن سِماك عن جابر بن سمرة قال: كان ضليع الفم، أشكل العينين، منهوس العَقِبين.

---

(١) دلائل النبوة ١/ ٢٧٥.

(٢) السابق ١/ ٢١٢ - ٢١٣.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ١٠/ ٤١٥.

(٤) دلائل النبوة ١/ ٢١٢.

(٥) صحيح مسلم ٢/ ١١٠١.

ورواه الحاكم[١] بلفظ: كان أشكل العينين، ضليع الفم. ورواه أبو داود[٢] فقال: أشهل العينين. قال أبو عبيد[٣]: الشُّكْلة كهيئة الحمرة تكون في بياض العين، والشُّهْلة غير الشكلة وهي حمرة في سواد العين.

(وكان) ﷺ (**أهدب الأشفار**) جمع[٤] شُفْر بالضم، وهو حرف الجفن الذي ينبُت عليه الهُدْب، قال ابن قتيبة[٥]: والعامة تجعل أشفار العين الشعر، وهو غلط، وإنما الأشفار: حروف العين التي ينبُت عليها الشعرُ (**حتىٰ تكاد تلتبس من كثرتها**) رُوي ذلك من حديث علي بألفاظ مختلفة، ففي لفظ: عظيم العينين، أهدب الأشفار. وفي لفظ: أسود الحدقة، أهدب الأشفار. وفي لفظ: أدعج العين، أهدب الأشفار. وفي لفظ: أغر، أبلج، أهدب الأشفار. ومن حديث أبي هريرة: كان أهدب أشفار العينين. وفي لفظ: كان مُفاض الجبين، أهدب الأشفار. وفي لفظ: أكحل العينين، أهدب الأشفار. كل هذه الألفاظ عند البيهقي في الدلائل.

(وكان) ﷺ (**أقنىٰ العِرنين**) بكسر العين المهملة: أول[٦] الأنف حيث يكون فيه شَمَم، وأوله هو ما تحت مجتمع الحاجبين. والقنىٰ في الأنف: طوله ودقة أرنبته مع حدب في وسطه (**يعني مستوي الأنف**) أي من غير حدب. وفي رواية: أقنىٰ الأنف. أي سائل مرتفع وسطه.

وروىٰ الترمذي في الشمائل والبيهقي في الدلائل والطبراني من حديث هند بن أبي هالة في حديثه الطويل: أقنىٰ العِرنين، له نور [يعلوه] يحسبه مَن لم يتأمله أشمَّ

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٧١٢.

(٢) مسند أبي داود الطيالسي ٢/ ١٢٦. وهو عند ابن حبان في صحيحه ١٤/ ٢٠٠.

(٣) غريب الحديث ٢/ ٣١٨ - ٣١٩.

(٤) المصباح المنير ص ٣١٧.

(٥) أدب الكاتب ص ٢١.

(٦) أشرف الوسائل ص ٦٦.

... الحديث. وروى البيهقي من حديث رجل من بلعدوية عن جده وله صحبة ... فساق الحديث، وفيه: فإذا رجل حسن الجسم، عظيم الجبهة، دقيق الأنف، دقيق الحاجبين ... الحديث.

(وكان) ﷺ (**مفلج الأسنان، أي مفرَّجها**) هذا أحد الوجوه في تفسير المفلج، وقيل: فلجها: تفريق الثنايا والرباعيات فقط. رواه مسلم والترمذي في الشمائل[١] من حديث جابر بن سمرة: ضليع الفم، أشنب، مفلَّج الأسنان ... الحديث. وفي رواية لابن سعد[٢]: مبلج الثنايا. بالموحدة. ولابن عساكر[٣]: بَرَّاق الثنايا. وروى البيهقي[٤] من حديث ابن عباس: كان أفلج الثنيَّتين، وكان إذا تكلم رُؤي كالنور بين ثناياه.

(وكان) ﷺ (**إذا افتر ضاحكًا افتر عن مثل سَنا**) أي ضوء (**البرق إذا تلألأ**) في ظلمة الليل. روى البيهقي[٥] من حديث عائشة: وكان يتبسَّم عن مثل البَرد المنحدر من متون الغمام، فإذا افترَّ ضاحكًا افترَّ عن مثل سنا البرق إذا تلألأ. وروى[٦] من حديث أبي هريرة: وإذا ضحك يتلألأ. وفي حديث هند: ويفترُّ عن مثل حب الغمام.

(**وكان من أحسن عباد الله شفتين، وألطفهم ختم فمٍ**) رواه البيهقي في الدلائل من حديث عائشة، على ما سيأتي ذِكره. وعند مسلم والترمذي من حديث جابر: ضليع الفم. أي[٧] واسعه، والعرب تمدح به، وتذم بصغر الفم، وقال بعضهم:

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ١١٠١. الشمائل المحمدية ص ١٤. وليس فيهما (أشنب مفلج الأسنان) وهذه العبارة في حديث هند بن أبي هالة الطويل.

(٢) لم أقف على هذه الرواية عند ابن سعد، وهي في تاريخ دمشق ٣/ ٣٩٢.

(٣) تاريخ دمشق ٣/ ٢٦٥، ١٨/ ٧٦، ٣٣/ ٦٧، ٥٤/ ١٩٧ من حديث علي وابن مسعود.

(٤) دلائل النبوة ١/ ٢١٥.

(٥) السابق ١/ ٣٠٣.

(٦) السابق ١/ ٢٧٥.

(٧) فيض القدير ٥/ ٧٥.

الضليع: المهزول الذابل، وهو في صفة فم النبي ﷺ، والمراد ذبول شفتيه ورقَّتهما وحسنهما.

(وكان) ﷺ (سهل الخدين صَلْتهما) أي[1] سائلهما من غير ارتفاع في وجنتيه، وذلك أحلىٰ عند العرب. رواه الترمذي في الشمائل والبيهقي والطبراني من حديث هند بن أبي هالة. وروىٰ البزار والبيهقي: كان أسيل الخدين. وصَلْت الخدين: أسيلهما وهو المستوي الذي لا يفوت بعض لحم بعضه بعضًا، كما سيأتي ذلك عند ذكر حديث عائشة.

(ليس بالطويل الوجه ولا المكلثَم) أي لم يكن شديد تدوير الوجه، والمكلثم هو المدوَّر الوجه، يقول: فليس كذلك ولكنه مسنون. رواه الترمذي في الشمائل[2] والبيهقي في الدلائل[3] من حديث علي: لم يكن بالمطهَّم ولا بالمكلثم، وكان في وجهه تدوير ... الحديث. والمطهَّم[4] هو المنتفخ الوجه، وقيل: الفاحش السِّمَن، وقيل: النحيف الجسم. وهو من الأضداد.

(كَث اللحية) أي الكثير نبات الشعر الملتفَّها. رواه البيهقي[5] من حديث عائشة، ورواه من طريق محمد بن علي بن أبي طالب عن أبيه، ورواه من طريق نافع بن جُبَير عنه: كان ضخم الهامة، عظيم اللحية. وفي لفظ له: ضخم الرأس واللحية. ومن حديث أبي هريرة: كان أسود اللحية، حسن الثغر. ومن طريق أبي ضمضم عن رجل من الصحابة لم يُسَمَّ: كان رجلاً مربوعًا، حسن السَّبَلة. قال: وكانت اللحية تُدعَىٰ في أول الإسلام: سَبَلة. ورواه الطبراني في الكبير[6] وسمَّاه:

---

(١) أشرف الوسائل ص ٦٦.

(٢) الشمائل المحمدية ص ١٠.

(٣) دلائل النبوة ١/ ٢٧٠ - ٢٧١.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ١٤٧.

(٥) دلائل النبوة ١/ ٢١٦ - ٢١٨، ٣٠٣.

(٦) المعجم الكبير ١٨/ ١٤ - ١٥، ولفظه: «كان حسن السبلة، وكانت العرب تسمي اللحية السبلة».

العَدَّاء بن خالد.

(وكان) ﷺ **(يعفي لحيته ويأخذ من شاربه)** ويأمر بذلك. روىٰ ابن عدي[١] والبيهقي في الشعب[٢] من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: «أحفوا الشوارب، وأعفوا اللحَىٰ». ورواه أيضًا الطحاوي[٣] من حديث أنس بزيادة: «ولا تشبَّهوا باليهود».

(وكان) ﷺ **(أحسن الناس عنقًا، لا يُنسَب إلىٰ الطول ولا إلىٰ القِصَر، ما ظهر من عنقه للشمس والرياح فكأنَّه إبريق فضة مشرب ذهبًا يتلألأ في بياض الفضة وفي حمرة الذهب)** وما غيَّبت الثياب من عنقه وما تحته فكأنَّه القمر ليلة البدر. هكذا رواه البيهقي من حديث عائشة بالسند الآتي ذِكره. وروىٰ الترمذي في الشمائل والبيهقي في الدلائل من حديث هند بن أبي هالة: دقيق المَسْرُبة، كأنَّ عنقه جِيد دُمْية في صفاء الفضة ... الحديث. ولفظ البيهقي من حديث علي: كأنَّ عنقه إبريق فضة.

(وكان ﷺ **عريض الصدر، لا يعدو لحم بعض بدنه بعضًا، كالمرآة في استوائها، وكالقمر في بياضه**) رواه البيهقي من حديث عائشة بالسند الآتي ذِكره بلفظ: وكان عريض الصدر ممسوحه كأنَّه المرآة في شدتها واستوائها، لا يعدو بعضُ لحمه بعضًا علىٰ بياض القمر ليلة البدر. وفي سنده نظرٌ. وروىٰ من حديث هند بن أبي هالة: عريض الصدر. وفي لفظ: فسيح الصدر. وروىٰ الترمذي في الشمائل: بعيد ما بين المنكبين. قال الشارح[٤]: أي عريض أعلىٰ الظهر، وهو مستلزم لعرض

(١) الكامل في الضعفاء ٢/ ٧٩٩.

(٢) شعب الإيمان ٤/ ٢٧٤. وفي الحديث زيادة (وانتفوا الشعر الذي في الأنوف) قال البيهقي: هذا اللفظ غريب، وفي ثبوته نظر.

(٣) شرح معاني الآثار ٤/ ٢٣٠.

(٤) أشرف الوسائل ص ٥١.

[أعلىٰ] الصدر، ومن ثَم وقع عند ابن سعد في الطبقات[١]: رحب الصدر.

(موصول ما بين لبته) وهي الفقرة التي فوق الصدر (وسُرَّته) متعلق بـ «موصول» (**بشعر منقاد كالقضيب، لم يكن في صدره ولا بطنه شعر غيره**) رواه البيهقي من حديث عائشة بالسند الآتي ذِكره. وروىٰ الترمذي في الشمائل والطبراني والبيهقي من حديث هند بن أبي هالة: موصول ما بين اللَّبَّة والسرة بشعر يجري كالخط، عاري الثديين والبطن ممَّا سوىٰ ذلك ... الحديث. وروىٰ البيهقي من حديث رجل من بلعدوية عن جده وله صحبة بلفظ: وإذا من لدن نحره إلىٰ سرَّته كالخيط الممدود شعره ... الحديث. وفي حديث علي بلفظ: وكان في صدره مسربة. وفي لفظ له: كان دقيق المسربة. وفي لفظ آخر له: من لَبَّته إلىٰ سرَّته شعر يجري كالقضيب، ليس في بطنه ولا صدره شعر غيره.

واختُلف[٢] هل كان لإبطيه ﷺ شعر، فزعم القرطبي أنه لم يكن، وقد ردَّه أبو زُرعة العراقي[٣] بأن ذلك لم يثبُت بوجه من الوجوه، والخصائص لا تثبُت بالاحتمال، ولا يلزم من ذِكر أنس وغيره بياض إبطيه أن لا يكون له شعر، فإنه إذا نُتِف بقي المكان أبيض وإن بقي فيه أثرٌ.

(**وكان له عُكَن ثلاث، يغطي الإزارُ منها واحدة، وتظهر اثنتان**) العُكنة بالضم: طَيَّة من طيات البطن، والجمع: عُكَن. رواه البيهقي من حديث عائشة بالسند الآتي ذِكره، إلا أنه قال: يغطي الإزار منها ثنتين وتظهر منها واحدة، ومنهم من قال: واحدة وتظهر ثنتان. ثم قال: تلك العُكَن أبيض من القَباطي المُطواة وألين مسًّا.

(**وكان**) ﷺ (**عظيم المنكبين**) رواه البيهقي من حديث أبي هريرة بلفظ:

---

(١) الطبقات الكبرىٰ ١/ ٣٥٧ من حديث أبي هريرة.

(٢) أشرف الوسائل ص ٦٧ - ٦٨.

(٣) طرح التثريب ٢/ ٨١.

عظيم مُشاش المنكبين. وروى الترمذي في الشمائل والبيهقي من حديث علي: جليل المُشاش والكتد. قال أبو عبيد[1]: الجليل المُشاش: العظيم رؤوس العظام مثل الركبتين والمِرفقين والمنكبين (**أشعرهما**) رواه الترمذي في الشمائل والطبراني والبيهقي من حديث هند بن أبي هالة: أشعر الذراعين والمَنْكِبين وأعالي الصدر. أي أشعر هذه الثلاثة

(**ضخم الكراديس، أي رؤوس العظام من المنكبين والمرفقين والوركين**) رواه البيهقي من حديث عائشة بالسند الآتي، ولفظه: والكراديس: عظام المنكبين والمرفقين والوركين والركبتين. ورواه أيضًا من حديث عليٍّ: ضخم الكراديس، طويل المسربة. ورواه الترمذي في الشمائل من حديثه: جليل المُشاش والكتف، أو قال: الكتد. وفي لفظ: جليل المُشاش والكتد. بلا شك. ورواه أيضًا من حديث هند: بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس.

(**وكان**) ﷺ (**واسع الظهر**) وبه فُسِّر «بعيد ما بين المنكبين»: أي عريض أعلى الظهر، كما تقدم. وقد رُوي «بعيد ما بين المنكبين» في عدة أحاديث، روى الشيخان من حديث البراء: كان مربوعًا، بعيد ما بين المنكبين ... الحديث. وروى البيهقي من حديث أبي هريرة: كان بعيد ما بين المنكبين. وفي لفظ لمسلم: له شعر يضرب منكبيه، بعيد ما بين المنكبين.

(**ما بين كتفيه خاتم النبوة**) بفتح[2] التاء وكسرها، والمراد به هنا الأثر الحاصل له بين كتفيه لمشابهته للخاتم الذي يُختَم به وهو الطابع، وإضافته للنبوة للدلالة عليها، قيل: أو لكونه ختمًا عليها بحفظها وما فيها، أو خُتم عليها لإتمامها كما تتم الأشياءُ ثم يُختم عليها، ويحتمل أنه من قبيل «خاتم فضة»، كأنَّ ذلك الخاتم أيضًا من نبوَّته. وفي ذلك كلِّه تكلُّفٌ لا يخفىٰ. (**وهو ممَّا يلي منكبه الأيمن**)

---

(١) غريب الحديث ٢/ ٣١٥.

(٢) أشرف الوسائل ص ٨٠ - ٨٣.

فالبينيَّة المذكورة تقريبية، هذا قول، والصحيح أنه كان عند أعلىٰ كتفه الأيسر؛ قاله السهيلي. وقد وقع التصريح به عند مسلم[١]، قال: حدثنا حامد بن عمر البكراوي وأبو كامل الجحدري قالا: حدثنا حماد بن زيد، عن عاصم الأحول، عن عبد الله بن سرجس قال: رأيت النبي ﷺ، وأكلت معه خبزًا ولحمًا ... وساق الحديث، وفيه: ثم دُرْتُ خلفه فنظرت إلىٰ خاتم النبوة بين كتفيه عند ناغض كتفه اليسرىٰ ... الحديث (**فيه شامة سوداء تضرب إلىٰ الصفرة، حولها شعرات متواليات كأنَّها من عُرف فرس**) هكذا رواه ابن أبي خيثمة في تاريخه، إلا أنه قال: متراكبات، بدل: متواليات. وفي تحديد خاتم النبوة أقوال كثيرة نذكرها، فمنها: جُمْع عليها خِيلان كأنها الثآليل السود عند ناغض كتفه. رواه مسلم من حديث عبد الله بن سرجس بالسند المتقدم قريبًا. وقيل: مثل زر الحجلة، رواه البخاري[٢] من حديث السائب بن يزيد، وزاد: وينمُّ مسكًا. وروواه مسلم[٣] بلا زيادة. وقيل: كبيضة الحمام. رواه مسلم[٤] من حديث جابر بن سمرة. وقيل: مثل السلعة، رواه البيهقي[٥] من حديث معاوية بن قُرَّة عن أبيه. وقيل: شعر مجتمع، رواه الحاكم في المستدرك[٦]. وقيل: مثل التفاحة، رواه الترمذي في الشمائل والبيهقي في الدلائل[٧] من حديث إياد بن لقيط. وقيل: مثل بعرة البعير، رواه أيضًا من حديث أبىٰ رمثة عن

(١) صحيح مسلم ٢/ ١١٠٣.

(٢) صحيح البخاري ١/ ٨٢، ٢/ ٥١٤، ٤/ ٣٠، ١٦٣. وليس فيه الزيادة المذكورة، وهذه الزيادة ذكرها القاضي عياض في الشفاء ١/ ٦٣ من حديث جابر بن عبد الله وعزاها للمزني والحربي في غريب الحديث، ولفظه: «أردفني النبي ﷺ خلفه، فالتقمت خاتم النبوة بفمي، فكان ينم عليَّ مسكا».

(٣) صحيح مسلم ٢/ ١١٠٣.

(٤) السابق ٢/ ١١٠٢.

(٥) دلائل النبوة ١/ ٢٦٤ - ٢٦٥.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٧١٢ من حديث أبي زيد الأنصاري.

(٧) دلائل النبوة ١/ ٢٦٥ عن إياد بن لقيط عن أبي رمثة عن أبيه. والحديث بهذا اللفظ ليس في الشمائل.

أبيه. وقيل: مثل السلعة، رواه أيضًا من حديثه عن أبيه. وقيل: لحمة ناتئة، رواه أيضًا من حديث أبي سعيد. وقيل: بضعة ناشزة. رواه الترمذي في الشمائل[١]. وقيل: كالبندقة، رواه ابن عساكر في التاريخ[٢]، زاد الحاكم في تاريخ نيسابور: مكتوب فيه باللحم: محمد رسول الله. وقيل: كالمِحْجَمة الضخمة، رواه البيهقي[٣] من حديث التنوخي رسول هرقل. وللسهيلي في الروض[٤]: كأثر المحجمة القابضة علىٰ اللحم. وقيل: شامة خضراء محتفَرة في اللحم، رواه ابن أبي خيثمة في التاريخ. وقيل: ثلاث شعرات مجتمعات، نقله القضاعي. وقيل: كبيضة حمام مكتوب بباطنها: الله وحده لا شريك له، وبظاهرها: توجَّهْ حيث كنتَ فإنك منصور. رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول. وقيل: كان نورًا يتلألأ. رواه ابن عائذ. وقيل: عذرة كعذرة الحمام، أي قرطمته، وقِرطمتاه بكسر القاف: نقطتان علىٰ أصل منقاره. وقيل: كتينة صغيرة تضرب إلىٰ الدُّهمة، رُوي ذلك عن عائشة. قال الحافظ في فتح الباري[٥]: ورواية: كأثر المحجم، أو: كشامة خضراء، أو: سوداء مكتوب فيها «محمد رسول الله» أو «سِرْ فإنك منصور» لم يثبُت منها شيءٌ، وتصحيح ابن حبان ذلك وهمٌ. وقال الهيثمي: إن راوي كتابة «محمد رسول الله» هنا اختلط عليه بخاتمه الذي كان يختم به. وقال بعض العلماء: وليست هذه الروايات مختلفة حقيقةً، بل كلٌّ شبَّهَ بما سنح له، وتلك الألفاظ كلها مؤدَّاها واحد وهو قطعة لحم، ومن قال: شعر، فلأنَّ الشعر حوله متراكب عليه، كما في الرواية الأخرىٰ. وقال

---

(١) الشمائل المحمدية ص ١٩ - ٢٠ من حديث أبي سعيد الخدري. وهو بمعنىٰ الذي قبله.

(٢) ورواه أيضا ابن حبان في صحيحه ١٤/ ٢١٠ من حديث ابن عمر، ولفظه: «كان خاتم النبوة في ظهر رسول الله ﷺ مثل البندقة من لحم، عليه مكتوب: محمد رسول الله».

(٣) دلائل النبوة ١/ ٢٦٦.

(٤) الروض الأنف ٢/ ٢٢١. وزاد: حتىٰ يكون ناتئا.

(٥) فتح الباري ٦/ ٦٥٠.

القرطبي[١]: الأحاديث الثابتة تدل علىٰ أن خاتم النبوة كان شيئًا بارزًا أحمر عند كتفه الأيسر، إذا قُلِّل جُعل كبيضة الحمام، وإذا أُكثِر جُعل كجمع اليد. وقال القاضي: رواية جمع الكف تخالف بيضة الحمام وزر الحجلة، فتُتأوَّل علىٰ وفق الروايات الكثيرة، أي كهيئة الجمع لكنه أصغر منه في قدْر بيضة الحمامة[٢]. واختلفوا هل وُلد به أو وُضع بعد ولادته، قولان، لكن في حديث البزار[٣] وغيره بيان وقت وضعه وكيف وُضع ومَن وضعه، وهو: قلت: يا رسول الله، كيف علمتَ أنك نبي؟ وبِمَ علمتَ حتىٰ استيقنت؟ قال: «أتاني مَلَكان وأنا ببطحاء مكة، فقال أحدهما [لصاحبه]: شُقَّ بطنه. فشق بطني فأخرج قلبي فأخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحهما، فقال أحدهما لصاحبه: اغسل بطنه غسل الإناء، واغسل قلبه غسل المُلاء[٤]. ثم قال أحدهما لصاحبه: خِطْ بطنه. فخاطَ بطني، وجعل الخاتم بين كتفي كما هو الآن وولَّيا عني، وكأني أرىٰ الأمر معاينةً». وقال أبو نعيم في الدلائل: لما وُلد أخرج المَلَك صَرَّة من حرير أبيض فيها خاتم، فضرب علىٰ كتفيه كالبيضة. وأخرج الحاكم[٥] عن وهب بن منبه: لم يبعث الله نبيًّا إلا وعليه شامات النبوَّة في يده اليمنىٰ، إلا نبينا ﷺ فإنَّ شامات النبوة [كانت] بين كتفيه. وعليه، فوضعُ الخاتم بين كتفيه بإزاء قلبه ممَّا اختصَّ به علىٰ سائر الأنبياء، ﷺ.

(وكان) ﷺ **(عبل العَضُدين والذراعين)** أي ضخمهما. روىٰ البيهقي من

---

(١) المفهم ٦/ ١٣٦، وفيه: «وهذه الكلمات كلها متقاربة المعنىٰ مفيدة أن خاتم النبوة كان نتوءا قاتما أحمر تحت كتفه الأيسر».

(٢) عبارة القاضي عياض في إكمال المعلم ٧/ ٣١٤: «وهذا كله متقارب، مجمع علىٰ أنها ناشزة عن جسده وقدر بيضة الحمامة أو بيضة الحجلة أو زر الحجال متقارب وليس فيها مخالف إلا من جعلها كجمع الكف في القدر، والأحاديث الأخر أكثر وأصح وأشبه».

(٣) مسند البزار ٩/ ٤٣٧ من حديث أبي ذر الغفاري.

(٤) بعده في مسند البزار: «ثم دعا بالسكينة كأنها رهرهة بيضاء فأدخلت قلبي».

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٦٨٠.

حديث أبي هريرة: كان شَبْح الذراعين، بعيد ما بين المنكبين ... الحديث. أي عريضهما. وفي حديث هند بن أبي هالة: ضخم الكَتَد. وهو محرَّكة: مجتمَع الكتفين والظهر (**طويل الزندين**) أي[1] عظيمهما؛ إذ الزند: موصل عظم الذراع [في الكف] وهما زندان: الكوع والكُرسوع[2] (**رحب الراحتين**) أي واسعهما حسًّا ومعنًى، والراحة: باطن الكف (**سائل الأطراف**) بالسين المهملة، أي ممتدها وهي الأصابع امتدادًا معتدلاً بين الإفراط والتفريط. ويُروَىٰ بالشين المعجمة، أي مرتفعها. رواه الترمذي في الشمائل والطبراني والبيهقي من حديث هند بن أبي هالة: طويل الزندين، رحب الراحة، سائل الأطراف، أو: شائل الأطراف (**كأنَّ أصابعه**) ﷺ (**قضبان الفضة**) في امتدادها وصفاء لونها. رواه البيهقي من حديث عائشة الآتي إسناده (**كفُّه**) ﷺ (**ألين من الخز، كأنَّ كفه كف عطَّار طيبًا مسَّها بطِيب أو لم يمسَّها**) قال البخاري[3]: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، عن ثابت، عن أنس قال: ما مسست بيدي ديباجًا ولا حريرًا ولا شيئًا ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت رائحة قط أطيب من ريح رسول الله ﷺ.

وقال مسلم[4]: حدثنا قتيبة بن سعيد وزهير بن حرب قالا: حدثنا هاشم، عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس قال: ما شممت شيئًا قط مسكًا ولا عنبرًا أطيب من ريح رسول الله ﷺ، ولا مسست شيئًا قط حريرًا ولا ديباجًا ألين [مسًّا] من رسول الله ﷺ.

وقال مسلم: حدثنا عمرو بن حماد، ثنا أسباط بن نصر، عن سِماك، عن جابر بن سمرة قال: صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولىٰ، ثم رجع إلىٰ أهله،

(١) أشرف الوسائل ص ٦٨.
(٢) الصحاح للجوهري ٢/ ٤٨١، ولكن فيه: طرف، بدل: عظم.
(٣) صحيح البخاري ٢/ ٥١٨.
(٤) صحيح مسلم ٢/ ١٠٩٨.

وخرجت معه، فاستقبله وِلْدانٌ، فجعل يمسح خدَّي أحدِهم واحدًا واحدًا. قال: وأما أنا فمسح خدي. قال: فوجدت ليده بردًا أو ريحًا كأنما أخرجها من جؤنة عطَّار.

وأخرج البيهقي[1] من طريق جابر بن يزيد بن الأسود عن أبيه قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو بمني، فقلت: يا رسول الله، ناوِلْني يدك. فناولنيها، فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب ريحًا من المسك.

وقد وقع في حديث مسلسل بالمصافحة[2] من طريق أبي القاسم عبدان بن حميد بن عبدان المنبجي، عن عمر بن سعيد، عن أحمد بن دِهْقان، عن خلف بن تميم، عن أبي هرمز، عن أنس قال: صافحتُ بكفِّي هذه كفَّ رسول الله ﷺ، فما مسستُ خزًّا ولا حريرًا ألين من كفِّه ﷺ. وله طرق ذكرتُها في «التعليق الجليل علىٰ مسلسلات ابن عقيل»، وفي بعض ألفاظه: فما مسست خزًّا ولا قَزًّا. وقد أوسع الكلام فيه الحافظُ أبو بكر ابن عديٍّ في الخامس من مسلسلاته.

(يصافحه المُصافِح فيظل يومَه يجد ريحها) أي ريح يده الشريفة **(ويضع يده علىٰ رأس الصبي فيُعرَف من بين الصبيان بريحها علىٰ رأسه)** رواه البيهقي من حديث عائشة بالسند الآتي، وأورده ابن دِحْية في «المستوفَىٰ» بلفظ: وكان ﷺ إذا صافح أحدًا فيظل يومَه يجد ريحها ... والباقي سواء.

(وكان) ﷺ **(عبل ما تحت الإزار من الفخذ والساق)** أي ضخمهما. رواه البيهقي كذلك، إلا أنه قال: من الفخذين والساق.

(وكان) ﷺ **(معتدل الخَلق في السِّمَن)** رواه البيهقي كذلك، ولم يقل: في السِّمَن. وقد رواه الترمذي في الشمائل هكذا من حديث هند بن أبي هالة. والمراد[3]

---

(١) دلائل النبوة ١/ ٢٥٦ - ٢٥٧.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤١/ ٢٠٩ - ٢١٠.

(٣) أشرف الوسائل ص ٦٧.

به اعتدال خَلقه في جميع أوصاف ذاته؛ لأن الله تعالىٰ حماه خَلقًا وشريعة وأمَّة من غائلتَي الإفراط والتفريط (**بَدُنَ في آخر زمانه، وكان لحمه**) مع ذلك (**متماسكًا، يكاد يكون علىٰ الخَلق الأول، لم يضرَّه السنُّ**) أي الطعن في العمر. وفي نسخة: لم يضرَّه السِّمَن. رواه البيهقي كذلك بلفظ: بدُنَ في آخر زمانه، وكان بذلك البدن متماسكًا، وكاد يكون علىٰ الخَلق الأول لم يضره السنُّ. وروىٰ الترمذي في الشمائل والطبراني من حديث هند بن أبي هالة: بادِن متماسك. أي[1] ضخم البدن لا مطلقًا بل بالنسبة لِما مر من كونه جليل المُشاش والكَتَد، ولمَّا كان إطلاق البادن يوهم الإفراطَ في السِّمَن المستدعي لرخاوة البدن وعدم استمساكه - وهو مذموم اتفاقًا - استدرك ونفىٰ ذلك فقال: متماسك، أي يمسك بعضه بعضًا؛ لِما اشتمل عليه من الاعتدال التام وبلوغ الغاية في تناسُب الأعضاء والتركيب.

(**وأما مشيُه ﷺ، فكان**) ﷺ (**يمشي كأنَّما يتقلَّع من صخر وينحدر من صَبَب**) محرَّكة، أي انحدار (**يخطو تكفِّيًا**) بالفاء والهمز، أي مائلاً إلىٰ سَنَن المشي (**ويمشي الهُوَينا بغير تبختُر. والهوينا: تقارُب الخُطا**) أي يمشي بتؤدة. رواه البيهقي[2] بلفظ: وإذا مشىٰ فكأنَّما يتقلَّع في صخر، وينحدر في صَبَب، يخطو تكفِّيًا، ويمشي الهُوَينا بغير عَثَرٍ. والهوينا: تقارُب الخُطا والمشي علىٰ الهينة. وروىٰ الترمذي في الشمائل والطبراني والبيهقي من حديث هند بن أبي هالة: وإذا زال زال تقلُّعًا، ويخطو تكفِّيًا، ويمشي هونًا، ذريع المشية، إذا مشىٰ كأنما ينحطُّ من صَبَب ... الحديث. وروىٰ مسلم من حديث أنس: إذا مشىٰ تكفَّأ. وروىٰ البيهقي من حديث أبي هريرة: وما رأيت أحدًا أسرع في مشيه منه، كأنَّ الأرض تُطوَىٰ له، إنَّا لَنجتهدُ وإنه غير مكترث[3]. وفي لفظ آخر له: يطأ بقدمه جميعًا، إذا أقبل أقبل

(١) السابق ص ٦٧.

(٢) دلائل النبوة ١/ ٢٠٩، ٢٤١، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٦٨، ٢٧٤، ٢٨٧، ٣٠٥، ٣٠٦.

(٣) هو عند أحمد (٨٦٠٤) والترمذي (٣٦٤٨).

جميعًا، وإذا أدبر أدبر جميعًا. ومن حديث علي: إذا مشىٰ تكفَّأ تكفُّؤًا كأنَّما ينحطُّ من صَبَب ... الحديث. وفي لفظ آخر له: وكان يتكفَّأ في مشيته كأنَّما يمشي من صَبَب. وفي لفظ آخر: إذا مشىٰ تكفَّأ كأنما يمشي في صُعُدٍ. وفي لفظ آخر: وكان إذا مشىٰ تقلَّعَ كأنما يمشي في صَبَب. وفي لفظ آخر: إذا مشىٰ يمشي قلعًا كأنما ينحدر من صبب. وفي لفظ آخر له: إذا مشىٰ كأنما ينحدر من صَبَب، وإذا مشىٰ كأنما يتقلَّع من صخر. ومن حديث أنس: وكان يتوكَّأ إذا مشىٰ[1].

وقوله[2] في حديث علي «يمشي قَلعًا» ضُبط بالفتح، وهو مصدر بمعنىٰ الفاعل، أي قالعًا لرجله من الأرض، وبالضم إما مصدر أو اسم بمعنىٰ الفتح، أو بفتح فكسر، وهو بمعنىٰ رواية «كأنما ينحطُّ من صبب»؛ إذ الانحدار من الصبب والتقلُّع من الأرض متقاربان، والمعنىٰ أنه يستعمل التثبُّت، ولا يتبيَّن منه حينئذٍ استعجالٌ أو مبادرة شديدة. وقوله «ويمشىٰ هونًا» نعتٌ لمصدر محذوف، أي مشيًا هونًا. أو حال، أي هيِّنًا في تؤدة وسكينة وحُسن سَمْت ووقار وحِلم، لا يضرب بقدميه ولا يخفق بنعليه أَشَرًا وبَطَرًا، ومن ثَم قال ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ [الفرقان: ٦٣] أي بالطاعة والعفاف والتواضع[3]. وقال الحسن: حُلَماء إن جُهل عليهم لم يجهلوا[4]. قال بعض المفسرين[5]: وذهبت طائفة إلىٰ أن «هونًا» مرتبط بقوله ﴿يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي إن المشي هو الهون، ويشبه أن يُتأوَّل هذا علىٰ أن تكون أخلاق ذلك الماشي هونًا مناسِبة لمشيه، فيرجع الأمر إلىٰ نحو ما مر، فالثناء عليهم ليس من حيث صفة المشي فقط؛ إذ رُب ماشٍ

---

(١) كما عند أبي داود (٤٨٦٥)، والترمذي (١٧٥٤).

(٢) أشرف الوسائل ص ٦٨ - ٦٩.

(٣) رواه الطبري في جامع البيان ١٧/ ٤٩١.

(٤) رواه الطبري في جامع البيان ١٧/ ٤٩٢ - ٤٩٤، وابن المبارك في الزهد ص ٣٤٤، والبيهقي في شعب الإيمان ١١/ ٢٦، وابن أبي الدنيا في الحلم ص ٢٦، وهناد في الزهد ٢/ ٦٠٤.

(٥) هو ابن عطية في المحرر الوجيز ص ١٣٨٩.

هونًا رويدًا وهو ذئب أطلس[١]. وقال الزهري: سرعة المشي تُذهِب بهاءَ الوجه[٢]. يريد الإسراع غير الخفيف؛ لأنه يخلُّ بالوقار، والخير في الأمر الوسط، وسرعة مشيه ﷺ - كما في قوله «ذريع المشية» أي واسع الخطوة - كانت برفق وتثبُّت دون عجلة وهوج، وإسراع عمر رضي الله عنه جبلَّة لا تكلُّفٌ. والله أعلم.

ولله دَر البوصيري رحمه الله تعالىٰ حيث يقول في مدحه ﷺ:

سيد ضحكه التبسُّم والمشـ ـي الهُوَينا ونومُهُ الإغفاء[٣]

(**وكان ﷺ يقول: أنا أشبه الناس بآدم ﷺ، وكان أبي إبراهيم أشبه الناس بي خَلقًا وخُلقًا**) رواه البيهقي كذلك.

وإلىٰ هنا تم الحديث الذي ساقه المصنف من أوله وهو من قوله: بيان صورته وخِلقته. ولنذكر أولاً سياق العراقي، ثم نُتبِعه بسياق البيهقي في الدلائل.

قال العراقي[٤]: قوله: كان من صفة رسول الله ﷺ أنه لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد ... الحديث بطوله، رواه أبو نعيم في دلائل النبوة[٥] من حديث عائشة بزيادة ونقصان دون شعر أبي طالب، ودون قوله: وربما جعل شعره علىٰ

(١) الأطلس من الذئاب: هو الذي تساقط شعره، وهو أخبث ما يكون، وقيل هو الذي في لونه غُبْرة إلىٰ السواد. انظر: لسان العرب مادة (طلس).

(٢) لم أجده عن الزهري، وقد أورده المتقي الهندي في كنز العمال ١٥/ ٤١٢ مرفوعا وعزاه لأبي القاسم ابن بشران في أماليه من حديث أنس. وورد بلفظ «سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن». هكذا رواه أبو نعيم في الحلية ١٠/ ٢٩٠ والخطيب في تاريخ بغداد ٢/ ٣١٨ وابن عدي في الكامل ٥/ ١٧٢٧ من حديث أبي هريرة. ورواه وكيع في أخبار القضاة ص ٦٢٧ من حديث ابن عمر، وقال: باطل. ذكره القرطبي في التذكرة، وعنه نقل ابن حجر. وروىٰ الدينوري في المجالسة ٣/ ١٨٧ عن إبراهيم النخعي: ويقال سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن.

(٣) انظر: الهمزية في مدح خير البريه، للبوصيري صـ١٠. ط دار الرشاد الحديثة. الدار البيضاء.

(٤) المغني ١/ ٦٨٧.

(٥) دلائل النبوة ص ٦٣٦ - ٦٤٠.

أذنيه فتبدو سوالفه تتلألأ. ودون قوله: وكان واسع الجبهة ... إلىٰ قوله: وكان سهل الخدين. وفيه صبيح بن عبد الله الفرغاني، منكر الحديث؛ قاله الخطيب[١].

قلت: قد أورد البيهقي في الدلائل الحديثَ المذكور بتمامه كسياق المصنف، وفيه زيادات من طريق هذا الرجل، ولم أجد له ذكرًا في كتب الضعفاء والمتروكين، وهذا نص البيهقي في الدلائل[٢]: قال: وقد روىٰ صبيح بن عبد الله الفَرْغاني - وليس بالمعروف - حديثًا آخر في صفة النبي ﷺ، وأدرج فيه تفسير بعض ألفاظه، ولم يبيِّن قائل تفسيره فيما سمعنا، إلا أنه يوافق جملة ما روينا في الأحاديث الصحيحة والمشهورة فرويناه، والاعتماد علىٰ ما مضىٰ، أخبرناه أبو عبد الله الحافظ قال: أخبرناه أبو عبد الله محمد بن يوسف المؤذن قال: حدثنا محمد بن عمران النَّسَوي، ثنا أحمد بن زهير، ثنا صبيح بن عبد الله الفرغاني، ثنا عبد العزيز بن عبد الصمد، ثنا جعفر بن محمد عن أبيه وهشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة أنها قالت: كان من صفة رسول الله ﷺ في قامته أنه لم يكن بالطويل البائن ولا المشذَّب الذاهب. المشذَّب: الطويل نفسه إلا أنه المخفَّف. ولم يكن ﷺ بالقصير المتردد، وكان يُنسَب إلىٰ الرَّبْعة إذا مشىٰ وحده، ولم يكن علىٰ حال يماشيه أحدٌ من الناس يُنسَب إلىٰ الطول إلا طالَه ﷺ، وربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما، فإذا فارقاه نُسب رسول الله ﷺ إلىٰ الربعة، ويقول: «نُسب الخير كله إلىٰ الربعة». وكان لونه ليس بالأبيض الأمهق: الشديد البياض الذي يضرب بياضه الشهبة. ولم يكن بالآدم، وكان أزهر اللون. والأزهر: الأبيض الناصع البياض الذي لا تشوبه حمرة ولا صفرة ولا شيء من الألوان. وكان ابن عمر كثيرًا ما ينشد في مسجد رسول الله ﷺ نعت عمِّه أبي طالب إياه في لونه حيث يقول:

وأبيض يُستسقَىٰ الغمام بوجهه ثِمال اليتامىٰ عصمة للأرامل

(١) تلخيص المتشابه في الرسم ١/ ١٣٥، وفيه: «صاحب مناكير».

(٢) دلائل النبوة ١/ ٢٩٨ - ٣٠٦.

ويقول كل مَن سمعه: هكذا كان النبي ﷺ. وقد نعته بعضُ مَن نعته بأنه كان مشرب حمرة، وقد صدق مَن نعته بذلك، ولكن إنما كان المشرب منه حمرة ما ضحا للشمس والرياح، فقد كان بياضه من ذلك قد أُشرِب حمرة، وما تحت الثياب فهو الأبيض الأزهر، لا يشك فيه أحد ممَّن وصفه بأنه أبيض أزهر فعنىٰ ما تحت الثياب فقد أصاب، ومَن نعت ما ضحا للشمس والرياح بأنه أزهر مشرب حمرةً فقد أصاب، ولونه الذي لا يُشَك فيه الأبيض الأزهر، وإنما الحمرة من قِبَل الشمس والرياح. وكان عَرَقه في وجهه مثل اللؤلؤ أطيب من المسك الأذفر. وكان رَجِل الشعر حسنًا، ليس بالسبط ولا الجعد القَطط، كان إذا مشطَه بالمشط كأنه حُبُك الرمل، أو كأنه المتون التي تكون في الغُدُر إذا سَفَتْها الرياح، فإذا مكث لم يرجَّل أخذ بعضُه بعضًا وتحلَّق حتىٰ يكون متحلِّقًا كالخواتم، ثم كان أول مرة قد سدل ناصيته بين عينيه كما تُسدَل نواصي الخيل، ثم جاءه جبريل عليه السلام بالفَرْق ففرقَ، وكان شعره فوق حاجبيه، ومنهم من قال: كان يضرب شعره منكبيه، وأكثر ذلك إذا كان إلىٰ شحمة أذنيه، وكان ﷺ ربما جعله غدائر أربعًا يُخرِج الأذنَ اليمنىٰ من بين غديرتين يكتنفانها، ويُخرِج الأذنَ اليسرىٰ من بين غديرتين يكتنفانها، وتخرج الأذنان ببياضهما من بين تلك الغدائر كأنها توقُّد الكواكب الدُّرِّية من سواد شعره. وكان أكثر شيبه في الرأس في فَوْدَي رأسه. والفَوْدان: حرفا الفرق. وكان أكثر شيبه في لحيته فوق الذقن، وكان شيبه كأنه خيوط الفضة يتلألأ من بين ظهرَيْ سواد الشعر الذي معه، وإذا مس ذلك الشيبَ الصفرةُ - وكان كثيرًا ما يفعل - صار كأنه خيوط الذهب يتلألأ بين ظهرَيْ سواد الشعر الذي معه. وكان أحسن الناس وجهًا، وأنورهم لونًا، لم يصفه واصف قط بلغتنا صفته إلا شبَّهَ وجهَه بالقمر ليلة البدر، ولقد كان يقول من كان يقول منهم: لربما نظرنا إلىٰ القمر ليلة البدر فنقول: هو أحسن في أعيننا من القمر، أزهر اللون، نيِّر الوجه، يتلألأ تلألؤ القمر، يُعرَف رضاه وغضبه في سروره بوجهه، كان إذا رضي أو سُرَّ فكأنَّ وجهه المرآة، وكأنما الجُدُر

تَلاحِكُ وجهه، وإذا غضب تلوَّنَ وجهه واحمرَّت عيناه. قال: وكانوا يقولون: هو ﷺ كما وصفه صاحبه أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

أمين مصطفىٰ للخير يدعو ... كضوء البدر زايَلَه الظلامُ

ويقولون: كذلك كان. وكان ابن عمر كثيرًا ما ينشد قول زهير بن أبي سُلْمَىٰ حين يقول لهَرِم بن سِنان:

لو كنتَ من شيء سوىٰ بشرٍ ... كنتَ المضيء ليلةَ البدر[1]

فيقول عمر ومَن سمع ذلك: كان النبي ﷺ كذلك، ولم يكن كذلك غيره. وكذلك قالت عمته عاتكة بنت عبد المطلب بعد ما سار من مكة مهاجرًا فجزعت عليه بنو هاشم، فانبعثت تقول:

عينيَّ جُودا بالدموع السَّواجم ... علىٰ المرتضَىٰ كالبدر من بني هاشم

علىٰ المرتضىٰ للبِر والعدل والتُّقَىٰ ... وللدين والدنيا بهيّم المَعالِم

علىٰ الصادق الميمون ذي الحِلم والنُّهَىٰ ... وذي الفضل والداعي لخير التراحُم

فشبَّهته بالبدر ونعتته بهذا النعت ووقعت في النفوس لمَّا ألقىٰ الله تعالىٰ منه في الصدور، ولقد نعتته وإنها لعلىٰ دين قومها. وكان ﷺ أجلَىٰ الجبين، إذا طلع جبينه من بين الشعر أو اطلع في فَلَق الصبح أو عند طَفَل الليل أو طلع بوجهه علىٰ الناس تراءىٰ جبينه كأنه ضوء السراج المتوقِّد يتلألأ. وكانوا يقولون: هو ﷺ كما قال شاعره حسان بن ثابت[2]:

متىٰ يَبْدُ في الداج البهيم جبينُه ... يَلُحْ مثل مصباح الدُّجَىٰ المتوقِّد

فمَن كان أو مَن قد يكون كأحمد ... نظام لحقٍّ أو نَكال لمُلحد

---

(١) البيت في ديوان زهير ص ٥٦.

(٢) البيتان في ديوانه ص ٦٧.

وكان النبي ﷺ واسع الجبهة، أزج الحاجبين، سابغهما. والحاجبان الأزجان(١) هما الحاجبان المتوسطان اللذان لا تعدو شعرةٌ منهما شعرة في النبات والاستواء من غير قرن بينهما. وكان أبلج ما بين الحاجبين حتىٰ كأنَّ ما بينهما الفضة المخلَصة، بينهما عَرَقٌ يُدِرُّه الغضبُ، لا يُرَىٰ ذلك العرق إلا أن يدرُّه الغضب. والأبلج: النقيُّ ما بين الحاجبين من الشعر. وكانت عيناه ﷺ نَجْلاوين، أدعجهما. والعين النجلاء: الواسعة الحسنة. والدَّعَج: شدة سواد الحدقة، لا يكون الدَّعَج في شيء إلا في سواد الحدق. وكان في عينيه تمزُّج من حمرة، وكان أهدب الأشفار حتىٰ [تكاد] تلتبس من كثرتها، أقنَىٰ العِرْنين. والعِرْنين: المستوي الأنف من أوله إلىٰ آخره، وهو الأشم. كان أفلج الأسنان، أشنبها. قال: والشَّنَب: أن تكون الأسنان متفرقة فيها طرائق مثل تعرض المشط إلا أنها حديدة الأطراف، وهو الأُشُر الذي يكون أسفل الأسنان كأنه ماء يقطر في تفتُّحه ذلك وطرائقه. وكان يتبسَّم عن مثل البَرَد المنحدر من متون الغمام، فإذا افترَّ ضاحكًا افترَّ عن مثل سَنا البرق إذا تلألأ. وكان أحسن عِباد الله شفتين، وألطفهم ختم فمٍ، سهل الخدين صَلْتهما. قال: والصَّلْت الخد: الأسيل الخد المستوي الذي لا يفوت بعض لحمه بعضه بعضًا. ليس بالطويل الوجه ولا بالمكلثَم، كَث اللحية. والكث: الكثير منابت الشعر [الملتفُّها] وكانت عَنْفَقته بارزة، فَنِيكاه حول العنفقة كأنها بياض اللؤلؤ، في أسفل عنفقته شعر مُنقاد حتىٰ يقع انقيادها علىٰ شعر اللحية حتىٰ يكون كأنه منها. والفنيكان هما مواضع الطعام حول العنفقة من جانبيها جميعًا. وكان أحسن عباد الله عنقًا، لا يُنسَب إلىٰ الطول ولا إلىٰ القصر، ما ظهر من عنقه للشمس والرياح فكأنه إبريق فضة يشوب ذهبًا يتلألأ في بياض الفضة وحمرة الذهب، وما غيَّبت الثياب من عنقه ما تحتها فكأنه القمر ليلة البدر. وكان عريض الصدر ممسوحه كأنه المرآة في شدتها واستوائها، لا يعدو بعض لحمه بعضًا، علىٰ بياض القمر ليلة البدر، موصول

---

(١) في المطبوعة: (والأزج الحاجبين) والتصويب من الدلائل.

ما بين لَبَّته إلىٰ سُرَّته شعر مُنقاد كالقضيب، لم يكن في صدره ولا بطنه شعره غيره. وكان له ﷺ عُكَن ثلاث، يغطي الإزار منها واحدة وتظهر ثنتان. ومنهم من قال: يغطي الإزار منها ثنتين وتظهر واحدة، تلك العُكَن أبيض من القَباطي المُطواة وألين مسًّا. وكان عظيم المنكبين، أشعرهما، ضخم الكراديس. والكراديس: عظام المنكبين والمرفقين والركبتين والوركين. وكان جليل الكَتد. قال: والكتد: مجتمع الكتفين والظهر. واسع الظهر، بين كتفيه خاتم النبوة، وهو ممَّا يلي منكبه الأيمن، وفيه شامة سوداء تضرب إلىٰ الصفرة حولها شعرات متواليات كأنهن من عُرف فرسٍ. ومنهم من قال: كانت شامة النبوة بأسفل كتفه، خضراء، منحفرة في اللحم قليلاً. وكان طويل مَسربة الظهر. والمسربة: الفقار الذي في الظهر من أعلاه إلىٰ أسفله. وكان عَبْل العَضُدين والذراعين، طويل الزَّندين. والزندان: العظمان اللذان في ظاهر الساعدين. وكان فَعْم الأوصال، ضَبْط القَصَب، شَثْن الكف، رحب الراحة، سائل الأطراف، كأنَّ أصابعه قضبان فضة، كفه ألين من الخَز، وكأنَّ كفه كف عطَّار طِيبًا مسَّها بطِيب أو لم يمسَّها، يصافحه المصافح فيظل يومه يجد ريحها، ويضعها علىٰ رأس الصبي فيُعرَف من بين الصبيان من ريحها علىٰ رأسه. وكان عَبْل ما تحت الإزار من الفخذين والساق، شَثْن القدم، غليظهما، ليس لهما خُمص، منهم من قال: كان في قدمه شيء من خَمَصٍ، يطأ الأرض بجميع قدميه، معتدل الخَلق، بَدُنَ في آخر زمانه، وكان بذلك البدن متماسكًا، وكاد يكون علىٰ الخَلق الأول، لم يضرَّه السنُّ. وكان فخمًا مفخَّمًا في جسده كله، إذا التفت التفت جميعًا، وإذا أدبر أدبر جميعًا. وكان ﷺ فيه شيء من الصَّوَر. والصور: الرجل الذي كأنه يلمح الشيء ببعض وجهه. وإذا مشىٰ فكأنه يتقلَّع من صخر وينحدر في صَبَب، يخطو تكفِّيًا، ويمشي الهُوَينا بغير عَثَر. والهوينا: تقارُب الخُطا والمشي علىٰ الهينة، يبدُر القومَ إذا سارع إلىٰ خير أو مشىٰ إليه، ويسوقهم إذا لم يسارع إلىٰ شيء بمشية الهوينا وترفُّعه فيها. وكان ﷺ يقول: «أنا أشبه الناس بأبي آدم عليه السلام، وكان [أبي] إبراهيم خليل الرحمن أشبه الناسِ بي خَلقًا وخُلقًا». صلىٰ الله عليه

وعلىٰ جميع أنبياء الله. وأخبرناه عاليًا القاضي أبو عمر محمد بن الحسين قال: حدثنا سليمان بن أحمد بن أيوب، ثنا محمد بن عَبدة المصِّيصي من كتابه، حدثنا صبيح بن عبد الله القرشي أبو محمد قال: حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العَمِّي، عن جعفر ابن محمد عن أبيه وهشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة ﵂ قالت: كان من صفة رسول الله ﷺ أنه لم يكن بالطويل البائن ولا بالمشذَّب الذاهب. قال: وساق الحديث في صفته ﷺ بهذا.

فصل: قد سبقت الإشارة إلىٰ حديث هند بن أبي هالة، وهو أجمع حديث في شمائله ﷺ الظاهرة والباطنة، وقد أخرجه الترمذي في الشمائل[١] والبغوي[٢] والطبراني[٣] والبيهقي في الدلائل[٤] من طرق عن الحسن بن علي عنه، ووقع لنا بعلوٍّ في نسخة أبي علي ابن شاذان من طريق أهل البيت، أخرجها البغوي أيضًا، وأخرجه ابن مَنْده من طريق يعقوب التميمي عن ابن عباس أنه قال لهند بن أبي هالة: صِفْ لي النبي ﷺ[٥]. فأحببتُ أن أورده هنا من طريق البيهقي ثم أُتبِعه بحديث أم معبد الخُزاعية، فإنه ذكر فيه ما لم يذكره غيرها من غرائب الصفات، فأقول: أخبرنا بكتاب «دلائل النبوة» للبيهقي المسنِد عمر بن أحمد بن عقيل الحسيني قراءةً عليه من أوله وإجازة لسائره قال: أخبرنا كذلك حافظ الحجاز عبد الله بن سالم البصري قال: أخبرنا كذلك الحافظ شمس الدين محمد بن العلاء قال: أخبرنا كذلك النور علي بن يحيىٰ الزِّيادي قال: أخبرنا كذلك المسنِد يوسف بن زكريا الأنصاري قال: أخبرنا الحافظ شمس الدين أبو الخير

---

(١) الشمائل المحمدية ص ١٢، ١٠٥، ١٦٠.

(٢) شرح السنة ١٣/ ٢٧٠ - ٢٧٢.

(٣) المعجم الكبير ٢٢/ ١٥٥.

(٤) دلائل النبوة ١/ ٢٨٥ - ٢٨٨.

(٥) وأخرجه من هذا الطريق أيضا: ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣/ ٣٣٧، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني ٢/ ٤٣٧.

محمد ابن عبد الرحمن السخاوي سماعًا عليه قال: أخبرنا الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر سماعًا عليه قال: أخبرنا السِّراج عمر بن رَسْلان البُلقيني سماعًا عليه لجميعه، أخبرنا أبو الحجاج يوسف بن الزكي المِزِّي إجازةً، أخبرنا الرشيد محمد بن أبي بكر العامري سماعًا، أخبرنا أبو القاسم ابن الحَرَسْتاني سماعًا، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الفُراوي إجازةً، أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي سماعًا قال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ لفظًا وقراءةً عليه قال: حدثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيىٰ بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب العقيقي صاحب كتاب «النسب» ببغداد قال: حدثنا إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو محمد بالمدينة سنة ٢٩٣ قال: حدثني علي بن جعفر بن محمد [عن أخيه موسىٰ بن جعفر، عن جعفر ابن محمد] عن أبيه محمد بن علي، عن علي بن الحسين قال: قال الحسن بن علي: سألت خالي هند بن أبي هالة عن حلية رسول الله ﷺ، وكان وصَّافًا [وأنا] أرجو أن يصف لي شيئًا أتعلَّق به حينئذٍ[1]. قال البيهقي: وأخبرنا أبو الحسين ابن الفضل القَطَّان ببغداد، أخبرنا عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي، حدثنا يعقوب بن سفيان الفَسَوي، ثنا سعيد بن حماد الأنصاري المصري وأبو غسَّان مالك بن إسماعيل النَّهْدي قالا: حدثنا جُمَيع بن عمر بن عبد الرحمن العِجْلي قال: حدثني رجل بمكة، عن ابن لأبي هالة التميمي، عن الحسن بن علي قال: سألت خالي هند بن أبي هالة - وكان وَصَّافًا - عن حلية رسول الله ﷺ، وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئًا أتعلَّق به، فقال: كان رسول الله ﷺ فخمًا مفخَّمًا، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع، وأقصر من المشذَّب، عظيم الهامة، رَجِل

---

(١) (حينئذ) هكذا أثبت الشارح هذه الكلمة، والذي في الدلائل حرف (ح) الذي يعني التحول من سند إلىٰ آخر، وكلمة (حينئذ) تكتب اختصارا في كثير من المخطوطات حرف حاء مفرد هكذا (ح)، فظن الشارح أن الحاء اختصار لكلمة (حينئذ).

الشعر، إن انفرقت عقيقته فرقَ - وفي رواية العلوي: عقيصته - وإلا فلا يجاوز شعرُه شحمةَ أذنه إذا هو وفَّره، أزهر اللون، واسع الجبين، أزج الحواجب، سوابغ في غير قَرَن، بينهما عرق يُدِرُّه الغضب، أقنَىٰ العِرْنين، له نور يعلوه، يحسبه مَن لم يتأمله أشم، كث اللحية، سهل الخدين - وفي رواية العلوي: أدعج، سهل الخدين - ضليع الفم، أشنب، مفلَّج الأسنان، دقيق المسربة، كأنَّ عنقه جِيد دُمْية في صفاء الفضة، معتدل الخَلق، بادن، متماسك، سويَّ البطن والصدر، عريض الصدر - وفي رواية العلوي: فسيح الصدر - بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، أنور المتجرَّد، موصول ما بين اللَّبَّة والسرة بشعر يجري كالخط، عاري الثديين والبطن ممَّا سوىٰ ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر، طويل الزندين، رَحْب الراحة - وفي رواية العلوي: رحب الجبهة - سبط القصب، شَثْن الكفَّين والقدمين - لم يذكر العلوي القدمين - سائل الأطراف، خَمْصان الأخمصين، مسيح القدمين، ينبو عنهما الماءُ، إذا زال زال قلعًا، يخطو تكفِّيًا، ويمشي هونًا، ذريع المشية، إذا مشىٰ كأنما ينحطُّ من صَبَب، وإذا التفت التفت معًا - وفي رواية العلوي: جميعًا - خافض الطرْف، نظره إلىٰ الأرض أطول من نظره إلىٰ السماء، جُلُّ نظرِه الملاحظة، يسوق أصحابه، يبتدر - وفي رواية العلوي: يبدأ - مَن لقي بالسلام. قلت: صِفْ لي منطقه. قال: كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان، دائم الفكرة - وفي رواية العلوي: الفكر - ليست له راحة، لا يتكلم في غير حاجة، طويل السكتة - وفي رواية العلوي: السكوت - يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكَلِم - وفي رواية العلوي: الكلام - فصلٌ لا فضول ولا تقصير، دَمِثٌ، ليس بالجافي ولا بالمهين، يعظِّم النعمة وإن دقَّت، لا يذم منها شيئًا، لا يذم ذواقًا ولا يمدحه - وفي رواية العلوي: لم يكن ذَوَّاقًا ولا مُدَحة - لا يقوم لغضبه إذا تعرَّض الحق شيءٌ حتىٰ ينتصر له - وفي الرواية الأخرىٰ: لا تغضبه الدنيا وما كان لها، فإذا تُعُوطِيَ الحقُّ لم يعرفه أحد ولم يقُمْ لغضبه شيء حتىٰ ينتصر له - ولا

يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفِّه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدَّث اتصل بها، يضرب براحته اليمنىٰ باطن إبهامه اليسرىٰ - وفي رواية العلوي: فيضرب بإبهامه اليمنىٰ باطن راحته اليسرىٰ - وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غضَّ طرفه، وجُلُّ ضحكه التبسم، و يفترُّ عن مثل حب الغمام. قال: فكتمتُها الحسينَ ابن علي زمانًا ثم حدثتُه فوجدته قد سبقني إليه، فسألته عمَّا سألته عنه، ووجدته قد سأل أباه عن مدخله ومجلسه ومَخرجه وشكله، فلم يَدَعْ منه شيئًا ... فذكر الحديث بطوله. وهو مذكور في الشمائل للترمذي مع اختلاف ألفاظ في سياقه نبَّه عليه البيهقي.

وأما حديث أم معبد الخُزاعية فقد رواه البغوي[1] وابن شاهين وابن السكن والطبراني[2] وابن منده والبيهقي[3] وغيرهم من طريق حزام بن هشام بن حُبَيش عن أبيه عن جده[4] حبيش بن خالد بن سعد بن منقذ بن ربيعة [بن أصرم بن خُبَيس] بن حرام الخزاعي، ويقال له: حبيش الأشعري، وهو لقب والده[5] خالد، وهو أخو أم معبد واسمها عاتكة بنت خالد، ولهما صحبة، وأورده ابن السكن من حديث أم معبد نفسها فقال: حزام بن هشام بن حبيش بن خالد: سمعت أبي يحدِّث عن أم معبد وهي عمته ... فساق القصة. وأنقله هنا من كتاب الدلائل للبيهقي، فإنه ساق الحديث بطوله. فبالسند المتقدم إليه قال: أخبرنا أبو نصر عمر بن عبد العزيز بن عمر بن قتادة من أصل كتابه قال: أخبرنا أبو عمرو محمد بن جعفر بن محمد بن مطر قال: حدثنا أبو زيد عبد الواحد بن يوسف بن أيوب بن الحكم بن أيوب بن سليمان بن ثابت بن يسار الخُزاعي الكعبي بقُدَيد إملاءً قال: حدثني عمي

---

(١) معجم الصحابة ٢/ ١٣٨ - ١٤٢.

(٢) المعجم الكبير ٤/ ٤٨ - ٥١.

(٣) دلائل النبوة ١/ ٢٧٦ - ٢٨٤.

(٤) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٢١٠.

(٥) في الإصابة: «حبيش الأشعري، ويقال ابن الأشعر، والأشعر لقب».

سليمان بن الحكم، عن جدي أيوب بن الحكم الخزاعي، عن حزام بن هشام، عن أبيه، عن جده حبيش بن خالد صاحب رسول الله ﷺ [أن رسول الله ﷺ]. ح. وحدثنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي، أخبرنا أبو عمرو ابن مطر، حدثنا محمد بن محمد ابن سليمان بن الحكم بن أيوب بن سليمان بن ثابت بن يسار الخُزاعي بقُدَيد - يُعرَف بأبي عبد الله بن أبي هشام الخزاعي[١] - قال: حدثنا أبي محمد بن سليمان، ثنا عمي أيوب بن الحكم، عن حزام بن هشام، عن أبيه، عن جده حبيش بن خالد قتيل البطحاء يوم فتح مكة أن رسول الله ﷺ. ح. وأخبرنا أبو نصر ابن قتادة، أخبرنا أبو عمرو ابن مطر، حدثنا أبو جعفر محمد بن موسىٰ ابن عيسىٰ الحُلْواني، حدثنا مكرَّم بن محرز بن مهدي، حدثني أبي، عن حزام ابن هشام بن حُبَيش بن خالد، عن أبيه، عن جده حبيش بن خالد - وهو أخو عاتكة بنت خالد أن رسول الله ﷺ حين خرج من مكة مهاجرًا إلىٰ المدينة هو وأبو بكر ومولىٰ أبي بكر عامر بن فُهَيرة ودليلهما الليثي عبد الله بن الأُرَيقط مرُّوا علىٰ خيمة أم معبد الخزاعية، وكانت بَرْزة جَلدة تحتبي بفناء القبة ثم تسقي وتطعم، فسألوها لحمًا وتمرًا ليشتروه منها، فلم يصيبوا عندها شيئًا من ذلك، وكان القوم مُرْمِلين مُسْنِتين، فقالت: واللهِ لو كان عندنا شاة ما أعوزناكم نحرها. فنظر النبي ﷺ إلىٰ شاة في كِسْر الخيمة، فقال: «ما هذه الشاة يا أم معبد»؟ قالت: شاة خلَّفها الجهد عن الغنم. قال: «أبها من لبن»؟ - وقال أبو زيد: هل بها من لبن؟ - قالت: هي أجهدُ من ذلك. قال: «أتأذنين لي أن أحلبها»؟ قالت: بأبي وأمي إن رأيتَ بها حلبًا فاحلبْها. فدعا بها رسولُ الله ﷺ، فمسح بيده ضرعها وسمَّىٰ الله تعالىٰ ودعا لها في شاتها، فتفاجَّت عليه ودَرَّت واجترَّت، ودعا بإناء يُربِض الرهط فحلب فيه ثجًّا حتىٰ علاه البهاء، ثم سقاها حتىٰ رويت، وسقىٰ أصحابه حتىٰ رووا، ثم شرب آخرهم ﷺ، ثم أراضوا، ثم حلب فيه ثانيًا بعد بدء حتىٰ ملأ الإناء، ثم غادره عندها،

(١) في الدلائل: القافة.

ثم بايعها، وارتحلوا عنها، فقلَّما لبثت حتىٰ جاءها زوجها أبو معبد يسوق أعنزًا عِجافًا تَساوَكُ هُزْلاً ضحًىٰ، مخُّهن قليل، فلما رأىٰ أبو معبد اللبن عجبَ وقال: من أين لكِ هذا اللبن يا أم معبد والشاء عازب حِيال ولا حلوب في البيت؟ فقالت: لا واللهِ، إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا. قال: صِفيه لي. قالت: رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه، حسن الخَلق، لم تَعِبْه نُحْلة، ولم تُزْرِ به صَعْلة، وسيم، قسيم، في عينيه دَعَجٌ، وفي أشفاره غَطَفٌ، وفي صوته صَهَلٌ، وفي عنقه سَطَعٌ، وفي لحيته كَثاثة، أزجُّ، أقرن، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سما وعلاه البهاءُ، أجمل الناس وأبهاه من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب، حلو المنطق، فصلٌ، لا نَزْر ولا هَذْر، كأنَّ منطقه خَرَزات نظمٍ ينحدرن، ربعة، لا يأس من طول، ولا تقتحمه عين من قِصَر، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظرًا، وأحسنهم قدرًا، له رفقاء يحفُّون به، إن قال أنصتوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلىٰ أمره، محفود، محشود، لا عابس ولا مفند، ﷺ. فقال أبو معبد: هو واللهِ صاحب قريش الذي ذُكر لنا من أمره ما ذُكر بمكة، ولقد هممت أن أصحبه، ولأفعلنَّ إن وجدتُ إلىٰ ذلك سبيلاً.

فأصبح صوت بمكة عاليًا، يسمعون الصوت ولا يدرون مَن قائله وهو يقول:

جزىٰ اللهُ ربُّ الناس خيرَ جزائه ... رفيقين قالا خيمتَي أم معبد
هما نزلاها بالهدىٰ واهتدتْ به ... فقد فاز مَن أمسىٰ رفيقَ محمد
فيا لقصيٍّ ما زوىٰ الله عنكم ... به من فعال لا تُجارَىٰ وسؤدَد
ليَهْنِ بني كعب مقامُ فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بمَرصد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها ... فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلَّبت ... له بصريح ضرَّةُ الشاة مُزْبِد
فغادرها رهنًا لديها بحالب ... يردِّدها في مصدر ثم موردِ

فلما سمع حسان بن ثابت الأنصاري شاعر رسول الله ﷺ شبَّب بها يجاوب

الهاتف وهو يقول[١]:

لقد خاب قومٌ زال عنهم نبيُّهم ... وقُدِّس مَن يسري إليهم ويغتدي
ترحَّل عن قوم فضلَّت عقولهم ... وحلَّ علىٰ قوم بنور مجدَّد
هداهم به بعد الضلالة ربُّهم ... وأرشدهم من يتْبع الحقَّ يرشُد
وهل يستوي ضُلاَّل قوم تسفَّهوا ... عمًىٰ وهُداة يهتدون بمهتدِ
وقد نزلت منه علىٰ أهل يثرب ... رِكاب هدًىٰ حلَّت عليهم بأسعُد
نبيٌّ يرىٰ ما لا يرىٰ الناس حوله ... ويتلو كتاب الله في كل مسجد
وإن قال في يومٍ مقالة غائب ... فتصديقها في اليوم أو في ضحىٰ الغد
ليَهْنِ أبا بكر سعادةُ جده ... بصحبته مَن يُسعِدِ اللهُ يَسعَد
ليَهْنِ بني كعب مقامُ فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بمَرصد

هذا لفظ حديث أبي نصر ابن قتادة. وحدثنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن عمرو الأحمسي، ثنا الحسين بن حميد بن الربيع الخزَّاز، ثنا سليمان بن الحكم بن أيوب بن سليمان بن ثابت بن يسار الخزاعي، ثنا أخي أيوب بن الحكم وسالم بن محمد الخزاعي جميعًا، عن حزام بن هشام ... فذكره نحوه بنقصان بيتين من شعر حسان في آخره، وقد ذكرهما في موضع آخر. ورواه يعقوب بن سفيان الفَسَوي عن مكرم بن محرز دون الأشعار. أخبرنا أبو الحسين ابن الفضل، أخبرنا عبد الله بن جعفر بن درستويه، ثنا يعقوب بن سفيان، ثنا أبو القاسم مكرم بن محرز بن المهدي [بن عبد الرحمن بن عمرو الخزاعي، حدثني أبي محرز بن المهدي] ... فذكره. وحدثنا أبو عبد الله الحافظ إملاءً، أخبرنا أبو زكريا يحيىٰ بن محمد العنبري وعبد الله بن محمد الدورقي ومخلد بن جعفر، قال

(١) الأبيات في ديوانه ص ٥٩ - ٦٠، عدا البيت الأخير.

الأول: حدثنا الحسين بن محمد بن زياد وجعفر بن محمد بن سوار، وقال الثاني: حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة الإمام، وقال الثالث: حدثنا محمد بن جرير، قالوا كلهم: ثنا مكرم بن محرز. والله أعلم.

وقد وجدت حديثًا آخر في صفته ﷺ أخرجه البيهقي في الدلائل[1]، فبالسند المتقدم إليه قال: أخبرنا أبو الحسين ابن الفضل، أخبرنا عبد الله بن جعفر، ثنا يعقوب بن سفيان، ثنا فيض البَجَلي، ثنا سلاَّم بن مسكين، عن مقاتل بن حيَّان قال: أوحىٰ الله عَزَّوَجَلَّ إلىٰ عيسىٰ ابن مريم: جِدَّ في أمري ولا تهزِل، واسمع وأطِعْ، يا ابن الطاهر البِكر البَتُول، إني خلقتك من غير فحل فجعلتك آية للعالَمين، فإياي فاعبدْ، وعليَّ فتوكلْ، فسِّرْ لأهل سُوران بالسُّريانية، بلِّغْ مَن بين يديك أني أنا الله الحي القيُّوم الذي لا أزول، صدِّقوا النبي الأمِّي العربي صاحب الجمل والمِدْرَعة والعمامة والنعلين والهِراوة، الجعد الرأس، الصَّلْت الجبين، المفروق الحاجبين، الأنجل العينين، الأهدب الأشفار، الأدعج العينين، الأقنَىٰ الأنف، الواضح الجبين، الكث اللحية، عَرَقه في وجهه كأنه اللؤلؤ، ريح المسك ينفَح منه، كأنَّ عنقه إبريق فضة، وكأنَّ الذهب يجري في تراقيه، له شعرات من لَبَّته إلىٰ سرَّته تجري كالقضيب، ليس علىٰ صدره ولا علىٰ بطنه شعرٌ غيره، شَثْن الكف والقدم، إذا جاء مع الناس غمرهم، وإذا مشىٰ كأنَّما يتقلَّع من الصخر وينحدر في صَبَب، ذو النسل القليل. وكأنه أراد الذكور من صُلبه.

ولنعُدْ إلىٰ شرح كلام المصنف، قال: (وكان) ﷺ **(يقول: إنَّ لي عند ربي عشرة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفرَ، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد، وأنا الحاشر يحشر الله العِباد علىٰ قدمي، وأنا رسول الرحمة، ورسول التوبة، ورسول الملاحم، والمقفِّي قفيتُ الناس جميعًا، وأنا قثم.**

---

(١) دلائل النبوة ١/ ٣٧٨.

قال أبو البختري: والقثم: الكامل الجامع) اعلم[1] أن الأسماء جمع اسم، وهو كلمة وُضعت بإزاء شيء متىٰ أُطلِقت فُهم منها؛ إذ هي إما معرفة أو مخصصة، قيل: والاسم عين المسمَّىٰ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلىٰ: ١] وقوله تعالىٰ: ﴿بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾ [مريم: ٧] ثم قال: ﴿يَٰيَحْيَىٰ﴾ [مريم: ١٢] فنادىٰ الاسم. ورُدَّ بأنه يلزم عليه أنَّ مَن قال «النار» احترق لسانه، و«العسل» ذاق حلاوته، وهو بديهي البطلان، ولا حُجة في الآيتين؛ لأن «سبِّح» بمعنىٰ: اذكر، أو علىٰ حقيقته وأريدَ بتنزيه الاسم نفسه؛ إذ أسماؤه تعالىٰ توقيفية، فيجب تنزيهها عن أن يُخترَع له تعالىٰ ما لم يصح عنه أو عن رسوله لقصور مَن عداهما عن أن يحيط بما يناسب جلاله العليَّ. ومعنىٰ النداء: يا أيها الغلام المسمَّىٰ بيحيىٰ، فالصواب أنه غيره، كما عُرف من الحد. وقد تقدم بحثُ ذلك في شرح كتاب قواعد العقائد من هذا الكتاب. هذا إن أريدَ اللفظ وهو الذي الكلام فيه، ومنه: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] فإن أريدَ به الذات فعينه، ومنه: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً﴾ [يوسف: ٤٠] أو الصفة - كما يقول الأشعري - انقسم عنده انقسامها، فإن رجع للذات كـ «الله» فعينه، أو للفعل كـ «الخالق» فغيره، أو لصفة الذات كـ «العليم» فليس عينه؛ إذ علمُه تعالىٰ زائد علىٰ ذاته ولا غيره لعدم انفكاكه عنه من الجانبين بناءً علىٰ أن الغيرينِ موجودان يجوز الانفكاك بينهما. ثم إن أسماء سيدنا رسول الله ﷺ قد تعرَّض جماعة لتعدادها، فمنهم مَن بلَّغها تسعة وتسعين موافقةً لتعداد أسمائه تعالىٰ الحسنىٰ الواردة في الحديث، فقال القاضي عياض[2]: خصَّه الله تعالىٰ بأن سمَّاه بنحو من ثلاثين اسمًا من أسمائه الحسنىٰ. وقال ابن دِحْية في «المستوفي»: إذا فُحص عنها في الكتب المتقدمة والقرآن والسنَّة بلغت ثلاثمائة. وبلَّغها بعضُ الصوفية إلىٰ ألف كأسمائه تعالىٰ، وقد جمعها البدر البُلقيني في مجلد حافل، وكذا

(١) أشرف الوسائل ص ٥٣٠ - ٥٣٤.

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ ١/ ٢٢٩ - ٢٤٣.

ابن دحية في «المستوفي». والمراد حينئذٍ ما يشمل الأوصافَ، فإذا اشتقَّ له من كل وصف من أوصافه المختصة به أو الغالبة عليه أو المشتركة بينه وبين الأنبياء بلغت ذلك العددَ بزيادة، وقد وصَّلها جماعة كالقاضي عياض وابن العربي[١] وابن سيد الناس[٢] إلىٰ أربعمائة.

* فأول تلك الأسماء علىٰ الإطلاق: محمد، وهو عَلَم منقول من اسم المفعول المضعَّف، سُمِّي به نبيُّنا ﷺ لكثرة خصاله المحمودة. روىٰ البيهقي[٣] من طريق أبي بكر الحميدي قال: حدثنا سفيان، ثنا أبو الزِّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا تعجبون كيف يصرف الله عَزَّوَجَلَّ عني شتم قريش ولعنهم؟ يسبُّون مذمَّمًا ويلعنون مذمَّمًا، وأنا محمد». ورواه البخاري في الصحيح[٤] عن علي بن عبد الله عن سفيان. وقد سمَّاه به جده عبد المطلب بإلهام من الله تعالىٰ له بذلك رجاءَ أن يحمده أهل السماء وأهل الأرض، وقد حقَّق الله رجاءه وأنزل الله تصديقه في القرآن فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩].

* الاسم الثاني: أحمد، وابتدأ بهذين الاسمين لإنبائهما عن كمال الحمد المنبئ عن كمال ذاته والراجع إليه سائر أوصافه؛ إذ صيغة التفضيل منبئة عن التضعيف والتكثير إلىٰ ما لا نهاية له، وصيغة «أفعل» منبئة عن الوصول لغاية ليس وراءها منتهَىٰ؛ إذ معناه: أحمد الحامدين لربه؛ لأنه يفتح عليه يوم القيامة بمحامد لم يفتح بها علىٰ أحد قبله، فيحمد ربَّه بها، ولذلك يُعقَد له لواء الحمد، ثم لم

---

(١) الذي في أحكام القرآن ٣/ ٥٨٠ وعارضة الأحوذي ١٠/ ٢٨١ لابن العربي: «وأما أسماء النبي ﷺ فلم أحصها إلا من جهة الورود الظاهر لصيغة الأسماء البينة فوعيت منها جملة، الحاضر الآن منها سبعة وستون اسما». فذكرها.

(٢) لم يصرح ابن سيد الناس بذلك، بل قال في عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ٢/ ٤١٢ (ط - مكتبة دار التراث): «وقد ذُكر في أسمائه ...» فذكر ٦١ اسما.

(٣) دلائل النبوة ١/ ١٥٢.

(٤) صحيح البخاري ٢/ ٥١٣.

يكن محمدًا حتىٰ كان أحمد، حمد ربَّه فنبَّأه وشرَّفه، ولذلك تقدَّم في قول موسىٰ عليه السلام: اللهم اجعلني من أمة محمد. وقول عيسىٰ عليه السلام: ﴿ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] قدَّمه علىٰ محمد؛ لأن حمده لربه كان قبل حمد الناس له، فلما وُجد وبُعث كان محمدًا بالفعل، فبأحمد ذُكر قبل أن يُذكَر بمحمد، وكذلك في الشفاعة يحمد ربَّه بتلك المحامد التي لم يُفتَح بها علىٰ أحد قبله، فيكون أحمد الحامدين لربه، ثم يُشفَّع فيُحمَد علىٰ شفاعته، فتقدم أحمد ذِكرًا أو وجودًا أو دنيا وأخرىٰ. هذا حاصل كلام السهيلي[1]، وجرىٰ عليه القاضي في الشفاء وغيره، وهو أظهرُ من دعوىٰ ابن القيم[2] في أحمد أنه قيل فيه إنه بمعنىٰ مفعول، أي إنه أَولىٰ الناس بأن يُحمَد، فهو بمعنىٰ محمد وإن تفاوتا في أن محمدًا أكثر خصاله يُحمَد عليها، وأحمد هو الذي يُحمَد أفضل ممَّا يُحمَد غيره، ولو أريدَ أنه أكثر حمدًا لربه لكان الأَولىٰ به «الحَمَّاد». ا.هـ. ومن مزاياهما مساواتهما الجلالة حروفًا، ومن مزايا الأول موافقته لـ «محمود» من أسمائه [تعالىٰ] ومن ثَم قال حسان[3] رضي الله عنه:

وشَـقَّ لـه مـن اسـمه ليُجِلَّـه فذو العرش محمود وهذا محمدُ

وورد عند أبي نعيم[4]: أنه سُمِّي بهذا الاسم قبل الخَلق بألفَي عام. وهذا إن صح يعكِّر علىٰ ما مر عن السهيلي في تأخره عن أحمد وجودًا. وورد عن كعب: أن اسم «محمد» مكتوب علىٰ ساق العرش، وفي السموات السبع، وفي قصور الجنة وغُرَفها، وعلىٰ نحور الحور [العين] وعلىٰ قصب آجام الجنة، وورق طوبَىٰ وسِدْرة المنتهَىٰ، وعلىٰ أطراف الحُجُب، وبين أعين الملائكة[5]. قيل: ووُجد مكتوبًا علىٰ

---

(١) الروض الأنف ٢/ ١٥١ - ١٥٦.

(٢) زاد المعاد ١/ ٨٧ - ٩١.

(٣) البيت في ديوانه ص ٥٤.

(٤) حلية الأولياء ٣/ ٣٧٦ من حديث أنس مرفوعا، وفيه: «كتبت اسمه مع اسمي في العرش قبل أن أخلق السموات والأرض والشمس والقمر بألفي ألف سنة».

(٥) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٣/ ٢٨١، ولفظه: «إن الله أنزل علىٰ آدم عليه السلام عصيا بعدد =

ورد بالهند، وعلىٰ جنب سمكة، وأذن أخرىٰ. قال ابن قتيبة: ومن أعلام نبوَّته أنه لم يُسَمَّ به أحد قبله صيانةً لهذا الاسم كما صِينَ يحيىٰ عن ذلك وخشيةً من وقوع لبسٍ. نعم، لمَّا قرُب زمانُه وبشَّر أهلُ الكتاب بقربه سمَّىٰ قوم أولادهم بذلك رجاءَ أن يكون هو، وغفلوا عن أنه تعالىٰ أعلم حيث يجعل رسالته، وأشهرهم خمسة عشر(١).

* الاسم الثالث: الماحي، وقوله «يمحو الله بي الكفرَ» أي من مكة والمدينة وسائر بلاد العرب وغيرها ممَّا زُوي له ﷺ ووُعد أن يبلغه مُلْكُ أمَّته. أو المراد أن يمحوه بمعنىٰ يدحضه ويظهر عليه بالحُجة والغلبة، قال تعالىٰ: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣، الفتح: ٢٨، الصف: ٩] أو أنه يمحو سيئات مَن اتَّبعه أي آمن به، فيمحو عنه ذنب كفرِه وسائر ما عمله فيه، قال تعالىٰ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨] وقال ﷺ: «الإسلام يهدم ما قبله». وخُصَّ ﷺ بهذا لأنه لم يُمْحَ الكفر بأحد مثل ما مُحي به ﷺ؛ إذ بُعث وقد عمَّ الكفرُ الأرضَ، وأكثرهم لا يعرفون ربًّا ولا معادًا، بل منهم من يعبد الحجر أو الكواكب أو النار، فمُحي ذلك كله به ﷺ، وظهر دينُه علىٰ كل دين، وبلغ مبلغ الجديدين، وسار مَسار القمرين.

* الاسم الرابع: العاقب، وهو الذي يخلف من كان قبله في الخير، ومنه:

= الأنبياء المرسلين، ثم أقبل علىٰ ابنه شيث فقال: أي بني، أنت خليفتي من بعدي، فخذها بعمارة التقوىٰ والعروة الوثقىٰ، وكل ما ذكرتَ الله فاذكر إلىٰ جنبه اسم محمد، فإني رأيت اسمه مكتوبا علىٰ ساق العرش وأنا بين الروح والطين، كما أني طفت السموات فلم أر في السموات موضعا إلا رأيت اسم محمد مكتوبا عليه، وإن ربي أسكنني الجنة فلم أر في الجنة قصرا ولا غرفة إلا اسم محمد مكتوبا، ولقد رأيت اسم محمد مكتوبا علىٰ نحور الحور العين، وعلىٰ ورق قصب آجام الجنة، وعلىٰ ورق شجرة طوبىٰ، وعلىٰ ورق سدرة المنتهىٰ، وعلىٰ أطراف الحجب، وبين أعين الملائكة، فأكثِر ذكره فإن الملائكة تذكره في كل ساعاتها».

(١) ذكرهم ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ٦/ ٦٤٢ - ٦٤٣.

عقب الرجل: ولدُه. ويفسَّر أيضًا بالذي ليس بعده أحد أي من الأنبياء والرسل؛ لأن العاقب هو الآخر، وهو عقب الأنبياء، أي آخرهم ﷺ.

* الاسم الخامس: الحاشر، وقوله «علىٰ قدمي» بتخفيف الياء علىٰ الإفراد، وتشديدها علىٰ التثنية. وفي رواية: علىٰ عقبي. أي علىٰ أثري وزمان نبوَّتي ورسالتي؛ إذ لا نبي بعده. أو يقدمهم وهم خلفه. أو علىٰ أثره في المَحشر؛ إذ هو أول من تنشقُّ الأرض عنه ﷺ.

* الاسم السادس: رسول الرحمة، أي التراحُم بينهم الحاصل ببركته ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٣] ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] أو المراد أنه تعالىٰ جعل ذاته نفسها رحمة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ومن ثَم أخبر عن نفسه أنه رحمة مُهداة، رواه البيهقي(١) بلفظ: «إنما أنا رحمة مُهداة». فحينئذٍ تعلَّق به الخلق مؤمنهم وكافرهم(٢).

* الاسم السابع: رسول التوبة، أي إن قبول التوبة بشروطها من جملة ما حقَّقه الله تعالىٰ ببركته علىٰ هذه الأمَّة.

* الاسم الثامن: رسول الملاحم، جمع مَلحمة وهي الحرب؛ لاشتباك الناس فيها كاشتباك السدىٰ باللُّحمة، أو لكثرة لحوم القتلىٰ فيها(٣). ولم يجاهد نبي قط وأمَّته ما جاهد ﷺ وأمَّتُه، كيف وهم يقاتلون [الكفار في أقطار الأرض علىٰ تعاقُب الأعصار حتىٰ يقاتلون] الأعور الدجَّال ومَن معه من اليهود وغيرهم. وفي القاموس: سُمِّي نبي الملاحم لأنه سبب لالتحامهم واجتماعهم(٤).

---

(١) شعب الإيمان ٢/ ٥٢٩ - ٥٣٠ ودلائل النبوة ١/ ١٥٧ - ١٥٨ عن أبي صالح السمان مرسلا، وعن أبي هريرة موصولا.

(٢) في أشرف الوسائل: «فرحم الله به الخلق مؤمنهم وكافرهم، ولتكرار الرحمة وتضاعفها فيه».

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/ ٢٣٩ - ٢٤٠.

(٤) عبارة القاموس: «ونبي الملحمة، أي نبي القتال، أو نبي الصلاح وتأليف الناس، كأنه يؤلف =

* الاسم التاسع: المقفِّي، أي التابع للأنبياء عليهم السلام، فكان آخرهم، يقال: قفوت وقفيت: إذا اتَّبعت، وقافية كل شيء: آخره.

* الاسم العاشر: قُثَم، وقد فسَّره أبو البختري بأنه الكامل الجامع، يقال: قَثَمَ له من المال: أعطاه قطعة جيدة، واسم الفاعل: قُثَم، مثل عمر علىٰ غير قياس، وبه سُمِّي [الرجل] وهو معدول عن قاثم تقديرًا، ولهذا لا ينصرف للعَلَمية والعدل التقديري.

وحيث فرغنا ممَّا يتعلق بالعبارة فلنذكر التخريج. قال العراقي(١): لفظ المصنِّف رواه ابن عدي في الكامل(٢) من حديث علي وجابر وأسامة بن زيد وابن عباس وعائشة بإسناد ضعيف. وله(٣) ولأبي نعيم في الدلائل(٤) من حديث أبي الطفيل: «لي عند ربي عشرة أسماء». قال أبو الطفيل: حفظت منها ثمانية. فذكرها بزيادة ونقص، وذكر سيف بن وهب أن أبا جعفر قال: إن الاسمين [الباقيين]: طه ويس. وإسناده ضعيف. وفي الصحيحين(٥) من حديث جُبَير بن مُطعِم: «لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الحاشر، وأنا الماحي، وأنا العاقب». ولمسلم(٦) من حديث أبي موسىٰ: «والمقفِّي، ونبي التوبة، ونبي الرحمة». ولأحمد(٧) من حديث حذيفة: «ونبي الملاحم» وسنده صحيح.

= أمر الأمة». تاج العروس ٣٣/ ٤٠٩. وهذا قد ذكره أبو موسىٰ المديني في المجموع المغيث ٣/ ١١٧.

(١) المغني ١/ ٦٨٨.

(٢) الكامل في الضعفاء ٧/ ٢٥٢٧.

(٣) السابق ٣/ ١٢٧٣.

(٤) دلائل النبوة ص ٦١ - ٦٢.

(٥) صحيح البخاري ٢/ ٥١٣، ٣/ ٣٠٨. صحيح مسلم ٢/ ١١٠٥.

(٦) صحيح مسلم ٢/ ١١٠٦.

(٧) مسند أحمد ٣٨/ ٤٣٦.

قلت: رواه البخاري عن أبي اليمان، أخبرني شعيب، عن الزهري، أخبرني محمد بن جُبَير بن مُطعِم، عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفرَ، وأنا الحاشر يُحشَر الناس علىٰ قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد». ورواه مسلم عن عبد بن حميد عن أبي اليمان، ورواه البخاري أيضًا من طريق مالك عن الزهري، ومسلم أيضًا من طريق ابن عيينة وعُقَيل عن الزهري، وعند مسلم من رواية عبد بن حميد عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري: «وأنا العاقب». قال[١]: قلت للزهري: وما العاقب؟ قال: الذي ليس بعده نبي. قال البيهقي[٢]: ويحتمل أن يكون تفسير «العاقب» من قول الزهري، كما عرفتَ[٣]. وهذا قد ردَّه ابن دحية في «المستوفي» وأطال فيه وأثبت أنه من تفسيره ﷺ كما بيَّنته رواياتُ غيره. وفي لفظ لمسلم: «الذي ليس بعده أحد». ورواه البيهقي من طريق محمد ابن ميسرة عن الزهري، وفيه: «وأنا العاقب» يعني الخاتم. ومن طريق جعفر بن أبي وحشية عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه رفعه: «أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الحاشر، والماحي، والخاتم، والعاقب».

وروىٰ البخاري في تاريخه الصغير[٤] والأوسط والحاكم[٥] وصحَّحه وأبو نعيم والبيهقي[٦] وابن سعد[٧] كلهم من طريق عُقبة بن مسلم عن نافع بن جُبَير أنه دخل علىٰ عبد الملك بن مروان، فقال له عبد الملك: أتحصي أسماء رسول الله

---

(١) القائل هو عقيل.

(٢) دلائل النبوة ١/ ١٥٤.

(٣) في الدلائل: كما بينه معمر.

(٤) التاريخ الصغير ١/ ٣٦.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٠٩.

(٦) دلائل النبوة ١/ ١٥٦.

(٧) الطبقات الكبرىٰ ١/ ٨٥.

ﷺ كما كان أبوك يعدُّها؟ قال: نعم، هي ست: محمد وأحمد وخاتم وحاشر وعاقب وماحٍ، فأما الحاشر فبُعث مع الساعة نذيرًا لكم بين يدي عذابٍ شديد، وأما عاقب فإنه عقب الأنبياء، وأما ماحٍ فإن الله تعالىٰ محا به سيئات مَن اتَّبعه.

وروىٰ البيهقي(١) من طريق الأعمش عن عمرو بن مُرَّة عن أبي عبيدة عن أبي موسىٰ قال: كان رسول الله ﷺ سمَّىٰ لنا نفسه أسماء فقال: «أنا محمد، وأحمد، والحاشر، والمقفِّي، ونبي التوبة والملحمة». ورواه أبو داود الطيالسي(٢) عن المسعودي عن عمرو بن مرة بلفظ: سمَّىٰ لنا رسول الله ﷺ نفسه أسماء، منها ما حفظنا ... ثم ذكرهنَّ. رواه مسلم عن إسحاق بن إبراهيم عن جرير عن الأعمش. وذكر النقَّاش في تفسيره أنه ﷺ قال: «لي في القرآن سبعة أسماء: محمد، وأحمد، ويس، وطه، والمدَّثِّر، والمزَّمِّل، وعبد الله»(٣). وقال أبو محمد مكي بن أبي طالب في كتاب الهداية(٤) عن النبي ﷺ قال: «لي عند ربي عشرة أسماء ...» فذكر أن منها طه ويس. وإسناده في ذلك ضعيف جدًّا.

وقول العراقي «ولأبي نعيم في الدلائل من حديث أبي الطفيل» إلىٰ قوله «ضعيف». قلت: أورده ابن دحية في «المستوفي» عن شيخه أبي طاهر السلفي، عن أبي علي الحسن بن حمزة، عن أبي الحسين ابن خُشَيش، عن أبي جعفر ابن رحيم، عن عبد الله التَّمَّار، عن محمد بن عمران بن أبي ليلىٰ، عن إسماعيل ابن يحيىٰ التيمي، عن سيف بن وهب قال: سمعت أبا الطفيل قال: قال رسول الله ﷺ: «لي عشرة أسماء عند ربي عَزَّوَجَلَّ». قال أبو الطفيل: حفظتُ [منها] ثمانية ونسيت

(١) دلائل النبوة ١/ ١٥٦ - ١٥٧.

(٢) مسند الطيالسي ١/ ٣٩٦.

(٣) نقله القاضي عياض في الشفا ١/ ٢٣٢. وذكره الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٥ من حديث علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وابن العربي في أحكام القرآن ٤/ ١٩ من حديث ابن عباس، وقال: لا يصح.

(٤) الهداية إلىٰ بلوغ النهاية ٧/ ٤٦٠٦.

اثنين: «أنا محمد، وأحمد، والفاتح، والخاتم، وأبو القاسم، والحاشر، والعاقب، والماحي». قال: فحدثت بهذا الحديث أبا جعفر، فقال: يا سيف، ألا أخبرك بالاسمين؟ قلت: بلىٰ. قال: يس وطه. قال ابن دحية: هذا السند لا يساوي شيئًا يدور علىٰ وَضَّاع وضعيف. قال[1] أحمد: سيف بن وهب ضعيف الحديث، وقال يحيىٰ: كان هالكًا من الهالكين. وقال النسائي[2]: ليس بثقة. وإسماعيل بن يحيىٰ التيمي يروي الموضوعات عن الثقات، لا تحل الرواية عنه. قاله أبو حاتم[3]. وقال الدارقطني[4]: كذاب متروك. وقال[5] الأزدي: ركن من أركان الكذب، لا تحل الرواية عنه.

وأما «قُثَم» فذكره ابن فارس اللغوي في كتابه «المنبئ في أسماء النبي ﷺ»، وهو في خمسة أوراق.

وأسند أبو إسحاق الحربي في «غريب الحديث» له فيه حديثًا ونصه: قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني مَلَك الموت فقال: أنت قُثَم، وخَلقُك قَيِّم، ونفسك مطمئنة». قال: قثم: أي مجتمع الخَلق، والقثوم: الجموع [للخير] وخلقك قيِّم: أي مستقيم[6]. قال ابن دحية: فالقثم[7] من معنيين، أحدهما: من القثم وهو الإعطاء،

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٤/ ٢٧٥.

(٢) الضعفاء والمتروكون ص ١٢٣.

(٣) المجروحون من المحدثين لأبي حاتم ابن حبان ١/ ١٣٣ - ١٣٤.

(٤) الضعفاء والمتروكون ص ٨٠.

(٥) ميزان الاعتدال ١/ ٢٥٣.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٤/ ١٦، ١٣٥. وروىٰ الدارمي في سننه ١/ ٤٢ عن عبد الرحمن بن غنم قال: «نزل جبريل عليه السلام علىٰ رسول الله ﷺ فشق بطنه، ثم قال جبريل: قلب وكيعٌ، فيه أذنان سميعتان وعينان بصيرتان، محمد رسول الله المقفي الحاشر، خلقك قيم، ولسانك صادق، ونفسك مطمئنة».

(٧) كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي ١/ ٤٢٤. الكاشف عن حقائق السنن للطيبي ١٢/ ٣٦٨٦ - ٣٦٨٧.

سُمِّي بذلك لأنه كان أجود بالخير من الريح المرسلة، يعطي ولا يبخل ويمنح ولا يمنع. الثاني: أنه من القثم وهو الجمع، يقال للرجل الجَمُوع للخير: قثوم وقثم. رواه ابن فارس عن الخليل بن أحمد. وإنما سُمِّي به لأنه جمع المناقب كلَّها، ولم تكن فضيلة ولا خلَّة جليلة إلا وقد كان لها جامعًا، وقد تسمَّىٰ به لبركته أهل بيته، منهم قثم بن العباس، وهو أصغر من أخيه عبد الله، وكان سنُّه يومَ توفي رسول الله ﷺ إحدىٰ عشرة سنة؛ ذكره أحمد بن كامل بن شجرة في تاريخه، وكان قثم يشبه النبي ﷺ، استشهد بسمرقند، ولا عقب له، وكان خرج إليها مع سعيد بن عثمان بن عفان في أيام معاوية. ومنهم قثم بن العباس ابن عبيد الله بن عباس، وكان قد ولي اليمامةَ من قِبَل المنصور.

تنبيه: الحصر[1] الذي أفاده تقديمُ الجارِّ والمجرور في رواية الشيخين وكذا الترمذي والنسائي إضافي لا حقيقي، والمعنىٰ: أسماء خمسة أختصُّ بها لم يُسَمَّ بها أحد قبلي؛ إذ هي مشهورة في الأمم الماضية أو موجودة في الكتب المتقدمة. وإنما قلنا إنه حصرٌ إضافي لورود الروايات بزيادة علىٰ ذلك، منها ما تقدم. ومنها[2] أنه تعالىٰ سمَّاه في القرآن رسولاً نبيًّا أُمِّيًّا، وسمَّاه شاهدًا ومبشِّرًا ونذيرًا وداعيًا إلىٰ الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وسمَّاه رؤوفًا رحيمًا، وسمَّاه [نذيرًا مبينًا، وسمَّاه] مذكِّرًا [وجعله رحمة] ونعمة وهاديًا، وسمَّاه عبدًا، ﷺ.

(١) أشرف الوسائل ص ٥٣١.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ١/ ١٦٠.

(بيان معجزاته وآياته الدالَّة على صدقه)

اعلم[1] أن كبار الأئمَّة يسمُّون معجزات الأنبياء: دلائل النبوة وآيات النبوة، ولم يَرِدْ أيضًا في القرآن لفظ «المعجزة»، بل ولا في السنَّة أيضًا، وإنما فيهما لفظ «الآية» و«البيِّنة» و«البرهان»، وأما لفظ «المعجزة» إذا أُطلِق فإنه لا يدل علىٰ كون ذلك آية إلا إذا فُسِّر المراد به وذُكرت شرائطه، وقد كان كثير من أهل الكلام لا يسمِّي معجزًا إلا ما كان للأنبياء فقط، ومَن أثبت للأولياء خوارق عادات سمَّاها: كرامات، والسلف كانوا يسمُّون هذا وهذا معجزًا كالإمام أحمد وغيره، بخلاف ما كان آية وبرهانًا علىٰ نبوة النبي فإنَّ هذا يجب اختصاصه به، وقد يسمُّون الكرامات آيات لكونها تدل علىٰ نبوة مَن اتَّبعه ذلك الوليُّ، فإن الدليل مستلزم للمدلول يمتنع ثبوته بدون ثبوت المدلول، فكذلك ما كان للولي آية وبرهانًا. فإذا عرفتَ ذلك فاعلمْ أن المعجزة هي الأمر الخارق للعادة، المقرون بالتحدِّي، الدالُّ علىٰ صدق الأنبياء عليهم السلام، سُمِّيت بذلك لعجز البشر عن الإتيان بمثلها.

(اعلمْ أن مَن شاهد أحوالَه ﷺ) بعينه **(أو أصغىٰ إلىٰ سماع أخباره المشتملة علىٰ أخلاقه)** الشريفة التي جُبِلَ عليها **(وأفعاله)** الحميدة **(وأحواله)** الزكيَّة **(وعاداته)** المنيفة **(وسجاياه)** المطهَّرة **(وسياسته لأصناف الخَلق)** أحمرهم وأسودهم **(وهدايته إلىٰ ضبطهم)** علىٰ القانون الإلهي **(وتألُّفه أصناف الخلق)** مع اختلاف طبائعهم **(وقوده إياهم إلىٰ طاعته مع ما يُحكَىٰ)** من طرق صحيحة **(من عجائب أجوبته في مضايق الأسئلة)** أي مشكلاتها، حتىٰ يتحيَّر فيها الحاضرون **(و)** من **(بدائع تدبيراته في مصالح الخلق)** بوضع كل شيء في محلِّه **(و)** من **(محاسن**

---

(١) المواهب اللدنية للقسطلاني ٢/ ١٩١، ١٩٤. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لتقي الدين ابن تيمية ٥/ ٤١٢ - ٤١٩ (ط - دار العاصمة).

إشاراته) اللائحة من جواهر منظوقاته **(في تفصيل ظاهر الشرع الذي يعجز الفقهاء)** المحقِّقون **(والعقلاء)** المدقِّقون **(عن إدراك أوائل دقائقها)** فضلاً عن بواطنها **(في طول أعمارهم)** وهم مكبُّون علىٰ مطالعتها واستخراج غوامضها **(لم يبقَ له ريب ولا شكٌّ في أن ذلك لم يكن مكتسَبًا بحيلة)** أي صِدق في تدبير الأمور بنوع لطفٍ **(تقوم بها القوة البشرية)** في استعدادها **(بل لا يُتصور ذلك إلا بالاستمداد)** والاستجلاب **(من تأييد سماويٍّ)** أي من فوق وهي الموهبة الربَّانية **(وقوة إلهية)** تنقض العادات، ويعجز عن بلوغ شأوها جنسُ البشر، ولا يقدر عليها إلا مَن له الخلق والأمر، تبارك الله رب العالمين **(وأن ذلك كله لا يُتصور لكذاب)** عُهِدَ منه كثرة الكذب **(ولا ملبِّس)** أي مخلِّط في حاله **(بل كانت شمائله)** أي خصاله الشريفة **(وأحواله)** المنيفة **(شواهد قاطعة بصدقه)** أي تدل علىٰ صدقه **(حتىٰ إن العربي القُح)** بالضم، أي الخالص في العربية **(كان يراه)** مفاجأةً **(فيقول: واللهِ ما هذا وجه كذاب)** كما وقع ذلك لكثير منهم وكان سببًا لإيمانهم **(فكان يشهد له بالصدق)** والكمال والأمانة **(بمجرد)** رؤية **(شمائله)** الظاهرة في وجهه الشريف ولونه وطلعته وقامته وحركته وسكونه **(فكيف بمَن شاهد أحواله ومارَسَ أخلاقَه)** أي زاولها **(في جميع مصادره وموارده)** في حضر وسفر ويقظة ونوم ومشي وجلوس وأكل وشرب ولبس وغير ذلك **(وإنما أوردنا بعض أخلاقه)** ﷺ **(لتُعرَف محاسن الأخلاق)** التي جُبِل عليها **(وليُتنبَّه لصدقه ﷺ وعلوِّ منصبه)** ورفعة مقامه **(ومكانته العظيمة عند الله)** عَزَّوَجَلَّ **(إذ آتاه الله جميعَ ذلك)** وحلاَّه به ظاهرًا وباطنًا **(وهو رجل أميٌّ)** منسوب إلىٰ بطن أمه في سذاجته، وقد وُصف كذلك في القرآن، وقبله في التوراة والإنجيل، ثم بيَّنه بقوله: **(لم يمارس العلم، ولم يطالع الكتب، ولم يسافر قط في طلب علمٍ، ولم يزل بين أظهُر الجُهَّال من الأعراب يتيمًا)**[(١)] من أبويه **(ضعيفًا مستضعَفًا)** لم[(٢)] يكن عنده ما يستميل به القلوب من مال فيُطمع فيه،

---

(١) انظر: الشفا للقاضي عياض ١/ ٣٥٥.

(٢) المواهب اللدنية للقسطلاني ٢/ ١٩٥ نقلا عن كتاب الاعتقاد للبيهقي ص ٣٤٥ - ٣٤٦ باختصار.

ولا قوة يتقهَّر بها الرجال، ولا أعوان علىٰ الرأي الذي أظهره والدين الذي دعا إليه، وكانوا يجتمعون علىٰ عبادة الأصنام وتعظيم الأزلام، مقيمين علىٰ عصبية الجاهلية والتعادي والتَّباغي وسفك الدماء وشنِّ الغارات، لا تجمعهم أُلفة دين، ولا يمنعهم من سوء أعمالهم نظرٌ في عاقبة ولا خوف عقوبة ولا لائمة **(فمن أين حصل له)** ﷺ **(محاسن الأخلاق)** وجميل الشِّيَم **(و)** معالي **(الآداب ومعرفة مصالح الفقه)** في الدين **(مثلاً فقط دون غيره من العلوم فضلاً عن معرفته بالله تعالىٰ)** حق المعرفة **(وملائكته وكتبه)** ورسله **(وغير ذلك من خواصِّ النبوة لولا صريح الوحي)** المنزل من السماء **(ومن أين لقوة**[1] **البشر الاستقلال بذلك)** فإنَّ قُواه تعجز عن حمل مثل ذلك، ثم بعد تلك المُعاداة منهم والمخالفات لم يزل بهم بحسن سياسته حتىٰ ألَّف بين قلوبهم وجمع كلمتهم، حتىٰ اتفقت الآراء وتناصرت القلوب وترادفت الأيدي فصاروا إلبًا واحدًا في نصرته، وهجروا بلادهم وأوطانهم [وجفوا قومهم وعشائرهم] في محبَّته، وبذلوا مهجهم [وأرواحهم] في نصرته، ونصبوا وجوههم لوَقْع السيوف في إعزاز كلمته بلا أموال أفاضها عليهم ولا عَرَض في العاجل أطمعَهم في نيله يرجونه، فهل يلتئم مثل هذه الأمور أو يتفق مجموعها لأحد هذا سبيله من قبيل الاختيار العقلي والتدبير الفكري **(فلو لم يكن له)** ﷺ **(إلا هذه الأمور الظاهرة لكان فيه كفاية)** ومَقنع **(وقد ظهر من آياته ومعجزاته ما لا يستريب)** أي لا يشك **(فيه محصِّلٌ. فلنذكر من جملتها ما استفاضت به الأخبار)** أي اشتهرت **(واشتملت عليه الكتب الصحاح)** والحِسان **(إشارة إلىٰ مَجامعها من غير تطويل بحكاية التفصيل)** والاشتغال بذكر الإسناد والتخريج.

(فقد خرق الله العادة علىٰ يده غير مرة؛ إذ شق له القمر بمكة لما سألته قريش آية) علىٰ صدقه. اعلم[2] أن معجزاته ﷺ كثيرة، وهي أخصُّ الشمائل وأكملها

(١) زائدة من ط الشعب ٧/ ١٣٣٢.

(٢) أشرف الوسائل ص ٢٤٤ - ٢٤٥.

وأشرفها، وأعمها القرآن، وسيأتي الكلام عليه في آخر الباب، وأما غيره فمنه ما وقع التحدِّي به وهو طلب المعارضة والمقابلة، ومنه ما وقع بدون طلب، ولا ينافي تسميته معجزة أن التحدي شرط فيها؛ لأنَّا نقول: هو شرط فيها من حيث الجملة لا في كلٍّ من جزئياتها، وبهذا يُرَدُّ ما أُورِد علىٰ مشترط ذلك كالباقلاَّني(١) ممَّا شنَّع به جمعٌ عليه وأطالوا. وهي إمَّا قبل نبوته كقصة الفيل والنور الذي خرج معه حتىٰ أضاء له قصور الشام وأسواقها وحتىٰ رُؤيت أعناق الإبل ببُصْرىٰ، ومسح الطائر لفؤاد أمه حتىٰ لم تجد ألمًا لولادته، والطواف به في الآفاق، وخمود نار فارس، وسقوط شرفات إيوان كسرىٰ، وغيض ماء بحيرة ساوة، وما سُمع من الهواتف الصارخة بنعوته وأوصافه، وانتكاس الأصنام وخرورها لوجهها من غير دافع لها من أمكنتها .. إلىٰ سائر ما نُقل من العجائب في أيام ولادته وأيام حضانته وبعدها إلىٰ أن نبَّأه الله تعالىٰ كإظلال الغمام - أي في السفر - وشق الصدر، وهذا القسم لا يسمَّىٰ معجزة حقيقةً؛ لتقدُّمه علىٰ التحدي جملةً وتفصيلاً، وإنما يسمىٰ إرهاصًا، أي تأسيسًا للنبوة، وهذا ما عليه أهل السنة، وقالت المعتزلة: لا يجوز تقدُّم المعجزة علىٰ الإرسال. وبما قرَّرتُه يُعلَم أن الخلاف لفظيٌّ. وإما بعد موته، وهو غير محصور؛ إذ كل خارق وقع لخواصِّ أمَّته إنما هو في الحقيقة له؛ إذ هو السبب فيه. وإما من حين نبوَّته إلىٰ حين وفاته، وهذا هو الذي الكلام فيه، فمنه انشقاق القمر الذي أشار إليه المصنف، والدليل علىٰ وقوعه ظاهر الآية، وأجمع عليه أهل السنة، وهو من أمَّهات معجزاته ﷺ وخواصِّها؛ إذ ليس في معجزات الأنبياء ما يقاربه؛ لأنه ظهر في الملكوت الأعلىٰ خارجًا عن طباع هذا العالَم، فلا

---

(١) إعجاز القرآن للباقلاني ص ٢٥١ - ٢٥٣ (ط - دار المعارف). انظر: البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات للباقلاني صـ٤٧، ٤٨، ٩٤. وقد نص المتكلمون علىٰ أن التحدي؛ إما أن يكون حقيقيًا أو حكميًا، ولا يشترط أن يقول النبي ﷺ: «ولا يقدر علىٰ ذلك غيري»، بل حين ادعىٰ النبوة والرسالة أول مرة كفىٰ في حصول التعدي، نص علىٰ ذلك الإمام التفتازاني في مبحث المعجزة من شرح المقاصد. وعليه لا يرد ما شنع به ابن تيمية وموافقوه علىٰ الإمام الباقلاني.

حيلة في الوصول إليه، وقد حقَّق التاج السبكي أن انشقاقه متواتر.

قال العراقي[١]: متفق عليه من حديث ابن مسعود وابن عباس وأنس.

قلت: أما[٢] حديث ابن مسعود فلفظه: انشقَّ القمر علىٰ عهد رسول الله ﷺ فرقتين: فِرقة علىٰ الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا». رواه كذلك عبد بن حميد والشيخان[٣] والترمذي[٤] وابن جرير[٥] وابن مردويه من طريق أبي معمر عن ابن مسعود.

وأخرج ابن جرير[٦] وابن المنذر وابن مردويه وأبو نعيم[٧] والبيهقي[٨] كلاهما في الدلائل من طريق مسروق عن ابن مسعود قال: انشقَّ القمر علىٰ عهد رسول الله ﷺ، فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي كبشة. فقالوا: انتظِروا ما يأتيكم به السُّفَّار فإن محمدًا لا يستطيع أن يسحر الناس كلَّهم. فجاء السُّفَّار فسألوهم، فقالوا: نعم قد رأيناه.

وأخرج أحمد[٩] وعبد بن حميد وابن جرير[١٠] والحاكم[١١] وصحَّحه وابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل من طريق الأسود عن ابن مسعود قال: رأيت القمر

---

(١) المغني ١/ ٦٨٩.

(٢) الدر المنثور ١٤/ ٦٤ - ٧١.

(٣) صحيح البخاري ٢/ ٥٣٨، ٣/ ٥٩، ٣٠٠. صحيح مسلم ٢/ ١٢٨٩ - ١٢٩٠.

(٤) سنن الترمذي ٥/ ٣١٩، ٣٢٠.

(٥) جامع البيان ٢٢/ ١٠٥.

(٦) السابق ٢٢/ ١٠٦ - ١٠٧. والحديث عن الطيالسي في مسنده ١/ ٢٣٦.

(٧) دلائل النبوة ص ٢٨١.

(٨) دلائل النبوة ٢/ ٢٦٦.

(٩) مسند أحمد ٧/ ٣٩.

(١٠) جامع البيان ٢٢/ ١٠٦.

(١١) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٥٥٥.

علىٰ الجبل وقد انشقَّ، فأبصرت الجبل من بين فُرجتَي القمر.

وأخرج ابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل من طريق علقمة عن ابن مسعود قال: كنا مع النبي ﷺ بمِنىٰ، فانشقَّ القمر حتىٰ صار فرقتين، فتوارت فرقةٌ خلف الجبل، فقال النبي ﷺ: «اشهدوا».

وأما حديث ابن عباس فلفظه: انشقَّ القمر في زمان النبي ﷺ. هكذا أخرجه الشيخان[١] وابن مردويه والبيهقي في الدلائل[٢].

وأخرج أبو نعيم في الحلية[٣] من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس قال: خرج[٤] المشركون علىٰ عهد رسول الله ﷺ، منهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل ابن هشام والعاص بن وائل والعاص بن هشام والأسود بن عبد يغوث والأسود ابن المطلب [وزمعة بن الأسود] والنضر بن الحارث، فقالوا للنبي ﷺ: إن كنت صادقًا فاشقق القمر فرقتين، نصفًا علىٰ أبي قُبَيس ونصفًا علىٰ قُعَيقِعان. فقال لهم النبي ﷺ: «إن فعلتُ تؤمنوا»؟ قالوا: نعم. وكانت ليلة بدرٍ، فسأل رسول الله ﷺ ربَّه أن يعطيه ما سألوا، فأمسىٰ القمر قد مُثِّل نصفًا علىٰ أبي قبيس ونصفًا علىٰ قعيقعان، ورسول الله ﷺ ينادي: «يا أبا سلمة بن عبد الأسد والأرقم بن أبي الأرقم، اشهدوا».

وأما حديث أنس فلفظه: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شِقَّتين حتىٰ رأوا حراء بينهما. هكذا رواه الشيخان[٥] وابن جرير[٦].

---

(١) صحيح البخاري ٢/ ٥٣٨، ٣/ ٥٩، ٣/ ٣٠٠. صحيح مسلم ٢/ ١٢٩٠.

(٢) دلائل النبوة ٢/ ٢٦٧.

(٣) لم يخرجه في الحلية، وإنما في دلائل النبوة ص ٢٧٩ - ٢٨٠.

(٤) في الدر والدلائل: اجتمع.

(٥) صحيح البخاري ٢/ ٥٣٨، ٣/ ٥٩، ٣٠٠. صحيح مسلم ٢/ ١٢٩٠.

(٦) جامع البيان ٢٢/ ١٠٤ - ١٠٥، ١١١.

وأخرجه عبد الرزاق[١] وأحمد[٢] وعبد بن حميد[٣] ومسلم وابن جرير وابن المنذر والترمذي[٤] وابن مردويه والبيهقي في الدلائل[٥] بلفظ: سأل أهل مكة النبيَّ ﷺ آية، فانشقَّ القمر بمكة فرقتين[٦]، فنزلت ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر: ١] الآية.

وقد رواه أيضًا عبد الله بن عمر وحذيفة بن اليمان وعلي وجبير بن مطعم وغيرهم.

قال ابن حجر في شرح الشمائل[٧]: وقد أنكر جمهور الفلاسفة ذلك؛ لإنكارهم الخرق والالتئام في الأجرام العلوية، وهؤلاء كفار، وتقرير بطلان مذهبهم في الأصول. وأنكره أيضًا بعض الملاحدة محتجِّين بأنه لو وقع لم يَخْفَ علىٰ أحد من أهل الأرض ولم يختصَّ بأهل مكة. ورُدَّ بأنه وقع ليلاً لحظة وقت الغفلة والنوم، فلا مانع من خفائه علىٰ مَن بعُد عن تلك الأقاليم، وليس هو دون الكسوف الذي يظهر بمحل دون آخر، علىٰ أنه لولا إخبار المنجِّمين به قبل وقوعه لربما خفي علىٰ أكثر أهل الأرض، وحكمة عدم بلوغ معجزة من معجزاته غير القرآن تواتره أن نظير ذلك في الأمم السابقة أعقب هلاكَ مَن كذَّب بها، وهو ﷺ رحمة عامة، فكانت معجزته غير عامَّة؛ لئلاَّ يُعاجَل المكذِّبون بما عوجِلَ به مَن سبقهم، وحكىٰ البدر الزركشي عن شيخه العماد ابن كثير[٨] أن ما حُكي أن القمر

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٢/ ٢٥٧.

(٢) مسند أحمد ٢٠/ ١١٨، ٣٩٨، ٢١/ ٢٨.

(٣) المنتخب من مسند عبد بن حميد ٢/ ٢٢١.

(٤) سنن الترمذي ٥/ ٣١٩.

(٥) دلائل النبوة ٢/ ٢٦٢ - ٢٦٤.

(٦) في بعض طرق الحديث: مرتين.

(٧) أشرف الوسائل ص ٢٤٥.

(٨) البداية والنهاية ٨/ ٥٦٤.

دخل في جيبه ﷺ وخرج من كمِّه فليس له أصل.

(و) من معجزاته ﷺ: أنه **(أطعم النفر الكثير في منزل جابر)** بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه. قال العراقي[١]: متفق عليه[٢] من حديثه.

قلت: وهو أن جابرًا في غزوة الخندق قال: انكفأت إلىٰ امرأتي فقلت: هل عندكِ شيء؟ فإني رأيت بالنبي ﷺ جوعًا شديدًا. فأخرجتْ جِرابًا فيه صاع من شعير، ولنا بُهَيمة داجن - أي شاة سمينة - فذبحتُها - أي أنا - وطحنتْ - أي زوجتي - الشعير، حتىٰ جعلنا اللحم في البُرمة، ثم جئته ﷺ وأخبرته الخبر سرًّا وقلت له: تعالَ أنت ونفر معك. فصاح: «يا أهل الخندق، إن جابرًا صنع سُورًا - بالضم وسكون الواو، فارسية، أي طعامًا يدعو إليه الناس - فحَيَّهَلا بكم». وقال ﷺ: «لا تنزلُنَّ بُرمتكم ولا تخبزُنَّ عجينكم حتىٰ أجيء». فجاء، فأخرجت له عجيننا فبصق فيه وبارك، ثم عمد إلىٰ بُرمتنا فبصق [فيها] وبارك، ثم قال: «ادعي خابزةً لتخبز معكِ، واقدحي - أي اغرفي - من برمتكم، ولا تُنزِلوها». وهم ألف، فأقسمُ بالله لأكلوا حتىٰ تركوه وانحرفوا وإنَّ برمتنا لَتغط ويُسمَع غطيطها كما هي، وإن عجيننا ليُخبَز كما هو. رواه الشيخان، فأخرجه البخاري عن عمرو بن علي، حدثنا أبو عاصم، حدثنا حنظلة بن أبي سفيان [حدثنا سعيد ابن مِيناء] قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: لما حُفر الخندق رأيت برسول الله ﷺ خمصًا شديدًا، فأتيت زوجتي. ورواه مسلم عن حجاج بن الشاعر عن أبي عاصم. ورواه البيهقي في الدلائل[٣] من طريق عباس بن محمد الدُّوري عن أبي عاصم.

(و) من معجزاته ﷺ: أنه أطعم النفر الكثير **(في منزل أبي طلحة)** زيد بن سهل

---

(١) المغني ١/ ٦٨٩.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٣٧٩، ٣/ ١١٥ - ١١٦. صحيح مسلم ٢/ ٩٧٩.

(٣) دلائل النبوة ٣/ ٤٢٥ - ٤٢٦.

الأنصاري البدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، المتوفي سنة أربع وثلاثين من الهجرة. قال العراقي[١]: متفق عليه[٢] من حديث أنس.

قلت: رواه مسلم من طريق حرملة والبيهقي[٣] وأبو نعيم[٤] كلاهما في الدلائل من طريق هارون بن معروف - واللفظ له - كلاهما عن ابن وهب قال: أخبرني أسامة أن يعقوب بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري حدثه أنه سمع أنس بن مالك قال: جئتُ رسول الله ﷺ يومًا، فوجدته جالسًا مع أصحابه يحدِّثهم، وقد عصب بطنه بعصابة - قال أسامة: وأنا أشك: علىٰ حجر - فقلت لبعض أصحابه: لِمَ عصب رسولُ الله ﷺ [بطنه]؟ قال: من الجوع. فذهبتُ إلىٰ أبي طلحة وهو زوج أم سليم بنت مِلْحان، فقلت: يا أبتاه، لقد رأيت رسول الله ﷺ قد عصب بطنه بعصابة، فسألت بعض أصحابه فقال: من الجوع. فدخل أبو طلحة علىٰ أمي فقال: هل [عندكِ] من شيء؟ فقالت: نعم، عندي كِسَرٌ من خبز وتمرات، فإن جاءنا رسول الله ﷺ [وحده] أشبعناه، وإن جاء معه بأحد قلَّ عنهم. فقال لي أبو طلحة: اذهب يا أنس فقُمْ قريبًا من رسول الله ﷺ، فإذا قام فدَعْه حتىٰ يتفرَّق أصحابه ثم اتَّبِعْه، حتىٰ إذا قام علىٰ عتبة بابه فقل: إن أبي يدعوك. ففعلتُ ذلك، فلما قلت إن أبي يدعوك، قال لأصحابه: «يا هؤلاء، تعالوا»، ثم أخذ بيدي فشدَّها، ثم أقبل بأصحابه، حتىٰ إذا دنونا من بيتنا أرسل يدي، فدخلت وأنا حزين لكثرة مَن جاء به، فقلت: يا أبتاه، قد قلتُ لرسول الله ﷺ الذي قلتَ لي، فدعا أصحابه، فقد جاءك بهم. فخرج أبو طلحة إليهم فقال: يا رسول الله، إنما أرسلتُ أنسًا يدعوك وحدك، ولم يكن عندي ما يُشبع مَن أرىٰ. فقال رسول الله ﷺ: «ادخل، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ سيبارك فيما عندك».

---

(١) المغني ١/ ٦٨٩.

(٢) صحيح البخاري ١/ ١٥٣، ٢/ ٥٢٣، ٣/ ٤٣٢، ٤٤٦، ٤/ ٢٢٦. صحيح مسلم ٢/ ٩٧٩ - ٩٨١.

(٣) دلائل النبوة ١/ ٣٦٣، ٦/ ٨٨ - ٩٢.

(٤) دلائل النبوة ص ٤١٥ - ٤١٧.

فدخل رسول الله ﷺ فقال: «اجمعوا ما عندكم ثم قرِّبوه». وجلس مَن معه بالسكة، فقرَّبنا ما كان عندنا من كِسَر وتمر فجعلناه علىٰ حصيرنا، فدعا فيه بالبركة فقال: «يدخل عليَّ ثمانية». فأدخلتُ عليه ثمانية، فجعل كفه فوق الطعام فقال: «كلوا وسمُّوا الله تعالىٰ». فأكلوا من بين أصابعه حتىٰ شبعوا، ثم أمرني أن أُدخِل عليه ثمانية، وقام الأوَّلون، ففعلتُ، فدخلوا، فأكلوا حتىٰ شبعوا، ثم أمرني فأدخلت عليه ثمانية، فما زال ذلك [أمره] حتىٰ دخل عليه ثمانون رجلاً كلهم يأكل حتىٰ يشبع، ثم دعاني ودعا أمي وأبا طلحة فقال: «كلوا». فأكلنا حتىٰ شبعنا، ثم رفع يده فقال: «يا أم سليم، أين هذا من طعامكِ حين قدمتيه»؟ قالت: بأبي وأمي أنت، لولا أني رأيتهم يأكلون لقلتُ ما نقص من طعامنا شيء.

وسيأتي قريبًا عند قوله «ومرة أكثر من ثمانين» ما يشبه هذه القصة، وفيه أنه أدخلهم عشرة عشرة، ودل ظاهرُ مغايرة المصنف بينهما علىٰ تعدُّد القصة، وهو الذي استظهره الحافظ ابن حجر في فتح الباري[١].

(و) من معجزاته ﷺ: أنه أطعم (**يوم الخندق مرة ثمانين**) رجلاً. هكذا في سائر النسخ، والصواب: ثمانمائة، كما يدل له سياقُ القصة الآتي ذِكرها (**من أربعة أمداد شعيرًا**) وهي صاع، فإن المُد - بالضم - رطل وثلث بالبغدادي عند أهل الحجاز، فهو ربع صاع؛ لأن الصاع خمسة أرطال وثلث، كما تقدم ذلك في كتاب الزكاة (**وعَناق، وهو**) أي[٢] العَناق، كسحاب: الأنثىٰ (**من أولاد المعز**) قبل استكمالها الحول، وهي (**فوق العَتُود**) والعتود من أولاد المعز: ما أتىٰ عليه الحولُ.

قال العراقي[٣]: رواه الإسماعيلي في صحيحه ومن طريقه البيهقي في الدلائل من حديث جابر، وفيه أنهم كانوا ثمانمائة أو ثلاثمائة. وهو عند البخاري دون ذِكر

(١) فتح الباري ٦/ ٦٨١.
(٢) المصباح المنير ص ٣٩١، ٤٣٢.
(٣) المغني ١/ ٦٨٩.

العدد، وفي رواية لأبي نعيم: وهم ألف.

قلت: قال البيهقي في الدلائل[1]: أخبرنا أبو عمرو محمد بن عبد الله الأديب، أخبرنا أبو بكر الإسماعيلي، أخبرنا أبو يعلىٰ، أخبرنا أبو خيثمة، أخبرنا وكيع، أخبرنا عبد الواحد بن أيمن. ح. قال الإسماعيلي: وأخبرني الحسن – هو ابن سفيان – أخبرنا أبو بكر ابن أبي شيبة، أخبرنا المحاربي – هو عبد الرحمن بن محمد – عن عبد الواحد بن أيمن، عن أبيه قال: قلت لجابر بن عبد الله: حدِّثني بحديث عن رسول الله ﷺ أرويه عنك. فقال جابر: كنا مع رسول الله ﷺ يوم الخندق نحفر فيه، فلبثنا ثلاثة أيام لا نطعم شيئًا ولا نقدر عليه، فعرضتْ في الخندق كُدْية، فجئت إلىٰ رسول الله ﷺ فقلت: هذه كُدْية قد عرضت في الخندق، فرششنا عليها الماء، فقام رسول الله ﷺ وبطنه معصوبة بحجر، فأخذ المِعْوَل أو المِسحاة، ثم سمَّىٰ ثلاثًا [ثم ضرب] فعادت كثيبًا أَهْيَل، فلما رأيت ذلك من رسول الله ﷺ قلت: يا رسول الله، ائذنْ لي. فأذن لي، فجئت امرأتي فقلت: ثكلتكِ أمُّكِ، إني قد رأيت برسول الله ﷺ شيئًا لا صبر عليه، فما عندكِ؟ قالت: عندي صاع من شعيرٍ وعَناقٌ. فطحنَّا الشعير، وذبحنا العَناق وأصلحناها وجعلناها في البُرمة، وعجنت الشعير، ثم رجعتُ إلىٰ رسول الله ﷺ، فلبثت ساعة، ثم استأذنته الثانية فأذن لي، فجئت [فإذا العجين قد أمكنَ، فأمرتُها بالخبز، وجعلت القِدر علىٰ الأثافي، ثم جئت] إلىٰ رسول الله ﷺ فساررته فقلت: إنَّ عندنا طُعَيمًا لنا، فإن رأيتَ أن تقوم معي أنت ورجل [أو رجلان] معك فعلتَ. فقال: «وما هو؟ وكم هو»؟ قلت: صاع من شعير وعَناق. قال: «ارجع إلىٰ أهلك فقل لها لا تنزع البرمة من الأثافي، ولا تُخرِج الخبز من التنُّور حتىٰ آتي». ثم قال للناس: «قوموا إلىٰ بيت جابر». قال: فاستحييت حياءً لا يعلمه إلا الله، فقلت لامرأتي: ثكلتكِ أمُّكِ، قد جاء رسول الله ﷺ وأصحابه أجمعون. فقالت: أكان رسول الله ﷺ سألك عن الطعام؟ فقلت: نعم. قالت: الله

(١) دلائل النبوة ٣/ ٤٢٢ – ٤٢٥.

ورسوله أعلم، قد أخبرتَه بما كان عندك. فذهب عني بعض ما كنت أجد، قلت: لقد صدقتِ. فجاء رسول الله ﷺ، فدخل، ثم قال لأصحابه: «لا تضاغطوا». ثم برَّكَ علىٰ التنور وعلىٰ البرمة، فجعلنا نأخذ من التنور الخبز، ونأخذ اللحم من البرمة فنثرد ونغرف ونقل[1] إليهم، وقال رسول الله ﷺ: «ليجلس علىٰ الصحفة ثلاثة» - وقيل: سبعة أو ثمانية - فلما أكلوا كشفنا عن البرمة والتنور وجعلنا نأخذ من التنور الخبز، واللحم من البرمة، فإذا هما قد عادا إليَّ أملأ ممَّا كانا، فنثرد ونغرف ونقرِّب إليهم، فلم نزل نفعل ذلك كلما فتحنا التنور وكشفنا عن البرمة وجدناهما أملأ ما كانا حتىٰ شبع المسلمون منها، وبقيت طائفة من الطعام، فقال رسول الله ﷺ: «إن الناس قد أصابتهم مَخمصةٌ، فكلوا وأطعِموا». فلم نزل يومنا نأكل ونُطعِم. قال: وأخبرني أنهم كانوا ثمانمائة أو ثلاثمائة.

ورواه البخاري في الصحيح عن خَلاَّد بن يحيىٰ عن عبد الواحد بن أيمن، إلا أنه لم يذكر العدد في آخره.

ويُروَىٰ أنهم كانوا ثلاثمائة من غير شك، قال البيهقي في الدلائل: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا: أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب، أخبرنا أحمد بن عبد الجبار، أخبرنا يونس بن بكير، عن هشام بن سعد، عن أبي الزبير قال: أخبرني جابر بن عبد الله قال: كنا مع رسول الله ﷺ ثلاثمائة رجل نحفر الخندق، فرأيت رسول الله ﷺ أخذ حجرًا فجعله بين بطنه وإزاره يقيم بطنه من الجوع، فلما رأيت ذلك قلت: يا رسول الله، ائذنْ لي فإنَّ لي حاجة في أهلي. فأتيت المرأة فقلت: قد رأيتُ من رسول الله ﷺ أمرًا غاظني، فهل عندكِ من شيء؟ قالت: هذه العناق فاذبحها، وهذا صاع من شعير فاطحنْه. فطحنته، وذبحت العَناق، وقلت: اطبخي حتىٰ آتي رسولَ الله ﷺ فأستتبعه. فانطلقت إليه،

(١) في الدلائل: ونقرب.

فقلت: يا رسول الله، إني قد ذبحت عَناقًا، وطحنت صاعًا من شعير، فانطلِقْ معي. فنادىٰ رسول الله ﷺ في القوم: «ألا أجيبوا جابر ابن عبد الله». قال: فرجعت إلىٰ المرأة فقلت: قد افتُضحتُ، جاءكِ رسول الله ﷺ ومَن معه. فقالت: بلّغتَه وبيَّنت له؟ فقلت: نعم. فقالت: ارجع إليه وبيِّنْ له. فأتيته، فقلت: يا رسول الله، إنما هي عناق وصاع من شعير. قال: «فارجع، ولا تحركنَّ شيئًا من التنور ولا من القِدر حتىٰ آتيها، واستعِرْ صِحافًا». فدخل رسول الله ﷺ، فدعا الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ القِدر والتنور، ثم قال: «أخرِجي واثردي». ثم أقعدهم عشرة عشرة فأدخلهم فأكلوا وهم ثلاثمائة، وأكلنا وأهدينا لجيراننا، فلما خرج رسول الله ﷺ ذهب ذلك.

وأما ما رواه أبو نعيم في الدلائل وفيه أنهم كانوا ألفًا فقد تقدم من رواية حنظلة بن أبي سفيان عن جابر، ورواه البخاري ومسلم والبيهقي، ودلَّ سياقُهم علىٰ تعدُّد القصة، ولذلك غايَرَ بينهما المصنفُ، فتأملْ

(و) من معجزاته ﷺ: أنه أطعم (**مرةً أكثر من ثمانين رجلاً من أقراص شعير حملها أنس**) بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (في يده) قال العراقي[1]: رواه مسلم من حديث أنس، وفيه: حتىٰ فعل ذلك بثمانين رجلاً، ثم أكل النبي ﷺ بعد ذلك وأهلُ البيت وتركوا سؤرًا. وفي رواية لأبي نعيم في الدلائل: حتىٰ أكل منه بضع وثمانون رجلاً. وهو متفق عليه بلفظ: والقوم سبعون أو ثمانون رجلا.

قلت: لفظ الشيخين من حديث أنس قال: قال أبو طلحة لأم سليم: لقد سمعتُ صوت رسول الله ﷺ ضعيفًا أعرف فيه الجوع، فهل عندكِ من شيء؟ فقالت: نعم. فأخرجتْ أقراصًا من شعير، ثم أخرجت خمارًا لها فلفَّت الخبز ببعضه، ثم دسَّته تحت ثوبي ولاثتني [ببعضه] ثم أرسلتني إلىٰ رسول الله ﷺ، فذهبتُ به فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد - أي الموضع الذي أعدَّه للصلاة

---

(١) المغني ١/ ٦٨٩ - ٦٩٠.

فيه في محاصرة الأحزاب يوم الخندق - ومعه الناس، فسلَّمت عليه[١]، فقال لي رسول الله ﷺ: «أرسلك أبو طلحة»؟ قلت: نعم. قال: «لطعام»؟ قلت: نعم. فقال رسول الله ﷺ لمَن معه: «قوموا». فانطلق، وانطلقت بين أيديهم حتىٰ جئت أبا طلحة فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أم سليم، قد جاء رسول الله ﷺ بالناس، وليس عندنا ما نطعمهم. فقالت: الله ورسوله أعلم. فانطلق أبو طلحة حتىٰ لقي رسولَ الله ﷺ، فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه [حتىٰ دخلا] فقال رسول الله ﷺ: «هلمِّي يا أم سليم، ما عندكِ»؟ فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله ﷺ ففُتَّ، وعصرت عليه أم سليم عُكَّة لها فأَدَمَتْه، ثم قال رسول الله ﷺ فيه ما شاء الله أن يقول، ثم قال: «ائذنْ لعشرة». فأذن لهم، فأكلوا حتىٰ شبعوا، ثم خرجوا، ثم قال: «ائذنْ لعشرة ثم لعشرة»، فأكل القوم كلُّهم وشبعوا، والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً. وفي رواية لمسلم أنه قال: «ائذنْ لعشرة» [فأذن لهم] فدخلوا، فقال: «كلوا وسمُّوا الله». فأكلوا حتىٰ فعل ذلك بثمانين رجلاً، ثم أكل النبي ﷺ [بعد ذلك] وأهلُ البيت وتركوا سُؤْرًا. بالضم مهموزًا أي بقية. وفي رواية للبخاري: «أدخِلْ عليَّ عشرة»، حتىٰ عدَّ أربعين، ثم أكل النبيُّ ﷺ [ثم قام] فجعلت أنظر هل نقص منها شيء. وفي رواية عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ عن أنس أنه لما انتهىٰ إلىٰ الباب قال لهم: «اقعدوا»، ثم دخل. وفي رواية عمرو ابن عبد الله عن أنس: فقال أبو طلحة: إنما هو قرص. فقال: «إن الله سيبارك فيه». وفي رواية مبارك بن فَضالة عن أنس: فقال: «هل من سمن»؟ فقال أبو طلحة: قد كان في العُكَّة شيء. فجاء بها، فجعلا يعصرانها حتىٰ خرج [شيء] ثم مسح رسول الله ﷺ القرص فانتفخ، وقال: «بسم الله» [فانتفخ القرص] فلم يزل يصنع ذلك والقرص ينتفخ حتىٰ رأيت القرص في الجفنة يتميَّع[٢]. وفي

---

(١) في الصحيحين: فقمت عليهم.

(٢) هذه الرواية أخرجها ابن حبان في صحيحه ١٢/ ٩٤، وأبو يعلىٰ في مسنده ٧/ ١٧٥ من طريق مبارك ابن فضالة عن بكر بن عبد الله المزني وثابت البناني عن أنس.

رواية النضر بن أنس عن أبيه: فجئته بها، ففتح رباطها، ثم قال: «بسم الله، اللهم أعظِمْ فيها البركة»[١].

والحكمة في إدخالهم عشرة عشرة أن تلك القصعة لم تكن تسع عليها أكثر من ذلك. وفي قول المصنِّف «أكثر من ثمانين» إشارة إلىٰ رواية مسلم المتقدمة وهو أنهم لمَّا فرغوا من الأكل وكانوا ثمانين أكل ﷺ وأهل البيت. والمراد بهم أم سليم وأبو طلحة وأنس، فهؤلاء أربعة، ولا بد في البيت من صبيان وبنات ونسوة لم تُذكَر أسماؤهم، فصح قولُ المصنف أنهم أكثر من ثمانين، فتأملْ.

(و) من معجزاته ﷺ: أنه أطعم **(مرة أهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت بِشْر)** كذا في النسخ بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة، وفي بعضها بضم الموحدة وسكون المهملة، وكلاهما غلط، والصواب: بنت بشير، كأمير **(في يديها، فأكلوا كلهم حتىٰ شبعوا من ذلك وفضل لهم)** قال العراقي[٢]: رواه البيهقي في «دلائل النبوة» من طريق ابن إسحاق حدثنا سعيد بن يسار عن ابنة بشير بن سعد، وإسناده جيد.

قلت: هكذا هو في كتاب العراقي: حدثنا سعيد بن يسار. والذي في الدلائل للبيهقي: سعيد بن ميناء، وهو غير سعيد بن يسار، فإن سعيد بن ميناء يكنىٰ أبا الوليد، روىٰ له الشيخان وأبو داود والترمذي وابن ماجه. وسعيد بن يسار يكنىٰ أبا الحُباب، روىٰ له الجماعة. قال البيهقي في الدلائل[٣]: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا محمد بن يعقوب، أخبرنا أحمد بن عبد الجبار، أخبرنا يونس، عن ابن إسحاق، حدثني سعيد بن ميناء، عن ابنة بشير بن سعيد قالت: بعثتني أمي بتمر

---

(١) هذه الرواية أخرجها أحمد في مسنده ٢١/ ١٧٧، وأبو عوانة في المستخرج علىٰ صحيح مسلم ٥/ ١٨٢.

(٢) المغني ١/ ٦٩٠.

(٣) دلائل النبوة ٣/ ٤٢٧.

في طرف ثوبي إلىٰ أبي وخالي وهم يحفرون الخندق، فمررت علىٰ رسول الله ﷺ، فناداني، فأتيته، فأخذ التمر مني في كفَّيه، وبسط ثوبًا فنثره عليه، فتساقط في جوانبه، ثم أمر بأهل الخندق فاجتمعوا وأكلوا حتىٰ صدروا عنه. ا.هـ. كذا في نسخة الدلائل: بشير بن سعيد، وعليها سماع العراقي علىٰ المحب الخلاطي، والذي يظهر: بشير بن سعد، كما ذكره العراقي، وهو بشير بن سعد ابن ثعلبة الخزرجي والد النعمان، وأمه عمرة بنت رواحة أخت عبد الله بن رواحة، صحابية.

وهذه المعجزات الخمس التي ذكرها المصنف بعد انشقاق القمر تتعلق بتكثير الطعام القليل ببركته ودعائه.

ومن هذا الباب أيضًا ما رواه مسلم(١) من حديث أبي هريرة قال: لما كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة، فقال عمر: يا رسول الله، ادْعُهم بفضل أزوادهم ثم ادْعُ الله لهم عليها بالبركة. فقال: «نعم». فدعا بنِطع فبسطه، ثم دعا بفضل أزوادهم، فجعل الرجل يجيء بكف ذرة، ويجيء الآخر بكِسرة، حتىٰ اجتمع علىٰ النِّطع شيء يسير، فدعا رسول الله ﷺ [عليه] بالبركة، ثم قال: «خذوا في أوعيتكم». فأخذوا في أوعيتهم حتىٰ ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملأوه. قال: فأكلوا حتىٰ شبعوا، وفضلتْ فضلة ... الحديث.

ومن ذلك ما روىٰ البخاري(٢) ومسلم(٣) من حديث أنس قال: كان رسول الله ﷺ عروسًا بزينب، فعمدت - أي أم سليم - إلىٰ تمر وسمن وأَقِط فصنعت حيسًا، فجعلته في تور، فقالت: يا أنس، اذهب بهذا إلىٰ رسول الله ﷺ فقل: بعثتْ بهذا إليك أمي، وهي تقرئك السلام. فقال رسول الله ﷺ: «ضعْه». ثم قال: «اذهب فادْعُ لي فلانًا وفلانًا - رجالاً سمَّاهم - وادْعُ لي مَن لقيتَ». فدعوتُ مَن سمَّىٰ ومن

---

(١) صحيح مسلم ١/ ٣٤ - ٣٥.

(٢) صحيح البخاري ٣/ ٣٧٨.

(٣) صحيح مسلم ١/ ٦٤٩.

لقيتُ، فرجعت فإذا البيت غاصٌّ بأهله. قيل لأنس: كم كانوا؟ قال: زُهاء ثلاثمائة، فرأيت النبي ﷺ وضع يده علىٰ تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله، ثم جعل يدعو عشرة عشرة يأكلون منه، ويقول لهم: «اذكروا اسم الله، وليأكل كل رجل ممَّا يليه». قال: فأكلوا حتىٰ شبعوا، فخرجت طائفة [ودخلت طائفة] حتىٰ أكلوا كلُّهم، فقال لي: «يا أنس، ارفع». فرفعته، فما أدري حين وضعتُ كان أكثر أم حين رفعتُ.

ومن ذلك ما رواه مسلم(١) من حديث جابر قال: إن أم مالك كانت تهدي للنبي ﷺ في عُكَّة لها سمنًا فيأتيها بنوها فيسألون الأُدْم، وليس عندهم شيء، فتعمد إلىٰ التي كانت تهدي فيها للنبي ﷺ فتجد فيها سمنًا، فما زال يقيم لها أُدْم بيتها حتىٰ عصرته، فأتت النبيَّ ﷺ، فقال: «أعصرتيها»؟ قالت: نعم. قال: «لو تركتيها ما زال قائمًا».

ومن ذلك ما رواه مسلم(٢) عنه أيضًا أن رجلاً أتىٰ النبيَّ ﷺ يستطعمه، فأطعمه شطر وَسْق من شعير، فما زال يأكل منه وامرأتُه وضيفهما حتىٰ كالَه، فأتىٰ النبيَّ ﷺ فأخبره، فقال: «لو لم تَكِلْه لأكلتم منه، ولقام لكم».

قال النووي في شرح مسلم(٣): والحكمة في ذهاب بركة السمن حين عصرت العُكَّة، وإعدام بركة الشعير حين كاله، أنَّ عصرها وكيله مضادٌّ للتسليم والتوكل علىٰ رزق الله تعالىٰ، ويتضمَّن [التدبير و] الأخذ بالحَوْل والقوة وتكلُّف الإحاطة بأسرار حِكَم الله تعالىٰ وفضله، فعوقِبَ فاعله بزواله.

ومن ذلك ما أخرج الدارمي(٤) وابن أبي شيبة(٥) والترمذي(٦) من حديث

---

(١) السابق ٢/ ١٠٨١.

(٢) السابق ٢/ ١٠٨١.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٥/ ٦٠.

وذكر نحوه القاضي عياض في إكمال المعلم ٧/ ٢٤٣.

(٤) سنن الدارمي ١/ ٤٣.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة ١٠/ ٣٨٦.

(٦) سنن الترمذي ٦/ ١٨.

سَمُرة بن جندب قال: كنا مع النبي ﷺ نتداول من قصعة من غَدْوة حتىٰ الليل، يقوم عشرة ويقعد عشرة. قلنا: فما كانت تُمَد؟ قال: من أيِّ شيء تعجب؟ ما كانت تُمَدُّ إلا من هنا. وأشار بيده إلىٰ السماء. ورواه أيضًا الحاكم[١] وصحَّحه وأبو نعيم[٢] والبيهقي[٣] كلاهما في الدلائل.

ومن ذلك أيضًا ما أخرجه البخاري[٤] من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر قال: كنا مع النبي ﷺ ثلاثين ومائة ... وإنه عُجن صاع، وصُنعت شاة، فشُوي سواد بطنها، قال: وايمُ الله ما من الثلاثين ومائة إلا وقد حزَّ له حزَّة من سواد بطنها، ثم جعل منها قصعتين، فأكلنا أجمعون، وفضل في القصعتين، فحملتُه علىٰ البعير.

ومن ذلك أيضًا ما أخرجه ابن أبي شيبة[٥] والطبراني[٦] وأبو نعيم في الدلائل من حديث أبي هريرة قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أدعو أهل الصُّفَّة، فتتبَّعهم حتىٰ جمعتُهم، فوُضعت بين أيدينا صَحْفة، فأكلنا ما شئنا وفرغنا، وهي مثلها حين وُضعت، إلا أن فيها أثر الأصابع.

ومن ذلك أيضًا ما ذكره صاحب الشفاء[٧] من حديث علي بن أبي طالب قال: جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب، وكانوا أربعين، منهم قوم يأكلون الجَذَعة ويشربون الفَرَق، فصنع لهم مُدًّا من طعام، فأكلوا حتىٰ شبعوا، وبقي كما

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٧٢٦.

(٢) دلائل النبوة ص ٤٢٨ - ٤٢٩.

(٣) دلائل النبوة ٦/ ٩٣.

(٤) صحيح البخاري ٢/ ٢٤١، ٣/ ٤٣٢. وأخرجه أيضا مسلم ٢/ ٩٨٨.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة ١٠/ ٣٨٨.

(٦) المعجم الأوسط ٣/ ١٩٥.

(٧) الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ للقاضي عياض ١/ ٢٩٣.

هو، ثم دعا بعُسٍّ، فشربوا حتىٰ رووا منه، وبقي كأنه لم يُشرَب منه[١].

(و) من معجزاته ﷺ: أن (**نبع الماء**) الطهور (**من بين أصابعه**) وهو أشرف المياه[٢]. قال القرطبي[٣]: قصة نبع الماء من بين أصابعه قد تكرَّرت منه ﷺ في عدة مواطن في مشاهد عظيمة، ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعُها العلم القطعيَّ المستفاد من التواتر المعنوي، ولم يُسمَع بمثل هذه المعجزة عن غير نبيِّنا ﷺ، حيث نبع من بين عظمه وعَصَبه ولحمه ودمه. وقد نقل ابن عبد البر[٤] عن المزني أنه قال: نبعُ الماء من بين أصابعه ﷺ أبلغ في المعجزة من نبع الماء من الحجر حيث ضربه موسىٰ بالعصا فتفجرَّت منه المياه؛ لأن خروج الماء من الحجارة معهود، بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم (**فشرب أهل العسكر كلُّهم وهم عِطاش**) روىٰ[٥] ابن شاهين من حديث أنس قال: كنت مع النبي ﷺ في غزوة تبوك، فقال المسلمون: يا رسول الله، عطشت دوابُّنا وإبلنا، فقال: «هل من فضلة ماء»؟ فجاء رجل في شَن بشيء، فقال: «هاتوا صحفة». فصبَّ الماء، ثم وضع راحته في الماء. قال: فرأيتها تخلَّلُ عيونًا بين أصابعه. قال: فسقينا إبلنا ودوابَّنا وتزودنا، فقال: «اكتفيتم»؟ فقالوا: نعم، اكتفينا يا رسول الله. فرفع يده فارتفع الماء.

وروىٰ أحمد[٦] من حديث جابر قال: اشتكىٰ أصحاب رسول الله ﷺ إليه العطش، فدعا بعُسٍّ فصب فيه شيئًا من الماء، ووضع رسول الله ﷺ فيه يده وقال: «استقوا»، فاستقىٰ الناس، فكنت أرىٰ العيون تنبع من بين أصابعه.

---

(١) رواه أحمد في مسنده ٢/ ٤٦٥، والنسائي في السنن الكبرىٰ ٧/ ٤٣١، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة ٢/ ٧٢.

(٢) انظر: مواهب الجليل، للحطاب ١/ ٦٤ ط عالم الكتب.

(٣) المفهم ٦/ ٥٢.

(٤) التمهيد ١/ ٢٢٠ - ٢٢١.

(٥) المواهب اللدنية ٢/ ٢٢٨.

(٦) مسند أحمد ٢٣/ ٤٨.

ورواه البيهقي في الدلائل[1] بلفظ: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فأصابنا عطشٌ، فجهشنا إلىٰ رسول الله ﷺ. قال: فوضع يده في تور من ماء بين يديه. قال: فجعل الماء ينبع من بين أصابعه كأنه العيون، قال: «خذوا بسم الله». فشربنا فوسعَنا وكفانا، ولو كنا مائة ألف لكفانا. قلت[2] لجابر: كم كنتم؟ قال: ألفًا وخمسمائة.

وأخرجه ابن شاهين أيضًا، وفيه: فأصابنا عطشٌ بالحديبية ... الحديث.

وأخرج البخاري[3] من حديث علقمة عن ابن مسعود: بينما نحن مع رسول الله ﷺ وليس معنا ماء، فقال لنا رسول الله ﷺ: «اطلبوا مَن معه فضل ماء». فأُتي بماء، فصبَّه في إناء، ثم وضع كفه فيه، فجعل الماء ينبع من بين أصابعه.

(**وتوضأوا من قدح صغير ضاق عن أن يبسط ﷺ يده فيه**) قال العراقي[4]: متفق عليه من حديث أنس في ذِكر الوضوء فقط. ولأبي نعيم من حديثه: خرج إلىٰ قباء، فأُتي من بعض بيوتهم بقدح صغير. وفيه: ثم قال: «هلمَّ إلىٰ الشرب». قال أنس: بصر عيني نبع الماء من بين أصابعه، ولم يردَّ القدح حتىٰ رووا منه. وإسناده جيد. وللبزار[5] - واللفظ له - والطبراني في الكبير[6] من حديث ابن عباس: كان في سفر، فشكا أصحابه العطشَ، فقال: «ائتوني بماء». فأتوه بإناء فيه ماء، فوضع يده في الماء، فجعل الماء يفور من بين أصابعه. وإسناده ضعيف.

قلت: حديث أنس في الصحيحين[7]، قال: رأيت رسول الله ﷺ وحانت

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ١١.

(٢) القائل هو سالم بن أبي الجعد.

(٣) صحيح البخاري ٢/ ٥٢٣.

(٤) المغني ١/ ٦٩٠.

(٥) مسند البزار ١١/ ٤٧٨.

(٦) المعجم الكبير ١٢/ ٨٧.

(٧) صحيح البخاري ١/ ٧٦، ٢/ ٥٢١، ٥٢٢. صحيح مسلم ٢/ ١٠٨١.

صلاةُ العصر، والتمس الناس الوضوءَ فلم يجدوه، فأُتي رسول الله ﷺ بوضوء، فوضع يده في ذلك الإناء وأمر الناس أن يتوضأوا منه، فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه، فتوضأ الناس حتىٰ توضأوا من عند آخرهم. وفي لفظ للبخاري: كانوا ثمانين رجلاً. وفي لفظ له: فجعل الماء ينبع من بين أصابعه وأطراف أصابعه حتىٰ توضأ القوم. قال [قتادة]: فقلنا لأنس: كم كنتم؟ قال: كنا ثلاثمائة.

وفي الصحيحين[١] من حديث جابر قال: عطش الناس يوم الحديبية، وكان رسول الله ﷺ بين يديه ركوة يتوضأ منها، فجهش النَّاسُ نحوه، فقال: «ما لكم»؟ فقالوا: يا رسول الله، ليس عندنا ماء نتوضأ به ولا ما نشربه إلا ما بين يديك. فوضع يده في الرِّكوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا. فقلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة.

وأخرجه البيهقي[٢] من طريق عثمان بن أبي شيبة، عن جرير، عن الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، عن جابر بلفظ: لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ وقد حضرت صلاة العصر، وليس معنا ماء غير فضلة، فجُعل في إناء فأُتي به رسول الله ﷺ. قال: فأدخل يده فيه وفرَّج أصابعه وقال: حيَّهلا أهل الوضوء، والبركة من الله». قال: فلقد رأيت الماء يتفجَّر من بين أصابعه. قال: فتوضأ الناس وشربوا. قال: فجعلتُ لا آلو ما جعلتُ في بطني منه، وعلمت أنه بركة. قال: قلت لجابر: كم كنتم يومئذٍ؟ قال: ألفًا وأربعمائة.

ورواه البخاري[٣] عن قتيبة بن سعيد عن جرير.

---

(١) صحيح البخاري ٢/ ٥٢٢، ٣/ ١٢٨. صحيح مسلم ٢/ ٩٠١.
وهذا السياق للبخاري فقط، أما مسلم فليس عنده إلا الجملة الأخيرة.

(٢) دلائل النبوة ٤/ ١١٧.

(٣) صحيح البخاري ٤/ ٢٢.

وأخرج أحمد[١] والبيهقي[٢] من طريق الأسود بن قيس، عن نُبَيح العَنْزي، عن جابر قال: غزونا مع رسول الله ﷺ، ونحن يومئذٍ بضع عشرة مائة، فحضرت الصلاة، فقال: «هل في القوم من طهور»؟ فجاء رجل يسعىٰ بإداوة فيها شيء من ماء، ليس في القوم ماء غيره، فصبَّه رسول الله ﷺ في قدح، ثم توضأ فأحسنَ الوضوءَ، ثم انصرف وتركَ القدح. قال: فركب الناس ذلك القدحَ وقالوا: تمسَّحوا تمسَّحوا. فلما سمعهم يقولون ذلك قال: «علىٰ رِسْلكم». قال: فوضع كفَّه في الماء والقدح وقال: «سبحان الله». ثم قال: «أسبِغوا الوضوء». فوالذي ابتلاني ببصري لقد رأيت عيون الماء تخرج من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولم يرفعها حتىٰ توضأوا أجمعون.

وقال الإسماعيلي في الصحيح: أخبرنا أبو يعلىٰ، ثنا أبو الربيع، ثنا حماد بن زيد، ثنا ثابت، عن أنس أن النبي ﷺ دعا بماء، فأُتي بقدح رحراح، فجعل القوم يتوضأون، فحزرتُ ما بين السبعين إلىٰ الثمانين. قال: فجعلت أنظر إلىٰ الماء ينبع من بين أصابعه. ورواه مسلم[٣] عن أبي الربيع. ولفظ البخاري[٤] عن مسدَّد عن حماد عن ثابت: دعا بإناء من ماء، فأُتي بقدح رحراح فيه شيء من ماء، فوضع أصابعه فيه. قال أنس: فجعلت أنظر إلىٰ الماء ينبع من بين أصابعه. قال: فحزرت مَن توضأ منه ما بين السبعين إلىٰ الثمانين.

وأما حديث أنس الذي ذكره العراقي من عند أبي نعيم فقد أخرجه أيضًا البيهقي في الدلائل[٥] من طريق إسماعيل بن أبي أُوَيس عن أخيه، عن سليمان ابن

---

(١) مسند أحمد ٢٣/ ١٤٦.

(٢) دلائل النبوة ٤/ ١١٧.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ١٠٨٠ - ١٠٨١.

(٤) صحيح البخاري ١/ ٨٥.

(٥) دلائل النبوة ٤/ ١٢٣.

بلال، عن عبيد الله بن عمر، عن ثابت، عن أنس قال: خرج النبي ﷺ إلىٰ قُباء، فأُتي من بعض بيوتهم بقدح صغير. قال: فأدخل النبي ﷺ يده فلم يسعه القدحُ، فأدخل أصابعه الأربع، ولم يستطع أن يُدخِل إبهامَه، ثم قال للقوم: «هلمُّوا إلىٰ الشراب ...» الحديث.

اعلم(١) أن ظاهر هذه الروايات دلَّ علىٰ أن الماء كان ينبع من بين أصابعه بالنسبة إلىٰ رؤية الرائي، وهو في نفس الأمر للبركة الحاصلة فيه يفور ويكثُر وكفه ﷺ في الإناء فيراه الرائي نابعًا من بين يديه، وظاهر كلام القرطبي أنه ينبع من نفس اللحم الكائن في الأصابع، وبه صرَّح النووي في شرح مسلم، وهو الصحيح، وكلاهما معجزة له ﷺ. وإنما فعل ذلك ولم يخرجه من غير ملامسة ماء ولا وضعِ إناء تأدُّبًا مع الله تعالىٰ؛ إذ هو المنفرد بإبداع المعدومات وإيجادها من غير أصل. والله أعلم.

(و) من معجزاته ﷺ: أنه (أَهَراق) بفتح الهمزة والهاء، أصله: أراق (وَضُوءه) بالفتح: هو الماء الذي يتوضأ به (في عين تبوك) وهو موضع بالشام (**ولا ماء فيها، ومرة أخرىٰ في بئر الحديبية، فجاشتا بالماء، فشرب من عين تبوك أهل الجيش وهم ألوف حتىٰ رووا، وشرب من بئر الحديبية ألف وخمسمائة، ولم يكن فيها قبل ذلك ماء**) قال العراقي(٢): رواه مسلم من حديث معاذ بقصة عين تبوك، ومن حديث سلمة بن الأكوع بقصة عين الحديبية، وفيه: فإما دعا وإما بصق فيها فجاشت ... الحديث. وللبخاري من حديث البراء أنه توضأ وصبَّه فيها. وفي الحديثين معًا أنهم كانوا أربع عشرة مائة. وكذلك عندهما(٣) من حديث جابر، ولهما من حديثه أيضًا: ألف وخمسمائة. ولمسلم(٤) من حديث ابن أبي أوفَىٰ: ألف وثلاثمائة.

---

(١) المواهب اللدنية للقسطلاني ٢/ ٢٣٠. فتح الباري لابن حجر ٦/ ٦٧٧.

(٢) المغني ١/ ٦٩٠ - ٦٩١.

(٣) صحيح البخاري ٢/ ٥٢٢، ٣/ ١٢٨، ٢٩٤، ٤/ ٢٢. صحيح مسلم ٢/ ٩٠١.

(٤) صحيح مسلم ٢/ ٩٠١. ورواه أيضا البخاري ٣/ ١٢٨.

قلت: لفظ حديث معاذ عند مسلم(١): أن رسول الله ﷺ قال لهم: «إنكم ستأتون غدًا إن شاء الله عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتىٰ يُضحِي النهارُ، فمَن جاءها [منكم] فلا يمس من مائها شيئًا حتىٰ آتي». قال: فجئناها وقد سبق إليها رجلان، والعين مثل الشراك تَبِضُّ بشيء من ماء، فسألهما رسول الله ﷺ: «هل مَسَسْتُما من مائها شيئًا»؟ قالا: نعم. فسبَّهما وقال لهما ما شاء الله أن يقول، ثم غرفوا [بأيديهم] من العين قليلاً قليلاً حتىٰ اجتمع في شن، ثم غسل ﷺ فيه وجهه ويديه، ثم أعاده فيها، فجرت العينُ بماء كثير، فاستقىٰ الناس، ثم قال: «يا معاذ، يوشك إن طالت بك حياة أن ترىٰ ما ههنا قد مُلِئَ جِنانًا وعمرانًا».

ورواه عياض في الشفاء(٢) بنحوه من طريق مالك في الموطأ(٣)، وزاد فقال: قال في حديث ابن إسحاق: فانخرق من الماء ما له حسٌّ كحس الصواعق.

وأما قصة الحديبية فرواها البخاري(٤) من حديث المِسْوَر بن مَخرمة ومروان ابن الحكم أنهم نزلوا بأقصىٰ الحديبية علىٰ ثَمَد قليل الماء يتبرَّضه الناس تبرُّضًا، فلم يلبِّثه الناسُ حتىٰ نزحوه، وشُكي إلىٰ رسول الله ﷺ العطش، فانتزع سهمًا من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فواللهِ ما زال يجيش لهم بالرِّي حتىٰ صدروا عنه.

وحديث سلمة بن الأكوع أخرجه مسلم(٥) من طريق عكرمة بن عمار عن إياس بن سلمة بن الأكوع قال: أخبرني أبي قال: قَدِمنا مع رسول الله ﷺ الحديبيةَ ونحن أربع عشرة مائة، وعليها خمسون شاة ما ترويها. قال: فقعد رسول الله ﷺ علىٰ جبا الركية(٦)، فإما دعا وإما بزق [فيها] فجاشت، فسقينا واستقينا.

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ١٠٨١ - ١٠٨٢.

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ ١/ ٢٨٧ - ٢٨٨.

(٣) الموطأ ١/ ١٤٣.

(٤) صحيح البخاري ٢/ ٢٧٩.

(٥) صحيح مسلم ٢/ ٨٧٢.

(٦) في المطبوعة: (علىٰ جانبها) والتصويب من صحيح مسلم.

وحديث البراء رواه البخاري[١] من طريق عبيد الله بن موسىٰ عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء: كنا مع النبي ﷺ يوم الحديبية أربع عشرة مائة، والحديبية بئر، فنزحناها فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ، فأتاها، فجلس علىٰ شفيرها، ثم دعا بإناء من ماء منها، فتوضأ ثم مضمض ودعا، ثم صبَّه فيها، فتركناها غير بعيد، ثم إنها أصدرتْنا [ما شئنا] نحن ورِكابنا. وأخرجه أيضًا من حديث زهير بن معاوية عن أبي إسحاق. وفي لفظ له[٢]: فدعا بدلو، فنزع منها، ثم أخذ منه بفيه فمجَّه فيها ودعا الله فكثُر ماؤها حتىٰ صدرنا وركائبنا، ونحن أربع عشرة مائة.

وفي مغازي أبي الأسود من رواية ابن لهيعة[٣]: ودعا بدلو من ماء، فتوضأ في الدلو ومضمض فاه، ثم مجَّ فيه، وأمر أن يُصَبَّ في البئر، ونزع سهمًا من كِنانته فألقاه في البئر، ودعا الله تبارك وتعالىٰ، ففارت بالماء حتىٰ جعلوا يغترفون بأيديهم منها وهم جلوس علىٰ شفتها.

وكذا روىٰ الواقدي من طريق أوس بن خولي[٤].

وهذه[٥] القصة غير القصة التي سبقت في ذكر نبع الماء من بين أصابعه ﷺ ممَّا رواه البخاري في المغازي من حديث جابر، وجمع ابن حبان[٦] بينهما بأن ذلك وقع في

---

(١) صحيح البخاري ٣/ ١٢٧.

(٢) هذا اللفظ ليس عند البخاري، وإنما رواه البيهقي في السنن الكبرىٰ ٩/ ٣٧٣ - ٣٧٤.

(٣) دلائل النبوة للبيهقي ٤/ ١١٢.

(٤) بل رواه في المغازي ٢/ ٥٨٨ من طريق الهيثم بن واقد عن عطاء بن أبي مروان عن أبيه عن رجل من أسلم من أصحاب النبي ﷺ عن ناجية بن الأدعم. وفيه أن أوس بن خولي قال لعبد الله بن أبي المنافق: ويحك يا أبا الحباب! أما آن لك أن تبصر ما أنت عليه؟ أبعد هذا شيء؟ وردنا بئرا يتبرض ماؤها فتوضأ رسول الله ﷺ في الدلو ومضمض فاه في الدلو ثم أفرغ الدلو فيها ونزل بالسهم فحثحثها فجاشت بالرواء. فقال ابن أبي: قد رأيت مثل هذا. فقال أوس: قبحك الله وقبح رأيك.

(٥) المواهب اللدنية ٢/ ٢٣١. فتح الباري ٧/ ٥٠٧.

(٦) صحيح ابن حبان ١٤/ ٤٨٢، ونصه: «الجمع بين هذه الأخبار أن هذا الفعل كان من المصطفىٰ ﷺ في أربع مواضع مختلفة، مرة كان القوم ما بين ألف وأربعمائة إلىٰ ألف وخمسمائة، =

وقعتين. قال بعضهم في تقرير هذا القول: حديث جابر في نبع الماء كان حين حضرت صلاة العصر عند إرادة الوضوء، وحديث البراء كان لإرادة ما هو أعم من ذلك. ويحتمل أن يكون الماء لمَّا تفجَّر من أصابعه ويده في الركوة وتوضأوا كلُّهم وشربوا أمر حينئذٍ بصب الماء الذي بقي في الركوة في البئر فتكاثر الماء فيها. والله أعلم.

(و) من معجزاته ﷺ: أنه (**أمر عمر بن الخطاب** رضي الله عنه **أن يزود أربعمائة راكب من تمر كان في اجتماعه**) وهيئته (**كرَبْضة البعير، وهو**) بفتح الراء وسكون الموحدة والضاد المعجمة (**موضع بروكه، فزوَّدهم كلَّهم منه وبقي منه يحسبه**[1]) قال العراقي[2]: رواه أحمد[3] من حديث النعمان بن مقرن وحديث دُكَين بن سعيد بإسنادين صحيحين، وأصل حديث دكين عند أبي داود[4] [مختصرًا] من غير بيان لعددهم.

قلت: النعمان ودكين مزنيان، وأخرج أحمد من طريق سالم بن أبي الجعد عن النعمان بن مقرِّن قال: قَدِمنا علىٰ رسول الله ﷺ في أربعمائة من مزينة. ورجاله ثقات، لكنه منقطع، فإنَّ النعمان استشهد في خلافة عمر فلم يدركه سالم. وقال الحافظ في الإصابة[5]: دُكَين بن سعيد له حديث واحد تفرَّد أبو إسحاق السبيعي[6]

= وكان ذلك الماء في تور. والمرة الثانية كان القوم ما بين أربع عشرة مائة إلىٰ خمس عشرة مائة، وكان ذلك الماء في ركوة. والمرة الثالثة كان القوم ما بين الستين إلىٰ الثمانين، وكان ذلك الماء في قدح رحراح. والمرة الرابعة كان القوم ثلاثمائة، وكان ذلك الماء في قعب، من غير أن يكون بينها تضاد أو تهاتر».

(١) ليست في الزبيدي، وهي مثن ط الشعب ٧/ ١٣٣٣ ولفظها: وبقي منه فحسبه، وفي ط المنهاج ٤/ ٧٧٥: وبقي بحبثه.

(٢) المغني ١/ ٦٩١.

(٣) مسند أحمد ٢٩/ ١١٧ - ١١٩، ٣٩/ ١٥٥.

(٤) سنن أبي داود ٥/ ٤٤٥.

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة ٣/ ١٩٦، وفيه: «دكين بن سعيد، أو ابن سعد، الخثعمي، ويقال المزني، وهو معدود فيمن نزل الكوفة من الصحابة».

(٦) هذا خطأ، والصواب أن الذي تفرد بروايته عنه هو قيس بن أبي حازم.

بروايته عنه، وأخرجه ابن حبان في صحيحه[١] وأبو داود والدارقطني في الإلزامات.

(و) من معجزاته ﷺ: أنه (رمىٰ **الجيش بقبضة من تراب**) الأرض[٢] وقال: «شاهت الوجوه» أي قبحت (**فعميت عيونهم**) وذلك يوم بدر لما التقىٰ الجمعان، فلم يبقَ مشرك - وكانوا ألفًا أو إلا خمسين - إلا ودخل في عينيه ومنخريه منها شيء، فانهزموا من ذلك علىٰ الأصح، وأنه ﷺ فعل نظيرَه في يوم حنين، وهو الذي أراده المصنف هنا، وقد أخرجه مسلم[٣] من حديث سلمة بن الأكوع، ولفظه: بقبضة من تراب الأرض. كما هو عند المصنف، وعند غيره أنه ﷺ تناول حصيات من الأرض ثم قال: «شاهت الوجوه»، ورمىٰ بها في وجوه المشركين. والجمع بينهما أنه يحتمل أنه رمىٰ بذا مرة وبالآخر أخرىٰ، أو أنه أخذ قبضة واحدة مخلوطة من حصىٰ وتراب[٤]. وروىٰ أحمد[٥] وأبو داود[٦] والدارمي[٧] من حديث أبي عبد الرحمن الفِهري أنه ﷺ اقتحم عن فرسه فأخذ كفًّا من تراب. قال: فأخبرني الذي كان أدنىٰ إليه مني أنه ضرب به وجوههم وقال: «شاهت الوجوهُ»، فهزمهم الله تعالىٰ. قال يعلىٰ بن عطاء راويه عن أبي همَّام عن أبي عبد الرحمن الفهري: فحدثني أبناؤهم وهم عن آبائهم أنهم قالوا: لم يبقَ منا أحد إلا امتلأت عيناه وفمه ترابًا. وروىٰ أحمد[٨] والحاكم[٩] من حديث ابن مسعود: فحادتْ به بغلتُه ﷺ،

---

(١) صحيح ابن حبان ١٤/ ٤٦٢.

(٢) المواهب اللدنية ١/ ١٨٧، ٣٣٠ - ٣٣١. أشرف الوسائل ص ٢٥٣.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ٨٥٤.

(٤) هذان الاحتمالان ذكرهما النووي في شرح صحيح مسلم ١٢/ ١٦٤.

(٥) مسند أحمد ٣٧/ ١٣٤ - ١٣٥.

(٦) سنن أبي داود ٥/ ٤٤٣، ولكن لم يسقه بتمامه، بل أورد أول الحديث فقط، ولم يذكر الجزء الذي أورده الشارح.

(٧) سنن الدارمي ٢/ ٢٩٠.

(٨) مسند أحمد ٧/ ٣٥٥.

(٩) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ١٤١.

فمال عن السرج، فقلت: ارتفعْ رفعك اللهُ. فقال: «ناوِلْني كفًّا من تراب». فضرب به وجوههم فامتلأت أعينهم ترابًا (**ونزل بذلك القرآن في قوله تعالىٰ:** ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾) [الأنفال: ١٧] رواه ابن مردويه في تفسيره من حديث جابر وابن عباس[١]. قال ابن حجر في شرح الشمائل[٢]: وقد ضلَّت جماعة في فهم هذه الآية، حيث جعلوها أصلاً في إبطال نسبة الأفعال إلىٰ العباد، ولم يبالوا بما يلزم علىٰ ذلك من أن يقال: وما صليت إذ صلَّيت ولكن الله صلىٰ، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمىٰ. والمراد أن تلك الرمية لمَّا لم تبلغ ذلك المبلغَ عادةً بيَّن اللهُ تعالىٰ أنَّ من نبيِّه المبدأ، ومنه تعالىٰ الغاية وهو الإيصال.

(و) من معجزاته ﷺ: أنه (**أبطل الله الكهانة بمبعثه ﷺ فعدمتْ، وكانت**) قبلُ (**ظاهرة موجودة**) قال العراقي[٣]: رواه الخرائطي من حديث مِرْداس بن قيس الدوسي قال: حضرتُ النبيَّ ﷺ وذُكرت عنده الكهانة وما كان من تغييرها عند مخرجه ... الحديث. ولأبي نعيم في الدلائل[٤] من حديث ابن عباس في استراق الجن السمع: فيلقونه علىٰ أوليائهم، فلما بُعث سيدنا محمد ﷺ دُحِروا بالنجوم. وأصله عند البخاري[٥] بغير هذا السياق.

قلت: مرداس[٦] بن قيس هذا ذكره أبو موسىٰ في الذيل، والحديث الذي ذكره الخرائطي فإنه أخرجه في كتاب الهواتف[٧] له من طريق عيسىٰ بن يزيد عن صالح بن كيسان عمَّن حدثه عن مرداس بن قيس قال: حضرت النبي ﷺ ...

---

(١) الدر المنثور ٧/ ٧٣ - ٧٤.

(٢) أشرف الوسائل ص ٢٥٣ - ٢٥٤.

(٣) المغني ١/ ٦٩١ - ٦٩٢.

(٤) دلائل النبوة ص ٢٢٦.

(٥) صحيح البخاري ١/ ٢٥٠ - ٢٥١، ٣/ ٣١٦.

(٦) الإصابة في تمييز الصحابة ٩/ ١٦٤.

(٧) هواتف الجنان ص ٣٠ (ط - دار البشائر بدمشق).

وذكره إلىٰ قوله: عند مخرجه. ثم قال: فقلت: يا رسول الله، كان عندنا شيء من ذلك أخبرك به ... فذكر قصة طويلة فيها أن كاهنهم كان يصيب كثيرًا ثم أخطأ مرة بعد مرة، ثم قال لهم: يا معشر دوس، حُرست السماء وخرج [خير] الأنبياء. وأنه مات عقب ذلك. قال الحافظ في الإصابة: وعيسىٰ أظنه ابن داب، وهو كذاب، وفي السند أيضًا عبد الله بن محمد البلوي، كذاب.

وأخرج البيهقي في الدلائل[١] عن الزهري قال: إن الله حجب الشياطين عن السمع بهذه النجوم فانقطعت الكهنة فلا كهانة.

وأخرج[٢] ابن المنذر عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ [الجن: ٩] قال: حُرست السماء حين بُعث النبي ﷺ لكيلا يُسترَق السمع، فأنكرت الجن ذلك، فكان كل مَن استمع منهم قُذف. وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: كانت الجن قبل أن يُبعَث النبي ﷺ يستمعون من السماء، فلما بُعث حُرست فلم يستطيعوا أن يستمعوا.

(و) من معجزاته ﷺ: أن (**حنَّ الجِذْع**) بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة: ساق النخلة (**الذي كان يخطب إليه**) أي مستندًا إليه في حال خطبته (**لمَّا عُمل له**) ﷺ (**المنبر**) وحنينه[٣]: شوقه وانعطافه الدالُّ عليهما صوته المسموع (**حتىٰ سمع منه جميع أصحابه**) الحاضرين إذ ذاك (**مثل صوت الإبل، فضمَّه إليه**) بعد نزوله من المنبر (**فسكن**) قال التاج السبكي: وحنينه متواتر؛ لأنه ورد عن جماعة من الصحابة إلىٰ نحو العشرين من طرق صحيحة كثيرة تفيد القطع بوقوعه ... وبيَّنها، ثم قال: ورُب متواتر عند قوم غير متواتر عند آخرين. وتبعه بعض الحفَّاظ[٤] فقال:

---

(١) دلائل النبوة ٢/ ٢٣٧.

(٢) الدر المنثور ١٥/ ٢٠ - ٢١.

(٣) أشرف الوسائل ص ٢٤٨.

(٤) هو ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ٦/ ٦٨٥.

وقد نُقل هو وانشقاق القمر نقلاً مستفيضًا يفيد القطع عند من يطَّلع علىٰ طرق [ذلك من أئمة] الحديث دون غيرهم. وجرىٰ في الشفاء[1] علىٰ أنه متواتر. وقال البيهقي[2]: قصة حنينه من الأمور الظاهرة التي نقلها الخلف عن السلف. وعن الشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن حنينه أعظم في المعجزات من إحياء الموتىٰ[3].

قال العراقي[4]: رواه البخاري من حديث ابن عمر وجابر.

قلت: أما[5] حديث جابر فرواه البخاري[6] عن إسماعيل بن أبي أُوَيس، حدثني أخي، عن سليمان بن بلال، عن يحيىٰ بن سعيد، أخبرني حفص بن عبيد الله بن أنس بن مالك أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول: كان المسجد في زمن رسول الله ﷺ مسقوفًا علىٰ جذوع من نخل، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلىٰ جذع منها، فلما صُنع له المنبر فكان عليه، فسمعتُ لذلك [الجذع] صوتًا كصوت العِشار، حتىٰ جاءه النبي ﷺ فوضع يده عليه فسكن.

وأخرجه ابن سعد في الطبقات[7] فقال: أخبرنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي أُوَيس، حدثني سليمان بن بلال ... فذكره.

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ ١/ ٣٠٣.

(٢) دلائل النبوة ٢/ ٥٦٣.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في آداب الشافعي ومناقبه ص ٨٣ عن عمرو بن سَوَّاد السرحي قال: قال لي الشافعي: ما أعطىٰ الله نبيا ما أعطىٰ محمدا ﷺ. فقلت: أعطىٰ عيسىٰ إحياء الموتىٰ. فقال: أعطىٰ محمدا حنين الجذع الذي كان يقف يخطب إلىٰ جنبه حتىٰ هُيئ له المنبر، فلما هيئ له المنبر حن الجذع حتىٰ سُمع صوته، فهذا أكبر من ذلك.

(٤) المغني ١/ ٦٩٢.

(٥) عرف العنبر في وصف المنبر [ضمن مجموع رسائل لابن ناصر الدين الدمشقي] ص ٣٧٦ - ٣٩٣ (ط - دار ابن حزم). المواهب اللدنية ٢/ ٢١٨ - ٢٢٢.

(٦) صحيح البخاري ٢/ ٥٢٥.

(٧) الطبقات الكبرىٰ ١/ ٢١٧.

وقال ابن سعد[١] أيضًا: أخبرنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد الزهري، عن أبيه، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب، حدثني مَن سمع جابر بن عبد الله يقول: إن رسول الله ﷺ كان يقوم إلىٰ جذع نخلة منصوب في المسجد، حتىٰ إذا بدا له أن يتخذ المنبر شاور ذوي الرأي من المسلمين، فرأوا أن يتخذه، فاتخذه رسول الله ﷺ، فلما كان يوم الجمعة أقبل رسول الله ﷺ حتىٰ جلس علىٰ المنبر، فلما فقده الجذعُ حنَّ حنينًا أفزع الناسَ، فقام رسول الله ﷺ من مجلسه حتىٰ انتهىٰ إليه فقام إليه ومسَّه فهدأ فلم يُسمَع له حنين بعد ذلك اليوم.

وقال أبو القاسم الطبراني[٢]: حدثنا عبدان بن أحمد، حدثنا العلاء بن سلمة البصري، حدثنا شيبة أبو قلابة، عن سعيد الجُرَيري، عن أبي نضرة، عن جابر أن النبي ﷺ كان يخطب إلىٰ جذع نخلة، فقيل: يا رسول الله، إنه قد كثر الناسُ وتأتيك الوفود من الآفاق، فلو أمرتَ بصنعة شيء تشخص عليه ... الحديث، وفيه: فلما صنعه صعده رسولُ الله ﷺ، فحنَّ جذع النخلة التي كان يقوم عليها حنينَ الناقة، فسمع أهل المسجد صوتها شوقًا إلىٰ رسول الله ﷺ، فنزل فالتزمها [فسكنت] فقال: «والذي نفسي بيده لو تركتُها لحنَّت إلىٰ يوم القيامة».

قال الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي في كتابه «عُرْف العنبر في وصف المنبر» بعد أن أخرجه من كتاب «التتمَّة» للحافظ أبي موسىٰ المديني من طريق الطبراني المتقدم ما نصه: كذا في هذه الرواية: عن أبي نضرة عن جابر، والأشبه: عن أبي نضرة عن أبي سعيد، قال عبد بن حميد في مسنده[٣]: أخبرنا علي بن عاصم، عن الجريري، عن أبي نضرة العبدي، حدثني أبو سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إلىٰ جذع نخلة ... وذكر الحديث بطوله [نحوه].

---

(١) السابق ١/ ٢١٦.

(٢) المعجم الأوسط ٥/ ٢٤٤، ولكن شيخ الطبراني فيه محمد بن الفضل السقطي.

(٣) المنتخب من مسند عبد بن حميد ٢/ ٧٠.

وقد رُوي عن جابر أيضًا من غير هذا الوجه، قال أبو بكر ابن المقري في فوائده: أخبرنا أبو يعلىٰ[١]، حدثنا مسروق بن المرزبان، حدثنا ابن أبي زائدة، عن أبيه، عن أبي إسحاق، عن سعيد - يعني ابن أبي كَرِب - عن جابر قال: كان رسول الله ﷺ يقوم إلىٰ خشبة يتوكَّأ عليها يخطب كل جمعة، حتىٰ أتاه رجل من الروم فقال: إن شئتَ جعلتُ لك شيئًا إذا قعدتَ عليه كنت كأنك قائم. قال: «نعم». قال: فجعل له المنبر، فلما جلس عليه حنَّت الخشبة حنين الناقة علىٰ ولدها، حتىٰ نزل النبي ﷺ فوضع يده عليها، فلما أن كان من الغد رأيتُ قد حُوِّلتْ، فقلت: ما هذا؟ قال: جاء النبي ﷺ وأبو بكر وعمر فحوَّلوها. تفرَّد به يحيىٰ بن زكريا بن أبي زائدة عن أبيه؛ قاله أبو القاسم الحافظ.

وأما حديث ابن عمر فقد أخرجه البخاري[٢] معلَّقًا من طريق أبي حفص عمر ابن العلاء، سمعت نافعًا يحدث عن ابن عمر قال: كان النبي ﷺ يخطب إلىٰ جذع، فلما اتخذ المنبر تحول إليه، فحن الجذعُ، فأتاه فمسح يده عليه. قال: وقال عبد الحميد: أخبرنا عثمان بن عمر أخبرنا معاذ بن العلاء عن نافع بهذا، ورواه أبو عاصم عن ابن أبي رَوَّاد عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ. هكذا علَّقه، وقد وصله غيره[٣] من طريق شعيب بن عمرو، ثنا أبو عاصم، ثنا ابن أبي رَوَّاد، حدثني نافع، عن عبد الله بن عمر أن تميمًا الداري رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ لما أسنَّ وثقل: ألا أتخذ لك منبرًا يحمل - أو قال: يجمع - عظامك، أو كلمة تشبهها. فاتخذ له مرقاتين أو ثلاثة يجلس عليها. قال: فصعد النبي ﷺ، فحنَّ جذعٌ كان في المسجد كان النبي ﷺ إذا خطب يستند إليه، فنزل رسول الله ﷺ فاحتضنه وقال شيئًا لا أدري ما هو، ثم صعد المنبر، وكانت أساطين المسجد جذوعًا وسقائفه جريدًا. أخرجه

---

(١) مسند أبي يعلىٰ ٤/ ١٢٨.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٥٢٥ موصولا، وليس معلقا.

(٣) كالبيهقي في السنن الكبرىٰ ٣/ ٢٧٧.

أبو داود في سننه[١] عن الحسن بن علي ثنا أبو عاصم ... فذكره مختصرًا إلىٰ قوله «مرقاتين» دون ما بعده. وحديث عثمان بن عمر رواه أبو القاسم البغوي[٢] عن الحسن بن محمد وأحمد بن منصور كلاهما عن عثمان بن عمر، أخبرنا معاذ بن العلاء عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان يخطب إلىٰ جذع نخلة، فلما اتخذ المنبر حنَّ الجذع حتىٰ أتاه فالتزمه. تابعهما عمرو بن علي الفلاَّس وسليم بن خَلاَّد عن عثمان بن عمر بن فارس، وتابعه يحيىٰ بن محمد بن السكن وبدل بن المحبر عن معاذ بن العلاء.

وقال أحمد في مسنده[٣]: حدثنا حسين بن محمد، حدثنا خلف - يعني ابن خليفة - عن أبي جَناب، عن أبيه، عن عبد الله بن عمر قال: كان جذع نخلة في المسجد يسند رسول الله ﷺ ظهره إليه إذا كان يوم الجمعة أو حدث أمرٌ يريد أن يكلم الناس، فقالوا: ألا نجعل لك يا رسول الله شيئًا كقدْر قيامك؟ قال: «لا عليكم أن تفعلوا». فصنعوا له منبرًا ثلاث مَراقٍ. قال: فجلس عليه. قال: فخارَ الجذعُ كما تخور البقرة جزعًا علىٰ رسول الله ﷺ، فالتزمه ومسحه حتىٰ سكن.

أبو جناب يحيىٰ بن أبي حية الكوفي ضعَّفه القَطَّان وأحمد وابن معين[٤]، توفي سنة ١٥٦[٥]، وأبوه اسمه حي، تابعي كوفي، محله الصدق، فيما قاله أبو حاتم الرازي[٦].

---

(١) سنن أبي داود ٢/ ٩٩.

(٢) ورواه الترمذي في سننه ١/ ٥١٣ عن عمرو بن علي الفلاس عن عثمان بن عمر وأبي غسان العنبري كلاهما عن معاذ بن العلاء. وزاد في آخره: فسكن.

(٣) مسند أحمد ١٠/ ١٢٧.

(٤) انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٩/ ١٣٩. ميزان الاعتدال للذهبي ٤/ ٣٧١. العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد ٣/ ١١٤.

(٥) كذا في المطبوعة، وفي عرف العنبر: ١٤٧. والصواب: سنة ١٥٠، كما في تهذيب الكمال ٣١/ ٢٩٠.

(٦) بل قائل ذلك هو أبو زرعة الرازي، كما في ترجمة ابنه يحيىٰ من الجرح والتعديل.

وقد روىٰ حديث حنين الجذع آخرون، منهم سهل بن سعد، وأبيُّ بن كعب، وأنس بن مالك، وأبو سعيد الخدري، وعائشة، وأبو هريرة، وابن عباس، وبريدة، وأم سلمة، والمطلب بن أبي وداعة، ﷺ.

أما حديث سهل بن سعد فأخرجه محمد بن سعد في الطبقات(١) قال: أخبرنا أبو بكر بن أبي أُوَيس المدني، حدثني سليمان بن بلال، عن سعد بن سعيد بن قيس، عن عباس بن سهل بن سعد الساعدي، عن أبيه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إذا خطب إلىٰ خشبة ذات فُرْضتين، قال: أراها من دَوْم(٢)، وكانت في مُصلاَّه، وكان يتَّكِئ إليها ... وساق الحديث في عمل المنبر، ثم قال: فقام عليه النبي ﷺ، فحنَّت الخشبة، فقال النبي ﷺ: «ألا تعجبون لحنين هذه الخشبة»؟ فأقبل الناس [عليها] وفرقوا من حنينها حتىٰ كثر بكاؤهم، فنزل النبي ﷺ حتىٰ أتاها فوضع يده عليها فسكنت، فأمر النبي ﷺ بها فدُفنت تحت منبره أو جُعلت في السقف. ورواه أبو إسماعيل الترمذي عن أيوب بن سليمان بن بلال، حدثني أبو بكر بن أبي أويس عن سليمان بن بلال ... فذكره. ورواه أبو إسماعيل الترمذي أيضًا عن يحيىٰ بن عبد الله بن بُكَير عن ابن لهيعة عن عُمارة بن غَزِيَّة أنه سمع عباس بن سهل بن سعد الساعدي يحدث عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ يخطب إذا خطب علىٰ خشبة ذات فُرْضتين كانت في المسجد، فلما زاد الناس ... فذكر الحديث في عمل المنبر، وفيه: فما هو إلا أن قعد عليه رسول الله ﷺ فتكلم ففقدته الخشبةُ فخارت كما يخور الثور لها خنين. قال: فجعل العباس بن سهل يمد يديه كنحو ما رأىٰ أباه يمد يديه ليحكي حنين الخشبة، حتىٰ تفزَّع الناسُ وكثر البكاءُ ممَّا رأوا بها، فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله، ألا ترون هذه الخشبة؟ انزعوها واجعلوها تحت المنبر»(٣).

---

(١) الطبقات الكبرىٰ ١/ ٢١٦.

(٢) الدوم، أو المقل: جنس شجر ينتمي للفصيلة الفوفلية التي تتبع رتبة الفوفليات.

(٣) أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار ١٠/ ٣٨٨ عن روح بن الفرج عن يحيىٰ بن عبد الله بن=

وأما حديث أبيٍّ بن كعب فأخرجه أبو القاسم البغوي[١] عن عيسىٰ بن سالم، ثنا عبيد الله بن عمرو، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن ابن أبيٍّ بن كعب، عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ يصلي إلىٰ جذع، وكان المسجد عريشًا، وكان يخطب إلىٰ ذلك الجذع، فقال رجال من أصحابه: يا رسول الله، نجعل لك شيئًا تقوم عليه يوم الجمعة حتىٰ يراك الناس ويسمع الناس خطبتك؟ فقال: «نعم». فصُنع له ثلاث درجات، فقام عليها كما كان يقوم، فأصغىٰ إليه الجذع، فقال له: «اسكنْ». ثم التفت فقال: «إن تشأ أن أغرسك في الجنة فيأكل منك الصالحون، وإن تشأ أن أعيدكَ رَطْبًا كما كنتَ». فاختار الآخرة علىٰ الدنيا، فلما قُبض النبي ﷺ دُفع إلىٰ أبيٍّ [فلم يزل عنده] حتىٰ أكلته الأَرَضة.

تابعه عبد الله بن أحمد بن حنبل فقال في زوائد المسند[٢]: حدثني عيسىٰ بن سالم أبو سعيد الشاشي في سنة ٢٣٠ ... فذكره بطوله.

ورواه محمد بن سعد في الطبقات[٣] فقال: أخبرنا عبد الله بن جعفر الرَّقِّي، ثنا عبيد الله بن عمرو، عن ابن عقيل، عن الطفيل بن أبي بن كعب، عن أبيه ... فذكره بنحوه، وفيه: فأراد رسول الله ﷺ أن يقوم علىٰ المنبر فمر إليه فخار الجذع حتىٰ تصدَّع وانشقَّ، فنزل رسول الله ﷺ فمسحه بيده حتىٰ سكن، ثم رجع إلىٰ المنبر، وكان إذا صلىٰ صلىٰ إلىٰ ذلك الجذع، فلما هُدم [المسجد] وغُيِّر أخذ ذلك الجذعَ أبيُّ بن كعب فكان عنده في داره حتىٰ بلي وأكلته الأرضة وعاد رُفاتًا.

وأخرجه ابن ماجه[٤] بنحوه عن إسماعيل بن عبد الله الرقي عن عبيد الله بن عمرو.

= بكير به. وأخرجه الروياني في مسنده ٢/ ٢٢٥ - ٢٢٦ عن أحمد بن عبد الرحمن بن وهب عن عمه عبد الله ابن وهب عن ابن لهيعة.

(١) ومن طريقه رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤/ ٣٩١.

(٢) مسند أحمد ٣٥/ ١٧٩.

(٣) الطبقات الكبرىٰ ١/ ٢١٦ - ٢١٧.

(٤) سنن ابن ماجه ٢/ ٥٢٧ - ٥٢٨.

ورواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند[١] عن سعيد بن أبي الربيع السَّمَّان عن سعيد بن سلمة بن أبي الحسام عن ابن عقيل ... فذكره بطوله.

وأما حديث أنس بن مالك فأخرجه أحمد في مسنده[٢] فقال: ثنا هاشم، أنا المبارك، عن الحسن، عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب يوم الجمعة يسند ظهره إلىٰ خشبة، فلما كثر الناس قال: «ابنوا لي منبرًا»، فبنوا له [عتبتين] فتحول من الخشبة إلىٰ المنبر. قال: فأخبرني أنس أنه سمع الخشبة تحن حنين الواله. قال: فما زالت تحنُّ حتىٰ نزل رسول الله ﷺ عن المنبر فمشىٰ إليها فاحتضنها فسكنت.

وأخرجه [البغوي[٣]] عن شيبان بن فَرُّوخ، عن مبارك بن فضالة، عن الحسن، عن أنس ... فذكره مثله، وفي آخره: فكان الحسن إذا حدَّث بهذا الحديث بكىٰ ثم قال: يا عباد الله، الخشبة تحن إلىٰ رسول الله ﷺ شوقًا إليه لمكانه من الله، فأنتم أحق أن تشتاقوا إلىٰ لقائه.

تابعهما عبد الله بن المبارك عن المبارك بن فضالة بطوله.

ورواه أبو يعلىٰ الموصلي عن شيبان بن فروخ، حدثنا همام، عن قتادة، عن الحسن، عن أنس بنحوه، وفيه: فصعد النبي ﷺ المنبر فحنَّت الجذعة حنين الناقة إلىٰ ولدها حتىٰ نزل رسول الله ﷺ عن المنبر واحتضنها فسكن حنينها. فكان الحسن إذا حدَّث بهذا الحديث قال: ابن آدم، هذه جذعة تحن شوقًا إلىٰ رسول الله ﷺ، فأنتم أحق بالبكاء إليه[٤].

---

(١) مسند أحمد ٣٥/ ١٧٤ - ١٧٥.

(٢) السابق ٢١/ ٧١.

(٣) ورواه من طريقه أبو طاهر في المخلصيات ٤/ ٩٥، ١٦٨، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢/ ٧٩٩، والآجري في الشريعة ٤/ ١٥٨٤.

(٤) هذا المتن بهذا الإسناد ليس في مسند أبي يعلىٰ المطبوع، ولعله في مسنده الكبير المفقود. وهذا نصه ٥/ ١٤٢ - ١٤٣: «حدثنا شيبان بن فروخ، حدثنا مبارك بن فضالة، حدثنا الحسن، عن أنس بن=

تابعه أبو بكر محمد بن محمد بن سليمان الباغَنْدي عن شيبان بن فروخ.

ومن طرق حديث أنس ما قال الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة(١): ثنا محمد بن بشَّار، ثنا عمر بن يونس، ثنا عكرمة بن عمار، ثنا إسحاق بن أبي طلحة، ثنا أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يقوم يوم الجمعة فيسند ظهره إلىٰ جذع منصوب في المسجد فيخطب، فجاء روميٌّ فقال: ألا أصنع لك شيئًا تقعد وكأنك قائم؟ فصنع له منبرًا له درجتان ويقعد علىٰ الثالثة، فلما قعد نبي الله ﷺ [علىٰ المنبر] خار الجذعُ خوار الثور حتىٰ ارتج المسجد لخواره حزنًا علىٰ رسول الله ﷺ، فنزل إليه رسول الله ﷺ من المنبر فالتزمه وهو يخور، فلما التزمه رسول الله ﷺ سكت، ثم قال: «والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه ما زال هكذا حتىٰ تقوم الساعة حزنًا علىٰ رسول الله ﷺ». فأمر به رسول الله ﷺ فدُفن. يعني الجذع.

أخرجه الترمذي(٢) عن محمود بن غَيْلان عن عمر بن يونس به.

وأما حديث أبي سعيد الخدري فقد أخرجه عبد بن حميد في مسنده، وتقدم في أثناء سياق حديث جابر.

وأما حديث عائشة فأخرجه الطبراني(٣) بإسناد ضعيف: أن النبي ﷺ كان يخطب إلىٰ جذع، فمر روميٌّ فقال: لو دعاني محمد لجعلت له ما هو أرفق به من

= مالك قال: كان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إلىٰ جنب خشبة يسند ظهره إليها، فلما كثر الناس قال: ابنوا لي منبرا. فبنوا له منبرا له عتبتان، فلما قام علىٰ المنبر يخطب حنت الخشبة إلىٰ رسول الله ﷺ. قال أنس: وإني في المسجد فسمعت الخشبة حين حنت حنين الواله، فما زالت تحن حتىٰ نزل إليها رسول الله ﷺ فاحتضنها فسكنت. فكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكىٰ ثم قال: يا عباد الله، الخشبة تحن إلىٰ رسول الله ﷺ شوقا إليه لمكانه من الله، فأنتم أحق أن تشتاقوا إلىٰ لقائه».

(١) صحيح ابن خزيمة ٣/ ١٤٠.

(٢) سنن الترمذي ٦/ ١٩ مختصرا.

(٣) المعجم الأوسط ٢/ ٣٦٧.

هذا. فدعاه رسول الله ﷺ، فجعل له المنبر أربع مراقٍ ... الحديث.

وأخرجه البيهقي كذلك، وفي آخره أنه خيَّر الجذعَ بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة.

وأما حديث أبي هريرة فأخرجه محمد بن سعد في الطبقات[1] عن محمد بن عمر الواقدي، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن عبد المجيد ابن سهيل، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يوم الجمعة يخطب إلىٰ جذع في المسجد قائمًا، فقال: «إن القيام قد شقَّ عليَّ». فقال له تميم الداري: ألا أعمل لك منبرًا كما رأيت يُصنَع بالشام؟ ... فساق الحديث، وفيه: فجاء رسول الله ﷺ فقام عليه وقال: «منبري هذا علىٰ ترعة من تُرَع الجنة ...» وذكر بقية الحديث.

وأما حديث بريدة فأخرجه الدارمي[2]، وفيه: أن النبي ﷺ قال له: «إن شئت أن أردَّك إلىٰ الحائط الذي كنتَ فيه ...» فذكر الحديث، وفيه: فأصغىٰ له النبي ﷺ ليسمع ما يقول، فقال: بل تغرسني في الجنة ... الحديث.

وأما حديث أم سلمة فأخرجه أبو نعيم في الدلائل.

واعلم أن القصة واحدة، فما وقع في ألفاظها ممَّا ظاهره التغايُر إنما هو من الرواة، وعند التحقيق والتأمل ترجع إلىٰ معنىٰ واحد. والله أعلم.

(و) من معجزاته ﷺ: أن (دعا) طائفة **(اليهود إلىٰ تمنِّي الموت، وأخبرهم**

---

(١) الطبقات الكبرىٰ ١/ ٢١٥.

(٢) سنن الدارمي ١/ ٢٩، وفي آخره: «فزعم ابن بريدة عن أبيه أن النبي ﷺ حين سمع حنين الجذع رجع إليه فوضع يده عليه، وقال: اختر أن أغرسك في المكان الذي كنت فيه فتكون كما كنت، وإن شئت أن أغرسك في الجنة فتشرب من أنهارها وعيونها فيحسن نبتك وتثمر فيأكل أولياء الله من ثمرتك ونخلك فعلتُ. فزعم أنه سمع من النبي ﷺ وهو يقول له: نعم قد فعلت، مرتين. فسأل النبي ﷺ فقال: اختار أن أغرسه في الجنة». واللفظ المذكور أعلاه نقله الشارح عن المواهب اللدنية.

بأنهم لا يتمنَّونه، فحِيلَ بينهم وبين النطق بذلك وعجزوا عنه) قال العراقي[١]: رواه البخاري[٢] من حديث ابن عباس: «لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ...» الحديث. وللبيهقي في الدلائل[٣] من حديث ابن عباس: «لا يقولها رجل منكم إلا غصَّ بريقه فمات مكانه»، فأبوا أن يفعلوا ... الحديث، وإسناده ضعيف **(وهذا مذكور في سورة)** من سور القرآن وهي سورة الجمعة، وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [الجمعة: ٧] **(يُقرأ بها في جميع جوامع الإسلام من شرق الأرض إلىٰ غربها يوم الجمعة جهرًا)** علىٰ ملأ من الناس **(تعظيمًا للآية التي فيها)** وهي المذكورة آنفًا.

وأخرج[٤] عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ قال: إن سوء العمل يكرِّه الموتَ شديدًا. وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: عرفوا أن محمدًا نبي الله [فكتموه] وقالوا: نحن أبناء الله وأحبَّاؤه.

(و) من معجزاته: أنه **(أخبر ﷺ بالغيوب)** جمع غيب، وهو كل ما غاب عن الحس ولم يكن عليه عَلَمٌ يهتدي به العقل فيحصل به العلم[٥] (و) من جملة ذلك **(أنذر أن عثمان)** بن عفان رضي الله عنه **(تصيبه بلوىٰ بعدها الجنة)** قال العراقي[٦]: متفق عليه[٧] من حديث أبي موسىٰ الأشعري.

---

(١) المغني ١/ ٦٩٢.

(٢) لم أقف عليه عند البخاري، وقد رواه النسائي في السنن الكبرىٰ ١٠/ ٤١ - ٤٢، وأحمد في مسنده ٤/ ٩٩. بل رواه مقتصرًا علىٰ أوله (٤٩٥٨).

(٣) دلائل النبوة ٦/ ٢٧٤.

(٤) الدر المنثور ١٤/ ٤٥٨ - ٤٥٩.

(٥) هذا تعريف أبي الحسن الحرالي، كما نقله عنه البقاعي في نظم الدرر ١/ ٨٤.

(٦) المغني ١/ ٦٩٢.

(٧) صحيح البخاري ٣/ ١٧، ١٨، ٤/ ١٣١. صحيح مسلم ٢/ ١١٢٧.

قلت: أخرجاه من طريق أبي عثمان النَّهْدي عن أبي موسىٰ قال: كنت مع رسول الله ﷺ في حائط من تلك الحوائط إذ جاء رجل فاستفتح الباب، فقال: «افتح له وبشِّرْه بالجنة علىٰ بلوىٰ تصيبه». فإذا هو عثمان، فأخبرته، فقال: الله المستعان. ورواه أبو نعيم في الحلية[1] من حديث عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ كان في حُشٍّ من حُشَّان المدينة، فاستأذن رجل خفيض الصوت، فقال رسول الله ﷺ: «ائذنْ له وبشِّره بالجنة علىٰ بلوىٰ تصيبه»، فأذنتُ له وبشَّرتُه، فإذا هو عثمان، فقرب يحمد الله حتىٰ جلس. وروىٰ أيضًا من طريق قتادة عن أبي الحجاج عن أبي موسىٰ قال: جاء رجل فاستأذن مرةً، فقال: «ائذَنْ له وبشِّرْه بالجنة في بلوىٰ». فقال عثمان: أسأل الله صبرًا.

(و) من جملة ذلك: أنذر (**بأن عمارًا**) هو[2] ابن ياسر بن عامر بن مالك بن كِنانة بن قيس العنسي، يكنىٰ أبا اليقظان، وأمه سميَّة بنت خياط، وكانت أمة لأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي، وكان أبوه ياسر قدم من اليمن إلىٰ مكة، فحالف أبا حذيفة، فزوَّجه مولاته سمية فولدت له عمارًا، فأعتقه أبو حذيفة، وكان سلمة بن الأزرق أخاه لأمه. أسلم بمكة قديمًا هو وأبوه وأمه، وكانوا ممَّن يعذَّب في الله، فمرَّ بهم النبي ﷺ وهم يعذَّبون فقال: «صبرًا يا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة» (**تقتله الفئة الباغية**) قال[3] القاضي في شرح المصابيح[4]: يريد به معاوية وقومه. ا.هـ. وأما قول بعضهم[5]: المراد أهل مكة الذين عذَّبوه أول الإسلام، فقد تعقَّبوه بالرد، قال

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٥٧ - ٥٨.

(٢) الاستيعاب ٢/ ٦٩ - ٧٢. أسد الغابة ٤/ ١٢٢ - ١٢٨. الإصابة ٧/ ٦٤ - ٦٥. سير أعلام النبلاء ١/ ٤٠٦ - ٤٢٨.

(٣) فيض القدير ٦/ ٣٦٥ - ٣٦٦.

(٤) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة للقاضي البيضاوي ٣/ ٥٠٤.

(٥) هو أبو الحسن ابن بطال، ونصه في شرح صحيح البخاري ٥/ ٢٧: «قوله: يدعوهم إلىٰ الله. يريد - والله أعلم - أهل مكة الذين أخرجوه من دياره وعذبوه في ذات الله لدعائه لهم إلىٰ الله. ولا =

القرطبي[١]: وهذا الحديث من أثبت الأحاديث [وأصحها] ولمَّا لم يقدر معاوية علىٰ إنكاره قال: إنما قتله مَن أخرجه. فأجابه عليٌّ بأن رسول الله ﷺ إذًا قتل حمزة حين أخرجه. قال ابن دحية: وهذا إلزام مفحِم لا جواب عنه، وحُجة لا اعتراض عليها. وقال الإمام عبد القاهر الجُرجاني في كتاب الإمامة: أجمع فقهاء الحجاز والعراق وأهل الحديث والرأي والمتكلمون وسائر أهل العلم أن عليًّا رضي الله عنه مصيب في قتاله لأهل صِفِّين وأهل الجمل، وأن الذين قاتلوه بُغاة ظالمون له، لكنهم لا يكفَّرون. وبمثل هذا قال الإمام أبو منصور الماتُريدي في كتاب «الفرق»[٢].

قال العراقي[٣]: رواه مسلم[٤] من حديث أبي قتادة وأم سلمة، والبخاري[٥] من حديث أبي سعيد.

= يمكن أن يتأول هذا الحديث في المسلمين البتة؛ لأنهم قد دخلوا دعوة الله، وإنما يُدعىٰ إلىٰ الله من كان خارجًا من الإسلام. وقوله: ويدعونه إلىٰ النار. دليل أيضًا علىٰ ذلك؛ لأن المشركين أهل مكة إنما فتنوه وطالبوه أن يرجع إلىٰ دينهم، فهو النار. فإن قيل: إن فتنة عمار قد كانت بمكة في أول الإسلام، وإنما قال: يدعوهم، بلفظ المستقبل، وهذا لفظ الماضي. قيل: العرب قد تخبر بالفعل المستقبل عن الماضي إذا عُرف المعنىٰ، كما تخبر بالماضي عن المستقبل، فقوله: (يدعوهم إلىٰ الله) بمعنىٰ: دعاهم إلىٰ الله؛ لأن محنة عمار كانت بمكة مشهورة، فأشار ﷺ إلىٰ ذكرها لما طابقت شدته في نقله لبنتين شدته في صبره بمكة علىٰ عذاب الله، فضيلة لعمار، وتنبيهًا علىٰ ثباته وقوته في أمر الله تعالىٰ».

(١) التذكرة في أحوال الموتىٰ وأمور الآخرة ص ١٠٨٩ - ١٠٩٠.

(٢) أصل هذا الكلام للمناوي في فيض القدير (٦/ ٤٧٤)، وليس فيه (الماتريدي)، والنص المنقول هو للإمام أبي منصور عبد القاهر البغدادي في كتاب «الفرق بين الفِرَق» ص ٣٠٢، (ط. مكتبة ابن سينا).

(٣) المغني ١/ ٦٩٢.

(٤) صحيح مسلم ٢/ ١٣٣٣.

(٥) صحيح البخاري ١/ ١٦١، ٢/ ٣٠٩.

قلت: ورواه كذلك أحمد[١] وابن حبان في الصحيح[٢]، ولفظهم: كنا نحمل في بناء المسجد لبنة لبنة، وعمار لبنتين لبنتين، فرآه النبي ﷺ، فجعل ينفض التراب عنه ويقول: «ويح عمار، تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلىٰ الجنة ويدعونه إلىٰ النار». قال السيوطي في الخصائص[٣]: هذا [الحديث] متواتر، رواه من الصحابة بضعة عشر. ويُروَىٰ: «ويح ابن سمية تقتله الفئة الباغية». رواه هكذا أبو يعلىٰ والبزار[٤] والحاكم[٥] عن حذيفة وأبي مسعود معًا. ورواه أبو يعلىٰ[٦] أيضًا من حديث أبي هريرة. ورواه ابن عساكر[٧] من حديث أم سلمة. ورواه الخطيب[٨] من حديث عمرو بن العاص. ويُروَىٰ: «عمار تقتله الفئة الباغية». رواه هكذا أبو نعيم في الحلية[٩] والخطيب[١٠] من حديث أبي قتادة. ورواه الطبراني أيضًا لكن بزيادة: «الناكبة عن الحق»[١١]. ويُروَىٰ من حديث أبي أيوب: «تقتل عمارًا الفئة الباغية»[١٢].

(١) مسند أحمد ١٧/ ٥٣، ١٨/ ٣٦٨.

(٢) صحيح ابن حبان ١٥/ ٥٥٣ - ٥٥٥.

(٣) كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب [أو الخصائص الكبرىٰ] ٢/ ٤٩٦ (ط - دار الكتب الحديثة).

(٤) مسند البزار ٧/ ٣٥١.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ٤٨٠.

(٦) مسند أبي يعلىٰ ١١/ ٤٠٣.

(٧) تاريخ دمشق ١٣/ ٩، ٣٦/ ٢٣١.

(٨) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٨٢.

(٩) حلية الأولياء ٧/ ١٩٨.

(١٠) تاريخ بغداد ٣/ ٩٤، ٨/ ٣٢٢.

(١١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٤٨٩ من حديث حذيفة بن اليمان، وقال: «فيه مسلم بن كيسان الأعور، وهو ضعيف».

(١٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٤/ ١٦٨.

وأخرج ابن سعد في الطبقات[١] من طريق عمارة بن خزيمة بن ثابت قال: شهد خزيمة الجمل وهو لا يسلُّ سيفًا، وشهد صفين وقال: أنا لا أصل أبدًا حتىٰ يُقتَل عمار فأنظر من يقتله، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقتله الفئة الباغية». قال: فلما قُتل عمار قال خزيمة: قد بانت لي الضلالة. ثم اقترب فقاتل حتىٰ قُتل. وكان الذي قتل عمارًا أبو غادية المزني، طعنه برمح فسقط، وكان يومئذٍ يقاتل في محفَّة، فقُتل يومئذٍ وهو ابن أربع وتسعين سنة، ودُفن هنالك.

تنبيه: وُجد بخط الحافظ ابن رجب الحنبلي ما نصه: ليس في أكثر نسخ البخاري من حديث أبي سعيد «تقتله الفئة الباغية»، وإنما وُجد في بعض النسخ[٢].

ووُجد بخط الحافظ ابن حجر تحته: قلت: وليس هو في روايتنا. والله أعلم.

(و) من جملة ذلك أنه ﷺ أخبر (أن) ابنه (**الحسن**) أبا محمد عليه السلام (**يُصلِح الله به**) أي[٣] بسبب عزله لنفسه عن الخلافة (**بين فئتين عظيمتين من المسلمين**) وكان كذلك، فإنه رضي الله عنه لما بويعَ له بعد أبيه وصار هو الإمام الحق مدة [ستة] أشهر تكملةً للثلاثين سنة التي أخبر النبي ﷺ أنها مدة الخلافة وبعدها يكون مُلكًا عضوضًا، ثم سار إلىٰ معاوية بأربعين ألفًا بايعوه علىٰ الموت، فلما تراءىٰ الجمعان علم أنه لا يغلب أحدهما حتىٰ يقتل الفريق الآخر، فنزل له عن الخلافة، لا لقلة ولا لذلة، بل رحمةً للأمة، واشترط علىٰ معاوية شروطًا التزمها، وقال ابن بطَّال وغيره: ولم

---

(١) الطبقات الكبرىٰ ٣/ ٢٣٩ - ٢٤٠.

(٢) عبارة ابن رجب في فتح الباري شرح صحيح البخاري ٣/ ٣٠٥ (ط - مكتبة الغرباء الأثرية): «وقد وقع في بعض نسخ صحيح البخاري زيادة في هذا الحديث، وهي: (تقتله الفئة الباغية). وقد خرجه بهذه الزيادة الإمام أحمد عن محبوب بن الحسن عن خالد الحذاء عن عكرمة سمع أبا سعيد يحدث عن بناء المسجد ... فذكره، وقال فيه: ويح عمار، تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلىٰ الجنة ويدعونه إلىٰ النار. وخرجه النسائي. وقد رواه يزيد بن زريع وغيره عن خالد الحذاء. ولكن لفظة (تقتله الفئة الباغية) لم يسمعها أبو سعيد من النبي ﷺ، إنما سمعها من بعض أصحابه عنه».

(٣) فيض القدير ٢/ ٤٠٩ - ٤١٠.

يوفِّ له بشيء منها. وصار معاوية من يومئذٍ خليفة[١]، ولما خِيفَ من طول عمر الحسن أرسل يزيد إلىٰ زوجته جعدة إن هي سمَّته تزوجها، ففعلت، فأرسلت تستنجز، فقال: إنَّا لم نرضكِ له فنرضاك لنا؟! وفيه مَنقبة للحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ورَدٌّ علىٰ الخوارج الزاعمين كفر عليٍّ وشيعته ومعاوية ومَن معه؛ لقوله: «من المسلمين».

قال العراقي[٢]: رواه البخاري[٣] من حديث أبي بكرة.

قلت: وكذلك رواه أحمد[٤] وأبو داود[٥] والترمذي[٦] والنسائي[٧] والطبراني[٨]، كلهم من حديث الحسن عن أبي بكرة، وفي سماع الحسن منه اختلاف، والأصح أنه سمع. ولفظهم جميعًا: «إن ابني هذا سيد – وفي رواية: لَسيدٌ – ولعل الله أن يُصلِح به بين فئتين عظيمتين [من المسلمين].

(و) من ذلك: أنه ﷺ **(أخبر عن رجل قاتل في سبيل الله أنه من أهل النار، فظهر ذلك بأن قتل ذلك الرجلُ نفسَه)** قال العراقي[٩]: متفق عليه من حديث أبي هريرة وسهل بن سعد.

قلت: أما حديث أبي هريرة فأخرجه البخاري[١٠] عن أبي اليمان عن

---

(١) انظر تفاصيل ذلك في: تاريخ الأمم والملوك للطبري ٥/ ١٥٨ – ١٦٠، والبداية والنهاية لابن كثير ١١/ ١٣١ – ١٤٩.

(٢) المغني ١/ ٦٩٣.

(٣) صحيح البخاري ٢/ ٢٦٩، ٥٣٦، ٣/ ٣١، ٤/ ٣٢٢.

(٤) مسند أحمد ٣٤/ ٣٣، ٩٨، ١٢٠، ١٣٨، ١٤٨.

(٥) سنن أبي داود ٥/ ٢١١.

(٦) سنن الترمذي ٦/ ١١٧.

(٧) سنن النسائي ص ٢٣١.

(٨) المعجم الكبير ٣/ ٢١ – ٢٤.

(٩) المغني ١/ ٦٩٣.

(١٠) صحيح البخاري ٢/ ٣٧٦، ٣/ ١٣٦، ٤/ ٢١٠. وأخرجه أيضا مسلم ١/ ٦٢.

شعيب بن أبي حمزة عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة، وأخرجه البيهقي في الدلائل[١] من طريق عثمان بن سعيد وعلي بن محمد بن عيسىٰ - واللفظ لهما - كلاهما عن أبي اليمان، ولفظهما: قال أبو هريرة: شهدنا مع رسول الله ﷺ خيبر، فقال رسول الله ﷺ لرجل ممَّن معه يُدعَىٰ بالإسلام: «إن هذا من أهل النار». فلما حضر القتال قاتل الرجلُ أشد القتال حتىٰ كثرت به الجراح فأثبتته، فجاء رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيتَ [الرجل] الذي ذكرتَ أنه من أهل النار قد واللهِ قاتل في سبيل الله أشد القتال وكثرت به الجراح. فقال رسول الله ﷺ: «أما إنه من أهل النار». فكأنَّ بعض الناس ارتاب، فبينا هو كذلك وجد الرجل ألم الجراح فأهوىٰ بيده إلىٰ كنانته فاستخرج منها أسهمًا فانتحر بها، فاشتدَّ رجال من المسلمين إلىٰ رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، قد صدَّق الله حديثك، قد انتحر فلان فقتل نفسه. فقال رسول الله ﷺ: «يا بلال، قمْ فأذِّنْ: لا يدخل الجنة إلا مؤمن، وإن الله يؤيِّد هذا الدين بالرجل الفاجر».

قال البخاري: تابعه معمر عن الزهري.

قال البيهقي: ومن ذلك الوجه [أخرجه] وقال يونس عن الزهري: حنين. وفي آخر هذا الحديث كالدلالة علىٰ أن الرجل استحلَّ قتل نفسه، أو علم رسولُ الله ﷺ منه نفاقًا.

وأما حديث سهل بن سعد فرواه البخاري[٢] عن عبد الله بن مَسلمة عن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن سهل بن سعد، وأخرجه هو ومسلم[٣] من طريق يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم، وأخرجه الإسماعيلي في الصحيح

---

(١) دلائل النبوة ٤/ ٢٥٣ - ٢٥٤.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٣٣١، ٣/ ١٣٦، ١٣٧، ٤/ ١٩٠، ٢١٠.

(٣) صحيح مسلم ١/ ٦٣.

ومن طريقه البيهقي في الدلائل[١] عن الحسن بن سفيان والقاسم قالا: حدثنا محمد بن الصباح - واللفظ له - قال: حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم، ولفظه: أن رسول الله ﷺ التقىٰ هو والمشركون في بعض مغازيه، فاقتتلوا، فمال كل قوم إلىٰ عسكرهم، وفي المسلمين رجل لا يدع للمشركين شاذة ولا فاذَّة إلا اتَّبعها يضربها بسيفه، فقيل: يا رسول الله، ما أجزأ أحد اليوم ما أجزأ فلان. فقال: «أما إنه من أهل النار». [فأعظم القومُ ذلك فقالوا: أيُّنا من أهل الجنة إن كان فلان من أهل النار]؟ فقال رجل: واللهِ لا يموت علىٰ هذه الحال أبدًا. فاتَّبعه كلما أسرع أسرع، وإذا أبطأ أبطأ معه حتىٰ جُرح، فاشتدَّت جراحته واستعجل الموت فوضع سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه، فجاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال: أشهد أنك لَرسول الله. قال: «وما ذاك»؟ فأخبره بالذي كان من أمره، فقال النبي ﷺ: «إن الرجل لَيعملُ بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وإنه من أهل النار، وإنه لَيعملُ بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وإنه من أهل الجنة».

قلت: واختُلف في اسم هذا الرجل، فقيل: هو قُزْمان بن الحارث حليف بني ظَفَر، قال ابن قتيبة في المعارف[٢]: هو الذي قتل نفسه، وكان منافقًا، وفيه قال النبي ﷺ: «إن الله يؤيِّد هذا الدين بالرجل الفاجر». وقال غيره: إن هذا الرجل قتل نفسه يوم أحد، وقيل: إنه صرَّح بالكفر. وذكر ابن إسحاق[٣] والواقدي[٤] قصته وأنه كان شجاعًا معروفًا في حروبهم، وأنه لما أصابته الجراحُ قيل له: هنيئًا لك يا أبا الغيداق بالجنة. قال: واللهِ ما قاتلنا إلا علىٰ الأحساب. وأنه قتل نفسه.

وبمجموع ما ذكرنا يظهر أن القصة تعدَّدت. والله أعلم.

---

(١) دلائل النبوة ٤/ ٢٥٢.

(٢) المعارف ص ١٦٠ - ١٦١.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٥١.

(٤) مغازي الواقدي ص ٢٦٣.

(وهذه كلها أشياء إلهيَّة لا تُعرَف البتَّة بشيء من وجوه تقدَّمت المعرفةُ بها، لا بنجوم، ولا بكتف[١]، ولا بخط، ولا بزجر) كما كانت أهل الجاهلية تفعله، فكان بعضهم ينظر في النجوم وما في أحكامها من التسديس والتثليث والتربيع والمقابلة. ومنهم من ينظر في الكتف فيخبر عن حوادث كونية. ومنهم من يخط على الرمل خطوطًا فيخبر به عن غائب. ومنهم من يزجر الطيور والسوانح والبوارح فيخبر بها عن أمور ستقع. وكل ذلك حرَّمه الشارع وأبطل الاشتغال به **(لكن بإعلام الله تعالىٰ له)** وتعريفه إياه **(ووحيه إليه.**

و) من معجزاته ﷺ: أنه **(اتَّبعه)** حالَ[٢] مهاجرته إلىٰ المدينة **(سُراقة)** بن مالك **(ابن جُعْشُم)** بن مالك بن عمرو بن تَيْم بن مُدلِج بن مُرَّة بن عبد مَناة بن كنانة الكناني المدلجي، وقد يُنسَب إلىٰ جده كما عند المصنف، يكنىٰ أبا سفيان، كان ينزل قديدًا **(فساخت)** أي غارت **(قدما فرسه في الأرض واتَّبعه دخان)** أي غبار من الأرض، أي مع يبوسة الأرض، ولا تسوخ قوائم الفرس في العادة إلا إذا كانت الأرض نديَّة **(حتىٰ استغاثه)** وأنه لا يدل عليه **(فدعا له فانطلقت الفرس)** وكتب له أمانًا، وأسلم يوم الفتح.

قال العراقي[٣]: متفق عليه[٤] من حديث أبي بكر الصديق.

قلت: روىٰ البخاري هذه القصة من طريق البراء بن عازب عن أبي بكر الصديق.

وفي هذه القصة يقول سراقة مخاطبًا لأبي جهل:

---

(١) في الزبيدي ٧/ ١٨٠: الكتف بالتاء وهو أولىٰ من كشف. ولا أدري معنىٰ الكتف.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ٤/ ١٢٧ - ١٢٨. الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١/ ٣٤٨ - ٣٤٩.

(٣) المغني ١/ ٦٩٣.

(٤) صحيح البخاري ٢/ ٥٣٢. صحيح مسلم ٢/ ١٣٧٢.

أبا حكم واللهِ لو كنتَ شاهدًا لأمر جوادي إذ تسوخ قوائمه
علمتَ ولم تشكِّك بأن محمدًا رسول ببرهان فمَن ذا يقاومه[١]

(وأنذره) ﷺ (بأنه سيوضع في ذراعيه سوارا كسرىٰ، فكان كذلك) رواه ابن عيينة عن إسرائيل أبي موسىٰ عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال لسراقة بن مالك: «كيف بك إذا لبستَ سوارَي كسرىٰ»؟ قال: فلما أُتي عمر بسوارَي كسرىٰ ومنطقته وتاجه دعا سراقة فألبسه، وكان رجلاً أَزَبَّ كثير شعر الساعدين، فقال له: ارفع يديك وقل [الله أكبر] الحمد لله الذي سلبهما كسرىٰ بن هرمز وألبسهما سراقة الأعرابي[٢]. روىٰ ذلك عنه ابن أخيه عبد الرحمن بن مالك بن جعشم. وروىٰ عنه أيضًا ابن عباس وجابر وسعيد بن المسيب وطاووس. قال أبو عمر: مات سراقة في خلافة عثمان سنة أربع وعشرين.

(و) من معجزاته ﷺ: أنه (أخبر بمقتل الأسود العَنْسي) بفتح العين المهملة وسكون النون، أي قبيلة من اليمن[٣] (الكذاب) لكونه كان ادَّعىٰ النبوة باليمن، وكان قد أهمَّه ﷺ أمره (ليلة قتلِه وهو بصنعاء اليمن، وأخبر بمَن قتله) قال العراقي[٤]: هو مذكور في السِّيَر[٥]، والذي قتله هو فيروز الديلمي. وفي الصحيحين[٦] من حديث

---

(١) البيتان في: دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٤٨٩، ودلائل النبوة لأبي نعيم ص ٣٣٧، وأخبار مكة للفاكهي ٤/ ٨٥. وبعدهما بيتان آخران وهما:

عليك بكف الناس عنه فإنني أرىٰ أمره يومًا ستبدو معالمه
بأمر يود النصر فيه بإلبها لو أن جميع الناس طرًّا تسالمه

(٢) رواه البيهقي في دلائل النبوة ٦/ ٣٢٥ بنحوه من طريق يونس بن عبيد عن الحسن البصري.

(٣) عنس: بطن من مذحج، من زيد بن كهلان، من القحطانية، وهم بنو عنس بن مالك (وهو مذحج) ابن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان، كانوا يقطنون في رداع ومخلاف ذمار باليمن، وكانوا ممن دعا لتولي مروان بن الحكم الإمارة. معجم قبائل العرب ٢/ ٨٤٧.

(٤) المغني ١/ ٦٩٣.

(٥) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٢٤٢.

(٦) صحيح البخاري ٢/ ٥٣٤، ٣/ ١٦٨، ٤/ ٣٠٨. صحيح مسلم ٢/ ١٠٧٩ - ١٠٨٠.

أبي هريرة: «بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب، فأهمَّني شأنُهما، فأُوحي إليَّ في المنام أن انفخهما، فنفختهما فطارا، فأوَّلتُهما كذَّابينِ يخرجان من بعدي». فكان أحدهما العنسي صاحب صنعاء ... الحديث.

قلت: أخرج[١] سيف في الفتوح من طريق ابن عمر أن النبي ﷺ بشَّرهم بموت الأسود العنسي قبل أن يموت، وقال لهم: «قتله فيروز الديلمي». وفيروز هذا وفد علىٰ رسول الله ﷺ، وروىٰ عنه أحاديث، ثم رجع إلىٰ اليمن وأعان علىٰ قتل الأسود. وأخرج الجوزجاني[٢] من طريق ضمرة عن يحيىٰ بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه عن عبد الله بن الديلمي عن أبيه قال: أتيت النبيَّ ﷺ برأس الأسود العنسي الكذاب.

(و) من معجزاته ﷺ: أنه (**خرج علىٰ مائة من قريش ينتظرونه، فوضع التراب علىٰ رؤوسهم ولم يروه**) قال العراقي[٣]: رواه ابن مردويه بسند ضعيف من حديث ابن عباس، وليس فيه أنهم كانوا مائة، وكذلك رواه ابن إسحاق[٤] من حديث محمد بن كعب القرظي مرسلاً.

قلت: ولفظ السيرة: ثم اجتمع رأي قريش علىٰ قتله ﷺ، وتفرَّقوا علىٰ ذلك. وفيها: ثم خرج ﷺ وقد أخذ الله علىٰ أبصارهم فلم يره أحد منهم، ونثر علىٰ رؤوسهم كلهم ترابًا كان في يده وهو يتلو قوله تعالىٰ: ﴿يسٓ ۝١﴾ إلىٰ قوله: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾ [يس: ١ - ٩].

(و) من معجزاته ﷺ: أنه (**شكا إليه البعير بحضرة أصحابه وتذلَّل له**) قال

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ٨/ ١٠٦ - ١٠٧.

(٢) وأخرجه أيضا: النسائي في السنن الكبرىٰ ٨/ ٥١، والطبراني في المعجم الكبير ١٨/ ٣٣٠ ومسند الشاميين ٢/ ٣٨، وأبو نعيم في معرفة الصحابة ٤/ ٢٢٩٧.

(٣) المغني ١/ ٦٩٤.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٢٤.

العراقي[١]: رواه أبو داود[٢] من حديث عبد الله بن جعفر في أثناء حديث، وفيه: «فإنه شكا إليّ أنك تجيعه وتُدئِبه». وأول الحديث رواه مسلم[٣] دون قصة البعير.

قلت: حديث عبد الله بن جعفر أخرجه ابن شاهين في الدلائل قال: أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه، فأسَرَّ إليّ حديثًا لا أحدث به أحدًا من الناس. قال: وكان أحب ما استتر به النبي ﷺ لحاجته هدفًا أو حائش نخل، فدخل حائط رجل من الأنصار فإذا جمل، فلما رأى النبيَّ ﷺ حن وذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسح جرانه فسكن، ثم قال: «مَن رب هذا الجمل»؟ فجاء فتى من الأنصار فقال: هذا لي يا رسول الله. فقال: «ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملَّكك الله إياها؟ فإنه شكا إليّ أنك تجيعه وتُدْئِبه». وهو حديث صحيح، ورواه أبو داود عن موسى بن إسماعيل عن مهدي بن ميمون.

وقد رُويت هذه القصة من وجه آخر، روى أحمد[٤] والبغوي في شرح السنة[٥] من حديث يعلَى بن مُرَّة الثقفي: بينا نحن نسير مع النبي ﷺ إذ مر بنا بعير يُسنَى عليه، فلما رآه البعير جرجر ووضع جِرانه، فوقف عليه النبي ﷺ فقال: «أين صاحب هذا البعير»؟ فجاءه، فقال: «بِعنيه». فقال: بل نهبه لك يا رسول الله، وإنه لأهل بيت ما لهم معيشةٌ غيرُه. فقال: «أما إذ ذكرتَ هذا من أمره فإنه شكا كثرة العمل وقلة العلف، فأحسِنوا إليه».

وقد رُوي في قصة سجود الجمل له، روى أحمد[٦] والنسائي[٧] من حديث

(١) المغني ١/ ٦٩٤.
(٢) سنن أبي داود ٣/ ٢٣٧ - ٢٣٨.
(٣) صحيح مسلم ١/ ١٦٥.
(٤) مسند أحمد ٢٩/ ١٠٦.
(٥) شرح السنة ١٣/ ٢٩٥.
(٦) مسند أحمد ٢٠/ ٦٤.
(٧) السنن الكبرى ٨/ ٢٥٣، وليس فيه قصة الجمل.

أنس قال: كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه، وإنه استصعب عليهم فمنعهم ظهره، وإن الأنصار جاؤوا إلىٰ النبي ﷺ فقالوا: إنه كان لنا جمل نسني عليه، وإنه استصعب علينا ومنعنا ظهره، وقد عطش النخل والزرع. فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا». فقاموا، فدخل الحائط، والجمل في ناحيته، فمشىٰ رسول الله ﷺ نحوه، فقالت الأنصار: يا رسول الله، إنه قد صار مثل الكَلْب [الكَلِب] وإنَّا نخاف عليك صولته. فقال رسول الله ﷺ: «ليس عليَّ منه بأس». فلما نظر الجمل إلىٰ رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتىٰ خرَّ ساجدًا بين يديه، فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذلَّ ما كان قط حتىٰ أدخله في العمل ... الحديث.

(و) من معجزاته ﷺ: أنه (**قال لنفر من أصحابه**) كانوا (**مجتمعين: أحدكم ضرسه في النار مثل**) جبل (**أُحُد. فماتوا كلهم علىٰ استقامة، وارتدَّ منهم واحد فقُتل مرتدًّا**) قال العراقي[1]: ذكره الدارقطني في المؤتلف والمختلف[2] من حديث أبي هريرة بغير إسناد في ترجمة الرَّجَّال بن عُنْفُوة، وهو الذي ارتدَّ، وهو بالجيم، وذكره عبد الغني[3] بالحاء المهملة، وسبقه إلىٰ ذلك الواقدي[4] والمدائني، والأول أصح وأكثر كما ذكره الدارقطني وابن ماكولا[5]، ووصله الطبراني[6] من حديث رافع بن خديج بلفظ: «أحد هؤلاء النفر في النار». وفيه الواقدي عن عبد الله بن نوح، متروك.

قلت: وعُنْفُوة[7] بنون وفاء. ذكر ابن أبي حاتم[8] أنه قدم في وفد بني حنيفة،

---

(١) المغني ١/ ٦٩٤.

(٢) المؤتلف والمختلف ٢/ ١٠٦٢ - ١٠٦٣.

(٣) المؤتلف والمختلف لعبد الغني الأزدي ص ٣٨٤ (ط - دار الغرب الإسلامي).

(٤) الذي في كتاب الردة للواقدي ص ١٠٨ - ١٠٩ (ط - دار الغرب الإسلامي): «الرجال بن نهشل» بالجيم.

(٥) الإكمال لابن ماكولا ٤/ ٣١ - ٣٢ (ط - دائرة المعارف العثمانية بالهند).

(٦) المعجم الكبير ٤/ ٢٨٣.

(٧) الإصابة في تمييز الصحابة ٣/ ٣١٥ - ٣١٦.

(٨) الجرح والتعديل ٣/ ٥١٩.

وكانوا بضعة عشر رجلاً، فأسلموا، سمعت أبي يقول ذلك. قال الحافظ: ولكنه ارتدَّ وقُتل علىٰ الكفر، فروىٰ سيف بن عمر في الفتوح عن مَخلد بن قيس البجلي قال: خرج فرات بن حيَّان والرجال بن عنفوة وأبو هريرة من عند رسول الله ﷺ، فقال: «لَضرسُ أحدهم في النار أعظم من أُحد، وإنَّ معهم لَقفا غادر». فبلغهم ذلك إلىٰ أن بلغ أبا هريرة وفراتًا قتل الرجال فخرَّا ساجدينِ. وروىٰ الواقدي عن رافع بن خديج قال: كان في الرجال بن عنفوة من الخشوع ولزوم قراءة القرآن والخير فيما يرىٰ النبي ﷺ شيء عجيب، فخرج علينا يومًا والرجال معنا جالس، فقال: «أحد هؤلاء النفر في النار». قال رافع: فنظرت فإذا هم أبو هريرة وأبو أروىٰ والطُّفَيل بن عمرو والرجال، فجعلت أنظر وأتعجَّب، فلما ارتدَّت بنو حنيفة سألت: ما فعل الرجَّال؟ قالوا: افتتن وشهد لمسيلمة أن رسول الله ﷺ أشركه في الأمر. فقلت: ما قال رسول الله ﷺ هو الحق. قالوا: وكان الرجال يقول: كبشان انتطحا، فأحبُّهما إلينا كبشنا. يعني مسيلمة ورسول الله ﷺ.

(و) من معجزاته ﷺ: أنه **(قال لآخرين منهم)** أي من الصحابة: **(آخركم موتًا في النار. فسقط آخرهم موتًا في نار فاحترق فيها فمات)** قال العراقي[1]: رواه الطبراني[2] والبيهقي في الدلائل[3] من حديث أبي محذورة، وفي رواية البيهقي: آخرهم موتًا سمرة بن جندب، ولم يذكر أنه احترق. ورواه البيهقي من حديث أبي هريرة نحوه، ورُواته ثقات. وقال ابن عبد البر[4]: إنه سقط في قِدْر مملوءة ماء حارًّا فمات. وروىٰ ذلك بإسناد متصل، إلا أن فيه داود بن المحبَّر، وقد ضعَّفه الجمهور.

قلت: لفظ ابن عبد البر بعد قوله «فمات»: فكان ذلك تصديقًا لقول رسول الله

---

(١) المغني ١/ ٦٩٤ - ٦٩٥.

(٢) المعجم الكبير ٧/ ٢١١، ولفظه: «كنت أنا وأبو هريرة وفلان في بيت، فقال النبي ﷺ: آخركم موتا في النار. فمات أبو هريرة، ثم مات أبو محذورة، ثم مات الرجل».

(٣) دلائل النبوة ٦/ ٤٥٨ - ٤٥٩.

(٤) الاستيعاب ١/ ٣٩٣.

ﷺ له ولأبي هريرة ولأبي محذورة[١]: «آخركم موتًا في النار». وقال المِزي في التهذيب[٢]: كانت وفاته بالبصرة سنة ثمان وخمسين، سقط في قِدر مملوءة ماء حارًّا كان يتعالج بالقعود عليها من كزاز شديد أصابه فسقط في القِدر الحارة فمات، تصديقًا لقول رسول الله ﷺ له ولأبي هريرة وثالث معهما: «آخركم موتًا في النار».

(و) من معجزاته ﷺ: أنه **(دعا شجرتين فأتتاه فاجتمعتا، ثم أمرهما فافترقتا)** قال العراقي[٣]: رواه أحمد من حديث يعلىٰ بن مرَّة[٤] بسند صحيح.

قلت: رواه أحمد من طريق أبي سفيان طلحة بن نافع - وهو تابعي - عن يعلىٰ بن مرة قال: جاء جبريل إلىٰ رسول الله ﷺ ذات يوم وهو جالس حزين قد خُضب بالدماء، ضربه بعض أهل مكة، فقال له: ما لك؟ فقال رسول الله ﷺ: «فعل بي هؤلاء وفعلوا». فقال له جبريل: أتحب أن أريك آية؟ فقال: «نعم». قال: فنظر إلىٰ شجرة من وراء الوادي، فقال: ادْعُ بتلك الشجرة. فدعاها. قال: فجاءت تمشي حتىٰ قامت بين يديه، فقال: مُرْها فلترجع إلىٰ مكانها. فأمرها فرجعت إلىٰ مكانها، فقال رسول الله ﷺ: «حسبي، حسبي».

وروراه الدارمي[٥] من حديث أنس.

وأخرج الترمذي[٦] وصحَّحه من حديث ابن عباس قال: جاء أعرابي إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: بِمَ أعرف أنك نبي الله؟ قال: «إن دعوتُ هذا العِذْق من هذه النخلة تشهد أني رسول الله»؟ قال: نعم. فدعاه رسول الله ﷺ فجعل ينزل من

---

(١) في الاستيعاب: «له ولأبي هريرة ولثالث معهما».

(٢) تهذيب الكمال ١٢/ ١٣٣ نقلا عن الاستيعاب.

(٣) المغني ١/ ٦٩٥.

(٤) بل من حديث أنس بن مالك. ومسند أحمد ١٩/ ١٦٥.

(٥) سنن الدارمي ١/ ٢٦.

(٦) سنن الترمذي ٦/ ٢٠.

النخلة حتىٰ سقط إلىٰ النبي ﷺ، ثم قال: «ارجعْ»، فعاد، فأسلم الأعرابي.

وقد روىٰ مسلم[١] من حديث جابر بنحوه قال: سرنا مع رسول الله ﷺ حتىٰ نزلنا واديًا أفيح، فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته، فاتَّبعتُه بإداوة من ماء، فنظر رسول الله ﷺ فلم يرَ شيئًا يستتر به، فإذا شجرتان في شاطئ الوادي، فانطلق رسول الله ﷺ إلىٰ إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال: «انقادي عليَّ بإذن الله تعالىٰ». فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده، ثم فعل بالأخرىٰ كذلك، حتىٰ إذا كان بالمنصف قال: «التئِما عليَّ بإذن الله تعالىٰ». فالتأمتا.

(**وكان** عليه السلام **نحو الربعة، فإذا مشىٰ مع الطوال طالَهم.**

و) من معجزاته ﷺ: أنه (**دعا**) طائفة (**النصارىٰ إلىٰ المباهلة**) أي الملاعَنة (**فامتنعوا**) عن ذلك (**وأخبرهم** ﷺ **أنهم إن فعلوا ذلك هلكوا، فعلموا صحة قوله فامتنعوا**) قال العراقي[٢]: رواه البخاري[٣] من حديث ابن عباس في أثناء حديث: ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون مالاً ولا أهلاً.

(**وأتاه عامر بن الطفيل بن مالك**) بن جعفر الكلابي (**وأربد بن قيس، وهما فارسا العرب وفاتكاهم**) والفتك: هو الأخذ بقوة وبطش (**عازمينِ**) أي قاصدين (**علىٰ قتله** ﷺ، **فحِيلَ بينهما وبين ذلك، فدعا**) ﷺ (**عليهما، فهلك عامر بغُدَّة، وهلك أربد بصاعقة أحرقته**) قال العراقي[٤]: رواه الطبراني في الأكبر[٥] والأوسط[٦] من حديث ابن عباس بطوله بسند فيه لين.

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ١٣٧٠.

(٢) المغني ١/ ٦٩٥.

(٣) هذا المتن ليس عند البخاري، وقد تقدم جزء من هذا الحديث وهو قوله: وإن اليهود لو تمنوا الموت لماتوا.

(٤) المغني ١/ ٦٩٥.

(٥) المعجم الكبير ١٠/ ٣٨٠.

(٦) المعجم الأوسط ٩/ ٦١.

قلت: عامر[١] بن الطفيل رئيس بني عامر في الجاهلية، وقصة قدومه علىٰ النبي ﷺ مشهورة، فإنه قدم علىٰ النبي ﷺ وهو ابن ثمانين سنة فقال له: أبايعك علىٰ أن لي كذا وكذا، وذكر شروطًا، فامتنع النبي ﷺ ودعا عليه، فأصابته غُدَّة، فكان يقول: غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية.

(و) من معجزاته ﷺ: أنه **(أخبر أنه يقتل أبيَّ بن خلف)** بن وهب بن حُذافة ابن جُمَح **(الجُمَحي)** القرشي، وكان قد حضر مع المشركين يوم أُحد، وهو أخو أمية والمغيرة وعامر وأحيحة **(فخدشه يوم أُحد خدشًا لطيفًا فكانت منيَّته)** قال العراقي[٢]: رواه البيهقي في الدلائل[٣] من رواية سعيد بن المسيب ومن رواية عروة بن الزبير مرسلاً.

قلت: والذي[٤] في الدلائل أنه: لما أسند رسول الله ﷺ في الشِّعب أدركه أبي ابن خلف وهو يقول: أين محمد؟ لا نجوتُ إن نجا. فقالوا: يا رسول الله، يعطف عليه رجل منا؟ فقال ﷺ: «دعوه». فلما دنا تناول النبي ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة، فلما أخذها منه ﷺ انتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطايُر الشَّعْراء عن ظهر البعير إذا انتفض، ثم استقبله ﷺ فطعنه [في عنقه] طعنة وقع بها عن ظهر فرسه، ولم يخرج له دم، فكسر ضلعًا من أضلاعه، فلما رجع إلىٰ قريش قال: قتلني واللهِ محمد، أليس قد كان قال لي بمكة: «أنا أقتلك»؟ فواللهِ لو بصق عليَّ لقتلني. فمات عدوُّ الله بسَرِف[٥] وهم قافلون به إلىٰ مكة. ورواه أيضًا أبو نعيم في الدلائل[٦] ولم

(١) أسد الغابة ٣/ ١٢٤ - ١٢٥. الإصابة في تمييز الصحابة ٥/ ٢٨٣.
(٢) المغني ١/ ٦٩٦.
(٣) دلائل النبوة ٣/ ٢٣٧ - ٢٣٨، ٢٥٨ - ٢٥٩.
(٤) المواهب اللدنية ١/ ٢١١ - ٢١٢.
(٥) قال ياقوت في معجم البلدان ٣/ ٢١٢: «سرف: موضع علىٰ ستة أميال من مكة، وقيل سبعة أو تسعة أو اثنىٰ عشر، تزوج به رسول الله ﷺ ميمونة بنت الحارث، وهناك بنىٰ بها، وهناك توفيت».
(٦) دلائل النبوة ص ٤٨٢ - ٤٨٣.

يذكر: فكسر ضلعًا من أضلاعه. قال الواقدي[١]: وكان ابن عمر يقول: مات أبي بن خلف ببطن رابغ، فإني لأسير ببطن رابغ بعد هَوِيٍّ من الليل إذا نار تأجَّجُ لي فهِبْتُها، وإذا رجل يخرج منها في سلسلة يجتذبها يصيح: العطش، وإذا رجل يقول: لا تسقِه، فإنَّ هذا قتيل رسول الله ﷺ، هذا أبي ابن خلف. ورواه البيهقي أيضًا.

(و) من معجزاته ﷺ: أنه (**أُطعِم السم، فمات الذي أكله معه، وعاش هو ﷺ بعده أربع سنين، وكلَّمه الذراع المسموم**) قال العراقي[٢]: رواه أبو داود[٣] من حديث جابر، وفي رواية له مرسَلة أن الذي مات بِشر بن البراء. وفي الصحيحين[٤] من حديث أنس: أن يهودية أتت النبيَّ ﷺ بشاة مسمومة، فأكل منها ... الحديث. وفيه: فما زلت أعرفها في لَهَوات رسول الله ﷺ.

قلت: حديث أنس رواه البخاري عن عبد الله بن عبد الوهاب الجُمَحي، حدثنا خالد بن الحارث، ثنا شعبة، عن هشام بن زيد، عن أنس. ورواه مسلم عن يحيىٰ بن حبيب بن عربي عن خالد بن الحارث. وقد تقدم ذِكرُه في أول هذا الكتاب عند عفوه ﷺ.

وأما حديث جابر فلفظه: أن يهودية من أهل خيبر سمَّت شاة مَصْليَّة ثم أهدتها لرسول الله ﷺ، فأخذ رسول الله ﷺ الذراع فأكل منها، وأكل رهط من أصحابه معه، ثم قال لهم رسول الله ﷺ: «ارفعوا أيديكم». وأرسل رسول الله ﷺ إلىٰ اليهودية فدعاها فقال لها: «أسممتِ هذه الشاة»؟ قالت له اليهودية: مَن أخبرك؟ قال: «أخبرتني هذه في يدي: الذراع». قالت: نعم. قال: «فما أردتِ إلىٰ ذلك»؟ قالت: قلت: إن كان نبيًّا فلن يضرَّه، وإن لم يكن نبيًّا استرحنا منه. فعفا عنها

---

(١) مغازي الواقدي ص ٢٥٢.

(٢) المغني ١/ ٦٩٦.

(٣) سنن أبي داود ٥/ ١٣٧ - ١٣٩.

(٤) صحيح البخاري ٢/ ٢٤١. صحيح مسلم ٢/ ١٠٤٤.

رسول الله ﷺ ولم يعاقبها، وتوفي بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة، واحتجم رسول الله ﷺ علىٰ كاهله من أجل الذي أكل من الشاة، حجمه أبو هند بالقرن والشفرة، وهو مولىٰ لبني بياضة[١] من الأنصار. هكذا رواه أبو داود في سننه عن سليمان بن داود المهري، ثنا ابن وهب، أخبرنا يونس، عن ابن شهاب قال: كان جابر بن عبد الله يحدِّث ... فساق الحديث.

وقول العراقي: في رواية مرسلة ... الخ، يشير إلىٰ ما رواه أبو داود أيضًا فقال: ثنا وهب بن بقية، أخبرنا خالد، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة أن رسول الله ﷺ أهدتْ له يهودية بخيبر شاة مصليَّة ... نحو حديث جابر، قال: فمات بِشر ابن البراء بن معرور، فأرسل إلىٰ اليهودية: «ما حملكِ علىٰ الذي صنعتِ»؟ ... فذكر نحو حديث جابر، فأمر بها رسول الله ﷺ فقُتلت. ولم يذكر أمر الحجامة.

قال البيهقي في الدلائل[٢]: ورويناه عن حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة، ويحتمل أنه لم يقتلها في الابتداء، ثم لما مات بشر أمر بقتلها. وأخرج البيهقي أيضًا من طريق موسىٰ بن عقبة عن ابن شهاب قال: لما فتح رسول الله ﷺ خيبر وقتل مَن قتل منهم أهدتْ زينب بنت الحارث اليهودية وهي ابنة أخي مرحب لصفية شاة مصلية وسمَّتها، وأكثرتْ في الكتف والذراع؛ لأنه بلغها أنه أحب أعضاء الشاة إلىٰ رسول الله ﷺ، فدخل رسول الله ﷺ علىٰ صفية ومعه بشر بن البراء بن معرور أخو بني سلمة، فقدَّمت إليهم الشاة المصلية، فتناول رسول الله ﷺ الكتف وانتهش منها، وتناول بشر بن البراء عظمًا فانتهش منه، فلما استرط رسولُ الله ﷺ لقمته استرط بِشر بن البراء ما في فيه، فقال رسول الله ﷺ: «ارفعوا أيديكم، فإنَّ كتف هذه الشاة [يخبرني] أنْ قد بُغيت فيها». فقال بشر بن

(١) بياضة: بطن من الخزرج، من الأزد، من القحطانية، وهم بنو بياضة بن عامر بن زريق بن عبد بن حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج. معجم قبائل العرب ١/ ١١٢.

(٢) دلائل النبوة ٤/ ٢٦٠ - ٢٦٤.

البراء: والذي أكرمك لقد وجدت ذلك في أكلتي التي أكلتُ، فما منعني أن ألفظها إلا أني أعظمت أن أنغِّصك طعامك، فلما أسغت ما في فيك لم أكن لأرغب بنفسي عن نفسك، ورجوت أن لا تكون استرطتَها وفيها بغي. فلم يقُمْ بشر من مكانه حتىٰ عاد لونه مثل الطيلسان، وماطله وجعُه حتىٰ كان لا يتحول إلا ما حُوِّل. قال: وفي رواية ابن فليح [عن موسىٰ]: قال الزهري: قال جابر: وبقي رسول الله ﷺ بعده ثلاث سنين حتىٰ كان وجعه الذي توفي فيه، فقال: «ما زلتُ أجد من الأكلة التي أكلت من الشاة يوم خيبر عِدادًا حتىٰ كان هذا أوان انقطاع الأبهر مني». فتوفي رسول الله ﷺ شهيدًا. هذا لفظ حديث موسىٰ ابن عقبة. ورواه البيهقي أيضًا من طريق معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن امرأة يهودية أهدت إلىٰ النبي ﷺ شاة مصلية بخيبر، فقال: «ما هذه»؟ فقالت: هدية. وحذرت أن تقول: من الصدقة، فلا يأكل ... ثم ساق الحديث، وفي آخره: فاحتجم النبي ﷺ علىٰ كاهله، وأمر أصحابه فاحتجموا، فمات بعضهم. قال الزهري: فأسلمت، فتركها النبي ﷺ [قال معمر]: وأما الناس فيقولون: قتلها النبي ﷺ.

(و) من معجزاته ﷺ: أنه **(أخبر يوم بدر بمصارع صناديد قريش، ووقفهم علىٰ مصارعهم رجلاً رجلاً، فلم يتعدَّ واحدٌ منهم ذلك الموضعَ)** قال العراقي(١): رواه مسلم(٢) من حديث عمر بن الخطاب.

قلت: رواه مسلم عن شيبان وغيره، عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس قال: تراءينا الهلالَ، فما من الناس أحد يزعم أنه رآه غيري، فقلت لعمر: يا أمير المؤمنين، أما تراه؟ فجعلت أريه إياه، فلما أعيا أن يراه قال: سأراه وأنا مستلقٍ علىٰ فراشي. ثم أنشأ يحدثنا عن يوم بدر فقال: إن رسول الله ﷺ لَيخبرنا عن مصارع القوم بالأمس: «هذا مصرع فلان إن شاء الله غدًا، هذا مصرع فلان

---

(١) المغني ١/ ٦٩٦.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ١٣١٤. واللفظ الذي أورده الشارح هو لفظ البيهقي في دلائل النبوة ٣/ ٤٨.

إن شاء الله غدًا»، فوالذي بعثه بالحق ما أخطأوا تلك الحدودَ، وجعلوا يصرَّعون عليها، ثم أُلقوا في القليب ... الحديث. ورواه أبو داود الطيالسي[١] عن سليمان ابن المغيرة.

(و) من معجزاته ﷺ: أنه **(أنذر أن طوائف من أمّته يغزون في البحر، فكان كذلك)** قال العراقي[٢]: متفق عليه[٣] من حديث أم حرام.

قلت: رواه البخاري من طريق الموطأ[٤] لمالك عن إسحاق بن أبي طلحة عن أنس أن النبي ﷺ كان إذا ذهب يدخل علىٰ أم حرام بنت مِلْحان فتطعمه، فدخل عليها، فأطعمته، وجلست تفلي رأسه، فنام، ثم استيقظ وهو يضحك ... الحديث في شهداء البحر، وفي آخره: قال: فركبت أم حرام البحر في زمن معاوية فصُرعت عن دابّتها حين خرجت من البحر فماتت. وفي بعض طرقه في البخاري: عن أنس عن أم حرام بنت مِلْحان - وكانت خالته - أن رسول الله ﷺ نام في بيتها، فاستيقظ وهو يضحك وقال: «عُرض عليَّ أُناس من أمَّتي يركبون ظهر البحر الأخضر كالملوك علىٰ الأسِرَّة». قالت: فقلت: يا رسول الله، ادْعُ الله أن يجعلني منهم. قال: «إنك منهم». ثم نام، فاستيقظ وهو يضحك، فقلت: يا رسول الله، ما يضحكك؟ قال: «عُرض عليَّ أناس من أمَّتي يركبون ظهر البحر الأخضر كالملوك علىٰ الأسِرَّة». قلت: يا رسول الله، ادْعُ الله أن يجعلني منهم. قال: «أنتِ من الأوَّلينَ». قال: فتزوجها عُبادة بن الصامت فأخرجها معه، فلما جاز البحر ركبت دابَّة فصرعتها فقتلتها.

قال ابن الأثير[٥]: وكانت تلك الغزوة غزوة قُبرس، فدُفنت فيها، وكان أمير

---

(١) مسند الطيالسي ١/ ٤٥.

(٢) المغني ١/ ٦٩٦.

(٣) صحيح البخاري ٢/ ٣٠٣، ٣٠٦، ٣٢٥، ٤/ ١٤٨. صحيح مسلم ٢/ ٩٢١ - ٩٢٢.

(٤) الموطأ ٢/ ٤٦٤.

(٥) أسد الغابة ٧/ ٣٠٥.

ذلك الجيش معاوية بن أبي سفيان في خلافة عثمان، وكان معه أبو ذر وأبو الدرداء وغيرهما من الصحابة، وذلك في سنة سبع وعشرين.

(و) من معجزاته ﷺ: أنه **(زُويت له الأرض فأُرِيَ مشارقها ومغاربها، وأخبر بأنَّ مُلك أمَّته سيبلغ ما زُوي له منها، فكان ذلك كما أخبر، فقد بلغ مُلكُهم من أول المشرق من بلاد الترك إلىٰ آخر المغرب من بلاد الأَنْدَلُس)** بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الدال وضم اللام: إقليم بالمغرب **(وبلاد البربر، ولم يتَّسعوا في الجنوب ولا في الشَّمال، كما أخبر ﷺ سواءً بسواء)** قال العراقي[١]: رواه مسلم[٢] من حديث ثوبان.

(و) من معجزاته ﷺ: أنه **(أخبر فاطمة ابنته رضوان الله عليها)** وهي[٣] الزهراء، تكنىٰ بأم أبيها، وُلدت سنة إحدىٰ وأربعين من مولد أبيها ﷺ[٤]، وهي أصغر البنات **(بأنها أول أهله لحاقًا به، فكان كذلك)** فإنها توفيت بعده بستة أشهر، رواه البخاري في الصحيح[٥] عن عائشة. قال الواقدي: وهو الثبت[٦]. ورویٰ الحميدي عن سفيان عن عمرو بن دينار أنها بقيت بعده ثلاثة أيام. وقال غيره: أربعة أشهر، وقيل: شهرين. وعند الدولابي في الذرية الطاهرة[٧]: خمسة وتسعون يومًا.

قال العراقي[٨]: متفق عليه[٩] من حديث عائشة وفاطمة أيضًا.

---

(١) المغني ١/ ٦٩٦.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ١٣٢١.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ١٣/ ٧١ - ٧٧.

(٤) ذكر ابن حجر قولا آخر في سنة مولدها: أنها ولدت والكعبة تبنىٰ والنبي ﷺ ابن خمس وثلاثين سنة.

(٥) صحيح البخاري ٢/ ٣٨٦، ٣/ ١٤٢. ورواه أيضا مسلم ٢/ ٨٤١.

(٦) رواه عنه ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ١٠/ ٢٩.

(٧) الذرية الطاهرة النبوية ص ١١٠ (ط - الدار السلفية بالكويت) عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر.

(٨) المغني ١/ ٦٩٧.

(٩) صحيح البخاري ٢/ ٥٣٤ - ٥٣٥، ٣/ ٢٥، ١٨٢، ٤/ ١٤٩. صحيح مسلم ٢/ ١١٤٦ - ١١٤٧.

قلت: أخرجاه من طريق مسروق عن عائشة: أقبلت فاطمة تمشي كأنَّ مشيها مشي رسول الله ﷺ، فقال: «مرحبًا بابنتي». ثم أجلسها عن يمينه، ثم أسرَّ إليها حديثًا فبكت، ثم أسرَّ إليها حديثًا فضحكت، فقلت: ما رأيت كاليوم أقرب فرحًا من حزن، فسألتُها عمَّا قال، فقالت: ما كنت لأفشي علىٰ رسول الله ﷺ سرَّه. فلما قُبض سألتها، فأخبرتني أنه قال: «إن جبريل كان يعارضني بالقرآن في كل سنة مرة، وإنه عارضني العامَ مرتين، وما أراه إلا وقد حضر أجلي، وإنكِ أول أهل بيتي لحوقًا بي، ونِعم السلف أنا لكِ». فبكيت، فقال: «ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين»؟ فضحكت. وأخرجه أبو يعلىٰ[1] من حديث أم سلمة قالت: جاءت فاطمة إلىٰ النبي ﷺ، فسألتُها عنه، فقالت: أخبرني أنه مقبوض في هذه السنة فبكيت، فقال: «أما يسرُّكِ أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم»؟ فضحكتُ.

(و) من معجزاته ﷺ: أنه (**أخبر نساءه بأن أطولهنَّ يدًا أسرعهن لحاقًا به، فكانت زينب بنت جحش**) بن رئاب بن يعمر (**الأسدية**) أخت عبد الله وحمنة وأم حبيبة بني جحش، أمُّهم أميمة عمة النبي ﷺ (**أطولهن يدًا بالصدقة وأولهن لحاقًا به**) قال العراقي[2]: رواه مسلم[3] من حديث عائشة. وفي الصحيحين أن سودة كانت أولهن لحوقًا به[4]. قال ابن الجوزي[5]: وهذا غلط من [بعض] الرواة بلا شك.

قلت: في الصحيحين - واللفظ لمسلم - من طريق عائشة بنت طلحة عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «أسرعكن لحاقًا بي أطولكن يدًا». قالت: فكن يتطاولن أيَّتهن أطول يدًا. قالت: فكانت أطولنا يدًا زينب؛ لأنها كانت تعمل بيديها وتتصدَّق.

---

(١) مسند أبي يعلىٰ ١٢/ ١١٠، ٣١٣. وهو عند الترمذي (٣٨٧٣) وقال: حسن غريب.

(٢) المغني ١/ ٦٩٧.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ١١٤٧.

(٤) هذا في رواية البخاري ١/ ٤٣٩ فقط، أما عند مسلم فهي زينب.

(٥) كشف المشكل من حديث الصحيحين ٤/ ٣٧٢. وانظر: فتح الباري لابن حجر ٣/ ٣٣٦ - ٣٣٨.

ومن طريق يحيىٰ بن سعيد عن عمرة عن عائشة نحوه، وفيه: قالت عائشة: فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله ﷺ نمد أيدينا في الجدار نتطاول، فلم نزل نفعل ذلك حتىٰ توفيت زينب بنت جحش، وكانت امرأة قصيرة، ولم تكن بأطولنا، فعرفنا حينئذٍ أن النبي ﷺ إنما أراد طول اليد بالصدقة، وكانت زينب امرأة صنَّاعة باليدين، فكانت تدبغ وتخرز وتتصدق في سبيل الله[١].

وروىٰ ابن سعد[٢] بسند فيه الواقدي عن القاسم بن محمد قال: قالت زينب حين حضرتها الوفاةُ: إني قد أعددت كفني، وإن عمر سيبعث إليَّ بكفن [فإن بعث بكفن] فتصدَّقوا بأحدهما، وإن استطعتم [إذا دلَّيتموني] أن تتصدَّقوا بحقوي فافعلوا. ومن وجه آخر عن عمرة قالت: بعث عمر بخمسة أثواب فكُفِّنت فيها، وتصدَّقت عنها أختها حَمْنة بكفنها الذي كانت أعدَّته. قالت عمرة: فسمعتُ عائشة تقول: لقد ذهبت حميدة سعيدة[٣]، مَفزع اليتامىٰ والأرامل. وأخرج أيضًا بسند فيه الواقدي عن محمد بن كعب قال: كان عطاء زينب بنت جحش اثنىٰ عشر ألفًا، لم تأخذه إلا عامًا واحدًا، فجعلت تقول: اللهم لا يدركني هذا المال قابلاً فإنه فتنة. ثم قسمته في أهل رحمها وفي أهل الحاجة، فبلغ عمرَ فقال: هذه امرأة يُراد بها خير. فوقف عليها وأرسل السلام وقال: بلغني ما فرَّقت. فأرسل [إليها] بألف درهم تستنفقها، فسلكت به ذلك المسلك. قال الواقدي[٤]: ماتت سنة عشرين.

---

(١) هذه الرواية أخرجها الحاكم في المستدرك ٤/ ١٠٨، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٥٤، والطبراني في المعجم الكبير ٢٤/ ٥٠.

(٢) الطبقات الكبرىٰ ١٠/ ١٠٥ - ١٠٧، ١١١.

(٣) في الطبقات: فقيدة.

(٤) مغازي الواقدي ص ٦٩٩. وفي الطبقات: «قال الواقدي: حدثنا عمر بن عثمان الجحشي عن إبراهيم بن عبد الله بن محمد عن أبيه قال: سئلت أم عكاشة بنت محصن: كم بلغت زينب يوم توفيت؟ فقالت: قدمنا المدينة للهجرة وهي بنت بضع وثلاثين سنة، وتوفيت سنة عشرين».

وأخرج الطبراني[١] من طريق الشعبي أن عبد الرحمن بن أبزىٰ أخبره أنه صلىٰ مع عمر علىٰ زينب بنت جحش، وكانت أول نساء النبي ﷺ ماتت بعده.

(و) من معجزاته ﷺ: أنه **(مسح ضرع شاة حائل)** يقال[٢]: حالت الشاةُ وكذا الناقة والمرأة [والنخلة] وكل أنثىٰ حِيالاً بالكسر: لم تحمل، فهي حائل **(لا لبن لها فدَّرت)** اللبنَ **(فكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود)** قال العراقي[٣]: رواه أحمد[٤] من حديث ابن مسعود بإسناد جيد.

قلت: ورواه أيضًا الطبراني في المعجم الصغير[٥] من حديثه: كنت في غنم لآل عُقبة بن أبي مُعَيط، فجاء رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر، فقال رسول الله ﷺ: «هل عندك لبن»؟ قلت: نعم، لكني مؤتمن عليها. قال: «فهل عندك من شاة لم ينزِ عليها الفحلُ»؟ قلت: نعم، فأتيته بشاة [شَطُور] فمسح النبي ﷺ مكان الضرع بيده وهو يدعو، وما كان لها ضرع، فإذا الضرع حافل مملوء لبنًا، فأتيت النبيَّ ﷺ بصخرة منقعرة، فأحلبت الشاة، فسقىٰ أبا بكر، ثم سقاني، ثم شرب، ثم قال للضرع: «اقلصْ»، فرجع كما كان، فلما رأيت هذا قلت: يا رسول الله، علِّمني. فمسح رأسي وقال: «بارك الله فيك، فإنك غلام معلَّم».

(وفعل ذلك) ﷺ **(مرة أخرىٰ في خيمة أم معبد)** عاتكة بنت خالد **(الخُزاعية)** تقدَّم حديث أم معبد هذه في ذِكر حليته الشريفة، وأشرتُ هناك إلىٰ أنه قد رُويت هذه القصة أيضًا من حديث أبي معبد وهو زوجها، فلنسقها هنا: أخرج البيهقي

---

(١) المعجم الكبير ٢٤/ ٥٠، وليس فيه عبد الرحمن بن أبزىٰ، بل فيه أن الذي صلىٰ مع عمر هو الشعبي. وكذا هو في مجمع الزوائد ٩/ ٣٩٩.

(٢) المصباح المنير ص ١٥٧.

(٣) المغني ١/ ٦٩٧.

(٤) مسند أحمد ٦/ ٨٢، ٧/ ٤١٦.

(٥) المعجم الصغير ١/ ٣١٠.

في الدلائل[١] من طريق الحسن بن مكرم قال: حدثنى أبو أحمد بِشر بن محمد السكري، ثنا عبد الملك بن وهب المَذْحجي، ثنا الحر بن الصيَّاح، عن أبي معبد الخزاعي: أن رسول الله ﷺ خرج ليلة هاجر من مكة إلىٰ المدينة هو وأبو بكر وعامر بن فُهَيرة مولىٰ أبي بكر ودليلهم عبد الله بن أُرَيقِط الليثي، فمرُّوا بخيمتَي أم معبد، وكانت أم معبد امرأة بَرْزة جَلْدة تحتبي وتجلس بفناء الخيمة فتطعم وتسقي، فسألوها هل معها لحم أو لبن[٢] يشترونه منها، فلم يجدوا عندها شيئًا من ذلك، فقالت: لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القِرَىٰ. وإذا القوم مُرْمِلون مسنتون، فنظر رسول الله ﷺ فإذا شاة في كسر خيمتها، فقال: «ما هذه الشاة يا أم معبد»؟ قالت: هذه شاة خلَّفها الجهدُ عن الغنم. قال: «فهل لها من لبن»؟ قالت: بأبي وأمي هي أجهد من ذلك. قال: «أتأذنين لي أن أحلبها»؟ قالت: إن كان بها حلب فاحلبْها. قال: فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسحها وذكر اسم الله تعالىٰ ومسح ضرعها وذكر اسم الله تعالىٰ، ودعا بإناء لها يُربِض الرهط فتفاجَّت ودرَّت واجترَّت، فحلب فيه ثجًّا حتىٰ علاه الثُّمال فسقاها وسقىٰ أصحابه فشربوا عللاً بعد نَهَل حتىٰ أراضوا، وشرب آخرهم وقال: «ساقي القوم آخرهم». ثم حلب فيه ثانيًا عودًا علىٰ بدء، فغادره عندها ثم ارتحلوا ... الحديث.

وأخرج البيهقي[٣] أيضًا من طريق محمد بن عمران بن محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلىٰ وأسد بن موسىٰ كلاهما عن [يحيىٰ بن زكريا بن أبي زائدة عن] محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ قال: حدثنا عبد الرحمن ابن الأصبهاني قال: سمعت عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ [يحدِّث] عن أبي بكر رضي الله عنه قال: خرجت مع

---

(١) لم أقف علىٰ هذا الحديث في الدلائل، وقد أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ١/ ١٩٦، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣/ ٣١٦.

(٢) في الطبقات وتاريخ دمشق: أو تمر.

(٣) دلائل النبوة ٢/ ٤٩١ - ٤٩٧.

رسول الله ﷺ من مكة، فانتهينا إلىٰ حي من أحياء العرب، فنظر رسول الله ﷺ إلىٰ بيت منتحيًا، فقصد إليه، فلما نزلنا لم يكن فيه إلا امرأة، فقالت: يا عبد الله، إنما أنا امرأة، وليس معي أحد، فعليكما بعظيم الحي إن أردتم القِرَىٰ. قال: فلم يجبْها، وذلك عند المساء، فجاء ابن لها بأعنز له يسوقها، فقالت له: يا بني، انطلقْ بهذه العنز والشفرة إلىٰ هذين الرجلين فقل لهما: تقول لكما أمي: اذبحا هذه وكُلا وأطعمانا. فلما جاء قال له النبي ﷺ: «انطلقْ بالشفرة وجئني بالقدح». قال: إنها قد عزبت وليس لها لبن. قال: «انطلقْ». فانطلق، فجاء بقدح، فمسح النبي ﷺ ضرعها ثم حلب حتىٰ ملأ القدح، ثم قال: «انطلقْ به إلىٰ أمك». فشربت حتىٰ رويت، ثم جاء به، فقال: «انطلقْ بهذه وجئني بأخرىٰ». ففعل بها كذلك، ثم سقىٰ أبا بكر، ثم جاء بأخرىٰ ففعل بها كذلك، ثم شرب النبي ﷺ. قال: فبِتنا ليلتنا، ثم انطلقنا، فكانت تسمِّيه: المبارك، وكثرت غنمها حتىٰ جُلبت جلبًا إلىٰ المدينة، فمر أبو بكر رضي الله عنه، فرآه ابنها فعرفه فقال: يا أمَّه، إن هذا الرجل الذي كان مع المبارك. فقامت إليه فقالت: يا عبد الله، مَن الرجل الذي كان معك؟ قال: وما تدرين من هو؟ قالت: لا. قال: هو النبي ﷺ. قالت: فأدخِلْني عليه. قال: فأدخلها عليه، وأهدت إليه شيئًا من أقط ومتاع الأعراب. قال: فكساها وأعطاها. قال: ولا أعلمه إلا قال: أسلمتْ.

قال البيهقي: وهذه القصة وإن كانت تنقص عمَّا روينا في قصة أم معبد وتزيد في بعضها فهي قريبة منها، ويشبه أن تكونا واحدة، وقد ذكر ابن إسحاق من قصة أم معبد شيئًا يدل علىٰ أنها وهذه القصة واحدة. والله أعلم. ثم ساق من طريق ابن إسحاق قال: فنزل رسول الله ﷺ بخيمة أم معبد، فأرادوا القِرَىٰ، فقالت: واللهِ ما عندنا طعام، ولا لنا منحة، ولا لنا شاة إلا حائل، فدعا رسول الله ﷺ ببعض غنمها، فمسح ضرعها بيده، ودعا الله عز وجل، وحلب في العُس حتىٰ أرغىٰ، وقال: «اشربي يا أم معبد». فقالت: اشرب أنت، فأنت أحقُّ به. فردَّه عليها، فشربت، ثم دعا بحائل أخرىٰ، ففعل بها مثل ذلك فشرب، ثم دعا بحائل أخرىٰ ففعل بها مثل ذلك، فسقىٰ

دليله، ثم دعا بحائل أخرىٰ ففعل بها مثل ذلك، فسقىٰ عامرًا، ثم تروَّح، وطلبت قريش رسول الله ﷺ حتىٰ بلغوا أمَّ معبد، فسألوها عنه فقالوا: رأيتِ محمدًا؟ إن حليته كذا. فوصفوه لها، فقالت: ما أدري ما تقولون، قد ضافني حالب الحائل. قالت قريش: فذاك الذي نريد.

قال البيهقي: فيحتمل أن يكون أولاً رأىٰ التي في كِسْر الخيمة كما روينا في حديث أم معبد ثم رجع ابنها بأعنز كما روينا في حديث ابن أبي ليلىٰ، ثم لما أتىٰ زوجُها وصفتْه له. والله أعلم.

وذكر البيهقي قصة أخرىٰ تناسب في الباب أخرجها من طريق [عبيد الله بن] إياد بن لقيط عن قيس بن النعمان قال: لما انطلق النبي ﷺ وأبو بكر مستخفيينِ مرًّا بعبد يرعىٰ غنمًا، فاستسقياه اللبن، فقال: ما عندي شاة تُحلَب، غير أن ههنا عَناقًا حملت أول الشتاء وقد أُخرجت وما بقي لها لبن. فقال: «ادْعُ بها». فدعا بها، فاعتقلها النبي ﷺ ومسح ضرعها ودعا حتىٰ أنزلت. قال: وجاء أبو بكر بمِجَنٍّ، فحلب فسقىٰ أبا بكر، ثم حلب فسقىٰ الراعي، ثم حلب فشرب، فقال الراعي: بالله من أنت؟ فوالله ما رأيت مثلك قط. قال: «أوَ تراك تكتم عليَّ حتىٰ أخبرك»؟ قال: نعم. قال: «فإني محمد رسول الله» ﷺ. فقال: أنت الذي تزعم قريش أنه صابئ؟ قال: «إنهم لَيقولون ذلك». قال: فأشهد أنك نبي، وأشهد أن ما جئت به حق، وأنه لا يفعل ما فعلتَ إلا نبي، وأنا متَّبعك. فقال: «إنك لا تستطيع ذلك يومك، فإذا بلغك أني قد ظهرتُ فأْتِنا».

(و) من معجزاته ﷺ: أنه (**ندرت عينُ بعض أصحابه فسقطت، فردَّها** عليه السلام **بيده، فكانت أصح عينيه وأحسنهما**) قال العراقي[(١)]: رواه أبو نعيم[(٢)] والبيهقي[(٣)]

---

(١) المغني ١/ ٦٩٧.

(٢) دلائل النبوة ص ٤٨٤.

(٣) دلائل النبوة ٣/ ١٠٠، ٢٥١ - ٢٥٣.

كلاهما في دلائل النبوة من حديث قتادة بن النعمان، وهو الذي سقطت عينه، ففي رواية البيهقي أنه كان ببدر، وفي رواية أبي نعيم أنه كان بأُحد، وفي إسناده اضطراب، وكذا رواه البيهقي فيه من حديث أبي سعيد الخدري.

قلت: قال البيهقي في الدلائل في أثناء سياق غزوة بدر: أخبرنا أبو سعد الماليني، أخبرنا أبو أحمد ابن عديٍّ الحافظ، ثنا أبو يعلىٰ، ثنا يحيىٰ الحِمَّاني، ثنا عبد الرحمن بن سليمان بن الغسيل، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن أبيه، عن قتادة بن النعمان أنه أصيبت عينه يوم بدر، فسالت حدقته علىٰ وجنته، فأرادوا أن يقطعوها، فسألوا رسول الله ﷺ، فقال: «لا». فدعا به، فغمز حدقته براحته، فكان لا يدري أيّ عينيه أصيبت.

قلت: ويحيىٰ الحِمَّاني ضعيف، ولم ينبِّه عليه العراقي.

وفي المواهب[1] للقسطلاني: وأصيبت يوم أُحد عين قتادة بن النعمان حتىٰ وقعت علىٰ وجنته، فأُتي بها رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن لي امرأة أحبها وأخشىٰ إن رأتني تقذرني. فأخذها رسول الله ﷺ بيده وردَّها إلىٰ موضعها وقال: «اللهم اكْسِه جمالاً». فكانت أحسن عينيه وأحَدَّهما نظرًا، وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرىٰ.

وقد وفد علىٰ عمر بن عبد العزيز رجل من ذرِّيته، فسأله عمر: من أنت؟ فقال:

أبونا الذي سالت علىٰ الخد عينُه ... فرُدَّت بكف المصطفىٰ أيُّما ردِّ
فعادت كما كانت لأول أمرها ... فيا حُسن ما عين ويا حسن ما خد

(١) المواهب اللدنية ٢/ ٢٤١.

فوصله عمر وأحسن جائزته[١]. قال السهيلي[٢]: وروىٰ محمد بن أبي عثمان [عن عمار بن نصر] عن مالك بن أنس عن محمد بن عبد الله بن أبي صعصعة عن أبيه عن أبي سعيد عن أخيه قتادة بن النعمان قال: أصيبت عيناي يوم أحد فسقطتا علىٰ وجنتي، فأتيت بهما النبيَّ ﷺ، فأعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان. قال الدارقطني: هذا حديث غريب عن مالك، تفرَّد به عمار بن نصر، وهو ثقة. ورواه الدارقطني عن إبراهيم الحربي عن عمار بن نصر.

وأخرج الطبراني في الكبير[٣] وأبو نعيم في الدلائل عن قتادة قال: كنت يوم أُحد أَتَّقي السهامَ بوجهي دون وجه رسول الله ﷺ، فكان آخرها سهمًا ندرتْ منه حدقتي، فأخذتها بيدي وسعيت إلىٰ رسول الله ﷺ، فلما رآها في كفِّي دمعت عيناه، فقال: «اللهم قِ قتادةَ كما وقَىٰ وجهَ نبيِّك بوجهه فاجعلها أحسن عينيه وأحدَّهما نظرًا».

(و) من معجزاته ﷺ: أنه **(تفل في عين علي كرَّم الله وجهه وهو أرمد يوم خيبر فصحَّ من وقته وبعثه بالراية)** قال العراقي[٤]: متفق عليه من حديث علي ومن حديث سهل بن سعد أيضًا.

قلت: حديث سهل بن سعد رواه الشيخان[٥] وأبو نعيم في الحلية[٦] والبيهقي في الدلائل[٧] كلهم من طريق قتيبة بن سعيد قال: حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن،

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٨/ ١٩٢. وفيه أن عمر قال:

تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

(٢) الروض الأنف ٦/ ٣٣ - ٣٤.

(٣) المعجم الكبير ١٩/ ٨.

(٤) المغني ١/ ٦٩٧.

(٥) صحيح البخاري ٢/ ٣٤٤، ٣٦١، ٣/ ٢١، ١٣٧. صحيح مسلم ٢/ ١١٢٩.

(٦) حلية الأولياء ١/ ٦٢.

(٧) دلائل النبوة ٤/ ٢٠٥.

عن أبي حازم، عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطينَّ هذه الراية غدًا رجلاً يفتح الله علىٰ يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيُّهم يُعطاها، فقال: «أين علي بن أبي طالب»؟ فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه. قال: «فأرسِلوا إليه». فأُتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتىٰ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتىٰ يكونوا مثلنا؟ قال: «انفذ علىٰ رَسْلك حتىٰ تنزل بساحتهم، ثم ادْعُهم إلىٰ الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فواللهِ لأنْ يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من أن يكون لك حُمر النعم».

قال أبو نعيم في الحلية بعد سياقه الحديث: رواه سعد بن أبي وقاص وأبو هريرة وسلمة بن الأكوع نحوه في المحبة، ولحديث سلمة طرق، فمن أغربها ما حدثنا أبو بكر بن خَلاَّد ... ثم ساق سنده إلىٰ محمد بن إسحاق، حدثنا بريدة ابن سفيان الأسلمي، عن أبيه، عن سلمة بن الأكوع قال: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر برايته إلىٰ حصون خيبر يقاتل فقاتل فرجع ولم يكن فتحٌ وقد جهدَ، ثم بعث عمر الغد فقاتل فرجع ولم يكن فتحٌ وقد جهد، فقال رسول الله ﷺ: «لأعطينَّ الراية غدًا رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله علىٰ يديه، ليس بفرَّار». قال سلمة: فدعا بعليٍّ وهو أرمد، فتفل في عينيه فقال: «هذه الراية فامضِ بها حتىٰ يفتح الله علىٰ يدك ...» الحديث، وقال: غريب من حديث بريدة عن أبيه، فيه زيادات ألفاظ لم يتابَع عليها، وصحيحه من حديث يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع.

قلت: ورواه البيهقي[1] من هذا الوجه، إلا أنه قال: حدثنا بريدة بن سفيان ابن فروة الأسلمي عن أبيه عن سلمة. هكذا هو في نسخة الدلائل وعليها سماع الحافظ العراقي، وفيه زيادات كما أشار إليه أبو نعيم.

---

(١) السابق ٤/ ٢٠٩ - ٢١١.

وأخرج البيهقي أيضًا من طريق الحسين بن واقد المروزي عن عبد الله بن بريدة قال: أخبرنا أبي قال: لما كان يوم خيبر أخذ اللواء أبو بكر، فرجع ولم يُفتَح له ... فساق الحديث نحوه، وفيه: «لأدفعنَّ لواءنا غدًا إلىٰ رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، لن يرجع حتىٰ يُفتَح له ...» الحديث، وفيه: فدعا عليَّ بن أبي طالب وهو يشتكي عينيه، فمسحها، ثم دفع إليه اللواء ففُتح ... الحديث.

وأخرج أيضًا من طريق المسيب بن مسلم الأزدي قال: حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ ربما أخذته الشقيقة فيلبث اليوم واليومين لا يخرج، ولما نزل خيبر أخذته الشقيقة فلم يخرج إلىٰ الناس، وإن أبا بكر أخذ راية رسول الله ﷺ، ثم نهض فقاتل قتالاً شديدًا ثم رجع، فأخذها عمر فقاتل قتالاً أشد من [القتال] الأول ثم رجع، فأُخبر بذلك رسول الله ﷺ، فقال: «لأعطينَّها غدًا رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يأخذها عنوةً». وليس ثَم علي، فتطاولت لها قريش، ورجا كلُّ رجل منهم أن يكون صاحب ذلك، فأصبح وجاء عليٌّ علىٰ بعير له حتىٰ أناخ قريبًا، وهو أرمد قد عصب عينه بشقة بُرْد قطري، فقال رسول الله ﷺ: «ما لك»؟ قال: «رمدتُ بعدك». قال: «ادْنُ مني». فتفل في عينيه، فما وجعَها حتىٰ مضىٰ لسبيله ... الحديث.

وروىٰ الشيخان[1] عن قتيبة بن سعيد، عن حاتم بن إسماعيل، عن يزيد بن أبي عبيد، عن سلمة بن الأكوع قال: كان علي قد تخلَّف عن النبي ﷺ في خيبر، وكان رَمِدًا، فقال: أنا أتخلَّف عن النبي ﷺ؟! فخرج عليٌّ فلحق بالنبي ﷺ، فلما كان مساء الليلة التي فتحها الله في صباحها قال ﷺ: «لأعطينَّ الراية غدًا – أو قال: ليأخذن الراية غدًا – رجلاً يحبه الله ورسوله – أو قال: يفتح الله عليه». فإذا نحن بعليٍّ وما نرجوه، فقالوا: هذا علي. فأعطاه رسول الله ﷺ الراية، ففتح الله عليه.

---

(١) صحيح البخاري ٢/ ٣٥٢، ٣/ ٢٢. صحيح مسلم ٢/ ١١٣٠.

وهكذا رواه الحسن بن سفيان في مسنده عن قتيبة بن سعيد، ومن طريقه أبو بكر الإسماعيلي في المستخرج.

وأخرج البيهقي[١] من طريق عكرمة بن عمار عن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه ... فذكر حديثًا طويلاً، وفيه: قال: فأرسل رسول الله ﷺ إلىٰ علي يدعوه وهو أرمد، فقال: «لأعطينَّ ...» الحديث، وفيه: قال: فجئت به أقوده. قال: فبصق رسول الله ﷺ في عينيه فبرأ، فأعطاه الراية ... الحديث. وقد أخرجه مسلم في الصحيح[٢].

وأخرج أبو داود الطيالسي[٣] والطبراني[٤] من حديث علي قال: ما رَمِدتُ ولا صُدِّعت منذ دفع إليَّ ﷺ الراية يوم خيبر.

وعند[٥] الحاكم من حديث علي قال: فوضع رسول الله ﷺ رأسي في حِجره، ثم بصق في راحته فدلك بها عيني. وعند الطبراني[٦]: فما اشتكيتهما حتىٰ الساعة.

وأخرج البيهقي[٧] من طريق موسىٰ بن عقبة عن ابن شهاب: أن رسول الله ﷺ قام يوم خيبر فوعظ الناس، فلما فرغ من موعظته دعا عليَّ بن أبي طالب وهو أرمد، فبصق في عينيه، ودعا له بالشفاء ... الحديث.

وقد وقع مثل ذلك لرفاعة بن رافع بن مالك، قال: لما كان يوم بدر رُميت

---

(١) دلائل النبوة ٤/ ٢٠٧ - ٢٠٨.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ٨٧٢ - ٨٧٧.

(٣) مسند الطيالسي ١/ ١٥٦.

(٤) المعجم الأوسط ٤/ ١٣٣ - ١٣٤، ولفظه: «كنت مقرورا، فلما بعثني رسول الله ﷺ إلىٰ خيبر قلت: إني أرمد، فتفل في عيني، فما وجدت بردا و حرا بعد، ولا رمدت عيناي».

(٥) المواهب اللدنية ٢/ ٢٤٢.

(٦) المعجم الأوسط ٢/ ٣٨١.

(٧) دلائل النبوة ٤/ ٢١٤.

بسهم ففُقئت عيني، فبصق فيها رسول الله ﷺ ودعا لي، فما آذاني منها شيءٌ. رواه البيهقي في الدلائل[1].

ولفديك، نفث في عينيه، وكانتا مبيضتين ولا يبصر بهما شيئًا، وكان وقع على بيض حية، فكان يُدخِل الخيط في الإبرة وإنه لابن ثمانين سنة وإن عينيه لمبيضتان. رواه ابن أبي شيبة[2] والبغوي[3] وأبو نعيم[4] والبيهقي[5] والطبراني[6].

(و) من معجزاته ﷺ: أنهم **(كانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه ﷺ)** قال العراقي[7]: رواه البخاري من حديث ابن مسعود.

قلت: التسبيح[8] من قبيل الألفاظ الدالَّة على معنى التنزيه، واللفظ يوجد حقيقةً ممَّن قام به اللفظ، فيكون في غير مَن قام به مجازًا، فالطعام والحصا والشجر ونحو ذلك كل منها متكلم باعتبار خلقِ الكلام فيه حقيقةً، وهذا من قبيل خرق العادة، وفي سماعهم التسبيح تصريح بكرامة الصحابة بسماع هذا التسبيح وفهمه، وذلك ببركته ﷺ.

قال البخاري[9]: حدثنا محمد بن المثنَّى، ثنا أبو أحمد الزبيري، ثنا إسرائيل،

---

(١) السابق ٣/ ١٠٠.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٨/ ٣٣، ١٠/ ٤١٤.

(٣) معجم الصحابة ٢/ ١٢٧.

(٤) معرفة الصحابة ٢/ ٨٣١. دلائل النبوة ص ٤٦٦، ٦١٤.

(٥) دلائل النبوة ٦/ ١٧٣.

(٦) المعجم الكبير ٤/ ٢٥.

(٧) المغني ١/ ٦٩٨.

(٨) المواهب اللدنية ٢/ ٢١١ - ٢١٣.

(٩) صحيح البخاري ٢/ ٥٢٣، ولفظه: «كنا نعد الآيات بركة، وأنتم تعدونها تخويفا، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فقل الماء، فقال: اطلبوا فضلة من ماء. فجاءوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء، ثم قال: حي على الطهور المبارك، والبركة من الله. فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل».

عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله قال: إنكم تعدُّون الآيات عذابًا، وكنا نعدُّها بركةً على عهد رسول الله ﷺ، قد كنا نأكل مع النبي ﷺ الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام ... الحديث.

ورواه أبو بكر الإسماعيلي في المستخرج عن الحسن بن سفيان عن محمد بن بشَّار عن أبي أحمد، ورواه البيهقي في الدلائل(١) من طريقه.

وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: مرض النبي ﷺ، فأتاه جبريل بطبق فيه رمَّان وعنب، فأكل منه النبي ﷺ، فسبَّح. رواه عياض في الشفاء(٢)، ونقله عنه الحافظ في الفتح(٣).

ومن ذلك: تسبيح الحصى في كفه ﷺ، رُوي من حديث أبي ذر قال: تناول النبي ﷺ سبع حصيات، فسبَّحن في يده حتى سمعتُ لهن حنينًا، ثم وضعهنَّ في يد أبي بكر فسبحن، ثم وضعهن في يد عمر فسبحن، ثم وضعهن في يد عثمان فسبحن. أخرجه البزار(٤) والطبراني في الأوسط(٥). وفي رواية الطبراني: فسمع تسبيحهن مَن في الحلقة، ثم دفعهن إلينا فلم يسبِّحن مع أحد منا.

قال البيهقي في الدلائل(٦): كذا رواه صالح بن أبي الأخضر - ولم يكن بالحافظ - عن الزهري عن سُوَيد بن يزيد السلمي عن أبي ذر، والمحفوظ ما رواه شعيب بن أبي حمزة عن الزهري.

---

(١) دلائل النبوة ٤/ ١٢٩.

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١/ ٣٠٧.

(٣) فتح الباري ٦/ ٦٨٥. ولكن فيه: عنب ورطب.

(٤) مسند البزار ٩/ ٤٣١، ٤٣٤.

(٥) المعجم الأوسط ٢/ ٥٩، ٤/ ٢٤٥.

(٦) دلائل النبوة ٦/ ٦٥.

قلت: يشير إلىٰ ما أخرجه محمد بن يحيىٰ الذهلي في الزهريات[١] قال: أخبرنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب بن أبي حمزة، عن الزهري قال: ذكر الوليد بن سويد أن رجلاً من بني سليم كبير السن كان ممَّن أدرك أبا ذر بالرَّبَذة عن أبي ذر قال: هجَّرتُ يومًا من الأيام، فإذا النبي ﷺ قد خرج من بيته، فسألت عنه الخادم، فأخبرني أنه ببيت عائشة، فأتيته وهو جالس، وليس عنده أحد من الناس، وكأني أراه [حينئذٍ] في وحي، فسلَّمت عليه، فردَّ عليَّ السلام، ثم قال: «ما جاء بك»؟ قلت: الله ورسوله. فأمرني أن أجلس، فجلست إلىٰ جنبه لا أسأله عن شيء ولا يذكره لي، فمكثت غير كثير، فجاء أبو بكر يمشي مسرعًا، فسلَّم [عليه] فردَّ عليه السلام، ثم قال: «ما جاء بك»؟ قال: جاء بي الله ورسوله. فأشار بيده أن اجلسْ، فجلس إلىٰ ربوة مقابل النبي ﷺ، ثم جاء عمر ففعل مثل ذلك، وقال له رسول الله ﷺ مثل ذلك، وجلس إلىٰ جنب أبي بكر، ثم جاء عثمان كذلك وجلس إلىٰ جنب عمر، ثم قبض رسول الله ﷺ علىٰ حصيات سبع أو تسع أو ما قرُب من ذلك، فسبحن في يده حتىٰ سُمع لهن حنين كحنين النحل في كف رسول الله ﷺ، ثم ناولهن أبا بكر وجاوزني، فسبحن في كفه، ثم أخذهن منه فوضعهن علىٰ الأرض فخرسن وصِرْنَ حصىٰ، ثم ناولهن عمر، فسبحن في كفِّه كما سبحن في كف أبي بكر، ثم أخذهن منه فوضعهن في الأرض فخرسن، ثم ناولهن عثمانَ، فسبحن في كفه كنحو ما سبحن في كف أبي بكر وعمر، ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن.

وليس لحديث تسبيح الحصىٰ إلا هذه الطريق الواحدة مع ضعفها، لكنه مشهور عند الناس.

(و) من معجزاته ﷺ: أنه **(أصيبت رِجل بعض أصحابه، فمسحها بيده**

---

(١) ورواه الطبراني في مسند الشاميين ٤/ ٢٤٦ عن أبي زرعة الدمشقي عن أبي اليمان، ومن طريق الطبراني رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٩/ ١١٨ - ١١٩.

فبرأت من حينها) قال العراقي[1]: رواه البخاري[2] في قصة قتل أبي رافع.

قلت: قال البخاري: حدثنا يوسف بن موسىٰ، ثنا عبيد الله بن موسىٰ، أخبرنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: بعث رسول الله ﷺ إلىٰ أبي رافع اليهودي رجالاً من الأنصار وأمَّر عليهم عبد الله بن عتيك، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ ويعين عليه، وكان في حصن له بأرض الحجاز، فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم قال عبد الله لأصحابه: اجلسوا مكانكم، فإني منطلق ومتلطِّف للبوَّاب لعلي أدخل. قال: فأقبل حتىٰ دنا من الباب، ثم تقنَّع بثوبه كأنه يقضي حاجته، وقد دخل الناس، فهتف به البواب: يا عبد الله، إن كنت تريد أن تدخل فادخل، فإني أريد أن أغلق الباب. فدخلت فكمنت، فلما دخل الناس أغلق الباب، ثم علَّق الأغاليق علىٰ وَدٍّ[3]. قال: فقمت إلىٰ الأقاليد [فأخذتها] ففتحت الباب، وكان أبو رافع يُسمَر عنده، وكان في علالي له، فلما أن ذهب عنه أهل سمره صعدتُ إليه، فجعلت كلما فتحت بابًا أغلقته عليَّ من داخل، قلت: إن القوم قد نَذِروا بي لم يخلصوا إليَّ حتىٰ أقتله، فانتهيت إليه، فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا أدري أين هو من البيت، فقلت: يا أبا رافع. قال: مَن هذا؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف وأنا دَهِشٌ، فما أغنيت شيئًا، فصاح. قال: فخرجت من البيت فأمكث غير بعيد، ثم دخلت إليه فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ قال: لأمِّك الويل، إن رجلاً في البيت ضربني قبلُ بالسيف. قال: فأضربه ضربة أثخنته ولم أقتله، ثم وضعت ظبة السيف في بطنه حتىٰ أخذ في ظهره، فعلمت أني قد قتلته، فجعلت أفتح الأبواب بابًا فبابًا حتىٰ انتهيت إلىٰ درجة، فوضعت رجلي وأنا لا أرىٰ إلا أني قد انتهيت إلىٰ الأرض فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي،

(١) المغني ١/ ٦٩٨.

(٢) صحيح البخاري ٣/ ١٠٠ - ١٠١.

(٣) وفي رواية غير الهروي: وتد. وهو هو.

فعصبتها بعمامة، ثم انطلقت حتىٰ جلست عند الباب، فقلت: لا أبرح الليلة حتىٰ أعلم أقتلته، فلما صاح الديك قام الناعي علىٰ السور فقال: أنعىٰ أبا رافع [تاجر أهل الحجاز] فانطلقت إلىٰ أصحابي فقلت: النجاء النجاء، فقد قتل الله أبا رافع، فانتهيت إلىٰ النبي ﷺ وحدثناه، فقال لي: «ابسط رجلك». فبسطتها فمسحها فكأني لم أشتكها قط.

ورواه الحسن بن سفيان في مسنده عن إسحاق بن إبراهيم قال: أخبرنا عبيد الله ابن موسىٰ، وعنه الإسماعيلي في المستخرج. ورواه الإسماعيلي أيضًا عن المنيعي أخبرنا أبو بكر ابن أبي شيبة عن عبيد الله بن موسىٰ. وقال موسىٰ بن عقبة: قال ابن شهاب: قال ابن كعب: فقَدِموا علىٰ رسول الله ﷺ وهو علىٰ المنبر، فقال: «أفلحت الوجوه». قالوا: أفلح وجهك يا رسول الله. قال: «أقتلتموه»؟ قالوا: نعم. قال: «ناولوني السيف». فسلَّه فقال: «أجل، هذا طعامه في ذباب السيف».

وأخرج البخاري عن أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي، عن شريح بن مسلمة، عن إبراهيم بن يوسف بن أبي إسحاق، عن أبيه، عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء قال: بعث رسول الله ﷺ إلىٰ أبي رافع عبد الله بن عتيك وعبد الله ابن عتبة في أناس معهم ... فساق الحديث نحو سياق حديث عبيد الله بن موسىٰ، إلا أنه ليس فيه: فقال ابسط رجلك ... الخ. وقد رواه البيهقي في الدلائل[1] من طريق محمد بن الحسين الخثعمي عن أحمد بن عثمان.

(و) من معجزاته ﷺ: أنه **(قلَّ زادُ جيش كان معه ﷺ، فدعا بجميع ما بقي، فاجتمع شيء يسير جدًّا، فدعا فيه بالبركة، ثم أمرهم فأخذوا، فلم يبقَ وعاء في العسكر إلا مُلئ من ذلك)** قال العراقي[2]: متفق عليه[3] من حديث سلمة بن الأكوع.

---

(١) دلائل النبوة ٤/ ٣٣ - ٣٩.

(٢) المغني ١/ ٦٩٨.

(٣) صحيح البخاري ٢/ ٣٥٤. صحيح مسلم ٢/ ٨٢٧.

قلت: وروىٰ مسلم[١] من حديث أبي هريرة قال: لما كان غزوة تبوك أصاب الناسَ مجاعةٌ، فقال عمر: يا رسول الله، ادْعُهم بفضل أزوادهم، ثم ادْعُ الله لهم عليها بالبركة. فقال: «نعم». فدعا بنِطْع فبُسط، ثم دعا بفضل أزوادهم، فجعل الرجل يجيء بكف ذرة، ويجيء الآخر [بكف تمر، ويجيء الآخر] بكِسرة، حتىٰ اجتمع علىٰ النطع شيء يسير، فدعا رسول الله ﷺ عليه بالبركة، ثم قال: «خذوا في أوعيتكم». فأخذوا في أوعيتهم حتىٰ ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملأوه. قال: فأكلوا حتىٰ شبعوا، وفضلت فضلةٌ، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقىٰ اللهَ بهما عبدٌ غير شاكٍّ فيُحجَب عن الجنة».

وقد تقدم صدرُ هذه القصة عند ذكر تكثير الطعام.

(و) من معجزاته ﷺ: أنه (حكىٰ **الحكم بن العاص**) بن أمية بن عبد شمس. كذا في النسخ، وصوابه: الحكم بن أبي العاص، وهو أبو مروان وعم عثمان بن عفان (**مشيته ﷺ مستهزئًا به، فقال ﷺ: كذلك فكنْ. فلم يزل يرتعش حتىٰ مات**) قال العراقي[٢]: رواه البيهقي في الدلائل[٣] من حديث هند ابن خديجة بإسناد جيد، والحاكم في المستدرك[٤] من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر نحوه، ولم يسمِّ الحكمَ، وقال: صحيح الإسناد.

قلت: أورده[٥] ابن منده في معجم الصحابة في ترجمة هند بن هند بن هند من طريق حسان بن عبد الله الواسطي، عن السري بن يحيىٰ، عن مالك بن دينار، حدثني هند ابن خديجة زوج النبي ﷺ قال: مر النبي ﷺ بالحكم أبي مروان، فجعل

(١) صحيح مسلم ١/ ٣٤ - ٣٥.
(٢) المغني ١/ ٦٩٨.
(٣) دلائل النبوة ٦/ ٢٤٠.
(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٧٣٠.
(٥) الإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٢٧١ - ٢٧٣، ١٠/ ٢٦٢ - ٢٦٣.

يغمز بالنبي ﷺ ويشير بأصبعه حتىٰ التفت [إليه] النبي ﷺ [فرآه] فقال: «[اللهم] اجعل به وزغًا». يعني ارتعاشًا. قال: فرجف مكانه. وهكذا أخرجه ابن أبي حاتم الرازي وعبد الله بن أحمد في زيادات الزهد من هذا الوجه. ومالك ابن دينار لم يدرك هند بن أبي هالة، وإنما أدرك ابنه، فكأنه نسبه لجده، وقد ذكر ابن أبي حاتم(١) عن أبيه أن رواية هند بن هند عن النبي ﷺ مرسلة، وجرىٰ أبو عمر(٢) علىٰ ظاهره فذكر هذا الحديث لهند بن أبي هالة. وروىٰ الطبراني(٣) من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر قال: كان الحكم بن أبي العاص يجلس عند النبي ﷺ، فإذا تكلم اختلج، فبصر به النبي ﷺ فقال: «كنْ كذلك». فما زال يختلج حتىٰ مات. في إسناده نظرٌ، وأخرجه البيهقي(٤) من هذا الوجه، وفيه ضِرار ابن صُرَد وهو منسوب للرفض. وبه تعلم أن قول العراقي «بإسناد جيد» فيه نظرٌ. وأخرج البيهقي أيضًا من طريق مالك بن دينار: حدثني هند ابن خديجة زوج النبي ﷺ ... فساقه مثل سياق ابن منده وابن أبي حاتم الرازي. وقد نفىٰ رسولُ الله ﷺ الحكم المذكور إلىٰ الطائف، وذكر أبو عمر(٥) في النسب قولاً في سبب نفيه(٦) أنه كان يحكيه في مشيته، وقيل: لأنه كان يشيع سر رسول الله ﷺ، وقيل غير ذلك. ومات الحكم في خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين.

(و) من معجزاته ﷺ: أنه (خطب امرأة) من أبيها (**فقال له أبوها: إن بها بَرَصًا. امتناعًا من خطبته واعتذارًا، ولم يكن بها بَرَصٌ، فقال ﷺ: فلتكن كذلك.**

---

(١) الجرح والتعديل ٩/ ١١٧.

(٢) الاستيعاب ٢/ ٣٢٧.

(٣) المعجم الكبير ٣/ ٢٤٠.

(٤) دلائل النبوة ٦/ ٢٣٩.

(٥) الاستيعاب ١/ ٢١٥.

(٦) في الإصابة: «وذكر أبو عمر في السبب في طرده قولا آخر».

فبرصت، وهىٰ أم شبيب ابن البرصاء الشاعر) قال العراقي[1]: هذه المرأة ذكرها ابن الجوزي في التلقيح[2] وسمَّاها: جمرة بنت الحارث بن عوف المزني، وتبعه علىٰ ذلك الدمياطي في جزء له في نساء النبي ﷺ، ولم يصحَّ ذلك.

قلت: وقيل[3]: اسمها أمامة، وقيل: قرصافة، وهو الأكثر، وهي ابنة الحارث بن عوف بن أبي حارثة المزني، وأبوها من فرسان الجاهلية، وكان قد بقي عليه شيء من دمائهم، فلما أسلم أهدره النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ خطب إليه ابنته، فقال: لا أرضاها لك، إن بها سوءًا. ولم يكن بها، فرجع فوجدها قد برصت، فتزوجها ابن عمِّها يزيد بن جمرة المزني فولدت له شبيبًا، فعُرف بابن البرصاء، واسم البرصاء قرصافة؛ ذكر ذلك الرشاطي.

وذكر العراقي[4] في تخريجه قبل هذه المعجزة معجزة أخرىٰ، وهذا لفظه: ويد طلحة لما أزال ما كان بها من شلل أصابها يوم أُحد حتىٰ مسحها بيده. قال: رواه النسائي[5] من حديث جابر: لما كان يوم أُحد. وفيه: فقاتل طلحة [قتال الأحد عشر] حتىٰ ضُربت يده فقُطعت أصابعه فقال: حَس. وليس فيه مسحها. وللبخاري[6] من حديث قيس: رأيت يد طلحة شَلاَّء وقَىٰ بها النبيَّ ﷺ [يوم أحد]. هذا آخر كلامه، ولم أجد ذلك في نسخ الإحياء الموجودة عندي.

(إلىٰ غير ذلك من آياته ومعجزاته صلوات الله عليه وسلامه، وإنما اقتصرنا علىٰ المستفيض) المشهور.

(١) المغني ١/ ٦٩٩.
(٢) تلقيح فهوم أهل الأثر ص ٢٧ (ط - دار الأرقم).
(٣) الإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ١٦٨، ١٢/ ١٢٥.
(٤) المغني ١/ ٦٩٨ - ٦٩٩.
(٥) سنن النسائي ص ٤٨٦.
(٦) صحيح البخاري ٣/ ٢٦، ١٠٦.

* ومن[١] غرر معجزاته ﷺ: ردُّ الشمس له، أخرجه الحافظ أبو جعفر الطحاوي في مشكل الآثار[٢] وابن منده وابن شاهين والطبراني في الكبير[٣] بإسناد حسن من حديث أسماء بنت عُمَيس أن رسول الله ﷺ صلىٰ الظهر بالصهباء[٤]، ثم أرسل عليًّا في حاجة، فرجع وقد صلىٰ النبي ﷺ العصر، فوضع ﷺ رأسه في حِجر عليٍّ فنام، فلم يحرِّكه حتىٰ غابت الشمس، فقال ﷺ: «اللهم إن عبدك عليًّا احتبس بنفسه علىٰ نبيِّه فرُدَّ عليه الشمس» [فطلعت عليه الشمس] حتىٰ وقعت علىٰ الجبال وعلىٰ الأرض، وقام عليٌّ فتوضأ وصلىٰ العصر، ثم غابت الشمس، وذلك بالصهباء. وفي لفظ آخر: كان ﷺ إذا نزل عليه الوحي كاد يغشىٰ عليه، فأنزل الله عليه يومًا وهو في حِجر علي، فقال له النبي ﷺ: «صلَّيت العصر يا علي»؟ قال: لا يا رسول الله. فدعا الله فردَّ عليه الشمس حتىٰ صلىٰ العصر. قالت أسماء: فرأيت الشمس طلعت بعدما غابت حين رُدَّت حتىٰ صلىٰ العصر. وقد صحَّح الحديثَ الطحاويُّ، ونقله عنه القاضي عياض في الشفاء[٥] وأقرَّه علىٰ تصحيحه، وقال[٦]: اختُلف في حبسها هنا، فقيل: رُدَّت علىٰ أدراجها، وقيل: وقفت ولم تُرَدَّ، وقيل: المراد بطء حركتها. قال: وكل ذلك من معجزات النبوة. ا.هـ. وقال الطحاوي: إن أحمد بن صالح كان يقول: لا ينبغي لمَن سبيله العلم التخلُّف عن حفظ حديث أسماء؛ لأنه من [أجلِّ] علامات النبوة. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات[٧]، وكأنه تبع قولَ إمامه أحمد

(١) المواهب اللدنية ٢/ ٢٠٩ - ٢١١.

(٢) شرح مشكل الآثار ٣/ ٩٤.

(٣) المعجم الكبير ٢٤/ ١٤٥، ١٥٠ - ١٥٢.

(٤) في معجم البلدان ٣/ ٤٣٥: «الصهباء: بلفظ اسم الخمر، وسميت بذلك لصهوبة لونها وهو حمرتها أو شقرتها، وهو اسم موضع بينه وبين خيبر روحة، له ذكر في الأخبار».

(٥) الشفا ١/ ٢٨٤.

(٦) إكمال المعلم ٦/ ٥٣.

(٧) الموضوعات ١/ ٣٥٥ - ٣٥٧.

فيما نقله عنه الحافظ ابن حجر في تخريج الرافعي أنه لا أصل له. وتبعه ابن تيمية[١] فذكر في الجزء الذي ردَّ فيه علىٰ الروافض أنه موضوع. وقال ابن الجوزي: في سنده أحمد بن داود، متروك الحديث كذاب، كما قاله الدارقطني[٢]، وقال ابن حبان[٣]: كان يضع الحديث. ثم قال ابن الجوزي: وهذا حديث باطل، ومن تغفُّلِ واضعه أنه نظر إلىٰ صورة فضيلة ولم يلمح عدم الفائدة فيها، فإن صلاة العصر بغيبوبة الشمس تصير قضاءً، ورجوع الشمس لا يعيدها أداءً.

قلت: وهذا تحامُلٌ من ابن الجوزي، وقد ردَّ عليه الحافظان السخاوي[٤] والسيوطي[٥]، وحاله في إدراج الأحاديث الصحيحة في حيِّز الموضوعات معلوم عند الأئمة، وقد ردَّ عليه وعابه كثيرون من أهل عصره ومَن بعدهم، كما نقله الحافظ العراقي في أوائل نكته علىٰ ابن الصلاح[٦]، فلا نطيل بذكره. وهذا الحديث صحَّحه غير واحد من الحفَّاظ، حتىٰ قال السيوطي: إن تعدُّد طرقه شاهد علىٰ صحته، فلا عِبرة بقول ابن الجوزي. وقوله «ولم يلمح عدم الفائدة فيها» أُجيبَ بأنه: بل فيه فائدة وهي عَوْد الوقت بعَوْدها. وقوله «ورجوع الشمس لا يعيدها أداءً» أجاب عنه ابن حجر في شرح الإرشاد بأنه: لو غربت الشمس ثم عادت عاد الوقت أيضًا لهذا الحديث. وقال الشهاب في شرح الشفاء[٧]: إنكار ابن الجوزي فائدة ردِّها مع القضاء لا وجه له، فإنها فائتة بعذر مانع من الأداء وهو عدم تشويشه علىٰ النبي ﷺ،

---

(١) منهاج السنة النبوية ٨/ ١٦٤ - ١٩٨.

(٢) الضعفاء والمتروكون ص ٧٢.

(٣) المجروحون من المحدثين ١/ ١٦٠.

(٤) في المقاصد الحسنة ص ٢٢٦، محتجا بتصحيح الطحاوي وعياض له.

(٥) اللآلئ المصنوعة ١/ ٣٣٦ - ٣٤١. وفيه: «قد صح أن الشمس حبست علىٰ يوشع ليالي قاتل الجبارين، فلا بد أن يكون لنبينا ﷺ نظير ذلك، فكانت هذه القصة نظير تلك».

(٦) شرح الألفية المسماة بالتبصرة والتذكرة ١/ ٢٦٢ (ط - دار الكتب العلمية).

(٧) نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض للشهاب الخفاجي ٣/ ٤٨٥.

وهذه فضيلة [أيُّ فضيلة] فلما عادت حاز فضيلة الأداء أيضًا. وقال غيره[١]: دلَّ ثبوت الحديث على أن الصلاة وقعت أداءً، وبذلك صرَّح القرطبي في التذكرة[٢]، قال: فلو لم يكن رجوع الشمس نافعًا وأنه لا يتجدَّد الوقت لَما ردَّها عليه. ذكره في باب ما يذكِّر الموتَ والآخرة في أوائل التذكرة. ووجهُه أن الشمس لما عادت كأنها لما تغب. والله أعلم. ا.هـ. وروى الطبراني في الأوسط[٣] من حديث جابر بإسناد حسن: أن رسول الله ﷺ أمر الشمس فتأخرت ساعة [من نهار]. وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي في روايته عن ابن إسحاق - كما ذكره القاضي عياض[٤]: لما أُسري بالنبي ﷺ وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا: متى تجيء؟ قال: «يوم الأربعاء». فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون وقد ولَّى النهار ولم تجئ، فدعا رسولُ الله ﷺ فزِيدَ له في النهار ساعة وحُبست عليه الشمس[٥]. ولا يعارضه ما في الصحيح[٦] أن الشمس لم تُحبَس لأحد إلا ليوشع بن نون حين قاتل الجبَّارين يوم الجمعة، بأن يقال: إن المعنى: لم تُحبَس على أحد من الأنبياء غيره إلا ليوشع.

* ومن[٧] غرر معجزاته ﷺ: تسليم الحجر عليه بمكة، روى مسلم[٨] من

---

(١) هو محمد بن يوسف الصالحي في كتابه سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٩/ ٦١١ (ط - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية).

(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ص ١٤٢.

(٣) المعجم الأوسط ٤/ ٢٢٤.

(٤) الشفا ١/ ٢٨٤ - ٢٨٥.

(٥) رواه البيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٤٠٤ من طريق يونس بن بكير عن أسباط بن نصر الهمذاني عن إسماعيل بن عبد الرحمن القرشي.

(٦) هذا الحديث ليس في الصحيحين، وإنما رواه أحمد في مسنده ١٤/ ٦٥ من حديث أبي هريرة بلفظ: «إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس».

(٧) المواهب اللدنية ٢/ ٢١٣.

(٨) صحيح مسلم ٢/ ١٠٨٠.

حديث جابر بن سمرة قال: قال النبي ﷺ: «إني لأعرفُ حجرًا بمكة كان يسلِّم عليَّ قبل أن أُبعَث، إني لأعرفه الآن». وقد اختُلف فيه، فقيل: هو الحجر الأسود، وقيل: بل الذي بزقاق المرفق المشهور بمكة، وممَّا يقويِّه ما ذكره الإمام أبو عبد الله محمد ابن رُشَيد - بالضم - في رحلته[١] مما ذكره في «شفاء الغرام»[٢] عن علم الدين أحمد بن أبي بكر بن خليل، أخبرني عمي سليمان، أخبرني محمد بن إسماعيل بن أبي الصيف، أخبرني أبو حفص المَيانشي قال: أخبرني كلّ مَن لقيتُه بمكة أن هذا الحجر هو الذي كلَّم النبي ﷺ.

وروى الترمذي[٣] والدارمي[٤] والحاكم[٥] وصحَّحه عن علي بن أبي طالب قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ بمكة، فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله شجر ولا حجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله.

وروى البزار[٦] وأبو نعيم في الدلائل[٧] من حديث عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمرُّ بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله».

وروى البيهقي في الدلائل[٨] من حديث جابر قال: لم يكن النبي ﷺ يمرُّ بحجر ولا شجر إلا سجد له.

---

(١) ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة لابن رشيد السبتي ١/ ١٣٠ - ١٣١ (ط - دار الغرب الإسلامي).

(٢) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لتقي الدين الفاسي ١/ ٤٥٣ (ط - مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة).

(٣) سنن الترمذي ٦/ ١٩.

(٤) سنن الدارمي ١/ ٢٥.

(٥) المستدرك على الصحيحين ٢/ ٧٢٨. وعند الثلاثة: شجر ولا جبل.

(٦) مسند البزار ١٨/ ١٦٤.

(٧) دلائل النبوة ص ٢١٦، ٢١٩.

(٨) دلائل النبوة ٦/ ٦٩.

* ومن[١] غرر معجزاته ﷺ: تأمين أسكفَّة الباب وحوائط [البيت] علىٰ دعائه ثلاثًا، وهو ما رواه أبو نعيم في الدلائل[٢] من حديث أبي أسيد الساعدي قال: قال رسول الله ﷺ للعباس بن عبد المطلب: «لا تبرح منزلك أنت وبنوك غدًا حتىٰ آتيكم، فإنَّ لي فيكم حاجة». فانتظروه حتىٰ جاء بعدما أضحىٰ، فدخل عليهم فقال: «السلام عليكم». فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته. قال: «كيف أصبحتم»؟ قالوا: أصبحنا بخير نحمد الله تعالىٰ. فقال لهم: «تقاربوا». فتقاربوا يزحف بعضهم إلىٰ بعض، حتىٰ إذا أمكنوه اشتمل عليهم بملاءته فقال: «يا رب، هذا عمي وصِنو أبي، وهؤلاء أهل بيتي، فاسترهم من النار كستري إياهم بملاءتي هذه». قال: فأمَّنت أسكُفَّة الباب وحوائط البيت فقالت: آمين آمين آمين. ورواه ابن ماجه[٣] مختصرًا.

* ومن[٤] غرر معجزاته ﷺ: كلامه للجبل وكلام الجبل له، روىٰ أحمد[٥] والبخاري[٦] والترمذي[٧] وأبو حاتم[٨] من حديث أنس قال: صعد النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان أُحدًا، فرجف بهم، فضربه النبي ﷺ برجله وقال: «اثبُتْ أُحد، فإنما عليك نبي وصدِّيق وشهيدان».

قال ابن المنيِّر: قيل: الحكمة في ذلك أنه لما رجف أراد رسول الله ﷺ أن يبيِّن أن هذه الرجفة ليست من جنس رجفة الجبل بقوم موسىٰ لما حرَّفوا الكلم،

---

(١) المواهب اللدنية ٢/ ٢١٤.

(٢) دلائل النبوة ص ٤٣٣.

(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٢٨٣.

(٤) المواهب اللدنية ٢/ ٢١٤ - ٢١٥. أشرف الوسائل ص ٢٤٦ - ٢٤٧.

(٥) مسند أحمد ١٩/ ١٥٩.

(٦) صحيح البخاري ٣/ ١٣، ١٦، ١٩.

(٧) سنن الترمذي ٦/ ٦٧.

(٨) صحيح ابن حبان ١٥/ ٢٨٠، ٣٣٧.

وأن تلك رجفة الغضب، وهذه هزة الطرب، ولهذا نص علىٰ مقام النبوة والصدِّيقية والشهادة التي توجب سرورَ ما اتصلت به لا رجفانه، فأقرَّ الجبل بذلك فاستقرَّ. ا.هـ. ومن ثَم صح: «أُحد جبل يحبنا ونحبه».

قال الخطابي[1]: كنىٰ به عن أهل المدينة. وأجراه البغوي[2] علىٰ ظاهره، وهو الأصح؛ إذ لا بُعد في محبة الجمادات للأنبياء والأولياء، ومن ثَم سُمع حنين الجذع لمَّا فارقه. وأخرج الترمذي[3] والنسائي[4] والدارقطني[5] أن هذه القصة بعينها وقعت في ثبير مكة، وأخرجها مسلم[6] من حديث أبي هريرة أنه كان ذلك بحراء لكن بزيادة علي وطلحة والزبير، ولفظه: «اسكنْ حراء، فما عليك إلا نبي أو صدِّيق أو شهيد». وهؤلاء الثلاثة شهداء أيضًا. وفي رواية له: وسعد بن أبي وقاص، ولم يذكر عليًّا[7]، وانفرد مسلم بذلك، وأخرجه الترمذي[8] في مناقب عثمان ولم يذكر سعدًا، وقال: «اهدأ» مكان «اسكن»، وقال: حديث صحيح. وأخرجه[9] أيضًا عن سعيد بن زيد، وذكر أنه كان عليه العشرة إلا أبا عبيدة، وقال: «اثبتْ حِراء». وكذا رواه أبو الحسن الخلعي في فوائده ولم يذكر أبا عبيدة. وهذا الاختلاف محمول علىٰ أنها قضايا تكرَّرت؛ قاله الطبري وغيره.

---

(١) أعلام الحديث ٢/ ٨١٣، ونصه: «يريد أن أهل أحد وهم الأنصار سكان المدينة يحبونا ونحبهم، علىٰ مجاز قوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾ المعنىٰ: أهل القرية».

(٢) شرح السنة ٧/ ٣١٤.

(٣) سنن الترمذي ٦/ ٧٢.

(٤) سنن النسائي ص ٥٦٢.

(٥) سنن الدارقطني ٥/ ٣٤٩. كلهم من حديث عثمان بن عفان.

(٦) صحيح مسلم ٢/ ١١٣٥.

(٧) بل ذكره في هذه الرواية مع سعد.

(٨) سنن الترمذي ٦/ ٦٦.

(٩) السابق ٦/ ١٠٧.

* ومن[١] غرر معجزاته ﷺ: تسليم الشجر له وسجوده له، روىٰ البغوي في شرح السنَّة[٢] من حديث يعلىٰ بن مُرَّة الثقفي: سِرنا مع رسول الله ﷺ حتىٰ نزلنا منزلاً، فنام النبي ﷺ، فجاءت شجرة تشق الأرضَ حتىٰ غشيته، ثم رجعت إلىٰ مكانها، فلما استيقظ رسول الله ﷺ ذكرتُ له، فقال: «هي شجرة استأذنتْ ربَّها في أن تسلِّم عليَّ، فأذن لها». وتقدم حديث بريدة نحوه من كتاب الشفاء، وفيه: حتىٰ وقفت بين يدي رسول الله ﷺ، فقالت: السلام عليك يا رسول الله ... الحديث. وفيه: فقال الأعرابي: «ائذنْ لي أن أسجد لك ...» الحديث.

ولله دَر الأبوصيري حيث يقول:

جاءت لدعوته الأشجار ساجدةً ... تمشي إليه علىٰ ساق بلا قدم

كأنما سطَّرت سطرًا لما كتبت ... فروعها من بديع الخط في اللقم

* ومن[٣] غرر معجزاته ﷺ: كلام الحيوانات وطاعتها له، فمنها: سجود الجمل، وقد تقدم.

ومنها: سجود الغنم، رواه أبو محمد عبد الله بن حامد الفقيه في كتابه دلائل النبوة[٤] بإسناد ضعيف من حديث أنس قال: دخل رسول الله ﷺ حائطًا للأنصار ومعه أبو بكر وعمر ورجال من الأنصار، وفي الحائط غنم، فسجدت له، فقال أبو بكر: يا رسول الله، نحن أحق بالسجود لك من هذه الغنم. فقال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد إلا لله».

---

(١) المواهب اللدنية ٢/ ٢١٦ - ٢١٨.

(٢) شرح السنة ١٣/ ٢٩٥ - ٢٩٦.

(٣) المواهب اللدنية ص ٢٢٢ - ٢٢٧.

(٤) ورواه أيضا: الآجري في الشريعة ٤/ ١٥٨٨، والضياء في الأحاديث المختارة ٦/ ١٣٠ - ١٣١، وأبو نعيم في دلائل النبوة ص ٣٧٩.

ومنها: كلام الذئب، رواه جماعة من الصحابة: أبو هريرة وأنس وابن عمر وأبو سعيد الخدري. فحديث أبي سعيد رواه أحمد[١] بإسناد جيد بلفظ: عدا الذئب علىٰ شاة فأخذها، فطلبه الراعي فانتزعها منه، فأقعىٰ الذئب علىٰ ذَنَبه وقال: ألا تتَّقي الله؟ تنزع مني رزقًا ساقه الله إليَّ. فقال: يا عجبًا، ذئب يتكلم[٢]؟! فقال له الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد بن عبد الله بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق. قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه حتىٰ دخل المدينة، فزواها إلىٰ زاوية من زواياها، ثم أتىٰ رسولَ الله ﷺ فأخبره، فأمر رسول الله ﷺ فنودي بالصلاة جامعة، ثم خرج، فقال للراعي: «أخبِرْهم». فأخبَرَهم.

وأما حديث ابن عمر فأخرجه أبو سعد الماليني والبيهقي.

وأما حديث أنس فأخرجه أبو نعيم في الدلائل.

وأما حديث أبي هريرة فرواه سعيد بن منصور في سننه[٣] قال: جاء الذئب فأقعىٰ بين يدي رسول الله ﷺ، وجعل يبصبص بذَنَبه، فقال رسول الله ﷺ: «هذا وافد الذئاب، جاء يسألكم أن تجعلوا له من أموالكم شيئًا». قالوا: واللهِ لا نفعل. وأخذ رجل من القوم حجرًا فرماه به، فأدبر الذئب وله عواء، فقال رسول الله ﷺ: «الذئب وما الذئب».

وروىٰ البغوي في شرح السنة[٤] وأحمد[٥] وأبو نعيم[٦] بسند صحيح عن أبي هريرة أيضًا قال: جاء ذئب إلىٰ راعي غنم فأخذ منها شاة، فطلبه الراعي حتىٰ انتزعها

---

(١) مسند أحمد ١٨/ ٣١٥.
(٢) في المسند: «ذئب مقعٍ علىٰ ذنبه يكلمني كلام الإنس».
(٣) ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة ٦/ ٣٩ - ٤٠. ورواه أيضا البزار في مسنده ١٧/ ١٢٨.
(٤) شرح السنة ١٥/ ٨٧.
(٥) مسند أحمد ١٣/ ٤٢٥.
(٦) دلائل النبوة ص ٣٧٤.

منه. قال: فصعد الذئب علىٰ تل فأقعَىٰ واستذفر وقال: عمدتَ إلىٰ رزق رزقنيه الله أخذتَه ثم انتزعتَه مني؟! فقال الرجل: تاللهِ إن رأيتُ كاليوم، ذئب يتكلم؟! فقال الذئب: أعجب من هذا رجل في النخلات بين الحَرَّتين يخبركم بما مضىٰ وما هو كائن بعدكم. قال: وكان الرجل يهوديًّا، فجاء إلىٰ النبي ﷺ فأخبره وأسلم، فصدَّقه النبي ﷺ.

قال القاضي عياض[1]: وفي بعض الطرق عن أبي هريرة: فقال الذئب: أنت أعجب مني، واقف علىٰ غنمك وتركتَ نبيًّا لم يبعث الله قط أعظم منه [عنده] قدرًا، قد فُتحت له أبواب الجنة وأشرف أهلُها علىٰ أصحابه ينظرون قتالهم، وما بينك وبينه إلا هذا الشِّعب فتصير من جنود الله. قال الراعي: مَن لي بغنمي؟ قال الذئب: أنا أرعاها حتىٰ ترجع. فأسلم الرجل إليه غنمه ومضىٰ ... وذكر قصته وإسلامه ووجوده النبيَّ ﷺ يقاتل، فقال له النبي ﷺ: «عُدْ إلىٰ غنمك تجدها بوَفْرِها». فوجدها كذلك، وذبح للذئب شاة منها. وقد روىٰ ابن وهب مثل هذا أنه جرىٰ لأبي سفيان بن حرب وصفوان بن أميَّة مع ذئب وجداه أخذ ظبيًا، فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب، فعجبا من ذلك، فقال الذئب: أعجبُ من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم إلىٰ الجنة وتدعونه إلىٰ النار. فقال أبو سفيان: واللات والعُزَّىٰ لئن ذكرت هذا بمكة لتتركُنَّها خُلوفًا.

ومنها: كلامه الحمار، أخرج ابن عساكر[2] عن أبي منظور قال: لما فتح رسول الله ﷺ خيبر أصاب حمارًا [أسود مكبلاً] فكلَّم رسولُ الله ﷺ الحمارَ [فكلمه الحمار] فقال له رسول الله ﷺ: «ما اسمك»؟ فقال: يزيد بن شهاب، أخرج الله من نسل جدي ستين حمارًا [كلهم] لا يركبه إلا نبي، وقد كنت أتوقَّعك [أن تركبني] لم يبقَ من نسل جدي غيري، ولا من الأنبياء غيرك، وقد كنتُ قبلك

---

(١) الشفا ١/ ٣١٠.

(٢) تاريخ دمشق ٤/ ٢٣٢.

لرجل يهودي، وقد كنت أتعثَّر به عمدًا، وكان يجيع بطني ويضرب ظهري. فقال له النبي ﷺ: «فأنت يعفور»[١]. فكان رسول الله ﷺ يبعثه إلىٰ باب الرجل فيأتي البابَ فيقرعه برأسه، فإذا خرج إليه صاحب الدار أومأ إليه أن أجِبْ رسولَ الله ﷺ، فلما قُبض رسول الله ﷺ جاء إلىٰ بئر [كانت] لأبي الهيثم بن التيهان فتردَّىٰ فيها جزعًا علىٰ رسول الله ﷺ [فصارت قبره].

ورواه أبو نعيم[٢] بنحوه من حديث معاذ بن جبل، لكن الحديث أورده ابن الجوزي في الموضوعات[٣].

وفي معجزاته ﷺ ما هو أعظم من كلام الحمار وغيره.

ومنها: كلام الضب، رواه البيهقي[٤] في أحاديث كثيرة، لكنه حديث غريب ضعيف، قال المزي: لا يصح إسنادًا ولا متنًا. وذكره القاضي عياض في الشفاء[٥]، وقد رُوي من حديث عمر أن رسول الله ﷺ كان في محفل من أصحابه إذ جاء أعرابي من بني سليم قد صاد ضبًّا جعله في كمِّه ليذهب به إلىٰ رَحْله فيشويه ويأكله، فلما رأىٰ الجماعةَ قال: من هذا؟ قالوا: نبي الله. فأخرج الضب من كمه وقال: واللات والعزىٰ لا آمنت بك أو يؤمن بك هذا الضب. وطرحه بين يدي رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: «يا ضب». فأجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعًا: لبيك

(١) بعده في تاريخ دمشق: «يا يعفور. قال: لبيك. قال: أتشتهي الإناث؟ قال: لا. فكان رسول الله ﷺ يركبه في حاجته، وإذا نزل عنه بعث به إلىٰ باب ...» الخ.

(٢) دلائل النبوة ص ٣٨٧، ولفظه: «أتىٰ النبيَّ ﷺ وهو بخيبر حمار أسود، فوقف بين يديه، فقال: من أنت؟ فقال: أنا عمرو بن فلان، كنا سبعة إخوة، كلنا ركبنا الأنبياء، وأنا أصغرهم، وكنت لك فملكني رجل من اليهود، فكنت إذا ذكرتك كبأت به فيوجعني ضربا. فقال النبي ﷺ: فأنت يعفور».

(٣) الموضوعات ١/ ٢٩٤. قال: «هذا حديث موضوع، فلعن الله واضعه، فإنه لم يقصد إلا القدح في الإسلام والاستهزاء به».

(٤) دلائل النبوة ٦/ ٣٦ - ٣٨. وأخرجه أيضا الطبراني في المعجم الأوسط ٦/ ١٢٧، وأبو نعيم في دلائل النبوة ص ٣٧٧، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤/ ٣٨٣.

(٥) الشفا ١/ ٣٠٩ - ٣١٠.

وسعديك يا زين مَن وافَىٰ القيامةَ. قال: «من تعبد»؟ قال: الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله، وفي الجنة رحمته، وفي النار عذابه». قال: «فمن أنا»؟ قال: رسول رب العالمين وخاتم النبيين، وقد أفلح مَن صدَّقك وخاب مَن كذَّبك. فأسلم الأعرابي ... الحديث بطوله، وهو مذكور في الشفاء، وما أنصف مَن أدخله في الموضوعات[١].

ومنها: كلام الغزالة، رواه البيهقي[٢] من طرق، وضعَّفه جماعة من الأئمة، لكن طرقه يقوِّي بعضُها بعضًا، وذكره القاضي في الشفاء[٣]، ورواه أبو نعيم في الدلائل[٤] بإسناد فيه مجاهيل عن ضبة بن محصن عن أم سلمة قالت: بينما النبي ﷺ في صحراء من الأرض إذا هاتف يهتف: يا رسول الله، ثلاث مرات، فالتفت فإذا ظبية مشدودة في وثاق، وأعرابي منجدل في شملة نائم في الشمس، فقال: «ما حاجتكِ»؟ قالت: صادني هذا الأعرابي، ولي خشفان في ذلك الجبل، فأطلِقْني حتىٰ أذهب فأرضعهما وأرجع. قال: «وتفعلين»؟ فقالت: عذبني الله عذاب العِشار إن لم أعُد. فأطلقها، فذهبت ورجعت، فأوثقها النبي ﷺ، فانتبه الأعرابي وقال: يا رسول الله، ألك حاجة؟ قال: «تطلق هذه الظبية». فأطلقها، فخرجت تعدو في الصحراء فرحًا وهي تضرب برجليها الأرض وتقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.

وكذا رواه الطبراني[٥] بنحوه، وساق الحافظ المنذري حديثه في الترغيب

(١) قال الذهبي: خبر باطل. ووافقه الحافظ في اللسان ٥/ ٢٩٢.

(٢) دلائل النبوة ٦/ ٣٤ - ٣٥.

(٣) الشفا ١/ ٣١٤.

(٤) دلائل النبوة ص ٣٧٥ - ٣٧٦ من حديث زيد بن أرقم ومن حديث أنس بن مالك، وليس فيه حديث أم سلمة.

(٥) المعجم الكبير ٢٣/ ٣٣١.

والترهيب[١] من باب الزكاة، وقول ابن كثير فيما نقله السخاوي[٢] عنه أنه لا أصل له مردود، وقد أورد الحافظ ابن حجر له في تخريج أحاديث المختصر[٣] طرقًا بعضها يقوِّي بعضًا.

* ومن[٤] غرر معجزاته ﷺ: إطاعة السحاب له، روىٰ الشيخان[٥] من حديث أنس قال: أصابت الناس سنةٌ علىٰ عهد رسول الله ﷺ، فبينا النبي ﷺ يخطب في يوم الجمعة قام أعرابي فقال: يا رسول الله، هلك المال وجاع العيال، فادْعُ الله لنا. فرفع يديه وما نرىٰ في السماء قزعة، فوالذي نفسي بيده ما وضعهما حتىٰ ثار السحابُ أمثال الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتىٰ رأيت المطر يتحادر علىٰ لحيته، فمُطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد حتىٰ الجمعة الأخرىٰ، وقام ذلك الأعرابي أو غيره فقال: يا رسول الله، تهدَّمَ البناء وغرق المال، فادْعُ الله لنا. فرفع يديه فقال: «اللهم حوالينا ولا علينا». فما يشير إلىٰ ناحية من السحاب إلا انفرجت، وصارت المدينة مثل الجَوْبة، وسال الوادي قناة شهرًا، ولم يجئ أحد من ناحية إلا حدَّث بالجود.

وفي رواية قال: «اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم علىٰ الآكام والظِّراب وبطون الأودية ومنابت الشجر». فأقلعت وخرجنا نمشي في الشمس.

وأخرج البيهقي في الدلائل[٦] من حديث ابن عباس أنه قيل لعمر بن الخطاب:

---

(١) الترغيب والترهيب ص ٣٥٣ - ٣٥٤.

(٢) المقاصد الحسنة ص ١٥٦.

(٣) موافقة الخبر الخبر في تخريج أحاديث المختصر [مختصر ابن الحاجب] لابن حجر العسقلاني ١/ ٢٤٥ - ٢٤٧ (ط - مكتبة الرشد بالرياض).

(٤) المواهب اللدنية ٢/ ٢٣٣ - ٢٣٤.

(٥) صحيح البخاري ١/ ٣١٩ - ٣٢٥، ٢/ ٥٢٤، ٤/ ١٠٨، ١٦١. صحيح مسلم ٢/ ٣٩٧ - ٣٩٨.

(٦) دلائل النبوة ٥/ ٢٣١.

حدِّثْنا عن ساعة العسرة. فقال عمر: خرجنا إلىٰ تبوك في قيظ شديد، فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش حتىٰ ظننا أن رقابنا ستنقطع حتىٰ إن كان الرجل [ليذهب يلتمس الرجل فلا يرجع حتىٰ يظن أن رقبته ستنقطع، حتىٰ إن كان الرجل] لَينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي علىٰ كبده. فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن الله قد عوَّدك في الدعاء خيرًا، فادْعُ الله لنا. قال: «أتحبون ذلك»؟ قال: نعم. فرفع يديه فلم يرجعهما حتىٰ قالت السماء فانسكبت، فملأوا ما معهم من آنية، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها تجاوز العسكر.

* ومن[1] غرر معجزاته ﷺ: إحياء الموتىٰ وكلامهم، وكلام الصبيان وشهادتهم له بالنبوة، وإبراء ذوي العاهات. أخرج البيهقي في الدلائل أن رجلاً قال للنبي ﷺ: لا أؤمن بك حتىٰ تحيي لي ابنتي. فجاء لقبرها فقال: «يا فلانة». قالت: لبيك وسعديك. فقال ﷺ: «أتحبِّين أن ترجعي إلىٰ الدنيا»؟ فقالت: لا واللهِ يا رسول الله، إني وجدت الله خيرًا لي من أبويَّ، ووجدت الآخرة خيرًا لي من الدنيا.

وحديث إحياء أمه حتىٰ آمنت به رواه جماعة[2]، وصحَّحه بعض الحفاظ، وإن قال ابن كثير[3]: منكر جدًّا[4].

---

(١) المواهب اللدنية ٢/ ٢٣٩ - ٢٤١.

(٢) كابن شاهين الذي رواه في ناسخ الحديث ومنسوخه ص ٢٨٤ (ط - دار الكتب العلمية) من حديث عائشة قالت: نزل النبي ﷺ إلىٰ الحجون كئيبا حزينا، فأقام فيه ما شاء ربه عز وجل، ثم رجع مسرورا، فقلت: يا رسول الله، نزلت إلىٰ الحجون كئيبا حزينا فأقمت فيه ما شاء الله، ثم رجعت مسرورا. قال: «سألت ربي عز وجل فأحيا لي أمي فآمنت بي، ثم ردها».

(٣) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٢٣.

(٤) بل هو موضوع حتىٰ قال الذهبي في الميزان (٢/ ٦٨٤) عن أحد رواته: «لا يُدرىٰ من ذا الحيوان الكذاب»، فإن هذا الحديث كذب. وانظر الأجوبة المرضية للسخاوي ٣/ ٩٦٨-٩٧٥ ط دار الراية.

وروىٰ ابن عدي[١] وابن أبي الدنيا[٢] والبيهقي[٣] وأبو نعيم[٤] أن عجوزًا عمياء مات ولدها، فلما عُزِّيت به قالت: اللهم إن كنتَ تعلم أني هاجرت إليك وإلىٰ نبيِّك رجاءَ أن تعينني علىٰ كل شدة فلا تحملني علىٰ هذه المصيبة. فكُشف الثوب عن وجهه وطعم وطعموا.

وروىٰ ابن أبي الدنيا في كتاب مَن عاش بعد الموت[٥] أن زيد بن خارجة بينا هو يمشي إذ خرَّ فتوفي، فجيءَ به إلىٰ بيته، فلما كان بين المغرب والعشاء سمعوا علىٰ لسانه: محمد رسول الله النبي الأمِّي خاتم النبيين لا نبي بعده، كان ذلك في الكتاب الأول. ثم قال: صدق صدق. ثم قال: هذا رسول الله، السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.

وأخرج أبو نعيم[٦] أن جابرًا ذبح شاة وطبخها، فجاء بها النبيَّ ﷺ، فأكل هو وأصحابه، ونهاهم عن كسر العظام، ثم جمعه ووضع يده عليها ثم تكلم بكلام، فإذا الشاة قد قامت تنفض أذنيها.

وأخرج البيهقي[٧] أنه ﷺ جيء له بغلام يوم وُلد، فقال: «من أنا»؟ قال: رسول الله ﷺ. قال: «صدقتَ بارك الله فيك». ثم لم يتكلم بعدُ حتىٰ شبَّ، فكان يسمَّىٰ: مبارك اليمامة.

* ومن غرر معجزاته ﷺ: أن[٨] انقطع يوم أُحد سيف عبد الله بن جحش،

---

(١) الكامل في الضعفاء ٤/ ١٣٧٩.
(٢) مجابو الدعوة ص ٤٤ - ٤٥.
(٣) دلائل النبوة ٦/ ٥٠ - ٥١.
(٤) دلائل النبوة ص ٦١٨. وكلهم رووه من حديث أنس بن مالك.
(٥) من عاش بعد الموت ص ١٦ - ١٧ (ط - مؤسسة الكتب الثقافية) عن النعمان بن بشير.
(٦) دلائل النبوة ص ٦١٦ - ٦١٧.
(٧) دلائل النبوة ٦/ ٥٩ من حديث معرض بن معيقيب اليمامي.
(٨) الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار ص ٣٢٤ - ٣٢٥.

فأعطاه ﷺ عرجونًا فصار في يده سيفًا فقاتل به، وكان يسمىٰ: العرجون، ولم يزل يتوارثونه حتىٰ بِيعَ من بُغا التركي - من أمراء المعتصم - في بغداد بمائتي درهم.

ومن ذلك ما نقل ابن إسحاق[١]: أنه قاتل عُكَّاشة بن محصن الأسدي يوم بدر بسيفه حتىٰ انقطع، فأعطاه رسول الله ﷺ جِذْلاً من حطب فقال له: «قاتِلْ به». فهزَّه فعاد في يده سيفًا طويل القامة، شديد المتن، أبيض الحديدة، فقاتل به حتىٰ فتح الله علىٰ المسلمين، وكان يسمىٰ: العون، ولم يزل يشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتىٰ قُتل[٢] [في الردة] وهو عنده.

ومن ذلك ما ذكر عياض[٣] عن ابن وهب أن عكرمة بن أبي جهل ضرب يد معاذ بن عمرو، فتعلَّقت بجلدة، فبصق ﷺ عليها فلصقت. قال ابن إسحاق: ثم عاش حتىٰ كان زمن عثمان.

ومن ذلك ما رواه البيهقي في الدلائل[٤] من طريق ابن شهاب أن عبد الله بن أنيس أصابه اليُسَير بن رزام اليهودي من وجهه بمخرش بشجَّة مأمومة، فبصق رسول الله ﷺ فيها فلم تقح ولم تؤذه حتىٰ مات.

وهذا نزر من كثير، ومعجزاته ﷺ أكثر من أن تُحصَىٰ أو تُعَدَّ، فإنك[٥] إن تأملتَها وجدتَها شاملة للعلوي والسفلي، والصامت والناطق، والساكن والمتحرك، والمائع والجامد، والسابق واللاحق، والغائب والحاضر، والباطن والظاهر، والعاجل والآجل ... إلىٰ غير ذلك ممَّا لو عُدَّ لطال.

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٧٨.

(٢) في السيرة أن الذي قتله هو طليحة بن خويلد الأسدي.

(٣) الشفا ١/ ٣٢٤. وفيه: (وقطع أبو جهل يد معوذ بن عفراء، فجاء يحمل يده). والذي في سيرة ابن هشام ٢/ ٢٧٦ - ٢٧٧ أن عكرمة قطع يد معاذ بن عمرو، ولكن لم يذكر أن النبي ﷺ بصق عليها.

(٤) دلائل النبوة ٤/ ٢٩٤.

(٥) المواهب اللدنية ٢/ ٢٠٣.

(ومَن يستريب في انخراق العادات علىٰ يده) ﷺ **(ويزعم أن آحاد هذه الوقائع)** ظنية **(لم يُنقَل تواتُرًا، وإنما المتواتر هو القرآن فقط، كمَن يستريب في شجاعة علي** رضي الله عنه **وسخاوة حاتم الطائي، ومعلوم أن آحاد وقائعهم غير متواترة، ولكن مجموع)** تلك **(الوقائع)** سواء[1] ممَّا وقع التحدِّي به أو وقع دالاًّ علىٰ صدقه من غير تحدٍّ فإنه **(يورث علمًا ضروريًّا)** ويفيد قطعًا بأنه ظهر علىٰ يديه ﷺ من خوارق العادات شيء كثير، مع أن كثيرًا من المعجزات النبوية قد اشتهر [وانتشر] ورواه العدد الكثير والجم والغفير، وأفاد الكثيرُ منه القطعَ عند أهل العلم بالآثار والعناية بالسِّيَر والأخبار، وإن لم يصل عند غيرهم إلىٰ هذه المرتبة؛ لعدم عنايتهم بذلك، فلو ادَّعىٰ مدَّعٍ أن غالب هذه الوقائع يفيد القطع النظريَّ لَما كان مستبعَدًا، وذلك لأنه لا مِرية أن رواة الأخبار في كل طبقة قد حدَّثوا بهذه الأخبار في الجملة، ولا يُحفَظ عن أحد من الصحابة [ولا مَن بعدهم] مخالفة الراوي فيما حكاه من ذلك، ولا إنكار عليه فيما هنالك فيكون الساكت منهم كالناطق؛ لأن مجموعهم محفوظ عن الإغضاء علىٰ الباطل، وعلىٰ تقدير أنه يوجد من بعضهم إنكار أو طعن علىٰ بعض مَن روىٰ شيئًا من ذلك فإنما هو من جهة توقُّف في صدق الراوي أو تهمته بكذب أو توقُّف في ضبطه أو نسبته إلىٰ سوء الحفظ أو جواز الغلط، ولا يوجد أحد منهم طعن في المرويِّ كما وُجد منهم في غير هذا الفن من الأحكام [والآداب] وحروف القرآن ونحو ذلك. والله أعلم.

(ثم لا يُتمارَىٰ في تواتُر القرآن، وهو المعجزة الكبرىٰ الباقية بين الخلق، وليس لنبي معجزة باقية سواه ﷺ**)** اعلم[2] أن وجوه إعجاز القرآن لا تنحصر، ولكن قرَّر فيه بعضهم علىٰ ستة أوجه:

---

(١) فتح الباري لابن حجر ٦/ ٦٧٣ - ٦٧٤.

(٢) المواهب اللدنية ٢/ ١٩٨ - ٢٠٢ نقلا عن النكت والعيون للماوردي ١/ ٣٠ - ٣٣ والشفا لعياض ١/ ٢٥٨ - ٢٨٠. وانظر: الإتقان للسيوطي ص ٦٤٥ - ٦٥٩.

أحدها: أن وجه إعجازه هو الإيجاز والبلاغة، مثل قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩] فجمع في كلمتين عدد حروفهما عشرة أحرف معاني كلام كثير، وحكىٰ أبو عبيد أن أعرابيًّا سمع رجلاً يقرأ ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤] فسجد وقال: سجدت لفصاحة هذا الكلام. وسمع آخر رجلاً يقرأ ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا﴾ [يوسف: ٨٠] فقال: أشهد أن مخلوقًا لا يقدر علىٰ مثل هذا الكلام. ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ [القصص: ٧] فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين.

والثاني: أن إعجازه هو الوصف الذي صار به خارجًا عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخُطَب والشعر والرَّجَز والسجع، فلا يدخل في شيء منها ولا يختلط بها مع كون ألفاظه وحروفه من جنس كلام العرب ومستعملة في نظمهم ونثرهم، ولذلك تحيَّرت عقولهم وتدلَّهت أحلامهم ولم يهتدوا إلىٰ مثله في جنس كلامهم.

الثالث: أن وجه إعجازه هو أن قارئه لا يملُّه، وسامعه لا يمجُّه، بل الإكباب علىٰ تلاوته تزيده حلاوة [وترديده] يوجب له محبةً وطلاوة، ولا يزال غضًّا رطبًا، وغيره من الكلام ولو بلغ ما بلغ في الحسن والبلاغة يُمَلُّ من ترديده، ويعادَىٰ إذا أعيدَ.

الرابع: أن وجه إعجازه هو ما فيه من الإخبار بما كان ممَّا علموه ومما لم يعلموه، فإذا سألوا عنه عرفوا صحته وتحقَّقوا صِدقه.

الخامس: أن وجه إعجازه هو ما فيه من علم الغيب والإخبار بما يكون فيوجد علىٰ صدقه وصحته.

السادس: أن وجه إعجازه هو كونه جامعًا لعلوم كثيرة لم يتعاطَ العرب

الكلامَ فيها، ولا يحيط بها من علماء الأمم واحد منهم، ولا يشتمل عليها كتاب.

فهذه ستة أوجه، يصح أن يكون كل واحد منها إعجازًا، فإذا جمعها القرآن فليس اختصاص أحدها بأن يكون معجزًا بأَولىٰ من غيره، فيكون الإعجاز بجميعها.

(إذ تحدَّىٰ بها رسولُ الله ﷺ بلغاء الخلق وفصحاء العرب، وجزيرة العرب حينئذٍ مملوءة بالآلاف منهم، والفصاحة صنعتهم، وبها منافستهم ومباهاتهم) أي مفاخرتهم مع توفُّر دواعيهم **(وكان ينادي بين أظهُرهم أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة من مثله إن شكُّوا، وقال لهم: ﴿لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾)** [الإسراء: ٨٨] أي معينًا ومساعدًا **(وقال ذلك تعجيزًا لهم، فعجزوا عن ذلك)** أي عن الإتيان بشيء منه **(وصُرفوا عنه)** ونكلوا. قال[١] بعض العلماء: إن الذي أورده ﷺ علىٰ العرب من الكلام الذي أعجزهم عن الإتيان بمثله أعجبُ في الآية وأوضح في الدلالة من إحياء الموتىٰ وإبراء الأكمه والأبرص؛ لأنه أتىٰ أهلَ البلاغة وأرباب الفصاحة ورؤساء البيان والمتقدمين في اللسان بكلام مفهوم المعنىٰ عندهم، فكان عجزهم عنه أعجب من عجز مَن شاهد المسيح عن إحياء الموتىٰ؛ لأنهم لم يكونوا يطمعون فيه ولا في إبراء الأكمه والأبرص ولا يتعاطون علمه، وقريش كانت تتعاطىٰ الكلامَ الفصيح والبلاغة والخطابة، فدل علىٰ أن العجز عنه إنما كان ليصير عَلَمًا علىٰ رسالته وصحة نبوته، وهذه حجة قاطعة وبرهان واضح. وقال أبو سليمان الخطابي: وقد كان النبي ﷺ من عقلاء الرجال عند أهل زمانه، بل هو أعقل خلق الله تعالىٰ علىٰ الإطلاق، وقد قطع القول فيما أخبر به عن ربِّه بأنهم لا يأتون بمثل ما تحدَّاهم به فقال: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ [البقرة: ٢٤] فلولا علمه بأن ذلك من عند الله علَّام الغيوب وأنه لا يقع فيما أخبر عنه خُلفٌ وإلا لم يأذن له عقله في أن يقطع القول في شيء بأنه لا يكون وهو [بعرض أن] يكون. ا.هـ.

---

(١) الاعتقاد للبيهقي ص ٣٥٠، ٣٥٥ - ٣٥٦.

وهذا[(١)] أحسن ما يقال في هذا المجال وأبدعه وأكمله، فإنه نادىٰ عليهم بالعجز قبل المعارضة، وبالتقصير قبل بلوغ الغرض في المناقضة، صارخًا بهم علىٰ رؤوس الأشهاد، فلم يستطع أحد منهم الإلمام به، مع توفُّر الدواعي وتظاهُر الاجتهاد **(حتىٰ عرَّضوا أنفسهم)** الأبيَّة ورضيت هِمَمهم السَّرِيَّة **(للقتل)** وسفك الدماء **(و)** عرَّضوا **(نساءهم وذراريهم للسبي)** والهتك **(وما استطاعوا أن يعارضوا)** شيئًا منه **(ولا أن يقدحوا في جزالته وحسنه)** وقد ورد من الأخبار في قراءة النبي ﷺ بعض ما نزل عليه علىٰ المشركين الذين كانوا من أهل الفصاحة والبلاغة وإقرارهم بإعجازه جمل كثيرة، فمنها ما ورد عن محمد بن كعب القرظي قال: حُدِّثت أن عتبة بن ربيعة قال ذات يوم وهو جالس في نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس وحده في المسجد: يا معشر قريش، ألا أقوم إلىٰ هذا فأعرض عليه أمورًا لعله أن يقبل بعضها منا ويكفَّ عنا. قالوا: بلىٰ يا أبا الوليد. فقام عتبة حتىٰ جلس إلىٰ رسول الله ﷺ ... فذكر الحديث فيما قاله عتبة وفيما عرض عليه من المال وغير ذلك، فلما فرغ قال رسول الله ﷺ: «أفرغتَ يا أبا الوليد»؟ قال: نعم. قال: «فاسمع مني». قال: أفعلُ. فقال ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حمٓ ① تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ②﴾ حتىٰ بلغ ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [فصلت: ١ - ٣] فمضىٰ رسول الله ﷺ يقرؤها عليه، فلما سمعها عتبة أنصت لها وألقىٰ بيديه خلف ظهره معتمدًا عليهما يستمع منه حتىٰ انتهىٰ رسول الله ﷺ إلىٰ السجدة فسجد فيها، ثم قال: «سمعتَ يا أبا الوليد»؟ قال: سمعتُ. قال: «فأنت وذاك». فقام عتبة إلىٰ أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم عتبة بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: إني واللهِ قد سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط، واللهِ ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة، يا معشر قريش، أطيعوني، خلُّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، فواللهِ ليكونن لقوله الذي سمعتُ نبأ، وقد أجابني بشيء

---

(١) المواهب اللدنية ص ١٩٦ - ١٩٨.

والله ما هو بسحر ولا بشعر ولا كهانة، قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ حتىٰ بلغ ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۝١٣﴾ [فصلت: ١ - ١٣] فأمسكت فمه وناشدته الرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمدًا إذا قال شيئًا لم يكذب، فخِفتُ أن ينزل بكم العذاب. رواه البيهقي[١].

وروىٰ مسلم[٢] والبيهقي في الدلائل[٣] من حديث إسلام أبي ذر ووصف أخاه أنيسًا فقال: والله ما سمعت بأشعر من أخي أنيس، لقد ناقض اثنىٰ عشر شاعرًا في الجاهلية أنا أحدهم، وأنه انطلق إلىٰ مكة وجاء إلىٰ أبي ذر بخبر النبي ﷺ، فقلت: وما يقول الناس؟ قال: يقولون: شاعر كاهن ساحر، لقد سمعتُ قول الكهنة فما هو بقولهم، وقد وضعته علىٰ أقراء الشعر فلم يلتئم، ولا يلتئم علىٰ لسان أحد بعدي أنه شعر، وإنه لَصادقٌ، وإنهم لكاذبون.

وروىٰ ابن إسحاق في السيرة[٤] والبيهقي في الدلائل[٥] عن عكرمة في قصة الوليد بن المغيرة - وكان زعيم قريش في الفصاحة - أنه قال للنبي ﷺ: اقرأْ عليَّ. فقرأ عليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠] إلىٰ آخر الآية، قال: أَعِدْ. فأعاد، فقال: والله إن له لَحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وما يقول هذا بشر ... الحديث.

---

(١) دلائل النبوة ٢/ ٢٠٣ - ٢٠٥. وفيه بعد قوله (تبأ): «فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر علىٰ العرب فملكه ملككم وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به. قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه. فقال: هذا رأيي لكم، فاصنعوا ما بدا لكم». أما قوله (وقد أجابني ...) الخ فقد رواه من حديث جابر قبل حديث محمد بن كعب. والقصة في سيرة ابن هشام ١/ ٣٢٢ - ٣٢٤.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ١١٥٤ - ١١٥٦.

(٣) دلائل النبوة ٢/ ٢٠٨ - ٢١٢.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٣٠٢ - ٣٠٣، وليس فيه كلام الوليد مع النبي ﷺ. وفيه: «والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق - أو لغدق - وإن فرعه لجناة».

(٥) دلائل النبوة ٢/ ١٩٨ - ٢٠٠.

وأخرج أبو نعيم[١] من طريق ابن إسحاق: حدثني إسحاق بن يسار عن رجل من بني سلمة قال: لما أسلم فتيان بني سلمة قال عمرو بن الجموح لابنه: أخبِرْني ما سمعتَ من كلام هذا الرجل. فقرأ عليه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ إلىٰ قوله: ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٢ - ٦] فقال: ما أحسن هذا وأجمله! أوَ كل كلامه مثل هذا؟ قال: يا أبتِ، وأحسن من هذا.

(ثم انتشر ذلك بعده في أقطار العالَم شرقًا وغربًا قرنًا بعد قرن وعصرًا بعد عصر، وقد انقرض اليوم قريب من خمسمائة سنة) فإنَّ تأليفه لهذا الكتاب كان قبل دخول القرن السادس، وهذا علىٰ أن المراد بالقرن مائة سنة، ومنهم من قال: القرن خمس وسبعون، علىٰ ما نقله صاحب القوت[٢] **(فلم يقدر أحد علىٰ معارضته)** بلىٰ، قد[٣] رامَ قومٌ من أهل الزيغ والإلحاد أوتوا طرفًا من البلاغة وحظًّا من البيان أن يصنعوا شيئًا يعارضون به القرآن، فلما وجدوه مكان النجم من يد المتناوِل مالوا إلىٰ السور القِصار كسورة الكوثر والنصر وأشباههما؛ لوقوع الشبهة علىٰ الجُهَّال لقلة عدد حروفه؛ لأن العجز إنما يقع في التأليف والاتصال. وممَّن رامَ ذلك من العرب بالتشبُّه بالسور القصار مسيلمة الكذاب فقال: يا ضفدع، نِقِّي كم تنقِّين، أعلاكِ في الماء، وأسفلك في الطين، لا الماء تكدِّرين، ولا الشُّرَّاب تمنعين. فلما سمع أبو بكر ﷺ هذا قال: إنه لَكلامٌ لم يخرج من إل. أي من ربوبية. وقال

---

(١) دلائل النبوة ص ٣١١.

(٢) قوت القلوب ٣/ ١٣١٢، ونصه: «قال بعض أهل التفسير في قوله تعالىٰ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩﴾: لتركبن في كل قرن في طبقة من الناس وعلىٰ حال لم يكونوا عليه. وأكثر ما قيل في القرن: مائة سنة، وأقل ما قيل فيه: أربعون، وأوسط ذلك وأعدله وأشبهه بحمل الأحاديث والأخبار فيه أن القرن سبعون سنة، وهو قول علي ﷺ؛ لأن رأس المائتين تمام ثلاثة قرون من المبعث، ونحن الآن في القرن السادس من أول سنة أربعين وثلاثمائة وآخره سنة عشر وأربعمائة».

(٣) المواهب اللدنية ص ١٩٩.

أيضًا في معارضة والنازعات: والباذرات[1] زرعًا، والحاصدات حصدًا، والذاريات قمحًا، والطاحنات طحنًا، والحافرات حفرًا، والثاردات ثردًا، واللاقمات لقمًا، لقد فُضِّلتم علىٰ أهل الوبر، وما سبقكم أهل المَدَر. وقال أيضًا: ألم ترَ كيف فعل ربك بالحبلىٰ، أخرج من بطنها نَسَمة تسعىٰ، من بين شراسيف وأحشا. وقال أيضًا: الفيل، وما الفيل، وما أدراك ما الفيل، له ذَنَب وثيل، ومشفر طويل، وإن ذلك من خَلق ربنا لَقليل. وغير ذلك من الهذيان، ففيها مع قلة الحروف من السخافة ما لا خفاء به علىٰ من لا يعلم فضلاً عمَّن يعلم[2]. وحُكي[3] عن يحيىٰ بن حكيم الغَزَّال - وكان بليغ الأندلس في زمانه - أنه قد رامَ شيئًا من هذا، فنظر في سورة الإخلاص ليحذو علىٰ مثالها وينسج بزعمه علىٰ منوالها، فاعترته منه خشية ورقَّة حملته علىٰ التوبة والإنابة. وحُكي أيضًا أن ابن المقفَّع - وكان من أفصح أهل وقته - طلب ذلك ورامَه، ونظم كلامًا فجعله مفصَّلاً وسمَّاه سورًا، فاجتاز يومًا بصبي يقرأ في المكتب قوله تعالىٰ: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ الآية [هود: ٤٤] فرجع ومحا ما عمل وقال: أشهد أن هذا لا يعارَض أبدًا، وما هو من كلام البشر.

(فأعظم بغباوة) أي جهل (مَن ينظر) بعين البصيرة (في أحواله) ﷺ (ثم في أقواله ثم في أفعاله ثم في أخلاقه) وسجيَّاته وشمائله (ثم في معجزاته) الكثيرة المشهورة (ثم في استمرار شرعه إلىٰ الآن ثم في انتشاره) وظهوره (في أقطار العالَم) شرقًا وغربًا (ثم في إذعان ملوك الأرض له) مع ما جُبلوا عليه من الترفُّع وعدم لِين الجانب (في عصره) ﷺ (وبعد عصره مع ضعفه) أي قلة شوكته (ويُتْمه) وأمِّيَّته (ثم يتمارَىٰ بعد ذلك في صدقه) فيما يقول (وما أعظم توفيق مَن آمن به وصدَّقه)

---

(١) في المواهب: والزارعات.

(٢) انظر: إعجاز القرآن للباقلاني ص ١٥٦ - ١٥٨. تفسير ابن كثير ٤/ ٢٥٥.

(٣) الشفا لعياض ١/ ٢٧٥.

فيما جاء به (**واتَّبعه**) أي سيرته وطريقته (**في كل ورد وصدر**) وفي كل صفو وكدر (**فنسأل الله تعالىٰ أن يوفِّقنا للاقتداء به**) والتأسِّي بطريقته (**في الأخلاق**) الموهوبة من ربه (**والأفعال والأحوال والأقوال بمَنِّه**) تعالىٰ وكرمه (**وسعة جوده**) وفضله (**إنه**) تعالىٰ (**سميع**) النداء (**مجيب**) لمَن دعا.

وهذا آخر كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة. تم بحمد الله تعالىٰ وحُسن توفيقه نصف الكتاب.

حمدتُ الله ربي إذ هداني لِما أبديتُ مع عجزي وضعفي
ومَن لي بالخطأ فأرد عنه ومَن لي بالقبول ولو بحرف

فرغ من تحرير هذا مسوِّدُه العبد العاجز أبو الفيض محمد مرتضىٰ بن محمد الحسيني، غفر الله زلله، وأصلح خلله، وتقبَّل عمله، وبلَّغه أملَه، في ليلة الثلاثاء ثالث ساعة منها سلخ ذي القعدة الحرام ختام سنة ١١٩٩، حامدًا لله ومصلِّيًا ومسلِّمًا ومستغفرًا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ويتلوه شرح عجائب القلب.

فهرس كتاب أداب المعيشة وأخلاق النبوة

٢٠ - كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة

كتاب شرح عجائب القلب

- بيان معنىٰ النفس والروح والقلب والعقل
- بيان جنود القلب
- بيان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة
- بيان خاصِّية قلب الإنسان
- بيان مَجامِع أوصاف القلب وأمثاله
- بيان أمثال القلب بالإضافة إلىٰ العلوم خاصةً
- بيان حال القلب بالإضافة إلىٰ أقسام العلوم العقلية والدينية والدنيوية والأخروية
- بيان الفرق بين الإلهام والتعلُّم، والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النُّظَّار
- بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس
- بيان شواهد الشرع علىٰ صحة طريق أهل التصوف في اكتساب المعرفة لا من التعلُّم، ولا من الطريق المعتاد
- بيان تسلُّط الشيطان علىٰ القلب بالوسواس
- بيان تفصيل مداخل الشيطان إلىٰ القلب

٢١ - كتاب شرح عجائب القلب (١)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلىٰ الله علىٰ سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا.

الحمد لله الذي نوَّر قلوبَ أوليائه فأشرقت بنور اليقين، وملأها من معرفته ومحبته فهاموا في عجائبها ووردوا من مناهلها أصفىٰ مَعين، وأورثهم التفكُّرَ والتأمل في غرائب مصنوعاته الدالَّة علىٰ قيُّوميَّته وأشهدهم معارجَ التمكين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، دَيَّان يوم الدين، شهادة إخلاص ويقين، لا قلادة تقليد وتلقين، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدًا عبده ورسوله، السيد الأمين، خاتم زُمرة الأنبياء والمرسلين، الذي جاء بالدين القويم والهَدْي الواضح المبين، وأُيِّد بالمعجزات الظاهرة البراهين، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله الأكرمين الأطهرين، وأصحابه السادة المتقين، وعلىٰ التابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

وبعد، فهذا شرح كتاب عجائب القلب، وهو الأول من الربع الثالث الموسوم بالمهلكات، صنَّفه الإمام الأوحد الرَّبَّانىٰ والقطب الكامل الصمداني، حجة الإسلام، عَلَم الأئمة الأعلام، السالك سبيل الحق السوي العالي أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، تغمَّده الله بواسع رحمته، وأسكنه فسيح جنَّته.

(١) انظر الكلام عن القلب والروح والنفس في: قوت القلوب ١/ ٣٢١ - ٣٦٢. عوارف المعارف ص ٣٠٧ - ٣٣٠.

كشفتُ فيه عن مخدِّرات ألفاظه ومعانيه، وبيَّنت غوامضه المستكنَّة في مدارج مبانيه، علىٰ وجه يحصِّل به مُعانيه ما يبتغيه من مثالثه ومثانيه. وقد وفَّق الله جلَّت نعماؤه وتقدَّست أسماؤه إلىٰ شرح النصف الأول من هذا الكتاب، وأرشد الآن إلىٰ خدمة نصفه الباقي بلا ارتياب، باذلاً في ذلك جهد الاستطاعة، معترفًا بقلة البضاعة، والتقصير عن شأو أهل البراعة، والعجز عن كثير من مقتضيات الصناعة، سائلاً من الله الكريم أن يفتح عليَّ وعلىٰ مَن عني بخدمته أو مطالعته باب الفهم، وأن يرشدنا إلىٰ الصواب المخلِّص من الوهم، وأن يجعل لنا في مقاصد الخيرات أوفر سهم، ضارعًا إليه في الإمداد بالتوفيق والسداد، وهو الكافي الكفيل، وهو حسبي ونِعم الوكيل.

قال المصنِّف رحمه الله تعالىٰ: (**بسم الله الرحمن الرحيم**) تيمُّنًا باسمه الكريم، واقتداءً بالكتاب العظيم (**الحمد لله الذي تتحيَّر دون إدراك جلاله**) أي عظمته (**القلوبُ والخواطر**) جمع خاطر، وهو[1] من الصفات الغالبة: اسم لِما يتحرك في القلب من رأي أو معنىٰ، وقد يسمَّىٰ محله باسم ذلك. والإدراك هو بلوغ أقصىٰ غاية الشيء وإحاطته بكماله. والمعنىٰ: لا تطيق القلوب والخواطر الواردة عليها الإحاطة به لعِظَم قدْره وفخامة شأنه، فتقف دونها وقوف المتحيِّر الذي لا يهتدي للصواب لإشكال الأمر عليه (**وتدهَش**) وهو من باب علم، وأصل[2] الدهشة: ذهاب العقل إما حياءً أو خوفًا (**في مبادئ**) أي أوائل (**إشراق**) أي إضاءة (**أنواره**) أي أنوار وارداته التي تَرِدُ علىٰ القلب (**الأحداقُ والنواظر**) الأحداق جمع حَدَقة، محرَّكة، وهي من العين سوادها. والنواظر جمع الناظر وهو[3] السواد الأصغر من العين الذي يبصر به الإنسان [شخصه]. أشار المصنف بهاتين الجملتين إلىٰ أن

---

(١) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف ص ١٥١.

(٢) المصباح المنير ص ٢٠٢.

(٣) السابق ص ٦١٢.

نهاية[١] معرفة العارفين بالله تعالىٰ عجزهم عن المعرفة ومعرفتهم بالحقيقة وهي أنهم لا يمكنهم معرفته، وأنه يستحيل أن يعرف الله المعرفة الحقيقية المحيطة بكُنْه صفات الربوبية إلا الله تعالىٰ، وأنه لا يحظىٰ مخلوق من ملاحظة ذاته إلا بالحيرة والدهشة، وقد خص الحيرة بالقلوب والدهش بالنواظر إشارة إلىٰ أن كلاً من المسلكين بابهما مسدود علىٰ السالك بهما، وإنما يكون الاتساع في معرفة أسمائه وصفاته. وقد تقدم البحث في ذلك عند قوله ﷺ: «لا أحصي ثناءً عليك» **(المطَّلِع)** بتشديد الطاء وكسر اللام، أي المشرف **(علىٰ خفيَّات الأسرار)** أي خواطر النفس **(العالِم بمكنونات الضمائر)** أي ما تكنُّه وتخفيه **(المستغني)** لقيامه بنفسه **(في تدبير مُلْكه)** في عالمَي الغيب والشهادة **(عن المُشاوَر[٢])** أي من يتشاور معه **(والمؤازِر)**: من يعينه ويحمل عنه وزره، أي ثقله ومؤنته؛ لأنه تعالىٰ واجب الوجود بنفسه، لا تعلُّق له بغيره لا في ذاته ولا في صفاته، بل هو منزَّه عن العلاقة مع الأغيار، مستغنٍ عن المشاورة والمعاضدة بالأنصار **(مقلِّب القلوب)** أي مصرِّفها كيف يشاء **(وغفار الذنوب)** حقيرها وجليلها **(وستَّار العيوب)** يُستعمَل العيب اسمًا، ويُجمع علىٰ: العيوب، وهو كل ما يُعاب الإنسان علىٰ فعله ويُلام **(ومفرِّج الكروب)** أي كاشفها، وأصل الكرب: الغم والضِّيق **(والصلاة)** الكاملة التامة **(علىٰ)** سيدنا ومولانا محمد **(سيد المرسلين)** أي رئيسهم وأفضلهم **(وجامع شمل الدين)** أي جامع ما تفرَّق من أمره؛ لأنه بُعث والناس في جاهلية جهلاء، قد تناسوا أمور الدين، ورغبوا إلىٰ عبادة الكواكب والأصنام، فهداهم بنور رسالته، وأخذ بنواصيهم إلىٰ دين الحق **(وقاطع دابر[٣] الملحدين)** أي الطاعنين في الدين والمجادلين أي المحاربين فيه من طوائف اليهود والنصارىٰ والمشركين، فلم يبقَ منهم أحد إلا وقد دخل في الدين ولحق بزمرة الموحِّدين، قيل: والملحدون بعد زمانه ﷺ هم

(١) المقصد الأسنىٰ للغزالي ص ٥٤.

(٢) بفتح الواو. لا غير.

(٣) في المنهاج ٥/ ٩ دوابر. وإن صحت دوابر، ولكن الالتزام بنص الزبيدي واجب مقدم في الجملة.

الباطنية الذين أحالوا الشريعة وتأوَّلوا بما يخالف العربيةَ التي نزل بها القرآن[١]. وبين الجمع والقطع حُسن المقابلة (**وعلىٰ آله الطيبين الطاهرين**) وهم أهله وذوو قرابته، ويطلق أيضًا علىٰ الأتباع لطريقته، فدخل فيهم أصحابه، وذهب الكسائي إلىٰ منع إضافة «آل» إلىٰ المضمَر، فلا يقال: آله، بل: أهله؛ ونقله البَطَلْيوسي في كتابه الاقتضاب[٢]، وهو أول من قال ذلك، وتبعه النحاس[٣] والزبيدي[٤]، وليس بصحيح؛ إذ لا قياس يعضُده، ولا سماع يؤيده. قاله صاحب المصباح[٥] (**وسلم كثيرًا**) وحكم إفراد الصلاة عن السلام تقدم البحث فيه في أول كتاب العلم.

(**أما بعد، فشرف الإنسان وفضيلته التي فاقَ بها جملة من أصناف الخلق**) إنما هو (**باستعداده**) أي طلب تأهبُّه بالقوة القريبة أو البعيدة (**لمعرفة الله سبحانه التي هي في الدنيا جماله**) أي زينته (**وكماله وفخره، وفي الآخرة**) هي (**عدَّته**) أي يعتدُّ بها (**وذُخره**) وقد دندن العارفون بالله حول هذه المعرفة، فرُوي عن مالك بن دينار أنه قال: خرج أهل الدنيا من الدنيا ولم يذوقوا أطيب شيء فيها. قالوا: وما

---

(١) عبارة الفيومي في المصباح المنير ص ٥٥٠: «قال بعض الأئمة: والملحدون في زماننا هم الباطنية الذين يدّعون أن للقرآن ظاهرا وباطنا وأنهم يعلمون الباطن، فأحالوا بذلك الشريعة؛ لأنهم تأولوا بما يخالف العربية التي نزل بها القرآن».

(٢) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن السيد البطليوسي ١/ ٣٥ (ط - دار الكتب المصرية).

(٣) إعراب القرآن ص ٤٠، ونصه: «قال الكسائي: إنما يقال: آل فلان وآل فلانة، ولا يقال في البلدان، لا يقال: هو من آل حمص ولا من آل المدينة، وإنما يقال في الرئيس الأعظم نحو آل محمد ﷺ: أهل دينه وأتباعه، وآل فرعون؛ لأنه رئيسهم في الضلالة. قال أبو جعفر النحاس: الأصل في آل: أهل، ثم أبدل من الهاء ألف، فإن صغرت رددته إلىٰ أصله فقلت: أُهَيل».

(٤) لحن العوام لأبي بكر الزبيدي ص ٧١ - ٧٣ (ط - مكتبة الخانجي)، ونصه: «ويقولون: اللهم صل علىٰ محمد وآله. وقد رد ذلك أبو جعفر النحاس وزعم أن العرب لا تستعمل إضافة آل إلا إلىٰ المظهر خاصة، وأنها لا تضاف إلىٰ مضمر. والصواب: اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد ... ولم نره مضافا إلىٰ مضمر لمن يوثق بعربيته».

(٥) المصباح المنير ص ٢٩.

هو يا أبا يحيىٰ؟ قال: معرفة الله عَزَّوَجَلَّ. رواه أبو نعيم في الحلية[١] من طريق سليمان الخَوَّاص. وقيل: لذي النون المصري رحمه الله تعالىٰ وقد أشرف علىٰ الموت: ماذا تشتهي؟ فقال: أن أعرفه قبل أن أموت ولو بلحظة[٢] **(وإنما استعدَّ للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه، فالقلب)** الذي هو لطيفة ربَّانية، علىٰ ما سيأتي بيانه قريبًا للمصنف **(هو العالِم بالله، وهو العامل لله، وهو الساعي إلىٰ الله، وهو المتقرِّب إليه، وهو المكاشَف بما عند الله ولديه، وإنما الجوارح)** الظاهرة في الحقيقة **(أتباع وخدم وآلات)** أي بمنزلة هؤلاء **(يستخدمها القلب ويستعملها استعمال الملك للعبيد)** فهم لا يخالفونه **(و)** يستخدمها **(استخدام الراعي للرعية و)** استخدام **(الصانع للآلة، فالقلب هو المقبول عند الله)** إذ هو محل نظره **(إذا سَلِمَ من غير الله)** بأن يُصان من تطرُّق خيال السوىٰ إليه **(وهو المحجوب عن الله إذا صار مستغرقًا بغير الله)** ومن المعلوم أن المستغرق في شيء ينصرف نظرُه عن سواه، فلا يتوارد الاشتغالان علىٰ مورد واحد بحسب الكمال **(وهو المطالَب، وهو المخاطَب، وهو المعاتَب، وهو المعاقَب[٣]، وهو الذي يسعد)** ويبقىٰ **(بالقرب من الله تعالىٰ فيفلح إذا زكَّاه)** أي طهَّره من دَنَس الأغيار **(وهو الذي يخيب ويشقىٰ إذا دنَّسه ودَسَّاه)** أي أخفاه[٤]، والأصل: دسسه. أشار بذلك إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٩ - ١٠] **(وهو المطيع)** المتخاشع **(بالحقيقة لله، وإنما الذي ينتشر علىٰ الجوارح من العبادات أنواره)** وتجلِّياته وارداته **(وهو العاصي المتمرد علىٰ الله، وإنما الساري إلىٰ الأعضاء من الفواحش)** والمعاصي **(آثاره وبإظلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساويه؛ إذ كل إناء يترشَّح[٥] بما**

(١) حلية الأولياء ٢/ ٣٥٨.

(٢) تقدم هذا الأثر في كتاب الصوم.

(٣) نص الزبيدي.

(٤) و دساه بمعنىٰ: أغواه أو أضله. وانظر: الطبري ٢٤/ ٤٤. والبحر المحيط ١٠/ ٤٨٩ ط دار الفكر

(٥) في غير الزبيدي: ينضح. وكأنها الأصوب.

فيه) وهو من الأقوال المشهورة على الألسنة[١]، ويُروَى: كل إناء بما فيه يطفح **(وهو الذي إذا عرفه الإنسان فقد عرف نفسه، وإذا عرف نفسه فقد عرف ربَّه)** معرفة تليق بمقام العارف، وهذا[٢] القول يُحكَى عن يحيى بن معاذ الرازي، يعني من قوله؛ كذا قاله أبو المظفر بن السمعاني[٣]، وكذا قال النوو: إنه لا يُعرَف مرفوعًا، وقيل في تأويله: مَن عرف نفسه بالحدوث عرف ربَّه بالقِدَم، ومَن عرف نفسه بالفناء عرف ربه بالبقاء[٤] **(وهو الذي إذا جهله الإنسان فقد جهل نفسه، وإذا جهل نفسه فقد جهل ربه، ومَن جهل قلبه فهو بغيره أجهلُ)** ضرورةً؛ إذ منشأ أصل المعرفة هو القلب، فمَن لم يعرفه لم يذُقْ أصل المعرفة فلا يهتدي لمعرفة غيره بطريق الأَولى **(وأكثر الخلق)** إذا تأملتَ حالهم **(جاهلون بقلوبهم وأنفسهم، وقد حِيلَ بينهم وبين أنفسهم)** فحُجبوا عن إدراك سرِّها **(و)** إليه الإشارة بقول الله تعالى: واعلموا[٥] **(أن الله يحول بين المرء وقلبه، وحيلولته بأن يمنعه عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقلُّبه بين أصبعين من أصابع الرحمن)** تقدم الكلام عليه في قواعد العقائد، ومن ذلك تقلُّبه في اليوم سبع مرات، كما رواه البيهقي[٦] من حديث أبي عبيدة بن الجرَّاح **(وأنه كيف يهوي مرة إلى أسفل السافلين وينخفض إلى أفق الشياطين، وكيف يرتفع)** مرة **(أخرى إلى أعلى عِلِّيين ويرتقي إلى عالَم الملائكة المقرَّبين)** وانخفاضه وارتفاعه إنما هو بالاتصاف بما لكلٍّ من الدرجتين من الأوصاف الذميمة والحميدة، فإذا استولى عليه الشهوة والغضب التحق بأفق

---

(١) ذكره الميداني في مجمع الأمثال ٢/ ١٦٢. وقال الزمخشري في المستقصى ٢/ ٢٤٨: «يضرب في إفصاح الرجل عما يطبع به، إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر».

(٢) المقاصد الحسنة ص ٤١٩.

(٣) قواطع الأدلة ٢/ ٦٠.

(٤) سيأتي في كتاب التوبة من الإحياء معنى هذا في كلام الغزالي.

(٥) كلمة و«اعلموا» نص الزبيدي لا الغزالي.

(٦) شعب الإيمان ٢/ ٢٠٨ مرفوعًا وموقوفًا بلفظ: «قلب ابن آدم مثل العصفور يتقلب في اليوم سبع مرات».

الشياطين، وإن ملكهما حتىٰ صفا التحق بأفق الملائكة المقرَّبين[١] (**ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصَّد لِما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه فهو ممَّن قال الله تعالىٰ فيه**) أي في حقه: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ﴾ [التوبة: ٦٧] ولما كانت تلك المراقبة عين الفكر جعل تركها نسيانًا، فهذا معنىٰ قوله: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ﴾ وأما نسيان الله لهم فهو تركُ نظرِ الرحمة عليهم، وأشد من ذلك قوله تعالىٰ: (﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ ﴾) [الحشر: ١٩] سمَّاهم فُسَّاقا إذ نسوا الله بعدم مراقبتهم قلوبهم (**فمعرفة القلب وحقيقة أوصافه أصل الدين وأساس طريق السالكين**) إلىٰ مَحَجَّة الطريق، وهذه طريقة سلوك شيخه أبي علي الروذباري أحد أصول طريقة مشايخنا النقشبندية، فإن المراقبة عندهم مع نفي الخواطر أحد الأصول الثلاثة التي عليها مدار سلوكهم[٢] (**وإذ قد فرغنا من الشطر الأول**) أي النصف الأول (**من هذا الكتاب عن النظر فيما يجري علىٰ الجوارح**) للسالك (**من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر**) لتعلُّقه بعالَم المُلك (**ووعدنا أن نشرح في الشطر الثاني ما يجري علىٰ القلوب من الصفات المهلكات والمنجيات وهو العلم الباطن**) لتعلُّقه بعالَم الملكوت (**فلا بد أن نقدِّم عليه كتابين: كتابًا في شرح عجائب صفات القلب وأخلاقه، وكتابًا في كيفية رياضة القلب وتهذيب أخلاقه، ثم نندفع بعد ذلك في تفصيل المهلكات والمنجيات**) كلٌّ منهما في ربع (**فلنذكر الآن من شرح عجائب القلب بطريق ضرب الأمثال ما يقرب من الأفهام**) بسهولة (**فإن التصريح بعجائبه وأسراره الداخلة في جملة عالَم الملكوت ممَّا يكلُّ عن دركه أكثرُ الأفهام**) لعدم إلمامها بهذا العلم (**وبالله التوفيق**) ومنه أستمدُّ العونَ.

---

(١) هذا المعنىٰ ذكره الغزالي في المقصد الأسنىٰ ص ٩٤.

(٢) والأصلان الآخران هما: صحبة الشيخ الكامل والارتباط به، والتزام الوظائف والأوراد.

بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل، وما هو المراد بهذه الأسامي

(اعلمْ أن هذه أربعة أسامٍ تُستعمَل في هذه الأبواب، ويقلُّ في فحول العلماء) أي أكابرهم (من يحيط بمعرفة هذه الأسامي واختلاف معانيها وحدودها ومسمَّياتها) فكل واحد منهم سلك فيها مسالك مختلفة (وأكثر الأغاليط) جمع أُغلوطة، أو جمع غلط علىٰ غير قياس (منشؤها الجهل بمعرفة هذه الأسامي وباشتراكها بين مسمَّيات مختلفة، ونحن نشرح من معاني هذه الأسامي ما يتعلق بغرضنا) في هذا الكتاب:

(فمن ذلك: لفظ «القلب»، وهو يطلق لمعنيين) أي بإزاء معنيين (أحدهما: اللحم الصنوبري الشكل المودَع في الجانب الأيسر من الصدر، وهو لحم مخصوص، وفي باطنه تجويف، وفي ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح ومعدنه) وتحقيقه في كتب التشريح للأطباء، قالوا: هو جسم مخروطي كهيئة الصنوبرة المعكوسة، قاعدته في وسط الصدر، وبها تتصل الرباطات الحافظة للقلب علىٰ وضعه، ورأسه المخروط أسفل إلىٰ اليسار، وهو أحمر رماني مركَّب من اللحم والعصب والغضروف والشرايين النابتة منه والأجوف الواصل إليه من الكبد والروح الحيواني والدم الغذائي والشرياني والغشاء الصُّلبي الذي هو غلافه، وإنما خُلق في وسط الصدر لأنه مبدأ الحياة، لشرفه يجب أن يكون في أحرز المواضع وأكرمها، وأحرزُها تنُّور الصدر؛ إذ العظام المحيطة به سور حصين، والأغشية والعضلات وقاء قوي، والرئة المكتنفة بالقلب فراش وطيء، وهي تمنع من أن تلقاه عظامُ الصدر من قُدَّام، وله بطنان، أحدهما الأيمن، وهو مملوء بالروح الكثير والدم القليل، وهو مَنبت الشرايين من طرف القاعدة كأنه قاعدة لجميع القلب،

وكذا غشاؤه أصلب من سائر الأغشية؛ لأنه عضو شريف ومعدن الروح الحيواني ومنبع الحرارة الغريزية التي هي الحرارة المجففة، وهو أول عضو يتحرك من الحيوان وآخر عضو يسكن منه، وغشاؤه محيط إلا أنه لم يلتزق به بالكلية، بل فيه سعة، وفائدة ذلك أن لا ينعصر القلب إذا تحرك حركة الانبساط، وتجاويفه ثلاثة في الحقيقة، اثنان كبيران، والثالث صغير كائن بين الاثنين، وهو كمنفذ بينهما، وقاعدة التجويف الأيمن أنزلُ قليلاً ليكون طريق الغذاء قصيرًا، وهو أكبر ليسع ما يُدَّخَر فيه من الغذاء أكثر، ولحم جانب اليسار أصلب؛ لأن الروح فيه أكثر من الدم، ودمه رقيق لصلابة لحمه يمنع من ترشُّح الدم وتحلُّل الروح، وقد نبت في طرف القاعدة قطعتان من اللحم الغليظ علىٰ شكل أذنين إحداهما يمنة والأخرىٰ يسرة ممَّا ينفذ النسيم، تتواتران إذا انبسط، وتسترخيان إذا انقبض. هذا ما ذكره الأطباء فيما يتعلق بتشريح القلب.

(**ولسنا نقصد الآن شرح شكله وكيفيته، فلا تتعلق به الأغراض الدينية، وإنما يتعلق بذلك غرض الأطباء**) لإعوازهم إلىٰ معرفة ذلك لأجل معالجة ما يَعرِض عليه (**وهذا القلب موجود للبهائم، بل هو موجود للميت، ونحن إذا أطلقنا لفظ «القلب» في هذا الكتاب لم نعنِ به ذلك**) ولم نقصده (**فإنه قطعة لحم لا قَدْر لها، وهو من عالَم المُلك**) بالضم (**والشهادة**) من المحسوسات الطبيعية (**إذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلاً عن الآدميين**.

والمعنىٰ الثاني) للقلب: (**هو لطيفة ربَّانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني**) الصنوبري المودَع في الجانب الأيسر من الصدر (**تعلُّق**) معنوي (**وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان**) الكمالية، ويسمِّيها الحكيم: النفس الناطقة، والروح باطنه، والنفس الحيوانية مَركبه (**وهو المدرك العالِم العارف من الإنسان، وهو المخاطَب والمعاقَب**[1] **والمطالَب والمعاتَب**) فالمضغة اللحمية من عالَم الخلق، وهذه اللطيفة

---

(١) ليست في نص الزبيدي. وهي في بعض النسخ من الإحياء لأن المعاتب.

من عالَم الأمر (**ولهذه اللطيفة علاقة مع القلب الجسماني، وقد تحيَّرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته، فتعلُّقها به يضاهي تعلُّقَ الأعراض بالأجسام، أو**) تعلق (**الأوصاف بالموصوفات، أو تعلق المستعمِل للآلة بالآلة، أو تعلق المتمكِّن بالمكان**) وقد اختلفوا في ذلك وطوَّلوا البحث فيه (**وشرح ذلك**) بكشف الغطاء عنه (**مما نتوقَّاه**) ونتحرَّج عنه (**لمعنيين، أحدهما: أنه متعلق بعلوم المكاشفة، وليس غرضنا من هذا الكتاب إلا علوم المعاملة**) فلو استطردنا فيه القول خرجنا عن المقصود المهم (**والثاني: أن تحقيقه يستدعي إفشاء سر الروح، وذلك ممَّا لم يتكلم فيه رسول الله ﷺ**) قال العراقي[١]: متفق عليه من حديث ابن مسعود في سؤال اليهود عن الروح، وفيه: فأمسك النبي ﷺ فلم يردَّ عليهم، فعلمتُ أنه يوحَىٰ إليه ... الحديث. وقد تقدم[٢] (**فليس لغيره أن يتكلم فيه**) تأدُّبًا مع رسول الله ﷺ.

(**والمقصود أنَّا إذا أطلقنا لفظ «القلب» في هذا الكتاب أردنا به هذه اللطيفة**) الربَّانية (**وغرضنا ذِكر أوصافها وأحوالها لا ذكر حقيقتها في ذاتها، وعلم المعاملة يفتقر إلىٰ معرفة صفاتها وأحوالها، ولا يفتقر إلىٰ ذكر حقيقتها**) فلذا أضربنا عنه.

(**اللفظ الثاني: الروح. وهو أيضًا يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين، أحدهما: جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني**) قابل لقوة الحس والحركة التي تنبعث من القلب (**وينتشر بواسطة العروق الضوارب**) بسريانه في تجاويفها (**إلىٰ سائر أجزاء البدن**) وأراد[٣] بالعروق الضوارب: الشرايين، ومنبتها هو التجويف الأيسر من القلب، ويخرج من هذا التجويف شريانان، أحدهما صغير غير متضاعف ويسمىٰ: الوريدي، والثاني كبير جدًّا ويسمىٰ: الأبهر، والوريدي يدخل في الرئة وينقسم فيها، فلذلك خُلق رقيقًا غير مضاعَف، وسائر الشرايين

---

(١) المغني ٢/ ٧٠٩.

(٢) في الفصل الثاني من كتاب قواعد العقائد.

(٣) انظر: القانون في الطب لابن سينا ١/ ٨٣ - ٨٤.

خُلقت صلبة مضاعَفة؛ لأنها تحوي جسمًا لطيفًا وهو الروح الحيواني ودمًا حارًّا، وهي دائمة الحركة بسطًا وقبضًا فلم يؤمَن أن تنشقَّ أو يترشَّح منها الروح إن جُعلت طبقة واحدة، والأبهر حين طلوعه تتشعَّب منه شعبتان، إحداهما وهي أصغرهما تصير إلىٰ التجويف الأيمن من تجويفَي القلب، والثانية تستدير حول القلب ثم تدخل إليه وتتفرَّق فيه **(وجريانه في البدن وفيضان أنوار الحياة والحس والسمع والبصر والشم منه علىٰ أعضائه يضاهي فيضانَ النور من السراج الذي يُدار في زوايا البيت)** أي أطرافه **(فإنه لا ينتهي إلىٰ جزء من البيت إلا ويستنير به، فالحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان، والروح مثاله السراج، وسريان الروح وحركته في الباطن مثاله حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محرِّكه، والأطباء إذا أطلقوا «الروح» أرادوا به هذا المعنىٰ، وهو بخار لطيف أنضجته حرارة القلب)** واستطرد الشهاب السهروردي في العوارف إلىٰ هذا البحث مختصرًا وقال: وهذه الروح لسائر الحيوانات، ومنه تفيض قوىٰ الحواس، وهو الذي قوامه بإجراء سنَّة الله تعالىٰ بالغذاء غالبًا، ويتعرف بعلم الطب فيه باعتدال مزاج الأخلاط. ا.هـ. وذكر الحكماء أن الروح: جسم لطيف بخاريٌّ يتولَّد من الدم الوارد علىٰ القلب في البطن الأيسر منه. قالوا: وفائدة وجوده في البدن أن يكون حاملاً للقوىٰ حتىٰ تنتقل وتجول في البدن بتوسُّطه؛ لأن القوىٰ لكونها من الأعراض لا تنتقل بدون المجال، ولذلك صارت أصنافها كأصنافها، فإنَّ الروح إذا تولَّد في القلب يسمىٰ روحًا حيوانيًّا؛ لكونه حاملاً للقوة الحيوانية، فينتقل في الشرايين إلىٰ الأعضاء فيفيدها الحياةَ، وجزء صالح من هذا الروح يصعد إلىٰ الدماغ فيغيِّره إلىٰ مزاج آخر يصير به روحًا نفسانيًّا، أي روحًا صالحًا لأن يكون مَركبًا للقوىٰ النفسانية فتصدر أفعالُها عنه، وجزء ليس بكبير في المقدار من هذا الروح - أي الحيواني - يصير إلىٰ جانب الكبد فيغيِّره تغييرًا يصير به روحًا طبيعيًّا، أي روحًا يستعدُّ لقبول القوىٰ الطبيعية فتصدر أفعالُها عنه **(وليس من غرضنا شرحه؛ إذ المتعلق به غرض الأطباء الذين يعالجون الأبدان)** من أمراضها الظاهرة **(فأما غرض أطباء الدين الذين يعالجون القلوب)**

من أمراضها الباطنة (**حتىٰ تنساق**) بحُسن سيرها (**إلىٰ جوار رب العالمين**) جلَّ جلاله (**فليس يتعلق بشرح هذه الروح أصلاً**.

المعنىٰ الثاني: هو اللطيفة) الربَّانية (**العالِمة المدرِكة من الإنسان، وهو الذي شرحناه في أحد معنيَي القلب**) اعلم[١] أنه قد يُجعل [الروح] اسمًا للنفس لكون النفس بعض الروح، فهو كتسمية النوع باسم الجنس، نحو تسمية الإنسان بالحيوان، وقد يُجعل اسمًا لهذه اللطيفة وهي الجزء الذي تحصل به الحياةُ والتحرك واستجلاب المنافع واستدفاع المَضارِّ (**وهو الذي أراده الله تعالىٰ بقوله**: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾) [الإسراء: ٨٥] وهذه[٢] اللطيفة هي الراكبة علىٰ الروح الحيواني نازل من عالم الأمر (**وهو أمر عجيب رباني يعجز أكثر العقول والأفهام عن درك كُنْه حقيقته**) قد تكون مجرَّدة، وقد تكون منطبعة في البدن.

وقال صاحب العوارف[٣]: وحيث أمسك رسول الله ﷺ عن الإخبار عن الروح وماهيَّته بإذن الله تعالىٰ ووحيه وهو ﷺ معدن العلم وينبوع الحكمة فكيف يسوغ لغيره الخوض فيه والإشارة إليه؟! لا جَرَم لمَّا تقاضت النفس الإنسانية المتطلِّعة إلىٰ الفضول المتشوِّفة إلىٰ المعقول المتحركة بوضعها إلىٰ كل ما أُمِرت بالسكوت فيه والمتشوِّقة بحرصها إلىٰ كل تحقيق وكل تمويه، وأطلقت عنان النظر في مسارح الفكر، وخاضت غمرات [معرفة] ماهية الروح تاهت في التيه، وتنوَّعت آراؤها فيه، ولم يوجد الاختلاف بين أرباب النقل والعقل في شيء كالاختلاف في ماهية الروح، ولو لزمت النفوسُ حدَّها معترفة بعجزها كان ذلك أجدر بها وأَولىٰ، فأما أقاويل من ليس متمسِّكًا بالشرائع فننزِّه الكتاب عن ذكرها؛ لأنها أقوال أبرزتها العقول التي ضلَّت عن الرشاد وطُبعت علىٰ الفساد ولم يُصِبْها نورُ الاهتداء ببركة

---

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب ص ٢٠٥.

(٢) التعريفات للجرجاني ص ١١٧.

(٣) انظر: عوارف المعارف ٢/ ٢٤١ وما بعدها.

متابعة الأنبياء، فهم كما قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾ [الكهف: ١٠١] ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت: ٥] فلما حُجبوا عن الأنبياء لم يسمعوا، وحيث لم يسمعوا لم يهتدوا، فأصرُّوا علىٰ الجهالات، وحُجبوا بالمعقول عن المأمول، والعقل حُجة الله تعالىٰ يهدي به قومًا ويُضِل به آخرين، فلم ننقل أقوالهم في الروح واختلافهم فيه، وأما المتمسِّكون بالشرائع الذين تكلموا في الروح فقوم منهم بطريق الاستدلال والنظر، وقوم منهم بلسان الذوق والوجد لا باستعمال الفكر، حتىٰ تكلم في ذلك مشايخ الصوفية أيضًا، وكان الأولىٰ الإمساك عن ذلك والتأدُّب بأدب النبي ﷺ، وقد قال[1] الجنيد: الروح شيء استأثر الله بعلمه، ولا تجوز العبارة عنه بأكثر من موجود. ولكن نجعل للصادقين لأقوالهم محملاً، ويجوز أن يكون كلامهم في ذلك بمثابة التأويل لكلام الله تعالىٰ والآيات المنزَّلة حيث حُرِّم تفسيره وجُوِّز تأويله؛ إذ لا يسع القول في التفسير إلا نقلاً، وأما التأويل فتمتد العقول إليه بالباع الطويل وهو ذِكرُ ما تحتمل الآيةُ من المعنىٰ من غير القطع بذلك، وإذا كان الأمر كذلك فللقول فيه وجه ومَحمل، قال أبو عبد الله النباجي: الروح جسم يلطف عن الحس، ويكبُر عن اللمس، ولا يعبَّر عنه بأكثر من موجود. وهو وإن منع عن العبارة فقد حكم بأنه جسم [فكأنه عبَّر عنه] وقال ابن عطاء: خلق الله الأرواح قبل الأجساد؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ يعني الأرواح ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ [الأعراف: ١١] يعني الأجساد. وقال بعضهم: الروح لطيف قائم في كثيف كالبصر جوهر لطيف قائم في كثيف. وفي هذا القول نظرٌ. وقال بعضهم: الروح عبارة، والقائم بالأشياء هو الحق. وهذا فيه نظر أيضًا، إلا أن يُحمَل علىٰ معنىٰ الإحياء، فقد قال بعضهم: الإحياء صفة المحيي كالتخليق صفة الخالق.

---

(١) أقوال الجنيد والنباجي وابن عطاء ذكرها الكلاباذي في التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٧٣ - ٧٤.

وقال: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥] وأمرُه: كلامه، وكلامه ليس بمخلوق، أي صار الحي حيًّا بقوله: كنْ حيًّا، وعلىٰ هذا لا يكون الروح معنىً في الجسد، فمن الأقوال ما يدل علىٰ أن قائله يعتقد قِدَم الروح، ومن الأقوال ما يدل علىٰ أن قائله يعتقد حدوثه. ثم إن الناس مختلفون في الروح الذي سُئل رسول الله ﷺ عنه، فقال[1] قوم: هو جبريل. ونُقل عن علي رضي الله عنه أنه قال: هو مَلَك من الملائكة له سبعون ألف وجه، ولكل وجه منها سبعون ألف لسان، ولكل لسان [منها] سبعون ألف لغة، يسبِّح الله بتلك اللغات كلها، ويُخلَق من كل تسبيحة مَلَكٌ يطير مع الملائكة [إلىٰ يوم القيامة] ورُوي عن ابن عباس أن: الروح خلق من خلق الله تعالىٰ، صوَّرهم الله علىٰ صورة بني آدم، وما نزل من السماء مَلَكٌ إلا ومعه واحد من الروح. وقال أبو صالح: الروح كهيئة الإنسان، وليسوا بناس. وقال مجاهد: الروح علىٰ صورة بني آدم، لهم أيدٍ وأرجل ورؤوس، يأكلون الطعام، وليسوا بملائكة. وقال سعيد بن جبير: لم يخلق الله خلقًا أعظم من الروح غير العرش، ولو شاء أن يبتلع السموات والأرضين السبع في لقمة لفعل، صورة خلقه علىٰ صورة الملائكة، وصورة وجهه علىٰ صورة الآدميين، يقوم يوم القيامة عن يمين العرش، والملائكة معه في صف واحد، وهو ممَّن يشفع لأهل التوحيد، ولولا أن بينه وبين الملائكة سترًا من نور لاحترق أهل السموات من نوره. فهذه الأقاويل لا تكون إلا نقلاً وسماعًا بلغهم عن رسول الله ﷺ في ذلك، وإذا كان الروح المسؤول عنه شيئًا من ذلك [المنقول] فهو غير الروح الذي في الجسد، فعلىٰ هذا يسوغ القول في هذا الروح، ولا يكون الكلام فيه ممنوعًا. وقال بعضهم: الروح لطيفة من الله تسري إلىٰ أماكن معروفة، لا يعبَّر عنه بأكثر من موجود بإيجاد غيره. وقال بعضهم: الروح لم يخرج من «كنْ»؛ لأنه لو خرج من «كن» كان عليه الذل. قيل: فمن

---

(١) انظر: الدر المنثور ٩/ ٤٣١ - ٤٣٥. وهذه الأقوال رواها الطبري في جامع البيان ١٥/ ٧١، وأبو الشيخ في العظمة ٣/ ٨٦٣ - ٨٨١، والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/ ٢١٠ - ٢٢٠، والثعلبي في الكشف والبيان ٦/ ١٣٠ - ١٣١.

أيِّ شيء خرج؟ قال: من بين جلاله وجماله سبحانه وتعالىٰ بملاحظة الإشارة، خصَّها بسلامه، وحيَّاها بكلامه، فهيَ معتَقة من ذل «كُنْ». وسُئل أبو سعيد الخَرَّاز عن الروح: أمخلوقة هي؟ قال: نعم، ولولا ذلك ما أقرَّت بالربوبية حيث قالت: بلىٰ. والروح هي التي قام بها البدن واستحقَّ بها اسم الحياة، وبالروح ثبت العقل، وبالروح قامت الحُجة، ولو لم تكن الروح كان العقل معطَّلاً لا حُجة عليه ولا له، وقيل: إنها جوهر مخلوق، ولكنها ألطف المخلوقات وأصفىٰ الجواهر وأبهرها، وبها تُرىٰ المغيَّبات[1]، وبها يكون الكشف لأصل الحقائق، وإذا حُجبت الروح عن مراعاة السر أساءت الجوارح الأدبَ، ولذلك صارت الروح بين تَجَلٍّ واستتار وقابض ونازع. وقيل: الدنيا والآخرة عند الأرواح سواء. وقيل: الأرواح [أقسام: أرواح] تجول في البرزخ وتبصر أحوال الدنيا والملائكة [وتسمع ما] تتحدَّث به في السماء عن أحوال الآدميين، وأرواح تحت العرش، وأرواح طيَّارة إلىٰ الجِنان وإلىٰ حيث شاءت علىٰ أقدارهم من السعي إلىٰ الله أيام الحياة. وروىٰ[2] سعيد بن المسيب عن سلمان قال: أرواح المؤمنين تذهب في برزخ من الأرض حيث شاءت بين السماء والأرض حتىٰ يردَّها الله إلىٰ أجسادها. وقيل: إذا ورد علىٰ الأرواح ميت من الأحياء التقوا وتحدَّثوا وتساءلوا ووكَّل الله بها ملائكة تعرض عليها أعمال الأحياء، حتىٰ إذا عُرض علىٰ الأموات ما يعاقَب به الأحياء في الدنيا من [أجل] الذنوب كان عذر الله ظاهرًا عند الأموات[3]، فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله تعالىٰ، وقد ورد مرفوعًا: «تُعرَض الأعمال يوم الاثنين والخميس علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وتُعرَض علىٰ الأنبياء والآباء والأمَّهات يوم الجمعة، فيفرحون بحسناتهم، وتزداد وجوههم بياضًا وإشراقًا، فاتقوا الله، ولا تؤذوا موتاكم». وفي خبر آخر: «إن أعمالكم تُعرَض علىٰ عشائركم وأقاربكم من الموتىٰ، فإن كان حسنًا استبشروا،

---

(١) في العوارف: وأصفىٰ الجواهر وأنورها وبها تتراءىٰ المغيبات.

(٢) نوادر الأصول للحكيم الترمذي ص ٦٧٠ - ٦٧١.

(٣) في العوارف: قالوا نعتذر إلىٰ الله ظاهرا عنه.

وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم لا تُمِتْهم حتىٰ تهديهم كما هديتنا». وهذه الأخبار والأقوال تدل علىٰ أنها أعيان في الجسد وليست بمعانٍ وأعراض. وقال بعضهم: الروح خُلق من نور العزة، وإبليس خُلق من نار العزة، ولهذا قال: خلقتني من نار وخلقتَه من طين[١]. ولم يدرِ أن النور خير من النار. وقال بعضهم: قرن الله العلم بالروح، فهي للطافتها تنمو بالعلم كما ينمو البدن بالغذاء، وهذا في علم الله؛ لأن علم الخلق قليل لا يبلغ ذلك. والمختار عند أكثر متكلمي الإسلام أن الإنسانية والحيوانية عَرَضانِ خُلقا في الإنسان، والموت يهدمهما، وأن الروح هي الحياة بعينها صار البدن بوجودها حيًّا، وبالإعادة إليه في القيامة يصير حيًّا. وذهب بعضهم إلىٰ أنه جسم لطيف اشتبك بالأجسام الكثيفة اشتباك الماء بالعود الأخضر، وهو اختيار أبي المعالي الجويني، وكثير منهم مال إلىٰ أنه عَرَضٌ، إلا أنه ردَّهم عن ذلك الأخبارُ الدالة علىٰ أنه جسم؛ لِما ورد فيه من العروج والهبوط والتردُّد في البرزخ، فحيث وُصف بأوصاف دل علىٰ أنه جسم؛ لأن العَرَض لا يوصف بأوصاف؛ إذ الوصف معنىٰ، والمعنىٰ لا يقوم بالمعنىٰ. وأصرَّ بعضهم علىٰ أنه عَرَضٌ، سُئل ابن عباس قيل له: أين تذهب الأرواح عند مفارقة الأبدان؟ فقال: أين يذهب ضوء المصباح عند فناء الأدهان؟ قيل له: فأين تذهب الأجسام إذا بليتْ؟ قال: فأين يذهب لحمها إذا مرضت؟ وقال بعض من يُتَّهَم بالعلوم المردودة المفهومة المذمومة ويُنسَب إلىٰ الإسلام: الروح تنفصل عن البدن في جسم لطيف. وقال بعضهم: إنها إذا فارقت البدن تحل معها القوة الوهمية بتوسط النطقية، فتكون حينئذٍ مطالِعة للمعاني والمحسوسات؛ لأن تجرُّدها من هيئات البدن عند المفارقة غير ممكن، وهي عند الموت شاعرة بالموت، وبعد الموت متخيلة نفسها مقبورة، وتتصوَّر جميعَ ما كانت تعتقده حال الحياة، وتحس بالثواب والعقاب في القبر.

(١) رواه أحمد في السنة ص ٤٧٤ وأبو الشيخ في العظمة ٢/ ٧٢٩ عن عكرمة بلفظ: «خلق إبليس من نار العزة، وخلقت الملائكة من نور العزة».

وقال بعضهم: أسلم المقالات أن يقال: الروح شيء مخلوق أجرىٰ الله تعالىٰ العادةَ أن يحيي البدنَ ما دام متصلاً به، وأنه أشرف من الجسد، يذوق الموت بمفارقة الجسد كما أن الجسد بمفارقته يذوق الموت، فإن الكيفية والماهية يتعاشىٰ العقل فيهما كما يتعاشىٰ البصر في شعاع الشمس. ولما رأىٰ المتكلمون أنه يقال لهم: الموجودات محصورة قديم وجسم وجوهر وعَرَض فالروح أيُّهم من هؤلاء؟ فاختار قوم منهم أنه عرض، وقوم منهم أنه جسم لطيف كما ذكرنا، واختار قوم أنه قديم؛ لأنه أمرٌ، والأمر كلام الله، والكلام قديم. فما أحسن الإمساك عن القول فيما هذا سبيله، وكلام الشيخ أبي طالب المكي في كتابه يدل علىٰ أنه يميل إلىٰ أن الأرواح أعيان في الجسد، وهكذا النفوس. والله أعلم.

(**اللفظ الثالث: النفْس. وهو أيضًا مشترَك بين معانٍ، ويتعلق بغرضنا منه معنيان، أحدهما: أنه يُراد به المعنىٰ الجامع لقوة الغضب والشهوة في الإنسان، علىٰ ما سيأتي بيانه. وهذا الاستعمال هو الغالب علىٰ الصوفية، فهم يريدون بالنفس**) حيث أطلقوا: (**الأصل الجامع للصفات المذمومة من الإنسان، فيقولون: لا بد**) للسالك (**من مجاهدة النفس وكسرها**) أي كسر حدَّتها حتىٰ تزول عنها تلك الصفات (**وإليه الإشارة بقوله ﷺ: أعدَىٰ عدوِّك**) أي أكثرهم عداوة لك (**نفسك التي بين جنبيك**) قال العراقي[1]: رواه البيهقي في كتاب الزهد[2] من حديث ابن عباس، وفيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان أحد الوضَّاعين.

قلت: عُرِف أبوه بقُراد أبي نوح، قال الدارقطني: محمد هذا يضع الحديث[3]. وقال ابن عدي[4]: هو ممَّن يُتَّهَم بالوضع. وأما أبوه فممَّن خرَّج له البخاري، ووثَّقه

---

(١) المغني ٢/ ٧٠٩.

(٢) الزهد الكبير ص ١٥٧.

(٣) في الضعفاء والمتروكين للدارقطني ص ٢٢١: متروك.

(٤) الكامل في الضعفاء ٦/ ٢٢٩٢.

جماعة من الأئمة والحفَّاظ، ولم أرَ فيه جرحًا[١].

ووجدت بخط الحافظ ابن حجر ما نصه: وللحديث طرق أخرىٰ غير هذه من حديث أنس وغيره، وقد روىٰ الديلمي من حديث أبي مالك الأشعري مرفوعًا: «أعدىٰ عدوِّك زوجتك التي تضاجعك وما ملكت يمينك»[٢].

(المعنىٰ الثاني: هي اللطيفة التي ذكرناها التي هي الإنسان بالحقيقة وهي نفس الإنسان وذاته) قال ابن الكمال في رسالة في النفس: أن المراد بالنفس: ما يشير إليه كل أحد بقوله: أنا، وقد اختلف أهل العلم في أن المشار إليه بهذا اللفظ هو هذا البدن المشاهَد المحسوس أو غيره، أما الأول فقد ظن أكثر الناس وكثير من المتكلمين أن الإنسان هو هذا البدن، وكل أحد فإنما يشير إليه بقوله: أنا. وهذا باطل، والقائلون بأنه غير هذا البدن المحسوس اختلفوا، فمنهم من قال: إنه جسم، ومنهم من قال: إنه جسماني، ومنهم من قال: جوهر روحاني، وهو مذهب الحكماء الإلهيين، ووافقهم في ذلك جماعة من أرباب المكاشفة. ثم ذكر لصحة مذهبهم دلائل وبراهين لم أطوِّل بذكرها. وقال الفخر الرازي في التفسير الكبير[٣]: إنهم قالوا: لا يجوز أن يكون الإنسان عبارة عن هذا الهيكل المحسوس؛ لأن أجزاءه أبدًا في النمو والذبول والزيادة والنقصان والاستكمال والذوبان، ولا شك أن الإنسان من حيث هو هو أمرٌ باقٍ من أول عمره إلىٰ آخره، والباقي غير ما هو غير باقٍ[٤]، فالمشار إليه عند كل أحد بقوله «أنا» وجب أن يكون مغايرًا لهذا الهيكل.

---

(١) انظر: تهذيب الكمال ١٧/ ٣٣٥ - ٣٣٨.

(٢) الحديث في الفردوس بمأثور الخطاب ٣/ ٤٠٨ بلفظ: «ليس عدوك الذي إذا قتلك أدخلك الجنة وإذا قتلته كان لك نورًا، وأعدىٰ عدو لك نفسك التي بين جنبيك، وامرأتك التي تضاجعك علىٰ فراشك وولدك الذي من صلبك، فهؤلاء أعدىٰ عدو هو لك».

(٣) التفسير الكبير ٤/ ١٦٢ - ١٦٣.

(٤) في المطبوعة: (وغير الباقي غير الباقي) والتصويب من تفسير الرازي.

ثم أطال الكلام في ذكر ما يشير إليه كل أحد بقوله «أنا» واختلاف الأقوال فيه بما لم نطوِّل بذكره.

ثم قال المصنف رحمه الله تعالىٰ: (**ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها، فإذا سكنت تحت الأمر وزايلها الاضطرابُ بسبب معارضة الشهوات سُمِّيت**) هذه: (**النفس المطمئنَّة**) ومنهم[1] من قال في وصفها: إنها هي التي تنوَّرت بنور القلوب، حتىٰ إذا انخلعت عن صفاتها الذميمة وتخلَّقت بالأخلاق الحميدة ورفعت حُجُب الكثائف الخَلقية حتىٰ شهدت اللطائفَ الخفية، وعرفت سريان أسرار الربوبية في مظاهر أطوار العبودية، فرجعت في كل حال إلىٰ الله، وتلقَّت كل واقعة من الله، ورأت آيات الأنفُس والآفاق من الله، فهي راضية في كل مشهد بالله، مَرْضية في كل حضرة لله (**قال الله تعالىٰ في مثلها:** ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾) [الفجر: ٢٧-٢٨] وصاحب هذه هو عارف الوقت، المحفوظ بالمحو من السلب، وبالقبول من المقت، قد أخمد ببرد الرضا حرارة الانتقام، وبلوعة الشوق نفىٰ قَرَّ المهابة والإحجام، وبمحض التسليم أَمِنَ من قواطع القُرب، وبسلامة الذوق فارق الملل من الشرب (**والنفس بالمعنىٰ الأول**) الذي هو الجامع لقوة الغضب والشهوة من الإنسان تسمىٰ: المستكبِرة، وهي أصعب النفوس المتلوِّنة قيادًا، وأبعدها حضورًا، وأعظمها عنادًا، وأشدها نفورًا، تصول صولة أهل الدولة والرياش، وتتهافت علىٰ الرذائل تهافُت الفَراش، وتقول بلسان الدعاوي: أنا الشمس والقمر، فإذا بدا ما فيها من المساوئ عسعس الغيهب واعتكر (**لا يُتصوَّر رجوعها إلىٰ الله، فإنها مبعَدة عن**) حضرة (**الله، وهي من حزب الشيطان**) إلا أن صاحبها إذا لوحظ بعين الإمداد وجذبته العناية بأزِمَّة السداد أهزلَ من أَنَفتها ما كان سمينًا، وحقَّر من افتخارها ما كان ثمينًا، وأفردها من

---

(١) التعريفات للجرجاني ص ٢٦٢ - ٢٦٤. المحاضرات والمحاورات للسيوطي ص ٣٨٢ - ٣٩٠ (ط - دار الغرب الإسلامي).

الرياضة في جبل صعب المسالك، بعيد الذُّرَىٰ والمدارك، ليس لعشَّاق الرياسة له من سبيل، ولا للهِمَم الدنيَّة عليه تعويل **(وإذا لم يتم سكونُها)** تحت الأمر **(ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سُمِّيت النفس اللوَّامة؛ لأنها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاه)** فهي تنوَّرت بنور القلب قدْر ما تنبَّهت به من سِنَة الغفلة، كلما صدرت عنها سيئة بحكم جِبلَّتها الظلمانية نفتها بلوم[1] وتنوب عنها، لا يزال شأنها الملل في كل علم وعمل، كلما حصلت علىٰ مطلوب نشأ لها حظ وأمل، فهي أبدًا في شكاية ووجل وكآبة أنشأتها الرغبةُ في الفائت والضجر مما حصل **(قال الله تعالىٰ:)** ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝﴾[2] [القيامة: ١ - ٢] وصاحب هذه إن وقف بالذل والخضوع علىٰ باب مولاه فتح له، وآواه، وأحضره حضرة مناجاته، أو منحه رؤياه، وأجلسه علىٰ موائد مدده، وهداه، وأورده مشاهد رضاه وتقواه **(وإن تركت الاعتراض وأذعنتْ)** ومالت إلىٰ الطبيعة البدنية **(وأطاعت لمقتضَىٰ الشهوات)** الحِسِّية **(ودواعي الشيطان)** وجذبت القلب إلىٰ الجهة السفلية **(سُمِّيت النفس الأمَّارة بالسوء)** لانفعالها بالخواطر المارَّة، وهي مسقط رأس القرينين ومَجمع لجيوش الوصل والبين، إن تغلَّب عليها القرين الجاني وهو الهوىٰ الشهواني غرس فيها من رذائل الأخلاق أشجار الزقُّوم، وأجرىٰ لها من نقائص الأعمال بحار اليحموم، وألبسها من المجانسة الخَلقية تارة جلد كلب وتارة جلد حمار، وبنىٰ قصر[3] تقصيرها [من هاوية الهوىٰ] علىٰ شفا جُرُف هارٍ. وإن تبوَّأها القرين الروحاني وهو نور البيان الإنساني أرغدَ غذاءَ قلبها من طيِّب ثمر المعاني، وروَّق شراب أعضائها من العمل الرضواني، وألبسها من نسيج الفضائل الخُلقية حُلَلاً سُندسية وإستبرقية، وجعلها حرمًا آمنًا لمَن فزع من

(١) في التعريفات: أخذت تلوم نفسها.

(٢) أولها للزبيدي باقيها للغزالي.

(٣) في ط المحاضرات: قصور. صـ٣٨٤.

جهله وذنوبه تُجبَىٰ إليه ثمرات كل شيء رزقًا من لدن علاَّم غيوبه، أشجار[1] كلمته الطيبة لا تُخبَط ولا تُقطَع، وطائر وارداته لا يُنفَّر ولا يُروَّع (**قال الله تعالىٰ إخبارًا عن يوسف عليه السلام أو امرأة العزيز:** ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾ [يوسف: ٥٣] وصاحب هذه إن رُحم سلك في منهاج الحذر من غوائلها، وتدرَّعَ باليقظة من سهام دسائسها عن أن يقع في مَقاتِلها، كلما أحسن رأىٰ أنه مقصِّر، فكيف به إذا وجب عليه أن يستغفر[2]. هكذا ذكر الله تعالىٰ النفس في كلامه القديم بثلاثة أوصاف، وهي نفس واحدة ولها صفات متغايرة، فالسكينة مزيد الإيمان، وبها تحصل الطمأنينة ويرتقي القلب إلىٰ مقام الروح، وتتوجه النفس إلىٰ مقام القلب، وفي ذلك طمأنينتها، فهي إذًا المطمئنة، وإذا انزعجت عن مَقارِّ جِبلاَّتها متطلِّعة إلىٰ مقارِّ الطمأنينة فهي اللوامة، فإذا أقامت في محلِّها لا يغشاها نور المعرفة والعلم فهي الأمَّارة بالسوء، فالنفس والروح يتطاردان، فتارة تملك القلبَ دواعي الروح، وتارة تملكه دواعي النفس (**وقد يجوز أن يقال: المراد بالأمَّارة بالسوء هي النفس بالمعنىٰ الأول**) الذي هو الجامع لقوة الغضب والشهوة من الإنسان (**فإذًا النفس بالمعنىٰ الأول مذمومة غاية الذم، وبالمعنىٰ الثاني محمودة؛ لأنها نفس الإنسان، أي ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالىٰ وبسائر المعلومات**) ثم اعلم أن النفوس الممنوحة بالتمكين فُرُش العقول المجرَّدة عن غلبات التلوين، وهي ست كالجهات لتصور التجلِّيات في الحضرات العليَّات، والنفوس المحجوبة [عن رؤية الغيب] بحجاب التعين الموقوفة عن النفوذ من أقطار الكيان في رحلة التلُّون فُرُش العقول النظرية المعقولة بالقيود الجبرية والحدود الفكرية قد حُجبت عن شهود حقائق القدس بقياس الغيوب علىٰ شواهد الحس، وهي علىٰ عدد الحواس الخمس فهن إحدىٰ عشرة نفسًا، فذكر المصنف منها أربعة: المطمئنة والمستكبرة واللوَّامة والأمَّارة،

(١) في ط المحاضرات: فأشجار.

(٢) انتهىٰ كلام الشيخ علي وفا الذي نقله السيوطي في محاضراته.

ونحن نشير إلىٰ باقيها فنقول:

الخامسة[١]: هي النفس الدسَّاسة المتلوِّنة في الأخلاق المعكوسة، ولدتها [عوائدُ] الأوضاع من مشيمة الطباع، ووأدتها الأكيان والأشكال، ودسَّتها في مترية الوهم والخيال، وإليها الإشارة بقوله تعالىٰ: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝﴾ [الشمس: ١٠] وصاحبها لا حياة له إلا برضاع ثدي الذِّكر، والاعتزال والفطام عن خلط أهل المِراء وخبط أهل الجدال، حتىٰ تعود إليها روح الفطرة وتذهب عنها فترة الغمرة.

السادسة: هي النفس المشتراة من المملكة البشرية، الممنوحة[٢] بالمكنة من المملكة السِّرية، جاهدت فغنمت، وشاهدت فنعمت، وقتلت بصفاء الزهد شيطانها، وقبلت بوفاء العهد سلطانها، وإليها الإشارة بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١] وصاحب هذه إمامٌ وصل الفتح لواحي سيادته بسوابق إرادته، وقطع العزمُ علائقه الحسية [بسيف الحزم في مجاهدته، فاستبشر عند محق الخيال] في حقائق الجمال، فأكمل لذَّاته، وأتاه مَدَدُ السمع والبصر والروح بإنجاز عِداته.

السابعة: النفس السَّوَّالة الدسَّاسة القتَّالة، تزخرف المهالك الفواتك بحلي الفضائل والمناسك، وإليها الإشارة في قصة السامري، فإنها فعلت به الذي فعلت، وسقته السم في العسل، وهي مستدرَجة بعلوم النظر، محجوبة عن المؤثِّر بالأثر، محبوسة السمع والبصر في سجن القياس والفِكَر، لا دواء لأمراضها إلا إذلالها بين معظِّميها من البرايا، وتنقيصها وإن أتت بكل المزايا، وشج رأس رياستها بالذل والخمول، وفك مواسك إفكها بالرد وعدم القبول.

الثامنة: النفس الزاكية، قد أشرقت شمس حقيقتها الفعلية فغدا نور فاعلها

---

(١) هو من كلام الشيخ علي وفا.

(٢) في المحاضرات: المحفوفة.

ضحاها، وتلألأ قمر قبولها الفطري، فتمَّت كلمتها بظهور معناها، وهجم نهار توحيدها علىٰ ظُلَم صُوَر الأسباب فجلاَّها، وسكنت إلىٰ الله بخمود حركات الحظوظ، فلم تزل آمنات الإيجاد بمحو المنازعة تغشاها، وإليها الإشارة بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ [الشمس: ٩] وصاحب هذه ملهَم البصيرة، طاهر الظاهر والسريرة، رفع عنه المصوِّر حجاب الصور فشهد الله في كل مشهد مولاه ونصيره، قد أنعم بالتوفيق والسكينة خشونة الطباع والأخلاق، وامتزج مزاجه بنفحات الرحمة، فطابت بأنفاس معارفه وعوارفه جميع الآفات.

التاسعة: النفس الذاكرة بلسان شهود المسمَّىٰ في معرفة أسمائه الشريفة، وإليها الإشارة بقوله: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [الأعراف: ٢٠٥] قد حرَّرت ميزان خوفها ورجاها، وجاوزت الأطراف، ففازت من الوسطية بمنتهاها، شهدت معناها فرامت بلوغَ مُناها، وعلمت أن لا حول ولا قوة إلا بمولاها، فخرجت عن تخيُّل حولها وقواها، وخشعت الأصوات لواهيها[1] فسمعت كلام مناجيها، وحُميت من هواها كما حُميت من مهاويها، فنشقت أنفاس الرحمة من جميع نواحيها، وصاحب هذه هو الذاكر علىٰ الحقيقة والعيان، المحفوظ من الغفلة والنسيان، الموهوب أفضل ما يُعطَىٰ السائلون من الأماني والأمان، ظاهره بالجلال في الشرع مضبوط، وباطنه بالجمال في الجمع مبسوط، ثبت أصل شجرته، وطال فرعُ سِدْرته، كلما هزَّت فكرته بيد الرياضة جذع عَبرته تساقط عليه من روض الرضا جنىٰ ثمرته، واستغرقته لذة ذوقه عن زهارة زهر خضرته، ولم يَدَعْ له استقبال قبلة القبول أربًا دون محبوبه يرتضيه، ولا طلبًا غيره يفرح بتقاضيه، تلاصقَ توجُّهُه التوحيدي في كل مقام بلسان الدهش والاصطلام، تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام.

العاشرة: هي النفس المملوكة بأصل الوضع، ذات المكنة في عوالم السمع،

---

(١) في المحاضرات: وخشعت حوادث نواهيها.

هي التي اصطنعت في النفس العِلمية، وصُنعت علىٰ عينها الحكمية، تولَّدت عن قوىٰ التلقِّي والإلهام علىٰ صورة ما تجلَّىٰ به عليها ذو الجلال والإكرام، فلما شبَّت علىٰ صورة الأصل قيل لقَوَّامها من خلف حجاب الوصل: لا تخفْ، نجوتَ من الفصل. ولما دُعيتْ لكشف القناع في حضرة السماع فدس من خشاش الشواغل واديها، وخلع قدم[1] صدقها نعل الكيف والأين عند طروق ناديها تنزيهًا وإجلالاً لمقعد صدق مناديها، وسترت ببرقع الصعق والدك خفيَّ وجوه الغيرية وباديها فقال لها: قد بلغتِ المنىٰ، إني أنا. وقيل لصاحبها: إني اصطفيتك فخذ ما آتيتك، حين جاهد في الله حق جهاده بخروجه لمراد الله عن مراده، وأناله الله منالاً فوق الأمل، وأقامه مقامًا لا يُبلَغ بالعمل، وإليها الإشارة بقوله: ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي﴾ [المائدة: ٢٥] صاحبها كل أيامه طِيب وطرب، وسائر لياليه قُرْب وقُرَب، وجميع أحواله دنوٌّ وأدب، في عجزه معروف بالقوة الباهرة، وفي فقره موصوف بإسباغ النعم الباطنة والظاهرة.

الحادية عشر: النفس العِلمية أم حضرة الكمالات وكتاب التفصيل والإجمالات، صحيفة المعاني اللاهوتية المحمولة علىٰ عرش الكلمات الناسوتية، هي التي تعرَّت عن جلابيب النِّسَب والإضافات وأُلبست خُلَع أسرار الصفات العليَّات، وكُشف دونها حجاب حضرة الذات فتحجَّبت بنور عز الوحدة عن غواشي أعين الشتات، وصاحب هذه في كل زمان واحد الأعيان وروح الأكوان وميسِّر البيان عن علم الرحمن[2].

(اللفظ الرابع: العقل. وهو أيضًا مشترك لمعانٍ مختلفة ذكرناها في كتاب العلم، والمتعلق بغرضنا من جملتها) أي من جملة تلك المعاني المذكورة **(معنيان، أحدهما: أنه قد يُطلَق ويُراد به العلم بحقائق الأمور، فيكون عبارة عن صفة العلم**

---

(١) في المطبوعة (مرام) والمثبت من المحاضرات.

(٢) هذا غاية مراد القوم أي الفناء والوحدة.

الذي محله القلب) وقد ورد في أخبار داود أنه سأل ابنه سليمان عليهما السلام: أين موضع العقل منك؟ قال: القلب؛ لأنه قالب الروح، والروح قالب الحياة **(والثاني: أنه قد يطلق ويُراد به المدرِك للعلوم، فيكون هو القلب)** لأنه كذلك، و(**أعني**) بالقلب هنا (**تلك اللطيفة**) لا المضغة (**ونحن نعلم أن كل عالِم فله في نفسه وجود هو أصل قائم بنفسه، والعلم صفة حالَّة فيه، والصفة غير الموصوف، والعقل قد يطلق ويُراد به صفة العالِم، وقد يطلق ويُراد به محل الإدراك، أعني المُدرِك، وهو المراد بقوله ﷺ: أول ما خلق الله العقل**) رواه داود بن المحبر في كتاب العقل عن صالح المري عن الحسن مرسلاً مرفوعًا، وابن المحبر كذاب. وقد تقدم الكلام عليه في كتاب العلم (**فإنَّ العلم عَرَضٌ لا يُتصوَّر أن يكون أول مخلوق، بل لا بد أن يكون المحل مخلوقًا قبله أو معه؛ لأنه لا يمكن الخطاب معه**) ولذا قال الحافظ ابن حجر: الوارد في أول ما خلق الله حديث «أول ما خلق الله القلم»، وهو أثبت من حديث العقل[١] (**وفي الخبر أنه تعالىٰ قال له: أقبِلْ، فأقبل، ثم قال له: أدبِرْ، فأدبرَ ... الحديث**) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في زوائد الزهد[٢] عن علي بن مسلم، عن سيَّار بن حاتم، حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي، حدثنا مالك بن دينار، عن الحسن البصري مرفوعًا مرسلاً: «لما خلق الله العقل قال له: أقبِلْ، فأقبلَ. ثم قال له: أدبِرْ، فأدبرَ. قال: ما خلقتُ خلقًا أحب إليَّ منك، بك آخذ، وبك أعطي». وسيَّار بن حاتم ضعَّفه غيرُ واحد، وقال القواريري: إنه لم يكن له عقل[٣]. وقد

---

(١) نص ابن حجر في فتح الباري ٦/ ٣٣٤: «روىٰ أحمد والترمذي وصححه من حديث عبادة بن الصامت مرفوعًا: أول ما خلق الله القلم ثم قال: اكتب، فجرىٰ بما هو كائن إلىٰ يوم القيامة. معناه أن أولية القلم بالنسبة إلىٰ ما عدا الماء والعرش أو بالنسبة إلىٰ ما منه صدر من الكتابة، أي إنه قيل له اكتب أول ما خُلق. وأما حديث: أول ما خلق الله العقل، فليس له طريق ثبت، وعلىٰ تقدير ثبوته فهذا التقدير الأخير هو تأويله».

(٢) الزهد ص ٢٥٩.

(٣) انظر: تهذيب الكمال ١٢/ ٣٠٧ - ٣٠٨. ميزان الاعتدال ٢/ ٢٥٣ - ٢٥٤.

تقدم الكلام فيه في كتاب العلم مفصَّلاً.

(فإذًا قد انكشف لك أن معاني هذه الأسامي موجودة وهي القلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهوانية والعلوم. فهذه أربعة معانٍ تطلَق عليها الألفاظ الأربعة): النفس والروح والقلب والعقل **(ومعنىٰ خامس وهو اللطيفة العالمة المدرِكة من الإنسان، والألفاظ الأربعة بجملتها تتوارد عليها، فالمعاني خمسة والألفاظ أربعة**[1]**، وكل لفظ أُطلِق لمعنيين)** علىٰ ما ذُكر آنفًا **(وأكثر العلماء قد التبس عليهم اختلاف هذه الألفاظ وتوارُدها، فتراهم يتكلمون في الخواطر ويقولون: هذا خاطر العقل، وهذا خاطر الروح، وهذا خاطر النفس، وهذا خاطر القلب. وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الأسماء)** والأصل خاطران: مَلَكي وشيطاني، فمن الملكي خاطر الروح والعقل والقلب، ومن الشيطاني خاطر النفس، وخاطر العقل أصله تارةً من خاطر المَلَك، وتارة من خاطر النفس، وليس من العقل خاطر علىٰ الاستقلال. وسيأتي الكلام علىٰ ذلك في محله إن شاء الله تعالىٰ **(فلأجل كشف الغطاء عن ذلك قدَّمنا شرح هذه الأسامي)** ليكون المُطالِع لكلامنا علىٰ بصيرة ولا يخلط اصطلاحًا باصطلاح **(وحيث ورد في القرآن والسنة لفظ «القلب» فالمراد به المعنىٰ الذي يفقه من الإنسان ويعرف حقيقة الأشياء، وقد يكنىٰ عنه بالقلب الذي)** هو **(في الصدر؛ لأن بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب)** الذي هو عبارة عن المُضغة **(علاقة خاصة)** كما تقدم **(فإنها وإن كانت متعلقة بسائر البدن ومستعمَلة له ولكنها تتعلق به بواسطة القلب، فتعلُّقها الأول بالقلب)** ثم بسائر البدن **(وكأنه محلها ومملكتها وعالَمها ومطيَّتها)** قال صاحب العوارف بعد كلام طويل ساقه في تكوُّن القلب من الروح والنفس في عالم الأمر كتكوُّن الذرية من آدم وحواء في عالَم الخَلق ما نصه: والعقل جوهر الروح العلوي ولسانه والدالُّ عليه، وتدبيره للقلب المؤيَّد والنفس الزاكية تدبير الوالد للولد البار والزوج

---

(١) سقط من الزبيدي ٧/ ٢٠٩ لانتقال البصر، فلا شرع لهذا المعنىٰ الخامس.

للزوجة الصالحة، وتدبيره للقلب المنكوس والنفس الأمَّارة [بالسوء] تدبير الوالد للولد العاقِّ والزوج للزوجة السيئة، فمنكوس من وجه، ومنجذب إلىٰ تدبيرهما من وجه؛ إذ لا بد له منهما، وقول القائلين واختلافهم في محل العقل فمن قائل: إن محله الدماغ، ومن قائل: إن محله القلب - كلام الغائبين[١] عن درك حقيقة ذلك، واختلافهم في ذلك لعدم استقرار العقل علىٰ نسق واحد وانجذابه إلىٰ البار تارة وإلىٰ العاق تارة أخرىٰ، وللقلب والدماغ نسبة إلىٰ البار والعاق، فإذا رُؤي في تدبير العاق قيل: مسكنه في الدماغ، وإذا رُؤي في تدبير البارِّ قيل: مسكنه القلب. ثم أطال في ذلك بما يأتي بعضه في محله **(ولذلك شبَّه)** أبو محمد **(سهل)** بن عبد الله **(التستري)** رحمه الله تعالىٰ **(القلب بالعرش والصدر بالكرسي فقال: القلب هو العرش، والصدر هو الكرسي)** فيما نقله عنه صاحب القوت[٢]. وكذا قال غيره: الروح ثلاثة أجزاء: سلطانية وروحانية وجسمانية، فموضع السلطانية في القلب، وموضع الروحانية في الصدر، وموضع الجسمانية بين الدم واللحم، وقيل: بين العظام والروح **(ولا تظن به أنه يرىٰ أنه عرش الله)** المعهود **(وكرسيه)** المشهود **(فإن ذلك محال، بل أراد به أنه مملكته)** ومحل سلطنته **(والمُجرِي الأول لتدبيره وتصرُّفه)** ثم منه ينصرف إلىٰ سائر أجزاء البدن **(فهما بالنسبة إليه كالعرش والكرسي بالنسبة إلىٰ الله تعالىٰ، ولا يستقيم هذا التشبيه أيضًا إلا من بعض الوجوه)** ويقرُب من ذلك قول من قال منهم: القلب عرش الله الأعظم **(وشرح ذلك أيضًا لا يليق بغرضنا)** إذ هو عالَم الملكوت **(فلنتجاوزه)** إلىٰ غيره.

تنبيه:[٣] وُجد في كلام القوم: السر، فمنهم مَن جعله بعد القلب وقبل الروح، ومنهم مَن جعله بعد الروح وأعلىٰ منها وألطف[٤] وقالوا: هو محل المشاهدة،

---

(١) في العوارف: القاصرين.

(٢) قوت القلوب ٢/ ٦٣١.

(٣) عوارف المعارف ٢/ ٢٥١ وما بعدها.

(٤) كالقشيري كما في لطائف الإشارات ٣/ ٤٢.

كما أن الروح محل المحبة، والقلب محل المعرفة، ولم يقع لهذا اللفظ ذِكر في كتاب الله ولا في السنة إلا في حديث موضوع لا أصل له بلفظ: «وفي القلب فؤاد، وفي الفؤاد ضمير، وفي الضمير سرٌّ، وفي السر أنا». وإنما المذكور في كلام الله: الروح والنفس والقلب والفؤاد والعقل. قال صاحب العوارف: الذي سمَّوه سرًّا ليس بشيء مستقل بنفسه له وجود [وذات] كالروح والنفس، وإنما لما صَفَت النفسُ وتزكَّت انطلقت الروح من وثاق ظلمة النفس وأخذت في العروج إلىٰ إدراك القلب[1] وانتُزِع[2] القلب عند ذلك من مستقرِّه متطلِّعًا إلىٰ الروح فاكتسب وصفًا زائدًا علىٰ وصفه فانعجم علىٰ الواجدين ذلك الوصف، حيث رأوه أصفىٰ من القلب فسمَّوه سرًّا [ولما صار للقلب وصفٌ زائد علىٰ وصفه بتطلُّعه إلىٰ الروح اكتسبت الروح وصفًا زائدًا في عروجها انعجم علىٰ الواجدين فسموه سرًّا] والذي زعموا أنه ألطف من الروح؛ روحٌ متَّصفة بوصف أخص مما عهدوه، والذي سموه قبل الروح سرًّا هو قلب اتَّصف بوصف [زائد] غير ما عهدوه.

---

(١) في العوارف: إلىٰ أوطان القرب.

(٢) في العوارف: انشرح. وهو الصواب.

بيان جنود القلب

(قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾) [المدثر: ٣١] قال[١] قتادة: من كثرتهم. أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر. وعن ابن جريج مثله، أخرجه ابن المنذر. وفي حديث أبي سعيد الخدري: «صاحب سماء الدنيا مَلَكٌ اسمه إسماعيل، وبين يديه سبعون ألف ملك، مع كل ملك منهم جنده مائة ألف». وتلا هذه الآية. أخرجه الطبراني في الأوسط[٢] **(فلله سبحانه وتعالىٰ في القلوب والأرواح وغيرها من العوالم)** الملكوتية **(جنود مجنَّدة)** أي كثيرة مجتمعة **(لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها إلا هو)** جلَّ جلاله **(ونحن الآن نشير إلىٰ بعض جنود القلب، فهو الذي يتعلق بغرضنا)** في الكتاب **(وله)** أي للقلب **(جندان: جند يُرَىٰ بالأبصار، وجند لا يُرَىٰ إلا بالبصائر، وهو)** أي القلب **(في حكم الملك)** المتصرِّف في رعيَّته **(والجنود في حكم الخدم والأعوان)** والأتباع **(فهذا معنىٰ الجند. فأما جنده المشاهَد بالعين فهو اليد والرِّجل والعين والأذن واللسان وسائر الأعضاء الظاهرة والباطنة، فإن جميعها خادمة للقلب ومسخَّرة له وهو المتصرِّف فيها والمردِّد لها)** لأنها بمنزلة الرعية له **(وقد خُلقت مجبولة علىٰ طاعة القلب، لا تستطيع له خلافًا، ولا عليه تمرُّدًا)** وعصيانًا **(فإذا أمر العين بالانفتاح انفتحت، وإذا أمر الرِّجل بالحركة تحركت، وإذا أمر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم)** كل ذلك بسرعة **(وكذا سائر الأعضاء، وتَسَخُّر الأعضاء والحواس للقلب يشبه من وجه تسخُّر[٣] الملائكة لله تعالىٰ، فإنهم جُبلوا علىٰ الطاعة)** والانقياد **(لا يستطيعون له خلافًا،**

---

(١) الدر المنثور ١٥/ ٨١ - ٨٢.

(٢) المعجم الأوسط ٧/ ١٣٨.

(٣) بحذف الياء وتشديد الخاء المضمومة.

بل[1] **لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمَرون**) به، كما هو معلوم من شأنهم (**وإنما يفترقان في شيء وهو أن الملائكة عليهم السلام عالمة بطاعتها وامتثالها، والأجفان تطيع القلب في الانفتاح والانطباق على سبيل التسخير، ولا خبر لها من نفسها ومن طاعتها للقلب، وإنما افتقر القلب إلى هذه الجنود من حيث افتقاره**) واحتياجه (**إلى المركب والزاد لسفره الذي لأجله خُلق وهو السفر إلى الله تعالى وقطع المنازل إلى لقائه**) ومشاهدته (**فلأجله خُلقت القلوب، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝﴾**) [الذاريات: ٥٦] والمراد بالعبادة هنا: المعرفة[2]، ولا تتم المعرفة إلا بالسفر إلى الله (**وإنما مركبه البدن، وإنما زاده**) الذي يتزوَّده من دنياه (**العلم**) النافع (**وإنما الأسباب التي توصله إلى الزاد وتمكُّنه من التزوُّد منه هو العمل الصالح**) فالعمل الصالح وإن كان فرعًا للعلم النافع في الحقيقة لكنه صار بمنزلة الأصل في استقرار العلم به، كما قيل: هتف العلم بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل. ونقل صاحب الذريعة[3] عن علي رضي الله عنه قال: الناس سفر، والدنيا دار ممرٍّ لا دار مقر، وبطن أمه مبدأ سفره، والآخرة مقصده، وزمان حياته مقدار مسافته، وسنوه منازله، وشهوره فراسخه، وأيامه أمياله، وأنفاسه خُطاه، يُسار به سير السفينة براكبها، كما قال الشاعر[4]:

رأيت أخا الدنيا وإن كان خافضًا … أخا سفرٍ يُسرَىٰ به وهو لا يدري

(**وليس يمكن أن يصل العبد إلى الله تعالى ما لم يسكن البدن**) ويتزوَّد من العلم والعمل (**و**) لا يصل ما (**لم يجاوز الدنيا**) بسفره منها (**فإن المنزل الأدنى لا بد من قطعه للوصول إلى المنزل الأقصى، والدنيا مزرعة الآخرة**) قد تقدم الكلام

(١) ليست في الزبيدي ٧/ ٢١٠.
(٢) انظر: القرطبي في التفسير ١٧/ ٥٥، والسلمي ٢/ ٢٧٨.
(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب ص ١٥ - ١٦.
(٤) هو هدبة بن خشرم العذري، والبيت في ديوانه ص ١٠٣.

عليه في كتاب العلم (**وهي منزل من منازل الهدىٰ، وإنما سُمِّيت دنيا**) وهي تأنيث «الأدنىٰ» (**لأنها أدنىٰ المنزلتين**) من الدنوِّ بمعنىٰ القرب، وأقصىٰ المنزلتين هي الآخرة، ومنهم مَن جعله تأنيث «الأدنأ» بالهمز من الدناءة وهي الخساسة (**فاضطر إلىٰ أن يتزوَّد من هذا العالَم، والبدن مركبه الذي يصل به إلىٰ هذا العالَم، فافتقر إلىٰ تعهُّد البدن وحفظه، وإنما يُحفَظ البدن بأن يُجلَب إليه ما يوافقه من الغذاء وغيره**) كالشرب واللبس والنسيم (**وبأن يُدفَع عنه ما ينافيه**) ويهلكه (**من أسباب الهلاك**) من الجوع المفرط، والعطش المفرط، وتخفيف اللباس في الشتاء، وشم الروائح الكريهة، واستعمال ما يضرُّ من المسكرات والسموم، وغير ذلك (**فافتقر لأجل جلب الغذاء إلىٰ جندين: باطن وهو الشهوة**) وهي الإرادة النفسية (**وظاهر وهو اليد والأعضاء الجالبة للغذاء، فخُلق في القلب من الشهوات ما احتاج إليه**) من قبول الأغذية (**وخُلقت الأعضاء التي هي آلات الشهوات، وافتقر لأجل دفع المهلكات إلىٰ جندين: باطن وهو الغضب الذي به يدفع المهلكات وينتقم من الأعداء**) وأصله من ثوران دم القلب فتنبعث منه الحرارة فتنتشر في الأعضاء فيكون سببًا لحماية عِرضه وانتقامه (**وظاهر وهو اليد والرِّجل الذي بهما يعمل**) من الحركات (**بمقتضىٰ الغضب، وكمل ذلك بأمور، فالجوارح من البدن كالأسلحة وغيرها**) تقوية لها (**ثم المحتاج إلىٰ الغذاء إذا لم يعرف الغذاء لا تنفعه شهوة الغذاء وآلته، فافتقر للمعرفة إلىٰ جندين: باطن وهو إدراك البصر والذوق والشم والسمع واللمس، وظاهر وهو العين والأذن والأنف وغيرها، وتفصيل وجه الحاجة إليها ووجه الحكمة فيها يطول**) ذِكره؛ لكثرة الكلام فيه وفي متعلقاته (**ولا تحويه مجلدات كثيرة، وقد أشرنا إلىٰ طرف يسير منه في كتاب الشكر**) كما سيأتي (**فليُقنَع به، فجملة جنود القلب تحصرها ثلاثة أصناف**) الأول: (**صنف باعث**) ومحرِّك (**ومستحِثٌّ إما إلىٰ جلب الموافق النافع كالشهوة، وإما إلىٰ دفع الضار المُنافي كالغضب، وقد يعبَّر عن هذا الباعث بالإرادة**) إذ هي القوة المركَّبة من الشهوة والحاجة والأمل (**و**) الصنف (**الثاني هو المحرك للأعضاء إلىٰ تحصيل هذه المقاصد**) من جلب نافع أو

دفع ضارٍّ **(ويعبَّر عن هذا الثاني بالقدرة)** إذ هي إظهار الشيء من غير سبب ظاهر[١] **(وهي جنود مبثوثة)** أي منتشرة **(في سائر الأعضاء لا سيَّما العضلات منها والأوتار)** أما الأوتار جمع وَتَر، محرَّكة، وهو عضو عصباني ينبت من طرف العضل فيلاقي الأعضاء المتحركة، وهو مؤلَّف في الأكثر من العصب النافذ في العضلة البارزة منها في الجهة الأخرىٰ ومن الرباط الذي هو عضو عصباني المرائي والملمس من جهة البياض واللدونة، وقد تتألَّف من أوتار عضلات كثيرة موضوعة علىٰ الساق كوتر العنق، وأما العضلات - محرَّكة - جمع عضلة كقصبة وقصبات فهو اسم لجملة العصب والرباط إذا استدقَّت وتشظَّت شظايا دقاقًا وحُشي الخلل الواقع بينها لحمًا وغُشي غشاء. ومنفعة العضل أن الإنسان إذا أراد أن يصرف عضوًا من آخر حرك فتشنَّجت وزاد في عرضها ونقص من طولها، وإذا أراد التبعيدَ حرَّكها فاسترخت وزاد في طولها ونقص من عرضها فحصل المقصود، والعضل الذي يحرك عضوًا كبيرًا كالعضل الذي في الفخذ المحرك وينبُت منه إما وتر وإما أوتار، ويتصل بالعضو الذي يحركه، وربما تعاونت عدة عضلات علىٰ تحريك عضو واحد، والذي يحرك عضوًا صغيرًا يكون صغيرًا كالعضلات المحرِّكة للأجفان العليا فإنها صغار جدًّا وليس لها أوتار، وكل عضو يتحرك حركة إرادية فإن له عضلة بها تكون حركته، فإن كان يتحرك إلىٰ جهات متضادة كانت له عضلات متضادة الوضع يجذبه كلٌّ منها إلىٰ ناحيتها عند كون تلك الحركة، ويمسك المضادة لها عن فعلها، وإن أُعملت المتضادتان في الوضع في وقت واحد انشق العضو أو تمدَّد وقام مستقيمًا لا يتحرك، مثال ذلك أن الكف إذا مدَّها العضل الموضوع في باطن الساعد انثنىٰ، وإن مدَّه العضل الموضوع في ظهره انحنىٰ وانقلب إلىٰ خلف، وإن مداها جميعًا استوىٰ وقام بينهما، وجملة ما للبدن من الحركات الإرادية: حركة جلدة الجبهة، وحركة العينين والخدين وطرفَي الأنفين والشفتين واللسان،

---

(١) هذا تعريف الحرالي، كما نقله عنه البقاعي في نظم الدرر ١/ ١٢٦.

وحركة الحنجرة والفك، وحركة الرأس والعنق، وحركة الكتف، وحركة مفصل العضد مع الساعد، وحركة مفصل الساعد مع الرُّسغ، وحركة الأصابع وكل واحد من مفاصلها، وحركة الأعضاء التي في الحلق، وحركة الصدر للتنفس، وحركة القضيب، وحركة المثانة في منعها خروج البول، وحركة المعاء المستقيم في منعها خروج الثفل، وحركة مراق البطن، وحركة مفصل الورك والفخذ، وحركة مفصل الفخذ والساق، وحركة مفصل الساق والقدم. وجملة ما ذكر جالينوس من عضلات البدن خمسمائة وتسع وعشرون أو سبع وعشرون عضلة، منها تسع للوجه، وأربع وعشرون للعينين، واثنتا عشرة لتحريك الفك الأسفل، وثلاث وعشرون لتحريك الرأس والعنق، وثنتان وثلاثون لحركة الحلق والحنجرة، وتسع لتحريك اللسان، وأربع عشرة للكتفين، وست وعشرون للعضدين، وثمان لعضل المرفقين، وأربع وثلاثون للساعدين، وست وثلاثون في الكتفين، ومائة وسبع لحركة الصدر، وثمان وأربعون لتحريك الصلب، وثمان موضوعة على البطن، وأربع للأنثيين، وواحدة لعنق المثانة، وأربع لتحريك الذَّكَر، وأربع تحيط بالدُّبر، وست وعشرون لعضل الورك، وقيل: أربع وعشرون لمفصل الركبتين وحركة الساق، وثمان وعشرون لحركة القدم وبعض حركات الأصابع، وثمان وخمسون أو ثنتان وخمسون موضوعة في القدم. ولبيان ذلك تفصيلاً تطويل لا يسعه هذا الموضعُ، وإنما أشرنا إلىٰ جُمَل منها لئلاً يخلو الكتاب منه.

(والثالث هو المدرِك المتعرف للأشياء كالجواسيس) جمع جاسوس وهو الذي يتجسَّس الأخبار ويستخبر عنها **(وهي قوة البصر والسمع والشم والذوق وغيرها)** كاللمس **(وهي مبثوثة في أعضاء معيَّنة، ويعبَّر عن هذا بالعلم والإدراك)** أما العلم فمعروف، وأما الإدراك فهو إحاطة الشيء بكماله[1]، وهذا هو الإدراك الكامل، وقد يكون ناقصًا إذا لم يكن كذلك. ولكلٍّ من هذه القوىٰ إدراكات

---

(١) التعريفات صـ٢٩.

مخصوصة يأتي إن شاء الله ذِكرُها (**ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي الأعضاء المركَّبة من اللحم والشحم والعصب والدم والعظم التي أُعِدَّت آلات لهذه الجنود**) أما اللحم فهو حشو خلل الأعضاء وقوتها التي يندعم بها، وهذا الحد تندرج فيه أنواع اللحم، أحدها: اللحم الذي في العضل، وهو أكثر ما في البدن. الثاني: اللحم المفرد، وهو لحم الفخذين ولحم ظاهر الصُّلب وباطنه ولحم الأسنان، وإنما احتيجَ إليه ليقوِّي أصول الأسنان ويمنع من التزعزع، وهذا هو المسمَّىٰ باللحم علىٰ الإطلاق. والثالث: اللحم الفردي، كلحم الأسنان ولحم الثدي ولحم الغدة التي تحت اللسان، وغير ذلك. والرابع: السمين، وهو ما يعلو علىٰ اللحم الأحمر. ولأنواع اللحم مطلقًا منافع مذكورة في محالِّها. وأما الشحم فهو جسم أبيض ليِّن في الغاية أكثر لينًا من السمين مثل الإلية في ذوات الأربع. وأما العصب فهو عضو أبيض ليِّن الانعطاف صلب الانفصال، منبته الدماغ أو النُّخاع، وفائدته أن يتم به للأعضاء الحس والحركة. وأما الدم فهو رزق البدن الأقرب إليه المحوط فيه. وأما العظم فهو عضو مفرد، وهو الذي أيُّ جزء محسوس أخذتَ منه كان مشاركًا للكل في الطبع والمزاج، ولذلك يسمىٰ: متشابه الأعضاء، وقد خُلق صلبًا لأنه أساس البدن ودعامة الحركات (**فإنَّ قوة البطش إنما هي بالأصابع، وقوة البصر إنما تدرك الشيء بالعين، وكذا سائر القوىٰ. ولسنا نتكلم في الجنود الظاهرة، أعني الأعضاء، فإنها من عالَم المُلك والشهادة**) وهي ظاهرة لكل متأمِّل (**وإنما نتكلم الآن فيما أُيِّد به**) القلب (**من جنود لم تروها**) وهي الباطنة (**وهذا الصنف الثالث وهو المدرِك من هذه الجملة ينقسم إلىٰ ما أُسكِن المنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس، أعني السمع والبصر والشم والذوق واللمس**) وتحقيق هذا المقام يستدعي إلىٰ بسط كلام حاصله: أن منفعة الأعصاب منها ما هو [خاص] بالذات، ومنها ما هو بالعرض. والذي بالذات إفادة الدماغ بتوسُّطها لسائر الأعضاء حسًّا وحركة، والذي بالعرض فمن ذلك تشديد اللحم وتقوية البدن. والأعصاب مبدؤها الدماغ والنخاع، فإن الدماغ لمَّا لم يحتمل أن يكون منبتًا لجميع أعصاب

الحس والحركة أن لو نبت الجميع منه وهو مخلوق علىٰ مقداره إلا أن يبقىٰ منها ما يبقىٰ صغيرًا لا يليق بنوع الإنسان، ولو خُلق كبيرًا لبقي بعد خروج الأعصاب منه قدْر طبق بالنوع للزم منه آفات مذكورة في محالِّها، فلذلك اقتضت الحكمة الإلهية أن يُخلَق جسمًا علىٰ طبيعة الدماغ متصلاً به كالنهر الكبير الجاري من ينبوع عين وهو النخاع، وهو جعله خليفة له في ذلك، وحظي بخرز الظهر والسناس كما حظي الدماغ بالقحف، وأخرج منه الأعصاب في مقابلة عضو عضو من الأعضاء كالجداول والسواقي التي تأخذ من النهر الكبير لتصل قوة الحس والحركة من الدماغ إلىٰ الأعضاء بتوسُّط الأعصاب النخاعية، فمبدأ الأعصاب هو النخاع، ثم إنه يصلب كلما بعُد حتىٰ يصير عصبًا تام النوع، وجميع الأعصاب الدماغية والنُّخاعية أزواج فرد من كل نبت من اليمين وآخر من اليسار سوىٰ عصب واحد فإنه فرد لا زوج له، وهو آخر النخاعيات، فما نبت من الدماغ نفسه سبعة أزواج بها حسُّ الحواس الخمسة وحس بعض الأعضاء كما سيأتي بيانه، وإن كان حس اللمس منها عامًّا في جميع الجسد واللحم، وإنما جُعلت هذه الأعصاب مبدأ الحواس الخمس دون النخاعيات لأنها يجب أن تكون ألين من النخاعيات لدرك الحواس أسرع، وتؤدي ما تدرك إلىٰ القوىٰ الباطنة كذلك، وكان لينها مناسبًا للين الدماغ، بخلاف النخاعيات فإنها لما كان الاعتماد في الحركات عليها احتاجت إلىٰ فضل صلابة لا يناسب ما ذكرنا، وأيضًا لما كانت الحواس في الرأس كان المناسب أن تكون الأعصاب الدماغية مبدأ لها لئلاً تبعد المسافة بين المبدأ والمقصود، فيلزم ما مرت الإشارة إليه من الآفات. الزوج الأول من الأزواج السبعة الدماغية عصبتان مجوَّفتان منشؤهما من زائدتَي مقدَّم الدماغ الشبيهتين بحلمتَي الثدي اللتين تصيران إلىٰ المنخرين، وبهما تكون حاسة الشم، وقد فارقتا لينَ الدماغ قليلاً ولم تلحقهما صلابة العصب، وأخذ كلٌّ منهما - أي من العصبتين - إلىٰ خلاف جهة منشئه، فإذا بعدتا عن مَنشئهما قليلاً اتصلتا وأفضىٰ ثقبُ كلٍّ منهما إلىٰ الأخرىٰ، ويسمَّىٰ ذلك: مَجمع النور. وإنما جُمعا ههنا لئلاً يُرَىٰ الشيء

الواحد شيئين، ولتكون الروح السائلة إلىٰ [إحدىٰ] الحدقتين غير محجوبة عن السيلان إلىٰ الأخرىٰ إذا عرضت لها آفةٌ، ولذلك تصير كل واحدة من الحدقتين أقوىٰ إبصارًا إذا غُمضت الأخرىٰ وأصفىٰ منها لو لحظت والأخرىٰ لا تلحظ لكي تستدعم كل عصبة بالأخرىٰ وتستند إليها وتصير كأنها نبتت من قرب الحدقة، ثم تفترقان وهما بعد داخل القحف فيصير شكلها هكذا [- ا -] ثم تخرجان من القحف. وذكر جالينوس أنهما إذا التقتا في موضع التقاطع الصليبي انعطف النابت يمينًا إلىٰ الحدقة اليمنىٰ، والنابت يسارًا إلىٰ الحدقة اليسرىٰ، ثم يستدير كلٌّ منهما حول الرطوبة الزجاجية ويحتوىٰ عليها بعد أن تصيرا عريضتين وتتسع وتغلظ شفتاهما فيوصلا إلىٰ العينين خاصية البصر. الزوج الثاني منشؤهما خلف الزوج الأول، ويتفرقان في عضل العين فيوصلان إليها قوة الحركة. الزوج الثالث منشؤهما مَنشأ الزوج الثاني، وعند طلوعهما من القحف ينقسمان أربعة أجزاء، الثالث منها يخرج من الثقب الذي في العين، ثم ينقسم ثلاثة أقسام، الثالث منها ينحدر في الوجنة، ثم ينقسم قسمين، الثاني منهما يتفرق في طرف الأنف والشفة العليا وفي الجلدة التي علىٰ الوجه، ورابع الأجزاء المشار إليها أولاً ينحدر في اللحىٰ الأعلىٰ فيتفرق أكثره في طبقة اللسان ويوصل إليها حاسة الذوق. الزوج الرابع منشؤهما منشأ الزوج الثالث، يتفرق في الطبقة المغشية لا علىٰ الحنك فيوصل إليها حسًّا خالصًا فقط. الزوج الخامس هما مضاعفان كأنَّهما زوجان، أحدهما زوج به حس السمع، ومنشؤه خاصةً من مقدم خلف منشأ الرابع، ومدخله من ثقب المَسامِع، وإذا صار فيه غشاه، والثاني زوج يخرج من الثقب الذي في العظم الحجري المعروف بالأعمىٰ، ثم يختلطان بالزوج الثالث، ويتصل أكثرهما بالعضلة العريضة التي تحرك الخدَّ من غير أن يتحرك معه اللحىٰ. الزوج السادس مخرجهما من الثقبين اللذين في منتهىٰ الدرز اللامي، ويخرج من كلٍّ منهما ثلاثة أعصاب، الأول يصير إلىٰ أصل اللسان ليعين الزوج السابع في تحريك اللسان، والثاني ينحدر إلىٰ الصدر فيثقب، ويتفرق منها شُعَب تصير إلىٰ فم المعدة، وبذلك

صار بين المعدة والدماغ مشاركة بسببها يحصل الغَثَيان عند شم الروائح الكريهة، ويحس ببرد الماء بين الحاجبين إذا شرب. الزوج السابع منشؤهما مؤخر الدماغ، ثم ينقسم ويتفرق أكثره في عضل اللسان. فهذه الأزواج السبعة التي ذكرناها وهي حس الحواس الخمس منبتها في الدماغ، وأما ما ينبُت من النخاع فأحد وثلاثون زوجًا وفرد، ولكلٍّ منها أعمال في أعضاء الحس لبعض الأعضاء، علىٰ التفصيل الذي ذكره أهل التشريح.

(وإلىٰ ما أُسكِنَ **المنازل الباطنة وهي تجاويف الدماغ**) الثلاثة، علىٰ ما يجيء بيانها (**وهي أيضًا خمسة**) وأشار إلىٰ وجه الحصر بقوله: (**فإن الإنسان بعد رؤية الشيء**) بعينه (**يغمض عينه**) الباصرة (**فيدرك صورته في نفسه، وهو الخيال**) وتسمىٰ هذه القوة بالمتخيِّلة، ومن شأنها أن[1] تحفظ ما يدركه الحسُّ المشترك من صور المحسوسات بعد غيبوبة المادة بحيث يشاهدها الحس المشترك كلما التفت إليها، فهي خزانة للحس المشترك، ومحله [مؤخر] البطن الأول من الدماغ (**ثم تبقىٰ تلك الصورة معه بسبب شيء يحفظه وهو الجند الحافظ**) وتسمَّىٰ هذه بالقوة الحافظة، ومن شأنها ضبطُ[2] الصور المدرَكة، أو هي تأكُّد المعقول واستحكامه في العقل (**ثم يتفكَّر فيما يحفظه فيركِّب بعض ذلك إلىٰ بعض**) وهذه هي القوة المتفكِّرة، ومن شأنها إطراق العلم للمعلوم (**ثم يتذكَّر ما قد نسيه ويعود إليه**) وهذه هي القوة المتذكِّرة، ومن شأنها استحضار ما تقتنيه من المعرفة (**ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحس المشترك بين المحسوسات**) وهذه هي المسمَّاة بالحس المشترَك (**ففي الباطن حس مشترك وتخيُّل وتفكُّر وتذكُّر وحفظ**) وهي المسمَّاة بالحواس الخمس الباطنة (**فلولا خلق اللهُ قوة الحفظ والفكر والذِّكر والتخيُّل لكان يخلو الدماغ عنه كما تخلو عنه اليد والرِّجل، فتلك القوىٰ أيضًا**

(١) التعريفات للجرجاني ص ١٠٧.

(٢) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف ص ١٤٢.

جنود باطنة، وأماكنها أيضًا باطنة) قال الراغب في الذريعة[1]: قد جعل الله تعالىٰ للإنسان خمس قوىٰ يدل علىٰ وجودها فيه ما يظهر من تأثيراتها: قوة الغذاء، وبها يظهر النشوء والتربية والولادة. وقوة الحس، وبها الإحساس واللذة والألم. وقوة التخيُّل، وبها تتصوَّر أعيان الأشياء بعد غيبوبتها عن الحس. وقوة النزوع، وبها يكون الطلب للموافق والهرب من المخالف والرضا والغضب والإيثار والكراهة. وقوة التفكُّر، وبها يكون النطق والعقل والحكمة والدراية والتدبير والمهنة والرأي والمشورة. فأما القوىٰ المدرِكة منها فخمس: الحواس [الخمس] والخيال والتفكُّر والعقل والحفظ. فأما الحواس فلكل واحد منها إدراك مخصوص، فللحس عشر إدراكات: الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة واللِّين والخشونة والصلابة والرخاوة والثقل والخفة. وللذوق سبع: الحلاوة والمرارة والملوحة والحموضة والحرافة والعفوصة والعذوبة. وللشم اثنان: الطيِّب والنتِن. وللسمع اثنان: الصوت الخفيف والصوت الثقيل. وللبصر أحد عشر: النور والظلمة واللون والجسم وسطحه وشكله ووضعه وأبعاده وحركاته وسكناته وأعداده. فأدوَنُ هذه الإدراكات اللمس ثم الذوق ثم الشم، فالنفس لا تكاد تستعين بها إلا فيما يعود نفعه إلىٰ صلاح الجسم. وأرفع الإدراكات العقل ثم الفكر ثم التخيُّل ثم الحس، إلا أن العقل والفكر يدركان الأشياء الروحانية، فأما السمع والبصر فمتوسطان؛ لأنهما يخدمان النفس والجسم، وخدمتهما للنفس أكثر، ويدركان الأشياء الجسمانية. والتخيُّل متوسط بين العقل والفكر وبين السمع والبصر، فيأخذ تارة من السمع والبصر ويسلِّم إلىٰ العقل والفكر وذلك في حال اليقظة، ويأخذ تارةً من العقل والفكر ويسلِّم إلىٰ السمع والبصر وذلك في حال النوم.

وفي شرح الشفاء[2] للخفاجي عند ذكره الحواس الخمس الباطنة: قد أنكرها

---

(١) الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة ص ٢١ - ٢٢.

(٢) نسيم الرياض ٢/ ٤١. وعبارته: «وأما الحواس الخمس كالحس المشترك والخيال والقوة الفكرية والوهم والحافظة ومحالها من الدماغ فلم يثبتها أهل الشرع، علىٰ أنهم في إثباتها وتعيين محلها في حيص بيص، كما يعرفه من وقف علىٰ كلامهم».

قوم وأثبتها الحكماء، علىٰ أنهم في إثبات أماكنها في حيص بيص. ا.هـ. ملخصًا.

قلت: وتحقيق الكلام فيه: أن القوىٰ المدرِكة خمس في الظاهر وخمس في الباطن، فالخمس الظاهرة قوة البصر، وموضعها عند التقاطُع الصليبي بين العصبتين الآتيتين إلىٰ العينين، من شأنها إدراك الألوان والأضواء والأشكال والمقادير والحركات. وقوة السمع، وموضعها العصب المفروش علىٰ الصماخ، من شأنها إدراك الأصوات. وقوة الشم، وموضعها [العصبتان] الزائدتان من الدماغ الشبيهتان بحلمتَي الثدي، من شأنها إدراك الرائحة المتصعِّدة مع الهواء المستنشَق المتكيَّف بها. وقوة الذوق، وموضعها العصب المفروش علىٰ اللسان، من شأنها إدراك الطعوم بتكيُّف الرطوبة اللعابية التي في الفم. وقوة اللمس، وموضعها الجلد وأكثر اللحم، من شأنها إدراك الملموسات في حرِّها وبردها ورطوبتها ويبوستها وخشونتها وصلابتها وملاستها ولينها وخفتها وثقلها. وأما الخمس الباطنة فمنها مدرِكة للصور المحسوسة بالإدراك الظاهر عند حضور المحسوسات وحال غيبتها وهي: الحس المشترك المدرك لما تدركه الحواس الخمس الظاهرة، وموضعه مقدم البطن المقدم من الدماغ، وخزانته الخيال؛ إذ فيه تجتمع صور المحسوسات بعد غيبتها عن الحواس الظاهرة فتحفظ تلك الصور، وموضعه مؤخر البطن المقدم، ومنها مدركة للمعاني الجزئية التي ليست بمحسوسة القائمة بتلك الصور المحسوسة كصداقة زيد وعداوة عمرو وهي الوهم، وموضعها البطن الأوسط، وخزانته الحافظة، وموضعها البطن المؤخر. ومنها متصرِّفة وهي القوة التي تحلِّل الصور وتركِّبها وتحلل المعاني وتركبها، فتارةً تفصل الصورة عن الصورة والمعنىٰ عن المعنىٰ والصورة عن المعنىٰ، وتارة تركِّب الصورة بها وبالمعنىٰ، وتارة تركب المعنىٰ بها وبالصورة، وهي إن استُعملت في الأمور الجزئية تسمىٰ متخيِّلة، ومحل هذه القوةِ الدودةُ التي في وسط الدماغ. والدليل علىٰ اختصاص هذه القوىٰ بهذه المواضع اختلال فعلها بخلل هذه المواضع، فإن الفعل إذا اختص بالموضع

أورث الآفةَ في فعل القوة المختصَّة بذلك الموضع. هذا علىٰ رأي الفلاسفة، وأما الأطباء فإنهم لما لم يعرفوا إلا حدوث الآفة في التخيل والفكر والذِّكر بعروض الفساد للتجاويف الثلاثة لم يُثبتوا إلا هذه القوىٰ الثلاث، فالحس المشترك والخيال عندهم واحد، وموضعهما البطن المقدَّم من الدماغ، وكذلك المتصرِّفة والوهم واحد عندهم، وموضعهما البطن الأوسط، وموضع الحافظة عندهم البطن المؤخَّر، فلكل بطن من بطون الدماغ قوة واحدة عندهم. كذا ذكره شرَّاح الموجز.

ونزيدك بيانًا في تشريح الدماغ وما فيه من التجاويف، فاعلم أن الدماغ جوهر رخو، متخلخل، أبيض اللون، مركَّب من المخ والشريانات والأوردة، وهو مجلَّل بالغشاء الليِّن الرقيق المسمَّىٰ بأم الدماغ والسِّمْحاق، والغشاء الصلب الثخين الذي يلاقي القحف، وهيئته شبيهة بمثلَّث قاعدته من جانب مقدم الرأس وزاويته التي يحيط بها الساقان من جانب المؤخر وأحد الغشاءين، وهذا اللطيف مماس لجوهر الدماغ ومخالط له في مواضع، والآخَر مماس للقحف وللدماغ أيضًا في أمكنة منه. وجميع الدماغ منصَّف في طوله من مقدمه إلىٰ مؤخره تنصيفًا نافذًا في حجبه ومخه وبطونه. وليس الدماغ مصمتًا، بل له تجاويف مملوءة أرواحًا يفضي بعضها إلىٰ بعض تسمىٰ: بطون الدماغ، وهي ثلاثة، والتجويف الأول أعظم، والوسطاني أصغر منه بالتدريج، والمؤخر أصغر كذلك، وهو منبت النخاع، فكأنَّ النخاع ذَنَب الدماغ. وأما فضلات الدماغ فأكثرها يندفع في المجريين: الأول عند الحد المشترك بين التجويف الأول والأوسط، والثاني عند الحد المشترك بين التجويف الأوسط والأخير، وبالدماغ يكون الحس والحركة للأعضاء، أما الحس فبواسطة العصب الليِّن وأما الحركة فبواسطة العصب الصلب. ولما كان أكثر الأعصاب الحسية ينبُت من مقدمه والصلبة من مؤخره جُعل مقدمه ألين من مؤخره، ولذا جُعل التخيل في مقدم الدماغ؛ لاحتياجه إلىٰ سرعة انطباع الأشياء فيه، ولا يتم ذلك إلا باللِّين، وجُعلت الحافظة في مؤخره لاحتياجها إلىٰ جودة الإمساك الذي لا يتم

إلا باعتدال من اليبس؛ إذ الرَّطْب السَّيَّال لا ثبات له، وجُعلت الفكرة في الوسط لاحتياجها إلىٰ اعتدال بين الرطوبة واليبوسة والوسط كذلك.

ووجدت بخط بعض المقيِّدين قال: وجدت بخط الحافظ ابن حجر ما لفظه: وقع في حال قراءتي مختصر ابن الحاجب الأصولي علىٰ شيخنا إمام الأئمة عز الدين ابن جماعة مَفخر هذا العصر في الكلام علىٰ الفكر بعد تقريره وتحريره ما أخبرنا أنه تلقَّنه عن شيخه العلاَّمة جار الله أنه تلقَّنه عن شيخه الشارح العلاَّمة قطب الدين ابن الشيرازي أنه أفاده في تشريح الدماغ ما مختصره: جاءتني كيفيته من حفظي بعد قراءتي المجلس أن في الرأس دائرة مفرطحة صورتها هكذا

وأن الخط الأول وهو في مؤخر الرأس للحس المشترك، وأن الخط الذي يليه خط خزانة الخيال، وأن الخط الطويل الذي يليه وهو في وسط الرأس للحفظ، وأن الخط الصغير الذي يليه خزانة الوهم، وأن الخط الأخير المقصور وهو في مقدم الرأس، وأن الخط الصغير المستطيل للفكر، وأنه يسمىٰ: الدودة، وإنما سُمِّي بذلك لكونه ينقبض تارة وينبسط حال الفكر، وأن مَن أراد مداواة حفظه ينبغي له أن يحلق وسط رأسه، وإن فسد تصوُّره ينبغي له حلقُ مقدم رأسه ... إلىٰ آخر كلامه المحرَّر في ذلك. فولَّد لي الفكرُ أنْ نظمتُ فيما يتعلق بخط التصوُّر هذين البيتين، وما عنيت أحدًا وأنشدته إياهما فاستحسنهما إجادة فضله، فلما كان عند انفصالي عن المجلس سألني أن أكتبهما ولا أهملهما، فامتثلتُ أمره، وعلَّقت هذه الأجوبة اللطيفة في هذه التذكرة. وهذان البيتان المشار إليهما أولاً:

لنا صديق دعواه غايتها ... لم يَدْنُ منها سوىٰ معلِّمه

يحتاج في حال الخطاب إلىٰ ... تحليقه الرأس من مقدمه

جعلتُ ذلك كناية عن فساد تصوُّره بناءً علىٰ ما تقدم من ذلك التشريح.
وقلت أيضًا:

لا تصحبنَّ جهولاً وكنْ عليك بنفسك
فإن فعلتَ وإلا فاحلقْ مقدم رأسك

ا.هـ. ما وجدته.

قلت: وقوله «في خط الفكر أنه يسمىٰ: الدودة» الذي ذكره أهل التشريح ما نصه: وللتجويف الأول - يعني من الدماغ - مَجرىٰ آخر وهو الزائدتان اللتان تنبتان من بطنَيه المقدمينِ، وأكثر فضلات هذا التجويف يندفع في هذا المجرىٰ إلىٰ الأنف والدروز، والانعطافات التي في الدماغ جُعلت كقِطَع الجوشن المنسوج بعضه ببعض، وتسمَّىٰ قاعدة سقف التجويف الأوسط وأجزاؤه التي في جانبَيه - أعني جانبَي التجويف - بالدودة لطول قليل في خلقتها موازٍ لطول الدماغ، ولأجل حركة انقباضها وانبساطها فبالانبساط تطول وبالانقباض تقصر، وتنبسط عرضًا كالدودة المتحركة، ولأجل هذه الحركة لا يُجعَل في هذه القاعدة دروز، بل هي قطعة واحدة لتكون أقوىٰ في الحركة.

(فهذه هي أقسام جنود القلب، وشرح ذلك بحيث يدركه فهمُ الضعفاء بضرب الأمثلة يطول) لأنه يحتاج إلىٰ بسط مقدمات يُخرَج فيها عن القصد **(ومقصود مثل هذا الكتاب أن ينتفع به الأقوياء والفحول من العلماء)** الذين يفهمون المقصود بأدنىٰ عناية **(ولكنا نجتهد في تفهيم الضعفاء بضرب الأمثلة ليقرُب ذلك من أفهامهم)** ويسهُل عليهم إدراكُه، فنقول:

بيان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة

(اعلمْ أن جندَي الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقيادًا تامًّا فيعينه ذلك) الانقيادُ منهما **(علىٰ طريقه الذي يسلكه وتحسُن مرافقتُه في السفر الذي هو بصدده، وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي وتمرد)** فيغلبان عليه **(حتىٰ يملكاه ويستعبداه)** بجذبهما له إلىٰ موافقته لِما يصدر منهما **(وفيه هلاكه)** الأبدي **(وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله إلىٰ سعادة الأبد)** وهي أربعة أشياء: بقاء بلا فناء، وقدرة بلا عجز، وعلم بلا جهل، وغنىٰ بلا فقر، وأصعب[1] هذين الجندين جند الشهوة، وقمعها أصعب؛ لأنها أقدم القوىٰ وجودًا في الإنسان وأشدها به تشبُّثًا وأكثرها منه تمكُّنًا، فإنها تولَّد معه وتوجد فيه، فإن لم يغلبها غلبته وضرَّته وصرفته عن طريق الآخرة، كما أشار إليه المصنف. فإن قيل: فإذا كانت [قوة] الشهوة بهذه المثابة في الإضرار فأيُّ حكمة اقتضت أن يبلَىٰ بها [الإنسان]؟ قلت: الشهوة إنما تكون مذمومة إذا كانت مفرطة وأهملها صاحبها حتىٰ ملكت القوىٰ، فأما إذا أُدِّبت فهي المبلِّغة إلىٰ السعادة حتىٰ لو تُصوِّرت مرتفعة لم يمكن الوصول إلىٰ الآخرة، وذلك لأن العبادة التي هي سبب الوصلة إلىٰ الآخرة لا تتم إلا بحفظ البدن، ولا سبيل إلىٰ حفظه إلا بتناول الأغذية[2]، ولا يمكن ذلك إلا بالشهوة، فإذًا الشهوة محتاج إليها ومرغوب فيها، فتأملْ.

(وللقلب جند آخر وهو العلم والحكمة والتفكُّر، كما سيأتي شرحه،

---

(١) الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة ص ٥٢ - ٥٣.

(٢) عبارة الراغب في الذريعة: «وذلك أن الوصول إلىٰ الآخرة بالعبادة، ولا سبيل إلىٰ العبادة إلا بالحياة الدنيوية، ولا سبيل إلىٰ الحياة الدنيوية إلا بحفظ البدن، ولا سبيل إلىٰ حفظ البدن إلا بإعادة ما يتحلل منه، ولا سبيل إلىٰ إعادة ما يتحلل منه إلا بتناول الأغذية».

وحقه) أي السالك (أن يستعين بهذا الجند، فإنه حزب الله علىٰ الجندين الآخرين) المذكورين (فإنهما قد يلتحقان بحزب الشيطان، فإن ترك الاستعانة) بحزب الله (وسلَّط علىٰ نفسه جندَ الغضب والشهوة هلك يقينًا وخسر خسرانًا مبينًا، وذلك حال أكثر الخلق) في كل زمان (فإنَّ عقولهم صارت مسخَّرة) أي مذلَّلة تابعة (لشهواتهم في استنباط الحِيَل) والخداع (لقضاء الشهوة) حتىٰ يعطي لنفسه مُناها منها (وكان ينبغي أن تكون الشهوة مسخَّرة لعقولهم) تابعة لها (فيما يفتقر العقل إليه، ونحن نقرِّب هذا إلىٰ قلبك بثلاثة أمثال) وما لها في منازعة الهوىٰ للعقل:

(المثال الأول: أن نقول: مَثَل نفْس الإنسان في بدنه - وأعني بالنفس) المعنىٰ الثاني، أي (اللطيفة المذكورة - كمثل والٍ في مدينته ومملكته) أي موضع مُلكه وحُكمه ما سوىٰ مدينته (فإنَّ البدن مملكة النفس وعالَمها ومستقَرُّها ومدينتها) لها فيه الحكم النافذ (وقُواه) الباطنة (وجوارحه) الظاهرة (بمنزلة الصُّنَّاع والعَمَلة) المستخدَمة (والقوة العقلية المفكِّرة له كالمشير) العالِم (الناصح والوزير) الفَطِن (العاقل، والشهوة له) وفيه (كعبد سوء يجلب الطعام والميرة إلىٰ المدينة) والمِيرة[1] بالكسر: اسم للطعام وغيره، وقد مارَهم مَيْرًا: أتاهم بالميرة (والغضب والحميَّة له كصاحب الشرطة) وهو عون الوالي (والعبد الجالب للميرة كذاب مكَّار): كثير الكذب والمكر (مخادع خبيث) صاحب حِيَل وخبث طبعٍ وخِداع (يتمثَّل) للوالي (بصورة الناصح) في الظاهر (وتحت نصحه الشر الهائل) أي العظيم المخوف (والسم القاتل، وديدنه وعادته منازعة الوزير الناصح) ومعارضته (في كل تدبير يدبِّره) لا يغفل عنه (حتىٰ إنه لا يخلو من منازعته ومعارضته في آرائه ساعةً، فكما أن الوالي في مملكته متىٰ استشار في تدبيراته وزيرَه) الناصح له حالةَ كونه (معرضًا عن إشارة هذا العبد الخبيث) المكَّار، بل (مستدلاً بإشارته علىٰ أن الصواب في نقيض رأيه) ومخالفته فيما يقول (وأدَّبَ صاحب شرطته وأسلسه) أي جعله سَلِسًا منقادًا

(١) المصباح المنير ص ٥٨٧.

(لوزيره وجعله مؤتمِرًا له ومسلَّطًا من جهته على هذا العبد الخبيث) أي سلَّطه عليه (و) على (أتباعه وأنصاره حتى يكون) هذا (العبد مَسُوسًا) أي داخلاً تحت السياسة (لا سائسًا، ومأمورًا مدبَّرًا لا آمرًا مدبِّرًا استقام أمرُ بلده، وانتظم العدل بسببه، فكذلك النفس) أيضًا (متى استعانت بالعقل) وائتمرت بأوامره (وأدَّبت الحميَّةَ الغضبية وسلَّطتها على الشهوة واستعانت بإحداهما على الأخرى تارةً بأن تقلِّل مرتبة الغضب وغلوائه) أي حدَّته (بمخالفة الشهوة واستدراجها، وتارةً بقمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحميَّة عليها وتقبيح مقتضياتها اعتدلت قُواها وحسُنت أخلاقها، ومَن عدل عن هذه الطريقة) فسد أمرُه وانخرم نظامُه و(كان كمَن قال الله تعالى فيه) محذِّرًا غاية الحذر في ذم مَن اتَّبع الهوى (﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣] وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ﴾) [الأعراف: ١٧٦] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [ص: ٢٦] (وقال عَزَّوَجَلَّ فيمن نهى النفس عن الهوى) وخالفها مادحًا له: (﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾) [النازعات: ٤٠ - ٤١] وقال[1] ﷺ: «أعدى عدوِّك نفسُك التي بين جنبيك»، كما تقدم للمصنف قريبًا، إشارة إلى الهوى، والعقل وإن كان أشرف القوى وبه صار الإنسان خليفة الله تعالى في العالَم فليس دأبه إلا الإشارة إلى الصواب، كطبيب يشير إلى المريض بما يرى فيه بُرْءه، فإن قبل منه المريض وإلا سكت عنه، ولذلك جعل له الحمية لتكون نائبة عنه في المدافعة والممانعة، ولهذا لا تتبيَّن فضيلة العقل لمَن لا حمية له، وبهذا النظر قيل: المَهين مَن لا سفيه له. وقال الشاعر[2]:

تعدو الذئاب على مَن لا كلاب له ... وتتَّقي مِربض المستأسد الحامي

---

(١) الذريعة ص ٤١.

(٢) هو النابغة الذبياني، والبيت في ديوانه ص ١٦٢ (ط - دار الكتب العلمية).

(وسيأتي) بيان (كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسليط بعضها علىٰ بعض في كتاب رياضة النفس) قريبًا (إن شاء الله تعالىٰ.

المثال الثاني: اعلم أن) الإنسان من حيث ما جعله الله عالَمًا صغيرًا وجعل (البدن كالمدينة) في هيئته (والعقل - أعني المدرِك من الإنسان - كملك) فيها (مدبِّر لها، وقُواه المدرِكة من الحواس الظاهرة والباطنة) من الفكرة والخيال والحواس (كجنوده وأعوانه، وأعضاؤه كرعيَّته) وخدمه (والنفس الأمَّارة بالسوء التي هي الشهوة والغضب كعدوٍّ) له (ينازعه في مملكته) ويعارضه (ويسعىٰ في إهلاك رعيته، فصار بدنه كرباط وثغر) تجاه العدو (ونفسه كمقيم فيه مرابط، فإن جاهد عدوَّه وهزمه) فأسره (وقهره علىٰ ما يجب) وكما يجب (حُمد أثره إذا عاد إلىٰ الحضرة) أي دار مملكته (كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾) [النساء: ٩٥] فدفاع الهوىٰ أعظم ثواب وجهاد، كما ورد في الخبر وقد سُئل: أيُّ الجهاد أفضل؟ فقال: «جهادك هواك» (وإن ضيَّع ثغره وأهمل رعيته ذُم أثره) إذا عاد إليه، كما ورد في الخبر: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته» (وانتُقِم منه عند لقاء الله تعالىٰ، فيقال له يوم القيامة: يا راعي السوء، أكلتَ اللحم، وشربت اللبن، ولم تردَّ الضالة، ولم تجبر الكسيرَ، اليوم أنتقم منك، كما ورد في الخبر) قال العراقي[١]: لم أجد له أصلاً.

قلت: ولفظ الراغب في الذريعة[٢]: إن الله تعالىٰ يقول للكافر يوم القيامة: يا راعي السوء ... الخ. وقد أخرجه أبو نعيم في الحلية[٣] في ترجمة مالك بن دينار فقال: حدثنا أبو محمد ابن حيَّان، حدثنا محمد بن إبراهيم بن شبيب، حدثنا

(١) المغني ٢/ ٧٠٩.
(٢) الذريعة ص ٤٢.
(٣) حلية الأولياء ٢/ ٣٧٥.

سليمان بن أيوب، حدثنا جعفر بن سليمان قال: سمعت مالك بن دينار يقول: قرأت في بعض الكتب: يُجاء براعي السوء يوم القيامة فيقال: يا راعي، شربت اللبن، وأكلت اللحم، ولم تردَّ الضالة، ولم تجبر الكسير، ولم ترعْها حق رعايتها، اليوم ننتقم لهم منك.

(**وإلىٰ هذه المجاهدة الإشارة بقوله ﷺ: رجعنا من الجهاد الأصغر إلىٰ الجهاد الأكبر**) قال العراقي[1]: رواه البيهقي [في الزهد[2]] من حديث جابر، وقال: هذا إسناد فيه ضعفٌ.

قلت: وسيأتي قريبًا للمصنف في الكتاب الذي بعده بلفظ: «مرحبًا بكم، رجعتم من الجهاد الأصغر إلىٰ الجهاد الأكبر».

(**المثال الثالث: مَثَل العقل مثل فارس متصيِّد، وشهوته كفرسه، وغضبه ككلبه، فمتىٰ كان الفارس حاذقًا**) أي ماهرًا في فروسيته (**وفرسه مروَّضًا**) أي قد ريضت بالتعليم في الإقدام والإحجام (**وكلبه مؤدَّبًا معلَّمًا**) بأخذ الصيد (**كان جديرًا بالنُّجح**) أي إدراك حاجته من الصيد (**ومتىٰ كان هو في نفسه أخرق**): هو الذي لا يُحسِن العملَ (**وكان الفرس جموحًا**): صعبًا أو حرونًا (**والكلب عقورًا**) يعقر الصيدَ لنفسه (**فلا فرسه ينبعث تحته منقادًا**) لجماحه (**ولا كلبه يسترسل بإشارته**) ويستكين معه (**مطيعًا، فهو خليق**) أي لائق (**بأن يعطب**) أي يهلك (**فضلاً عن أن ينال ما طلب. وإنما خُرقُ الفارس مثال لجهل الإنسان وقلة حكمته وكلال بصيرته**) عن إدراك الأمور (**وجِماح الفرس مثال لغلبة الشهوة خصوصًا شهوة البطن والفرج، وعقرُ الكلب مثال لغلبة الغضب واستيلائه**) فهذه الأمثلة الثلاثة.

---

(١) المغني ٢/ ٧٠٩.

(٢) الزهد الكبير ص ١٦٥، ولفظه: «قدم علىٰ رسول الله ﷺ قوم غزاة، فقال ﷺ: قدمتم خير مقدم من الجهاد الأصغر إلىٰ الجهاد الأكبر. قيل: وما الجهاد الأكبر؟ قال: مجاهدة العبد هواه».

وقد وجدت لذلك مثالاً رابعًا ذكره الراغب في الذريعة[١] قال: مَثَلُ النفس في البدن مثل مجاهد بُعث إلىٰ ثغر لكي يرعىٰ أحواله، وعقله خليفة مولاه ضُمَّ إليه ليسدِّده ويرشده ويشهد له وعليه فيما يفعله إذا عاد إلىٰ حضرة الملك، وبدنه بمنزلة فرس دُفع إليه ليركبه، وشهوته كسائس خبيث ضُمَّ إليه ليتفقَّد فرسه، ولا قَدْر لهذا السائس عند المولىٰ، والقرآن بمنزلة كتاب أتاه من مولاه وقد ضُمِّن كل ما يحتاج إليه عاجلاً وآجلاً، فيقبُح أن ينسىٰ هذا الوالي مولاه ويهمل خليفتَه فلا يراجعه فيما يبرمه وما ينقضه ويصرف همه كلَّه إلىٰ تفقُّد فرسه وسياسته ويقيم سائس فرسه مقام خليفة ربه. فالحاصل أن للإنسان مع هواه ثلاثة أحوال، الأولىٰ: أن يغلبه الهوىٰ فيملكه، وهذا حال أكثر الناس. الثانية: أن يغالبه فيقهره تارةً ويقهره أخرىٰ، وهذا حال المتوسطين. الثالثة: أن يغلب هواه، وهذا حال الأنبياء وكثير من صفوة الأولياء (نسأل الله حسن التوفيق بلطفه.

(١) الذريعة ص ٤١ - ٤٣.

بيان خاصِّية قلب الإنسان

اعلمْ أن جملة ما ذكرناه قد أنعم الله به علىٰ سائر الحيوانات سوىٰ الآدمي؛ إذ للحيوانات الشهوة والغضب) وذلك[١] لأن الشهوة أقدم القوىٰ وجودًا وأشدها تشبُّثًا وأكثرها تمكُّنًا، فإنها تولَد مع الإنسان وتوجد فيه وفي الحيوان الذي هو جنسه، بل في النبات الذي هو جنس جنسه، ثم توجد فيه قوة الحميَّة (والحواس الظاهرة والباطنة أيضًا، حتىٰ إن الشاة ترىٰ الذئب بعينها وتعلم عداوته بقلبها فتهرب منه، فذلك هو الإدراك الباطن) لكن ذكر الراغب أن القوة المفكِّرة للإنسان خاصةً لا للحيوان[٢] (فلنذكر ما يختص به قلب الإنسان ولأجله عظُم شرفُه واستأهل القُرب) أي صار أهلاً للقرب (من الله تعالىٰ، وهو) أي ذلك الاختصاص (راجع إلىٰ علم وإرادة، أما العلم فهو العلم بالأمور الدينية والأخروية) أي ما يتعلق بالدين والآخرة (والحقائق العقلية، فإنَّ هذه أمور وراء المحسوسات) بالأبصار (ولا يشاركه فيها الحيوانات، بل العلوم الكلِّية الضرورية) التي لا يتوقف إدراكها علىٰ نظر واستدلال (من خواصِّ العقل؛ إذ يحكم الإنسان بأن الشخص الواحد لا يُتصوَّر أن يكون في مكانين في حالة واحدة، وهذا حكم منه علىٰ كل شخص، ومعلوم أنه لم يدرك بالحس إلا بعض الأشخاص، فحكمه علىٰ جميع الأشخاص زائد علىٰ ما أدركه الحسُّ) فهو من الأمور المعقولة (وإذا فهمتَ هذا في) هذا

---

(١) السابق ص ٥٢.

(٢) ونصه في الذريعة ص ٢٥: «للإنسان فضل علىٰ الحيوانات كلها في نفسه وجسمه، أما فضله في نفسه فبالقوة المفكرة التي بها العقل والعلم والحكمة والتدبير والرأي، فإن البهائم وإن كانت كلها تحس وبعضها يتخيل فليس لها فكر ولا رؤية ولا استنباط المجهول بالمعلوم، ولا تعرف علل الأشياء ولا أسبابها، وليس في قوتها تعلم الصناعات الفكرية، وإنما يتعلم بعضها بعض الصناعات المتخيلة، وأقواها في ذلك الفيل والقرد».

(العلم الظاهر الضروري فهو في سائر النظريات أظهرُ) فهذا هو العلم بقسمَيْه (وأما الإرادة فهو أنه إذا أدرك بالعقل عاقبة الأمر وطريق الصلاح فيه انبعث من ذاته شوقٌ إلىٰ وجه المصلحة وإلىٰ تَعاطي أسبابها) التي توصله إليها (والإرادة لها، وذلك غير إرادة الشهوة وغير إرادة الحيوانات، بل تكون علىٰ ضد الشهوة، فإن الشهوة) بمقتضَىٰ جِبلَّتها (تنفر عن الفصد والحجامة) لِما فيهما من الألم الحاصل المنافي لمزاجها (والعاقل يريدها ويطلبها ويبذل المال عليها، والشهوة تميل إلىٰ لذائذ الأطعمة في أيام المرض) ولذائذ الفواكه كذلك، وكذا شرب المياه الباردة (والعاقل يجد في نفسه زاجرًا عنها) بأن يدرك أن عواقبها مضرَّة (وليس ذلك زاجر الشهوة) فإنها لا ترىٰ إلا ما يُستلَذُّ ظاهرًا (ولو خلق الله العقل المعرِّف لعواقب الأمور ولم يخلق هذا الباعث المحرِّك للأعضاء علىٰ مقتضَىٰ حكم العقل لكان حكم العقل ضائعًا علىٰ التحقيق. فإذًا اختصَّ قلب الإنسان بعلوم وإرادات ينفكُّ عنها سائر الحيوانات) وبها يتميَّز عنها (بل ينفك عنها الصبي في أول الفطرة، وإنما يحدث ذلك فيه) آخرًا وذلك (عند البلوغ، وأما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فإنها موجودة في حق الصبي) قبل أن يميِّز (ثم للصبي في حصول هذه العلوم فيه درجتان، إحداهما: أن يشتمل قلبه علىٰ جملة العلوم الضرورية الأوليَّة) التي تُدرَك بالبداهة في أول الأمر (كالعلم باستحالة المستحيلات وجواز الجائزات الظاهرة، فتكون العلوم النظرية فيه غير حاصلة) في الحالة الراهنة (إلا أنها صارت ممكنة قريبة الإمكان والحصول، وتكون حاله بالإضافة إلىٰ العلوم كحال الكاتب الذي لم يعرف من الكتابة إلا الدواة والقلم والحروف المفردة دون المركَّبة) مع بعضها المفيدة للمعاني (فإنه قد قارب الكتابةَ ولم يبلغها بعدُ) الدرجة (الثانية: أن تحصل له العلومُ المكتسَبة بالتجارب والفكر، وتكون كالمخزونة عنده فإذا شاء رجع إليها، وحاله حال الحاذق بالكتابة؛ إذ يقال له «كاتب» وإن لم يكن مباشرًا للكتابة) في الحال، ولكن (لقدرته عليها، وهذه هي غاية درجة الإنسانية) وهي من خواصِّها (ولكن في هذه الدرجة مراتب لا تحصَىٰ يتفاوت الخلق فيها بكثرة

المعلومات وقلَّتها، وبشرف المعلومات وخِسَّتها، وبطريق تحصيلها؛ إذ تحصل) تلك العلومُ **(لبعض القلوب بإلهام إلهيٍّ علىٰ سبيل المُبادأة والمكاشَفة)** من غير تعلُّمٍ سابق **(ولبعضها بتعلُّم واكتساب)** بجهد ومشقة **(ثم قد يكون ذلك سريع الحصول)** في أدنىٰ زمن **(وقد يكون بطيء الحصول)** بعد مدة **(وفي هذا المقام تتباين منازل العلماء والحكماء والأولياء والأنبياء)** وهم علىٰ هذا الترتيب في المقامات **(ودرجات الرُّقي)** وفي بعض النسخ: الترقِّي **(فيه غير محصورة)** بحدٍّ أو عدد **(إذ معلومات الله لا نهاية لها)** كما أن كمالاته لا نهاية لها **(وأقصىٰ الرتب رتبة النبي)** ثم الولي **(الذي تنكشف له كل الحقائق أو أكثرها من غير اكتساب وتكلُّف)** تعلم **(بل بكشف إلهيٍّ في أسرع وقت)** إما وحيًا أو إلهامًا **(وبهذه السعادة يقرُب العبدُ من الله تعالىٰ قربًا بالمعنىٰ والحقيقة والصفة لا بالمكان والمسافة)** تعالىٰ الله عن ذلك. وقرَّره المصنف في المقصد الأسنىٰ[1] بوجه آخر فقال: أما الإنسان فدرجته متوسطة بين الدرجتين، فكأنه مركَّب من بهيمية ومَلَكية، والأغلب عليه في بداية أمره البهيمية؛ إذ ليس له أولاً من الإدراك إلا الحواس التي تُحتاج في الإدراك بها إلىٰ طلب القرب من المحسوس بالسعىٰ والحركة إلىٰ أن يشرق عليه في الآخرة نورُ العقل المتصرِّف في ملكوت السموات والأرض من غير حاجة إلىٰ حركة بالبدن وطلب قرب أو مماسَّة مع المدرك به بل يدرك الأمور المقدَّسة عن قبول القرب والبعد بالمكان، وكذلك المستولي عليه أولاً شهوته وغضبه، وبحسب مُقتضاهما انبعاثه إلىٰ أن تظهر فيه الرغبة في طلب الكمال والنظر للعاقبة وعصيان مقتضَىٰ الشهوة والغضب، فإن غلب الشهوة والغضب حتىٰ ملكهما وضعفا عن تحريكه وتسكينه أخذ بذلك شبهًا من الملائكة، وكذلك إن فطم نفسه عن الجمود والخيالات والمحسوسات وأنسَ بإدراك أمور تجلُّ عن أن ينالها حسٌّ أو خيال أخذ شبهًا آخر من الملائكة، ومهما اقتدىٰ بالملائكة في هاتين الخاصِّيتين كان

---

(١) المقصد الأسنىٰ ص ٤٥ - ٤٦.

أبعد عن البهيمية وأقرب من الملائكة، والمَلَك قريب من الله تعالىٰ، والقريب من القريب قريب.

(ومَراقي هذه الدرجات هي منازل السائرين إلىٰ الله تعالىٰ، ولا حصر لتلك المنازل) لكثرتها (وإنما يعرف كل سالك المنزلَ الذي بلغه في سلوكه فيعرفه ويعرف ما خلفه) وفي نسخة: ما وراءه (من المنازل) التي تعدَّىٰ عنها لسلوكه فيها (فأما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علمًا) إذ لم يصل إليها بعدُ ولم يسلكها (لكن قد يصدِّق به) في قلبه (إيمانًا بالغيب، كما أنَّا نؤمن بالنبوة وبالنبي ونصدِّق بوجوده ولكن لا يعرف حقيقة النبوة إلا النبي) قال المصنف في المقصد الأسنىٰ[1]: يستحيل أن يعرف النبي غير النبي، وأما مَن لا نبوَّة له أصلاً فلا يعرف من النبوة إلا اسمها وأنها خاصية موجودة لإنسان بها يفارق مَن ليس نبيًّا، ولكن لا يعرف ماهية تلك الخاصية إلا النبي خاصةً، فأما من ليس بنبي فلا يعرفها ألبتَّة ولا يفهمها إلا بالتشبيه بصفات نفسه.

(وكما لا يعرف الجنين) الذي في بطن الأم (حال الطفل ولا الطفل حال المميِّز وما انفتح له من العلوم الضرورية) الأوَّلية (ولا المميِّز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية، فكذلك لا يعرف عاقل ما انفتح علىٰ أولياء الله وأنبيائه من مزايا لطفه ورحمته) قال تعالىٰ: (﴿مَا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢] وهذه الرحمة) المفتوح بابها لخاصة (مبذولة بحكم الجود والكرم) الواسعينِ (من الله سبحانه وتعالىٰ، غير مضنون بها علىٰ أحد) ولا ممنوع (ولكن إنما تظهر) آثارها (في القلوب المتعرِّضة لنفحات الله) أي عطاياه (كما قال ﷺ: إن لربِّكم في أيام دهركم لَنفحات) أي[2] تجلِّيات مقرَّبات يصيب بها من يشاء من عباده (ألا فتعرَّضوا لها) لعله أن تصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبدًا. رواه

(١) السابق ص ٥٣.

(٢) فيض القدير ٢/ ٥٠٥.

الطبراني في الكبير عن محمد بن مَسلمة. وقد تقدم الكلام عليه في كتاب الصلاة **(والتعرُّض لها بتطهير القلب وتزكيته عن الخبث والكدورة الحاصلة من الأخلاق المذمومة، كما سيأتي بيانه)** ومع[1] تطهير القلب يكون الطلب منه تعالىٰ في كل وقت قيامًا وقعودًا وعلىٰ الجنب ووقت التصرُّف في أشغال الدنيا، فإن العبد لا يدري في أيِّ وقت يكون فتح خزائن المنن **(وإلىٰ هذا الجود الإشارة بقوله ﷺ: ينزل الله كل ليلة إلىٰ السماء الدنيا فيقول: هل من داعٍ فأستجيب له)** رواه مالك والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ: «ينزل ربُّنا تبارك وتعالىٰ كل ليلة إلىٰ سماء الدنيا حين يبقىٰ ثلث الليل الآخِر فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له»؟ وقد تقدم في كتاب الأذكار والدعوات **(وبقوله ﷺ حكايةً عن ربه ﷻ: لقد طال شوقُ الأبرار إلىٰ لقائي، وأنا إلىٰ لقائهم أشد شوقًا)** قال العراقي[2]: لم أجد له أصلاً، إلا أن صاحب الفردوس[3] ذكره من حديث أبي الدرداء، ولم يذكر له ولدُه في مسند الفردوس إسنادًا **(وبقوله)** ﷺ[4]: **(من تقرَّب إليَّ شبرًا تقرَّبتُ إليه ذراعًا)** رواه البخاريٰ ومسلم من حديث أبي هريرة[5] **(كل ذلك إشارة إلىٰ أن أنوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنعٍ من جهة المنعم، تعالىٰ عن البخل والمنع علوًّا كبيرًا، ولكنَّ حجابها[6])** عنها **(لخبث)** نفس **(وكدورة)** خاطر **(وشغل من جهة القلوب، فإن القلوب كالأواني، فما دامت ممتلئة ماءً لا يدخلها الهواء)** لاشتغال المكان **(فالقلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها المعرفة بجلال الله)** وعظمته **(وإليه**

---

(١) التيسير شرح الجامع الصغير للمناوي ١/ ٣٣٩.

(٢) المغني ٢/ ٧١٠.

(٣) الفردوس بمأثور الخطاب ٥/ ٢٤٠.

(٤) الأولىٰ: تعالىٰ. أو: ﷺ حاكيًا عن ربه.

(٥) وتقدم في أول كتاب الأذكار والدعوات بطوله.

(٦) في ط الشعب والمنهاج/ حُجبت.

الإشارة بقوله ﷺ: لولا أن الشياطين يحومون علىٰ قلوب بني آدم لنظروا إلىٰ ملكوت السماء) رواه[١] أحمد من حديث أبي هريرة بنحوه، وقد تقدم في الصيام.

(ومن هذه الجملة يتبيَّن أن خاصية الإنسان العلم والحكمة) وبهما يفضل **(وأشرف أنواع العلم هو العلم بالله وصفاته وأفعاله)** علىٰ ما ينبغي علمه بذلك **(فبه كمال الإنسان)** وفضله **(وفي كماله سعادته وصلاحه لجوار حضرة الكمال والجلال)** وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ﴾ [هود: ١٠٨] **(فالبدن مَركب للنفس، والنفس محل للعلم، والعلم هو مقصود الإنسان)** وأقصىٰ رغبته **(وخاصيته التي لأجلها خُلق)** قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦] **(وكما أن الفرس يشارك الحمار في قوة الحمل ويختصُّ عنه بخاصية الكرِّ والفر)** أي الحمل علىٰ العدو والفرار عنه عند المطالبة **(وحُسن الهيئة فيكون الفرس مخلوقًا لأجل تلك الخاصية فإن تعطَّلت منه نزل إلىٰ حضيض رتبة الحمار)** فيكونان سواء في الرتبة **(فكذلك الإنسان يشارك الحمار والفرس في أمور، ويفارقهما في أمور هي خاصيته، وتلك الخاصية من صفات الملائكة المقرَّبين من الله تعالىٰ)** وفي الذريعة[٢]: كل ما أُوجِدَ لفعلٍ ما فشرفه بتمام [وجود] ذلك الفعل منه، ودناءته بفقدان ذلك الفعل منه، كالفرس للعدْو، والسيف للقطع والعمل المختص به في القتال، ومتىٰ لم يوجد فيه المعنىٰ الذي لأجله أُوجِد كان ناقصًا، فإما أن يُطرَح طرحًا وإما أن يُرَدَّ إلىٰ منزلة النوع الذي هو دونه، كالفرس إذا لم يصلُح للعدْو اتُّخِذ حمولة أو أُعِدَّ أكولة، فمَن لم يصلُح لخلافة الله ولا لعبادته ولا لاستعمار أرضه فالبهيمة خير منه.

وقال في المقصد الأسنىٰ[٣]: إن الموجودات منقسمة بين كاملة وناقصة،

---

(١) المغني للعراقي ٢/ ٧١٠.

(٢) الذريعة ص ٣٢.

(٣) المقصد الأسنىٰ ص ٤٤ - ٤٥.

والكامل أشرف من الناقص، ومهما تفاوتت درجات الكمال واقتصر منتهَىٰ الكمال علىٰ واحد حتىٰ لم يكن الكمال المطلق إلا له ولم يكن للموجودات الأُخَر كمال مطلق بل كانت لها كمالات متفاوتة بالإضافة فأكملُها أقرب لا محالة إلىٰ الذي له الكمال المطلق، أعني قربًا بالمرتبة والدرجة لا بالمكان. ثم الموجودات منقسمة بين حية وميتة، وتعلم أن الحي أشرف وأكمل من الميت، وأن درجات الأحياء ثلاث درجات: درجة الملائكة، ودرجة الإنس، ودرجة البهائم، فأما درجة البهائم فهي أسفل في نفس الحياة التي بها شرفها؛ لأن الحي هو الدَّرَّاك الفَعَّال، وفي إدراك البهيمة نقصٌ، وفي فعلها نقص، أما إدراكها فنقصانه أنه مقصور علىٰ الحواس، وإدراك الحس قاصر؛ لأنه لا يدرك الأشياء إلا بمماسَّة أو قربٍ منها، فالحس معزول عن الإدراك إن لم تكن مماسةٌ ولا قربٌ، فإن اللمس والذوق يحتاجان إلىٰ المماسة، والسمع والبصر والشم يحتاجون إلىٰ القرب، وكل موجود لا تُتصوَّر فيه مماسة وقرب فالحس معزول عن إدراكه في هذه الحالة، وأما فعلُها فهو أنه مقصور علىٰ مقتضَىٰ الشهوة والغضب، لا باعث لها سواهما، وليس لها عقل يدعو إلىٰ أفعال مخالفة لمقتضَىٰ الشهوة والغضب. وأما المَلَك فدرجته أعلىٰ الدرجات؛ لأنه عبارة عن موجود لا يؤثِّر القرب والبعد في إدراكه، بل لا يقتصر إدراكُه علىٰ ما يُتصوَّر فيه القرب والبعد؛ إذ القرب والبعد يُتصوَّر علىٰ الأجسام، والأجسام أخس أقسام الموجودات، ثم هو مقدَّس عن الشهوة والغضب، فليست أفعاله بمقتضاهما، بل داعيه إلىٰ الأفعال أمرٌ هو أجلُّ منهما وهو طلب القرب إلىٰ الله تعالىٰ.

(و) أما (**الإنسان**) فهو (**علىٰ رتبة بين البهائم والملائكة**) ودرجته متوسطة بين الدرجتين (**فإن الإنسان من حيث**) ما (**يتغذَّىٰ وينسل فنبات، ومن حيث**) ما (**يحس ويتحرك بالاختيار فحيوان، ومن حيث صورته**) التخطيطية (**وقامته فكالصورة المنقوشة علىٰ الحائط، وإنما**) فضيلته بالنطق، وقواه ومقتضاه و(**خاصيته معرفة**

حقائق الأشياء) بتلك القوىٰ، ولهذا[١] قيل: ما الإنسان لولا اللسان إلا بهيمة مهمَلة أو صورة ممثَّلة. فالإنسان يضارع المَلَكَ بقوة العلم والنطق والفهم، ويضارع البهائمَ بقوة الغذاء والنكاح (**فمَن استعمل جميع أعضائه وقُواه**) وصرف همَّته كلَّها (**علىٰ وجه الاستعانة بها علىٰ العلم**) النافع (**والعمل**) المحكَم (**فقد تشبَّهَ بالملائكة، فحقيق بأن يلحق بهم**) أي بأفقهم (**وجدير بأن يسمَّىٰ مَلَكًا وربَّانيًّا، كما أخبر الله تعالىٰ عن صواحبات يوسف بقوله: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ۝٣١﴾**) [يوسف: ٣١] يعني به يوسف عليه السلام (**ومَن صرف همَّته**) كلَّها (**إلىٰ**) رتبة القوة الشهوية في (**اتِّباع اللذَّات البدنية يأكل كما تأكل الأنعام فقد انحطَّ إلىٰ حضيض أفق البهائم، فيصير إما غُمْرًا**) بضم الغين وسكون الميم، هو الجاهل البليد المحض (**كثور**) ويُضرَب به المثل في البلادة، حتىٰ قالوا:

* وما عليَّ إذا لم تفهم البقرُ[٢] *

(**وإما شَرِهًا**) أي حريصًا (**كخنزير، وإما ضَرِعًا**) أي متملِّقًا (**ككلب أو سنَّور، أو حقودًا كجمل، أو متكبِّرًا كنمر، أو ذا رَوَغان**) محرَّكة، أي حيلة (**كثعلب**) وفيه قال الشاعر:

يعطيك من طرف اللسان حلاوةً ويروغ منك كما يروغ الثعلب[٣]

وهذه خواص للحيوانات المذكورة، حتىٰ قالوا: أبلد من ثور، وأشرَه من

(١) الذريعة ص ٢٨.

(٢) عجز بيت، صدره:

عليَّ نحت القوافي من مقاطعها

وهو للبحتري في ديوانه ٢/ ٩٥٥.

(٣) ينسب هذا البيت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو في ديوانه ص ٢٣ ضمن قصيدة وعظية، ولكن رواية الشطر الأول فيه هكذا:

يعطيك ما فوق المنىٰ بلسانه

وينسب أيضا لصالح بن عبد القدوس الأزدي بالرواية التي ذكرها الشارح.

خنزير، وأضرع من كلب، وأحقد من جمل، وأروغ من ثعلب (**أو يجمع ذلك كلّه**) فيكون (**كشيطان مريد**) أي متمرِّد، وعلىٰ[١] ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ﴾ [المائدة: ٦٠] ولكون كثير ممَّن صورته صورة الإنسان وليس هو في الحقيقة إلا كبعض الحيوان قال الله تعالىٰ في الذين لا يعقلون عن الله: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝٤٤﴾ [الفرقان: ٤٤] وقال: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۝٢٢﴾ [الأنفال: ٢٢] وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٥٥﴾ [الأنفال: ٥٥] فبيَّن أن الذين كفروا ولم يستعملوا القوة التي جعلها الله تعالىٰ لهم هم شرُّ الدواب. وقال تعالىٰ: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءًۚ﴾ [البقرة: ١٧١] أي مثل واعظ الكافرين كمثل ناعق الأغنام، تنبيهًا أنهم فيما يقال لهم كالبهائم. وبهذا النظر عبَّر الشاعر عن بعض مَن ذمَّه فقال:

اللـؤم أكـرم مـن وبـر ووالـده واللؤم أكرم من وبر وما ولـدا[٢]

ولم يقل «ومَن ولدا» تنبيهًا أنه لا يستحق أن يقال له «مَن» لكونه بهيمة. وعلىٰ هذا المعنىٰ قال المتنبي:

* تُخْطِي إذا جئتَ في استفهامها بمَن[٣] *

ولِما ذكرنا لم يكن بين بعض هذه الأنواع وبعضها من التفاوت ما بين إنسان

---

(١) الذريعة ص ٢٨ - ٢٩.

(٢) اختلف في نسبة البيت، فنسبه المرزباني في معجم الشعراء ص ١٦٤ - ١٦٥ لعوف بن معاوية الغطفاني المعروف بعويف القوافي. ونسبه التبريزي في شرح ديوان الحماسة ١٨٥ - ١٨٦ (ط - دار الكتب العلمية) للحكم بن المقداد المخاشني الفزاري المعروف بالأصم.

(٣) عجز بيت، صدره:

حولـي بكـل مكـان منهـم خِلَق

وهو في ديوانه ص ١٧٠.

وإنسان، فإنك قد ترىٰ واحدًا كعشرة بل واحدًا كمائة وعشرة أخرىٰ هدرة دون واحد، كما قال الشاعر[1]:

ولم أرَ أمثال الرجال تفاوتت لدىٰ المجد حتىٰ الألف منهم كواحد

بل قد ترىٰ واحدًا كعشرة آلاف، وترىٰ عشرة آلاف دون واحد.

وقال الراغب في الذريعة[2]: الإنسان لمَّا رُكِّب تركيبًا بين بهيمة ومَلَكٍ فشبهُه بالبهيمة بما فيه من الشهوات البدنية من المأكل والمشرب والمَنكح، وشبهُه بالمَلَك بما فيه من القوىٰ الروحانية من الحكمة والعدالة والجود، فصار واسطة بين جوهرين: وضيع ورفيع، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البلد: ١٠] والنجدان من وجه: العقل والهوىٰ، ومن وجه: الآخرة والدنيا، ومن وجه: الإيمان والكفر، ومن وجه: الهدىٰ والضلال، ومن وجه: موالاة الله تعالىٰ وموالاة الشيطان، ومن وجه: النور والظلمة، ومن وجه: الحياة والموت. فمَن وفَّقه الله تعالىٰ للهدىٰ وأعطاه قوة لبلوغ المدىٰ فراعَىٰ نفسه وزكَّاها فقد أفلح، ومَن حرمه التوفيقَ فأهمل نفسه ودسَّاها فقد خاب وخسر.

(وما من عضو من الأعضاء ولا حاسة من الحواس إلا ويمكن الاستعانة به علىٰ طريق الوصول إلىٰ الله تعالىٰ) فإن[3] الخيال يتصوَّر عن المحسوس فتبقىٰ فيه صورته الروحانية فينتقش بها تنقش الشمع بصورة الختم، ثم يأخذه الفكر فيميِّز بعضها من بعض بنور العقل فيبحث عن خواصِّها ومنافعها ومَضارِّها، ثم يؤدِّيه إلىٰ القوة الحافظة، فإن أراد إبرازه قولاً سلَّط عليه القوة الناطقة فتعبِّر عنه باللسان،

---

(١) هو البحتري، والبيت في ديوانه ١/ ٦٢٥ من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان، ولكن شطره الثاني فيه هكذا:

إلىٰ الفضل حتىٰ عد ألف بواحد

(٢) الذريعة ص ٣٠ - ٣١.

(٣) السابق ص ٢٤ - ٢٥.

وإن أراد إبرازه فعلاً سلَّط عليه القوة العاملة فتوجده بالجوارح (كما سيأتي بيان طرف منه في كتاب الشكر) إن شاء الله تعالىٰ (فمَن استعمله فيه) أي في طريق الوصول إلىٰ الله تعالىٰ (فقد فاز) وأفلح (ومَن عدل عنه فقد خاب وخسر) وإليه الإشارة بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝﴾ [الشمس: ٩ - ١٠] وقد أشار المصنف إلىٰ ضرب مثلٍ لهذه القوىٰ يُعرَف منه تصوُّر تأثيرها فقال: (وجملة السعادة في ذلك أن يجعل لقاء الله تعالىٰ مقصده، والدار الآخرة مستقرَّه، والدنيا طريقه، والبدن مَركبه، والأعضاء خدمه، فيستقر هو - أعني المدرِك من الإنسان - في القلب الذي هو وسط مملكته) فإنَّ القوة المفكِّرة مسكنها وسط الدماغ (كالملك) يسكن وسط المملكة (وتجري القوة الخيالية المودَعة في مقدم الدماغ مَجرىٰ صاحب بريده؛ إذ تجتمع أخبار المحسوسات عنده) فيبلِّغها الملكَ (وتجري القوة الحافظة التي مسكنها مؤخر الدماغ مجرىٰ خازنه) الذي يجمع ما دخل ويحفظه (ويجري اللسان) وهي القوة الناطقة (مجرىٰ ترجمانه) الذي يترجم له عن الغير (وتجري الأعضاء المتحركة) وهي القوة العاملة (مجرىٰ كُتَّابه) الذين يكتبون له ويردُّون عنه (وتجري الحواس الخمس) الظاهرية (مجرىٰ جواسيسه) الذين يتحسَّسون له الأخبار، ومجرىٰ أصحاب الأخبار الصادقي اللهجات فيما يرفعونه من الأخبار (فيوكِّل كلَّ واحد منها بأخبار صقع من الأصقاع) من مملكته (فيوكِّل العينَ بعالَم الألوان، و) يوكِّل (السمعَ بعالَم الأصوات، و) يوكِّل (الشم بعالَم الأراييح، وكذلك سائرها، فإنها أصحاب أخبار يلتقطونها من هذه العوالم ويؤدُّونها إلىٰ القوة الخيالية التي هي كصاحب البريد، ويسلِّمها صاحب البريد إلىٰ الخازن وهي الحافظة، ويعرضها الخازن) بعد أن يسقط منه ما يراه حشوًا، ويرفع الباقي صافيًا فيعرضه (علىٰ الملك، فيقتبس الملك منها ما يحتاج إليه) مما ينفعه ويضره (في تدبير مملكته وإتمام سفره الذي هو بصدده وقمع عدوِّه الذي هو مبتلًىٰ به) وهي الشهوة؛ لأنها شديدة التشبُّث به وكثيرة التمكُّن منه، وقد اقتضت الحكمةُ ابتلاءه بها (ودفع قواطع الطريق عليه) أي دفع ما يعوقه عن طريق الآخرة

ويثبِّطه عنها، ثم بعد اطِّلاعه عليها يسلِّمها للخازن ثانيًا إلىٰ وقت حاجته، فحينئذٍ يتقدم بإخراجها (**فإذا فعل ذلك**) وقهر ذلك العدو وأمنَ من القواطع (**كان موفَّقًا سعيدًا شاكرًا لنعمة الله تعالىٰ**) بل يصير المعيار بائنًا (**وإذا عطَّل هذه الجملة**) بأن لم يستعملها كما ذُكر (**أو استعملها ولكن في مراعاة أعدائه وهي الشهوة والغضب وسائر الحظوظ العاجلة أو في عمارة طريقه دون منزله؛ إذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره، ووطنه ومستقرُّه الآخرة**) وإليه الإشارة بما رواه الديلمي[١] من حديث ابن عمر: «الدنيا قنطرة الآخرة، فاعبروها ولا تعمروها» (**كان مخذولاً، شقيًّا، كافرًا لنعمة الله، مضيِّعًا لجنود الله**) التي هي الأعضاء والجوارح والحواس (**ناصرًا لأعداء الله، مخذِّلاً لحزب الله، فيستحق المقت والإبعاد في المنقلَب والمعاد، نعوذ بالله من ذلك**) وكما أن للملك أفعالاً يستعين فيها بغيره وأفعالاً ينفرد فيها بنفسه، والأفعال التي يتولاَّها بنفسه أشرف ممَّا يفوِّضها إلىٰ غيره، كذلك للقوة المفكِّرة أفعال تفوِّضها إلىٰ غيرها وأفعال تختصُّ هي بها وهي الرؤية والفكر والاعتبار والقياس والفراسة، فبهذه الأشياء تدبير الأمور، واستخراج الغوامض، وتحصيل التجربة، واستنباط المجهول بتوسط المعلوم، والاطِّلاع علىٰ الأسرار.

(**وإلىٰ المثال الذي ضربناه أشار كعب الأحبار**) رحمه الله تعالىٰ، تقدمت ترجمته في كتاب العلم (**حيث قال: دخلت علىٰ عائشة ﵂، فقلت: الإنسان عيناه هادٍ**) وفي لفظ: هاديتان (**وأذناه قمع**) وفي لفظ: قمعانِ (**ولسانه ترجمان، ويداه جناحان، ورجلاه بريد، والقلب ملك، فإذا طاب الملك طابت جنوده. قالت**) عائشة ﵂: (**هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقول**) قال العراقي[٢]: رواه أبو نعيم في الطب النبوي والطبراني في مسند الشاميين والبيهقي في الشعب من حديث أبي

(١) الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ٢٢٨.

(٢) المغني ٢/ ٧١٠ - ٧١١.

هريرة نحوه. ولهم[١] ولأحمد[٢] من حديث أبي ذر: «أما الأذنان فقمع، وأما العين فمُقِرَّة بما يوعي القلبُ». ولا يصح منها شيء.

قلت: أخرجه الطبراني في مسند الشاميين[٣] من طريق كعب قال: أتيت عائشة، فقلت: هل سمعتِ رسول الله ﷺ ينعت الإنسان؟ فانظري هل يوافق نعتي نعتَ رسولِ الله ﷺ. فقالت: انعتْ. فقال: عيناه هادٍ ... فساقه، وزاد بعد قوله «بريد»: وكبده رحمة، ورئته نفَس، وطحاله ضحك، وكليته مكر، والقلب ملك ... الحديث. فقالت: سمعت رسول الله ﷺ ينعت الإنسان هكذا.

وقول العراقي: وللبيهقي في الشعب[٤] ... الخ يشير إلىٰ ما رواه من كلام أبي هريرة لا من حديثه، ولفظه: «القلب ملك، وله جنود، فإذا صلُح الملكُ صلحت جنوده، وإذا فسد الملك فسدت جنوده، والأذنان قمع، والعينان مَسْلَحة، واللسان ترجمان، واليدان جناحان، والرِّجلان بريد، والكبد رحمة، والطحال ضحك، والكِليتان مكر، والرئة نفَس». هكذا رواه، ثم قال: قال أحمد[٥]: هكذا جاء موقوفًا، ومعناه في القلب جاء في حديث النعمان بن بشير مرفوعًا[٦].

وعدَّه في الميزان[٧] من المناكير.

وقول العراقي: رواه أبو نعيم في الطب. ظاهره أنه من حديث عائشة، وليس

(١) شعب الإيمان ١/ ٢٥٦ - ٢٥٧. مسند الشاميين ٢/ ١٧٧. الطب النبوي ١/ ٢٢٤.

(٢) مسند أحمد ٣٥/ ٢٣٩.

(٣) مسند الشاميين ١/ ٤٢٠.

(٤) شعب الإيمان ١/ ٢٥٧.

(٥) أحمد هو البيهقي صاحب الشعب.

(٦) وهو: «ألا إن في الجسد مضغة ...» الخ.

(٧) المذكور في ميزان الاعتدال ١/ ٥٧٨ (في ترجمة الحكم بن الفضيل) حديث أبي سعيد المشار إليه بعد هذا الحديث.

كذلك، وإنما أخرجه فيه[١] من حديث أبي سعيد الخدري، وكذلك أخرجه أيضًا أبو الشيخ في كتاب العظمة[٢] وابن عدي في الكامل[٣]. ورواه الحكيم الترمذي[٤] من حديث عائشة، ولفظهم جميعًا: «العينان دليلان، والأذنان قِمعان، واللسان ترجمان، واليدان جناحان، والكبد رحمة، والطحال ضحكٌ، والرئة نفَس، والكِليتان مكر، والقلب ملك، فإذا صلُح الملك صلحت رعيَّته، وإذا فسد الملك فسدت رعيته».

(**وقال علي رضي الله عنه في تمثيل القلوب: إن لله تعالىٰ في أرضه آنية**) جمع إناء وهو وعاء الشيء (**وهي القلوب، فأحبُّها إليه أرقُّها وأصفاها وأصلبها**) هكذا في القوت من قول علي. وروى الطبراني في الكبير من حديث أبي عنبة الخولاني مرفوعًا: «**إن لله تعالىٰ آنية من أهل الأرض، وآنية ربّكم قلوب عباده الصالحين، وأحبُّها إليه ألينها وأرقُّها**». وأبو عنبة قيل: له صحبة، وقيل: بل وُلد في عهده ﷺ ولم يره وإنما صحب معاذ بن جبل، ونزل دمشق. قال الهيثمي: إسناده حسن. وقال شيخه العراقي: فيه بقية بن الوليد، وهو مدلِّس، لكنه صرَّح بالتحديث فيه[٥]. قال صاحب القوت: (**ثم فسَّره**) أي علي رضي الله عنه (**فقال: أصلبها في الدين، وأصفاها في اليقين، وأرقُّها على الإخوان**) إلىٰ هنا نص القوت (**وهو إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾**) [الفتح: ٢٩] قال صاحب القوت: فمثل القلوب مثل الأواني في تفاوت جوهرها، فأرقُّها وأصفاها وأعلاها يصلُح للوجه والمُلك والطيب، وأكثفها وأدناها يصلُح للأدناس، وما بين ذلك يصلُح لِما بينهما. ومثلها أيضًا مثل الموازين: الطَّيَّار اللطيف المعيار يصلُح لوزن الذهب [بالتحرير] و[المعيار]

---

(١) الطب النبوي ١/ ٢٢٥ - ٢٢٦.

(٢) العظمة ٥/ ١٦٣٠.

(٣) الكامل في الضعفاء ٢/ ٦٣٣.

(٤) نوادر الأصول ص ٦٠٤.

(٥) تقدم هذا الحديث في الباب الثاني من كتاب آداب الأخوة والصحبة.

الكثيف الجافي يصلُح للقَتِّ [والأنعام] وما بينهما يصلح لِما بينهما، فيوزَن بكل ميزان ما يصلح له، كما يُلقَىٰ في كل إناء ما يليق به كذلك الحكمة والحُكم في الملكوت الباطن كالحكمة والحكم في الملكوت الظاهر بتعديل الظاهر الباطن.

وقال بعض شرَّاح الحديث(١) عند قوله «ألينها وأرقُّها»: أي فإن القلب إذا لانَ ورقَّ انجلىٰ وصار كالمرآة الصقيلة، فإذا أشرقت عليه أنوار الملكوت أضاء الصدر وامتلأ من شعاعها فأبصرت عينا الفؤاد باطنَ أمر الله في خلقه، فيؤدِّيه ذلك إلىٰ ملاحظة نور الله، فإذا لاحظَه فذلك قلب استكمل الزينة والبهاء بما رُزق من الصفاء، فصار محل نظرِ الله من بين خلقه، فكلما نظر إلىٰ قلبه زاد به فرحًا، وله حبًّا وعزًّا، واكتنفه بالرحمة، وأزاحه من الزحمة، وملأه من أنوار العلوم.

(و) أشار إليه (**قوله تعالىٰ**: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥] **قال أُبيُّ بن كعب** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ) في تفسيره: (**معناه: مثل نور المؤمن وقلبه. وقوله تعالىٰ**: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾ [النور: ٤٠] **مثل قلب المنافق**) ولفظ القوت: فسَّره أبيُّ بن كعب قال: مثل نور المؤمن. وكذلك كان يقرؤه. قال: فقلب المؤمن هو المشكاة فيها مصباح، فكلامه نور، وعمله نور، ويتقلَّب في نور. ثم قال في قوله تعالىٰ: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾ قال: قلب المنافق، فكلامه ظُلمة، وعمله ظلمة، ويتقلَّب في ظلمة.

قلت: أخرجه(٢) عبد بن حميد وابن جرير(٣) وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم(٤) وصحَّحه عن أبي بن كعب: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ قال: هو المؤمن الذي قد جُعل الإيمان والقرآن في صدره، فضرب الله

---

(١) هو المناوي في فيض القدير ٢/ ٤٩٦.

(٢) الدر المنثور ١١/ ٥٩ - ٦٣، ٨٩ - ٩٠.

(٣) جامع البيان ١٧/ ٢٩٨، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٢٧، ٣٣١.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٤٧١.

مثله فقال: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ فبدأ بنور نفسه، ثم ذكر نور المؤمن فقال: مثل نور مَن آمن به. فكان أبي بن كعب يقرؤها: مَثَلُ نور مَن آمن به. فهو المؤمن جُعل الإيمان والقرآن في صدره كمِشكاة. قال: فصدر المؤمن المشكاة فيها مصباح، والمصباح النور وهو القرآن والإيمان الذي جُعل في صدره، والزجاجة قلبه، فقلبه ممَّا استنار فيه القرآن والإيمان، فكأنه كوكب دُرِّيٌّ، أي مضيء، والشجرة المباركة أصله المبارك، الإخلاص لله وحده وعبادته [لا شريك له] قال: فمثله كمثل شجرة التفَّ بها الشجر، فهي خضراء ناعمة لا تصيبها الشمس علىٰ أيِّ حال كانت، لا إذا طلعت، ولا إذا غربت، فكذلك هذا المؤمن قد أُجيرَ من أن يضلَّه شيء من الفتن، وقد ابتُلي بها فيثبِّته الله فيها، فهو بين أربع خِلال: إن قال صدق، وإن حكم عدل، وإن أُعطي شكر، وإن ابتُلي صبر. فهو في سائر الناس كالرجل الحي يمشي بين قبور الأموات، نور علىٰ نور، ومصيره إلىٰ نور، فهو يتقلَّب في خمسة من النور، فكلامه نور، وعمله نور، ومَدخله نور [ومخرجه نور] ومصيره إلىٰ نور يوم القيامة، إلىٰ الجنة. ثم ضرب مثل الكافر فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابِۭ﴾ الآية [النور: ٣٩] قال: وكذلك الكافر يأتي يوم القيامة وهو يحسب أن له عند الله خيرًا فلا يجده ويدخله الله النار. قال: وضرب مثلاً آخر للكافر فقال: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾ الآية، فهو يتقلَّب في خمس من الظُّلَم: فكلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومَخرجه ظلمة، ومصيره يوم القيامة إلىٰ الظلمات، إلىٰ النار، فكذلك ميت الأحياء يمشي في الناس لا يدري ماذا له وماذا عليه.

وأخرج أبو عبيد[1] وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي العالية قال: هي في قراءة أبي بن كعب: مثل نور مَن آمن به.

وفي لفظ له: مثل نور المؤمن. أخرجه عبد بن حميد وابن الأنباري في المصاحف عن الشعبي عنه.

---

(١) فضائل القرآن ص ٣٠٧.

وقد رُوي مثله عن ابن عباس قال: مثل نوره الذي أعطاه المؤمن كمشكاة. وقال في قوله ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾: فذلك مثل قلب المؤمن نور علىٰ نور. وقال في قوله ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾: ذلك مثل قلب الكافر ظلمة علىٰ ظلمة. أخرجه الفريابي.

وأخرج ابن أبي حاتم عنه قال: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ هي خطأ من الكاتب، هو أعظم من أن يكون نوره مثل نور المشكاة. قال: مثل نور المؤمن.

وفي لفظ له: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾: مثل هداه في قلب المؤمن. هكذا أخرجه ابن جرير[1] وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات[2].

وأخرج عبد الرزاق[3] وعبد بن حميد وابن جرير[4] وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة قال: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾ اللجي: العميق القعر، أي مثل عمل الكافر في ضلالات، ليس له مَخرج ولا مَنفذ، أعمىٰ فيها لا يبصر.

(**وقال زيد بن أسلم**) العدوي[5]، مولىٰ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أبو عبد الله، ويقال: أبو أسامة، المدني، ثقة، عالِم، مات سنة ست وثلاثين، روىٰ الجماعة له (**في قوله تعالىٰ**: ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج: ٢٢] **هو قلب المؤمن**) نقله صاحب القوت.

وأخرج[6] عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة قال: ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾: في صدور المؤمنين.

---

(١) جامع البيان ١٧/ ٢٩٩.
(٢) الأسماء والصفات ١/ ٢٠١.
(٣) تفسير عبد الرزاق ٢/ ٦١.
(٤) جامع البيان ١٧/ ٣٣٠. ولفظ عبد الرزاق وابن جرير: «هو في بحر عميق، وهو مثل ضربه الله للكافر أنه يعمل في ظلمة وحيرة».
(٥) تقريب التهذيب ص ٣٥٠.
(٦) الدر المنثور ١٥/ ٣٤٥.

(وقال سهل) التستري رحمه الله تعالىٰ: **(مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسي)** نقله صاحب القوت، وقد تقدم قريبًا.

(فهذه أمثلة القلب).

بيان مَجامع أوصاف القلب وأمثاله

(اعلمْ أن الإنسان قد اصطحب في تركيبه وخِلقته) الأصلية (أربعة شوائب) جمع شائبة وهي العُلْقة والشبهة، وأصله من شابَه بمعنىٰ خلطَه (فلذلك اجتمعت عليه أربعة أنواع من الأوصاف) المختلفة (وهي الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية. فهو من حيث سُلِّط عليه الغضب) والتهوُّر (يتعاطَىٰ أفعالَ السباع من العداوة والبغضاء والتهجُّم علىٰ الناس بالضرب والشتم) كما أن السباع تهجم علىٰ الناس بالعض والقطع (ومن حيث سُلِّطت عليه الشهوة يتعاطَىٰ أفعالَ البهائم من الشَّرَه والحرص والشَّبَق) محرَّكة: شدة الغُلْمة (وغيرها) أي غير ما ذُكر من الأوصاف التي تُعزَىٰ للبهائم (ومن حيث إنه هو في نفسه أمرٌ ربانيٌّ كما قال الله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥] فإنه يدَّعي لنفسه الربوبية) والأنانية (ويحب الاستيلاء والاستعلاء) علىٰ الغير (والتخصص والاستبداد) أي الاستقلال (بالأمور كلِّها والتفرُّد بالربَّانية) أي المِلكية والسيادة (والانسلال عن رتبة العبودية) أي الخلوص منها (و) من (التواضع) أي خفض المقام (ويشتهي الاطِّلاع علىٰ العلوم) والمعارف (كلها، بل يدَّعي لنفسه العلم والمعرفة والإحاطة بحقائق الأمور) كما ينبغي (ويفرح إذا نُسب إلىٰ العلم) أو الكمال (ويحزن إذا قُذف بالجهل) أو النقص، أي اتُّهِم به (والإحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالقهر علىٰ جميع الخلائق من أوصاف الربوبية) ومن خواصِّها (وفي الإنسان حرصٌ علىٰ) حصول (ذلك) له (ومن حيث يختصُّ عن البهائم بالتمييز) والفطانة وقوة النطق والإدراك (مع مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية فصار شرِّيرًا) أي كثير الشر، معروفًا به (يستعمل) تلك القوىٰ التي تميَّز بها عن الحيوانات في غير مواضع استعمالها، فصار يُجري (التمييزَ في استنباط وجوه

الشر، ويتوصَّل) به وبها (إلىٰ) جملة (الأغراض) الفاسدة من حيث المآل (بالمكر والخداع والحيلة، ويُظهِر الشرَّ في معرض الخير. وهذه أخلاق الشياطين) قطعًا (وكل إنسان فيه شوب من هذه الأصول الأربعة، أعني الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية، وكل ذلك مجموع في القلب) يتوارد عليه بعضُها، وتختلف باختلاف الأحوال، وقد يكون منها فيه كلها، وقد يكون بعضها (وكأنَّ المجموع في إهاب الإنسان) أي جلده (خنزير وكلب وشيطان وحكيم، فالخنزير هو الشهوة، فإنه لم يكن الخنزير مذمومًا للونه وشكله وصورته، بل لجَشَعه وكَلَبه وحرصه) الجَشَع محرَّكة: شدة الحرص، والكَلَب محرَّكة: العداوة والحرص أيضًا (والكلب هو الغضب، فإن السبع الضاري) أي اللَّهِج بالعقر (والكلب العقور) الذي من شأنه يعقر الناس (ليس كلبًا وسبعًا باعتبار الصورة واللون والشكل، بل روح معنىٰ السبعية الضراوة) وهو الاجتراء والولع بالصيد (والعدوان) أي التعدِّي علىٰ الصيد (والعقر. وفي باطن الإنسان ضراوة السبع وغضبه، وحرص الخنزير وشَبَقه) أي غُلْمته (فالخنزير يدعو بالشَّرَه إلىٰ الفحشاء والمنكر، والسبع يدعو بالغضب إلىٰ الظلم والإيذاء، والشيطان) موكَّل بهذه الأوصاف (لا يزال يهيِّج شهوةَ الخنزير وغيظ السبع ويغري أحدَهما بالآخر) أي يولِع بهما. وفي نسخة: يقوِّي، بدل: يغري (ويحسِّن لهما ما هما مجبولان عليه) في أصل الطبيعة (والحكيم الذي هو مثال العقل مأمور بأن يدفع كيد الشيطان ومكره بأن يكشف عن تلبيسه) وخداعه (ببصيرته النافذة) في الأمور (ونوره المشرق الواضح، وأن يكسر شَرَه هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه؛ إذ بالغضب تُكسَر سَوْرة الشهوة) أي فورانها (وتُدفَع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه، ويجعل الكل مقهورًا تحت سياسته) وأمره وتدبيره (فإن فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الأمرُ، وظهر العدل في مملكة البدن، وجرىٰ الكل علىٰ الصراط المستقيم) السالم من الاعوجاج (وإن عجز عن قهرها قهروه) وغلبوه (واستخدموه) واستلينوه (فلا يزال) لأجل ذلك (في استنباط الحِيَل) بأنواعها

(وتدقيق الفِكَر) وصرف الهِمَم (ليُشبع الخنزيرَ ويُرضِي الكلب، فيكون دائمًا في عبادة كلب أو خنزير، وهذا حال أكثر الناس مهما كان أكثر همِّهم البطن والفرْج) بأن يُعطَىٰ كلٌّ منهما حظه الخاص به (ومنافسة الأعداء) ومفاخرتهم (والعجب منه أنه ينكر علىٰ عَبَدة الأصنام عبادتهم للحجارة) المنحوتة بأيديهم وهو أسوأ حالاً منهم بكثير (ولو كُشف) له (الغطاء عنه وكوشِفَ بحقيقة حاله بأن تمثَّل له حقيقة حاله كما يمثَّل للمكاشَفين إما في النوم أو في اليقظة لرأىٰ نفسه ماثلاً بين يدي خنزير ساجدًا له مرة، وراكعًا أخرىٰ، ومنتظرًا لإشارته، و) واقفًا عند (أمره) ونهيه (فمهما هاج الخنزيرُ لطلب شيء من شهوته انبعث علىٰ الفور في خدمته وإحضار شهوته. أو رأىٰ نفسه ماثلاً بين يدي كلب عقور عابدًا له مطيعًا سامعًا لِما يقتضيه ويلتمسه، مدقِّقًا للفكر في حِيَل الوصول إلىٰ طاعته، وهو بذلك ساعٍ) مُجِدٌّ (في مَسَرَّة شيطانه، فإنه الذي يهيِّج الخنزير ويثير الكلب ويبعثهما علىٰ استخدامه، فهو من هذا الوجه يعبد الشيطان بعبادتهما) أي بواسطتهما، فكيف ينكر مَن هو مثل هذا علىٰ عَبَدة الأصنام مع إقرارهم بأنهم إنما يعبدونها لتقرِّبهم إلىٰ الله زُلفَىٰ، وعابد الخنزير والكلب أسوأ حالاً منهم؛ لفواتهم تلك النية (فليراقب كل عبد حركاته وسكناته، وسكوته ونطقه، وقعوده وقيامه) وسائر أحواله (ولينظر بعين البصيرة) النافذة (فلا يُرَىٰ إن أنصف نفسه إلا ساعيًا طول النهار في عبادة هؤلاء) مسخَّرًا لخدمتهم (وهذا غاية الظلم؛ إذ جعل المالك مملوكًا، والرب مربوبًا، والسيد عبدًا، والقاهر مقهورًا؛ إذ العقل هو المستحِق للسيادة والقهر والاستيلاء) لأنه جوهر الروح العلوي ولسانه والدالُّ عليه (وقد سخَّره لخدمة هؤلاء الثلاثة) وذلَّله لها (فلا جَرَم ينتشر إلىٰ قلبه من طاعة هؤلاء الثلاثة صفات تتراكم عليه) وتتزاحم (حتىٰ تصير طابعًا ورينًا مهلكًا للقلب ومميتًا له) وإليه الإشارة بقوله تعالىٰ: ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [التوبة: ٨٧] وقوله تعالىٰ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ [المطففين: ١٤] (أما طاعة خنزير الشهوة فتصدر منها صفة الوقاحة) أي قلة الحياء

(والخبث) وهو الوصف الجامع لكل ما يضادُّ الطيِّب **(والتبذير)** وهو[١] تفريق المال علىٰ وجه الإسراف **(والتقتير)** وهو تقليل النفقة **(والرياء، والهَتكة)** محرَّكة: كشف الستر **(والمجانة)** أي الهزل والسخرية **(والعَبَث)** محرَّكة، وهو عملُ ما لا فائدة فيه **(والحرص، والجَشَع)** هو محرَّكة: أشد الحرص، والحرص: طلب الاستغراق فيما [يختص] فيه الحظ[٢] **(والمَلَق)** محرَّكة: اسم من التملُّق **(والحقد، والحسد)** وهو تمنِّي زوال نعمة الغير عنه **(والشماتة)** وهي الفرح بمصيبة الغير **(وغيرها)** من الأوصاف الذميمة **(وأما طاعة كلب الغضب فتنتشر منها إلىٰ القلب صفةُ التهوُّر)** وهو الإقدام علىٰ أمور لا تنبغي **(والبذالة)** وهي الامتهان وعدم التصاوُن **(والبَذَخ)** محرَّكة: التكبُّر **(والصَّلَف)** محرَّكة: العُجب **(والاستشاطة)** وهو الاحتراق غضبًا **(والتكبُّر، والعُجب، والاستهزاء، والاستخفاف، وتحقير الخلق، وإرادة الشر، وشهوة الظلم، وغيرها)** من الأوصاف الذميمة **(وأما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فتتحصَّل منها صفة المكر، والخداع، والحيلة، والدهاء، والجَرْبَزة)** بفتح الجيم وسكون الراء وفتح الموحدة وآخره زاي، وهو بمعنىٰ الخداع[٣] **(والتلبيس، والتضريب، والغش، والخب، والخَنا، وأمثالها)** من الأوصاف الذميمة **(ولو عكس الأمرَ وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربَّانية لاستقرَّ في القلب من الصفات الربانية العلم، والحكمة، واليقين، والإحاطة بحقائق الأشياء، ومعرفة الأمور علىٰ ما هي عليه، والاستيلاء علىٰ الكل بقوة العلم و)** نور **(البصيرة، واستحقاق التقدُّم علىٰ الخلق لكمال العلم وجلاله، ولاستغنىٰ عن عبادة الشهوة والغضب، ولانتشر إليه من ضبط خنزير الشهوة وردِّه إلىٰ حد الاعتدال صفاتٌ شريفة)** تضادُّ تلك الصفات المذكورة **(مثل العفَّة، والقناعة، والهدوء)**

---

(١) التعريفات ص ٥٢.

(٢) هكذا عرفه أبو الحسن الحرالي، كما نقله عنه البقاعي في نظم الدرر ٢/ ٦١ - ٦٢.

(٣) في تاج العروس ١٥/ ٥٦: «الجُرْبُز: الخب الخبيث من الرجال، وهو دخيل، معرب كُرْبُز، ويقال القربز أيضا، والمصدر: الجَربزة».

وهو السكون والطمأنينة (**والزهد، والورع، والتقوىٰ، والانبساط، وحسن الهيئة، والحياء، والظَّرْف**) وهو بالفتح: ذكاء القلب والكياسة (**والمساعدة**) للإخوان علىٰ الخير (**وأمثالها**) من الصفات الحميدة (**ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردِّها إلىٰ حد الواجب صفةُ الشجاعة والكرم**) وهما يتلازمان غالبًا (**والنَّجدة**) بالفتح: شدة الشجاعة (**وضبط النفس**) عن الوقوع في رذيلة (**والصبر**) علىٰ المكاره (**والحِلم، والاحتمال، والعفو، والثبات**) في الأمر (**والنُّبل**) بالضم: رفعة المقام إلىٰ المَطالب (**والشهامة، والوقار، وغيرها**) من الصفات الحميدة (**والقلب في حكم مرآة وقد اكتنفته هذه الأمورُ المؤثِّرة فيه، وهذه الآثار علىٰ التوالي**) أي التتابُع (**واصلة إلىٰ القلب**) لا ينفكُّ عنها (**أما الآثار المحمودة التي ذكرناها فإنها تزيد مرآة القلب جلاءً وإشراقًا ونورًا وضياء حتىٰ تتلألأ فيه جليَّة الحق، وتنكشف فيه حقيقة الأمر المطلوب في الدين. وإلىٰ مثل هذا القلب الإشارةُ بقوله ﷺ: إذا أراد الله بعبد خيرًا جعل له واعظًا**) أي ناصحًا ومذكِّرًا بالعواقب (**من قلبه**) قال العراقي[1]: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أم سلمة، وإسناده جيد.

قلت: رواه ابن لال في مكارم الأخلاق، ومن طريقه أورده الديلمي، ولفظه: «جعل له واعظًا من نفسه يأمره وينهاه». ولفظ القوت: وفي الخبر: «إذا أراد الله بعبد خيرًا جعل له زاجرًا من نفسه وواعظًا من قلبه». قلت: وأخرجه أبو نعيم في الحلية[2] من قول ابن سيرين بزيادة: يأمره وينهاه.

(**وبقوله ﷺ: من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ**) هكذا هو في القوت. وقال العراقي[3]: لم أجد له أصلاً.

قلت: أخرجه أحمد في الزهد[4] عن أبي الجلد قال: قرأت في الحكمة: من

(١) المغني ٢/ ٧١١.

(٢) حلية الأولياء ٢/ ٢٦٤. وهذا هو الأصوب أي من قول ابن سيرين. والله أعلم.

(٣) المغني ٢/ ٧١١.

(٤) الزهد ص ٨٧.

كان له من نفسه واعظ كان له من الله حافظ، ومَن أنصف الناس من نفسه زاده الله بذلك عزًّا، والذل في طاعة الله أقرب من التعزُّز بالمعصية.

(**وهذا القلب هو الذي يستقرُّ فيه الذِّكر**) وهو المشار إليه بقوله ﷺ: «البر ما اطمأنَّ إليه القلب وسكنت إليه النفس». فهذا وصفُ قلب مكاشَف بالذِّكر ونعتُ نفسٍ ساكنة بمزيد السكينة كما وُصف من قلوب المؤمنين في صريح الكلام وفي دليل الخطاب، أما صريحه فإنه (**قال الله تعالىٰ**: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾) [الرعد: ٢٨] أي تسكن إليه، ولولا أن الذِّكر استقرَّ فيه ما اطمأنَّ إليه. وقال الله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ﴾ [الفتح: ٤] وأما دليل الخطاب الذي يشهد بالتدبُّر فقوله تعالىٰ في صفة قلوب [أعدائه] المحجوبين: ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي﴾ [الكهف: ١٠١] ومثله: ﴿أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾ [النجم: ٣٥] ففي تدبُّر معناه أن عباده المستجيبين له سامعون منه، ناظرون إلىٰ غيبه، مكاشَفون بذِكره (**وأما الآثار المذمومة فإنها مثل دخان مظلم يتصاعد إلىٰ مرآة القلب، ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد أخرىٰ إلىٰ أن يسودَّ ويُظلِم ويصير بالكلِّية محجوبًا عن الله تعالىٰ وهو الطبع والرين، قال الله تعالىٰ**: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: ١٤] **وقال تعالىٰ**) في ذكر القلوب المقفَلة بالذنوب: (﴿أَن لَّوۡ نَشَآءُ أَصَبۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡۚ وَنَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأعراف: ١٠٠] **فربط عدم السماع بالطبع بالذنوب، كما ربط السماع بالتقوىٰ فقال تعالىٰ**: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡمَعُواْۗ﴾) [المائدة: ١٠٨] وقال تعالىٰ في فض الطابع بالتوبة وفي انفتاح القفل بالتقوىٰ: (﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾) [البقرة: ٢٨٢] وقال ﷺ في مجمل صفة القلب: «التقوىٰ ههنا» وأشار إلىٰ القلب (**ومهما تراكمت الذنوب طُبع علىٰ القلب، وعند ذلك يعمىٰ القلبُ عن إدراك الحق وصلاح الدين، ويستهين بأمر الآخرة، ويستعظم أمر الدنيا، ويصير مقصور الهم عليها، وإذا قرع سمعه أمر الآخرة وما فيها من الأخطار**) أي

الشدائد (**دخل من أذن وخرج من الأخرىٰ**) ولـم يُلْقِ له بالاً (**ولم يستقرَّ في القلب ولـم يحركه إلىٰ التوبة والتدارُك**) عما فرَّط فيه (**أولئك الذين يئسوا من الآخرة**) كما قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْأَخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ١٣﴾ [الممتحنة: ١٣] أي كما يئس الأحياء من الذين كفروا أن يرجعوا إليهم أو يبعثهم الله. كما أخرجه ابن جرير[١] عن ابن عباس (**وهذا هو معنىٰ اسوداد القلب بالذنوب، كما نطق به القرآن والسنَّة**) أما القرآن فقوله تعالىٰ: ﴿كَلَّاۖ بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ١٤﴾ والرَّيْن: صدأ يعلو الشيء الجليَّ[٢]. وأما السنَّة فأشار إليها المصنف بقوله: (**قال ميمون بن مهران**) هو الحبر ذو الثقة، كاتب عمر بن عبد العزيز، تابعي، وقد تقدمت ترجمته. ولفظ القوت: وروينا عن جعفر بن بُرقان قال: سمعت ميمون بن مهران يقول: (**إذا أذنب العبدُ**) ولفظ القوت: إن العبد إذا أذنب (**ذنبًا نُكت في قلبه**) بذلك الذنب (**نكتة سوداء**) فإن تاب مُحيتْ من قلبه، فترىٰ قلب المؤمن مجلوًّا مثل المرآة، ما يأتيه الشيطان [من ناحية] إلا أبصره، وأما الذي يتتابع في الذنوب كلما أذنب نُكت في قلبه نكتة سوادء، فلا يزال يُنكَت في قلبه حتىٰ يسودَّ قلبُه فلا يبصر الشيطانَ من حيث يأتيه[٣]. هذا لفظ ميمون بن مهران عند صاحب القوت. وأما قول المصنف: فإن هو نزع ... الخ، هو بقية حديث مرفوع، قال صاحب القوت: وقد روىٰ أبو صالح عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نُكت في قلبه نكتة سوداء (**فإن هو نزع**) واستغفر (**وتاب صقل**) قلبُه (**وإن عاد زِيدَ فيها حتىٰ تعلو قلبَه، فهو الرَّيْن**) كذا في النسخ، والصواب: فهو الران[٤] الذي ذكره الله:

---

(١) جامع البيان ٢٢/ ٦٠٢.

(٢) المفردات للراغب ص ٢٠٨.

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٤/ ٨٩.

(٤) الران والرين سواء. وقد جاء في الرواية بالوجهين. وقال في النهاية هما سواء.

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾. قلت: وقد[١] رواه كذلك أحمد[٢] وعبد بن حميد والترمذي[٣] والحاكم[٤] وصحَّحاه والنسائي[٥] وابن ماجه[٦] وابن جرير[٧] وابن حبان[٨] وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الشعب[٩]. وأما قول ميمون بن مهران فهو كالمبيِّن لهذا الحديث. وقد رُوي عن حذيفة في تفسير هذه الآية نحوه[١٠]، أخرجه الفريابي والبيهقي في الشعب[١١]. ويُروَىٰ عن ابن عمر مرفوعًا قال: أعمال السوء ذنبٌ علىٰ ذنب حتىٰ مات قلبه واسودَّ[١٢]. أخرجه نعيم بن حماد في الفتن والحاكم وصحَّحه وتُعُقِّب. وقال مجاهد: أي أُثبِتتْ علىٰ قلبه الخطايا حتىٰ غمرته. أخرجه عبد بن حميد[١٣]. وقال ابن عباس: ران: أي طُبع. أخرجه ابن جرير[١٤]. وقال مجاهد: الرين أيسر من الطبع، والطبع أيسر من

(١) الدر المنثور ١٥/ ٢٩٦ - ٣٠١.

(٢) مسند أحمد ١٣/ ٣٣٣.

(٣) سنن الترمذي ٥/ ٣٥٩.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٤٣، ٢/ ٦٠٨.

(٥) السنن الكبرىٰ ٩/ ١٦٠، ١٠/ ٣٢٨.

(٦) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٣٦.

(٧) جامع البيان ١/ ٢٦٧، ٢٤/ ٢٠٠ - ٢٠١.

(٨) صحيح ابن حبان ٣/ ٢١٠، ٧/ ٢٧.

(٩) شعب الإيمان ٩/ ٣٧٣.

(١٠) ولفظه: «القلب هكذا مثل الكف، فيذنب الذنب فينقبض منه، ثم يذنب الذنب فينقبض حتىٰ يجتمع، فإذا اجتمع طبع عليه، فإذا سمع خيرا دخل في أذنيه حتىٰ يأتي القلب فلا يجد فيه مدخلا».

(١١) شعب الإيمان ٩/ ٣٧٤.

(١٢) هذا ليس حديثا مرفوعا، وإنما تفسير قتادة للآية، كما ذكره السيوطي في الدر المنثور وعزاه لعبد بن حميد. وقد أخرجه أيضا الطبري في جامع البيان ٢٤/ ٢٠٣. أما حديث ابن عمر المشار إليه فقد أورده السيوطي قبل أثر قتادة، وأوله: «لن تنفكوا بخير ما استغنىٰ أهل بدوكم عن أهل حضركم ...» الحديث. وهو في الفتن لنعيم ص ٦١٤ - ٦١٥، والمستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٦٧٨.

(١٣) وأخرجه أيضا الطبري في جامع البيان ٢٤/ ٢٠٢، والبيهقي في شعب الإيمان ٩/ ٣٧٥.

(١٤) جامع البيان ٢٤/ ٢٠٢ - ٢٠٣.

الإقفال، والإقفال أشد ذلك كله. أخرجه ابن جرير[١]. وأخرج عبد بن حميد[٢] من طريق خليد بن الحكم [عن أبي المجبر] قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع خصال تفسد القلوب: مُجاراة الأحمق، فإن جاريتَه كنت مثله، وإن سكتَّ عنه سَلِمت منه. وكثرة الذنوب مفسدة للقلوب، وقد قال تعالىٰ: ﴿بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ والخَلْوة بالنساء، والاستمتاع منهن، والعمل برأيهن. ومجالسة الموتىٰ». قيل: وما الموتىٰ؟ قال: «كل غنيٍّ قد أبطره غِناه».

(وقد قال النبي ﷺ: قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر، وقلب الكافر أسود منكوس) ولفظ القوت: وقد أخبر النبي ﷺ أن «قلب المؤمن أجرد فيه سِراج يزهر، في تقسيمه القلوب. ا.هـ. وهو بعض الحديث الذي يأتي ذِكرُه بعدُ **(فطاعة الله تعالىٰ بمخالفة الشهوات مصقِّلات للقلب، ومعاصيه مسوِّدات له، فمَن أقبل علىٰ المعاصي اسودَّ قلبه)** ثلثه أو ربعه أو نصفه، فإن داوم عليه اسودَّ كلُّه **(ومَن أتبعَ السيئة الحسنة ومحا أثرها لم يُظلِم قلبُه، ولكن ينقص نورُه)** فهو **(كالمرآة التي يُتنفَّس فيها ثم تُمسَح ويُتنفس ثم تُمسَح، فإنها)** تجلىٰ لكنها **(لا تخلو عن كدورة، وقد قال ﷺ: القلوب أربعة: قلب أجرد فيه سراج يزهر)** أي يلمع **(فذلك قلب المؤمن، وقلب أسود منكوس)** أي مقلوب أعلاه أسفله وأسفله أعلاه **(فذلك قلب الكافر، وقلب أغلف مربوط علىٰ غلافه فذلك قلب المنافق، وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق، فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدُّها الماء الطيِّبُ، ومثل النفاق فيه كمثل القُرحة يمدُّها القيح والصديد، فأيُّ المادَّتين غلبت عليه حُكم له بها. وفي رواية: ذهبت به)** ... الخ. قال العراقي[٣]: رواه أحمد[٤] والطبراني في الصغير[٥] من

(١) السابق ١/ ٢٦٦.

(٢) وكذلك ابن الأثير في أسد الغابة ٦/ ٢٧٠.

(٣) المغني ٢/ ٧١١.

(٤) مسند أحمد ١٧/ ٢٠٨.

(٥) المعجم الصغير ٢/ ٢٢٨.

حديث أبي سعيد الخدري.

قلت: وقال صاحب القوت: وروينا عن أبي سعيد الخدري وأبي كبشة الأنماري وبعضه أيضًا عن حذيفة عن رسول الله ﷺ ... ثم ساق الحديث كسياق المصنف مع ذِكر الرواية الثانية. ورواه صاحب العوارف من حديث حذيفة، وسياقه كسياق المصنف.

قلت: قال أبو نعيم في الحلية[1]: حدثنا محمد بن عبد الرحمن، حدثنا الحسن ابن محمد، حدثنا محمد بن حميد، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن عمرو بن مُرَّة، عن أبي البختري، عن حذيفة قال: القلوب أربعة: قلب أغلف فذلك قلب الكافر، وقلب مصفح فذلك قلب المنافق، وقلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن، وقلب فيه نفاق وإيمان، فمثل الإيمان كشجرة يُمِدُّها ماء طيِّبٌ، ومثل النفاق كمثل القرحة يمدها قيح ودم، فأيُّهما غلب عليه غلب.

وقال في ترجمة أبي البختري[2]: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا موسىٰ بن عيسىٰ بن المنذر الحمصي، حدثنا أحمد بن خالد الوهبي، حدثنا شيبان بن عبد الرحمن النحوي، عن ليث بن أبي سليم، عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري الطائي، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «القلوب أربعة: فقلب أجرد فيه مثل السراج يزهر، وذلك قلب المؤمن، وسراجه فيه نوره ...» فساقه، ثم قال: غريب من حديث عمرو، تفرَّد به شيبان عن ليث، وحدَّث به الإمام أحمد عن أبي النضر عن شيبان مثله. ورواه جرير عن الأعمش فخالف ليثًا فقال: عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن حذيفة وأرسله.

(وقد قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ

(١) حلية الأولياء ١/ ٢٧٦.

(٢) السابق ٤/ ٣٨٥.

تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ [الأعراف: ٢٠١] **فأخبر أن جلاء القلب وإبصاره يحصل بالذِّكر)** ولفظ القوت: أن جلاء القلب الذِّكر، به يبصر القلبُ **(وأنه لا يتمكَّن منه إلا الذين اتقوا، فالتقوىٰ باب الذِّكر، والذكر باب الكشف، والكشف باب الفوز الأكبر وهو الفوز بلقاء الله تعالىٰ)** ولفظ القوت: وأن باب الذكر التقوىٰ، به يذكر العبدُ، فالتقوىٰ باب الآخرة، كما أن الهوىٰ باب الدنيا، وأمر الله تعالىٰ بالذكر، وأخبر أنه مفتاح التقوىٰ؛ لأنه سبب الاجتناب وهو الاتِّقاء وهو الورع فقال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [البقرة: ٦٣، الأعراف: ١٧١] وأخبر تعالىٰ أنه أظهر البيانَ للتقوىٰ في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [البقرة: ١٨٧].

بيان أمثال القلب بالإضافة إلى العلوم خاصةً

(اعلمْ أن محل العلم هو القلب، أعني) به (اللطيفة) النورانية (المدبِّرة لجميع الجوارح، وهي المطاعة المخدومة من جميع الأعضاء) لا المُضغة الصنوبرية (وهي بالإضافة إلىٰ حقائق المعلومات كالمرآة بالإضافة إلىٰ صور المتلونات، فكما أن للمتلون صورة ومثال تلك الصورة ينطبع في المرآة ويحصل بها فكذلك لكل معلوم حقيقة، ولتلك الحقيقة صورة تنطبع في مرآة القلب وتتضح فيها، وكما أن المرآة غير، وصور الأشخاص) في نفسها (غير، وحصول مثالها في المرآة غير، فهي ثلاثة أمور، فكذلك هنا ثلاثة أمور: القلب) بمنزلة المرآة (وحقائق الأشياء) بمنزلة صور الأشخاص (وحصول نفس الحقائق في القلب وحضورها فيه) بمنزلة حصول مثال تلك الصور (فالعالِم) بكسر اللام (عبارة عن القلب الذي يحلُّ فيه مثال حقائق الأشياء، والمعلوم عبارة عن حقائق الأشياء، والعلم عبارة عن حصول المثال في المرآة) فهي ثلاثة: عالِم ومعلوم وعِلم. ثم زاده وضوحًا بمثال آخر فقال: (وكما أن القبض مثلاً يستدعي قابضًا كاليد ومقبوضًا كالسيف ووصولاً بين السيف واليد بحصول السيف في اليد ويسمَّىٰ قبضًا، فكذلك وصول مثال المعلوم إلىٰ القلب يسمَّىٰ علمًا، وقد كانت الحقيقة موجودة والقلب موجودًا ولم يكن العلم حاصلاً؛ لأن العلم عبارة عن وصول الحقيقة إلىٰ القلب، كما كان السيف موجودًا واليد موجودة ولم يكن اسم القبض والأخذ حاصلاً) بعدُ (لعدم وقوع السيف في اليد) ولقائل أن يقول: إن هذا تشبيه المعقول بالمحسوس وليس بين المشبَّه والمشبَّه به مناسبة تامة فلم يتفقا، فأشار إلىٰ ذلك بقوله: (نعم، القبض عبارة عن حصول السيف بعينه في اليد، والمعلوم بعينه لا يحصل في القلب، فمَن علم النار لم تحصل عين النار في قلبه، ولكن الحاصل حدُّها وحقيقتها المطابقة

لصورتها) بأنها جسم محرِق (فتمثيله بالمرآة أَولىٰ؛ لأن عين الإنسان لا تحصل في المرآة وإنما يحصل مثالٌ مطابق له، وكذلك حصول مثال مطابق لحقيقة المعلوم في القلب يسمَّىٰ علمًا، وكما أن المرآة لا تنكشف فيها الصور) أي صور الأشخاص (لخمسة أمور، أحدها: نقصان صورتها لجوهر الحديد قبل أن يدوَّر ويشكَّل ويُصقَل) يعني به مرآة الهندوان (والثاني: لخبثه وصدئه وكدورته) فإنَّ من شأن الحديد ذلك (وإن كان تام الشكل) وهذان منتفيان في مرآة الزجاج إذا لصق بظهره الزئبق فإنه حينئذٍ لا يحتاج إلىٰ تدويرها وصقلها، ولا يركبها الصدأ أو الكدر (والثالث: لكونه معدولاً به عن جهة الصورة إلىٰ غيرها، كما إذا كانت الصورة وراء المرآة. والرابع: للحجاب المرسَل بين المرآة والصورة. والخامس: للجهل بالجهة التي فيها الصورة المطلوبة حتىٰ يتعذَّر بسببه أن يحاذي بها) أي يقابل (شطر الصورة وجهتها، فكذلك القلب مرآة مستعدَّة لأن تتجلَّىٰ فيها حقيقة الحق في الأمور كلِّها. وإنما خلت القلوبُ عن العلوم التي خلت عنها لهذه الأسباب الخمسة، أولها: نقصان في ذاته كقلب الصبي، فإنه لا تتجلَّىٰ له المعلومات لنقصانه.

والثاني: لكدورة المعاصي والخبث الذي يتراكم علىٰ وجه القلب من كثرة الشهوات، فإنَّ ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمتنع ظهور الحق فيه بقدْر ظلمته وتراكمه) فإن الحق نور، والشهوة ظلمة، وهما ضدان (وإليه الإشارة بقوله ﷺ: مَن قارَفَ ذنبًا) أي أصاب وارتكب (فارقه عقلٌ لا يعود إليه أبدًا) قال العراقي[1]: لم أرَ له أصلاً (أي حصلت في قلبه كدورة لا يزول أثرها) أبدًا (إذ غايته أن يتبعه بحسنة يمحوه بها، فلو جاء بالحسنة ولم تتقدم السيئة لزاد لا محالة إشراقُ القلب، فلما تقدَّمت السيئة سقطت فائدة الحسنة، لكن عاد القلب بها إلىٰ ما كان قبل السيئة ولم يزدد بها نورًا، وهذا خسران مبين ونقصان لا حيلة له) أخرج الديلمي[2]

---

(١) المغني ٢/ ٧١١ - ٧١٢.

(٢) الفردوس بمأثور الخطاب ٣/ ٦١١.

من طريق محمد بن سوقة عن الحارث عن علي مرفوعًا: «مَن استوىٰ يوماه فهو مغبون، ومن كان آخر يوميه شرًّا فهو ملعون، ومن لم يكن علىٰ الزيادة فهو علىٰ النقصان [ومن كان علىٰ النقصان] فالموت خير له». وإسناده ضعيف **(فليست المرآة التي تدنَّس ثم تُمسح بالمصقلة كالتي تُمسح بالمصقلة لزيادة جلائها من غير دنس سابق، والإقبال علىٰ طاعة الله والإعراض عن مقتضَىٰ الشهوات هو الذي يجلو القلبَ ويصفِّيه، ولذلك قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾)** أي نفوسهم وعدوَّهم الذي يأمرهم بالفحشاء والمنكر فصابروه وغلبوا نفوسهم بإماتتها (﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾) أي لنطرقنَّهم إلىٰ مكاشفات العلوم [ولنسمعنهم غرائبَ الفهوم] ولنوصلنَّهم إلىٰ أقرب الطرق إلينا بحسن مجاهدتهم فينا، ثم ختم الأمر بقوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩].

(وقال ﷺ: مَن عمل بما علم ورَّثه الله علم ما لم يعلم) رواه أبو نعيم في الحلية من حديث أنس، وقد تقدم في كتاب العلم[١]، وأورده صاحب القوت ثم قال: أي من معرفة الاختبار والاختيار، والابتلاء والاجتباء، والتعريف والتأديب، والمثوبة والعقوبة، والقبض والبسط، والحل والعقد، والجمع والتفرقة ... إلىٰ غير ذلك من علوم المعارف بعد حُسن التفقُّه عن معرفة المنقَص والمزيد بصفاء القلب وصحة المواجيد، وفسَّر بعض العلماء قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٦٩﴾ فقال: هم الذين يعملون بما يعلمون، قال: يوفِّقهم ويهديهم إلىٰ ما لا يعلمون حتىٰ يكونوا علماء حكماء. ولأجل هذه المناسبة أورد المصنف هذا الحديثَ عقب الآية. وقال بعض السلف: هذه الآية نزلت في المتعبِّدين، المنقطعين إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، المستوحشين من الناس، فيسوق الله إليهم مَن يعلِّمهم أو يلهمهم التوفيق والعصمة. وقال بعض التابعين: مَن عمل بعُشر ما يعلم علَّمه الله ما يجهل، ووفَّقه فيما يعمل حتىٰ يستوجب الجنة، ومَن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم، ولم يوفَّق فيما يعمل حتىٰ يستوجب النار.

---

(١) في الباب السادس منه.

(الثالث: أن يكون معدولاً به عن جهة الحقيقة المطلوبة، فإن قلب المطيع الصالح وإن كان صافيًا فإنه ليس تتضح فيه جليَّةُ الحق؛ لأنه ليس يطلب الحق) أي ليس بصدده (وليس يحاذي بمرآته شطر المطلوب، بل ربما يكون مستوعب الهم) مستغرِق الفكر (بتفصيل الطاعات البدنية) إن كان فارغ البال (أو بتهيئة أسباب المعيشة) له ولأهله (ولا يصرف فكره إلىٰ التأمل في حضرة الربوبية والحقائق الخفية) أسرارها (الإلهية، فلا ينكشف له إلا ما هو متفكِّر فيه من دقائق آفات الأعمال وخفايا عيوب النفس إن كان متفكرًا فيها، أو مصالح المعيشة إن كان متفكرًا فيها، وإذا كان تقييد الهم بالأعمال وتفصيل الطاعات) التي تقرِّب إلىٰ الله (مانعًا عن انكشاف جليَّة الحق فما ظنُّك بمَن صرف الهمَّ إلىٰ شهوات الدنيا ولذَّاتها وعلائقها فكيف لا يُمنع عن الكشف الحقيقي) والحاصل أن تعلُّق القلب بغير الله ولو كان في الطاعات الموصلة إليه مانع عن حصول انكشاف الحقائق كما هي لعدم التفاته إليه.

(الرابع: الحجاب، فإن المطيع القاهر لشهواته) بمجاهدة نفسه (المتجرِّد للفكر في حقيقة من الحقائق قد لا ينكشف له ذلك لكونه محجوبًا عنه باعتقاد سبق إليه منذ الصبا علىٰ سبيل التقليد) والتلقِّي (والقبول بحسن الظن، فإن ذلك يحول بينه وبين حقيقة الحق، ويمنع من أن ينكشف في قلبه خلافُ ما تلقَّنه) أولاً (من ظاهر التقليد، وهذا أيضًا حجاب عظيم به حُجب أكثر المتكلمين والمتعصِّبين للمذاهب) المتبوعة، حتىٰ صارت قلوبهم بذلك التقليد مصمتة لا تسمع غير ما تقلَّدوه منذ صباوتهم (بل أكثر الصالحين) من عباده (المتفكِّرين في ملكوت السموات والأرض؛ لأنهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت في نفوسهم، ورسخت في قلوبهم، وصارت حجابًا بينهم وبين درك الحقائق) علىٰ ما هي عليها. وقد تقدم البحث في ذلك في كتاب العلم.

(الخامس: الجهل بالجهة التي منها يقع العثور) أي الاطِّلاع (علىٰ

المطلوب، فإن طالب العلم ليس يمكنه أن يحصِّل العلمَ بالمجهول إلا بالتذكُّر للعلوم التي تناسب مطلوبَه، حتىٰ إذا تذكَّرها ورتَّبها في نفسه ترتيبًا مخصوصًا يعرفه العلماء بطرق الاعتبار فعند ذلك يكون قد عثر علىٰ جهة المطلوب فتتجلَّىٰ حقيقة المطلوب) وتنكشف (لقلبه، فإن العلوم المطلوبة التي ليست فِطرية) أي ممَّا يمكن حصوله من أصل الفطرة (لا تُقتنَص إلا بشبكة العلوم الحاصلة) عنده (بل كل علم لا يحصل إلا عن علمين سابقين يأتلفان ويزدوجان علىٰ وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علمٌ ثالث، علىٰ مثال ما يحصل من النتاج من ازدواج الفحل والأنثىٰ ثَم) أي هناك (كما أن مَن أراد أن يستنتج رَمَكة) محرَّكة، وهي الأنثىٰ من البراذين (لم يمكنه ذلك من حمار وبقرة وإنسان، بل من أصل مخصوص هو الفرس الذكَر والأنثىٰ، وذلك إذا وقع بينهما ازدواج مخصوص، فكذلك كل علم فله أصلان مخصوصان وبينهما طريق) خاص (في الازدواج يحصل من ازدواجهما العلمُ المستفاد المطلوب، والجهل بتلك الأصول وبكيفية الازدواج هو المانع من العلم) للأكثرين (ومثاله ما ذكرناه من الجهل بالجهة التي الصورة فيها، بل مثاله أن يريد الإنسان مثلاً أن يرىٰ قفاه في المرآة، فإنه إن رفع المرآة بإزاء وجهه) أي في مقابلته (لم يكن قد حاذىٰ بها) أي قابَلَ (شطر القفا) أي في جهته (فلا يظهر فيها القفا) لعدم المقابلة (وإن رفعها وراء القفا وبإزائه كان قد عدل بالمرآة عن عينه فلا يرىٰ المرآة ولا صورة القفا فيها) فإن العين هي التي تبصر (فيحتاج إلىٰ مرآة أخرىٰ ينصبها وراء القفا، وهذه) المرآة (في مقابلتها بحيث يبصرها ويرعىٰ مناسبةً بين وضع المرآتين حتىٰ تنطبع صورة القفا في المرآة المحاذية للقفا، ثم تنطبع صورة هذه المرآة في المرآة الأخرىٰ التي في مقابلة العين، ثم تدرك العين صورةَ القفا، فكذلك في اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها إزورارات وتحريفات أعجب مما ذكرناه في المرآة، ويعزُّ علىٰ بسيط الأرض) أي يندر وجودُ (من يهتدي إلىٰ كيفية الحيلة في تلك الإزورارات) والتحريفات.

(**فهذه هي الأسباب المانعة للقلوب عن معرفة حقائق الأمور، وإلا فكل قلب هو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق؛ لأنه أمر ربانيٌّ شريف**) إذ هو عبارة عن تلك اللطيفة، وهو جوهر لطيف (**فارَقَ سائر جواهر العالَم بهذه الخاصِّية والشرف**) وهي الصلوح لمعرفة الحقائق (**وإليه الإشارة بقوله تعالىٰ**: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾) [الأحزاب: ٧٢] ففيه (**إشارة إلىٰ أن له خاصية تميَّزَ بها عن السموات والأرض والجبال بها صار مطيقًا**) أي قادرًا (**لحمل أمانة الله تعالىٰ، وتلك الأمانة**) اختُلف فيها علىٰ أقوال، منها: (**هي المعرفة**) للحقائق كما هي (**والتوحيد**) لله تعالىٰ، العاري عن الحلول والاتحاد والإيجاد (**وقلب كل آدميٍّ مستعد لحمل الأمانة ومطيق لها في الأصل**) أي في أصل فطرته (**ولكن يثبِّطه**) أي يؤخِّره (**عن النهوض**) أي القيام (**بأعبائها**) أي أثقالها (**والوصول إلىٰ تحقيقها الأسبابُ**) المانعة (**التي ذكرناها، ولذلك قال ﷺ: كل مولود**) من[1] بني آدم (**يولَد علىٰ الفطرة**) اللام للعهد، والمعهود فطرة الله التي فطر الناسَ عليها، أي الخِلقة التي خلق الناس عليها من الاستعداد لقبول الدين والتهيُّؤ للتمييز بين الخطأ والصواب (**وإنما أبواه**): والداه هما اللذان (**يهوِّدانه**) أي يصيِّرانه يهوديًّا بأن يُدخِلاه في دين اليهودية المحرَّف المبدَّل (**وينصِّرانه**) أي يصيِّرانه نصرانيًّا (**ويمجِّسانه**) أي يدخلانه في دين المجوسية كذلك بأن يصدَّاه عما وُلد عليه ويزيِّنان له الملَّة المبدَّلة والنِّحَل الزائغة. ولا ينافيه ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠] لأن المراد به: لا ينبغي أن تبدَّل تلك الفطرة التي من شأنها أن لا تبدل، أو هو خبر بمعنىٰ النهي[2].

قال العراقي[3]: متفق عليه[4] من حديث أبي هريرة.

---

(١) فيض القدير ٥/ ٣٣ - ٣٤.

(٢) انظر: الكواكب الدراري للكرماني ٧/ ١٣٤.

(٣) المغني ٢/ ٧١٢.

(٤) صحيح البخاري ١/ ٤١٧، ٤٢٤، ٣/ ٢٧٥، ٤/ ٢٠٩. صحيح مسلم ٢/ ١٢٢٦ - ١٢٢٧.

قلت: رواه البخاري بلفظ المصنف، إلا أنه قال: «فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه». وزاد: «كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترىٰ فيها من جدعاء»؟ ولفظ مسلم: «كل إنسان تلده أمُّه علىٰ الفِطرة، فأبواه بعدُ يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه، فإن كانا مسلمينِ فمسلم ...» الحديث. وقد رواه الترمذي[١] – وقال: حسن صحيح – بلفظ: «كل مولود يولَد علىٰ الملَّة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يشرِّكانه». قيل: يا رسول الله، فإن هلك قبل ذلك؟ قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين».

وفي الباب عن الأسود بن سريع وعن جابر وعن أنس. فحديث الأسود أخرجه أبو يعلىٰ[٢] والبغوي[٣] والباوردي والطبراني في الكبير[٤] والبيهقي[٥] بلفظ: «كل مولود يولَد علىٰ الفطرة حتىٰ يعرِب عنه لسانُه، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه».

وحديث جابر أخرجه أحمد[٦] والضياء في المختارة بلفظ أبي يعلىٰ، إلا أنه قال بعد قوله «لسانه»: «فإذا عبَّر عنه لسانُه إما شاكرًا أو كَفُورًا».

وأما حديث أنس فأخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول[٧] بلفظ: «كل مولود يولَد من ولد كافر أو مسلم فإنما يولَد علىٰ الفطرة علىٰ الإسلام كلهم، ولكن الشياطين أتتهم فاجتالتهم عن دينهم فهوَّدتهم ونصَّرتهم ومجَّستهم وأمرتهم أن يشركوا بالله ما لم ينزِّل به سلطانًا».

---

(١) سنن الترمذي ٤/ ١٧.
(٢) مسند أبي يعلىٰ ٢/ ٢٤٠.
(٣) معجم الصحابة ١/ ١٧٦.
(٤) المعجم الكبير ١/ ٢٨٣ - ٢٨٥.
(٥) السنن الكبرىٰ ٦/ ٣٣٤.
(٦) مسند أحمد ٢٣/ ١١٣.
(٧) نوادر الأصول ص ٢٥٣.

(وقول رسول الله ﷺ: لولا أن الشياطين يحومون علىٰ قلوب بني آدم لنظروا إلىٰ ملكوت السماء) تقدم قريبًا وفي كتاب الصوم **(إشارة إلىٰ بعض هذه الأسباب التي هي الحجاب بين القلب وبين الملكوت)** وقد تقدم الكلام علىٰ ذلك في كتاب الصوم **(وإليه الإشارة بما رُوي عن ابن عمر ﷺ قال: قيل لرسول الله: يا رسول الله، أين الله في الأرض أو في السماء؟ قال: في قلوب عباده المؤمنين)** هكذا هو في القوت. وقال العراقي[١]: لم أجده بهذا اللفظ، وللطبراني من حديث أبي عنبة الخولاني مرفوعًا: «إن لله آنية من أهل الأرض، وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين ...» الحديث. وقد تقدم قريبًا.

(وفي الخبر: قال الله تعالىٰ: لم تسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلبُ عبدي المؤمن) وفي لفظ زيادة: **(الليِّن الوادع)** أي الساكن المطمئن. هكذا هو في القوت والرسالة للقشيري. والمشهور: «ما وسعني أرضي ولا سمائي، ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن». وقال العراقي[٢]: لم أجد له أصلاً، وفي حديث أبي عنبة قبله عند الطبراني بعد قوله: «وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين، وأحبها إليه ألينها وأرقها».

قلت: وسبقه ابن تيمية[٣] الحافظ فقال: هو مذكور في الإسرائيليات، وليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ، ومعناه: وسع قلبُه الإيمانَ بي ومحبتي ومعرفتي، وإلا فمَن قال إن [ذات] الله تحل في قلوب الناس فهو أكفر من النصارىٰ الذين خصُّوا ذلك بالمسيح وحده.

وفي المقاصد[٤] للحافظ السخاوي ما نصه: ورأيت بخط الزركشي: سمعت

---

(١) المغني ٢/ ٧١٢.

(٢) السابق ٢/ ٧١٢ - ٧١٣.

(٣) مجموع الفتاوىٰ ١٨/ ٣٧٦.

(٤) المقاصد الحسنة ص ٣٧٤.

بعض أهل العلم يقول: هذا باطل، وهو من وضع بعض الملاحدة، وأكثر ما يرويه المتكلمُ علىٰ رؤوس العوامّ عليُّ بن وفا لمقاصد يقصدها، ويقول عند الوجد والرقص: طوفوا ببيت ربكم.

قلت: وهذا من الزركشي تحاملٌ علىٰ الصوفية الذين هم من خواصّ خلق الله تعالىٰ، ويعني بالمتكلم المذكورِ القطبَ أبا الحسن علي بن وفا الشاذلي قُدِّس سرُّه جد السادة الوفائية، وناهيك به جلالة وقدرًا، قد خصَّه الله بالفيوضات والكشوفات ما لو فُتح للزركشي عين قلبه لرأىٰ جلية الحق وتحقَّقت له الحقائق، ولكنه محجوب بما تلقَّفه من مشايخه، مجبول علىٰ ربقة التقليد، وإن كان هو علم من ربه، وما كنت أرىٰ له أن يتكلم بما قال، كيف وقد أخرج عبدالله ابن أحمد في زوائد الزهد[١] بسنده عن وهب بن منبه قال: إن الله فتح السموات لحزقيل حتىٰ نظر إلىٰ العرش، فقال حزقيل: سبحانك، ما أعظمك يا رب! فقال الله: إن السموات والأرض ضعفن عن أن تسعنني[٢]، ووسعني قلب المؤمن الوادع اللين. وإلىٰ هذا أشار ابن تيمية بقوله: مذكور في الإسرائيليات. ويشهد لصحة معناه حديث أبي عنبة الخولاني المارُّ ذِكره قريبًا عند الطبراني. وهذا القدر يكفي للصوفي، ولا يُعترَض عليه إذا عزاه إلىٰ حضرة الرسالة، والإنصاف من أوصاف المؤمنين، ولا اعتراض علىٰ قول القطب عند الوجد: طوفوا ببيت ربكم، فإن القلب بيت الرب، وليس يعني به هذه المُضغة الصنوبرية، بل اللطيفة النورانية، تأملْ.

(وفي الخبر أنه قيل لرسول الله ﷺ: مَن خير الناس؟ فقال: كل مؤمن مخموم القلب. فقيل: وما مخموم القلب؟ فقال: هو التقي النقي الذي لا غش فيه، ولا بغي، ولا غدر، ولا غِل، ولا حسد) هكذا أورده صاحب القوت. وقال العراقي[٣]: رواه

---

(١) الزهد ص ٦٩.

(٢) في الزهد: «إن السموات والأرض لم تطق أن تحملني وضقن عن أن تسعنني».

(٣) المغني ٢/ ٧١٣، وفيه: بإسناد صحيح.

ابن ماجه[١] من حديث عبد الله بن عمرو بإسناد جيد.

قلت: لفظ ابن ماجه: «خير الناس ذو القلب المخموم واللسان الصادق». قيل: قد عرفنا اللسان الصادق، فما القلب المخموم؟ قال: «هو التقي النقي الذي لا إثم فيه ولا بغي ولا حسد». قيل: فمَن علىٰ أثره؟ قال: «الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة». قيل: فمَن علىٰ أثره؟ قال: «مؤمن في خُلق حسن». وقد رواه كذلك الحكيم الترمذي في النوادر[٢] والطبراني في الكبير[٣] وأبو نعيم في الحلية[٤] والبيهقي في الشعب[٥]. ورواه أحمد في الزهد[٦] عن أسد بن وداعة مرسلاً.

(**ولذلك قال عمر**) بن الخطاب (رضي الله عنه): **رأىٰ قلبي ربي. إذ كان قد رَفعَ الحجابَ**) بينه وبين قلبه (**بالتقوىٰ**) ومزيد الإيمان وقوَّته بما أورثته سعة المشاهَدة (**ومَن ارتفع الحجاب بينه وبين الله تجلَّت صورة المُلك والملكوت في قلبه**) فالمُلك عالَم الشهادة، والملكوت عالم الباطن (**فيرىٰ**) بعين بصيرته (**جنة عرض بعضها السموات والأرض، أما جملتها فأكثر سعةً من السموات والأرض؛ لأن السموات والأرض عبارة عن عالَم المُلك والشهادة، وهو وإن كان واسع الأطراف متباعد الأكناف**) أي النواحي (**فهو متناهٍ علىٰ الجملة. وأما عالَم الملكوت وهو الأسرار الغائبة عن مشاهدة الأبصار المخصوص بإدراك البصائر**) لاختصاصه

(١) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٢٠ حتىٰ قوله (ولا حسد) ولم يذكر ما بعده.

(٢) نوادر الأصول ص ٥٧٨.

(٣) ورواه أيضا في مسند الشاميين ٢/ ٢١٨.

(٤) حلية الأولياء ١/ ١٨٣، ٦/ ٦٩.

(٥) شعب الإيمان ٦/ ٤٤٩، ٩/ ٧.

(٦) الزهد ص: ٣٢٢، ولفظه: «سُئل رسول الله ﷺ: أي المؤمنين أفضل؟ قال: مؤمن مخموم القلب، ليس فيه غل ولا حسد. قالوا: يا نبي الله، لا نعرف ذلك فينا، فأي المؤمنين بعد هذا أفضل؟ قال: المؤمن الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة. قالوا: يا نبي الله، لا نعرف ذلك فينا إلا ما كان من رافع ابن خديج، فأي المؤمنين بعد هذا أفضل؟ قال: مؤمن حسن الخلق».

بأرواح النفوس (**فلا نهاية له**) لسعته، وعالم[١] الشهادة بالنسبة إلىٰ عالم الملكوت كالقشرة بالنسبة إلىٰ اللُّب، وكالصورة والقالب بالنسبة إلىٰ الروح، وكالظلمة بالنسبة إلىٰ النور، وكالسفل بالنسبة إلىٰ العلوِّ، ولذلك يسمىٰ عالم الملكوت: العالم العلوي والعالم الروحاني والعالم النوراني، وفي مقابلته العالم السفلي والجسماني والظلماني (**نعم، الذي يلوح للقلب منه مقدار متناهٍ، ولكنه في نفسه وبالإضافة إلىٰ علم الله لا نهاية له**) كما لا نهاية لمعلوماته (**وجملة عالم المُلك والملكوت إذا أُخِذت دفعة واحدة تسمىٰ: الحضرة الربوبية**) وحضرة الإلهية غير حضرة المُلك وغير حضرة الربوبية، ولذلك أمر بالعياذ بجميع هذه الحضرات فقال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ [الناس: ١ - ٣] وتمييز حضرة المُلك من حضرة الربوبية يستدعي شرحًا طويلاً. ولكلٍّ[٢] من الحضرات الإلهية الخمس عوالم: فحضرة الشهادة عالمها عالم المُلك، وحضرة الغيب المضاف عالمها عالم الملكوت، وعالم الملك مَظهر عالم الملكوت. ولا يكون العبد ملكوتيًّا إلا وتبدَّل في حقه الأرض غير الأرض والسموات، ويصير كل ما هو داخل تحت الحس والخيال أرضه، ومن جملتها السموات، وكل ما ارتفع عن الحس سماؤه، وهذا هو المعراج الأول لكل سالك ابتدأ سفره إلىٰ قرب الحضرة الربوبية (**لأن الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات؛ إذ ليس في الوجود شيء سوىٰ الله وأفعاله، ومملكته وعبيده من أفعاله**) وفي بعض النسخ: ومملكته من عبيده وأفعاله. وقد اتفق العارفون علىٰ ذلك، فهم لم يروا في الوجود إلا الواحد الحق وأفعاله، لكن منهم مَن كان له هذا الحال عرفانًا علميًّا، ومنهم مَن صار له ذلك ذوقًا حاليًّا، وانتفت عنهم الكثرة بالكلية، واستغرقوا بالفردانية المحضة، واستُوفيت فيها عقولهم، فصاروا كالمبهوتين فيه، ولم يبقَ فيهم متسَع لا لذكر غير الله ولا لذكر أنفسهم أيضًا، فلم يكن عندهم إلا الله (**فما يتجلَّىٰ من**

---

(١) مشكاة الأنوار للغزالي ص ٥٢ - ٨٩.

(٢) انظر: التعريفات للجرجاني ص ٩٣.

ذلك للقلب هو الجنة بعينها عند قوم) من العارفين **(وهو سبب استحقاق الجنة عند أهل الحق، وتكون سعة مُلكه في الجنة بحسب سعة معرفته)** واتساع باعه في اليقين **(وبمقدار ما تجلَّىٰ له من الله وصفاته وأفعاله)** وفي ذلك يتفاوتون علىٰ قدْر مقاماتهم وسعة معرفتهم **(وإنما مراد الطاعات وأعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه)** قال الله تعالىٰ: (﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝﴾) [الشمس: ٩] أي النفس، وبتزكية النفس تحصل تزكيةُ القلب. وفي بعض النسخ: وقد أفلح مَن زكَّاه. أي القلب **(ومراد تزكيته حصول أنوار الإيمان فيه، أعني إشراق نور المعرفة)** بالله، فيترقَّىٰ من الحضيض[1] إلىٰ أوج الحقيقة، فيرىٰ بالمشاهدة العيانية أن ليس في الوجود إلا الله، وأن كل شيء هالك إلا وجهه، ونصيب كل عبد من ذلك حسب قسمه من اليقين، وقسمه من اليقين علىٰ قربه من القريب جلَّ وعلا، وقربه علىٰ حسب قرب الله تعالىٰ من قلبه [وقرب الله تعالىٰ منه] بقدر علمه بالله، واتساعه فيه علىٰ نحو مكانه من مزيد الإيمان، ومزيد إيمانه علىٰ قدر إحسان الله إليه، وإحسانه إليه علىٰ قدر عنايته به وإيثاره له **(وهو المراد بقوله تعالىٰ:** ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾) [الأنعام: ١٢٥] فالنور إذا قُذف في القلب انشرح له الصدر فظهرت له العلامات الدالَّة عليه من الإنابة والاستعداد للموت وغيرها، كما سيأتي **(وبقوله)** تعالىٰ: (﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢] **نعم، هذا التجلِّي وهذا الإيمان له ثلاث مراتب)** اعلم أن التجلِّي يستدعي رفع الحجاب ومعرفة الحجاب وسببه وما يقابله، فرفعُ الحجاب هو الانكشاف الحاصل للقلب بنور الإيمان، وأما الحجاب فهو انتكاس القلب وانغلاقه، وسببه الظلمة، وأما ما يقابله فهو نور الإيمان، ويندرج فيه نور العلم ونور الذوق، والله سبحانه وتعالىٰ يتجلَّىٰ في ذاته بذاته لذاته، ويكون الحجاب بالإضافة إلىٰ محجوب لا محالة، فالمحجوبون

---

(١) في مشكاة الأنوار: من حضيض المجاز.

علىٰ أقسام ومراتب، كما أن المؤمنين علىٰ أقسام ومراتب، فمنهم مَن يُحجَب بمجرد الظلمة، ومنهم مَن يُحجب بالنور المحض، ومنهم من يُحجب بنور مقرون بظلمة، ولكل هؤلاء أصناف لا يُحصون كثرة. وأما الإيمان بالله فهو التصديق الجازم بوجوده أولاً، ثم بتقديسه عن سمات الحوادث ثانيًا، وبوحدانيته ثالثًا، وبصفاته رابعًا، وهذا التصديق له مراتب، ذكر المصنف منها ثلاثة، وهي في الحقيقة تسعة، فإن كل مرتبة من المراتب الثلاثة منقسمة إلىٰ ثلاثة، واقتصر المصنف هنا علىٰ ثلاثة؛ إذ هي الأصول، وذكر في آخر كتابه إلجام العوام[1] ستة، وهي أقسام المرتبتين [الأوليين] وأما المرتبة الثالثة فذكرها بأقسامها في كتابه مشكاة الأنوار، وقد تبع هنا صاحبَ القوت، حيث ذكر المراتب ثلاثة، ونحن نذكر إن شاء الله تعالىٰ خلاصة ذلك كله. قال:

(**المرتبة الأولىٰ: إيمان العوامِّ، وهو إيمان التقليد المحض**) وفيها ثلاث مراتب، الأولىٰ منها: التصديق لمجرد السماع ممَّن حسُن فيه الاعتقادُ بسبب كثرة ثناء الخلق [عليه] فإنَّ مَن حسُن فيه اعتقادُه قد يخبره عن شيء فيسبق إليه اعتقاد جازم وتصديق بما أخبر عنه بحيث لا يبقىٰ مجال لغيره في قلبه، ومستنَده حُسن اعتقاده فيه، وهذا كاعتقاد الصبيان في آبائهم ومعلِّميهم، فإنهم يسمعون الاعتقادات ويصدِّقون بها ويستمرون عليها من غير حاجة إلىٰ دليل وحُجة. المرتبة الثانية من المرتبة الأولىٰ: التصديق الذي يسبق إليه القلب عند سماع الشيء مع قرائن أحوال لا تفيد القطعَ عند المحقِّق، ولكن يلقي في قلب العوام اعتقادًا جازمًا لا يخالجه ريبٌ، ولا يطلب دليلاً. المرتبة الثالثة من المرتبة الأولىٰ: أن يسمع القول فيناسب طبعه وأخلاقه، فيبادر إلىٰ التصديق لمجرَّد موافقته لطبعه لا من حُسن اعتقاده في قائله، ولا من قرينة تشهد له، لكن لمناسبة ما في طبعه، وهذه أضعف التصديقات وأدنىٰ الدرجات؛ لأن ما قبله استند إلىٰ

(١) إلجام العوام عن علم الكلام ص ٣٥١ - ٣٥٥ [ضمن مجموعة رسائل الغزالي].

دليل ما - وإن كان ضعيفًا - من قرينة أو حسن اعتقاد في المخبِر، وهي أمارات يظنها العاميُّ أدلة، فتعمل في حقه عمل الأدلة.

(**والثانية: إيمان المتكلمين، وهو ممزوج بنوع استدلال، ودرجته قريبة من درجة إيمان العوام**) وفيها أيضًا ثلاث مراتب، الأولىٰ وهي أقصاها: ما يحصل بالبرهان المستقصَىٰ، المستوفَىٰ شروطه، المحرَّرة أصوله ومقدماته، درجة درجة، وكلمة كلمة، حتىٰ لا يبقىٰ مجال احتمال وممكن التباسٍ، وذلك هو الغاية القصوىٰ. الثانية: أن يحصل بالأدلة الرسمية الكلامية المبنية علىٰ أمور مسلَّمة مصدَّق بها لاشتهارها بين أكابر العلماء وشناعة إنكارها ونفرة النفوس عن إبداء المِراء فيها، وهذا الجنس أيضًا يفيد في بعض الأمور في حق بعض الناس تصديقًا جازمًا بحيث لا يشعر صاحبه بإمكان خلافه أصلاً. الثالثة: أن يحصل التصديق بالأدلة الخِطابية التي جرت العادة باستعمالها في المحاورات والمخاطبات الجارية في العادات، وذلك يفيد في حق الأكثرين تصديقًا ببادئ الرأىٰ وسابق الفهم إذا لم يكن الباطن مشحونًا بتعصب ورسوخ اعتقاد علىٰ خلاف مقتضَىٰ الدليل.

(**والثالثة: إيمان العارفين، وهو المشاهَد بنور اليقين**) وفيها أيضًا ثلاث مراتب، الأولىٰ: إيمانهم بأن كل ما سواه إذا اعتبرت ذاته فهو [في ذاته] من حيث ذاته لا وجود له، بل وجوده مستعار من غيره، ولا قوام لوجوده المستعار بنفسه بل بغيره، ونسبة المُستعار إلىٰ المستعير مجاز محض، فإذا انكشفت للعبد هذه الحقيقة بنور اليقين علم أنه مِلك لمالكه علىٰ التفرُّد لا شريك له فيه أصلاً. الثانية: ترقَّوا من حضيض المجاز إلىٰ أوج الحقيقة، واستكملوا معراجهم فرأوا بالمشاهدة العيانية أنْ ليس في الوجود إلا الله، وأن كل شيء هالك إلا وجهه، لا أنه يصير هالكًا في وقت من الأوقات، بل هو هالك أزلاً وأبدًا، لا يُتصور إلا كذلك، وأن كل شيء سواه إذا اعتبرت ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض، وإذا اعتبرت من الوجه الذي يسري إليه الوجودُ من الأول [الحق] رؤي موجودًا لا في ذاته لكن

من الوجه الذي يلي موجِده، فيكون الموجود وجه الله فقط، ولكل شيء وجهان: وجه إلىٰ نفسه، ووجه إلىٰ ربه. فهو باعتبار وجه نفسه عدمٌ، وباعتبار وجه الله موجود، فإذًا لا موجود إلا الله ووجهه، فإذًا كل شيء هالك إلا وجهه أزلاً وأبدًا، ولم يفتقر هؤلاء لقيام القيامة ليسمعوا نداء الباري: «لِمَن المُلك اليوم؟ لله الواحد القَهَّار». بل هذا النداء لا يفارق سمعَهم أبدًا، ولم يفهموا من معنىٰ قوله «الله أكبر» أنه أكبر من غيره، حاشَ لله؛ إذ ليس في الوجود معه غيره حتىٰ يكون أكبر منه، بل ليس لغيره رتبة المعيَّة، بل رتبة التبعية، بل ليس لغيره وجود إلا من الوجه الذي يليه، فالموجود وجهه فقط، فمُحال أن يكون أكبر من وجهه، بل معناه: أكبر من أن يقال له أكبر بمعنىٰ الإضافة والمقايسة، وأكبر من أن يدرك غيرُه كُنْه كبريائه، نبيًّا كان أو مَلَكًا، بل لا يعرف كنه معرفته إلا الله تعالىٰ. الثالثة: بعدما عرجوا إلىٰ سماء الحقيقة اتفقوا علىٰ أنهم لم يروا في الوجود إلا الواحد الحق، لكن منهم مَن كان له هذا الحال عرفانًا علميًّا، ومنهم مَن صار له ذلك ذوقًا حاليًّا، وانتفت عنهم الكثرة بالكلية، واستغرقوا بالفردانية المحضة، واستُوفيتْ فيها عقولهم، فصاروا كالمبهوتين فيه، ولم يبقَ فيهم متسَع لا لذكر غير الله ولا لذكر أنفسهم أيضًا، فلم يكن عندهم إلا الله، فسكروا سكرًا وقع دون سلطان عقولهم، فقال أحدهم: أنا الحق، وقال الآخر: سبحاني ما أعظم شأني! وقال آخر: ما في الجُبَّة إلا الله. وكلام العشَّاق في حال السكْر يُطوَىٰ ولا يُحكَىٰ، فلما خفَّ عنهم سكرُهم ورُدُّوا إلىٰ سلطان العقل الذي هو ميزان الله في الأرض عرفوا أن ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد بل يشبه الاتحادَ، وهذه الحالة إذا غلبت سُمِّيت بالإضافة إلىٰ صاحب الحالة: فناء، بل: فناء الفناء؛ لأنه فني عن نفسه، وفني عن فنائه، فإنه ليس يشعر بنفسه في تلك الحال ولا بعدم شعوره بنفسه، ولو شعر بعدم شعوره [بنفسه] لكان قد شعر بنفسه، وتسمَّىٰ هذه الحال بالنسبة إلىٰ المستغرِق به بلسان المجاز اتحادًا، وبلسان الحقيقة توحيدًا.

وقال صاحب القوت: كل قلب اجتمع فيه ثلاثة معانٍ لم تفارقه خواطرُ اليقين، ولكن يضعُف الخاطرُ ويخفَىٰ لضعف المعاني ودقّتها، ويقوَىٰ اليقينُ ويظهر بقوتها؛ لأن هذه الثلاثة مكان اليقين، أحدها: الإيمان، وموضعه من اليقين مكان حجر النار. والثاني: العلم، ومكانه موضع الزناد. والثالث: العقل، وهو مكان الحراق. فإذا اجتمعت هذه الأسباب قُدح خاطر اليقين في القلب، ومثل القلب في قوته بقوة مدده وفي صفائه بجودة عدده مثل المصباح في القنديل، الماء مكان العقل منه، والزيت موضع العلم به، وهو روح المصباح، وبمدده يكون ظهور اليقين، والفتيلة مكان الإيمان منه، وهي أصله وقوامه الذي يظهر بها، فعلىٰ قدر قوة الفتيلة وجودة جوهرها يقوَىٰ اليقينُ، وهو مثل الإيمان في قوته بالورع وكماله بالخوف، وعلىٰ مقدار صفاء الزيت ورقّته واتساعه تضيء النارُ التي هي اليقين، وهو مثل العلم في مدد الزهد وفقد الهوىٰ، فصار العلم مكانًا للتوحيد، فتمكُّنُ الموحِّدِ في التوحيد علىٰ قدر المكان، فكلما اتسع القلب بالعلم بالله تعالىٰ وزهد في الدنيا ازداد إيمانًا وعلا؛ لأنه يرىٰ في علوِّه ما لا يراه غيره، ويعلم في اتساعه ما لا يعلمه سواه، فيكبُر المؤمنُ به، فيكون ذلك مزيد إيمانه وقوَّته، ثم يشهد كلَّ ما آمن به فيكون بذلك يقينه[1] وسعة مشاهدته، وكلما قصُر علمُ القلب بالله سبحانه وتعالىٰ وبمعاني صفاته وأحكام ملكوته قلّت المؤمنات فقلَّ إيمان هذا العبد، ثم أشهد ما آمن به من وراء حجاب لما غلب عليه من حب الأسباب وسمع الكلام من خلف ستر لعجزه عن المسارعة إلىٰ البر، فيضعُف بذلك إيمانه وتختل مشاهدته ولا يتحقق، فليس مَن علم من قدر الله تعالىٰ وصفاته وأحكامه وآياته مائة ألف معنىٰ ثم شهدها كلَّها من قرب عن كشف مثل مَن علم منها عشرة معانٍ ثم شهدها من بُعد عن حجاب، وهما مؤمنان معًا، لكن بين إيمانهما في القرب والعلو والزيادة والنقصان كما بين العشرة إلىٰ مائة ألف، فيكون إيمان قلب المسلم معشار [معشار] عُشر إيمان قلب

(١) في القوت: فيكون بذلك قوة نفسه.

الموقن، والمعشار هو عُشر العُشر، جزء من مائة جزء، ويكون إيمان قلب الموقن فيما بين ذلك من الزيادة علىٰ العشرة والنقصان عن مائة ألف علىٰ قدر قسمه.

(وتتبيَّن لك هذه المراتب بمثال، وهو أن تصديقك بكون زيد مثلاً في الدار له ثلاث درجات:

الأولىٰ: أن يخبرك به مَن جرَّبته بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا اتَّهمته في القول، فإن قلبك يسكن إليه ويطمئن بخبره بمجرَّد السماع، وهذا هو الإيمان بمجرد التقليد) فإنَّ مَن حسُن اعتقاده في إنسان قد يخبره عن شيء كموت شخص وقدوم غائب وغيره فيسبق إليه اعتقاد جازم وتصديق بما أخبر عنه بحيث لا يبقىٰ مجال لغيره في قلبه، ومستنَده حُسنُ اعتقاده فيه، فالمجرَّب بالصدق والورع والتقوىٰ مثل الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إذا قال: قال رسول الله ﷺ [كذا] فكم من مصدِّق به جزمًا وقابِل له قبولاً مطلقًا **(وهو مثل إيمان العوامِّ، فإنهم لما بلغوا سنَّ التمييز سمعوا من آبائهم وأمهاتهم)** ومشايخهم **(وجود الله تعالىٰ وعلمه وإرادته وقدرته وسائر صفاته وبعثة الرسول وصدقه و)** صدق **(ما جاء به، وكما سمعوه)** بادروا إلىٰ التصديق و**(قبلوه، وثبتوا عليه، واطمأنوا إليه، ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه لهم)** ولم يخالجهم ريب وشكٌّ، ولا مستنَد لقبولهم ذلك إلا **(لحسن ظنِّهم)** واعتقادهم **(بآبائهم وأمهاتهم ومعلِّميهم)** وقد يستمرون علىٰ ذلك من غير حاجة إلىٰ دليل ومحاجة **(وهذا الإيمان سبب النجاة)** من عذاب الله **(في الآخرة، وأهله من أوائل رُتَب أصحاب اليمين)** المشار إليهم في قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ۝٢٧ ﴾ الآية [الواقعة: ٢٧] **(وليسوا من المقرَّبين؛ لأنه ليس فيه كشفٌ بصيرة وانشراح صدر بنور اليقين؛ إذ الخطأ ممكن فيما يُسمَع من الآحاد بل من الأعداد فيما يتعلق بالاعتقاد، فقلوب اليهود والنصارىٰ أيضًا مطمئنة بما سمعوه من آبائهم وأمهاتهم، إلا أنهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ؛ لأنهم أُلقيَ إليهم الخطأ، والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطِّلاعهم عليه ولكن أُلقيتْ إليهم كلمة الحق)** وإنما قلنا: إن هذا الإيمان

سبب النجاة في الآخرة؛ لأن أكثر الناس آمنوا في الصبا، وكان [سبب] تصديقهم مجرد التقليد للآباء والمعلِّمين لحسن ظنهم بهم وكثرة ثنائهم علىٰ أنفسهم وثناء غيرهم عليهم وتشديدهم النكير بين أيديهم علىٰ مخالفيهم، وحكايات أنواع النكال النازل بمَن لا يعتقد اعتقادهم وقولهم إن فلانًا اليهودي مُسخ في قبره كلبًا، وفلانًا النصراني[1] انقلب خنزيرًا، أو حكايات ومنامات وأحوال من هذا الجنس تنغرس بها في نفوس الصبيان النفرة عنه والميل إلىٰ ضده حتىٰ يُنزَع الشك بالكلية من قلبه، والتعلُّم في الصغر كالنقش علىٰ الحجر ما لم يقع تشويش عليه، ولا يزال [يؤكَّد] ذلك في نفسه، فإذا بلغ استمر علىٰ اعتقاده الجازم وتصديقه المحكَم الذي لا يخالجه فيه ريبٌ، ولذلك ترىٰ أولاد النصارىٰ والروافض [والمجوس] والمسلمين كلهم لا يبلغون إلا علىٰ عقائد آبائهم واعتقاداتهم في الحق والباطل جازمةً، ولو قُطِّعوا إربًا إربًا لَما زاغوا أبدًا عنها، و[هم قط] لم يسمعوا عليها دليلاً لا حقيقيًّا ولا رسميًّا. وكذلك ترىٰ العبيد والإماء يُسْبَون من المشرك ولا يعرفون الإسلام، فإذا وقعوا في أيدي المسلمين [وصحبوهم] مدة ورأوا ميلهم إلىٰ الإسلام مالوا معهم، واعتقدوا اعتقادهم، وتخلَّقوا بأخلاقهم، كل ذلك لمجرد التقليد والتشبُّه بالغير، فالطباع مجبولة علىٰ التشبُّه لا سيَّما طباع الصبيان والشباب، فبهذا يُعرَف أن التصديق الجازم غير موقوف علىٰ البحث وتحرير الأدلة.

فصل: ولعلك تقول: لا أنكر وصول التصديق الجازم إلىٰ قلوب العوام بهذه الأسباب، ولكن ليس ذلك من المعرفة في شيء، وقد كُلِّف الناس المعرفة الحقيقية دون اعتقادٍ هو من جنس الجهل الذي لا يتميَّز فيه الباطل عن الحق. فالجواب: أن هذا غلط ممَّن ذهب إليه، بل سعادة الخلق في أن يعتقدوا الشيء علىٰ ما هو عليه اعتقادًا جازمًا لتنتقش قلوبُهم بالصورة الموافقة لحقيقة الحق، حتىٰ إذا ماتوا وانكشف لهم الغطاء فشاهدوا الأمور علىٰ ما اعتقدوها لم يُفتضَحوا

---

(١) في إلجام العوام: الرافضي.

ولم يحترقوا بنار الخزي والخجلة أولاً وبنار جهنم ثانيًا، وصورة الحق إذا انتقش بها قلبُه فلا نظر إلىٰ السبب المفيد له أهو دليل حقيقي أم رسمي أم إقناعيٌّ أو قبول لحسن الاعتقاد في قائله أو قبول لمجرد التقليد من غير سبب، فليس المطلوب الدليل المقيد بل الفائدة وهي حقيقة الحق علىٰ ما هي عليه، فمَن اعتقد حقيقة الحق في الله تعالىٰ وفي صفاته وكتبه ورسله واليوم الآخر علىٰ ما هو عليه فهو سعيد وإن لم يكن ذلك بدليل محرَّر كلاميٍّ، ولم يكلِّف الله تعالىٰ عباده إلا ذلك، وذلك معلوم علىٰ الضرورة بجملة أخبار متواترة عن رسول الله ﷺ في توارُد الأعراب عليه وعرضه الإيمان عليهم وقبولهم ذلك، وانصرافهم إلىٰ رعاية الإبل والمواشي من غير تكليفه إياهم التفكر في المعجزة ووجه دلالتها والتفكر في حدوث العالم وإثبات الصانع وفي أدلة الوحدانية وسائر الصفات، بل الأجلاف من العرب أكثرهم لو كُلِّفوا ذلك لم يفهموه ولم يدركوه بعد طول المدة، بل كان الواحد منهم يحلِّفه فيقول: آلله الله أرسلك رسولاً؟ فيقول: واللهِ اللهُ أرسلني رسولاً. فكان يصدِّقه بيمينه وينصرف. ويقول الآخَر إذا قدم عليه ونظره: واللهِ ما هذا وجه كذاب. وأمثال ذلك ممَّا لا يُحصَىٰ، بل كان أسلم في غير غزوة واحدة في [عصره و] عصر أصحابه آلاف لا يفهم أكثرهم أدلة الكلام والتوحيد، ومن كان يفهمه فإنه يحتاج إلىٰ أن يترك صناعته ويختلف إلىٰ تعليمه مدة مديدة، ولم يُنقَل قط شيء من ذلك، فعُلم علمًا ضروريًّا أن الله لم يكلِّف الخلق إلا الإيمان والتصديق الجازم بما قاله كيفما حصل التصديق. نعم، لا يُنكَر أن للعارف درجة علىٰ المقلِّد، ولكن المقلِّد في الحق مؤمن، كما أن العارف مؤمن. فإن قيل: بمَ يميِّز المقلدُ بين نفسه وبين اليهودي المقلد؟ قلنا: المقلد لا يعرف التقليد، ولا يعرف أنه مقلد، بل يعتقد في نفسه أنه محقٌّ عارف، ولا يشك في معتقَده، ولا يحتاج مع نفسه إلىٰ التميز؛ لقطعه بأن خصمه مبطل وهو محقٌّ، ولعله أيضًا يستظهر بقرائن أو أدلة ظاهرة وإن كانت غير قوية، ويرىٰ نفسه مخصوصًا بها ومتميِّزًا بسببها عن خصومه، فإن كان اليهودي يعتقد في نفسه مثل ذلك فلا يشوِّش ذلك علىٰ المحقِّ

اعتقادَه، كما أن العارف الناظر يزعم أنه يميِّز نفسه عن اليهودي بالدليل [واليهودي المتكلم الناظر أيضًا يزعم أنه مميَّز عنه بالدليل] ودعواه ذلك لا تشكِّك الناظرَ العارف، وكذلك لا تشكِّك المقلدَ القاطع، ويكفيه في الإيمان أن لا تشكِّكه في اعتقاده معارضةُ المبطل كلامه بكلامه، فهل رأيتَ عاميًّا قط اغتمَّ وحزن من حيث يعسر عليه الفرقُ بين تقليده وتقليد اليهودي، بل لا يخطر ذلك ببال العوام، وإن خطر ببالهم أو شُوفِهوا به ضحكوا من قائله وقالوا: ما هذا الهذيان؟ وكان به بين الحق والباطل مساواة حتىٰ يحتاج إلىٰ فارق يفرِّق أنه علىٰ الباطل وأني علىٰ الحق، وأنا متيقِّن لذلك، غير شاكٍّ فيه، وكيف أطلب الفرق حيث يكون الفرق معلومًا قطعًا من غير طلب؟ فهذه حالة المقلِّدين من الفرقتين، وهذا إشكال لا يقع ليهودي مبطل؛ لقطعه لمذهبه مع نفسه، فكيف يقع للمقلد المسلم الذي وافق اعتقادُه ما هو الحق عند الله تعالىٰ، فظهر بهذا علىٰ القطع أن اعتقاداتهم جازمة، وأن الشرع لم يكلِّفهم إلا ذلك. والله أعلم.

(**الرتبة الثانية: أن تسمع كلام زيد**) مثلاً (**وصوته من الدار ولكن من وراء جدار، فتستدل به علىٰ كونه في الدار، فيكون إيمانك وتصديقك ويقينك بكونه في الدار أقوىٰ من تصديقك بمجرد السماع، فإنك إذا قيل لك: إنه في الدار، ثم سمعتَ صوته ازددتَ به يقينًا؛ لأن الصوت يدل علىٰ الشكل والصورة عند من يسمع الصوت في حالة مشاهدة الصورة، فقلبه يحكم بأن هذا صوت ذلك الشخص، فهذا إيمان ممزوج بدليل**) وهو يفيد في بعض الأمور وفي حق [بعض] الناس تصديقًا جازمًا بحيث لا يشعر صاحبه بإمكان خلافه أصلاً (**والخطأ أيضًا ممكن أن يتطرَّق إليه؛ إذ الصوت قد يشبه الصوتَ، وقد يمكن التكلُّف بطريق المحاكاة، إلا أن ذلك قد لا يخطر ببال السامع؛ لأنه ليس يجعل للتهمة موضعًا، ولا يقدِّر في هذا التلبيس والمحاكاة غرضًا.**

الرتبة الثالثة: أن تدخل الدار فتنظر إليه بعينك وتشاهده، وهذه هي المعرفة

الحقيقية والمشاهدة اليقينية، وهي تشبه معرفة المقرَّبين والصِّدِّيقين؛ لأنهم يؤمنون عن مشاهدة، فينطوي في إيمانهم إيمانُ العوامِّ والمتكلمين) أما انطواء إيمان العوام فظاهر، وأما إيمان المتكلمين فلأنه حاصل لهم بالبرهان المستوفى شروطه، المحرَّرة أصوله ومقدماته، حتى لا يبقى مجال احتمال وممكن التباس **(ويتميَّزون)** يعني أهل المشاهدة اليقينية **(بمزيَّة بيِّنة يستحيل معها إمكان الخطأ)** لقوة معرفتهم. وأصل سياق هذا المثال لصاحب القوت، وقد أخذه المصنف وزاده تحريرًا وبيانًا، وهذا لفظه: مثال ذلك فيما تعقله مثل رجل قال لك: إن عندي فلانًا. فقد حصل لك علمٌ أنه عنده، غير أن هذا العلم غير يقين؛ لأنه يجوز أن يكون قد اشتبه عليه، أو يكون قد كان عنده ثم خرج وليس هو الآن عنده، وهذا مثل إيمان المسلم، هو علم خبرٍ لا خبرٌ، ثم إنك تأتي إليَّ لتراه فتسمع كلامه من وراء حجاب، فقد علمتَ الآن أنه عندي؛ لأنك سمعت كلامه واستدللت به على كونه. إلا أن هذا العلم أيضًا غير تحقيق؛ لأن الأصوات تشتبه، والأجرام تتقارب. ولو قلتُ لك [بعد ذلك]: لم يكن عندي وإنما كان ذلك غيره أشبه صوتَه، لشككتَ فيه؛ لاحتمال ذلك، ولم يكن عندك يقين [عين] تدفع به قولي، ولا شهادة [نظر] تنكر بها عليَّ. وهذا مثل لإيمان عموم المؤمنين، فهو إيمان خبر لعَمري، وفيه يقين استدلال ممتزج بظنٍّ، غير أن مشاهدة العارفين قد يدخل عليهم التخييل والتشبيه فلا يدفعونه بشهادة يقين. ثم إنك تدخل عليَّ [الآن] بعد أن قيل لك: هو عندي، أو بعد أن سمعتَ كلامه، فتشهده جالسًا لا حجاب بينك وبينه. فهذا هو يقين المعرفة، وهذه شهادة الموقن، وعندها انتفى كلُّ شك وتحقَّق خبرُ العلم. وهذا [مثل لعلم] إيمان الموقنين الذي قد اندرج فيه [إيمان] عموم المؤمنين عن علم الخبر المحتمل ومن سماع الكلام من وراء الحجاب المشتبه، واسم «الإيمان» واقع على جميعهم، ولكن الأول علم أنه عندي بما قيل له فصدَّق، والثاني علم بما سمع فاستدلَّ ولم يشهد فيقطع، والثالث عاين فقطع، وقد شهد له رسول الله ﷺ بالمزيد فقال: «ليس الخبر كالمعاينة» و«ليس المخبَر كالمعايِن».

ثم زاد صاحب القوت على هذا فقال: ومثل آخر في تفاوت المؤمنين في حقيقة الكمال ودخولهم في الاسم والمعنىٰ مثل صلاة رباعية أقيمت، فجاء رجل فأدرك [تكبيرة الإحرام، ثم جاء آخر فأدرك الركوع، ثم جاء آخر فأدرك] الركعة الثانية، ثم جاء آخر فأدرك الثالثة، ثم جاء آخر فأدرك الرابعة، فكلهم قد صلوا وقد أدركوا الصلاة في جماعة ونالوا فضلها؛ لقوله ﷺ: «مَن أدرك من الصلاة ركعة فقد أدرك الصلاة». و[لكن] ليس مَن أدرك الركعة الأولىٰ في كمال الصلاة وإدراك حقيقتها كمَن أدرك الثانية أو الثالثة أو الرابعة، ولا يكون أيضًا مَن أدرك التكبيرة للإحرام في الفضل كمَن لم يدرك شيئًا من القيام، وهما مدركانِ معًا، فكذلك المؤمنون في كمال الإيمان وحقائقه لا يستوون، وإن استووا بالدخول في الاسم والمعنىٰ.

(نعم، وهم) أي أهل المرتبة الثالثة **(أيضًا يتفاوتون بمقادير العلوم وبدرجات الكشف. أما درجات العلوم)** الكشفية **(فمثاله أن يبصر زيدًا في الدار من قرب وفي صحن الدار في وقت إشراق الشمس، فيكمُل له إدراكه، والآخَر يدركه في بيت أو من بُعد أو في وقت عشيَّة فيتمثَّل له من صورته ما يستيقن معه أنه هو، ولكن لا تتمثَّل في نفسه الدقائق والخفايا من صورته، ومثل هذا متصوَّر في تفاوت المشاهدة للأمور الإلهية)** وقد أشار إلىٰ هذا صاحب القوت بقوله: ومثل ذلك أيضًا أن ترىٰ الشيء بالنهار فتعرفه معرفة عين، وتعرف مكانه بنظر لا تخطئه، ثم إنك تحتاج إليه ليلاً فلست تعرف مكانه رأي عينٍ، وإنما تقصده بمعرفة استدلال عليه وبحسن ظنٍّ أنه موجود أو يُعرَف [بشيء] معهود أنه لا يتحول، وكذلك الأدلة التي هي للغائبات وسقوطها مع الشهادات، وبمعناها رؤية الشيء بنور القمر، فإنها تسنح وتلوح المشكلات، ورؤيته في ضياء الشمس فإنها تكشف الأمور علىٰ ما هي بها، فهذا مثلٌ لنور اليقين إلىٰ نور الإيمان **(وأما مقادير العلوم فهو بأن يرىٰ في الدار زيدًا وعَمْرًا وبكرًا وغير ذلك، وآخر لا يرىٰ إلا زيدًا، فمعرفة ذلك تزيد بكثرة المعلومات لا محالة. فهذه حالة القلب بالإضافة إلىٰ العلوم)**.

بيان حال القلب بالإضافة إلى أقسام العلوم العقلية والدينية والدنيوية والأخروية

اعلمْ أن القلب بغريزته) أي بطبيعته الفطرية (مستعدٌّ لقبول حقائق المعلومات، كما سبق) تقريره آنفًا (ولكن العلوم التي تحل فيه تنقسم إلىٰ عقلية وإلىٰ شرعية، والعقلية تنقسم إلىٰ ضرورية ومكتسَبة، والمكتسَبة تنقسم إلىٰ دنيوية وأخروية. أما العقلية فنعني بها ما تقضي به غريزةُ العقل ولا يؤخذ بالتقليد والسماع، وهي تنقسم إلىٰ ضرورية لا يُدرَىٰ من أين تحصل ولا كيف حصلت، كعلم الإنسان بأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين، و) أن (الشيء الواحد لا يكون حادثًا قديمًا) ولا يكون (موجودًا معدومًا معًا) أي في حالة واحدة، وكذلك[1] القول الواحد لا يكون صدقًا وكذبًا [وأن الحكم] إذا ثبت للشيء جوازه ثبت لمثله، وأن الأخص إذا كان موجودًا كان الأعم واجب الوجود، فإذا وُجد السواد فقد وُجد اللون، وإذا وُجد إنسان فقد وُجد الحيوان، وأما عكسه فلا يلزم في العقل؛ إذ لا يلزم من وجود اللون وجود السواد، ولا من وجود الحيوان وجود الإنسان .. إلىٰ غير ذلك من القضايا الضرورية (فإنَّ هذه العلوم يجد الإنسان نفسه منذ الصبا) أي من مبتدأ حال عبادته (مفطورًا عليها) أي مخلوقًا معها (ولا يدري متىٰ حصل له هذا العلم، ولا من أين حصل له) وإنما هو شيء قد عرفه بداهةً (أعني أنه لا يدري له سببًا قريبًا، وإلا فليس يخفَىٰ عليه أن الله تعالىٰ هو الذي خلقه وهداه. وإلىٰ علوم مكتسَبة، وهي المستفادة بالتعلم والاستدلال) فمنها ما لا يقارن العقلَ في كل حال إذا عُرض عليه، بل يحتاج إلىٰ أن يهز أعطافه ويستوري زِناده وينبَّه عليه بالتنبيه كالنظريات (وكِلا القسمين قد يسمَّىٰ عقلاً) ويسمىٰ الأول بالعقل الفطري

(١) مشكاة الأنوار ص ٥١.

والبديهي والمطبوع والضروري، والثاني بالعقل المكتسَب والمسموع والمستفاد والنظري (قال علي كرَّم الله وجهه) فيما نُسب إليه:

(رأيت العقل عقلين فمطبوع ومسموع
وما ينفع مسموعٌ إذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس وضوءُ العين ممنوع)

هكذا نقله صاحب القوت، وتقدم في كتاب العلم (والأول هو المراد بقوله ﷺ لعليٍّ: ما خلق الله خلقًا أكرم عليه من العقل)[١] رواه الحكيم الترمذي في النوادر بإسناد ضعيف، وقد تقدم في العلم (والثاني هو المراد بقوله ﷺ لعلي كرَّم الله وجهه: إذا تقرَّب الناس إلىٰ الله بأنواع البر فتقرَّبْ أنت بعقلك) رواه أبو نعيم في الحلية من حديث عليٍّ بإسناد ضعيف، وقد تقدم في العلم (إذ لا يمكن التقرُّب بالغريزة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسَبة، ولكن مثل علي رضي الله عنه هو الذي يقدر علىٰ التقرُّب) إلىٰ الله تعالىٰ (باستعمال العقل في اقتناص العلوم التي بها ينال القرب من رب العالمين) فما كل علم يقرِّب إلىٰ الله (والقلب جارٍ مَجرىٰ العين، وغريزة العقل جارية مجرىٰ قوة البصر في العين، وقوة الإبصار لطيفة تُفقَد بالعمىٰ وتوجد في البصير وإن كان قد غمض عينيه أو جنَّ عليه الليل، والعلم الحاصل منه في القلب جارٍ مجرىٰ قوة إدراك البصر في العين ورؤيته لأعيان الأشياء) اعلم[٢] أن نور البصر موسوم بأنواع من النقصان، فإنه يبصر غيره ولا يبصر نفسه، ولا يبصر ما بعُد منه ولا ما قرُب، ولا يبصر ما هو وراء حجاب، ويبصر من الأشياء ظاهرها دون باطنها، ويبصر من الموجودات بعضها دون كلها، ويبصر أشياء متناهية ولا يبصر ما لا نهاية له، ويغلط كثيرًا في إبصاره: فيرىٰ الكبير صغيرًا، ويرىٰ البعيد قريبًا، والساكن متحركًا، والمتحرك ساكنًا. فهذه سبع نقائص لا تفارق العين

---

(١) قال ابن العربي في سراج المريدين ٢/ ٤٣: أما العقل فليس فيه حديث صحيح ولا حسن.
(٢) السابق ص ٤٥ - ٤٦.

الظاهرة، فإن كان في الأعين عين منزَّهة عن هذه النقائص كلها فاعلم أن في [قلب] الإنسان عينًا هذه صفة كمالها، وهي التي يعبَّر عنها تارة بالعقل، وتارة بالروح، وتارة بالنفس الإنساني، فهو أولىٰ بأن يسمىٰ نورًا من العين الظاهرة؛ لرفعة قدره عن النقائص السبع (**وتأخُّر العلوم عن عين العقل في مدة الصبا إلىٰ أوان التمييز أو البلوغ يضاهي تأخُّر الرؤية عن البصر إلىٰ أوان إشراق الشمس وفيضان نورها علىٰ المبصرات، والقلم الذي به سطَّر الله العلوم علىٰ صفحات القلوب يجري مَجرىٰ قرص الشمس، وإنما لم يحصل العلم في قلب الصبي قبل أوان التمييز لأن لوح قلبه لم يتهيَّأ بعدُ لقبول نقشِ العلم**) ولكن الاستعداد موجود (**والقلم عبارة عن خلق من خلائق الله تعالىٰ، جعله سببًا لحصول نقشِ العلوم في قلوب البشر، قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾**) [العلق: ٤ - ٥] وأخرج[١] عبد بن حميد وابن جرير[٢] وابن أبي حاتم عن قتادة قال: القلم نعمة [من الله] عظيمة، لولا القلم لم يقُم دينٌ، ولم يصلُح عيشٌ. وقال: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ أي الخط (**وقلم الله لا يشبه قلم خلقه، كما أن وصفه لا يشبه وصف خلقِه، فليس قلمه من قصب ولا خشب، كما أنه تعالىٰ ليست ذاته من جوهر ولا عَرَضٍ**) وأخرج[٣] ابن أبي شيبة[٤] وابن المنذر عن ابن عباس قال: أول ما خلق الله القلم، فأخذه بيمينه - وكِلتا يديه يمين - وخلق النون وهي الدواة، وخلق اللوح فكتب فيه، ثم خلق السموات فكتب ما يكون من حينئذٍ في الدنيا إلىٰ أن تكون الساعة من خلق مخلوق أو عمل معمولٍ بِر أو فجور، وكل رزق حلال أو حرام، رَطْب أو يابس (**فالموازنة بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة**

(١) الدر المنثور ١٥/ ٥٢٦.

(٢) جامع البيان ٢٤/ ٥٢٧.

(٣) الدر المنثور ١٤/ ٦٢٠.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٣١٥ مقتصرا علىٰ قوله (أول ما خلق الله القلم، ثم خلقت له النون وهي الدواة).

من هذه الوجوه، إلا أنه لا مناسبة بينهما في الشرف) فإن البصر الظاهر موسوم بأنواع من النقصان، وهي السبع التي تقدم ذِكرُها قريبًا، والبصيرة الباطنة منزَّهة عنها. وأيضًا (فإن البصيرة الباطنة هي) عبارة عن (عين النفس التي هي اللطيفة المدرِكة) وهي التي يعبَّر عنها بالعقل وبالروح، كما تقدم (وهي كالفارس، والبدن كالفرس، وعمىٰ الفارس أضرُّ علىٰ الفارس من عمىٰ الفرس، بل لا نسبة لأحد الضررين إلىٰ الآخر، ولموازنة بصيرة الباطن للبصر الظاهر سمَّاه الله تعالىٰ باسمه فقال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [النجم: ١١] سمىٰ إدراك الفؤاد رؤية. وكذلك قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٧٥] وما أراد به الرؤية الظاهرة) وهي البصيرة (فإنَّ ذلك غير مخصوص بإبراهيم صلوات الله عليه وسلامه حتىٰ يُذكَر في معرض الامتنان) وإنما المراد به الرؤية القلبية (ولذلك سمَّىٰ ضد إدراكه عمًىٰ، فقال تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: ٤٦] وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾) [الإسراء: ٧٢] وعمىٰ البصيرة هو الحَجْب عن انكشاف جليَّة الحق (فهذا بيان العلم العقلي.

أما العلوم الدينية فهي المأخوذة) المستفادة (بطريق التقليد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، وذلك يحصل بالتعلُّم لكتاب الله ﷻ وسنَّة رسول الله ﷺ وفهم معانيهما) علىٰ قدر الاستعداد (بعد السماع، وبه كمال صفات القلب) إذ به يحصل التنوير والجلاء (وبه سلامته عن الأدواء) جمع داء (والأمراض) عطف تفسير أو مرادف (فالعلوم العقلية غير كافية في سلامة القلب وإن كان) القلب (محتاجًا إليها، كما أن العقل غير كافٍ في استدامة أسباب صحة البدن، بل يحتاج إلىٰ معرفة خواص الأدوية والعقاقير) جمع عقار وهو النبات، وكأنه أراد بالأدويةِ المركَّبةَ، وبالعقاقيرِ المفردةَ (بطريق التعلُّم من الأطباء) لا بالمطالعة في الكتب (إذ مجرد العقل لا يهدي إليه) كما أن مجرد المطالعة لا يكفي (ولكن لا يمكن

فهمه بعد سماعه) وتلقِّيه **(إلا بالعقل، فلا غنىٰ بالعقل عن السمع، ولا بالسمع عن العقل، فالداعي إلىٰ محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل، والمكتفي بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مغرور)** بيانه: أن[1] العقول وإن كانت مبصرة فليست المبصرات كلها عندها علىٰ مرتبة واحدة، بل بعضها يكون عندها كأنها حاضرة كالعلوم الضرورية، وبعضها ممَّا يحتاج إلىٰ نظر واستدلال وتنبيه، وإنما ينبِّهه كلام الحكمة، فعند إشراق نور الحكمة يصير العقل مبصرًا بالفعل بعد أن كان مبصرًا بالقوة، وأعظم الحِكَم كلام الله تعالىٰ وكلام رسول الله ﷺ، فتكون منزلتهما عند عين العقل منزلة نور الشمس عند العين الظاهرة؛ إذ به يتم الإبصارُ، فأحرىٰ أن يسمَّىٰ القرآن والسنة نورًا كما يسمىٰ نور الشمس نورًا. ولذلك قال المصنف: عن أنوار القرآن والسنة **(فإيَّاك أن تكون من أحد الفريقين)**: المفرِط والمفرِّط **(وكن جامعًا بين الأصلين)**: العقل والنقل **(فإنَّ العلوم العقلية كالأغذية)** أي بمنزلتها في احتياج نمو البدن إليها **(والعلوم الشرعية كالأدوية)** أي بمنزلتها في احتياج استدامة صحة البدن إليها **(والشخص المريض يتضرَّر بالغذاء مهما فاته الدواء، فكذلك أمراض القلب لا يمكن علاجها إلا بأدوية مستفادة من الشريعة وهي وظائف العبادات والأعمال التي ركَّبها الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه لإصلاح القلوب)** وهي بمنزلة الأدوية الظاهرة التي يركِّبها الأطباء لإصلاح الأبدان **(فمَن لا يداوي قلبه المريض)** المملوء بأوجاع المعاصي ورياح الشهوات **(بمعالجات العبادات الشرعية)** المركَّبة علىٰ أحسن قانون **(واكتفىٰ بالعلوم العقلية استضرَّ بها كما يستضرُّ المريض بالغذاء)** فلا تتم له الصحة مطلقًا.

ويمكن تقرير السياق بوجه آخر أقرب ممَّا قرَّره المصنف فنقول: المعقولات[2] تجري مجرىٰ الأدوية الجالبة للصحة، والشرعيات تجري مجرىٰ

---

(١) مشكاة الأنوار ص ٥٠ - ٥١.

(٢) الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة ص ١٢٤ - ١٢٥.

الأغذية الحافظة للصحة، وكما أن الجسم متىٰ كان مريضًا لم ينتفع بالأغذية بل يستضر بها كذلك متىٰ كان مريض النفس كما قال تعالىٰ: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [البقرة: ١٠] لم ينتفع بسماع القرآن الذي هو موضوع الشرعيات، بل صار ذلك ضارًّا له مَضرَّة الغذاء للمريض. فتشبيه الشرعيات بالأغذية التي لا يستغني عنها بدن الإنسان أَولىٰ من تشبيهها بالأدوية التي لا يحتاج إليها في كل وقت، والقصد تعذُّر إدراك العلوم النبوية علىٰ من لم يتهذَّب في الأمور العقلية. وأيضًا، فالقلب بمنزلة مزرعة للمعتقدات، والاعتقاد فيه بمنزلة البذر إن خيرًا وإن شرًّا، وكلام الله تعالىٰ بمنزلة الماء الذي يسقيه، فكما أن الماء إذا سقىٰ الأرض يختلف نباته بحسب [اختلاف] بذوره، فكذا القرآن إذا ورد علىٰ الاعتقادات الراسخة في القلوب تختلف تأثيراته، وإليه الإشارة بقوله تعالىٰ: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾ الآية [الرعد: ٤] وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ﴾ الآية [الأعراف: ٥٨] وأيضًا، فالجهل بالمعقولات جارٍ مجرىٰ ستر مرخىٰ علىٰ البصر وغشاء علىٰ القلب ووَقْر في الأذن، والقرآن لا يدرك خفياته[١] إلا مَن كُشف غطاؤه ورُفع غشاوه وأُزيلَ وَقْره، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ [الإسراء: ٤٥] وأيضًا، فالمعقولات كالحياة التي بها الأبصار والأسماع، والقرآن كالمُدرَك بالسمع والبصر، وكما أنه من المُحال أن يسمع ويبصر الميت قبل أن يجعل الله فيه الروح ويجعل له السمع والبصر، كذلك من المحال أن يدرك مَن لم يحصِّل المعقولات حقائقَ الشرعيات.

(وظنُّ من يظن أن العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية) ومصادِمة لها **(وأن الجمع بينهما غير ممكن هو ظنٌّ صادر عن عمًىٰ في عين البصيرة)** وهو أشد من العمىٰ في عين البصر **(نعوذ بالله من ذلك، بل هذا القائل)** أي المجوِّز لذلك **(ربما يناقض عنده بعضُ العلوم الشرعية للبعض فيعجز عن الجمع بينهما**

---

(١) في الذريعة: حقائقه.

فيظن أنه تناقُضٌ في الدين، فيتحيَّر به) تحيُّر الضب إذا ضلَّ عن جُحْره (وينسلُّ عن) ربقة (الدين انسلال الشعرة من العجين) وهو لا يدري كيف انفصل (وإنما ذلك لأن عجزه في نفسه خيَّل إليه نقضًا في الدين) ومصادَمة في علومه (وهيهات! وإنما مثاله مثال الأعمىٰ الذي دخل دار قوم فتعثَّر فيها بأواني الدار) أي زلَّت قدمُه بها (فقال لهم: ما بال هذه الأواني تُركت علىٰ الطريق) أي علىٰ الممرِّ (لِمَ لا تُرَدُّ إلىٰ مواضعها؟ فقيل له: تلك الأواني) موضوعة (في مواضعها) اللائقة بها (وإنما أنت لست تهتدي إلىٰ الطريق لعَماك. فالعجب منك أنك لا تحيل عثرتَك) أي زلَّة قدمك (علىٰ عَماك، وإنما تحيلها علىٰ تقصير غيرك. فهذه نسبة العلوم الدينية إلىٰ العلوم العقلية، والعلوم العقلية تنقسم إلىٰ دنيوية وأخروية، فالدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحِرَف والصناعات) فإن ثمراتها منوطة بالدنيا، ولا تعلُّق لها بالآخرة إلا من وجوه بعيدة (والأخروية كعلم أحوال القلب وآفات الأعمال والعلم بالله وصفاته وأفعاله) ويندرج في ذلك علمُ المباني الخمس وغير ذلك (كما فصَّلناه في كتاب العلم. وهما علمان متنافيان) أي علم الدنيا ينافي علمَ الآخرة، وعلم الآخرة ينافي علمَ الدنيا. ثم ذكر وجه المُنافاة بقوله: (أعني أن مَن صرف عنايته) وبذل همَّته (إلىٰ) تحصيل (أحدهما حتىٰ تعمَّق فيه) أي دخل في عمقه، وهو كناية عن نهاية الاشتغال به (قصرت بصيرتُه عن الآخَر) فلا يمكنه أن يهتدي إليه، وهذا (علىٰ الأكثر) فيما جُرِّب (ولذلك ضرب علي كرَّم الله وجهه للدنيا والآخرة أمثلة ثلاثة فقال: هما ككفَّتَي الميزان) إن رجحت إحداهما خفَّت الأخرىٰ (وكالمشرق والمغرب) وإليه أشار القائل:

سارتْ مشرِّقة وسرتُ مغرِّبًا ... شتَّان بين مشرِّق ومغرِّبِ[1]

(وكالضَّرَّتين إذا أرضيتَ إحداهما أسخطتَ الأخرىٰ) ولم يبقَ بعد هذه الأمثلة مثال يليق لهما، فسائر ما قيل فيهما من الأمثلة راجع إلىٰ هذه الثلاثة، وهذه

---

(١) لم أقف علىٰ قائل هذا البيت.

الأمثلة ذكرها الشريف الموسوي في نهج البلاغة(١)، ونقله الراغب في الذريعة(٢) **(ولذلك ترىٰ الأكياس في أمور الدنيا)** الفَطِنينَ فيها **(وفي)** علومها مثل **(علم الطب والهندسة والحساب والفلسفة جُهَّالاً في أمور الآخرة)** وما أقبح هذا(٣)! **(و)** **ترىٰ (الأكياس في دقائق علوم الآخرة جُهَّالاً في الأكثر)** أي في الأغلب **(بعلوم الدنيا)** وما أحسن هذا! وذلك **(لأن قوة العقل لا تفي بالأمرين جميعًا في الغالب، فيكون أحدهما مانعًا من الكمال في الثاني، ولذلك قال ﷺ: إن أكثر أهل الجنة البُلْه)** بضم فسكون، جمع الأبله **(أي البُلْه في أمور الدنيا)** قد(٤) أغفلوها فجهلوا حِذق التصرف فيها وأقبلوا علىٰ آخرتهم فشُغلوا بها فاستحقُّوا أن يكونوا أكثر أهلها. وقيل: هم الغافلون عن الشر، المطبوعون علىٰ الخير. أو الذين خلوا عن الدهاء والمكر وغلبت عليهم سلامةُ الصدر، وهم عقلاء. قال الزبرقان: خير أولادنا الأبله العَقُول(٥).

قال العراقي(٦): رواه البزار(٧) من حديث أنس وضعَّفه، وصحَّحه القرطبي في التذكرة(٨)، وليس كذلك، فقد قال ابن عدي(٩): إنه منكر.

قلت: وسبقه ابن الجوزي(١٠) فقال ما نصه: حديث لا يصح، قال ابن عدي:

---

(١) شرح نهج البلاغة ٦/ ٣٢٠، ١٨/ ٣٢٩.

(٢) الذريعة ص ٩٦.

(٣) لا أدري والهل أين القبح، والبخ الإمام ما أراد إلا الكمال والتمام!! والله المستعان.

(٤) فيض القدير ٢/ ٧٩.

(٥) انظر: الصحاح للجوهري ٦/ ٢٢٢٧.

(٦) المغني ٢/ ٧١٣.

(٧) مسند البزار ١٣/ ٣٢.

(٨) التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة ص ٨١٥.

(٩) الكامل في الضعفاء ٣/ ١١٦٠.

(١٠) العلل المتناهية ٢/ ٩٣٤ - ٩٣٥.

حديث منكر. وقال الدارقطني[١]: تفرَّد به سلامة عن عقيل، وهو ضعيف. ا.هـ. كلام ابن الجوزي. وقال الهيثمي[٢]: فيه سلامة بن روح، وثَّقه ابن حبان[٣] وغيره، وضعَّفه أحمد بن صالح وغيره.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالىٰ **(في بعض مواعظه: لقد أدركنا أقوامًا لو رأيتموهم لقلتم)** إنهم **(مجانين)** أي لغفلتهم عن أمور الدنيا **(ولو رأوكم لقالوا)** إنكم **(شياطين)**[٤] أي لِما فيكم من الدهاء والمكر والخداع في تحصيل المعايش. وهذا الكلام نقله صاحب القوت، وسيأتي تمامه في آخر كتاب الزهد. والمراد بأولئك الأقوام أصحاب رسول الله ﷺ وعلية التابعين.

(فمهما سمعتَ أمرًا غريبًا من أمور الدين) قد **(جحده أهل الكياسة في سائر العلوم)** وظنوه مناقضًا **(فلا يغرَّنَّك جحودُهم عن قبوله)** فلكل عملٍ رجالٌ **(إذ من المُحال أن يظفر سالك طريق الشرق بما يوجد في الغرب)** فإنما أورثهم ذلك الجحودَ جهلُهم بعلوم الدين **(وكذلك يجري أمر الدنيا والآخرة، ولذلك قال)** الله **(تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا﴾ الآية** [يونس: ٧] **وقال تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾** [الروم: ٧] **وقال تعالىٰ: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٢٩ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾** [النجم: ٢٩ - ٣٠] **فالجمع بين كمال الاستبصار في مصالح الدين والدنيا لا يكاد يتيسَّر)** ويسهُل **(إلا لمَن رسخه الله)** وهيَّأه بالخلافة العظمىٰ

---

(١) أطراف الغرائب والأفراد لابن القيسراني ١/ ٢٢٨.

(٢) مجمع الزوائد ٨/ ١٥٢.

(٣) الثقات ٨/ ٣٠٠.

(٤) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ١٣٤ بلفظ: «والله لقد أدركت سبعين بدريا أكثر لباسهم الصوف، ولو رأيتموهم قلتم مجانين، ولو رأوا خياركم لقالوا: ما لهؤلاء من خلاق، ولو رأوا شراركم لقالوا: ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب».

(لتدبير عباده في معاشهم ومعادهم وهم الأنبياء) عليهم السلام **(المؤيَّدون بروح القدس، المستمِدُّون من القوة الإلهية)** تُفاض عليهم **(التي تتسع لجميع الأمور)** الدنيوية والأخروية على الكمال **(ولا تضيق عنها، وأما قلوب سائر الخلق فإنها إذا أُشغِلت بأمر الدنيا انصرفت عن الآخرة وقصرت عن الاستكمال فيها)** ولكن لنوّابهم وورثتهم في ذلك نصيب، ومراتبهم في ذلك مختلفة باختلاف الأشخاص والأحوال.

بيان الفرق بين الإلهام والتعلُّم، والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النُّظَّار

(اعلمْ أن) نفس[1] الإنسان معدن الحكمة والعلوم، وهي مركوزة فيها بالفطرة، مجعولة لها بالقوة كالنار في الحجر، والنخل في النواة، والذهب في الحجارة، وكالماء تحت الأرض، لكن كما أن من الماء ما يجري من غير فعلٍ بشريٍّ ومنه ما يعايَن تحت الأرض ولكن لا يُتوصل إليه إلا بدلو ورشاء، ومنه ما هو كامن يُحتاج في استنباطه إلىٰ حفر وتعب شديد، فإن عُني به أُدرِك، وإلا بقي غير منتفَع به. ثم إن (العلوم) ضرورية ومكتسَبة، فالضرورية قد تقدم الكلام فيها، و(التي ليست ضرورية وإنما تحصل في القلب في بعض الأحوال) من غير فعلٍ بشريٍّ (يختلف الحال في حصولها، فتارةً تهجم علىٰ القلب كأنه أُلقِي فيه من حيثُ لا يُدرَىٰ) يطمئن له الصدر (وتارةً تُكتسَب بطريق الاستدلال والتعلُّم) فمنه ما يوجد بأدنىٰ تعلُّمٍ، ومنه ما يصعُب وجودُه (فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل) بل بطريق الفيض (يسمَّىٰ إلهامًا) ويختصُّ بما من الله والملأ الأعلىٰ (والذي يحصل بالاستدلال يسمىٰ اعتبارًا واستبصارًا) وفيه قياس ما غاب علىٰ ما ظهر بدليل (ثم الواقع في القلب من غير تمحُّل) أي تكلُّف (وحيلة واجتهاد من العبد ينقسم إلىٰ ما لا يدري العبد أنه كيف حصل له ومن أين حصل، وإلىٰ ما يطَّلع معه علىٰ السبب الذي منه استفاد ذلك العلم وهو شهادة المَلَك الملقِي في القلب، والأول يسمىٰ إلهامًا ونفثًا في الرُّوع) بالضم: الخاطر والقلب، والنفث فيه هو الإلقاء، ومنه الحديث: «إن روح القدس نفث في رُوعي ...» الحديث (والثاني يسمىٰ وحيًا، ويختص به الأنبياء، والأول يختص به الأولياء والأصفياء، والذي

---

(١) الذريعة ص ١٣٧ - ١٣٨.

قبله وهو المكتسَب بطريق الاستدلال يختصُّ به العلماء) وأنواع[١] الوحي ستة، أحدها: أنه كان يأتيه كصلصلة الجرس. الثاني: يتمثَّل له المَلَك رجلاً فيكلِّمه. الثالث: الرؤيا المنامية. الرابع: الإلقاء في القلب. الخامس: يأتيه جبريل في صورته الأصلية، له ستمائة جناح، كل جناح يسد الأفقَ. السادس: يكلمه الله كما كلَّمه ليلة الإسراء، وهو أعلىٰ درجاته. هكذا ذكره شرَّاح البخاري[٢]. فالإلقاء في القلب هو النفث في الرُّوع، وقد جعلوه من أقسام الوحي، وسياق المصنف يؤذِن باختصاصه بالأولياء، ووافقه في ذلك الشيخ الأكبر قُدِّس سره، قال في الفتوحات[٣]: العلوم ثلاث مراتب: علم العقل، وهو كل علم [يحصل] ضرورةً أو عقب نظرٍ في دليل بشرط العثور علىٰ وجه ذلك الدليل. الثاني: علم الأحوال، ولا سبيل إليه إلا بالذوق، فلا يمكن لعاقل وجدانه ولا إقامة دليل علىٰ معرفته، كالعلم بحلاوة العسل ومرارة الصبر ولذَّة الجماع والوجد والشوق، فهذه دلائل[٤] لا يعلمها إلا من يتَّصف بها ويذوقها. الثالث: علم الأسرار، وهو فوق طور العقل، وهو علم نفث روح القدس في الروع، ويختص به النبي والولي، وهو نوعان[٥]، والعالِم به يعلم العلوم كلها ويستغرقها، وليس أصحاب تلك العلوم كذلك.

(وحقيقة القول فيه أن القلب مستعدٌّ لأنْ تتجلَّىٰ فيه حقيقة الحق في الأشياء كلِّها، وإنما حِيلَ بينه وبينها بالأسباب الخمسة التي سبق ذِكرُها، فهي كالحجاب المسدَل الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما

---

(١) فيض القدير ٢/ ٤٥١.

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر ١/ ٢٦ - ٢٩.

(٣) الفتوحات المكية ١/ ٣٣.

(٤) في الفيض والفتوحات: علوم.

(٥) في الفتوحات: «وهو نوعان: نوع منه يدرك بالعقل كالعلم الأول، لكن العالم به لم يحصل له عن نظر ولكن مرتبة العلم أعطت هذا. والنوع الآخر علىٰ ضربين: ضرب منه يلتحق بالعلم الثاني لكن حاله أشرف، والضرب الآخر من علوم الأخبار وهي التي يدخلها الصدق والكذب».

قضىٰ الله تعالىٰ به إلىٰ يوم القيامة، وتجلِّي حقائق العلوم من مرآة اللوح) المحفوظ **(في مرآة القلب يضاهي انطباعَ صورة من مرآة في مرآة تقابلها)** فحقائق العلوم كلها منقوشة في اللوح المحفوظ بقلم القدرة، وما يتجلَّىٰ منها علىٰ مرآة القلب إنما هو بمقابلة مرآته لمرآاة اللوح فتنطبع فيه تلك الحقائق، فما في القلب من النور إنما هو من نور اللوح، وهو في عالم الملكوت علىٰ الترتيب، وفي عالم الشهادة أيضًا، ومعرفته[١] بضرب مثال بأن تفرض ضوء القمر داخلاً في كُوَّة بيت واقعًا علىٰ مرآة منصوبة علىٰ حائط ومنعكسًا منها إلىٰ حائط آخر في مقابلتها ثم منعطفًا منه إلىٰ الأرض بحيث تستنير منه الأرض، فأنت تعلم أن ما علىٰ الأرض من النور تابع لِما علىٰ الحائط، وما علىٰ الحائط تابع لما علىٰ المرآة، وما علىٰ المرآة تابع لما في القمر، وما في القمر تابع لما في الشمس؛ إذ منها يشرق النور علىٰ القمر. وهذه الأنوار الأربعة مرتَّبة بعضها أعلىٰ من بعض وأكمل من بعض. فالنور الأول هو الذي أفاض علىٰ اللوح فانتقشت فيه الحقائق كلُّها، ثم أُفيضَ النور من مرآته إلىٰ مرآة القلب بحكم المقابلة فانطبعت فيه أنوار تلك الحقائق وأشرقت، ثم أُفيضَ منه علىٰ كل مرآة قلبٍ قوبلت بتلك المرآة. ثم إنه قد يعتري الحجابُ بين المرآتين فيكون مانعًا من حصول التجلِّي، وإليه أشار المصنف بقوله: **(والحجاب بين المرآتين تارةً يُزال باليد، وأخرىٰ يزول بهبوب ريح تحركه، فكذلك قد تهبُّ رياح الألطاف)** الإلهية **(فتنكشف الحُجُب عن أعيُن القلوب)** فتعود إلىٰ استعدادها الأول في قبول التجلِّي **(فيتجلَّىٰ فيها بعضُ ما هو مسطور في اللوح المحفوظ)** بحكم التقابل **(ويكون ذلك تارةً عند المنام فيظهر به ما سيكون في المستقبل)** وهو المعنيُّ بقوله ﷺ: «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة» **(وتمام ارتفاع الحجاب)** أي كمال التجرُّد **(بالموت)** أي بعده **(وبه)** يتجرَّد العقل عن النوازع الخيالية والوهمية و**(ينكشف الغطاء)** وتتجلَّىٰ[٢] الأسرار، ويصادف كلُّ

---

(١) من هنا إلىٰ قوله (وأكمل من بعض) عن: مشكاة الأنوار ص ٥٥.

(٢) مشكاة الأنوار ص ٥٠.

أحد ما قدَّم من خير أو شر محضَرًا، وعندها يقال: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [ق: ٢٢] وإنما الغطاء غطاء الخيال والوهم **(وينكشف في اليقظة أيضًا حتىٰ ينقشع الحجاب)** أي يزول **(بلطف خفيٍّ من الله تعالىٰ فيلمع في القلب من وراء ستر الغيب)** وهو عالَم الملكوت **(شيءٌ من غرائب العلم)** الذي هو كهيئة المكنون، وهو المعنيُّ بقوله ﷺ: «إن يكن في هذه الأمَّة محدث فهو عمر». ويكون ذلك **(تارةً كالبرق الخاطف، وأخرىٰ علىٰ التوالىٰ)** أي التتابع **(إلىٰ حدٍّ ما، ودوامه في غاية الندور)** أي القلة **(فلم يفارق الإلهامُ الاكتسابَ في نفس العلم ولا في محلِّه ولا في سببه، ولكن يفارقه من جهة زوال الحجاب، فإن ذلك ليس باختيار العبد، ولم يفارق الوحيُ الإلهامَ في شيء من ذلك، بل في مشاهدة المَلَك المفيد للعلم، فإن العلوم إنما تحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة)** إفاضةً من الله تعالىٰ، وحاصله أن الطرق[1] التي تُستفاد منها العلوم [أربعة] أضرُبٍ، الأول: المستفاد من بديهة العقل ومصادمة الحس. الثاني: المستفاد من جهة النظر إما بمقدمات عقلية أو محسوسة. الثالث: المستفاد بخبر الناس إما بسماع أو قراءة. الرابع: ما كان عن الوحي إما بلسان مَلَك مرئيٍّ، وإما بسماع كلامه من غير مصادفة عين، وإما بإلقاء في روع في حال يقظة، وإما بالمنام **(وإليه الإشارة بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾)** [الشورىٰ: ٥١] ففيه حصرُ المعلومات التي أشرنا إليها.

(فإذا عرفتَ هذا، فاعلمْ أن ميل أهل التصوف إلىٰ العلوم الإلهامية) وهي التي تُفاض علىٰ الإنسان بغير فعلٍ بشريٍّ **(دون التعليمية)** التي تتحصَّل باكتساب وتعلُّمٍ **(فلذلك لم يحرصوا علىٰ دراسة العلم)** علىٰ الوجه المعهود **(وتحصيل ما صنَّفه المصنِّفون)** ورعاية ترتيب ما رتَّبوه **(والبحث عن الأقاويل والأدلة المذكورة)** في كتبهم علىٰ الوجه الذي أوردوه **(بل قالوا: الطريق)** الموصل إلىٰ الله تعالىٰ وراء

---

(١) الذريعة ص ١٤١ - ١٤٢.

ذلك وهو (**تقديم المجاهَدة**) للنفس الأمَّارة (**ومحو الصفات المذمومة**) عن لوح القلب، والانخلاع عن التحلِّي بها (**وقطع العلائق**) الظاهرية والباطنية (**كلها، والإقبال بكُنْه الهمَّة**) أي خالصها (**علىٰ الله تعالىٰ، ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولِّي لقلب عبده والمتكفِّل له بتنويره**) وإشراقه (**بأنوار العلم**) وإفاضتها عليه (**وإذا تولَّىٰ الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة، وأشرق النور في القلب، وانشرح الصدر**) بالهداية والتوفيق (**وانكشف له سرُّ الملكوت**) وتبدَّل[1] في حقه الأرض غير الأرض والسموات، وصار كل ما هو داخل تحت الحس والخيال أرضه ومن جملتها السموات، وكل ما ارتفع عن الحس سماؤه، وهذا هو المعراج الأول لكل سالك ابتدأ سفره إلىٰ قرب حضرة الربوبية (**وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة، وتلألأت فيه حقائق الأمور الإلهية**) لصفاء مرآة قلبه بالنور الإلهي (**فليس علىٰ المريد**) السالك في طريق الحق (**إلا الاستعداد بالتصفية المجرَّدة**) عن مكدِّرات القلب (**وإحضار الهمَّة**) في سلوكه (**مع الإرادة الصادقة**) التي لا يشوبها نقصٌ (**والتعطُّش التام**) للحصول والوصول (**والترصُّد بدوام الانتظار لِما يفتحه الله تعالىٰ**) عليه (**من الرحمة**) العامة (**إذ الأنبياء والأولياء انكشفت لهم الأمور، وفاض علىٰ صدورهم النور لا بالتعلُّم والدراسة**) المعهودة (**والكتابة للكتب**) المعلومة (**بل بالزهد في الدنيا**) والتقلُّل منها (**والتبرِّي من علائقها**) الحِسِّية والمعنوية (**وتفريغ القلب من شواغلها**) الشاغلة (**والإقبال بكنه الهمَّة علىٰ الله تعالىٰ، فمَن كان لله كان الله له، وزعموا**) وصدقوا فيما زعموا (**أن الطريق في ذلك أولاً أن يقطع علائق الدنيا بالكلية ويفرغ قلبه منها**) وفي نسخة: عنها (**ويقطع همه عن الأهل والمال والولد والوطن**) فإنها شواغل مشغِلة، بل (**وعن العلم والولاية**) للمناصب (**والجاه**) عند الولاة (**بل يصير قلبه إلىٰ حالة يستوي فيها وجود كل ذلك وعدمه**) وهذه أول درجة من درجات السلوك، وفي هذا المقام تكون بدايته في السلوك نهاية

---

(١) مشكاة الأنوار ص ٥٢ - ٥٣.

غيره من السالكين في غير هذا الطريق (ثم) بعد تمكُّنه من ذلك (**يخلو بنفسه في زاوية**) من زوايا بيته إن أمكنه، أو في زاوية من زوايا مسجد قريب من بيته إن علم سلامة حاله، وشرط ذلك الخلوة عن الناس، فإن لم يمكنه فليسبل علىٰ رأسه مثل الطيلسان يمنعه من التطلُّع إلىٰ يمين وشِمال، فقد قالوا: إنه الخلوة الصغرىٰ (**مع الاقتصار علىٰ الفرائض**) الخمس (**والرواتب**) التي قبلها وبعدها (**ويجلس فارغ القلب**) عن وسواس أو خيال أو وهم (**مجموع الهم، ولا يفرِّق فكره بقراءة قرآن، ولا بالتأمل في تفسيره**) ووجوهه وإعرابه (**ولا بكَتْب حديث**) ولا بسماعه (**ولا غيره**) كالاشتغال بالأذكار والأوراد (**بل يجتهد أن لا يخطر بباله شيءٌ سوىٰ الله، فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قائلاً بلسانه**) مراقبًا بقلبه (**الله الله علىٰ الدوام، مع حضور القلب**) وهو ذِكرُ مَن غلب عليه الجذبُ قبل السلوك، وهو اختيار طائفة منهم. أو يقول: لا إله إلا الله، وهو ذِكرُ مَن غلب عليه السلوكُ قبل الجذب، واختاره طائفة منهم. وكلاهما موصِّلان، لكن حضور القلب شرطٌ علىٰ كل حال، ولم يزل كذلك (**حتىٰ ينتهي**) الحال (**إلىٰ حالة يترك تحريك اللسان ويرىٰ كأنَّ الكلمة جارية علىٰ اللسان، ثم يصبر عليه إلىٰ أن ينمحي أثره عن اللسان ويصادف قلبَه مواظبًا علىٰ الذكر، ثم يواظب عليه إلىٰ أن تنمحي عن القلب صورةُ اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة، ويبقىٰ معنىٰ الكلمة مجرَّدًا في قلبه حاضرًا فيه كأنه لازم له لا يفارقه**) في حال من الأحوال (**وله اختيار إلىٰ أن ينتهي إلىٰ هذا الحد**) بجهده (**واختيار في استدامة هذه الحالة بدفع الوساوس**) ونفي الخطرات النفسية والشيطانية (**وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله تعالىٰ، بل هو بما فعله قد تعرَّض لنفحات الرحمة الإلهية، فلا يبقىٰ إلا الانتظار لِما يفتح الله من رحمته**) من عنده (**كما فتحها علىٰ الأنبياء والأولياء بهذا الطريق**) فيُلحَق مع المنعَم عليهم (**وعند ذلك إذا صدقت إرادته وصَفَتْ همَّتُه وحسنت مواظبته**) لهذا العمل (**ولم تجاذبه شهواتُه**) وعلائقه (**ولم يشغله حديثُ النفس بعلائق الدنيا، فتلمع لوامع الحق في قلبه**) وتتجلَّىٰ له أسرار الملكوت (**ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبُت، ثم**) مع المواظبة

(**يعود، وقد يتأخر**) هذا التجلِّي (**وإن عاد فقد يثبُت، وقد يكون مختطَفًا، وإن ثبت فقد يطول ثباته**) زمانًا (**وقد لا يطول، وقد يتظاهر أمثاله علىٰ التلاحُق، وقد يقتصر علىٰ فن واحد، ومنازل أولياء الله فيه لا تُحصَىٰ كما لا يُحصىٰ تفاوُت خَلقهم وأخلاقهم، وقد رجع**) مآل (**هذا الطريق إلىٰ تطهير محض**) أي تطهير القلب من خبائث الأشغال (**من جانبك وتصفية وجلاء ثم استعداد وانتظار**) لرحمة الله (**فقط**)[1] وهذا[2] هو طريق شيخ المصنِّف الإمام أبي علي الفارمذي الطوسي، وله في هذا الطريق نسبتان، إحداهما: وهي طريقة الخدمة والصحبة والاستقامة عن الشيخ أبي القاسم الكُرْكاني، وهو عن الشيخ أبي عثمان المغربي، عن الشيخ أبي علي الكاتب، عن الشيخ أبي علي الروذباري، عن سيد الطائفة أبي القاسم الجنيد، عن خاله السري السَّقَطي، عن معروف الكرخي، عن داود بن نصير الطائي، عن أبي محمد حبيب العجمي، عن الحسن البصري رضي الله عنه، عن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب كرَّم الله وجهه، عن النبي ﷺ. والثانية: وهي المشهورة، تلقَّاها عن روحانية الإمام أبي يزيد البسطامي، وهي كنسبة أويس من النبي ﷺ، وأبو يزيد تلقَّاها من روحانية الإمام جعفر الصادق، وهو عن جده لأمه القاسم بن محمد بن أبي بكر الصِّدِّيق، عن أبي محمد سلمان الفارسي رضي الله عنه، وهو عن أمير المؤمنين أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، وقد وصلتنا هذه الطريقة بواسطة القطب أبي يعقوب يوسف بن أيوب الهَمْداني - وكان في عصر المصنف - عن أبي علي الفارمذي المشار إليه،

---

(١) قال في قانون التأويل: وهذا كلام يحوم علىٰ مقاصد الفلاسفة، فإنهم يدعون أنه العبد إذا أقبل علىٰ الله بالكلية، واشتغل بمحو ما ينبغي عن النفس، واظب علىٰ اكتساب ما ينبغي ولازم الذكر حتىٰ يجري منه مجرىٰ النفس، صفا قلبه، فتجلت فيه جميع المعلومات إذ خُلق القلب صقيلاً كالمرآة فإذا قابلته المعلومات تجلت فيه ما لم يصدأ، فإذا اطهر بدفع المعاصي والفضل بقىٰ صقيلاً فتجلت فيه الحقائق ولا يفتقر إلىٰ تعلم. قانون صـ٢٤.

(٢) مفتاح المعية في دستور الطريقة النقشبندية لعبد الغني النابلسي ص ٣٢ - ٣٧، ٥١ - ٦٩، ٨٠ - ٩٤، ١١٠، ١٢٩ - ١٣١، ٢٠١ - ٢٠٤.

وقد عُرفت سلسلته بالنقشبندية باسم أحد رؤساء هذه الطريقة القطب بهاء الدين محمد بن محمد الحسيني البخاري المعروف بنقشبند بأخذه لها عن شيخه السيد أمير كلال البخاري، عن الخواجه محمد بابا السماسي، عن علي الراميثني المشهور بعزيزان، عن الخواجه محمود الفغنوي، عن الخواجه محمد عارف الريوكري، عن الخواجه عبد الخالق الغُجْدواني عنه. وقد اتفقوا على أن طريقتهم دوام العبودية، وهي عبارة عن دوام الحضور مع الحق سبحانه بلا مزاحمة شعور بالغير، بل مع الذهول عن صفة الحضور بوجود الحق سبحانه، ولا يحصل ذلك بغير تصرُّف الجذبة الإلهية، ولا سبب في طريق الجذبة أقوىٰ من صحبة الشيخ الذي سلوكه بطريق الجذبة. وقالوا أيضًا: إن طريق الوصول إلىٰ الله تعالىٰ إما أن يكون بمحض الصحبة أو بالذكر أو بالمراقبة، وأثر الذكر في النفي والإثبات أنك في زمان النفيٰ ينتفي عنك وجود البشرية، وفي زمان الإثبات يظهر عليك أثرٌ من آثار تصرفات الجذبات الإلهية، والأثر يتفاوت بحسب الاستعدادات، فبعضهم أول ما تحصل له الغيبة عمَّا سوىٰ الله، وبعضهم أول ما يحصل له السكر والغيبة، وبعد ذلك يتحقق له وجود العدم، وبعده يتشرَّف بالفناء، قال الشيخ عبد الله الأنصاري أحد رجال هذه الطريقة في تفسير هذه الآية: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤] أي إذا نسيتَ غيره، ثم نسيتَ نفسك، ثم نسيت ذكرك [ذلك] في ذكرك، ثم نسيت في ذكر الحق إياك كل ذِكر. وأعلىٰ الدرجات وأتمُّها الفناء، أعني لا يبقىٰ للسالك خبرٌ عمَّا سوىٰ الله. ومقصود هذه الطائفة مشاهدة الحق كأنك تراه، ومَلَكة الحضور يسمُّونها مشاهدة، وتكون بالقلب، وأما الرؤية فإنها تكون بعين الرأس. والفرق بين الرؤية والمشاهدة أنك في الرؤية لا تقدر أن تبعدها عن نفسك، وفي المشاهدة أنت بالخيار. فهذا ما يتعلق بالذِّكر، وأما التوجُّه والمراقبة فهو أسهل الطرق وأقربها للوصول إلىٰ الله تعالىٰ، وهو عبارة عن ملاحظة ذلك المعنىٰ المقدَّس الذي بغير كيف ولا مثال، المفهوم من الاسم المبارك وهو «الله» بغير واسطة عبارة عربية أو فارسية أو غيرهما، وحفظه بعد الفهم في الخيال، والتوجُّه

بجميع القوىٰ والمدارك إلىٰ القلب الصنوبري والمداومة علىٰ ذلك والتكلُّف في ملازمته حتىٰ تذهب الكُلفة من البين ويصير هذا الأمر مَلَكة. فإن عسر ذلك فليتخيَّله بصورة نور بسيط محيط بجميع الموجودات العلمية والعينية، وليجعله في مقابلة البصيرة، ومع حفظ ذلك فليتوجَّه إلىٰ القلب الصنوبري بجميع القوىٰ والمدارك إلىٰ أن تقوَىٰ البصيرة وتذهب الصورة، ويترتَّب علىٰ ذلك ظهورُ المعنىٰ المقصود، وهذا أقرب من طريق الذكر وأقرب للجذبة الإلهية من غيرها، ولذلك اقتصر عليها المصنف، ومنها يمكن الوصول إلىٰ الوزارة والتصرف في المُلك والملكوت، وبها يمكن الإشراف علىٰ الخواطر والنظر إلىٰ الغير بالموهبة وتنوير باطنه، ومن ملكتها يحصل دوام الجمعية ودوام قبول القلوب، وهذا المعنىٰ يسمَّىٰ جمعًا وقبولاً. وأما الطريق الرابطة بالشيخ فإنها تفيد فائدةَ الذكر، وصحبته تنتج صحبة المذكور، فينبغي أن يُحفَظ ذلك الأثر الذي يشاهَد من صحبته بقدر الإمكان، فإن حصل فتورٌ راجَع مصاحبته حتىٰ يرجع ذلك الأثر، وهكذا يفعل مرة بعد أخرىٰ حتىٰ تصير تلك الكيفية ملكة، وقد يحصل من صحبته محبة وانجذاب فتُحفَظ صورته في الخيال، ويتوجَّه به إلىٰ القلب الصنوبري حتىٰ تحصل الغيبة والفناء عن النفس. وقد زاد الخواجة عبد الخالق الغُجدواني أحد رجال الطريقة المتقدم ذِكره مراعاة حبس النفس في أثناء الذكر والمراقبة، وجعله من مباني هذه الطريقة، وأنه ينبغي الاجتهاد علىٰ حفظ ما بين النفسين حتىٰ لا يدخل بغفلة ولا يخرج بغفلة. ويقال: إن هذا تلقَّاه عن الخضر ﷺ، فإنه ظهر له في ابتداء سلوكه فعلَّمه حبس النفس وأنه ممَّا يوصل إلىٰ المطلوب في أقرب زمن، فلم يمكنه ذلك، فأمره بأن يغوص في الماء ويفعل ذلك، فغاص في الماء وفعله حتىٰ حصَّله، وصار ذلك لمَن بعده سنَّة متبوعة حتىٰ لا يكاد أهل هذا الطريق يتركونه سواء في الذكر أو في المراقبة، وهي زيادة حسنة. قالوا: وإن وقف في أثناء الذكر أو المراقبة تفرَّق الخاطر، فإن كان متعلقًا بالأعمال كمثل الميل إلىٰ شراء فرس ونحوه مما هو مباح شرعًا فليبادر لفعله أو يخرجه من قلبه حتىٰ تكون تلك الخطرة له كعدوٍّ يبذل جهده

في دفعه. والمقصود مراعاة الوقت، فليس شيء أعز من الوقت، وإذا فات لا يُتدارك. قالوا: وخطور الأغيار يكون من رؤية الألوان والأشكال المختلفة، ومن مطالعة الكتب، ومن الصحبة المعروفة، فينبغي للسالك أن يكون أيامًا بغير ملاحظة الأغيار [ثابتًا] في صحبة شيخ كامل لتحصل له ملكة الحضور ببركته في الجمعية، ثم يحصل الرضا والتسليم وهما نهاية العبودية والعبادة، وكمال الإسلام في التسليم والتفويض.

هذا خلاصة ما ذكروه، ولهم في ذلك لطائف عبارات وعجائب إشارات قد أشرنا إليها في مؤلَّفات مختصرة كتبناها في صور إجازات، وفيما ذكرناه مَقنع للطالب الراغب. والله أعلم.

ولنرجع إلىٰ شرح كلام المصنف، قال رحمه الله تعالىٰ: (**وأما النُّظَّار وذوو الاعتبار**) من العلماء (**فلم ينكروا وجود هذا الطريق وإمكانه وإفضاءه إلىٰ هذا المقصد**) يقع (**علىٰ الندور**) والقلة (**فإنه أكبر**[1] **أحوال الأنبياء والأولياء**) لِما فيه من لوامع النهايات (**ولكن استوعروا هذا الطريق**) أي استصعبوه (**واستبطأوا ثمرته**) ونتيجته (**واستبعدوا اجتماع شروطه**) التي شرطوها (**وزعموا أن محو العلائق إلىٰ ذلك الحد**) الذي حددوه (**كالمتعذر**) علىٰ الإنسان (**وإن حصل في حالة فثباته أبعد منه؛ إذ أدنىٰ وسواس و**) أقل (**خاطر يشوِّش القلبَ**) وهم[2] قالوا: إن نفي الخواطر الثلاثة لازم للمريد، أعني النفسية والشيطانية والمَلَكية، وأنه لا بد من إثبات الخاطر الحَقَّاني، ومعرفة الخواطر وتمييزها عسر، ولا تتم معرفة ذلك وتمييزه إلا لمَن تحلَّىٰ بالتقوىٰ والزهد وأكل الحلال الطيب دائمًا، وأنَّىٰ يتيسَّر ذلك لكل أحد في كل وقت، وأنه يلزم المريدَ دائمًا مراقبة خواطره، ولا يترك خاطر الغير يمر بباله، وكل ذلك صعب المَنال، قريب المُحال (**قال رسول الله ﷺ: قلب**

---

(١) في ط الشعب والمنهاج: أكثر. وكأنها الأصح.

(٢) مفتاح المعية ص ١٢٩ - ١٣١.

المؤمن أشد تقلُّبًا من القِدر في غليانها) قال العراقي[١]: رواه أحمد[٢] والحاكم[٣] وصحَّحه من حديث المقداد بن الأسود.

قلت: ولفظ القوت: كالقِدر إذا استجمعت في غليانها.

وسيأتي قريبًا في آخر هذا الكتاب.

(وقال ﷺ: قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن) قال العراقي[٤]: رواه مسلم[٥] من حديث عبد الله بن عمرو.

قلت: ولفظ مسلم: «إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرِّفه حيث يشاء». وكذلك رواه أحمد[٦].

قال النووي[٧]: فيه المذهبان: التفويض أو التأويل علىٰ المجاز التمثيلي، كما يقال: فلان في قبضتي، لا يُراد به أنه حالٌّ في كفِّه، بل المراد: تحت قدرتي. فالمعنىٰ أنه سبحانه يتصرَّف في قلوب عباده وغيرها كيف يشاء، لا يمتنع عليه منها شيء، ولا يفوته ما أراده، كما لا يمتنع علىٰ الإنسان ما كان بين أصبعيه، فخاطب العربَ بما يفهمونه، ومثَّله بالمعاني الحسية تأكيدًا له في نفوسهم.

(وفي أثناء هذه المجاهدة قد يفسد المزاجُ) بطروء أمراض **(ويختلط العقل)** بحصول وسواس **(ويمرض القلب)** بعلل خارجة **(وإذا لم تتقدَّم رياضة النفس**

---

(١) المغني ٢/ ٧١٣.

(٢) مسند أحمد ٣٩/ ٢٣٩.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٣٤٦. ولفظهما: «لقلب ابن آدم أشد انقلابًا من القدر إذا اجتمعت غليانًا».

(٤) المغني ٢/ ٧١٤.

(٥) صحيح مسلم ٢/ ١٢٢٥.

(٦) مسند أحمد ١١/ ١٣٠، ١٨٢.

(٧) شرح صحيح مسلم ١٦/ ٣١١ - ٣١٢.

وتهذيبها بحقائق العلوم) الظاهرة **(نشبت بالقلب خيالات فاسدة)** وأوهام باطلة **(تطمئن النفس إليها مدة طويلة)** من الزمان **(إلىٰ أن تزول)** عنها **(والعمر)** لا يفي بذلك، بل قد **(ينقضي دون النجاح فيها)** والدرك لمطلوبه منها **(فكم من صوفي سلك هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة)** وأكثر وأقل، وكل ذلك لعدم تهذيبه في العلوم **(ولو كان قد أتقن العلم من قبل لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال في الحال)** وقد يُجاب عن ذلك بأن تلك الخيالات الفاسدة التي نشبت بالقلب إنما منشؤها تلك العلوم التي تعلَّمها وظن في نفسه أنها معارف موصِّلة، وفي الحقيقة هي القواطع عن الطريق، وهي التي لا تفي الأعمار في تحصيلها، وأما السالك الذي بصدد تصفية قلبه من الكدورات الوهمية فهو علىٰ هدًىٰ من ربه إن اعتلَّ بدنُه أو فسد مزاجُه فحصلت له بذلك تفرقة خاطر فهو معذور عند الله، وإن مات فقد وقع أجره علىٰ الله، وحقيق أن يقال: هو عاشق إن مات ليلة وِصاله لا يُلام. ثم قالوا: **(والاشتغال بطريق التعلُّم أوثق وأقرب إلىٰ الغرض)** وهو صحيح في نفسه، ولكن كم من مشتغل في طريق التعلُّم قد جرَّه علمٌ إلىٰ علم آخر فلم يتبع علمًا فعلمًا ولا كتابًا فكتابًا حتىٰ يأتيه الأجل وهو لم يُتِمَّ العملَ به، بل جذبه إلىٰ الخوض فيما لا يعنيه، وأما مَن اشتغل بتعلُّم ما يهتدي به مقتصرًا علىٰ الواجب منه ثم اهتدىٰ إلىٰ السلوك فهذا أقل من قليل، وأهل الطريق منهم **(وزعموا أن ذلك يضاهي ما لو ترك الإنسان تعلُّم الفقه وزعم أن النبي ﷺ لم يتعلم ذلك)** بالدراسة **(و)** لكن **(صار فقيهًا بالوحي)** النازل من السماء **(والإلهام)** المُلقَىٰ في رُوعه **(من غير تكرار)** لمسائل علمية **(وتعليق)** بكتابة **(فأنا أيضًا ربما أنتهي بالرياضة والمواظبة إليه)** وتحصل لي الفتوحُ بالفقه في الدين **(ومَن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيَّع عمره)** فيما لا يعني **(بل هو كمَن ترك طريق الكسب والحراثة)** بالأرض **(رجاءَ العثور علىٰ كنز من الكنوز)** يُفتَح له فيأخذ منه ما يستغني به **(فإنَّ ذلك ممكن)** في العقل **(ولكنه بعيد جدًّا، فكذلك هذا)** وهذان المثالان صحيحان، ولكن ليس في السالكين طريقَ الحق من يخطر بباله شيءٌ من ذلك، وحاشاهم من ذلك. نعم، من

المتشبِّه بهم في الطريق أو المتشبِّع بما ليس له قد يمكن أن يقع منه، ولكن لا كلام مع هؤلاء، والصادقون في سلوكهم علىٰ خلاف ذلك، فلا يُنسَب الزعم المذكور إليهم (**وقالوا: لا بد أولاً من تحصيل ما حصَّله العلماء وفهم ما قالوه، ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لِما لم ينكشف لسائر العلماء، فعساه ينكشف بالمجاهدة بعد ذلك**) وهذا مسلَّم، ولكن تحصيل ما حصَّله العلماء وفهم ما قالوه إن كان المراد به علىٰ وجه الإحاطة والكمال فالأعمار لا تفي بذلك لاختلاف أقوالهم وأقواتهم ومعارفهم، فإذا اشتغل بتمييز أقوالهم وتوجيهها إلىٰ أحسن المحامل والجمع بينها علىٰ أحسن الوجوه وهو في هذه متىٰ يتفرَّغ لتصفية القلب عن الغير وهو قد ملأه بالغير، وهذه الوجوه والمناقضات متىٰ انتقشت في لوح القلب خصوصًا من زمن الصغر فإن إزالتها عسيرة جدًّا، فكيف ينكشف له ما لم ينكشف لغيره وهو بعدُ مشحون القلب؟! ولا تتم المجاهدةُ إلا بتخليته عن ذلك كلِّه، فتأملْ فيما أشرتُ إليك، ولا تعجل في ردِّه، ولا عليك أن تتأنَّىٰ في فهمه، فإن المواهب لا حرج عليها.

بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس

اعلمْ أن عجائب القلب خارجة عن مدركات الحواس) الظاهرة (لأن القلب أيضًا خارج عن إدراك الحس، وما ليس مدرَكًا بالحواس) الظاهرة (تضعف الأفهامُ عن دركه إلا بمثال محسوس) في الخارج (ونحن نقرِّب ذلك إلىٰ أفهام الضعفاء بمثالين:

أحدهما: أنَّا لو فرضنا حوضًا) وهو مَجمع الماء (محفورًا في الأرض احتمل أن يُساق الماء إليه من فوقه بأنهار تُفتح إليه) من نواحيه (ويحتمل أن يُحفَر أسفل الحوض ويُرفَع منه التراب إلىٰ أن يقرُب من مستقرِّ الماء الصافي) من الكدر (فينفجر الماء من أسفل الحوض، ويكون ذلك الماء أصفىٰ) من الماء الذي يأتي من فوق بواسطة الأنهار (وأدوم) أي أثبت في الدوام (وقد يكون أغزر وأكثر، فكذلك القلب مثل الحوض، والعلم مثل الماء) الوارد عليه (وتكون الحواس الخمس) الظاهرة (مثل الأنهار، وقد يمكن أن تُساق العلوم) المختلفة الأنواع (إلىٰ القلب بواسطة أنهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات) في عالَم المُلك (حتىٰ يمتلئ علمًا) جمًّا (ويمكن أن تُسَدَّ عنه هذه الأنهار بالخلوة والعزلة وغض البصر) ومنع السمع من أن يتطرَّق إليه شيء من الأخبار (ويعمد إلىٰ عمق القلب) أي باطنه (بتطهيره) من الوساوس والأرجاس (ورفع طبقات الحُجُب عنه حتىٰ يتفجَّر ينبوع العلم) الإلهي (من داخله) فيستغني عن مدد المعارف من فوق (فإن قلت: وكيف ينفجر العلم من ذات القلب وهو خالٍ عنه) والأرض من شأنها إذا حُفرت نبع منها الماء؛ لكونه موجودًا في عروقها الباطنة، وعند الاستنباط يحصل له الظهور، وكيف يُتصور هذا في القلب وليس فيه من المعارف ما هو كامن فيه، حتىٰ إذا صفا عن كدورات ظهرت تلك المعارف ظهور الماء من الأرض (فاعلمْ أن هذا من عجائب أسرار القلب،

ولا يُسمَح بذكره في علم المعاملة) لأنه من وراء طور العقل **(بل القدر الذي يمكن ذِكره)** الآن هو **(أن حقائق الأشياء)** بأسرها **(مسطورة)** بالقلم الأعلىٰ **(في اللوح المحفوظ)** عنده **(بل)** أزيد علىٰ ذلك وأقول: هي مسطورة أيضًا **(في قلوب الملائكة المقرَّبين)** وبيان ذلك: أن[1] الأنوار السمائية التي تُقتبَس منها الأنوار الأرضية مرتَّبة بحيث يقتبس بعضها من بعض، فالأقرب من المنبع الأول أعلىٰ رتبةً، وهكذا ترتيبه في عالم الشهادة، ولا يُفهَم ذلك إلا بمثال وهو أن يُفرَض ضوء القمر داخلاً في كُوَّة بيت واقعًا علىٰ مرآة منصوبة علىٰ حائط ومنعكسًا منها إلىٰ حائط آخر في مقابلتها ثم منعطفًا منها إلىٰ الأرض بحيث تستنير منه الأرض، فأنت تعلم أن ما علىٰ الأرض من النور تابع لِما علىٰ الحائط، وما علىٰ الحائط تابع لما علىٰ المرآة، وما علىٰ المرآة تابع لما في القمر، وما في القمر تابع لما في الشمس؛ إذ منها يشرق النور علىٰ القمر. وهذه الأنوار الأربعة مرتَّبة بعضها أعلىٰ من بعض وأكمل من بعض، ولكل واحد مقام معلوم ودرجة خاصة لا يتعدَّاها. فاعلمْ أنه قد انكشف لأرباب البصائر أن الأنوار الملكوتية إنما وُجدت علىٰ ترتيبٍ كذلك، وأن المقرَّب هو الأقرب إلىٰ النور الأقصىٰ، فلا يبعُد أن يكون ما في اللوح منتقشًا في قلوب المقرَّبين من الملائكة لقرب درجاتهم من حضرة الربوبية التي هي منبع الأنوار والأسرار **(وكما أن المهندس)** وهو مقدِّر مجاري القُنِيِّ والآثار **(يسطِّر صورة أبنية الدار في بياض)** أولاً فيجعلها نسخة وهو الوجود الذهني **(ثم يخرجها إلىٰ الوجود)** الخارجي **(علىٰ وفق تلك النسخة، فكذلك فاطر السموات والأرض)** أي مبدعهما بلا مثال سابق **(كتب نسخة العالَم)** وهو ما سوىٰ الله **(من أوله إلىٰ آخره في اللوح المحفوظ)** كما قال تعالىٰ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧﴾ [البقرة: ١١٧] فالإبداع أول مراتب الكتبة، وقوله إيجاده وإبداعه، وكتبته قوله، فإذا صدر الإبداع عن أمره يكون قولاً، فإذا وصل إلىٰ المحل وظهر المبدع تكون

(١) مشكاة الأنوار ص ٥٥.

كتابة وحروف المكتوب أشخاص الأملاك، وكلمات المكتوبات أجسام الأفلاك، فالعالم إذًا كتابة من الله عَزَّوَجَلَّ لا حقيقة قوله؛ لأن قوله إظهار كلامه، وكلامه صفة ذاته، وصفاته قديمة، وكلامه قديم، وقوله قديم، والعالَم ليس بقديم فهو محدَث، والكتابة أمرٌ ظهر من القول، وهي حادثة، والعالَم مع أنه مكتوب بخط صنع الإله عن يد قدرته حادث مبدَع محدود متناهٍ، فإذًا أول مرتبة من مراتب كتاب الله عَزَّوَجَلَّ الإبداع **(ثم أخرجه إلىٰ الوجود علىٰ وفق تلك النسخة، والعالَم الذي خرج إلىٰ الوجود بصورته تتأدّىٰ منه صورة أخرىٰ إلىٰ الحواس والخيال، فإنَّ مَن ينظر إلىٰ السماء والأرض ثم يغضُّ بصره يرىٰ صورة السماء والأرض في خياله حتىٰ كأنَّه ينظر إليها، ولو انعدمت السماء والأرض وبقي هو في نفسه لوجد صورة السماء والأرض في نفسه كأنه يشاهدهما وينظر إليهما، ثم يتأدّىٰ من خياله أثرٌ إلىٰ القلب فتحصل فيه حقائق الأشياء التي دخلت في الحس والخيال، فالحاصل في القلب موافق للعالَم الحاصل في الخيال، والحاصل في الخيال موافق للعالم الموجود في نفسه خارجًا من خيال الإنسان وقلبه، والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة في اللوح المحفوظ، فكأنَّ للعالم أربع درجات في الوجود: وجود في اللوح المحفوظ وهو سابق علىٰ وجوده الجسماني، ويتبعه وجودُه الحقيقي، ويتبع وجودَه الحقيقي وجودُه الخيالي، أعني وجود صورته في الخيال)** أي العلم بصورته وحقيقته **(ويتبع وجودَه الخيالي وجودُه العقلي، أعني وجود صورته في القلب)** فإطلاق[1] الوجود علىٰ ما في الذهن والخيال لا علىٰ الحقيقة لكن علىٰ معنىٰ أنه صورة محاكية لذلك الوجود الحقيقي، كما أن ما يُرَىٰ في المرآة يسمَّىٰ إنسانًا لا بالحقيقة لكن علىٰ معنىٰ أنها صورة محاكية للإنسان الحقيقي، وكذلك كل شيء فله في الوجود أربع مراتب: وجود في الأعيان، ووجود في الأذهان، ووجود في اللسان، ووجود في البياض المكتوب عليه **(وبعض هذه الوجودات روحانية، وبعضها جسمانية)** فالوجود

---

(١) إلجام العوام للغزالي ص ٣٤٩ - ٣٥٠ [ضمن مجموعة رسائل الغزالي].

الأول والثاني جسمانيان، والثالث والرابع روحانيان (**والروحانيات بعضها أشد روحانيةً من البعض**) كالوجود العقلي أصفىٰ روحانيةً من الوجود الخيالي (**وهذا لطفٌ من الحكمة الإلهية؛ إذ جعل حدقتك علىٰ صغر حجمها بحيث تنطبع فيها صورة العالَم، و**) من جملته (**السموات والأرض علىٰ اتساع أكنافها**) أي جوانبها (**ثم يسري من وجودها في الحس وجودها في الخيال ثم منه وجود في القلب**) وهذا الوجود أقوىٰ، وإنما[1] يُحجَب منه ما يُحجَب بسبب صفات بينٍ مقارِنة له تضاهي حجاب العين من نفسه عند تغميض الأجفان (**فإنك أبدًا لا تدرك إلا ما هو واصل إليك، فلو لم يجعل للعالم كلِّه مكانًا في ذاتك لَما كان لك خبر مما يباين ذاتَك، فسبحان مَن دبَّر هذه العجائب في القلوب والأبصار ثم أعمىٰ عن دركها القلوبَ والأبصار حتىٰ صارت قلوب أكثر الخلق جاهلة بأنفسها وبعجائبها**) ومن جملة هذه العجائب: الصورة[2] الإنسانية مرتَّبة بموجِب المشاكلة التي بين عالَمي المُلك والملكوت علىٰ صورة الرحمن، وفرقٌ بين أن يقال: علىٰ صورة الرحمن، وبين أن يقال: علىٰ صورة الله؛ لأن الرحمة الإلهية هي التي صوَّرت الحضرة الإلهية بهذه الصورة، ثم أنعم علىٰ آدم فأعطاه صورة مختصرة جامعة لجميع أصناف ما في العالم حتىٰ كأنه كل ما في العالم أو هو نسخة من العالم مختصرة، وصورة آدم - أعني هذه الصورة - مكتوبة بخط الله، فهو الخط الإلهي المنزَّه عن أن يكون رقم حروف، ولولا هذه الرحمة لعجز الآدمي عن معرفة ربه؛ إذ لا يعرف ربَّه إلا مَن عرف نفسه، فلما كان هذا من آثار الرحمة صار علىٰ صورة الرحمن لا علىٰ صورة الله، فإن الحضرة الإلهية غير حضرة الرحمة، ولولا هذا المعنىٰ لكان قوله «إن الله خلق آدم علىٰ صورة الرحمن» - كما هو لفظ الصحيح - غير منظوم لفظًا، وهذا الأنموذج يهديك إلىٰ أن غالب الخلق قد جهلت أنفسها كما جهلت الآفاقَ، وهذا وأمثاله بحر لا ساحل له.

---

(١) مشكاة الأنوار ص ٤٧.

(٢) السابق ص ٧٥ - ٧٦.

(ولنرجع إلىٰ الغرض المقصود فنقول: القلب قد يُتصور أن تحصل فيه حقيقة العالم وصورته، تارةً من الحواس، وتارة من اللوح المحفوظ، كما أن العين يُتصور أن تحصل فيها صورةُ الشمس تارةً من النظر إليها وتارة من النظر إلىٰ الماء الذي يقابل الشمس ويحكي صورتها، فمهما ارتفع الحجاب) العارض بسبب صفات بينٍ مقارِنة له (بينه وبين اللوح المحفوظ رأىٰ الأشياء فيه) بحقائقها الأصلية (وتفجَّر إليه العلم منه فاستغنىٰ عن الاقتباس من داخل الحواس، فيكون ذلك كتفجُّر الماء من عمق الأرض) مستغنيًا به عن وصوله من الجداول (ومهما أقبل علىٰ الخيالات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابًا له عن مطالعة اللوح المحفوظ) وإنما حجابه حيث يُحجَب فمن نفسه لنفسه بسبب تلك الصفات (كما أن الماء إذا اجتمع من الأنهار في الحوض منع ذلك عن التفجُّر من الأرض) لاستغنائه به (فكما أن مَن نظر إلىٰ الماء الذي يحكي صورةَ الشمس لا يكون ناظرًا إلي نفس الشمس) وبيان ذلك إجمالاً: أن[1] العالم الملكوتي عالم غيب، والعالم الحسي عالم شهادة، وهو مرقاة إلىٰ العالم العقلي، ولو لم يكن بينهما اتصال ومناسبة لانسدَّ طريق الترقِّي [إليه، ولو تعذَّر ذلك لتعذَّر السفر] إلىٰ حضرة الربوبية والقرب من الله تعالىٰ، فلن يقرُب من الله أحدٌ ما لم يطأ بحبوحة حظيرة القدس، والعالم المرتفع عن [إدراك] الحس والخيال هو الذي نعنيه بعالم القدس. ثم جعلت الرحمةُ الإلهية عالم الشهادة علىٰ موازنة عالم الملكوت، فما من شيء من هذا العالم إلا وهو مثال لشيء من ذلك العالم، ولا بد من نوع مماثلة ومطابقة بينهما، فإن كان في تلك الموجودات ما هو ثابت لا يتغير وعظيم لا يُستصغَر ومنه تنفجر إلىٰ أودية القلوب البشرية مياهُ المعارف ونفائس المكاشفات فمثاله الطور، وإن كان ثَم موجودات تتلقَّىٰ تلك النفائس [بعضها أَولىٰ من بعض فمثالها الوادي، وإن كانت تلك النفائس] بعد اتصالها بالقلوب البشرية تجري من

---

(١) السابق ص ٧٠ - ٧٤.

قلب إلي قلب فهذه القلوب أيضًا أودية، ومفتتَح الوادي قلوب الأنبياء ثم الأولياء ثم العلماء ثم مَن بعدهم **(فإن للقلب بابين: باب مفتوح إلىٰ عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة، وباب مفتوح إلىٰ الحواس الخمس المتمسِّكة بعالم الشهادة والمُلك، وعالم الشهادة والملك أيضًا يحاكي عالمَ الملكوت نوعًا من المحاكاة)** لأنه علىٰ موازنته، فما من شيء من عالم الملك إلا وهو مثال شيء من عالم الملكوت، كما ذكرنا، وربما كان الشيء الواحد مثالاً لأشياء من عالم الملكوت، وربما كان للشيء الواحد من عالم الملكوت أمثلة كثيرة من عالم الملك، وإنما يكون مثالاً إذا ماثَلَه نوعًا من المماثَلة وطابقه نوعًا من المطابَقة. واستيفاء ذلك عسير الضبط، وقد أشرنا إلىٰ بعضه قريبًا. وعلم التعبير يعرِّفك منهاج ضرب المثال؛ لأن الرؤيا جزء من النبوة، أما ترىٰ أن الشمس في الرؤيا تعبيرها السلطان؛ لِما بينهما من المشاركة والمماثلة في معنىٰ روحاني وهو الاستعلاء علىٰ الكافَّة مع فيضان الأنوار علىٰ الجميع. والقمر تعبيره الوزير؛ لإفاضة الشمس نورها بواسطة القمر علىٰ العالم عند غيبتها كما يفيض السلطان آثاره بواسطة الوزير علىٰ من يغيب عن حضرة السلطان، وأن مَن يرىٰ أن بيده خاتمًا يختم به أفواه الرجال وفروج النساء فإنه يعبَّر به أنه مؤذِّن يؤذن قبل الصبح في رمضان، ومن رأىٰ أنه يصب الزيت في الزيتون تعبيره أنه يطأ جارية هي أمه وهو لا يعرف. وغير ذلك مما يزيد أُنسًا بهذا الجنس **(فأما انفتاح باب القلب إلىٰ الاقتباس من الحواس فلا يخفَىٰ عليك)** فإن غالب العلوم كذلك **(وأما انفتاح بابه الداخل إلىٰ عالم الملكوت ومطالعته اللوح المحفوظ فتعلمه علمًا يقينيًّا بالتأمل في عجائب الرؤيا واطِّلاع القلب في النوم علىٰ ما سيكون في المستقبل أو كان في الماضي من غير اقتباس)** في ذلك **(من جهة الحواس)** الظاهرة **(وإنما ينفتح ذلك الباب لمَن انفرد بذكر الله تعالىٰ، قال النبي ﷺ: سبق المفردون)** رُوي[1] بتشديد الراء

---

(١) فيض القدير ٤/ ٩٢ - ٩٣.

وتخفيفها، والتخفيف هو الذي جنح إليه الحكيم الترمذي، كما سيأتي كلامه، وإياه تبع المصنفُ. وقال النووي في الأذكار[1]: والمشهور الذي قاله الجمهور التشديد. ا.هـ. وقال الحافظ[2]: والراء مفتوحة، وقيل: مكسورة، يقال: فردَ الرجلُ، مشدَّدًا ومخفَّفًا، وتفرَّد، وانفرد، الكل بمعنًىٰ. ا.هـ. وقال غيره[3]: فرَّدَ بالتشديد: إذا اعتزل وتخلَّىٰ للعبادة، فكأنه أفرد نفسه بالتبتُّل إلىٰ الله تعالىٰ، والمعنىٰ: سبقوا بنيل الزلفىٰ والعروج إلىٰ الدرجات العلَىٰ **(قيل: ومَن هم المفردون يا رسول الله؟ قال)**: هم **(المستهترون بذكر الله)** وفي رواية: المشمِّرون في ذكر الله. وعلىٰ الأول فالمراد[4] الذين أُولِعوا به، يقال: أُهْتِرَ فلانٌ بكذا واستُهتِر فهو مستهتر، أي مولَع به، لا يتحدث بغيره، ولا يفعل سواه. وقال الحكيم الترمذي[5]: المستهتر هو الذي إذا نطق عن ربه يشبه كلامه كلامَ من لم يستعمله عقله؛ لأن العقل يُخرِج الكلامَ علىٰ اللسان بتدبُّر وتُؤَدة، وهذا المهتر إنما ينطقه ربُّه كأنما الماء يجري علىٰ لسانه حتىٰ يشبه الهذيان في بعض الأحيان عند العامة، وهو في الباطن مع الله من أصفياء الناطقين **(وضع الذِّكرُ عنهم أوزارَهم)** أي أثقالهم وهي ذنوبهم التي أثقلتهم **(فوردوا القيامةَ خِفافًا)** فيسبقون [بنيل الزُّلفىٰ والعروج إلىٰ الدرجات العلىٰ] لأنهم جعلوا أنفسهم أفرادًا ممتازة بذكر الله عمَّن لم يذكر الله، أو جعلوا ربهم فردًا بالذكر وتركوا ذكر ما سواه، وهو حقيقة التفريد ههنا. وقال الحكيم الترمذي: المفرد هنا مَن أفرد قلبه للواحد في وحدانيَّته ولازَمَ البابَ حتىٰ رُفع له الحجاب وأوصله إلىٰ قربه، فكان بين يدي ربه. وعبارة القوت: فأما العارفون المواجَهون بعين اليقين المكاشَفون بعلم الصِّدِّيقين فإنهم مسيَّرون محمولون سابقون مستهترون، وقد وضعت الأذكارُ

---

(١) الأذكار ص ٧.

(٢) نتائج الأفكار للحافظ ابن حجر ١/ ٣٧.

(٣) هو البيضاوي في تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة ٢/ ١٣.

(٤) النهاية في غريب الحديث ٥/ ٢٤٢ - ٢٤٣.

(٥) نوادر الأصول ص ٨٤٤.

عنهم الأوزار، كما جاء في الخبر: «سيروا، سبق المفرِّدون» [بالكسر] والمفرَّدون أيضًا بالفتح، فهم مفردون لله تعالىٰ بما أفردهم الله عَزَّوَجَلَّ، قيل: ومن المفردون؟ قال: «المستهترون بذكر الله، وضع الذكرُ أوزارَهم، فوردوا القيامة خِفافًا». فلما أفردهم [الله تعالىٰ] ممَّن سواهم له أفردوه عما سواه به تعالىٰ، فذكرهم فاستولىٰ عليهم ذكرُه، فاصطلم قلوبَهم نورُه تعالىٰ فاندرج ذكرُهم في ذكره، وكان هو الذاكر لهم، وكانوا هم المكان لمَجاري قدرته، فلا يوزَن مقدار هذا الذكر، ولا تُكتَب كيفية هذا البِر، فلو وُضعت السموات والأرض في كفَّة لرجح ذِكرُه تعالىٰ لهم بها **(ثم قال)** ﷺ **(في وصفهم إخبارًا عن الله: ثم أُقبِلُ عليهم بوجهي، أترىٰ مَن واجهتُه بوجهي يعلم أحدٌ أيَّ شيء أريد أن أعطيه؟ ثم قال تعالىٰ: أول ما أعطيهم أن أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أُخبِرُ عنهم)** ولفظ القوت: وهم الذين قال لهم: «أفترىٰ مَن واجهتُه بوجهي يعلم أحد أيَّ شيء أريد أن أعطيه؟ لو كانت السموات والأرضون في موازينهم لاستقللتها لهم، أول ما أعطيهم أن أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم». قال: وهذا هو ظاهر أوصافهم وأول عطائهم.

قال العراقي[1]: رواه مسلم[2] من حديث أبي هريرة مقتصرًا علىٰ أول الحديث، وقال فيه: وما المفردون؟ قال: «الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات». ورواه الحاكم[3] [بلفظ]: قال: «الذين يستهترون في ذكر الله»، وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين. وزاد فيه الترمذي[4]: «يضع الذكر عنهم أثقالهم، فيأتون يوم القيامة خِفافًا». وقال: حديث حسن غريب. ورواه هكذا الطبراني في المعجم الكبير من

---

(١) المغني ٢/ ٧١٤.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ١٢٣٥.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٦٧٨.

(٤) سنن الترمذي ٥/ ٥٤٧.

حديث أبي الدرداء[١] دون الزيادة التي ذكرها المصنف في آخره. وكلاهما ضعيف.

قلت: رواه مسلم عن أميَّة بن بِسْطام، حدثنا يزيد بن زُرَيع، حدثنا رَوْح بن القاسم، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يسير في طريق مكة، فمر علىٰ جبل يقال له جُمْدان، فقال: «هذا جُمْدان، سيروا، سبق المفردون». قالوا: يا رسول الله، وما المفردون؟ قال: «الذاكرون اللهَ كثيرًا والذاكرات». وأخرجه ابن حبان في مسنده[٢] والفريابي في كتاب «الذكر والتسبيح» كلاهما عن الحسن بن سفيان عن أمية بن بسطام. وأخرجه كذلك أحمد في مسنده[٣].

ولفظ حديث أبي الدرداء عند الطبراني: «سبق المفردون». قالوا: وما المفردون؟ قال: «هم المستهترون في ذكر الله، يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافًا». وسنده ضعيف لضعف شيخه عبد الله [بن محمد] بن سعيد ابن أبي مريم. قاله الهيثمي[٤].

وقال[٥] إسحاق بن راهويه في مسنده: حدثنا إسحاق بن سليمان، سمعت موسى بن عبيدة يحدث عن أبي عبد الله القَرَّاظ، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنا نسير مع رسول الله ﷺ بالدُّف من جمدان، فقال: «يا معاذ، أين السابقون»؟ فقلت: مضوا وتخلَّف أناس. فقال: «إن السابقين الذين يهترون بذكر الله عز وجل، مَن أحب أن يرتع في رياض الجنة فليُكثِر من ذكر الله». وموسىٰ ضعيف، لكن يقوىٰ بحديث

(١) ورواه من حديث أبي الدرداء أيضا: ابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال ص ٦١، وابن عدي في الكامل ٥/ ١٦٧٥.

(٢) صحيح ابن حبان ٣/ ١٤٠.

(٣) مسند أحمد ١٥/ ١٩٢.

(٤) مجمع الزوائد ١٠/ ٧٤.

(٥) المطالب العالية لابن حجر ١٤/ ٨٠. والحديث رواه أيضا: ابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال ص ٥٨، والطبراني في المعجم الكبير ٢٠/ ١٥٧.

أبي هريرة السابق ذِكره.

تنبيه: قال البيضاوي: وإنما قالوا: وما المفردون؟ ولم يقولوا: من هم؟ لأنهم أرادوا تفسير اللفظ وبيان ما هو المراد منه، لا تعيين المتَّصفين به وتعريف أشخاصهم[1]. فعدل في الجواب عن بيان اللفظ إلىٰ حقيقة ما يقتضيه توقيفًا للسائل بالبيان المعنوي علىٰ المعنىٰ اللغوي إيجازًا، فاكتفىٰ فيه بالإشارة المعنوية إلىٰ ما استبهم عليه من الكناية اللفظية.

(**ومدخل هذه الأخبار هو الباب الباطن**) ونقل صاحب القوت عن سهل التستري قال: للقلب تجويفان، أحدهما باطن، وفيه السمع والبصر، وكان يسمَّىٰ هذا: قلب القلب. والتجويف الآخر ظاهر القلب، وفيه العقل، ومثل العقل في القلب مثل النظر في العين هو صِقال لموضع مخصوص فيه بمنزلة الصِّقال الذي في سواد العين.

(**فإذًا الفرق بين علوم الأنبياء والأولياء وبين علوم الحكماء والعلماء هذا وهو أن علومهم تأتي من داخل القلب من الباب المنفتح إلىٰ عالم الملكوت، وعلم الحكماء يأتي من أبواب الحواس المفتوحة إلىٰ عالم المُلك**) وشَتَّان بين العِلمينِ (**وعجائب عالم القلب وتردُّده بين عالَمَي الشهادة والغيب**) أي الملك والملكوت (**لا يمكن أن يُستقصَىٰ في علم المعاملة**) لصعوبتها علىٰ أفهام الضعفاء ولكثرتها.

(**فهذا مثال يعرِّفك الفرق بين مدخل العِلمين**) وأيُّهما أعلىٰ درجةً.

(**المثال الثاني يعرِّفك الفرقَ بين العملينِ، أعني عمل العلماء وعمل الأولياء، فإن العلماء يعملون في اكتساب نفس العلوم واجتلابها إلىٰ القلب**) بمبلغ جهدهم (**وأما الصوفية فيعملون في جلاء القلب وتطهيره وتصفيته**) عن الكدورات

---

(١) إلىٰ هنا كلام البيضاوي، وما بعده كلام التوربشتي في الميسر شرح مصابيح السنة ٢/ ٥٢٠ باختصار.

(وتصقيله) بالذكر (فقط، وقد حُكي أن أهل الصين) إقليم معروف، وقد قيل: الحكمة نزلت على ثلاثة أعضاء: أدمغة اليونان، وأيادي أهل الصين، وألسنة العرب (وأهل الروم تباهوا) أي تفاخروا (بين يدي بعض الملوك بحُسن صناعة النقش والصور) فقال كلٌّ منهم: نحن أحسن في هذه الصناعة (فاستقرَّ رأي الملك على أن يسلِّم إليهم صُفَّة) وهي بالضم من البيت معروفة، والجمع: صُفَف (لينقش أهل الصين منها جانبًا، وأهل الروم جانبًا، ويُرخَىٰ بينهم حجاب يمنع اطِّلاع كل فريق على الآخر، ففعل ذلك، وجمع أهل الروم من الأصباغ الغريبة ما لا ينحصر) واعتنوا غاية الاعتناء (ودخل أهل الصين من غير صبغ، وأقبلوا يجلون جانبهم ويصقلونه) بالمصاقل (فلما فرغ أهل الروم) من عملهم (ادَّعىٰ أهل الصين أنهم أيضًا قد فرغوا) من العمل (فتعجَّب الملك من قولهم وأنهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ، فقيل لهم: كيف فرغتم من غير صبغ؟ فقالوا: ما عليكم منا، ارفعوا الحجاب. فرفعوه، فإذا بجانبهم وقد تلألأت فيه عجائب الصنائع الرومية مع زيادة إشراق وبريق) أي لمعان (إذ كان قد صار كالمرآة المجلوَّة لكثرة التصقيل) والجلاء (فازداد حُسنُ جانبهم بمزيد التصقيل. فكذلك عناية الأولياء بتطهير القلب وجلائه وتزكيته وصفائه حتىٰ تتلألأ فيه جلية الحق بنهاية الإشراق) والإضاءة (كفعل أهل الصين) لمَّا صقلوا الصنعة ظهرت فيها النقوش الظاهرية، وهم لما صقلوا صنعة القلب ظهرت فيها صور المعلومات الباطنية (وعناية العلماء والحكماء باكتساب نفس العلوم وتحصيل نقشها في القلب كفعل أهل الروم) وشَتَّان بينهما (وكيفما كان الأمر فقلب المؤمن لا يموت) حين تموت القلوب (وعلمه عند الموت لا ينمحي) والمراد بالعلم: ما يتعلق بمعرفة الله تعالىٰ (وصفاؤه لا يتكدَّر، وإليه أشار الحسن) البصري (رحمه الله تعالىٰ بقوله: التراب لا يأكل محل الإيمان) كما نقله صاحب القوت. ومعلوم أن محل الإيمان والتقوىٰ القلب، كما ورد في الخبر: «ألا إن التقوىٰ ههنا» وأشار إلىٰ القلب (بل يكون) العلم (وسيلة القرب له إلىٰ الله تعالىٰ، وأمَّا ما حصَّله من نفس العلم أو ما حصَّله من الصفاء والاستعداد لقبول نقش العلم

فلا غِنىٰ به عنه، ولا سعادة لأحد إلا بالعلم) بالله **(والمعرفة)** الصارفة عنان قلبه إليه. ولفظ القوت: ولا يصل العبد إلىٰ مشاهدة علم التوحيد إلا بعلم المعرفة وهو نور اليقين. وقال في موضع آخر: فحقيقة العلم إنما هو من التقوىٰ واليقين، وهذا هو علم المعرفة المخصوص به المقرَّبون **(وبعض السعادات أشرف من بعض، كما أنه لا غنىٰ إلا بالمال، فصاحب الدراهم غني، وصاحب الخزائن المترَعة)** أي الملآنة **(غني، وتتفاوت درجات السعداء بحسب تفاوت المعرفة والإيمان كما تتفاوت درجات الأغنياء بحسب قلة المال وكثرته، والمعارف)** الإلهية **(أنوار)** لأنها حصلت من أشعَّة النور الإلهي **(ولا يسعىٰ المؤمنون)** يوم القيامة **(إلىٰ لقاء الله تعالىٰ إلا بأنوارهم، قال الله تعالىٰ: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾** [الحديد: ١٢] **وقد ورد في الخبر: أن بعضهم)** أي المؤمنين **(يعطَىٰ نورًا مثل الجبل، وبعضهم يعطَىٰ أصغر)** منه **(حتىٰ يكون آخرهم رجلاً يعطَىٰ نورًا علىٰ إبهام قدمه، فيضيء مرة وينطفئ أخرىٰ، فإذا أضاء قدَّمَ قدمَه فمشىٰ، وإذا طفئ قام. ومرورهم علىٰ الصراط علىٰ قدر نورهم، فمنهم من يمر كطرف العين، ومنهم من يمر كالبرق)** الخاطف **(ومنهم من يمر كالسحاب، ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب)** وهو سقوطه، يشير إلىٰ السرعة **(ومنهم من يمر كشد الفرس)** أي عدْوه **(إذا اشتد في ميدانه، والذي أُعطىٰ نورًا علىٰ إبهام قدمه يحبو حبوًا علىٰ وجهه ويديه ورجليه تخرُّ منه يدٌ)** أي تسقط **(وتعلق أخرىٰ)** وتخر رِجل وتعلق أخرىٰ **(وتصيب جوانبَه النارُ)** قال: **(فلا يزال كذلك حتىٰ يخلُص ... الحديث)** قال العراقي[١]: رواه الطبراني[٢] والحاكم[٣] من حديث ابن مسعود، وقال الحاكم: صحيح علىٰ شرط الشيخين.

---

(١) المغني ٢/ ٧١٤.

(٢) المعجم الكبير ٩/ ٤١٨.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٤٤٤، ٥/ ٥٤.

قلت: وكذا أخرجه[1] ابن أبي شيبة في المصنَّف[2] وابن جرير[3] وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه بلفظ: يؤتَون نورهم علىٰ قدر أعمالهم، يمرُّون علىٰ الصراط، منهم مَن نوره [مثل الجبل، ومنهم مَن نورُه مثل النخلة، وأدناهم نورًا من نورُه] علىٰ إبهامه ينطفئ مرة ويُقَد أخرىٰ. وأخرج عبد بن حميد عن ابن مسعود: ﴿ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ قال: علىٰ الصراط. ورواه الحسن كذلك وزاد: حتىٰ يدخلوا الجنة. أخرجه ابن أبي شيبة[4]. وعن قتادة قال: ذُكر لنا أن نبي الله ﷺ قال: «إن من المؤمنين [يوم القيامة من يضيء له نورُه كما بين المدينة إلىٰ عدن أبين إلىٰ صنعاء فدون ذلك، حتىٰ إن من المؤمنين] مَن لا يضيء له نوره إلا موضع قدميه، والناس منازل بأعمالهم»[5].

(فبهذا يظهر تفاوُت الناس في الإيمان، ولو وُزِنَ إيمان أبي بكر) رضي الله عنه **(بإيمان العالَمين سوىٰ النبيين والمرسلين لرجح)** وإليه الإشارة بقوله في الخبر: «ما سبقكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا بكثرة صيام، ولكن بشيء وقر في صدره». وقد تقدم في كتاب العلم **(وهذا أيضًا يضاهي قولَ القائل: لو وُزن نور الشمس بنور السُّرُج كلها لرجح. فإيمان آحاد العوام نوره مثل نور السراج، وبعضهم نوره كنور الشمعة، وإيمان الصِّدِّيقين نوره كنور النجوم والقمر، وإيمان الأنبياء نوره كنور الشمس)** علىٰ هذا الترتيب، ومنبع النور الأكمل من هؤلاء الأنوار هو الشمس، ومن نورها يُفاض علىٰ سائر الأنوار **(وكما ينكشف في نور الشمس صورة الآفاق مع اتساع أقطارها ولا ينكشف في نور السراج إلا زاوية ضيقة من البيت، فكذلك يتفاوت انشراح الصدر بالمعارف وانكشاف سعة الملكوت لقلوب العارفين)** فالموقِنون

---

(١) الدر المنثور ١٤/ ٢٦٦ - ٢٦٧.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٧٨.

(٣) جامع البيان ٢٢/ ٣٩٨.

(٤) في مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٢١٨: علىٰ الصراط يوم القيامة.

(٥) عزاه السيوطي إلىٰ ابن المنذر وعبد الرزاق [في تفسيره ٢/ ٢٧٥].

من المؤمنين أعلىٰ إيمانًا، والعالِمون من الموقنين أرفع مقامًا، فالمؤمنون في كمال الإيمان وحقائقه لا يستوون، وإن استووا بالدخول في الاسم والمعنىٰ، وكذلك في تفاوتهم في الآخرة (**ولذلك جاء في الخبر: أنه يقال يوم القيامة: أخرِجوا من النار من كان في قلبه مِثقال ذرَّة من إيمان ونصف مثقال**) من إيمان (**وربع مثقال**) من إيمان (**وشَعِيرة وذرة**) من إيمان. هكذا هو في القوت. وقال العراقي[1]: متفق عليه[2] من حديث أبي سعيد، وليس فيه قوله: ربع مثقال.

قلت: وأخرج الطيالسي[3] وأحمد[4] والشيخان[5] - وقال الترمذي[6]: حسن صحيح - وابن ماجه[7] وابن خزيمة[8] وابن حبان[9] كلهم من حديث أنس: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرةً، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن بُرَّة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرَّة».

وأخرج الترمذي[10] - وقال: حسن صحيح - من حديث أبي سعيد: «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرَّة من الإيمان».

(**وكل ذلك تنبيه علىٰ تفاوت درجات الإيمان، وأن هذه المقادير من الإيمان**

---

(١) المغني ٢/ ٧١٥.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ٣٩٢. صحيح مسلم ١/ ١٠٠.

(٣) مسند الطيالسي ٣/ ٤٧٠.

(٤) مسند أحمد ١٩/ ١٩٨.

(٥) صحيح البخاري ١/ ٣١، ٤/ ٣٨٦. صحيح مسلم ١/ ١٠٨.

(٦) سنن الترمذي ٤/ ٣٤٢.

(٧) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٨٢.

(٨) التوحيد ص ٧٠١ - ٧٠٢.

(٩) صحيح ابن حبان ١٦/ ٥٢٨ مختصرا.

(١٠) سنن الترمذي ٤/ ٣٤٥.

لا تمنع دخولَ النار) ولفظ القوت: فقد حصلوا متفاوتين في الإيمان ما بين الذَّرة إلىٰ المثقال، وكلهم قد دخل النار، إلا أنهم علىٰ مقامات فيها **(وفي مفهومه أن مَن إيمانه يزيد علىٰ مثقال فإنه لا يدخل النار؛ إذ لو دخل لأمر بإخراجه أولاً، وأن مَن في قلبه مثقال ذرة)** من الإيمان **(لا يستحق الخلود في النار وإن دخلها)** ولفظ القوت: وفيه دليل علىٰ أن مَن كان في قلبه مثقال[1] من إيمان لم يمنعه ذلك من دخول النار؛ لعِظَم ما اقترف من الأوزار، وأن من كان في قلبه وزن ذرة من الإيمان لم يحقَّ عليه الخلودُ في دار الهوان؛ لتعلُّقه بيسير الإيقان، وأن مَن زاد إيمانه علىٰ زنة مثقال[2] لم يكن للنار عليه سلطان، وكان من الأبرار، وأن مَن نقص إيمانه عن ذرة لم يخرج من النار وإن كانت سيماه وكان اسمه في الظاهرِ في المؤمنين؛ لأنه من المنافقين في علم الله تعالىٰ الفجَّار، وقد قال الله تبارك وتعالىٰ في وصفهم: ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۝١٤﴾ [الانفطار: ١٤] ثم قال: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ۝١٦﴾ [الانفطار: ١٦] ثم صار صاحب المثقال والذرة في الجنة علىٰ تفاوت درجات، وكان الزائد إيمانه علىٰ مثقال في أعلىٰ عِلِّيين علىٰ هؤلاء، وارتفع أهل الدرجات العلىٰ علىٰ أهل عِلِّيين ارتفاع الكوكب الدُّرِّيِّ في أفق السماء، وكلهم قد اجتمع في الجنة علىٰ تفاوت مقامات.

(وكذلك قوله ﷺ: ليس شيء خيرًا من ألف مثله إلا الإنسان أو المؤمن) هكذا هو في القوت. وقال العراقي[3]: رواه الطبراني[4] من حديث سلمان بلفظ «الإنسان». ولأحمد[5] من حديث ابن عمر: «لا نعلم شيئًا خيرًا من مائة مثله إلا الرجل المؤمن». وإسنادهما حسن.

---

(١) في القوت: وزن دينار.

(٢) في القوت: علىٰ وزن دينار.

(٣) المغني ٢/ ٧١٥.

(٤) المعجم الكبير ٦/ ٢٣٨.

(٥) مسند أحمد ١٠/ ١٢١.

قلت: حديث سلمان أخرجه أيضًا كذلك الضياء في المختارة بلفظ: «ليس شيء خيرًا»، وهو هكذا أيضًا في بعض نسخ الكتاب. واختلف قول الهيثمي[1] فيه، فقال مرةً: مداره علىٰ أسامة بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف جدًّا. وقال مرة في موضع آخر: رجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن محمد بن يوسف، وهو ثقة.

وأما حديث ابن عمر فقد أخرجه أيضًا الطبراني في الأوسط[2].

(**أشار إلىٰ تفضيل قلب العارف بالله تعالىٰ الموقن وأنه خير من ألف قلب من عوام الناس**) أي[3] العارف الموقن قد يبلغ بقوة إيمانه وإيقانه إلىٰ ثبوت في الدين وقيام بمصالح الإسلام والمسلمين بعلم يكسبه [وينشره] أو مال يبذله أو شجاعة يسد بها مَسَدَّ ألفٍ.

ولفظ القوت: فلعَمري إن قلب الموقن خير من ألف قلب مسلم؛ لأن إيمانه فوق إيمان مائة مؤمن، وعلمه بالله تعالىٰ أضعاف علم مائة مسلم، ويقال: إن واحدًا من الأبدال الثلاثمائة قيمته قيمة ثلاثمائة مؤمن، وقال بعض علمائنا[4]: يعطي الله عَزَّوَجَلَّ بعض المؤمنين من الإيمان بوزن جبل أُحد، ويعطي بعضهم [مثل] ذرة.

(**وقد قال**) الله سبحانه و(**تعالىٰ**: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩] **تفضيلاً للمؤمن علىٰ المسلم**) لأنه وصف المؤمنين بالعلوِّ، ولا نهاية لعلو الإيمان، فصار علو كل مؤمن[5] علىٰ قدر إيمانه (**والمراد به المؤمن العارف دون المقلِّد**) الذي لم تتمكَّن المعرفة في قلبه، فهو بعدُ أسير ربقة التقليد.

---

(١) لم يختلف قول الهيثمي، فقوله: مداره علىٰ أسامة ... الخ، عن حديث ابن عمر. وقوله: رجاله رجال الصحيح ... الخ، عن حديث سلمان. مجمع الزوائد ١/ ٢٣٢، ٥/ ٥٧٤.

(٢) المعجم الأوسط ٤/ ١٧.

(٣) فيض القدير ٥/ ٣٦٦.

(٤) في القوت: (وكان أبو محمد يقول). يعني سهل بن عبد الله التستري.

(٥) في القوت: كل قلب.

(**وقال تعالىٰ**) في رفع العلماء علىٰ المؤمنين: (﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١] **فأراد هنا بالذين آمنوا: الذين صدَّقوا**) تقليدًا (**من غير علم**) صحيح (**وميَّزهم عن الذين أوتوا العلم**) فانكشفت به بصائرهم فصدَّقوا وتحققوا (**ويدل ذلك علىٰ أن اسم «المؤمن» يقع علىٰ المقلِّد وإن لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف**) كما تقدم الكلام عليه قريبًا (**وفسَّر ابن عباس** ﷺ **قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ فقال: يرفع الله العالِم فوق المؤمن بسبعمائة درجة، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض**) ولفظ القوت: قال ابن عباس: الذين أوتوا العلم درجات فوق المؤمنين الذين لم يؤتوا العلم بسبعمائة درجة، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض[١].

قلت: وقد رُوي ذلك مرفوعًا إلىٰ النبي ﷺ بلفظ: «فضل المؤمن العالِم علىٰ المؤمن العابد سبعون درجة، ما بين كل درجتين حضر الفرس السريع المضمر [مسيرة] مائة عام». رواه ابن عدي في الكامل وابن عبد البر في كتاب العلم[٢]، وسنده ضعيف. ورواه أبو يعلىٰ[٣] من حديث عبد الرحمن بن عوف بسند لا بأس به، ولفظه: «فضل العالِم علىٰ العابد سبعين درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض».

(**وقال** ﷺ: **أكثر أهل الجنة البُلْه، وعِلِّيُّون لذوي الألباب**) هكذا هو في القوت. وقال العراقي[٤]: تقدم دون هذه الزيادة، ولم أجد لهذه الزيادة أصلاً، وهي

---

(١) قال السيوطي في الدر المنثور ١٤/ ٣٢٣ - ٣٢٤: «أخرج ابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في المدخل عن ابن عباس قال: يرفع الله الذين أوتوا العلم من المؤمنين علىٰ الذين لم يؤتوا العلم درجات. وأخرج سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس أنه قال: تفسير هذه الآية: يرفع الله الذين آمنوا منكم وأوتوا العلم علىٰ الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم درجات».

(٢) الكامل في الضعفاء ٤/ ١٤٥٣. جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٣٠ من حديث أبي هريرة.

(٣) مسند أبي يعلىٰ ٢/ ١٦٣.

(٤) المغني ٢/ ٧١٥.

مدرَجة من كلام أحمد بن أبي الحواري.

(وقال ﷺ: فضل العالِم علىٰ العابد كفضلي علىٰ أدنىٰ رجل من أصحابي) رواه الترمذي من حديث أبي أمامة وصحَّحه، وقد تقدم في كتاب العلم، إلا أن لفظه: «كفضلي علىٰ أدناكم» **(وفي رواية: كفضل القمر علىٰ سائر الكواكب)** رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وأبو نعيم في الحلية من حديث معاذ بزيادة «ليلة البدر» بعد «القمر». وقد تقدم أيضًا في كتاب العلم.

(فبهذه الشواهد يتضح لك تفاوتُ درجات أهل الجنة بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم) فالموقنون من المؤمنين أعلىٰ إيمانًا، والعالِمون من الموقنين أرفع مقامًا **(ولهذا كان يوم القيامة يوم التغابُن)** أي يسمَّىٰ بذلك، قال الله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ﴾ [التغابن: ٩] **(إذ المحروم من رحمة الله عظيم الغبن والخسران)** والتغابُن تفاعُل من الغُبن وهو الخسارة في أصل المال **(والمرحوم)** برحمته **(يرىٰ فوق درجته درجات عظيمة)** يتأسَّف لفواتها **(فيكون نظرُه إليها كنظر الغني الذي يملك عشرة دراهم إلىٰ الغني الذي يملك الأرض من المشرق إلىٰ المغرب، وكل واحد منهما غنيٌّ)** في حد ذاته **(ولكن ما أعظم الفرق بينهما! وما أعظم الغبن علىٰ من يخسر حظه من ذلك)** قال الله تعالىٰ: (﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ٢١﴾ [الإسراء: ٢١].

بيان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في اكتساب المعرفة لا من التعلُّم، ولا من الطريق المعتاد

(اعلمْ أنه مَن انكشف له شيء ولو الشيء اليسير) أي القليل (بطريق الإلهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري) كيف وقع؟ وما سببه؟ (فقد صار عارفًا بصحة الطريق، ومن لم يدرك ذلك من نفسه قط فينبغي أن يؤمن به) أي يصدِّقه بقلبه، وهذا أقل الدرجات (فإن درجة المعرفة فيه عزيزة جدًّا، وتشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات. أما الشواهد فقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ ﴾) [العنكبوت: ٦٩] أي جاهدوا نفوسهم وبأموالهم، وجاهدوا عدوَّهم؛ إذ يَعِدهم الفقرَ ويأمرهم بالفحشاء، فصابروه وغلبوه فباعوا النفوس والأموال فأُعتِقوا من رِق الهوىٰ، ونجوا من الحساب والأهوال ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ﴾ أي لنصرفنَّهم إلىٰ مكاشفات العلوم، ولنُسمِعنهم غرائب الفهوم، ولنوصلنهم إلىٰ أقرب الطرق إلينا بحسن مجاهدتهم فينا، ثم ختم الأمر بقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۞﴾ هذا مقام مشاهدة الصفات، فكان المجاهد فيه معهم أولاً بالتوفيق فيه صبروا له بالتأييد، وكان المحسن معهم آخر اليوم فيه أحسنوا إلىٰ نفوسهم غدًا. وقال بعض العلماء في تفسير هذه الآية: الذين يعملون بما يعلمون يوفِّقهم ويهديهم إلىٰ ما لا يعلمون. وقال بعض السلف: نزلت هذه الآية في المتعبِّدين المنقطعين إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، المستوحشين من الناس، فيسوق الله إليهم من يعلِّمهم، أو يلهمهم التوفيقَ والعصمة (فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة علىٰ العبادة من غير تعلُّم فهو بطريق الكشف والإلهام، قال ﷺ: مَن عمل بما علمَ ورَّثه الله علم ما لم يعلم) تقدم في كتاب العلم. قال صاحب القوت: الحياء من الاختيار والاختبار، والابتلاء والاجتباء، والتعريف والتأييد،

والمثوبة والعقوبة، و القبض والبسط، والحل والعقد، والجمع والتفرقة .. إلىٰ غير ذلك من علوم المعارف بعد حسن التفقه عن معرفة النقص والمزيد بصفاء القلب وصحة المواجيد. وقال بعض التابعين: مَن عمل بعُشر ما يعلم علَّمه الله تعالىٰ ما يجهل (**ووفَّقه فيما يعمل حتىٰ يستوجب الجنة، ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفَّق فيما يعمل حتىٰ يستوجب النار**) هذا نص القوت، فهو من قول بعض التابعين، وسياق المصنف يقتضي أنه بقية الحديث السابق، ولذا قال العراقي[1]: صدر الحديث تقدم في العلم، وهذه الزيادة لم أرها. ا.هـ. والذي يظهر لي أنه سقط كلام من النُّسَّاخ. ثم قال صاحب القوت نقلاً عن بعضهم: كلما ازداد العبد عبادة واجتهادًا ازداد القلب قوة ونشاطًا، وكلما ملَّ العبدُ وفتر ازداد القلب ضعفًا ووهنًا (**وقال الله تعالىٰ**: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣] **قيل**) في تأويله: (**يجعل له مخرجًا من الإشكالات**) الخيالية (**والشُّبَه**) الوهمية (**و**) يرزقه من حيث لا يحتسب، أي (**يعلِّمه علمًا من غير تعلُّم**) أي بالشاهد الصحيح والعلم الصريح. وقيل: معناه: ﴿يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢﴾ من كل أمر ضاق علىٰ الناس[2] ﴿وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ أي يعلِّمه من غير تعليم بشرٍ (**ويفطِّنه من غير تجربة**.

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الأنفال: ٢٩] **قيل: نورًا يفرِّق به بين الحق والباطل ويُخرِج به من الشُّبهات**) هكذا نقله صاحب القوت، إلا أنه قال: تفرِّقون به بين الحق والباطل، وتعرفون به المشكلات (**ولذلك كان ﷺ يُكثِر في دعائه من سؤال النور**) لأنه كما قال صاحب القوت[3]:

---

(١) المغني ٢/ ٧١٥.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٢/ ٢٧١ وعبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٣٠٢ وأحمد في الزهد ص ٢٧١ والطبري في جامع البيان ٢٣/ ٤٦ عن الربيع بن خثيم.

(٣) هذا ليس كلام صاحب القوت، وإنما كلام ابن عطاء الله السكندري. الحكم العطائية بشرح ابن عباد الرندي ص ٥٦، ٢١٢ (ط - مركز الأهرام للترجمة والنشر).

هو جند القلب، كما أن الظلمة جند النفس، فإذا أراد الله أن ينصر عبدًا أمدَّه بجنود الأنوار وقطع عنه مَدَد الظُّلَمِ والأغيار (**فقال اللهم أعطني نورًا**) من أنوارك أستضيء به (**وزدني نورًا، واجعل لي في قلبي نورًا، وفي قبري نورًا، وفي سمعي نورًا، وفي بصري نورًا. حتىٰ قال: وفي شعري وفي بشري وفي لحمي ودمي وعظامي**) قال العراقي[١]: متفق عليه من حديث ابن عباس.

قلت: ورواه الترمذي في السنن ومحمد بن نصر في كتاب الصلاة والطبراني في الكبير والبيهقي في الدعوات من طريق داود بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده قال: بعثني العباس إلىٰ رسول الله ﷺ، فأتيته ممسيًا وهو في بيت خالتي ميمونة، فقام فصلىٰ من الليل، فلما صلىٰ الركعتين قبل الفجر قال: «اللهم إني أسألك ...» الخ، وساق الحديث الطويل، وفيه: «اللهم اجعل لي نورًا في قلبي، ونورًا في قبري، ونورًا بين يدي، ونورًا من تحتي، ونورًا في سمعي، ونورًا في بصري، ونورًا في شعري، ونورًا في بشري، ونورًا في لحمي، ونورًا في دمي، ونورًا في عظامي، اللهم أعظِمْ لي نورًا، وأعطني نورًا، واجعل لي نورًا ...» الحديث. وقد تقدم بتمامه مع الكلام عليه في كتاب ترتيب الأوراد.

(**وسُئل ﷺ عن قوله تعالىٰ**: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾) [الزمر: ٢٢] هكذا في سائر النسخ، والذي في القوت: وسُئل عن معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ﴾ [الأنعام: ١٢٥] (**ما هذا الشرح؟ فقال: هو التوسعة، إن النور إذا قُذف في القلب اتسع له الصدر وانشرح**) ولفظ القوت: فقال: «هو النور يُقذَف به في القلب فينشرح له الصدر وينفسح.

وقال العراقي[٢]: رواه الحاكم في المستدرك من حديث ابن مسعود، وقد تقدم في العلم.

---

(١) المغني ٢/ ٧١٦.

(٢) المغني ٢/ ٧١٦.

قلت: وكذلك رواه ابن أبي شيبة[١] وابن أبي الدنيا[٢] وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الشعب[٣] من طرق.

وأخرج[٤] ابن مردويه عن محمد بن كعب القُرَظي قال: نزلت هذه الآية: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [قالوا: يا رسول الله، فهل ينفرج الصدر؟ قال: «نعم». قالوا: هل لذلك علامة؟ قال: «نعم، التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلىٰ دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزول الموت». وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن مسعود قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية] فقلنا: يا رسول الله، كيف انشراح صدره؟ قال: «إذا دخل النورُ القلبَ انشرح وانفسح». قلنا: فما علامة ذلك يا رسول الله؟ قال: «الإنابة إلىٰ دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والتأهُّب للموت قبل نزول الموت». وأخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول[٥] من حديث ابن عمر نحوه. ثم أخرجه عن أبي جعفر المدائني رفعه نحوه.

(وقال ﷺ لابن عباس) رضي الله عنه: **(اللهم فَقِّهْه في الدين وعلِّمْه التأويلَ)** قال العراقي[٦]: [متفق عليه من حديث ابن عباس دون قوله: وعلِّمْه التأويل. و] أخرجه بهذه الزيادة أحمد وابن حبان والحاكم وصحَّحه، وقد تقدم في العلم.

قلت: وقال صاحب القوت: ومن خواطر اليقين ما يَرِدُ بشيء لا تظهر دلائله في الظاهر لخفائه وغموض شواهده، فليس يُعلَم إلا بباطن العلم وغامض الفهم والغوص علىٰ لطائف معاني التبيين وباطن الاستنباط من فهم التنزيل وتعليم

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٢٥.

(٢) قصر الأمل ص ١٠٠.

(٣) شعب الإيمان ١٣/ ١٣٤.

(٤) الدر المنثور ١٢/ ٦٤٥ - ٦٤٦.

(٥) نوادر الأصول ص ٣٧٤.

(٦) المغني ٢/ ٧١٦.

التأويل، كما قال ﷺ لابن عباس ... الخ.

(**وقال علي** رضي الله عنه: **ما عندنا شيء أسرَّه النبيُّ ﷺ إلينا، إلا أن يؤتي اللهُ تعالىٰ عبدًا فهمًا في كتابه**) كذا في القوت، وقد تقدم في آداب تلاوة القرآن. وفيه ردٌّ علىٰ الشيعة، حيث إنهم يدَّعون أن النبي ﷺ أسرَّ إليه بالخلافة وبأسرار غيرها، كما هو شأن الأوصياء.

(**وليس هذا بالتعلُّم**) والدراسة، بل هو كشف ربانيٌّ.

(و) كما (**قيل في تفسير قوله تعالىٰ**: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾ [البقرة: ٢٦٩] **أنه الفهم في كتاب الله تعالىٰ**)[1] كذا في القوت.

(**وقال تعالىٰ**: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ﴾ [الأنبياء: ٧٩] **خصَّ ما انكشف له باسم: الفهم**) ولفظ القوت: فخصَّه بفهمٍ منه فقه قلبه، به زاده فوق الحُكم والعلم الذي شركه فيه ابوه فزاد علىٰ فُتياه.

(**وكان أبو الدرداء**) رضي الله عنه (**يقول: المؤمن ينظر بنور الله من وراء ستر رقيق، واللهِ إنه للحقُّ يقذفه الله في قلوبهم، ويُجريه علىٰ ألسنتهم**) كذا في القوت، إلا أنه قال: المؤمن ينظر إلىٰ الغيب. والباقي سواء.

(**وقال بعض السلف: ظنُّ المؤمن كهانةٌ**) أي كأنَّه سحرٌ في نفاذه وصحة وقوعه. كذا في القوت.

(**وقال** ﷺ: **اتقوا فراسةَ المؤمن، فإنه ينظر بنور الله**) عز وجل. رواه الترمذي من حديث أبي سعيد، وقد تقدم[2]. والمعنىٰ: بنور الله، أي باليقين. وفي لفظ آخر:

---

(١) ورد ذلك عن ابن عباس ومجاهد وأبي العالية وإبراهيم النخعي وقتادة. انظر: الدر المنثور ٣/ ٢٨٧- ٢٨٨.

(٢) في الباب الثاني من كتاب السماع.

«اتقوا فراسة العلماء»، فكأنه مفسر له.

(**وإليه يشير قوله تعالىٰ:** ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ۝٧٥﴾) [الحجر: ٧٥] أي للمتفرِّسين، كما ورد[1]. وهذا كان طريق السلف من الصحابة والتابعين، إذا سُئلوا وُفِّقوا وأُلهِموا الصواب؛ لقربهم من حسن التوفيق وسلوكهم حقيقة مَحَجَّة الطريق، فخاطرُ اليقين إذا ورد علىٰ قلب موقن اضطرته مشاهدتُه إلىٰ القيام به وإن خفي علىٰ غيره، وحكم عليه بيانُه وبرهانه بصحة دليله وإن التبس علىٰ مَن سواه.

(و) من ذلك (**قوله تعالىٰ**) في تخصيص الموقنين: (﴿قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ۝١١٨﴾) [البقرة: ١١٨] ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ۝٢٠﴾ [الجاثية: ٢٠].

وروىٰ الحسن عن رسول الله ﷺ أنه قال: العلم علمانِ، فعلم باطن في القلب، فذلك هو العلم النافع) تقدم في كتاب العلم. والمراد بالحسن: البصري، كما صرَّح به صاحب القوت، فالحديث مرسل.

(**وسُئل بعض العلماء عن العلم الباطن ما هو؟ فقال: هو سرٌّ من أسرار الله، يقذفه الله في قلوب أحِبَّائه، لم يُطلِع عليه مَلَكًا ولا بشرًا**) نقله صاحب القوت، إلا أنه قال: سُئل بعض أهل المعرفة.

(**وقد قال ﷺ: إن من أمَّتي محدَّثين ومعلَّمين ومكلَّمين، وإن عمر منهم**) قال العراقي[2]: رواه البخاري[3] من حديث أبي هريرة بلفظ: «لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدَّثون، فإن يكُ في أمَّتي أحدٌ فإنه عمر». ورواه مسلم[4] من حديث عائشة.

---

(١) انظر: الدر المنثور ٨/ ٦٣٩.

(٢) المغني ٢/ ٧١٧.

(٣) صحيح البخاري ٢/ ٤٩٧، ٣/ ١٦.

(٤) صحيح مسلم ٢/ ١١٢٤ - ١١٢٥.

(وقرأ ابن عباس: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدَّث[1]. يعني الصِّدِّيقين) نقله صاحب القوت (والمحدَّث) كمعظَّم (هو الملهَم، والملهم هو الذي انكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل) الذي هو قلب القلب، وفيه باب إلىٰ الملكوت الأعلىٰ (لا من جهة المحسوسات الخارجة) وهو باب القلب (والقرآن مصرِّح بأن التقوىٰ مفتاح الهداية والكشف، وذلك علمٌ بغير تعلُّم. قال الله تعالىٰ) في نعت المتقين: (﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ۝٦﴾ [يونس: ٦] خصَّصها بهم. وقال تعالىٰ: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۝١٣٨﴾) [آل عمران: ١٣٨] وقال تعالىٰ في فضل العلماء: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩] وقال تعالىٰ: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٩٧﴾ [الأنعام: ٩٧] وقال تعالىٰ: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝١٠٥﴾ [الأنعام: ١٠٥] فحقيقة العلم إنما هو من التقوىٰ واليقين، وهذا هو علم المعرفة المخصوص به المقرَّبون، وهب لهم الآيات وخصَّهم بالبيان والدلالات بما استُحفِظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء.

(و) قد (كان أبو يزيد) البسطامي قُدِّس سره (وغيره) من العارفين (يقول) ولفظ القوت: يقولون: (ليس العالِم الذي يحفظ من كتاب الله) تبارك وتعالىٰ (فإذا نسي ما حفظه صار جاهلاً، إنما العالم الذي يأخذ علمه عن ربه أيّ وقت شاء بلا حفظ ولا درس. وهذا) لعَمري لا ينسىٰ علمه، وهو ذاكِر أبدًا، لا يحتاج إلىٰ كتاب، و(هو العالم الربَّاني) علمُه منسوب إلىٰ الرب، قد أُفيضَ عليه بلا اكتساب، وهذا هو وصف قلوب الأبدال من الموقنين، ليسوا واقفين مع حفظ، إنما هم قائمون

---

(١) هذه القراءة ذكرها البخاري عقيب حديث أبي هريرة. وانظر: تفسير القرطبي ١٤/ ٤٢٣. بحر العلوم للسمرقندي ٢/ ٤٠١. وذكر البيهقي في الاعتقاد ص ٤٣٣ أنها قراءة أبي بن كعب أيضًا. وفي الدر المنثور للسيوطي ١٠/ ٥٢٤: «أخرج ابن أبي حاتم عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف قال: إن فيما أنزل الله: (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث) فنُسخت «محدث». والمحدثون: صاحب يس، ولقمان، ومؤمن آل فرعون، وصاحب موسىٰ».

بحافظ (**وإليه الإشارة بقوله تعالىٰ**: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٦٥﴾) [الكهف: ٦٥] أي[1] من عندنا، و«لدن» ظرف مكان بمعنىٰ عند، إلا أنه لا يُستعمل إلا في الحاضر (**مع أن كل علم من لدنه، ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق، فلا يسمَّىٰ ذلك علمًا لدنيًّا**) بل علمًا انفعاليًّا؛ لكونه أُخذ من الغير (**بل اللدني الذي ينفتح في سر القلب**) أي باطنه المسمَّىٰ بقلب القلب (**من غير سبب مألوف من خارج**) كتعلُّم ودراسة.

(**فهذه شواهد النقل**) من الكتاب والسنة (**ولو جُمع كل ما ورد فيه من الآيات والأخبار والآثار لخرج عن**) حد (**الحصر**) والاستقصاء.

(**وأما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك أيضًا خارج عن الحصر، وظهر ذلك عن الصحابة**) رضوان الله عليهم (و) عن (**التابعين ومَن بعدهم**) من أتباعهم وغيرهم (**قال أبو بكر الصديق** رضي الله عنه **لعائشة** رضي الله عنها **عند موته: إنما هما أخواك وأختاك. وكانت زوجته حاملاً**) لم تلد بعدُ (**فولدت بنتًا، وكأن قد عرف قبل الولادة أنها بنت**) فهذه كرامة له أكرمه الله بها. قال الحافظ فتح الدين اليعمري المعروف بابن سيد الناس في كتابه «المقامات العليَّة في الكرامات الجلية»[2] بسنده إلىٰ عائشة رضي الله عنها قالت: لما حضرت أبي أبا بكر الوفاةُ جلس، ثم تشهد، ثم قال: أما بعد، فإن أحب الناس غِنىٰ إليَّ بعدي أنتِ، وإن أعز الناس فقرًا إليَّ بعدي أنتِ، وإني كنت نحلتك جَداد عشرين وسقًا من مالي، فوددت واللهِ أنك كنتِ حُزْتيه وأخذتيه، فإنما هو أخواك وأختاك. قالت: قلت: هذا أخواي، فمَن أختاي؟ فقال: ذو بطن ابنة خارجة، فإني أظنها جارية. فكان كذلك.

(**وقال عمر** رضي الله عنه **في أثناء خطبته**) في يوم جمعة: (**يا سارية، الجبل الجبل. إذ انكشف له**) أي وقع في رُوعه (**أن العدو قد أشرف عليهم**) وذلك[3] في الجيش الذي

---

(١) المصباح المنير ص ٥٥٢.

(٢) المقامات العلية ص ٤٦ - ٤٧ (ط - دار الملاح). وهذه القصة في: موطأ مالك ٢/ ٧٥٢، ومصنف عبد الرزاق ٩/ ١٠١، والسنن الكبرىٰ للبيهقي ٦/ ٢٨٠ - ٢٨١.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة ٤/ ٩٧ - ٩٨.

أرسله مع أسامة إلىٰ فارس[١]، فلاقىٰ العدوَّ وهم في بطن وادٍ، وقد همُّوا بالهزيمة، وبالقرب منهم جبل **(فحذَّره لمعرفته ذلك)** ورفع به صوته، فألقاه الله في سمع سارية، فانحاز بالناس إلىٰ الجبل، وقاتلوا العدو من جانب واحد ففتح الله عليهم **(ثم بلوغ صوته إليه من جملة الكرامات العظيمة)** وقد أخرج هذه القصة الواقدي عن أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر. وأخرجها سيف في الفتوح مطوَّلة عن أبي عثمان وأبي عمرو بن العلاء عن رجل من بني مازن ... فذكرها. وهي عند البيهقي في الدلائل[٢] واللالكائي في شرح السنة[٣] والديرعاقولي في فوائده وابن الأعرابي في «كرامات الأولياء» من طريق ابن وهب، عن يحيىٰ بن أيوب، عن ابن عجلان، عن نافع، عن ابن عمر قال: وجَّه عمرُ جيشًا، وولَّىٰ عليهم رجلاً يُدعَىٰ سارية، فبينا عمر يخطب جعل ينادي: يا سارية، الجبل. ثلاثًا، ثم قَدِم رسولُ الجيش، فسأله عمر، فقال: يا أمير المؤمنين، هُزمنا، فبينا نحن كذلك إذ سمعنا صوتًا ينادي: يا سارية، الجبل، ثلاثًا، فأسندنا ظهرنا إلىٰ الجبل، فهزمهم الله. قال: فقيل لعمر: إنك كنت تصيح هكذا. وكذا ذكره حرملة في جمعه لحديث ابن وهب بإسناد حسن. ولابن مردويه[٤] من طريق ميمون ابن مهران عن ابن عمر عن أبيه أنه كان يخطب يوم الجمعة، فعرض في خطبته أن قال: يا سارية، الجبل، مَن استرعَىٰ الذئبَ ظلم. فالتفت الناس بعضهم إلىٰ بعض، فقال لهم عليٌّ: ليخرجَنَّ مما قال. فلما فرغ سألوه، فقال: وقع في ظني أن المشركين هزموا إخواننا، وأنهم يمرُّون بجبل، فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجه واحد، وإن جاوزوه هلكوا، فخرج مني ما تزعمون أنكم سمعتموه. قال: فجاء البشير بعد شهر وذكر أنهم سمعوا صوت عمر في ذلك اليوم، قال: فعدلنا إلىٰ الجبل ففتح الله علينا.

(١) سنة ثلاث وعشرين.

(٢) دلائل النبوة ٦/ ٣٧٠.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤/ ١٣٣٠ - ١٣٣١.

(٤) ومن طريقه رواه ابن الأثير في أسد الغابة ٢/ ٣٨٠.

وقد أفرد لطرقه القطبُ الحلبي الحافظ جزءًا.

(**وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخلت علىٰ عثمان رضي الله عنه، وكنت قد لقيتُ امرأة في طريقي فنظرت إليها شزرًا**) أي من مؤخر العين (**فتأملت محاسنها، فقال عثمان رضي الله عنه لما دخلت: يدخل عليَّ أحدكم وآثار الزنا ظاهرة علىٰ عينيه، أما علمتَ أن زنا العينين النظر؟ لتتوبَنَّ**) إلىٰ الله تعالىٰ (**أو لأعزِّرنَّك. فقلت: أوحيٌ بعد النبي؟! فقال: لا، ولكن بصيرة وبرهان وفراسة صادقة**)[1] وأما قوله «زنا العينين النظر» فهو حديث مرفوع أخرجه ابن سعد في الطبقات[2] والطبراني في الكبير[3] عن علقمة بن الحويرث.

وروىٰ الحافظ أبو الفتح اليعمري[4] بسنده إلىٰ زيد بن وهب قال: جاء وفد من البصرة فيهم رأس من الخوارج يقال له: جعدة بن بعجة، فخطب وحمد الله ثم قال: يا علي، اتقِ الله، فإنك ميت. فقال علي: بل مقتول قتلاً تُصاب هذه فتُخضَب هذه، عهد معهود وقضاء مقضيٌّ، وقد خاب مَن افترىٰ. وكان كما ذكر.

(**وعن أبي سعيد**) أحمد[5] بن عيسىٰ (**الخَرَّاز**) البغدادي، صحب ذا النون المصري والنباجي والبُسْري وبِشرًا والسري، توفي سنة ٢٧٧ (**قال: دخلت المسجد الحرام، فرأيت فقيرًا عليه خرقتان، فقلت في نفسي: هذا وأشباهه كَلٌّ علىٰ الناس**) أي عولة عليهم (**فناداني**) إذ أشرف علىٰ خاطري (**وقال:** ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ﴾ [البقرة: ٢٣٥] **فاستغفرت الله في سري**) أي في باطني (**فناداني**) إذ

---

(١) ذكره القشيري في الرسالة ص ٤٠٥.

(٢) الطبقات الكبرىٰ ٩/ ٧٦.

(٣) المعجم الكبير ١٨/ ٩.

(٤) المقامات العلية لابن سيد الناس ص ٥٣. والقصة في: مسند الطيالسي ١/ ١٣٣، ومسند أحمد ٢/ ١١١، والمستدرك للحاكم ٣/ ١٦٦.

(٥) الرسالة القشيرية ص ٩٣.

أشرف علىٰ خاطري ثانيًا (وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٥] ثم غاب عني ولم أره)[١] فهذا الإشراف علىٰ الخاطر إنما هو من مشاهدة اليقين.

(وقال زكريا بن داود: دخل أبو العباس) أحمد[٢] [بن محمد] (بن مسروق) الطوسي، توفي ببغداد سنة ٢٩٩، صحب الحارث المحاسبي والسري (علىٰ أبي الفضل الهاشمي وهو عليل) أي مريض يعوده (وكان ذا عيال، ولم نعرف له سببًا يعيش به) أي ظاهرًا لرزقه (قال: فلما قمت قلت في نفسي: من أين يأكل هذا الرجل؟ قال): فأشرفه الله علىٰ خاطري (فصاح بي: يا أبا العباس، رُدَّ هذه الهمَّة الدَّنية) أي الخسيسة (فإن لله تعالىٰ ألطافًا خفية[٣]).

وقال أحمد النقيب: دخلت علىٰ) أبي بكر (الشِّبْلي يومًا، فقال: مفتونًا يا أحمد. فقلت: ما الخبر؟ قال: كنت جالسًا، فجرىٰ بخاطري أنك بخيل. فقلت: ما أنا ببخيل. فقاومني خاطري) أي عاودني ثانيًا (فقال: بل أنت بخيل. فقلت: ما فُتح اليوم عليَّ بشيء) أي من الفتوح (إلا دفعتُه إلىٰ أول فقير يلقاني. قال: فما استتمَّ الخاطرُ حتىٰ دخل عليَّ صاحب لمؤنس الخادم) أحد خُدَّام الخليفة (ومعه خمسون دينارًا، فقال: اجعلها في مصالحك) أي اصرفها في نفقتك (قال: فقمت فأخذتها وخرجت، فإذا بفقير مكفوف) البصر (بين يدي مزيِّن) أي حلاَّق (يحلق رأسه، فتقدمت إليه وناولته الدنانير، فقال: أعطِها المزيِّن. فقلت: إن جملتها كذا وكذا) دينارًا (قال: أوَ ليس قد قلنا لك إنك بخيل. قال: فناولتها المزينَ) كما أمر (فقال المزين) بعد أن أبىٰ من أخذها (قد عقدنا لمَّا جلس هذا الفقير بين أيدينا أن لا نأخذ عليه أجرًا. قال: فرميت بها في دجلة) أي النهر المعروف (وقلت: ما أعزَّكَ أحد إلا أذلَّه الله عَزَّوَجَلَّ) ففيها أن إشراف الشبلي صحيح، وقد أيَّده إشرافُ الولي المكفوف.

---

(١) ذكره القشيري في الرسالة ص ٤٠٥.

(٢) الرسالة القشيرية ص ٩٤.

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١٠/ ١٦٤، والخطيب في تاريخ بغداد ١٦/ ٦٠٦ - ٦٠٧.

وفي الرسالة القشيرية[١] سياق حكاية تشبه هذه، قال: سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا الفتح يوسف بن عمر الزاهد القَوَّاس ببغداد قال: حدثنا محمد بن عطية قال: حدثنا عبد الكبير بن أحمد قال: سمعت أبا بكر الصائغ قال: سمعت أبا جعفر الحدَّاد أستاذ الجنيد قال: كنت بمكة، فطال شعري، ولم يكن معي قطعة [من حديد] آخُذ بها شعري، فقَدِمت إلىٰ مزين توسَّمت فيه الخير، فقلت: تأخذ شعري لله تعالىٰ؟ فقال: نعم وكرامة. وكان بين يديه رجل من أبناء الدنيا، فصرفه وأجلسني وحلق شعري، ثم دفع إليَّ قرطاسًا فيه دراهم وقال لي: استعِنْ بها علىٰ بعض حوائجك. فأخذتها، وأعقدت أن أدفع إليه أول شيء يُفتَح عليَّ به. قال: فدخلت المسجد، فاستقبلني بعض إخواني وقال لي: جاء بعض إخوانك بصرَّة من البصرة من بعض إخوانك فيها ثلاثمائة دينار. قال: فأخذت الصرَّة وجئت بها إلىٰ المزين وقلت: هذه ثلاثمائة دينار تصرفها في بعض أمورك. فقال لي: يا شيخ، ألا تستحي؟ تقول لي احلق شعري لله تعالىٰ ثم آخُذ عليه شيئًا، انصرِفْ عافاك الله تعالىٰ.

(وقال) القشيري في الرسالة[٢] أيضًا: سمعت محمد بن أحمد التميمي يقول: سمعت عبد الله بن علي الصوفي يقول: سمعت (**حمزة بن عبد الله العلوي**) يقول: (**دخلت علىٰ أبي الخير التِّيناتي**) يُعرَف بالأقطع، مغربي الأصل، سكن تِينات، بكسر المثناة الفوقية وسكون الياء التحتية، كأنَّه جمع تين: قرية من قرىٰ الموصل[٣] (**و**) كنت (**اعتقدت في نفسي أن أسلِّم عليه ولا آكل**) عنده (**في داره طعامًا، فلما خرجت من عنده**) ومشيت قدرًا يسيرًا (**إذا به**) خلفي (**قد لحقني وقد حمل طبقًا فيه طعام،**

(١) الرسالة القشيرية ص ٥٧٥.

(٢) السابق ص ٥٧٣.

(٣) الذي في معجم البلدان ٢/ ٦٨ أنها: فرضة علىٰ بحر الشام [الذي يسمىٰ الآن البحر المتوسط] قرب المصيصة. وهذا قد نقله الزبيدي نفسه في تاج العروس ٣٤/ ٣٢٤. والفرضة: مرسىٰ السفن.

وقال: **يا فتىٰ، كُلْ** هذا (**فقد خرجتُ الساعةَ من اعتقادك**) فأشرفه الله علىٰ خاطره أولاً، وعند خروجه عنه ثانيًا. قال القشيري: (**وكان أبو الخير التيناتي هذا مشهورًا بالكرامات**) والفراسة الحادة، وكان كبير الشأن، مات سنة نيِّف وأربعين وثلاثمائة[١] (**قال إبراهيم**) بن[٢] داود (**الرَّقِّي**) من كبار مشايخ الشام، من أقران الجنيد، وقد عُمِّر إلىٰ سنة ست وعشرين وثلاثمائة (**قصدته**) يعني أبا الخير التيناتي (**مسلِّمًا عليه، فحضرتْ صلاةُ المغرب**) فصلىٰ إماما (**فلم يكد يقرأ سورة الفاتحة مستويًا**) أي مستقيمًا (**فقلت في نفسي: ضاعت سَفرتي. فلما سلَّم**) وسلَّمت (**خرجت إلىٰ الطهارة**) أي إلىٰ موضعها، كنىٰ به عن إراقة الماء (**فقصدني سبع**) أراد أن يبطش بي (**فعدت إلىٰ أبي الخير وقلت: قصدني الأسد. فخرج**) أبو الخير (**وصاح به**) أي عليه (**وقال: ألم أقل لك لا تتعرَّض لضيفاني؟ فتنحَّىٰ الأسد، فتطهَّرت، فلما**) فرغت و(**رجعت قال لي: اشتغلتم بتقويم الظاهر فخفتم الأسدَ، واشتغلنا بتقويم الباطن**) أي القلب (**فخافنا الأسد**) نقله القشيري في الرسالة.

ونقل[٣] أيضًا أنه حج سفيان الثوري مع شيبان الراعي، فعرض لهما سبعٌ، فقال سفيان لشيبان: أما ترىٰ هذا السبع؟ فقال: لا تخفْ. وأخذ شيبان أذنيه فعركهما، فبصبص وحرَّك أذنيه. فقال سفيان: ما هذه الشهرة؟ فقال: لولا مخافة الشهرة لَما وضعت زادي إلا علىٰ ظهره حتىٰ آتي مكة.

ونقل هو وصاحب الحلية أنه كان إبراهيم بن أدهم في رفقة، فعرض لهم السبع، فقالوا: يا أبا إسحاق، قد عرض لنا السبع. فجاء إبراهيم وقال: يا أسد، إن كنت أُمِرتَ فينا بشيء فامضِ وإلا فارجع. فرجع الأسد، ومضوا[٤].

---

(١) الرسالة القشيرية ص ١٠٩.

(٢) السابق ص ١٠٢.

(٣) السابق ص ٥٨٥.

(٤) تقدمت هذه القصة في الباب الأول من كتاب السفر.

ونقلا[١] عن حامد الأسود قال: كنت مع إبراهيم الخَوَّاص في البرِّية، فبينما نحن عند شجرة إذ جاء السبع، فصعدت الشجرة إلىٰ الصباح لا يأخذني النوم، ونام الخواص، والسبع يشم من رأسه إلىٰ قدمه، ثم مضىٰ، فلما كانت الليلة الثانية بِتنا في مسجد في قرية، فوقعت بَقَّة علىٰ وجهه فضربتْه، فأنَّ أنَّة فصاح، فقلت: هذا عجب! البارحة لم تجزع من الأسد، والليلة تصيح من البَقَّة. فقال: أما البارحة فتلك حالة كنت فيها مع الله تعالىٰ، وأما الليلة فهذه حالة أنا فيها مع نفسي.

(وما حُكي من تفرُّس المشايخ وإخبارهم عن اعتقادات الناس و) عن **(ضمائرهم يخرج عن الحصر)** لكثرته **(بل ما حُكي عنهم من مشاهدة الخَضِر** ﷺ**)** عيانًا **(والسؤال له ومن سماع صوت الهاتف)** من الغيب **(ومن فنون الكرامات)** التي أكرم الله تعالىٰ أصفياءه بها **(خارج عن الحصر)** أيضًا لكثرته **(والحكاية لا تنفع الجاحدَ)** أي المنكِر **(ما لم يشاهد ذلك بنفسه)** فيكون ذلك برهانًا له **(ومَن أنكر الأصل أنكر التفصيل)** في فروعه **(والدليل القاطع الذي لا يقدر أحد علىٰ جحده)** أي إنكاره **(أمران، أحدهما: عجائب الرؤيا الصادقة)** في المنام **(فإنه ينكشف بها الغيب)** أي ما غاب عن الحس **(وإذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل أيضًا في اليقظة، فلم يفارق النومُ اليقظةَ إلا في ركود الحواس)** وخمودها **(وعدم اشتغالها بالمحسوسات، فكم من مستيقظ غائص)** في بحر خيال **(لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه)** حتىٰ إنه يمر عليه الإنسان فيسلِّم عليه فلا يحس به **(والثاني: إخبار رسول الله ﷺ عن الغيب)** من أحوال الأنبياء وأخبارهم، وأخبار الجنة والنار **(و)** عن **(أمور)** تقع **(في المستقبل)** كأحوال البرزخ والحشر والنشر، وأحوال أمَّته وما يؤول إليه أمرُها **(كما اشتمل عليه القرآن)** والسنة **(وإذا جاز ذلك للنبي جاز لغيره؛ إذ النبي عبارة عن شخص كوشِفَ بحقائق الأمور وشُغل بإصلاح الخَلق)** بهدايتهم وإرشادهم لِما فيه مصلحتهم **(فلا يستحيل أن يكون في**

(١) الرسالة القشيرية ص ٥٨٦. ولم أقف علىٰ القصة في الحلية.

الوجود شخص مكاشَف بالحقائق ولا يشتغل بإصلاح الخَلق) بل بإصلاح نفسه **(وهذا لا يسمَّىٰ نبيًّا، بل يسمىٰ وليًّا)** قال القشيري في الرسالة(١): ظهور الكرامات علىٰ الأولياء جائز، والدليل علىٰ جوازه أنه أمرٌ موهوم حدوثه في العقل، لا يؤدِّي حصولُه إلىٰ رفع أصل من الأصول، فوجب وصفُه سبحانه بالقدرة علىٰ إيجاده، فإذا وجب كونُه مقدورًا لله سبحانه فلا شيء يمنع جواز حصوله، وظهور الكرامات علامة صدق من ظهرت عليه في أحواله، فمَن لم يكن صادقًا فظهور مثلها عليه لا يجوز، والذي يدل عليه أن تعريف القديم سبحانه إيانا حتىٰ نفرِّق بين من كان صادقًا في أحواله وبين من هو مبطل من طريق الاستدلال أمرٌ موهوم، ولا يكون ذلك إلا باختصاص الولي بما لا يوجد مع المفتري في دعواه، وذلك الأمر هو الكرامة، ولا بد من أن تكون [هذه] الكرامة فعلاً ناقضًا للعادة في أيام التكليف، ظاهرًا علىٰ موصوف بالولاية في معنىٰ تصديقه في حاله **(فمَن آمن بالأنبياء وصدَّق بالرؤيا الصحيحة لزمه لا محالة أن يقرَّ بأن القلب له بابان: باب إلىٰ خارج وهو الحواس، وباب إلىٰ الملكوت من داخل القلب وهو باب الإلهام والنفث في الرُّوع والوحي)** فالأخير خاص بالأنبياء، والإلهام والنفث عام فيهم وفي الأولياء، ومنهم مَن جعلهما من أقسام الوحي، وقد تقدم الكلام عليه قريبًا **(فإذا أقرَّ بهما)** أي بالأمرين المذكورِين **(جميعًا)** من غير إنكار ولا نقص **(لم يمكنه أن يحصر العلوم في التعلُّم ومباشرة الأسباب المألوفة)** في الدراسة **(بل يجوز أن تكون المجاهدة)** في نفسه التي هي أعدَىٰ عدوِّه **(سبيلاً إليه)** كما يرشد إليه قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩] **(فهذا ما ينبِّه علىٰ حقيقة ما ذكرناه من عجيب تردُّد القلب بين عالم الشهادة وعالم الملكوت.**

وأما السبب في انكشاف الأمر في المنام بالمثال المحوِج إلىٰ التعبير وكذلك تمثُّل الملائكة للأنبياء والأولياء بصور مختلفة فذلك أيضًا من أسرار عجائب

---

(١) الرسالة القشيرية ص ٥٦٢.

القلب، ولا يليق ذلك إلا بعلم المكاشفة، فلنقتصر علىٰ ما ذكرناه، فإنه كافٍ للاستحثاث علىٰ المجاهدة وطلب الكشف منها) قال القشيري في الرسالة: الرؤيا نوع من الكرامات، وتحقيق الرؤيا خواطر تَرِدُ علىٰ القلب وأحوال تتصور في الوهم إذا لم يستغرق النومُ جميعَ الاستشعار فيتوهَّم الإنسان عند اليقظة أنه كان رؤية في الحقيقة، وإنما كان ذلك تصورًا وأوهامًا [للخلق] تقرَّرت في قلوبهم، وحين زال عنهم الإحساسُ الظاهر تجرَّدت تلك الأوهام من المعلومات بالحس والضرورة فقويتْ تلك الحالةُ عند صاحبها، فإذا استيقظ ضعُفت تلك الأحوال التي تصوَّرها بالإضافة إلىٰ حال إحساسه بالمشاهدات وحصول العلوم الضرورية، ومثاله كالذي يكون في ضوء السراج عند اشتداد الظلمة، فإذا طلعت الشمس عليه غلب ضوءُ الشمس ضوءَ السراج فيتقاصر ضوءُ السراج بالإضافة إلىٰ ضوء الشمس، فمثال حال النوم كمَن هو في ضوء السراج، ومثال المتيقِّظ كمَن تعالَىٰ عليه النهارُ، فإن المتيقظ يتذكَّر ما كان متصورًا له في حال نومه. ثم إن تلك الأحاديث والخواطر التي كانت تَرِدُ علىٰ قلبه في حال نومه مرة تكون من قِبَل الشيطان، ومرة من هواجس النفس، ومرة بخواطر المَلَك، ومرة تكون تعريفًا من الله تعالىٰ بخلق تلك الأحوال في قلبه ابتداءً، وفي الخبر: «أصدقُكم رؤيا أصدقكم حديثًا» **(فقد قال بعض المكاشَفين: ظهر لي المَلَك، فسألني أن أملي عليه شيئًا من ذكري الخفي عن مشاهدتي من التوحيد، وقال: ما نكتب لك عملاً ونحن نحب أن نصعد لك بعمل نتقرَّب به إلىٰ الله تعالىٰ. فقلت: ألستما تكتبان الفرائض؟ قالا: بلىٰ. فقلت: فيكفيكما ذلك)** هكذا نقله صاحب القوت **(وهذا إشارة إلىٰ أن الكرام الكاتبين لا يطَّلعون علىٰ أسرار القلب، وإنما يطَّلعون علىٰ الأعمال الظاهرة)** وقال بعض العارفين: بل يطَّلعون علىٰ بعض أعمال القلب بقرائن خارجة، فإن المؤمن إذا ذكر الله في قلبه فاحت منه رائحة طيبة إلىٰ فمه فيشمُّونها الملائكة فيدوكون بها إذا ذكر الله تعالىٰ، فيكتبون ذلك في صحيفة حسناته.

(وقال بعض العارفين: سألت بعض الأبدال عن مسألة من) ولفظ القوت: وحدثنا بعض العلماء قال: سألت بعض الأبدال عن علم (مشاهدة اليقين، فالتفت إلىٰ شِماله فقال: ما تقول رحمك الله؟ ثم التفت إلىٰ يمينه فقال: ما تقول رحمك الله؟ ثم أطرق إلىٰ صدره وقال: ما تقول رحمك الله؟ ثم أجاب بأغرب جواب سمعتُه) قط وأعلاه (فسألته عن التفاته) ولفظ القوت: فقلت: رأيتك التفتَّ عن شمالك ويمينك ثم أقبلت علىٰ صدرك، فما ذلك؟ (فقال: لم يكن عندي في المسألة) التي سألتني عنها (جواب) ولفظ القوت: علم (عتيد) أي حاضر (فسألت صاحب الشمال) وظننت أن عنده منها علمًا (فقال: لا أدري، فسألت صاحب اليمين وهو أعلم منه فقال: لا أدري، فنظرت إلىٰ قلبي وسألته، فحدَّثني بما أجبتك، فإذا هو أعلم منهما) هكذا نقله صاحب القوت.

(وكأنَّ هذا هو معنىٰ قوله ﷺ: إن في أمَّتي محدَّثين، وإن عمر منهم) تقدم الكلام عليه قريبًا.

وقال الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله(١) نقلاً عن ولد الشيخ أبي الحسن الشاذلي قال: دخلت علىٰ والدي، فسمعته يقول: واللهِ لقد يسألونني عن المسألة لا يكون لها عندي جواب، فإذا الجواب مسطَّر في الزاوية في الحصيرة أو الحائط.

(وفي الأثر) عن بعض التابعين: (إن الله تعالىٰ يقول: أيُّما عبدٍ اطَّلعتُ علىٰ قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكري تولَّيت سياسته) أي بيدي (وكنت جليسه ومُحادِثه وأنيسه.

وقال أبو سليمان) عبد الرحمن بن عطية (الداراني رحمه الله تعالىٰ: القلب بمنزلة القبَّة المضروبة) بالعُمُد والأطناب والأوتاد (حولها أبواب مغلقة، فأيُّ باب

---

(١) لطائف المنن ص ١٢٦، وفيه: «أخبرني والدي قال: دخلت علىٰ الشيخ أبي الحسن الشاذلي فسمعته يقول: والله لقد ...» الخ.

فُتح له عمل فيه.

فقد ظهر انفتاح باب من أبواب القلب إلىٰ جهة من جهات الملكوت والملأ الأعلىٰ، وينفتح ذلك الباب بالمجاهدة) للنفس **(والورع)** عن المحرَّمات **(والإعراض عن شهوات الدنيا)** وملاذِّها **(ولذلك كتب عمر** رضي الله عنه **إلىٰ أمراء الأجناد)** وهم الذين ولاَّهم علىٰ عساكر الإسلام الموجَّهين لقتال الأعداء، وكان لا يولِّي أميرًا إلا ممن كانت له صحبة **(احفظوا ما تسمعون من المطيعين)** لله تعالىٰ **(فإنهم تتجلَّىٰ لهم أمور صادقة)**(١) نقله صاحب القوت.

(وقال بعض العلماء: يد الله علىٰ أفواه الحكماء، لا ينطقون إلا بما هيَّأ الله لهم من الحق) نقله صاحب القوت.

قلت: أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند(٢) من طريق عبد الله بن زيد قال: قال لقمان: ألا إن يد الله ... فذكره.

(وقال آخر) منهم: **(لو شئتُ لقلت إن الله تعالىٰ يُطلِع الخاشعين)** لله تعالىٰ **(علىٰ بعض سرِّه)** نقله صاحب القوت.

---

(١) أورده المتقي الهندي في كنز العمال ١٥/ ٧٠٢ - ٧٠٣ بلفظ: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله، واعقلوا ما تسمعون منهم، فإنهم تتجلىٰ لهم أمور صادقة». وعزاه لسعيد بن منصور في سننه والمروزي في الجنائز.

(٢) ورواه أيضا الحكيم الترمذي في أدب النفس ص ٤٦ (ط - الدار المصرية اللبنانية).

بيان تسلُّط الشيطان على القلب بالوسواس، ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها

(اعلمْ أن القلب كما ذكرناه) عن أبي سليمان الداراني (في مثال قبَّة مضروبة لها) من حواليها (أبواب) مغلقة (تنصبُّ إليه الأحوال من كل باب) علىٰ اختلافها في ورودها عليه (ومثاله أيضًا مثال هَدَف) محرَّكة، هو الغرض الذي يُرمَىٰ عليه بالسهام (تنصبُّ إليه السهام من الجوانب) والأطراف المحاذية له (أو هو مثال مرآة) كبيرة مصقولة (منصوبة) علىٰ موضع عالٍ حيث ممر الناس وغيرهم (يجتاز) أي يمر (عليها أصناف الصور المختلفة فتتراءىٰ فيها صورة بعد صورة فلا تخلو عنها، أو) هو (مثال حوض) لها (تنصبُّ فيه مياه مختلفة من أنهار) أو مساق أو جداول (مفتوحة إليه، وإنما مداخل هذه الآثار المتجددة في القلب في كل حال إما من الظاهر فالحواس الخمس) الظاهرة (وإما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والأخلاق المركَّبة من مزاج الإنسان) أي من أصل خِلقته (فإنه إذا أدرك بالحواس شيئًا) من مسموع أو مبصَر أو مذوق أو ملموس أو مشموم (حصل منه أثرٌ في القلب) ظاهر ينفعل له (وكذلك إذا هاجت الشهوة مثلاً بسبب كثرة الأكل) للأطعمة المقوِّية للشهوة (وبسبب قوة في المزاج) وقوته بسبب قربه من الاعتدال الحقيقي، وذلك في سن الوقوف وسن الشباب (حصل منها في القلب أثرٌ، وإن كفَّ عن الإحساس فالخيالات الحاصلة في النفس تبقىٰ) مركوزة فيها (وينتقل الخيال من شيء إلىٰ شيء، وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال إلىٰ حال آخر. والمقصود أن القلب في التغيُّر والتأثُّر دائمًا من هذه الأسباب، وأخَصُّ الآثار الحاصلة في القلب هي الخواطر، وأعني بالخواطر: ما يحصل فيه من الأفكار والأذكار، وأعني به) أي بما يحصل فيه ممَّا ذُكر (إدراكاته علومًا إمَّا علىٰ سبيل

التجدُّد، وإما علىٰ سبيل التذكُّر، فإنها تسمَّىٰ خواطر من حيث إنها تخطر فيه **(بعد أن كان القلب غافلاً عنها، والخواطر هي المحرِّكات للإرادات، فإن النية والعزم والإرادة إنما تكون بعد خطور المَنْويِّ بالبال لا محالة، فمبدأ الأفعال الخواطر، ثم الخاطر يحرك الرغبة، والرغبة تحرك العزم، والعزم يحرك النية، والنية تحرك الأعضاء. والخواطر المحركة للرغبة تنقسم إلىٰ ما يدعو إلىٰ الشر، أعني إلىٰ ما يضرُّ في العاقبة؛ وإلىٰ ما يدعو إلىٰ الخير، أعني إلىٰ ما ينفع في الدار الآخرة، فهما خاطران مختلفان، فافتقرا إلىٰ اسمين مختلفين، فالخاطر المحمود يسمىٰ إلهامًا)** وهو ما يُلقَىٰ في الرُّوع بطريق الفيض **(والخاطر المذموم - أعني الداعي إلىٰ الشر - يسمىٰ وسواسًا)** من الوسوسة وهي الخطرة الرديئة **(ثم إنك تعلم أن هذه الخواطر)** بأنواعها **(حادثة. ثم إن كل حادث فلا بد له من محدِث)** ضرورةً **(ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك علىٰ اختلاف الأسباب، هذا ما عُرف من سنَّة الله تعالىٰ في ترتيب المسببات علىٰ الأسباب، فمهما استنارت حيطان البيت بنور النار وأظلم سقفُه واسودَّ بالدخان علمتَ أن سبب السواد غير سبب الاستنارة، كذلك لأنوار القلب وظلمته سببان مختلفان، فسبب الخاطر الداعي إلىٰ الخير يسمىٰ مَلَكًا، وسبب الخاطر الداعي إلىٰ الشر يسمىٰ شيطانًا، واللطف الذي به يتهيَّأ القلب لقبول إلهام الخير يسمىٰ توفيقًا، والذي به يتهيَّأ لقبول وسواس الشيطان يسمىٰ إغواء وخذلانًا، فإنَّ المعاني المختلفة تفتقر إلىٰ أسامٍ مختلفة، والمَلَك عبارة عن خَلق خلقه الله تعالىٰ شأنه إفاضة الخير وإفادة العلم وكشف الحق والوعد بالخير والأمر بالمعروف، وقد خلقه وسخَّره لذلك، والشيطان عبارة عن خَلق)** خلقه الله تعالىٰ **(شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والأمر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر)** لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ﴾ [البقرة: ٢٦٨] **(فالوسوسة في مقابلة الإلهام، والشيطان في مقابلة المَلَك، والتوفيق في مقابلة الخذلان)** فكلٌّ منهما زوج للآخر مقابل له، منها ما هي أدوات الظاهر، ومنها ما هي أعراض الباطن وهي حواس الجسم والقلب، فأدوات الجسم هي الصفات الظاهرة، وأعراض القلب

هي المعاني الباطنة، قد عدَّلها سبحانه بحكمته، وسوَّاها علىٰ مشيئته، وقوَّمها إتقانًا بصنعته، أولها النفس والروح، وهما مكانان للقاء العدو والمَلَك، وهما شخصان يلقيان الفجور والتقوىٰ. ومنها عَرَضان متمكِّنان في مكانين وهما العقل والهوىٰ عن حكمين في مشيئة حاكم وهما التوفيق والإغواء. ومنها نوران ساطعان في القلب عن تخصيص من رحمة راحم وهما العلم والإيمان. فهذه أدوات القلب وحواسه ومعانيه الغائبة وآلاته، والقلب في وسط هذه الأدوات كالملك، وهذه جنوده تؤدي إليه، أو كالمرآة المجلوَّة، وهذه الآلة حوله تظهر فيراها، وتقدح فيه فيجدها **(وإليه الإشارة بقوله تعالىٰ**: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩] وقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧﴾ [الانفطار: ٧] وقوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ [التين: ٤] **(فإن الموجودات كلها متقابلة مزدوجة)** مسوَّاة، معدولة، مقوَّمة **(إلا الله تعالىٰ فإنه فرد لا مقابل له)** كما أنه لا شريك له **(بل هو الواحد الحق)** المطلَق **(الخالق للأزواج كلها)** وقد قسَّم صاحب القوت الخواطر وفسَّر أسماءها بما يقرُب من تقدير المصنف فقال: ما وقع في القلب من عمل الخير فهو إلهام، وما وقع من عمل الشر فهو وسواس، وما وقع في القلب من المخاوف فهو إيجاس، وما كان من تقدير الخير وتأميله فهو نية، وما كان من تدبير المباحات والطمع فيها وترجِّيها فهو أمل وأمنية، وما كان من تذكُّر أمر الآخرة والوعد والوعيد فهو تذكُّر وتفكُّر، وما كان من معاينة الغيب بعين اليقين فهو مشاهدة، وما كان من تحدُّث النفس بمعاشها فهو همٌّ، وما كان من خواطر العادات ونوازع الشهوات فهو لَمَمٌ. ويسمَّىٰ جميع ذلك خواطر؛ لأنه خطور همَّة نفس أو خطور عدوٍّ بحدس أو خطرة مَلَك بهمس. ثم إن ترتيب الخواطر المنشأة من خزائن الغيب القادحة في القلب علىٰ ستة معانٍ، وهي حدود الشيء المُظهَر، ثلاثة منها معفوَّة، وثلاثة مطالَب بها. فأول ذلك الهمة، وهو ما يبدو من وسوسة النفس بالشيء يجده العبد بالحس كالبرق، فإن صرفها بالذكر انمحت، وإن تركها بالغفلة صارت خواطر، وهو خطور العدو بالتزيين، وإن نفىٰ الخاطر ذهب، وإن ونَىٰ عنه قَوِيَ فصار وسوسة،

وهذه محادثة النفس للعدو وإصغاؤها إليه. وإن نفىٰ العبد هذه الوسوسة بذكر الله عَزَّوَجَلَّ خنس العدوُّ وصفت النفسُ. وهذه الثلاث معفوَّة رحمةً من الله سبحانه، غير مؤاخَذ بها العبد، وإن أمرج العبدُ النفسَ في محادثة العدو وطاولت النفس العدو بالإصغاء والمحادثة قويت الوسوسة فصارت نية، فإن أبدل العبد هذه النية بنية خير أو استغفر منها وتاب وإلا قويت فصارت عقدًا، فإن حلَّ هذا العقدَ بالتوبة وهو الإصرار وإلا قَوِيَ فصار عزمًا وهو القصد. وهذه الثلاث من أعمال القلب مأخوذ بها العبد ومسؤول عنها، فإن تداركه الله تعالىٰ بعد العزم وإلا تمكَّن العزم فصار طلبًا وسعيًا وظهر العمل علىٰ الجوارح من خزانة الغيب والملكوت فصار من أعمال الجسم في خزانة المُلك والشهادة. فهذه المعاني[1] توجد من أعمال البر والإثم، فما كان منها من البر همة ونية وعزمًا كان محسوبا للعبد في باب النيات، مكتوبًا له في ديوان الإرادات، له به حسنات، وما كان منها من الشر نية وعقدًا وعزمًا فعلىٰ العبد فيه مؤاخذة من باب أعمال القلوب ونيَّات السوء وعقود المعاصي، وليس شيء مجانس للعدو ومؤاخٍ له إلا النفس، جُمع بينهما في الوسوسة فقال الله تعالىٰ: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ [الناس: ٤] وقال تعالىٰ: ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق: ١٦] وكل شيء خلقه الله تعالىٰ فله مِثل وضد، فمثل النفس الشيطان، وضدها الروح. وأعمال الجوارح من النوعين الطاعة والمعصية أعظم في الأجر والوزر معًا إلا ما لا يتأتَّىٰ أن يعمله بظاهر الجسم من شهادة التوحيد أو وجود شك أو كفر أو اعتقاد بدعة. والله أعلم.

(فالقلب متجاذب بين الشيطان والمَلَك، وقد قال ﷺ: في القلب لَمَّتان: لَمَّة من المَلَك إيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمَن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه، وليحمد الله. ولَمَّة من العدو إيعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهيٌ عن الخير، فمَن وجد ذلك فليستعذْ بالله من الشيطان الرجيم. ثم تلا قوله تعالىٰ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ

---

(١) في القوت: الأعمال.

ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ **الآية)** [البقرة: ٢٦٨] قال صاحب القوت: هو من قول ابن مسعود، وقد رويناه من طريقٍ مسندًا.

وقال العراقي[١]: رواه الترمذي[٢] وحسنه والنسائي في الكبير[٣] من حديث ابن مسعود.

قلت: ورواه كذلك ابن حبان[٤]. وقال الترمذي بعد أن رواه عن هَنَّاد، حدثنا أبو الأحوص، عن عطاء بن السائب، عن مُرَّة الهَمْداني، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ ... فذكره: هو حسن غريب، لا نعلمه مرفوعًا إلا من حديث أبي الأحوص. ولفظهم: «إن للشيطان لمَّة بابن آدم وللمَلَك لمة، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق. فمَن وجد ذلك فليعلم أنه من الله، فليحمد الله علىٰ ذلك، ومَن وجد الأخرىٰ فليتعوَّذ بالله من الشيطان [الرجيم] ثم قرأ: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾.

والرواية[٥] الصحيحة «إيعاد» في الموضعين. وهو وإن كان مختصًّا بالشر عرفًا إلا أنه استُعمل في الخير للازدواج والأمن من الاشتباه بذكر الخير بعده. واللَّمَّة بالفتح: القرب والإصابة، فَعْلة من الإلمام. ونسبة لمة الملك إلىٰ الله تعالىٰ فيها تنويه بشأن الخير وإشادة بذكره.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالىٰ: **(إنما هما همَّان يجولان في القلب: همٌّ من الله تعالىٰ، وهم من العدو، فرحم الله عبدًا وقف عند همِّه، فما كان**

---

(١) المغني ٢/ ٧١٧.
(٢) سنن الترمذي ٥/ ٩٤.
(٣) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٣٧.
(٤) صحيح ابن حبان ٣/ ٢٧٨.
(٥) تحفة الأبرار للبيضاوي ١/ ٨٥ بتصرف.

من الله تعالىٰ أمضاه، وما كان من عدوِّه جاهده)[١] نقله صاحب القوت. والتمييز بين اللمتين لا يهتدي إليه أكثر الناس، وإنما يتشوَّف إلىٰ معرفتهما وتمييز الخواطر طالب مريد يتشوَّف إلىٰ ذلك كتشوُّف العطشان إلىٰ الماء؛ لِما يعلم من وقْعِ ذلك وخطره وصلاحه وفساده، ويكون ذلك عبدًا مرادًا بالحظوة بصفو اليقين ومِنَح الموقنين، وأكثرُ التشوُّف إلىٰ ذلك للمقرَّبين ومَن أخذ به في طريقهم، ومَن أخذ في طريق الأبرار قد يتشوَّف إلىٰ ذلك بعض التشوف؛ لأن التشوف إليه يكون علىٰ قدر الهمة والطلب والإرادة والحظ من الله الكريم، ومن هو في مقام عامة المسلمين والمؤمنين لا يتطلَّع إلىٰ معرفة اللمتين، ولا يهتم بتمييز الخواطر.

(ولتجاذُب القلب بين هذين التسلُّطين قال رسول الله ﷺ: قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن) رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو، وقد تقدم قريبًا **(فالله يتعالىٰ عن أن يكون له أصبع مركَّبة من لحم وعظم ودم وعصب منقسمة بالأنامل، ولكن روح الأصبع سرعة التقليب والقدرة علىٰ التحريك والتغيير، فإنك لا تريد أصبعك لشخصه بل لفعله في التقليب والترديد كما أنك تتعاطىٰ الأفعال بأصابعك)** وجميع[٢] الألفاظ الموهمة في الأخبار يكفي في دفع إيهامها قرينة واحدة وهي معرفة الله ومعرفة أنه ليس بجسم، تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا **(والله تعالىٰ)** إنما **(يفعل ما يفعله باستسخار المَلك والشيطان، وهما مسخَّران بقدرته في تقليب القلوب)** أي جرِّها إلىٰ خير أو شر **(كما أن أصابعك مسخَّرة لك في تقليب الأجسام مثلاً، والقلب بأصل الفطرة صالح لقبول آثار المَلك ولقبول آثار الشيطان صلاحًا متساويًا)** بطرفيه **(ليس يترجَّح أحدهما علىٰ الآخر، وإنما يترجَّح أحد الجانبين باتِّباع الهوىٰ والإكباب علىٰ الشهوات)** أي الملازَمة عليها **(أو الإعراض**

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٩/ ٤١١ بلفظ: «رحم الله عبدا وقف عند همه، فإن أحدا لا يعمل حتىٰ يهم، فإن كان لله ﷻ مضىٰ، وإن كان لغير الله أمسك».

(٢) إلجام العوام للغزالي ص ٣٤٣ - ٣٤٤ [ضمن مجموعة رسائل الغزالي].

عنها ومخالفتها، فإن اتَّبع الإنسان مقتضىٰ الغضب والشهوة ظهر تسلُّط الشيطان بواسطة الهوىٰ، وصار القلب عش الشيطان) أي مأواه (ومعدنه) أي محل إقامته (لأن الهوىٰ هو مرعىٰ الشيطان ومرتعه، وإن جاهد الشهوات ولم يسلِّطها علىٰ نفسه) بأن تنصَّل عنها واسترذلها (وتشبَّهَ بأخلاق الملائكة عليهم السلام صار قلبه مستقَر الملائكة ومهبطهم) اعلم[1] أن المستولي علىٰ الإنسان أولاً شهوته وغضبه، وبحسب مقتضاهما انبعاثه إلىٰ أن تظهر فيه الرغبة في طلب الكمال والنظر للعاقبة وعصيان مقتضَىٰ الشهوة والغضب، فإن غلب الشهوةَ والغضبَ حتىٰ ملكهما وضعفا عن تحريكه وتسكينه أخذ بذلك شبهًا من الملائكة، وكذلك إن فطم نفسه عن الجمود علىٰ الخيالات والمحسوسات وأنس بالإدراك[2] أخذ شبهًا آخر من الملائكة، فإن خاصِّية الحياة الإدراك والفعل، وإليهما يتطرَّق النقصان [والتوسط] والكمال، ومهما اقتدىٰ بالملائكة في هاتين الخاصِّيتين كان أقرب من الملائكة.

(ولما كان لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول أمل .. إلىٰ غير ذلك من صفات البشرية المتشعِّبة من الهوىٰ لا جَرَم لم يَخْلُ قلبٌ عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة، ولذلك قال ﷺ: ما منكم من أحد إلا وله) وفي رواية: معه (شيطان. قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: وأنا، إلا أن الله تعالىٰ أعانني عليه فأسلم) بلفظ الماضي من الإسلام، أو بلفظ المضارع من السلامة، وقد رُوي بالوجهين (فلا يأمر إلا بخير) قال العراقي[3]: رواه مسلم[4] من حديث ابن مسعود.

قلت: هذا لفظ مسلم من حديث عائشة، ورواه كذلك الطبراني في الكبير[5]

---

(١) المقصد الأسنىٰ للغزالي ص ٤٦.

(٢) في المقصد: «وأنس بإدراك أمور يجل عن أن ينالها حس أو خيال».

(٣) المغني ٢/ ٧١٧.

(٤) صحيح مسلم ٢/ ١٢٩٥.

(٥) المعجم الكبير ١/ ١٨٧.

من حديث أسامة بن شريك، وليس فيه «فلا يأمر إلا بخير». وأما لفظ حديث ابن مسعود عند مسلم: «ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّلَ به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة». قالوا: وإيَّاك يا رسول الله؟ قال: «وإياي، إلا أن الله عَزَّوَجَلَّ أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير». وكذلك رواه أحمد[١].

ويُروَىٰ ذلك أيضًا عن شريك بن طارق بلفظ: «ما منكم من أحد إلا وله شيطان». قالوا: ولك يا رسول الله؟ قال: «ولي، ولكن الله أعانني عليه فأسلم». رواه ابن حبان[٢] والبغوي[٣] والطبراني[٤]، وقال البغوي: ولا أعلم لشريك بن طارق غيره.

ويُروَىٰ أيضًا عن المغيرة بن شعبة بلفظ: «ما من أحد إلا جُعل معه قرين من الجن». قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا، إلا أن الله تعالىٰ أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير». رواه الطبراني[٥].

(وإنما كان هذا لأن الشيطان لا يتصرف إلا بواسطة الشهوة، فمَن أعانه الله علىٰ شهوته حتىٰ صارت لا تنبسط إلا حيث ينبغي وإلىٰ الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعو إلىٰ الشر، فالشيطان المتدرِّع بها لا يأمر إلا بالخير) لتضييق طرقه، فلا يقدر علىٰ التسلُّط **(ومهما غلب علىٰ القلب ذِكرُ الدنيا بمقتضيات الهوىٰ وجد الشيطان مجالاً)** أي محل جولان **(فوسوس)** ودبَّر شغله **(ومهما انصرف القلب إلىٰ ذكر الله تعالىٰ ارتحل الشيطان وضاق مجاله)** ولم يقدر علىٰ إقامته **(وأقبل المَلَك وألهم الخير)** وفي نسخة: فألهم الملكُ وأقبل **(والتطارُد بين جندَي الملائكة والشيطان في**

---

(١) مسند أحمد ٦/ ١٥٩، ٣١٩، ٣٥١، ٧/ ٤٠٠.

(٢) صحيح ابن حبان ١٤/ ٣٢٦.

(٣) معجم الصحابة ٣/ ٣٠٨ - ٣٠٩.

(٤) المعجم الكبير ٧/ ٣٧٠.

(٥) السابق ٢٠/ ٤٢٢.

معركة القلب دائم) لا ينقطع، بين غالب ومغلوب **(إلىٰ أن ينفتح القلب لأحدهما فيتمكَّن)** فيه **(ويستوطن)** أي يتخذه محل إقامة. وفي بعض النسخ: فيستوطن ويتمكَّن **(ويكون اجتياز الثاني اختلاسًا)** يختلسه **(فأكثر القلوب قد فتحتها جنود الشياطين وتملَّكتها)** وفي نسخة: وملكوها **(فامتلأت بالوساوس الداعية إلىٰ إيثار)** الحياة **(العاجلة)** الفانية **(واطراح الآخرة)** الباقية **(ومبدأ استيلائها)** أي تلك الجنود **(اتِّباع الشهوات والهوىٰ، ولا يمكن فتحُها بعد ذلك إلا بتخلية القلب من قوت الشيطان وهو الهوىٰ والشهوات وعمارته بذكر الله تعالىٰ الذي هو مَطرح أثر الملائكة)** ومحل ظهورهم **(قال جرير بن عبيدة العدوي: شكوت إلىٰ العلاء بن زياد)** بن[1] مطر العدوي البصري، أحد العُبَّاد، كنيته أبو نصر، ثقة، روىٰ له البخاري معلَّقًا وأبو داود في المراسيل والنسائي وابن ماجه، مات سنة أربع وتسعين ومائة **(ما أجد في صدري من الوسوسة، فقال: إنما مثل ذلك مثل البيت الذي تمر به اللصوص، فإن كان فيه شيء عالجوه، وإلا مضوا وتركوه)** قال أبو نعيم في الحلية[2]: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثنا أبي، حدثنا عبد الصمد، حدثنا جرير بن عبيدة، عن أبيه قال: قلت للعلاء بن زياد: إذا صليت وحدي لم أعقل صلاتي. قال: أبشِرْ، [فإن] هذا عَلَمُ الخير، أما رأيت أن اللصوص إذا مروا بالبيت الخرب لم يلووا عليه، وإذا مروا بالبيت الذي [رأوا] فيه المتاع زاولوه حتىٰ يصيبوا منه شيئًا.

وقد ظهر من هذا السياق أنه سقط علىٰ المصنف «عن أبيه». وللعلاء بن زياد ترجمة حسنة في الحلية.

(يعني أن القلب الخالي عن الهوىٰ لا يدخله الشيطان، ولذلك قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾) [الحجر: ٤٢، الإسراء: ٦٥] أي تسلُّط وتمليك؛

---

(١) تقريب التهذيب ص ٧٦٠.

(٢) حلية الأولياء ٢/ ٢٤٥.

لأنهم قد أخلوا قلوبهم عن الشهوات ومقتضياتها **(فكل مَن اتَّبع الهوىٰ فهو عبد الهوىٰ)** وذليله ومسخَّره **(لا عبد الله، ولذلك سلَّط الله عليه الشيطان)** ووكَّله به **(وقال تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾** [الجاثية: ٢٣] **وهو إشارة إلىٰ أن الهوىٰ إلهه ومعبوده، فهو عبد الهوىٰ لا عبد الله، ولذلك قال عمرو بن العاص)** كذا في النسخ، والصواب: عثمان[١] بن أبي العاص، وهو أبو عبد الله الثقفي الطائفي، أخو الحكم بن أبي العاص، ولهما صحبة. قدم علىٰ النبي ﷺ في وفد ثقيف، واستعمله النبي ﷺ علىٰ الطائف، ثم أقرَّه أبو بكر وعمر، مات سنة إحدىٰ وخمسين. روىٰ له الجماعة سوىٰ البخاري. وقد تقدم ذِكرُه في كتاب الصلاة **(للنبي ﷺ: يا رسول الله، حال الشيطانُ بيني وبين صلاتي وقراءتي. فقال: ذلك شيطان يقال له خِنْزِب)** بكسر الخاء المعجمة وسكون النون وكسر الزاي[٢] **(فإذا أحسستَه فتعوَّذْ بالله منه، واتفل عن يسارك ثلاثًا. قال: ففعلت ذلك فأذهبه الله عني)** قال العراقي[٣]: رواه مسلم[٤] من حديثه.

(وفي الخبر: إن للوضوء شيطانًا يقال له: الولهان، فاستعيذوا بالله منه) قال العراقي[٥]: رواه ابن ماجه[٦] والترمذي[٧] من حديث أبيِّ بن كعب، وقال: غريب، وليس إسناده بالقوي عند أهل الحديث.

---

(١) تهذيب الكمال ١٩/ ٤٠٨ - ٤٠٩.

(٢) هكذا ضبطه الشارح هنا، وضبطه في تاج العروس ٢/ ٣٨٦ بفتح الخاء وسكون النون وفتح الزاي.

(٣) المغني ٢/ ٧١٧.

(٤) صحيح مسلم ٢/ ١٠٥٠.

(٥) المغني ٢/ ٧١٧ - ٧١٨.

(٦) سنن ابن ماجه ١/ ٣٥٤.

(٧) سنن الترمذي ١/ ١٠١. وعندهما: (فاتقوا وسواس الماء) بدل قوله: فاستعيذوا بالله منه. وتمام كلام الترمذي: «لأنا لا نعلم أحدا أسنده غير خارجة بن مصعب، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن الحسن قوله، ولا يصح في هذا الباب عن النبي ﷺ شيء، وخارجة ليس بالقوي عند أصحابنا، وضعفه ابن المبارك».

(ولا يمحو وسوسةَ الشيطان من القلب إلا ذكر ما سوىٰ ما يوسوس به؛ لأنه إذا خطر في القلب ذِكرُ شيء انعدم منه ما كان فيه من قبل، ولكن كل شيء سوىٰ الله تعالىٰ وسوىٰ ما يتعلق به فيجوز أيضًا أن يكون مجالاً للشيطان، وذِكرُ الله هو الذي يؤمِّن جانبَه ويُعلِم أنه ليس للشيطان فيه مجال، ولا يعالَج الشيء إلا بضده) ليكون مُخرِجًا له ومبطلاً أثره **(وضد جميع وساوس الشيطان ذِكرُ الله تعالىٰ بالاستعاذة والتبرِّي من الحول والقوة، وهو معنىٰ قولك: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم. وذلك لا يقدر عليه إلا المتقون)** الخاشعون **(الغالب عليهم ذكر الله تعالىٰ)** في سائر أوقاتهم **(وإنما الشيطان يطوف عليهم في أوقات الفلتات)** والغفلات **(علىٰ سبيل الخلسة)** والمخاتلة **(قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾** فأخبر أن جلاء القلب الذكر، به يبصر القلبُ، وأن باب الذكر التقوىٰ، به يذكر العبدُ، فالتقوىٰ باب الآخرة، كما أن الهوىٰ باب الدنيا.

(وقال مجاهد في معنىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ٤﴾ [الناس: ٤] قال: هو منبسط علىٰ القلب، فإذا ذكر الله تعالىٰ خنس وانقبض، وإذا غفل) عن ذكر الله تعالىٰ **(انبسط علىٰ قلبه)** هكذا نقله صاحب القوت. ويُروَىٰ[١] عن ابن عباس قال: الشيطان جاثم علىٰ قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، وإذا ذكر الله خنس. أخرجه ابن أبي شيبة[٢] وابن جرير[٣] وابن مردويه. ويُروَىٰ عنه أيضًا أنه قال: ما من مولود يولد إلا علىٰ قلبه الوسواس، فإن ذكر الله تعالىٰ خنس، وإذا غفل عن ذكر الله وسوس، فذلك قوله: ﴿ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ٤﴾. أخرجه ابن

---

(١) الدر المنثور ١٥/ ٨٠٨.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ١٢٧.

(٣) جامع البيان ٢٤/ ٧٥٤.

أبي الدنيا وابن جرير[١] وابن المنذر والحاكم[٢] وصحَّحه وابن مردويه والبيهقي[٣] والضياء في المختارة[٤].

(فالتطارُد بين ذكر الله ووسوسة الشيطان كالتطارُد بين النور والظلام) أحدهما ينسخ الثاني **(وبين الليل والنهار)** فإذا جاء الليل ذهب النهار، وبالعكس، فمَن[٥] الناس من يكون ليله أطول من نهاره، وآخر بضده، ومنهم من يكون زمنه نهارًا كله، وآخر بضده **(ولتضادِّهما قال الله تعالىٰ: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾)** أي غلب عليهم واستمالهم إلىٰ ما يريده من الشهوات **(﴿فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾** [المجادلة: ١٩].

وقال أنس) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **(قال رسول الله ﷺ: إن الشيطان واضع خرطومه)** وهو من الفيل أنفه. وفي[٦] لفظ «خطمه» أي فمه وأنفه، والخطم من الدابة: مقدم أنفها وفمها **(علىٰ قلب ابن آدم، فإن هو)** وفي لفظ: فإذا **(ذكر الله تعالىٰ خنس)** أي انقبض وتأخر **(وإن نسي اللهَ التقم قلبه)** فذلك الوسواس الخناس، فبُعدُ الشيطان من الإنسان علىٰ قدر ملازمته للذكر، والناس في ذلك متفاوتون.

قال العراقي[٧]: رواه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان وأبو يعلىٰ الموصلي[٨] وابن عدي في الكامل[٩] وضعَّفه.

---

(١) السابق ٢٤/ ٧٥٣ - ٧٥٤.
(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٦٣٦.
(٣) شعب الإيمان ٢/ ١٦٩.
(٤) الأحاديث المختارة ١٠/ ١٧٥ - ١٧٦.
(٥) إغاثة اللهفان لابن القيم ١/ ٢٠٧.
(٦) فيض القدير ٢/ ٣٥٤.
(٧) المغني ٢/ ٧١٨.
(٨) مسند أبي يعلىٰ ٧/ ٢٧٩.
(٩) الكامل في الضعفاء ٣/ ١٠٤٤.

قلت: وكذلك رواه ابن شاهين في الترغيب في الذكر[١] والبيهقي في الشعب[٢]. وفي سند أبي يعلىٰ وابن عدي: عدي بن أبي عمارة، وهو ضعيف.

وفي[٣] الترغيب لابن شاهين أيضًا عن أنس مرفوعًا بلفظ: «إن للوسواس خطمًا كخطم الطائر، فإذا غفل ابن آدم وضع ذلك المنقار في أذن القلب يوسوس، فإذا ذكر الله خنس، فذلك الوسواس الخناس[٤]». وأخرج أبو بكر ابن أبي داود في كتاب «ذم الوسوسة» عن معاوية[٥] في قوله: ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤﴾ قال: مثل الشيطان كمثل ابن عِرْس واضع فمه علىٰ فم القلب فيوسوس إليه، فإذا ذكر الله خنس، وإن سكت عاد إليه، فهو الوسواس الخناس.

(وقال ابن وَضَّاح في حديث ذكره: إذا بلغ الرجلُ أربعين سنة ولم يتُبْ مسح الشيطان وجهه بيده وقال: بأبي وجه من لا يفلح) وفي نسخة: وجهٌ لا يفلح. قال العراقي[٦]: لم أجد له أصلاً.

(وكما أن الشهوات ممتزجة بلحم ابن آدم ودمه) في أصل الفطرة الإنسانية **(فسلطنة الشيطان أيضًا سارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه، ولذلك قال ﷺ: إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرىٰ الدم، فضيِّقوا مجاريه بالجوع)** رواه أحمد والشيخان وأبو داود من حديث أنس، ورواه الشيخان وأبو داود أيضًا

---

(١) الترغيب في فضائل الأعمال لابن شاهين ص ٥٦.

(٢) شعب الإيمان ٢/ ٧٥.

(٣) كنز العمال ١/ ٢٥١.

(٤) في الكنز: «فإن ابن آدم ذكر الله عز وجل نكص وخنس، فلذلك سمي الوسواس».

(٥) في الدر المنثور ١٥/ ٨٠٧: عن ابن عباس. وأشار محققوه إلىٰ أن في بعض النسخ: عن معاوية، كما هنا. والظاهر أن في نسخة الدر التي نقل عنها الشارح سقطا، فقد ذكر السيوطي قبل أثر ابن عباس حديثا مرفوعا عن معاوية بن أبي طلحة نقلا عن كتاب ذم الوسوسة، ولفظه: «كان من دعاء النبي ﷺ: اللهم اعمر قلبي من وساوس ذكرك، واطرد عني وساوس الشيطان».

(٦) المغني ٢/ ٧١٨.

وابن ماجه من حديث صفية، وقد تقدم في الصوم (**وذلك لأن الجوع يكسر**) سَوْرة (**الشهوات، ومجرىٰ الشيطان الشهوات**) فأمر بتضييقه بالجوع لكسر ما يتولَّد منه (**ولأجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال الله تعالىٰ إخبارًا عن إبليس**: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٦ - ١٧].

وقال ﷺ: إن الشيطان قعد لابن آدم بطرقه، فقعد له بطريق الإسلام) أولاً (**فقال: أتُسلِم وتترك دينك ودين آبائك؟ فعصاه**) أي خالفه ولم يسمع قوله (**وأسلم، ثم**) لما أيس منه من طريق الإسلام (**قعد له بطريق الهجرة فقال**) له: (**أتهاجر؟ أتدع أرضك وسماءك**) وتذهب في بلاد الغربة؟ (**فعصاه**) وخالفه (**وهاجر**) فرارًا بدينه (**ثم**) لما أيس منه من طريق الهجرة (**قعد له بطريق الجهاد فقال**) له: (**أتجاهد وهو**) أي الجهاد (**تلفُ النفس والمال فتقاتل**) العدو (**فتُقتَل فتُنكَح نساؤك ويقسَّم مالك؟ فعصاه**) ولم يسمع كلامه (**وجاهد**) رغمًا عليه (**قال رسول الله ﷺ: فمَن فعل ذلك فمات كان حقًّا علىٰ الله أن يدخله الجنةَ**) قال العراقي[1]: رواه النسائي[2] من حديث سَبْرة بن أبي فاكه بإسناد صحيح.

(**فقد ذكر ﷺ معنىٰ الوسوسة وهي هذه الخواطر التي تخطر للمجاهد أنه يُقتَل وتُنكَح نساؤه**) ويقسَّم ماله (**وغير ذلك ممَّا يصرفه عن الجهاد**) ويثبِّطه عنه (**وهذه الخواطر معلومة، فإذًا الوسواس معلوم بالمشاهدة، وكل خاطر فله سبب ويفتقر إلىٰ اسم يعرِّفه، فاسم سببه: الشيطان، ولا يُتصور أن ينفكَّ عنه آدميٌّ**) ما دام حيًّا (**وإنما يختلفون بعصيانه ومتابعته**) فتارة يتابعه، وتارة يخالفه (**ولذلك قال ﷺ: ما من أحد إلا وله شيطان**) كما تقدم قريبًا.

(**فقد اتَّضح بهذا النوع من الاستبصار معنىٰ الوسوسة والإلهام، والمَلَك**

---

(١) السابق ٢/ ٧١٨.

(٢) سنن النسائي ص ٤٨٣.

والشيطان، والتوفيق والخذلان) وكلٌّ منهما في مقابلة الآخر (فبعد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان أنه) هل هو (جسم لطيف أو ليس بجسم؟ وإن كان جسمًا فكيف يدخل بدنَ الإنسان ما هو جسم؟ فهذا الآن غير محتاج إليه في علم المعاملة، بل مثال الباحث عن هذا مثال مَن دخلت في ثيابه حية وهو محتاج إلىٰ إزالتها) عنه (ودفع ضررها فاشتغل بالبحث عن لونها وشكلها وطولها وعرضها، وذلك عين الجهل) لصاحبه (فمصادمة الخواطر الباعثة علىٰ الشر قد عُلمت، ودلَّ ذلك علىٰ أنه عن سبب لا محالة. وعُلم أن الداعي إلىٰ الشر المحذور في المستقبل عدو) قوي مخاتل (قد عرفه العبد لا محالة، فينبغي أن يشتغل بمجاهدته) بتضييق الطرق عليه وسد مجاريه (وقد عرَّف الله سبحانه وتعالىٰ) عبادَه (عداوتَه في مواضع كثيرة من كتابه ليؤمَن به) أي يصدَّق بوجوده (ويُحترَز عنه، فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ﴾) الآية [فاطر: ٦] (وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾) [يس: ٦٠] وقال تعالىٰ مخبرًا عنه: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ الآية [الأعراف: ١٦]. وقال تعالىٰ مخبرًا عنه كذلك: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ﴾ الآية [النساء: ١١٩] (فينبغي للعبد أن يشتغل بدفع العدو عن نفسه، لا بالسؤال عن أصله ونسبه ومسكنه) بل بمخالفته وعصيانه (نعم، ينبغي أن يسأل عن سلاحه ليدفعه عن نفسه) فإن معرفة ذلك أكيدة (وسلاح الشيطان الهوىٰ والشهوات) وما ينشأ عنهما (وذلك كافٍ للعالِمين، فأما معرفة صفة ذاته وحقيقته - نعوذ بالله منه - وحقيقة الملائكة فذلك ميدان العارفين) من أهل اليقين (المتغلغلين في علوم المكاشَفات) الغائصين في بحارها (فلا يُحتاج في علم المعاملة إلىٰ معرفته. نعم، ينبغي أن يُعلَم أن الخواطر تنقسم إلىٰ ما يُعلَم قطعًا أنه داعٍ إلىٰ الشر فلا يخفَىٰ كونه وسوسة، وإلىٰ ما يُعلَم أنه داعٍ إلىٰ الخير فلا يُشَك في كونه إلهامًا، وإلىٰ ما يُتردَّد فيه فلا يُدرَىٰ أنه من لمَّة المَلَك أو من لمة الشيطان، فإنَّ من) جملة (مكائد الشيطان) ومصايده وفخوخه (أن يعرض الشر في معرض الخير، والتمييز في ذلك صعب)

إلا علىٰ العارفين بمكائده من المتقين من أهل اليقين **(وأكثر العباد به يهلكون)** لعدم تمييزهم بينهما، وهو مقام عامة المسلمين والمؤمنين **(فإن الشيطان لا يقدر علىٰ دعائهم إلىٰ الشر الصريح فيصور الشر)** ويلقيه **(بصورة الخير)** فيشبِّه عليهم بذلك **(كما يقول للعالِم)** الماهر **(بطريق الوعظ)** للعامة: **(أما تنظر إلىٰ الخلق؟ وهم موتىٰ من الجهل، هلكىٰ من الغفلة، قد أشرفوا علىٰ النار)** وكادوا أن يتساقطوا فيها **(أما لك رحمة علىٰ عباد الله تنقذهم)** أي تخلِّصهم **(من العطب)** أي الهلاك **(بنصحك ووعظك وقد أنعم الله عليك بقلب بصير)** بالمعاني **(ولسان ذَلِق)** أي فصيح **(ولهجة مقبولة؟ فكيف تكفر نعمةَ الله تعالىٰ وتتعرَّض لسخطه)** وغضبه **(وتسكت عن إشاعة العلم)** وإفادته **(ودعوة الخلق إلىٰ الصراط المستقيم؟ ولا يزال يقرِّر ذلك)** وأمثاله **(في نفسه ويستجرُّه بلطيف الحِيَل)** ويستميله إلىٰ ما يلقيه في خياله **(إلىٰ أن يشتغل بوعظ الناس)** مدة **(ثم يدعوه بعد ذلك إلىٰ أن يتزيَّن لهم ويتصنَّع بتحسين اللفظ وإظهار الخير، ويقول له: إن لم تفعل ذلك سقط وَقْعُ كلامك من قلوبهم، ولم يهتدوا إلىٰ الحق)** وإنما تجلب خواطرهم بتأثير كلامك فيهم إذا تزيَّنت لهم بحسن الزي وأظهرتَ الفصاحة والبلاغة **(ولا يزال يقرِّر ذلك عنده)** ويحسِّنه له **(وهو في أثنائه يؤكد فيه شوائبَ الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزُّز بكثرة الأتباع)** والحشم والخدم (و) بكثرة **(العلم والنظر إلىٰ الخلق بعين الاحتقار، فيستدرج المسكينَ بالنصح إلىٰ الهلاك فيتكلم)** علىٰ العامة **(وهو يظن أن قصده الخير، وإنما قصده الجاه والقبول، فيهلك بسببه وهو يظن)** في نفسه **(أنه عند الله بمكان)** عظيم **(وهو ممَّن قال فيهم رسول الله ﷺ: إن الله لَيؤيِّدُ هذا الدين بقوم لا خلاق لهم)** رواه[1] النسائي[2] من حديث أنس بإسناد جيد (و) قال: **(إن الله لَيؤيدُ هذا الدينَ بالرجل الفاجر)** متفق[3] عليه من حديث أبي هريرة، وقد تقدم في

---

(١) المغني للعراقي ٢/ ٧١٩.

(٢) السنن الكبرىٰ ٨/ ١٤٧.

(٣) المغني للعراقي ٢/ ٧١٩.

كتاب العلم[١] **(ولذلك رُوي أن إبليس جاء لعيسىٰ ابن مريم** عَلَيْهِ السَّلَامُ **فقال له: قل لا إله إلا الله. فقال)** عيسىٰ: **(كلمة حق، ولا أقولها بقولك. لأن له أيضًا تحت الخير تلبيسات)** ومخادعات **(وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهَىٰ، وبها يهلك العلماء والعُبَّاد والزهاد والفقراء والأغنياء وأصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لأنفسهم الخوضَ في المعاصي المكشوفة)** الظاهرة للناس، فقد استمالَهم بتلك الخِدَع واستولىٰ علىٰ قلوبهم فعميت بها أبصارهم **(وسنذكر جملة من مكائد الشيطان في كتاب الغرور في آخر هذا الربع)** إن شاء الله تعالىٰ **(ولعلَّنا إن أمهل الزمانُ)** وامتد الأجل **(صنَّفنا فيه كتابًا علىٰ الخصوص نسمِّيه: تلبيس إبليس)** وقد قلَّده جماعة ممن أتىٰ بعده فألَّف كتابًا سمَّاه كذلك، منهم ابن الجوزي **(فإنه قد انتشر الآن تلبيسه في البلاد والعِباد لا سيَّما في المذاهب والاعتقادات)** فركبوا كل صعب وذلول، وتعصَّبوا، ونبذوا الحق وراء ظهورهم، وخدعهم إبليس بما تلقَّفوه وجمدوا عليه **(حتىٰ لم يبقَ من الخيرات إلا رسمها)** وهذا إذ ذاك، وأما الآن فلم يبقَ منها إلا اسمها **(كل ذلك إذعانًا)** أي انقيادًا **(لتلبيسات الشيطان)** وتأويلاته **(ومكائده)** ومصائده وفخوخه **(فحقٌّ علىٰ العبد أن يقف عند كل همٍّ يخطر له ليعلم أنه من لمة المَلَك أو لمَّة الشيطان، وأن يمعن النظر فيه بنور البصيرة)** المؤيَّدة باليقين **(لا بهوىٰ من الطبع، ولا يطَّلع عليه إلا بنور التقوىٰ)** إذ هو مفتاح الكشوفات **(والبصيرة)** النافذة **(وغزارة العلم)** أي وفرته، وهو العلم بالله، وهو مكان التوحيد، وتمكُّن الموحِّد فيه علىٰ قدر المكان **(كما قال تعالىٰ:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ﴾ **أي رجعوا إلىٰ نور العلم** ﴿فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ [الأعراف: ٢٠١] **أي ينكشف لهم الإشكال)** وينجلي لهم الإبهام **(فأما مَن لم يُرْضِ نفسه بالتقوىٰ فيميل طبعُه إلىٰ الإذعان)** والانقياد **(لتلبيسه بمتابعة الهوىٰ)** والميل النفسي **(فيكثُر فيه غلطُه ويتعجَّل فيه هلاكَه وهو لا يشعر، وفي مثلهم قال سبحانه**

---

(١) في آخر الباب الرابع منه.

وتعالىٰ: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ۝٤٧﴾ [الزمر: ٤٧] **قيل: هي أعمال ظنوها حسنات فإذا هي سيئات)** وذلك حين تُعرَض صحائفهم، وهو زيادة مبالغة فيه، وهو نظير قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم﴾ [السجدة: ١٧] في الوعد **(وأغمضُ أنواع علوم المعاملة الوقوف علىٰ خِدَع النفس ومكائد الشيطان، وذلك فرض عين علىٰ كل عبد)** وإليه[1] ذهب عبد الرحيم بن يحيىٰ الأرموي ومَن تبعه من الشاميين؛ إذ قالوا في شرح حديث «طلبُ العلم فريضة» قالوا: إنما عني به طلب معرفة علم الإخلاص، ومعرفة آفات النفوس ووساوسها، ومعرفة مكائد العدو وخِدَعه ومكره وغروره، وما يُصلِح الأعمال وما يفسدها، فريضة كله من حيث كان الإخلاص [في الأعمال] فريضة، ومن حيث أُعلِم بعداوة إبليس ثم أُمِرَ بمعاداته. كما تقدم ذلك في أول كتاب العلم مفصَّلاً **(وقد أهمله الخلق)** بمرة **(واشتغلوا بعلوم تستجرُّ إليهم الوسواسَ وتسلِّط عليهم الشيطانَ وتنسيهم عداوتَه)** التي أُعلِموا بها (و) تنسيهم **(طريق الاحتراز عنه)** وقد أُمِروا به **(ولا ينجي من كثرة الوسواس إلا سد أبواب الخواطر)** النفسية والشيطانية **(وأبوابها من خارج)** هي **(الحواس الخمس)** فإنها التي يَرِدُ علىٰ القلب منها ما يَرِدُ من الخواطر الرديئة **(وأبوابها من داخل)** هي **(الشهوات وعلائق الدنيا)** لأن الشيطان يدخل بطريق اتساع النفس، واتساع النفس باتِّباع الشهوات، وعلائق الدنيا هي مَحالُّ الشهوات **(والخلوة في بيت مظلم تسد باب الحواس)** الخمس من ظاهر فلا تقع تفرقة علىٰ القلب **(والتجرُّد عن الأهل والمال)** والحشم والأتباع والجاه **(يقلِّل مداخلَ الوسواس من الباطن)** إذا ما ذكر هو الذي كان سببًا لدخول الوسوسة في القلب، فإذا انسلخ عنه حُفظ في حاله **(وتبقي مع ذلك مداخل باطنة من التخيُّلات الجارية في القلب)** لا يقوىٰ الإنسان علىٰ دفعها عنه لانفعاله بها **(وذلك لا يُدفَع إلا بشَغْل القلب بذكر الله تعالىٰ)** مع المراقبة عليه **(ثم إنه لا يزال يجاذب القلبَ وينازعه)**

(١) قوت القلوب ١/ ٣٦٣ - ٣٦٤.

بواسطة النفس؛ لِما بينهما من المناغاة والمحادثة والتآلف، فتتسلَّط عليه النفس فتنطلق في شيء بهواها من القول والفعل فيتأثَّر القلب لذلك (و) حينئذٍ **(يلهيه عن ذكر الله تعالىٰ، فلا بد من مجاهدته)** بأن يعود من مَواطِن مطالبات النفس ويُقبِل علىٰ ذكر الله ومحل مناجاته، فيستنير القلب ويُقبِل علىٰ النفس معاتبًا لها علىٰ متابعتها لهواها فتذل لذلك **(وهذه مجاهدة لا آخر لها إلا الموت؛ إذ لا يتخلَّص أحد من الشيطان ما دام حيًّا)** فهو كالغريم الملازم الذي لا ينفكُّ **(نعم، قد يقوىٰ بحيث لا ينقاد له، ويدفع عن نفسه شرَّه بالجهاد، ولكن لا يستغني قط عن الجهاد والمدافعة ما دام الدم يجري في بدنه)** وقد روىٰ أحمد[1] وأبو يعلىٰ[2] والحاكم[3] من حديث أبي سعيد: «إن الشيطان قال: وعزَّتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم. فقال الرب: وعزَّتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني» **(فإنه ما دام حيًّا فأبواب الشيطان مفتوحة إلىٰ قلبه لا تنغلق وهي الشهوة والغضب والحسد والطمع والشَّرَه وغيرها، كما سيأتي شرحها)** في مَحالِّها **(ومهما كان الباب مفتوحًا والعدو غير غافل)** بل يُخشَىٰ منه الهجوم من هذا الباب **(لم يُدفَع إلا بالحراسة والمجاهَدة. قال رجل للحسن)** البصري: **(يا أبا سعيد، أينام الشيطان؟ فتبسم وقال: لو نام لاسترحنا)**[4] أشار إلىٰ أنه هجَّام علىٰ قلب المؤمن، غير غافل عن مكايدته.

(فإذًا لا خلاص للمؤمن منه) بوجه من الوجوه **(نعم، له سبيل إلىٰ دفعه)** ومقاومته وكسر سَوْرته **(وتضعيف قوته، قال ﷺ: إن المؤمن)** الكامل **(ينضي)** وفي[5] لفظ: لينضي. أي يُهزِل ويُضعِف **(شيطانه)** لكثرة إذلاله له وجعلِه أسيرًا

---

(١) مسند أحمد ١٧/ ٣٣٧، ٣٤٤، ٤٦١، ١٨/ ٢٥٣.

(٢) مسند أبي يعلىٰ ٢/ ٤٥٨، ٥٣٠.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٣٩٣.

(٤) رواه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد ص ٢١٦ بنحوه.

(٥) فيض القدير ٢/ ٣٨٥.

تحت قهره وتصرُّفه، ومَن أعز سلطانَ الله أعزَّه الله وسلَّطه علىٰ عدوه، وحكم عكسه عكس حكمه **(كما ينضي أحدكم بعيره في سفره)** لأن البعير يتجشَّم في سفره أثقال حمولته فيصير نضوًا لذلك.

رواه أحمد[١] من حديث أبي هريرة، وفيه ابن لهيعة. قاله العراقي[٢].

قلت: ورواه كذلك ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول[٣].

(وقال ابن مسعود) رضي الله عنه: **(شيطان المؤمن مهزول)** وذلك لأنه يتجشَّم أثقال غيظه منه؛ لِما يراه من الطاعة والوفاء لله، فيقف منه هزيلاً ضعيفًا ذليلاً بمزجر الكلب عنه.

(وقال قيس بن الحجاج) الكلاعي[٤] المصري، صدوق، مات سنة تسع وعشرين ومائتين، روىٰ له الترمذي وابن ماجه **(قال لي شيطاني: دخلت فيك وأنا مثل الجَزُور)** وهي الناقة السمينة **(وأنا الآن مثل العصفور)** أي في غاية من النحافة والهزل **(قلت: ولِمَ ذلك؟ قال: تذيبني بذكر الله تعالىٰ)**[٥].

فأهل التقوىٰ لا يتعذَّر عليهم سدُّ أبواب الشيطان وحفظها بالحراسة، أعني الأبواب الظاهرة والطرق الجليَّة) أي الظاهرة **(التي تفضي إلىٰ المعاصي الظاهرة)** أي توصل إليها؛ لأن بالتقوىٰ وجود خالص الذكر، وبها ينفتح بابه، ولا يزال العبد يتَّقي حتىٰ يحمي الجوارح من المكاره، ثم يحميها من الفضول وما لا يعنيه، فتصير أقواله وأفعاله ضرورة، ثم تنتقل تقواه إلىٰ باطنه فتطهِّر الباطن

---

(١) مسند أحمد ١٤/ ٥٠٤.

(٢) المغني ٢/ ٧١٩.

(٣) نوادر الأصول ص ٧٨.

(٤) تقريب التهذيب ص ٨٠٣.

(٥) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٩/ ٣٧٦. وفيه: تذيبني بكتاب الله.

وتقيِّده عن المكاره ثم عن الفضول حتىٰ يتّقي حديثَ النفس **(وإنما يتعثَّرون في طرقه الغامضة)** الخفية **(لأنهم لا يهتدون إليها فيحرسونها**، كما أشرنا إليه في غرور العلماء والوعَّاظ) فيما سيأتي إن شاء الله تعالىٰ **(والمشكل أن الأبواب المفتوحة إلىٰ القلب للشيطان كثيرة، وباب الملائكة باب واحد)** من هذه الأبواب **(وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الأبواب الكثيرة)** فلا يكاد يُهتدَىٰ له **(والعبد فيها كالمسافر الذي يبقىٰ في بادية كثيرة الطرق)** كثيرة المَفارِق **(غامضة المسالك في ليلة مظلمة، فلا يكاد يعلم الطريق)** ولا يهتدي إلىٰ مفرق يكون سلوكه **(إلا بعين بصيرة)** تدرك التمييزَ بين تلك الطرق **(أو طلوع شمس مشرقة)** تنسخ تلك الظلمات **(والعين البصيرة ههنا القلب المصفَّىٰ بالتقوىٰ، والشمس المشرقة هي العلم الغزير)** أي الكثير **(المستفاد من كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ مما يهدي إلىٰ غوامض طرقه، وإلا فطرقه كثيرة وغامضة)** والمراد بالعلم هنا هو علم المعرفة المخصوص به المقرَّبون **(قال عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه**: خطَّ لنا رسولُ الله ﷺ يومًا خطًّا وقال: هذا سبيل الله)** مستقيمًا **(ثم خط خطوطًا عن يمين)** ذلك **(الخط وعن شماله، ثم قال: هذه سُبُل، علىٰ كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم تلا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾)** [الأنعام: ١٥٣] أي **(لتلك الخطوط)** التي عن يمينه وشماله **(فبيَّن ﷺ كثرة طرقه)** قال العراقي[(١)]: رواه النسائي في الكبير[(٢)] والحاكم[(٣)] وقال: صحيح الإسناد.

قلت: وكذلك[(٤)] أخرجه عبد بن حميد وأحمد[(٥)] والبزار[(٦)] وابن المنذر وأبو

---

(١) المغني ٢/ ٧١٩.

(٢) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٩٥.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٢٨٦، ٣٧٩.

(٤) الدر المنثور ٦/ ٢٥٩ - ٢٦٠.

(٥) مسند أحمد ٧/ ٢٠٧، ٤٣٦.

(٦) مسند البزار ٥/ ٩٩، ١١٣، ١٣١، ٢٥١.

الشيخ وابن مردويه، وسياقهم جميعًا كسياق المصنِّف. وأخرج عبد الرزاق[١] وابن جرير[٢] وابن مردويه عن ابن مسعود أن رجلاً سأله: ما الصراط المستقيم؟ قال: تركنا محمدٌ ﷺ في أدناه، وطرفه الجنة، وعن يمينه جَوادٌّ، وعن شِماله جَوادٌّ، وثَم رجال يدعون مَن مر بهم، فمَن أخذ في تلك الجَوادِّ انتهت به إلىٰ النار، ومَن أخذ علىٰ الصراط المستقيم انتهىٰ به إلىٰ الجنة. ثم قرأ ابن مسعود: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ﴾ الآية. وأخرج أحمد[٣] وابن ماجه[٤] وابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ، فخط خطًّا هكذا أمامه فقال: «هذا سبيل الله». وخطينِ عن يمينه وخطين عن شماله وقال: «هذا سبيل الشيطان». ثم وضع يده في الخط الأوسط وتلا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ﴾ الآية.

(وقد ذكرنا مثالاً للطريق الغامض من طرقه وهو الذي يُخدَع به العلماء والعُبَّاد المالكين لشهواتهم، الكافِّينَ عن المعاصي الظاهرة) فضلاً عن غيرهم **(فلنذكر مثالاً لطريقه الواضح الذي لا يخفَىٰ إلا أن يضطر الآدمي إلىٰ سلوكه، وذلك كما رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: كان راهب في بني إسرائيل)** أي عابد في صومعته **(فعمد الشيطان إلىٰ جارية فخنقها)** أي لسبها وصرعها، وكانت جميلة **(وألقىٰ في قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب)** أي هو يرقي عليها فيتطبَّب لها **(فأتوا بها إليه)** وعرضوا حالها عليه **(فأبىٰ أن يقبلها، فلم يزالوا به حتىٰ قبلها، فلما كانت عنده ليعالجها أتاه الشيطان)** من باب الشهوة **(فزيَّن له مقاربتها)** أي ألقىٰ في قلبه أن يجامعها **(فلم يزل به)** يخالجه ويستميله **(حتىٰ واقعها، فحملت منه، فوسوس إليه وقال: الآن تُفتضح ويأتيك أهلها)** فيرون بها الحمل فيفضحونك

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٢٢٣.

(٢) جامع البيان ٩/ ٦٧١.

(٣) مسند أحمد ٢٣/ ٤١٧.

(٤) سنن ابن ماجه ١/ ٤٨.

ويسقط من مقامك عندهم (**فاقتلها، فإن سألوك فقل: ماتت**) ولم يزل يسوِّل له حتىٰ أطاعه (**فقتلها ودفنها، فأتى الشيطان أهلها فوسوس إليهم وألقىٰ في قلوبهم أنه أحبلها ثم قتلها ودفنها، فأتاه أهلها فسألوه عنها، فقال: ماتت. فأخذوه ليقتلوه بها، فأتاه الشيطان فقال: أنا الذي خنقتها، وأنا الذي ألقيت في قلوب أهلها، فأطِعني تَنْجُ وأخلِّصك منهم. قال: بماذا؟ قال: اسجدْ لي سجدتين. فسجد له سجدتين، فقال له الشيطان: إني بريء منك. فهو الذي قال الله تعالىٰ فيه**: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ﴾ [الحشر: ١٦]) قال العراقي[١]: رواه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان وابن مردويه في تفسيره من حديث عبيد بن رفاعة مرسلاً، وللحاكم[٢] نحوه موقوفًا علىٰ علي بن أبي طالب وقال: صحيح الإسناد. ووصله مطيَّن في مسنده من حديث علي.

قلت: ومرسل[٣] عبيد بن رفاعة - وهو الزُّرَقي - أخرجه أيضًا البيهقي في الشعب[٤]، وقالوا فيه: يبلُغ به النبيَّ ﷺ.

وأخرج ابن المنذر والخرائطي في اعتلال القلوب[٥] من طريق عدي بن ثابت عن ابن عباس من قوله نحوه، قال: كان راهب في بني إسرائيل متعبِّدًا زمانًا، حتىٰ كان يؤتَىٰ بالمجانين فيقرأ عليهم ويعوِّذهم حتىٰ يبرأوا، فأُتِي بامرأة في شرف قد عرض لها الجنونُ، فجاء بها إخوتها إليه ليعوِّذها ... وساق القصة، وفيها: فاسجد لي سجدة واحدة. فسجد له وكفر، فقُتل علىٰ تلك الحال.

وأما موقوف عليٍّ عند الحاكم فقد أخرجه أيضًا عبد بن حميد وابن راهويه

(١) المغني ٢/ ٧١٩ - ٧٢٠.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٥٧١.

(٣) الدر المنثور ١٤/ ٣٨٩ - ٣٩٣.

(٤) شعب الإيمان ٧/ ٣١٩.

(٥) اعتلال القلوب ص ١٠١.

وأحمد في الزهد وعبد الرزاق(١) والبخاري في التاريخ(٢) وابن جرير(٣) وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الشعب(٤) بلفظ: أن رجلاً كان يتعبَّد في صومعة، وأن امرأة كان لها إخوة، فعرض لها شيءٌ، فأتوه بها، فزيَّنت له نفسُه فوقع عليها ... إلىٰ آخر القصة، وفي آخرها: فاسجدْ لي سجدة أنجيك. فسجد له.

وأخرج ابن أبي حاتم(٥) من طريق العوفي عن ابن عباس قال: كان راهب من بني إسرائيل يعبد الله فيُحسِن عبادتَه، وكان يؤتَىٰ من كل أرض فيُسئل عن الفقه، وكان عالمًا، وإن ثلاثة إخوة لهم أخت حسناء من أحسن الناس، وإنهم أرادوا أن يسافروا، وكبُر عليهم أن يَدَعوها ضائعة، فعمدوا إلىٰ الراهب، فقالوا: إنَّا نريد السفر، وإنَّا لا نجد أحدًا أوثق في أنفسنا ولا آمَن عندنا منك، فإن رأيتَ جعلنا أختنا عندك، فإنها شديدة الوجع، فإن ماتت فقُمْ عليها، وإن عاشت فأصلِحْ إليها حتىٰ نرجع. فقال: أكفيكم إن شاء الله تعالىٰ. فقام عليها فداواها حتىٰ [برئت و] عاد إليها حُسنُها، وإنه اطَّلع عليها فوجدها متصنِّعة، ولم يزل به الشيطان حتىٰ وقع عليها فحملت، ثم ندَّمَه الشيطانُ فزَّين له قتلها وقال: إن لم تفعل افتُضحت [وعُرف شبهك في الولد] فلم تكن لك معذرة. فلم يزل به حتىٰ قتلها، فلما قَدِم إخوتُها سألوه: ما فعلتْ؟ قال: ماتت فدفنتُها. قالوا: أحسنتَ. فجعلوا يرون في المنام ويخبَرون أن الراهب قتلها، وإنها تحت شجرة كذا وكذا، وإنهم عمدوا إلىٰ الشجرة، فوجدوها قد قُتلت، فعمدوا إليه فأخذوه، فقال الشيطان: أنا الذي زيَّنت

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٢/ ٢٨٥.

(٢) التاريخ الكبير ٥/ ٢١٣، وليس فيه ذكر القصة، بل قال: «عبد الله بن نهيك، سمع عليا رضي الله عنه في قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ﴾ قاله محمد بن مقاتل أخبرنا النضر عن شعبة عن أبي إسحاق سمع عبد الله».

(٣) جامع البيان ٢٢/ ٥٤١.

(٤) شعب الإيمان ٧/ ٣١٩ - ٣٢٠.

(٥) وكذلك الطبري في جامع البيان ٢٢/ ٥٤٣.

لك الزنا، وزيَّنت لك قتلها، فهل لك أن أنجيك وتطيعني؟ قال: نعم. قال: فاسجدْ لي سجدة واحدة. فسجد له، ثم قُتل.

وأخرج ابن جرير[١] عن ابن مسعود في هذه الآية قال: كانت امرأة ترعىٰ الغنم، وكان لها أربعة إخوة، وكانت تأوي بالليل إلىٰ صومعة راهب، فنزل الراهب ففجر بها، فأتاه الشيطان فقال له: اقتلها. فقتلها ... ثم ساق القصة، وفيها: فاستعدوا ملكهم علىٰ ذلك الراهب، فأتوه فأنزلوه.

وأخرج عبد الرزاق[٢] وعبد بن حميد عن طاووس نحوه.

(**فانظر الآن إلىٰ حِيَله واضطراره الراهب إلىٰ هذه الكبائر**) من الزنا والقتل والسجود لغير الله تعالىٰ (**وكل ذلك لطاعته له في قبول الجارية للمعالجة، وهو أمرٌ هين، وربما يظن صاحبه أنه خير وحسنة، فيحسُن ذلك في قلبه بخفيِّ الهوىٰ فيُقدِم عليه كالراغب في الخير، فيخرج الأمرُ بعد ذلك عن اختياره، ويجرُّه البعض إلىٰ البعض بحيث لا يجد محيصًا**) عنه (**فنعوذ بالله من تضييع أوائل الأمور**) ومَن ضيَّع الأصول حُرم الوصول (**وإليه الإشارة بقوله ﷺ: مَن حامَ حول الحِمَىٰ يوشك أن يقع فيه**) متفق[٣] عليه من حديث النعمان بن بشير: «مَن يرتع حول الحِمَىٰ يوشك أن يواقعه». لفظ البخاري.

---

(١) جامع البيان ٢٢/ ٥٤٢.

(٢) تفسير عبد الرزاق ٢/ ٢٨٤.

(٣) المغني للعراقي ٢/ ٧٢٠.

وهذا الحديث تقدم بتمامه في أول الباب الثاني من كتاب الحلال والحرام.

بيان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب

(اعلمْ أن مثال القلب مثال حصن) منيع وله أبواب (والشيطان) كأنه (عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولي عليه، ولا يُقدَر علىٰ حفظ الحصن من العدو إلا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه) أي الثقب والكسر (ولا يقدر علىٰ حراسة أبوابه مَن لا يعرف أبوابه، فحماية القلب من وسواس الشيطان واجبة) وأمرها أكيد (وهو فرض عين علىٰ كل عبد مكلَّف) كما ذهب إليه عبد الرحيم بن يحيىٰ الأرموي ومَن تبعه، وقد تقدم قريبًا (وما لا يُتوصل إلىٰ الواجب إلا به فهو أيضًا واجب، ولا يُتوصل إلىٰ دفع الشيطان إلا بمعرفة مداخله، فصارت معرفة مداخله واجبة، ومداخل الشيطان وأبوابه) التي يدخل بها علىٰ القلب (صفات العبد) فإنها بمنزلة الأبواب والمداخل بالنسبة إليه (وهي كثيرة، ولكنا نشير إلىٰ الأبواب العظيمة الجارية مَجرىٰ الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان) وأصل الدرب: المضيق بين الجبلين (فمن أبوابه العظيمة: الغضب والشهوة، فإن الغضب هو غول العقل) أي يتغوَّل به العقل (وإذا ضعُف جند العقل هجم جندُ الشيطان) وجند العقل هو العلم بالله واليقين، وجند الشيطان الجهل والطمع وحب الدنيا (ومهما غضب الإنسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي بالكرة) يدحرجه كيف يشاء كما يفعل الصبي بالكرة (كما رُوي) في الإسرائيليات (أن موسىٰ عليه السلام لقيه إبليس، فقال له: يا موسىٰ، أنت الذي اصطفاك الله برسالته وكلَّمك تكليمًا، وأنا خلقٌ من خلق الله أذنبت) وعصيت (وأريد أن أتوب، فاشفع لي إلىٰ ربي أن يتوب عليَّ) أي يقبل توبتي (فقال) له (موسىٰ: نعم. فلما صعد موسىٰ الجبلَ وكلَّم ربَّه عز وجل وأراد النزول قال له ربُّه: أدِّ الأمانة. فقال موسىٰ: يا رب، عبدك إبليس يريد أن تتوب عليه. فأوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ موسىٰ: يا موسىٰ،

قد قضيت حاجتك، مُرْه أن يسجد لقبر آدم حتىٰ يُتاب عليه. فلقي موسىٰ إبليسَ، فقال له: قد قُضيتْ حاجتك، أُمِرتَ أن تسجد لقبر آدم حتىٰ يُتاب عليك. فغضب) إبليس (واستكبر وقال: لم أسجد له حيًّا أأسجد له ميتًا؟! ثم قال: يا موسىٰ، إن لك عليَّ حقًّا لَما شفعتَ لي إلىٰ ربك فاذكرني عند ثلاث لا أهلكك فيهنَّ: اذكرني حين تغضب، فإن روحي في قلبك، وعيني في عينك، وأجري منك مَجرىٰ الدم. واذكرني إذا غضبتَ، فإنه إذا غضب الإنسان نفختُ في أنفه فما يدري ما يصنع. واذكرني حين تلقَىٰ الزحفَ) أي صف الكفار (فإني آتي ابنَ آدم حين يلقىٰ الزحف فأذكِّره زوجته وولده وأهله حتىٰ يولِّي) ظهره (وإياك أن تجلس إلىٰ امرأة ليست بذات مَحرم، فأنا رسولها إليك ورسولك إليها، فلا أزال حتىٰ أفتنك بها وأفتنها بك)[١].

فقد أشار) إبليس (بهذا إلىٰ الشهوة والغضب والحرص، فإنَّ الفرار من الزحف حرصٌ علي الدنيا، وامتناعه عن السجود لآدم ميتًا هو الحسد، وهو أعظم مداخله) كما سيأتي، وفي عدم سجوده لآدم ميتًا أيضًا أَنَفة وعُجب وكبرٌ، وكل هؤلاء من مداخله في بني آدم، كما سيأتي ذلك كله (وقد ذُكر) في بعض الكتب (أن بعض الأولياء قال لإبليس: أرني كيف تغلب ابن آدم. فقال: آخذه عند الغضب، وعند الهوىٰ)[٢] أي ميل النفس إلىٰ أمر دنيوي.

(وقد حُكي أن إبليس ظهر لراهب) من رهبان بني إسرائيل (فقال له الراهب: أيُّ أخلاق بني آدم أعوَنُ لك)؟ أي أكثر عونًا لك في مَلْكه والدخول عليه (قال: الحِدَّة) وهي التسرُّع في الغضب (فإن العبد إذا كان حديدًا) في غضبه (قلَّبناه كما يقلِّب الصبيان الكرة)[٣].

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦١/ ١٢٧ عن عبد الله بن عمر.

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ٤٠٧ ومن طريقه الطبري في جامع البيان ١٤/ ١٧ - ٧٢ عن يزيد بن قسيط.

(٣) سيأتي هذا الأثر والذي بعده في أول كتاب ذم الغضب والحقد والحسد.

وقيل: إن الشيطان يقول: كيف يغلبني ابن آدم وإذا رضي جئتُ حتىٰ أكون في قلبه، وإذا غضب طِرْتُ حتىٰ أكون في رأسه) وابن آدم لا يخلو من تينك الحالتين، وهو فيهما ملازم له يَعِدُه ويمنِّيه، ويراه من حيث لا يراه، فكيف يغلبه؟

(**ومن أبوابه العظيمة: الحسد والحرص، فمهما كان العبد حريصًا علىٰ كل شيء أعماه حرصُه وأصمَّه؛ إذ قال ﷺ: حبُّك الشيء يُعمِي ويُصِمُّ**) رواه أبو داود[١] من حديث أبي الدرداء بإسناد ضعيف. قاله العراقي[٢].

قلت: وكذلك[٣] رواه العسكري في الأمثال كلاهما من طريق بقية بن الوليد عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم عن خالد بن محمد الثقفي عن بلال بن أبي الدرداء عن أبيه به مرفوعًا، ولم ينفرد به بقية فقد تابعه أبو حيوة شريح بن يزيد ومحمد بن حرب كما عند العسكري، ويحيىٰ البابْلُتِّي كما عند القضاعي في مسنده[٤]، وعصام بن خالد ومحمد بن مصعب كما عند أحمد في مسنده[٥]. وابن أبي مريم ضعيف لا سيَّما وقد رواه أحمد عن أبي اليمان عن ابن أبي مريم فوقفَه، والأول أكثر، وقد بالغ الصاغاني[٦] فحكم عليه بالوضع، وتعقَّبه العراقي بأن ابن أبي مريم لم يتَّهمه أحد بالكذب وإنما هو ضعيف[٧]، ويكفي سكوت أبي داود عليه، فليس بموضوع ولا شديد الضعف، بل هو حسن[٨]. والمعنىٰ: أنَّ من الحب ما يُعمِي عن طريق الرشد ويُصِمُّ عن استماع الحق، وأن الرجل إذا غلب الحبُّ

---

(١) سنن أبي داود ٥/ ٤٠٨.

(٢) المغني ٢/ ٧٢٠.

(٣) المقاصد الحسنة ص ١٨١ - ١٨٢.

(٤) مسند الشهاب ١/ ١٥٧.

(٥) مسند أحمد ٣٦/ ٢٤، ٤٥/ ٥٣٣.

(٦) لم أقف علىٰ الحديث في كتاب الموضوعات للصاغاني.

(٧) في المقاصد: «لم يتهمه أحد بكذب، إنما سُرق له حلي فأنكر عقله، وقد ضعفه غير واحد».

(٨) الصواب: موقوف علىٰ أبي الدرداء كما قال السيوطي في الدرر ١٨٦.

علىٰ قلبه ولم يكن له رادع من عقل أو دين أصمَّه حبُّه عن العدل، وأعماه عن الرشد. قاله العسكري. وقيل: معناه: يعمي ويصم عن الآخرة، وفائدته النهي عن حب ما لا ينبغي الإغراق في حبه.

(**ونور البصيرة هو الذي يعرِّف مداخل الشيطان، فإذا غطَّاه الحسد والحرص لم يبصر فحينئذٍ يجد الشيطان فرصة**) أي اختلاسًا حذرًا من فواته (**فيحسِّن**) أي يزيِّن (**عند الحريص كلَّ ما يوصله إلىٰ شهوته وإن كان منكرًا أو فاحشًا**) لكنه موافق لِما تشتهيه نفسُه (**فقد رُوي أن نوحًا** ﷺ **لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله تعالىٰ، فرأىٰ في السفينة شيخًا لم يعرفه، فقال له نوح: ما أدخلك؟ فقال: دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معي وأبدانهم معك. فقال له نوح**) ﷺ وقد عرفه: (**اخرجْ منها يا عدو الله، فإنك لعين**) أي مبعَد عن رحمة الله (**فقال له إبليس: خمس أُهلِكُ بهنَّ الناسَ، وسأحدِّثك منهن بثلاث ولا أحدِّثك باثنتين. فأوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ نوح: إنه لا حاجة لك بالثلاث، فليحدِّثك بالاثنتين. فقال له نوح: ما الاثنتان؟ فقال: هما اللتان لا تكذباني، هما اللتان لا تخلفاني، بهما أُهلِكُ الناسَ جميعًا: الحرص والحسد، فبالحسد لُعِنتُ وجُعلتُ شيطانًا رجيمًا**) يشير إلىٰ ما صنعه من إبائه السجود لآدم حسدًا منه عليه (**وأما الحرص فإنه أبيحَ لآدم الجنة كلها فأصبتُ حاجتي منه بالحرص**)[١] يشير إلىٰ ما وقع منه من القربان إلىٰ الشجرة المنهيِّ عن أكلها، وإنما كان ذلك حرصًا علىٰ طول بقائه بتمنية الشيطان وإغرائه له.

(**ومن أبوابه العظيمة: الشبع من الطعام وإن كان حلالاً صافيًا**) لا شبهة فيه (**فإن الشبع يقوِّي الشهوات، والشهوات أَسلحة**[٢] **الشيطان**) جمع سلاح (**فقد رُوي**

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٢/ ٢٥٩ وابن الجوزي في تلبيس إبليس ص ٣٠ عن عبد الله بن عمر.

(٢) في الزبيدي ٧/ ٢٧٧: مسلحة. والصواب المثبت، فالأسلحة مفردها سلاح، أما المسلحة فهم القوم ذوو السلاح. انظر: تاج العروس ٦/ ٤٧٩.

أن إبليس ظهر ليحيىٰ بن زكريا عليهما السلام فرأىٰ عليه معاليق من كل شيء) جمع[1] مِعْلاق: ما يعلَّق به اللحم وغيره، وما يعلَّق بالزاملة أيضًا نحو القُمقمة والمِطهرة والقِربة (فقال له: يا إبليس، ما هذه المعاليق؟ قال: هذه الشهوات التي أصيبُ بها ابن آدم. قال: فهل لي فيها من شيء؟ قال: ربما شبعتَ فثقَّلناك عن الصلاة وعن الذكر. قال: فهل غير ذلك؟ قال: لا. قال: لله عليَّ أن لا أملأ بطني من طعام أبدًا. فقال له إبليس: ولله عليَّ أن لا أنصح مسلمًا أبدًا[2].

ويقال: في كثرة الأكل ست خصال مذمومة، أولها: أن يذهب خوف الله من قلبه. الثاني: أن تذهب رحمة الخلق من قلبه؛ لأنه يظن أنهم كلهم شِباع. والثالث: أنه يثقل عن الطاعة. والرابع: أنه إذا سمع كلام الحكمة لا يجد له رقَّة. والخامس: أنه إذا تكلم بالموعظة والحكمة لا يقع في قلوب الناس. والسادس: أنه يهيج فيه الأمراض[3].

ومن أبوابه) التي يدخل منها: (حب التزيُّن من الأثاث) أي أمتعة الدار (والثياب) وهي ما يلبسها (والدار) التي يسكنها (فإن الشيطان إذا رأىٰ ذلك غالبًا علىٰ قلب الإنسان باض فيه وفرَّخ) وهو كناية عن استدامة اللبث والإقامة فيه (فلا يزال يدعوه) أولاً (إلىٰ عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع أبنيتها) وكثرة مرافقها (ويدعوه) ثانيًا (إلىٰ التزيُّن بالثياب) الفاخرة (والدواب) الفارهة (ويستسخره فيها طول عمره، وإذا أوقعه في ذلك فقد استغنىٰ أن يعود إليه) مرة (ثانية، فإن بعض ذلك يجرُّه إلىٰ البعض) ويمده (فلا يزال يؤدِّيه من شيء إلىٰ شيء) مثله (إلىٰ أن يُساق إليه أجله) المحتوم (فيموت وهو في سبيل الشيطان

(١) المغرب في ترتيب المعرب للمطرزي ٢/ ٧٩ - ٨٠.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٣٢٨ وابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء ص ٢٦٥ وابن الجعد في مسنده ص ٦١٦ عن ثابت البناني.

(٣) ليس في الزبيدي، ومستدرك من طبعات الإحياء.

واتِّباع الهوىٰ النفسي (**ويُخشَىٰ**) عليه (**من ذلك سوء العاقبة بالكفر، نعوذ بالله منه**) وهذا مشاهَد الآن في أكثر الناس.

(**ومن أبوابه العظيمة: الطمع في الناس، فإذا غلب الطمعُ علىٰ القلب لم يزل الشيطان يحسِّن إليه**) أي يزيِّن في عينه (**التصنُّع والتزيُّن**) أي إظهار الصنع والزينة (**لمَن طمع فيه**) أي في ماله أو جاهه (**بأنواع**) من (**الرياء والتلبيس حتىٰ يصير المطموع فيه كأنه معبوده، فلا يزال يتفكَّر في حيلةِ التودُّد والتحبُّب إليه، ويدخل كل مدخل للوصول إلىٰ ذلك**) صعُبَ ذلك المدخلُ أو هانَ (**وأقل أحواله الثناء عليه بما ليس فيه، والمداهنة له بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد روىٰ صفوان بن سَلَمة**) كذا في النسخ، والصواب: ابن سليم، كما في نسخة صحيحة. وهو[1] أبو عبد الله المدني الفقيه، وهو من موالي بني زُهرة، قال ابن سعد[2]: ثقة، كثير الحديث، عابد. وقال أحمد: هذا رجل يُستسقَىٰ بحديثه، وينزل القَطْر من السماء بذكره. وقال مالك: كانت ترم رجلاه من قيام الليل وتظهر فيه عروق خضر. قيل: إنه حلف أن لا يضع جنبه علىٰ الأرض، فمكث علىٰ ذلك أربعين عامًا[3]، ومات وإنه لَجالسٌ سنة ١٣٢، روىٰ له الجماعة (**أن إبليس تمثَّل لعبد الله بن حنظلة**) بن[4] أبي عامر الراهب الأنصاري، له رؤية، وأبوه حنظلة غسيل الملائكة قُتل يوم أُحد، واستشهد عبد الله يوم الحَرَّة في ذي الحجة سنة ٦٣، وكان أمير الأنصار بها [يومئذٍ] روىٰ له أبو داود (**فقال له: يا ابن حنظلة، احفظ عني شيئًا أعلِّمكه. فقال: لا حاجة لي به. قال: انظر، فإن كان خيرًا أخذتَ، وإن كان شرًّا رددتَ. يا ابن حنظلة، لا تسأل أحدًا غير الله سؤال رغبة، وانظر كيف تكون إذا**)

---

(١) تهذيب الكمال ١٣/ ١٨٤ - ١٩١. حلية الأولياء ٣/ ١٥٨ - ١٦١. تاريخ دمشق ٢٤/ ١٢١ - ١٣٧.

(٢) الطبقات الكبرىٰ ٧/ ٥١١.

(٣) في تهذيب الكمال: أكثر من ثلاثين عاما.

(٤) تقريب التهذيب ص ٥٠١.

غضبتَ) يعني كُفَّ نفسك عن إنزال حاجتها بغير الله تعالىٰ، واحفظها عند الغضب **(فإني أملكك إذا غضبتَ**[١]**.**

ومن أبوابه العظيمة: العَجَلة) أي الإسراع **(وتركُ التثبُّت في الأمور، قال ﷺ: العجلة من الشيطان، والتأنِّي من الله تعالىٰ)** قال العراقي[٢]: رواه الترمذي[٣] من حديث سهل بن سعد بلفظ «الأناة»، وقال: حسن.

قلت: لفظ[٤] الترمذي: «الأناة من الله، والعجلة من الشيطان». وهكذا رواه العسكري في الأمثال كلاهما من طريق عبد المهيمن بن عباس بن سهل الساعدي عن أبيه عن جده مرفوعًا به، وقال الترمذي: حسن غريب، وقد تكلم بعضهم في عبد المهيمن وضعَّفه من قِبَل حفظه. ورواه أبو بكر بن أبي شيبة وأبو يعلىٰ[٥] عنه وابن منيع والحارث بن أبي أسامة[٦] كلهم في مسانيدهم من طريق سِنان بن سعد عن أنس مرفوعًا بلفظ: «التأنِّي من الله، والعجلة من الشيطان». وأخرجه البيهقي في السنن[٧] كذلك فسمَّىٰ الراوي عن أنس: سعد بن سنان، وهو ضعيف، وقيل: لم يسمع من أنس. وروىٰ العسكري[٨] من طريق سهل بن أسلم عن الحسن رفعه

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٧/ ٤٢٧، وأوله: «يتحدث أهل المدينة أن عبد الله بن حنظلة بن الغسيل لقيه الشيطان وهو خارج من المسجد، فقال: تعرفني يا ابن حنظلة؟ فقال: نعم. قال: من أنا؟ قال: أنت الشيطان. قال: فكيف علمت ذاك؟ قال: خرجت وأنا أذكر الله، فلما رأيتك بلدت أنظر إليك فشغلني النظر إليك عن ذكر الله فعلمت أنك الشيطان. قال: نعم يا ابن حنظلة، فاحفظ عني شيئا أعلمكه ... الخ».

(٢) المغني ٢/ ٧٢٠.

(٣) سنن الترمذي ٣/ ٥٤١.

(٤) المقاصد الحسنة ص ١٥١.

(٥) مسند أبي يعلىٰ ٧/ ٢٤٨.

(٦) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ٢/ ٨٢٨.

(٧) السنن الكبرىٰ ١٠/ ١٧٨.

(٨) ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق ص ٢٢٨ من طريق يونس بن عبيد عن الحسن.

مرسلاً: «التبيُّن من الله، والعجلة من الشيطان، فتبيَّنوا». قال: والتبيُّن عند أهل اللغة مثل التثبُّت في الأمور والتأنّي[١]. وقد تقدم في كتاب العلم عند قصة حاتم الأصم ما استُثني من العجلة واستُحِبَّ فيه الإسراع[٢].

(وقال) الله (تعالىٰ: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧] وقال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ [الإسراء: ١١] وقال) سبحانه (لنبيِّه ﷺ: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾) [طه: ١١٤] وذلك حين كان ﷺ يتلقَّف القرآن من جبريل عليه السلام فيتسارع إلىٰ أخذه خوفًا من نسيان شيء منه، فأُمِر بعدم العجلة فيه، وضمن له أن يحفظه ويجمعه في صده (**وهذا لأن الأعمال ينبغي أن تكون بعد التبصرة والمعرفة، والتبصرة تحتاج إلىٰ تأمُّل وتمهُّل، والعجلة تمنع من ذلك**) فقد روىٰ البيهقي[٣] من طريق عكرمة عن ابن عباس رفعه: «إذا تأنَّيت أصبتَ أو كدت [تصيب] وإذا استعجلت أخطأت أو كدت تخطئ».

وقد قيل في ذلك:

قد يدرك المتأنّي بعضَ حاجته ... وقد يكون مع المستعجِل الزللُ[٤]

(**وعند الاستعجال يروِّج الشيطان شرَّه علىٰ الإنسان من حيث لا يدري، فقد رُوي أنه لما وُلد عيسىٰ بن مريم عليه السلام أتت الشياطينُ إبليسَ**) أي رئيسهم (**فقالوا: أصبحت الأصنام قد نكِّست رؤوسها. فقال: هذا حادث قد حدث**) الزموا (**مكانكم**) حتىٰ آتيكم بخبره (**فطار حتىٰ أتىٰ خافقَي الأرض**) أي جانبيها (**فلم يجد شيئًا، ثم وجد عيسىٰ عليه السلام قد وُلد، وإذا بالملائكة حافِّين به**) أي مجتمعين حواليه (**فرجع إليهم فقال: إن نبيًّا قد وُلد البارحة، ما حملت أنثىٰ قط ولا وضعت إلا وأنا**

(١) نقله أبو عبيد في غريب الحديث ٣/ ٢٩١ عن الكسائي وغيره.
(٢) وهي خمسة أمور: إطعام الطعام، وتجهيز الميت، وتزويج البكر، وقضاء الدين، والتوبة من الذنب.
(٣) السنن الكبرىٰ ١٠/ ١٧٨.
(٤) البيت لعمير بن شييم القطامي، وهو في ديوانه ص ٢٥.

حاضرها إلا هذا، فآيِسوا) أي اقطعوا طمعكم **(من أن تُعبَد الأصنام بعد هذه الليلة، ولكن ائتوا بني آدم من قِبَل العجلة والخفة)** أي فلم يكن لكم مدخل فيهم إلا من هذا الباب فقط، وقد حماه الله تعالىٰ من حضور الشيطان عند ولادته والطعن في خاصرته، كما ثبت ذلك في الأخبار الصحيحة، فقد روىٰ أحمد(١) وابن أبي شيبة(٢) ومسلم(٣) من حديث أبي هريرة: «ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهلَّ صارخًا من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه».

وعند ابن جرير(٤): «ما من مولود [يولد] إلا وقد عصره الشيطانُ عصرة أو عصرتين، إلا عيسىٰ ابن مريم ومريم».

(ومن أبوابه العظيمة: الدراهم والدنانير وسائر أصناف الأموال من العروض والدواب والعقار، فإنَّ كل ما يزيد علىٰ قدر القوت والحاجة فهو مستقَر الشيطان، فإن مَن معه قوته فهو فارغ القلب) عن همِّ المعيشة **(فلو وجد مائة دينار مثلاً علىٰ طريق انبعث من قلبه عشرُ شهوات، تحتاج كل شهوة منها إلىٰ مائة دينار أخرىٰ، فلا يكفيه ما وجد، بل يحتاج إلىٰ تسعمائة أخرىٰ، وقد كان قبل وجود المائة مستغنيًا، فالآن لما وجد مائة ظن أنه صار بها غنيًّا، وقد صار محتاجًا إلىٰ تسعمائة ليشتري)** من بعضها **(دارًا يعمرها، ويشتري)** من البعض **(جارية)** يتسرَّاها **(ويشتري)** من البعض **(أثاث البيت)** من فرش وذخيرة **(ويشتري)** من البعض **(الثياب الفاخرة)** لنفسه **(وكل شيء من ذلك يستدعي شيئًا آخر يليق به)** ممَّا لا يفي به ذلك المالُ **(وذلك لا آخر له، فيقع في هاوية)**: إحدىٰ دركات النار(٥) **(آخرها عمق جهنم، فلا**

---

(١) مسند أحمد ١٢/ ١٠٦.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ١٠/ ٣٣٦.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ١١١١. وقد رواه البخاري في صحيحه ٢/ ٤٤٠، ٤٨٥، ٣/ ٢٠٧ بنحوه.

(٤) جامع البيان ٥/ ٣٤١ من حديث أبي هريرة أيضا.

(٥) الذي في الصحاح للجوهري ٦/ ٢٥٣٩ والمحكم لابن سيده ٤/ ٣٢٨ أن هاوية: اسم من أسماء النار. وفي تاج العروس ٤٠/ ٣٢٩ عن ابن بري: لو كانت (هاوية) اسما علما للنار لم ينصرف في قوله تعالىٰ: ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝ ﴾.

آخر لها سواه. قال ثابت) بن[١] أسلم (البُناني) أبو محمد البصري، المتوفى سنة بضع وعشرين [ومائة] عن ست وثمانين، روىٰ له الجماعة **(لما بُعث رسول الله ﷺ قال إبليس لشياطينه)** وهم جنده وعساكره: **(لقد حدث أمرٌ)** من قِبَل رجمهم بالكواكب ومنعِهم عن استراق السمع **(فانظروا ما هو. فانطلقوا)** ينظرون **(حتىٰ أعيوا)** أي عجزوا **(ثم جاءوه وقالوا: ما ندري)** الذي حدث **(قال: أنا آتيكم بالخبر. فذهب، ثم جاء وقال: قد بعث الله محمدًا ﷺ. قال: فجعل يرسل شياطينه إلىٰ أصحاب النبي ﷺ فينصرفون خائبين ويقولون: ما صحبنا قومًا قط مثل هؤلاء، نصيب منهم)** بالوسوسة وإلقاء الشهوات **(ثم يقومون إلىٰ صلاتهم فيُمحَىٰ ذلك. فقال لهم إبليس: رويدًا بهم، عسىٰ الله أن يفتح لهم الدنيا فنصيب منهم حاجتنا)** أي تكثُر مداخلُنا فيهم فنملكهم بذلك. قال العراقي[٢]: رواه ابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان»[٣] هكذا مرسلاً.

قلت: وقد[٤] أخرج بعض هذه القصة ابن أبي[٥] شيبة[٦] وأحمد[٧] وعبد ابن حميد والترمذي[٨] وصحَّحه والنسائي[٩] وابن جرير[١٠] والطبراني[١١] وابن مردويه

---

(١) تقريب التهذيب ص ١٨٥.

(٢) المغني ٢/ ٧٢٠.

(٣) ورواه أيضا في الزهد ص ١١٤، وذم الدنيا ص ٨٧.

(٤) الدر المنثور ١٥/ ١٨، ٢٠.

(٥) الذي ذكره الزبيدي غير القصة المذكورة عن ثابت.

(٦) مصنف ابن أبي شيبة ١٣/ ١٠.

(٧) مسند أحمد ٤/ ٢٨٤، ٥/ ١٢٥.

(٨) سنن الترمذي ٥/ ٣٥٢.

(٩) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٣١٥.

(١٠) جامع البيان ١٩/ ٥٠٠.

(١١) المعجم الكبير ١٢/ ٤٧.

وأبو نعيم[١] والبيهقي[٢] معًا في دلائل النبوة عن ابن عباس قال: كانت الشياطين لهم مقاعد في السماء يستمعون فيها الوحي، فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعًا، فلما بُعث رسول الله ﷺ مُنعوا [مقاعدهم] فذكروا ذلك لإبليس، ولم تكن النجوم يُرمَىٰ بها قبل ذلك، فقال لهم إبليس: ما هذا إلا لأمر حدث في الأرض. فبعث جنوده، فوجدوا رسول الله ﷺ قائمًا يصلي بين جبلَي نخلة، فأتوه فأخبروه، فقال: هذا الحدث الذي حدث في الأرض.

وأخرج الواقدي وأبو نعيم في الدلائل[٣] عن ابن عمرو قال: لما كان اليوم الذي تنبَّأ فيه رسولُ الله ﷺ مُنعت الشياطين من السماء ورُموا بالشُّهُب.

وأخرجا عن أبيٍّ بن كعب قال: لم يُرْمَ بنجم منذ رُفع عيسىٰ، حتىٰ تنبَّأ رسولُ الله ﷺ رُمي بها.

(**ورُوي أن عيسىٰ عليه السلام توسَّد يومًا حجرًا**) أي جعله وسادة له (**فمر به إبليس فقال: يا عيسىٰ، رغبتَ في الدنيا؟ فأخذه عيسىٰ عليه السلام فرمىٰ به من تحت رأسه وقال: هذا لك مع الدنيا**[٤]).

وعلىٰ الحقيقة، من يملك حجرًا يتوسَّد به عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن أن يكون عدَّة للشيطان عليه، فإن القائم بالليل مثلاً للصلاة مهما كان بالقرب

---

(١) دلائل النبوة ص ٢٢٥ – ٢٢٧.

(٢) دلائل النبوة ٢/ ٢٣٩.

(٣) دلائل النبوة ص ٢٢٧.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في الزهد ص ٢١٠ وذم الدنيا ص ١٦٨ عن إسماعيل بن أبي خالد، وزاد في آخره: لا حاجة لي فيه. ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٧/ ٤١٦ عن الحسن البصري قال: إن عيسىٰ ابن مريم مر به إبليس يوما وهو متوسد حجرا وقد وجد لذة النوم، فقال له: يا عيسىٰ، أليس تزعم أنك لا تريد شيئا من عرض الدنيا؟ فهذا الحجر من عرض الدنيا. فقام عيسىٰ غضبانا، ثم أخذ الحجر فرمىٰ به وقال: هذا لك مع الدنيا يا إبليس، فلعمري إن الدنيا مزرعة لك، وإن أهلها لك عمال.

منه حجر يمكن أن يتوسَّده) ويتكئ عليه (فلا يزال يدعوه إلىٰ النوم وإلىٰ أن يتوسَّده، ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر بباله ذلك ولا تتحرك رغبتُه في النوم، هذا في حجر فكيف) حال (من يملك المَخادَّ الوثيرة) أي اللينة المحشوَّة بالقطن أو الصوف أو الريش (والفُرُش اللينة) المحشوَّة (والمتنزَّهات الطيبة، فمتىٰ ينشط لعبادة الله تعالىٰ) هيهات! وذلك قد جرت به العادة، ومعاداتها أصعب ما يكون.

(ومن أبوابه العظيمة: البخل وخوف الفقر) في الحال والمستقبل (فإن ذلك هو الذي يمنع) الإنسان (من الإنفاق) في سبيل الله (و) من (التصدُّق) علىٰ المستحقِّين (ويدعو إلىٰ الادِّخار والكنز والعذاب الأليم) أي الموجِع (وهو الموعود للمكاثِرين، كما نطق به القرآن العزيز) وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٤﴾ [التوبة: ٣٤].

(وقال خيثمة بن عبد الرحمن) بن[١] أبي سَبْرة يزيد بن مالك الجُعْفي [الكوفي] لأبيه ولجدِّه صحبة. قال ابن معين[٢] والنسائي: ثقة. وقال العِجْلي[٣]: كان رجلاً صالحًا، وكان سخيًّا. قال: ورُئي علىٰ إبراهيم النخعي قِباء، فقيل له: من أين لك هذا؟ فقال: كسانيه خيثمة. مات بعد سنة ثمانين، روىٰ له الجماعة (إن الشيطان يقول: ما غلبني ابن آدم غلبة فلن يغلبني علىٰ ثلاث) خصال: (أن آمره أن يأخذ المال من غير حقه، وإنفاقه في غير حقه، ومنعه من حقه)[٤] أي يأخذه من حيث لا يستحق أخذه، وينفقه علىٰ من لا يستحقه، ويمنعه عمَّن يستحقُّه.

(وقال سفيان) الثوري: (ليس للشيطان سلاح) يقاتل به ابنَ آدم (مثل خوف الفقر، فإذا قَبِلَ ذلك منه أخذ في الباطل، ومنع من الحق، وتكلم بالهوىٰ، وظن

---

(١) تهذيب الكمال ٨/ ٣٧٠ - ٣٧٢.

(٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣/ ٣٩٤.

(٣) معرفة الثقات ١/ ٣٣٨.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٢/ ١٦٩، ومن طريقه أبو نعيم في حلية الأولياء ٤/ ١١٧.

بربه ظن السوء) وإليه الإشارة بقوله تعالىٰ: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

(ومن آفات البخل: **الحرص علىٰ ملازمة الأسواق لجمع الأموال**) وكذا المسافرة إلىٰ بلاد بعيدة وركوب الأخطار لذلك (**والأسواق هي معشش الشياطين**) أي مَجمعهم الذي يلازمونه ويركزون فيه راياتهم.

(وروىٰ أبو أُمامة) الباهلي رضي الله عنه (**أن رسول الله ﷺ قال: إن إبليس لما نزل إلىٰ الأرض قال: يا رب، أنزلتَني إلىٰ الأرض، وجعلتني رجيمًا**) أي مرجومًا مطرودًا (**فاجعل لي بيتًا. قال: الحَمَّام**) فهو يسكن فيه دائمًا؛ إذ هو محل كشف العورات (**قال: اجعل لي مجلسًا**) أجلس فيه (**قال: الأسواق ومَجامع الطرق**) فهي محل انتشارهم (**قال: اجعل لي طعامًا. قال: طعامك ما لم يُذكَر اسم الله عليه. قال: اجعل لي شرابًا. قال: كل مسكر. قال: اجعل لي مؤذِّنًا. قال: المزامير. قال: اجعل لي قرآنًا. قال: الشِّعر. قال: اجعل لي كتابًا. قال: الوَشْم**) وهو غرزُ الجلد بالإبرة ثم يُذَرُّ عليه النَّئور - وهو دخان الشحم - حتىٰ يخضرَّ، وقد وَشَمت المرأةُ يدها وشمًا: إذا فعلتْ ذلك[١]. وهو من فعل الجاهلية، وقد بقي عادة في عوامِّ الريف (**قال: اجعل لي حديثًا. قال: الكذب. قال: اجعل لي مصائد. قال: النساء**) فهنَّ حبائل الشيطان، كما رواه أبو نعيم في الحلية[٢] من حديث عبد الرحمن بن عابس بلفظ: الشباب شُعبة من الجنون، والنساء حبالة الشيطان. ورواه ابن لال من حديث ابن مسعود، وأكثر الروايات «حبائل الشيطان» بلفظ الجمع.

قال العراقي[٣]: حديث أبي أمامة هذا رواه الطبراني في الكبير[٤]، وإسناده

(١) إلىٰ هنا نقله الشارح عن المصباح المنير ص ٦٦١.

(٢) حلية الأولياء ١/ ١٣٨ عن عبد الرحمن بن عابس عن ابن مسعود موقوفا.

(٣) المغني ٢/ ٧٢٠ - ٧٢١.

(٤) المعجم الكبير ٨/ ٢٤٥.

ضعيف جدًّا، ورواه[1] بنحوه من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف أيضًا.

(ومن أبوابه العظيمة: التعصُّب للمذاهب والأهواء) المختلفة (والحقد) أي إضمار العداوة (علىٰ الخصوم، والنظر إليهم بعين الازدراء والاستحقار، وذلك مما يُهلِك العُبَّاد والفُسَّاق جميعًا، فالطعن في الناس والاشتغال بذكر نقصهم صفة مجبولة في الطبع من الصفات السبعية) البهيمية (فإذا خيَّل إليه الشيطانُ) أي ألقىٰ في خياله (أن ذلك هو الحق وكان موافقًا لطبعه غلبت حلاوتُه علىٰ قلبه فاشتغل به بكل همَّته، وهو بذلك فرحان مسرور، يظن) في نفسه (أنه يسعىٰ في الدين وهو ساعٍ في اتِّباع الشيطان، فترىٰ الواحد منهم يتعصَّب لأبي بكر الصِّدِّيق ﵁) أي في محبَّته وتفضيله علىٰ غيره من الصحابة (وهو آكل الحرام، ومُطلِق اللسان بالفضول) والهَذَيان (والكذب، ومتعاطٍ لأنواع الفساد، ولو رآه أبو بكر) ﵁ (لكان أول عدوٍّ له) أي أول من يعاديه وينكر عليه (إذ مُوالي أبي بكر) ﵁ (مَن أخذ سبيله) وسلك منهاجه (وسار بسيرته، وحفظ ما بين لحييه) أي من أكل الحرام والكلام فيما لا يعني (وكان من سيرته ﵁ أن يضع حصاة في فمه ليكفَّ لسانه عن الكلام فيما لا يعنيه) ومن سيرته أيضًا أنه كان لا يأكل إلا من حِلٍّ، ولا يستقر في جوفه ما فيه شبهة (فأنَّىٰ لهذا الفضولي أن يدَّعي ولاءه وحبه ولا يسير بسيرته) وهو يأكل الحرام ويتكلم بما لا يعني (وتري فضوليًّا آخر يتعصَّب لعليٍّ ﵁) ويذهب إلىٰ حبه وتفضيله علىٰ غيره (وكان من زهد علي) ﵁ (وسيرته أنه لبس في خلافته ثوبًا اشتراه بثلاثة دراهم، وقطع رأس الكُمَّين إلىٰ الرُّسْغ) قال أبو نعيم في الحلية[2]: حدثنا أبو حامد ابن جبلة، حدثنا محمد ابن إسحاق، حدثنا عبد الله بن مطيع، حدثنا هُشَيم، عن إسماعيل بن سالم، عن أبي سعيد الأزدي قال: رأيت عليًّا أتىٰ السوق وقال: مَن عنده قميص صالح بثلاثة دراهم؟ فقال رجل: عندي. فجاء به،

---

(١) السابق ١١/ ١٠٣ - ١٠٤.

(٢) حلية الأولياء ١/ ٨٣.

فأعجبه فقال: لعله خير من ذلك. قال: لا، ذلك ثمنه. قال: فرأيت عليًّا يقرض رباط الدراهم من ثوبه فأعطاه، فلبسه فإذا هو يفضل عن أطراف أصابعه، فأمر به فقُطع ما فضل عن أطراف أصابعه (**وترىٰ الفاسق لابسًا لثياب الحرير ومتجمِّلاً بأموال اكتسبها من حرام وهو يتعاطَىٰ حب علي** رضي الله عنه **ويدَّعيه وهو أول خصمائه يوم القيامة، وليت شِعري مَن أخذ ولدًا عزيزًا لإنسان هو قرَّة عينه وحياة قلبه فأخذ يضربه ويمزقه وينتف شعره ويقطِّعه بالمِقراض وهو مع ذلك يدَّعي حب أبيه وولاءه فكيف يكون حاله عنده**)؟ أيقرِّبه عنده ويصدُق حبُّه له أم يبعده ويبغضه؟ (**ومعلوم أن الدين والشرع كان أحب**) الأشياء (**إلىٰ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي**) رضي الله عنهم، بل (و) إلىٰ (**سائر الصحابة** رضي الله عنهم **من الأهل والولد، بل من أنفسهم**) كما هو ظاهر لمَن سبر أخبارهم وعرف سيرتهم (**والمقتحمون لمعاصي الشرع هم الذين يمزقون الشرع ويقطِّعونه بمقاريض الشهوات ويتودَّدون به إلىٰ عدو الله إبليس وعدو أوليائه، فنرىٰ كيف يكون حالهم يوم القيامة عند**) لقاء (**الصحابة وعند**) لقاء (**أولياء الله تعالىٰ، لا، بل لو كُشف الغطاء وعرف هؤلاء ما تحبه الصحابة في أمَّة رسول الله** صلى الله عليه وسلم **لاستحيوا أن يُجْرُوا علىٰ اللسان ذكرهم مع قبح أفعالهم**) وسوء سيرتهم (**ثم إن الشيطان يخيِّل إليهم أن من مات محبًّا لأبي بكر وعمر**) رضي الله عنهما (**فالنار لا تحوم حوله**) أي لا تقربه (**ويخيِّل إلىٰ الآخَر أنه إذا مات محبًّا لعلي**) رضي الله عنه (**لم يكن عليه خوف. وهذا رسول الله** صلى الله عليه وسلم **يقول لفاطمة** رضي الله عنها **وهي بضعة منه**) كما رواه الشيخان[١] وأحمد[٢] والحاكم[٣] من حديث المسور بن مخرمة: «فاطمة بضعة مني، يقبضني ما يقبضها، ويبسطني ما يبسطها». وعند البخاري في التاريخ[٤]: «فمَن أغضبها فقد أغضبني». «يا فاطمة (**اعملي**) لله خيرًا (**فإني لا أغني عنكِ من الله شيئًا**)

(١) صحيح البخاري ٣/ ٢٥، ٢٧، ٣٥، ٣٩٤. صحيح مسلم ٢/ ١١٤٥.

(٢) مسند أحمد ٣١/ ٢٠٧، ٢٢٦ - ٢٢٩، ٢٤٠، ٢٥٨.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ١٨٢، ١٨٧.

(٤) لم أقف عليه في التاريخ الكبير، وهو عند البخاري في الصحيح.

يوم القيامة». قال العراقي(١): متفق عليه(٢) من حديث أبي هريرة.

قلت(٣): ورواه أيضًا البيهقي في الشعب(٤) بلفظ: «يا فاطمة بنت محمد، اشتري نفسكِ من النار فإني لا أملك لكِ شيئًا». ورواه البزار(٥) من حديث سماك بن حذيفة عن أبيه بلفظ: «يا فاطمة بنت رسول الله، اعملي لله خيرًا، فإني لا أغني عنكِ من الله شيئًا [يوم القيامة]».

(وهذا مثال أوردناه من جملة الأهواء، وهكذا حكم المتعصِّبين للشافعي وأبي حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم من الأئمة) المتبوعين ﷺ **(فكل مَن ادَّعىٰ مذهبَ إمام وهو ليس يسير بسيرته)** المعهودة عنه من زهد في الدنيا وتقوىٰ من الله وإخلاص في العمل **(فذلك الإمام هو خصمه يوم القيامة؛ إذ يقول له: كان مذهبي العمل)** بالعلم الذي تلقَّفتُه **(دون الحديث باللسان، و)** إنما **(كان الحديث باللسان لأجل العمل)** به **(لا لأجل الهَذَيان)** والتعصُّبات **(فما بالك خالفتَني في العمل والسيرة التي هي مذهبي ومسلكي الذي سلكتُه وذهبت فيه إلىٰ الله تعالىٰ)** وحثث عليه **(ثم ادَّعيتَ مذهبي كاذبًا. وهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد أهلك به أكثرَ العالَم، وقد سُلِّمت المدارس لأقوام قلَّ من الله خوفُهم، وضعُفت في الدين بصيرتُهم، وقويت في الدنيا رغبتُهم)** وأطماعهم **(واشتد علىٰ الاستتباع حرصُهم، ولم يتمكَّنوا من الاستتباع وإقامة الجاه إلا بالتعصُّب)** لمذاهبهم واعتقاداتهم **(فحبسوا ذلك في صدورهم، ولم ينبِّهوهم علىٰ مكائد الشيطان)** وخِدَعه **(فيه، بل نابوا عن الشيطان في تنفيذ مكائده)** بهم **(فاستمر الناس عليه ونسوا أمَّهات دينهم،**

---

(١) المغني ٢/ ٧٢١.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٢٩١، ٥١١، ٣/ ٢٧٣. صحيح مسلم ١/ ١١٥.

(٣) وهو عند مسلم بلفظ: انقذي نفسله من النار. الحديث (٢٠٤).

(٤) شعب الإيمان ٥/ ٨٣.

(٥) مسند البزار ٧/ ٣٢٠.

فقد هلكوا) بأنفسهم **(وأهلكوا)** غيرَهم **(فالله تعالىٰ يتوب علينا وعليهم.**

وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالىٰ: **(بلغنا أن إبليس قال: سوَّلتُ لأمَّة محمد المعاصي)** أي زيَّنتُها في أعينهم **(فقطعوا ظهري بالاستغفار، فسوَّلتُ لهم ذنوبًا لا يستغفرون الله منها وهي الأهواء)**[1] أي اتِّباع ما تهواه نفوسُهم فظنوها عبادة لا ذنوبًا.

(وقد صدق الملعون، فإنهم لا يعلمون أن ذلك من الأسباب التي تجر إلىٰ المعاصي، فكيف يستغفرون منها)؟ وكل ما جرَّ إلىٰ المعصية فهو معصية، ولو علموا أنه سبب للمعصية لتابوا منه، ولكن الشيطان أعمىٰ أبصارَهم عن فهم ذلك.

(ومن عظيم حِيَل الشيطان: أن يشغل الإنسانَ عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات. قال عبد الله بن مسعود) رضي الله عنه: **(جالس قوم يذكرون الله تعالىٰ، فأتاهم الشيطان ليقيمهم عن مجلسهم ويفرِّق بينهم فلم يستطع)** لقوة حالهم في الذكر **(فأتىٰ رفقة أخرىٰ)** بالقرب من ذلك المجلس **(يتحدثون بحديث الدنيا فأفسد بينهم فقاموا يقتتلون، وليس إياهم يريد)** وإنما يريد تفرقة أولئك القوم الذين يذكرون الله **(فقام الذين يذكرون الله فاشتغلوا بهم يفصلون بينهم)** ويصالحونهم **(فتفرَّقوا عن مجلسهم)** وتركوا ذِكر الله تعالىٰ **(وذلك مراد الشيطان منهم)** وقد ناله. ويرشح له ما رواه أحمد[2] ومسلم[3] والترمذي[4] من حديث جابر: «إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلُّون، ولكن هو في التحريش بينهم». أي[5] يسعىٰ في إغراء بعضهم علىٰ بعض وحملهم علىٰ الفتن والحروب والشحناء. وهذا من دقائق دسائسه.

---

(١) رواه هناد في الزهد ٢/ ٤٦٤، وفي إسناده من لم يسم.

(٢) مسند أحمد ٢٢/ ٢٦٥، ٢٣/ ١٢٠، ٢٠٠، ٣٣١.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ١٢٩٤.

(٤) سنن الترمذي ٣/ ٤٩٢.

(٥) فيض القدير ٢/ ٣٥٦.

(ومن أبوابه) العظيمة: **(حملُ العوام الذين لم يمارسوا العلم)** ولم يزاولوا فيه بالتعلُّم والدراسة والانكباب علىٰ تحصيله علىٰ الهيئة المعهودة **(ولم يتبحَّروا فيه)** بالغوص علىٰ مشكلاته **(علىٰ التفكُّر في ذات الله تعالىٰ وصفاته وفي أمور لا يبلغها حدُّ عقولهم حتىٰ يشكِّكهم)** أي يوقعهم في الشك **(في أصل الدين، أو يخيِّل إليهم)** في أثناء تغريره **(في الله تعالىٰ خيالات)** وظنونات **(يتعالَىٰ اللهُ عنها)** ويجلُّ شأنُه عن نسبتها إليه **(يصير بها كافرًا أو مبتدعًا وهو به فرح مسرور مبتهج بما وقع في صدره)** وأُوقِر في لُبِّه **(يظن ذلك هو المعرفة والبصيرة وأنه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله، فأشد الناس حماقة أقواهم اعتقادًا في عقل نفسه)** أي إعجابًا به **(وأثبتُ الناس عقلاً أشدهم اتهامًا لنفسه وأكثرهم سؤالاً من العلماء. قالت عائشة ﵂: قال رسول الله ﷺ: إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول: مَن خلقك؟ فيقول: الله تبارك وتعالىٰ. فيقول: فمَن خلق الله؟ فإذا وجد أحدكم ذلك فليقل: آمنت بالله ورسوله)** أي[1] فليقل: أخالف عدوَّ اللهِ المعاندَ وأومن بالله وبما جاء به رسول الله **(فإن ذلك يذهب عنه)** لأن الشُّبَه منها ما يندفع بالإعراض عنها، ومنها ما يندفع بقلعه من أصله بتطلُّب البراهين والنظر في الأدلة، مع إمداد الحق بالمعونة[2]، والوسوسة لا تعطي ثبوت الخواطر واستقرارها، فلذا أحالهم علىٰ الإعراض عنها.

قال العراقي[3]: رواه أحمد[4] والبزار[5] وأبو يعلىٰ[6] في مسانيدهم، ورجاله ثقات، وهو متفق عليه[7] من حديث أبي هريرة.

---

(١) السابق ٢/ ٣٥٤.

(٢) في الفيض: بالمعرفة.

(٣) المغني ٢/ ٧٢١.

(٤) مسند أحمد ٤٣/ ٢٧١.

(٥) كشف الأستار عن زوائد البزار ١/ ٣٤.

(٦) مسند أبي يعلىٰ ٨/ ١٦٠.

(٧) صحيح البخاري ٢/ ٤٣٨. صحيح مسلم ١/ ٧١ - ٧٢.

قلت: ورواه كذلك من حديث عائشة ابنُ أبي الدنيا في مكائد الشيطان.

ولفظ مسلم من حديث أبي هريرة: «يأتي الشيطانُ أحدَكم فيقول: مَن خلق السماء؟ مَن خلق الأرض؟ فيقول: الله. فيقول: مَن خلق الله؟ فمَن وجد من ذلك شيئًا فليقل: آمنتُ بالله ورسله». ولفظ البخاري: «يأتي الشيطانُ أحدَكم فيقول: مَن خلق كذا؟ مَن خلق كذا؟ حتىٰ يقول: مَن خلق ربَّك؟ فإذا بلغه فليستعذْ بالله ولينتهِ». ورواه مسلم أيضًا.

ورویٰ الطبراني في الكبير[1] من حديث عبد الله بن عمرو: «إن الشيطان يأتي أحدَكم فيقول: مَن خلق السماء؟ فيقول: الله. فيقول: مَن خلق الأرض؟ فيقول: الله. فيقول: مَن خلق الله؟ فإذا وجد ذلك أحدُكم فليقل: آمنت بالله ورسوله». ورجاله[2] رجال الصحيح، خلا أحمد بن محمد بن نافع الطَّحَّان شيخ الطبراني. ورواه أيضًا في الأوسط[3] بلفظ: «مَن خلق السموات»؟ وفيه: «حتىٰ يقول: فمَن خلق الله»؟

ورواه هكذا أحمد[4] وعبد بن حميد[5] والطبراني في الكبير[6] أيضًا من حديث خزيمة بن ثابت.

(**فالنبي ﷺ لم يأمر بالبحث عن علاج هذا الوسواس**) من الشيطان (**فإن هذا وسواس يجده عوامُّ الناس دون العلماء**) منهم العارفين بنور البصيرة وقد استقر الإيمان في قلوبهم فلا يتزلزلون.

(**وإنما حق العوام أن يؤمنوا**) أي يصدِّقوا بقلوبهم (**ويسلِّموا**) أي ينقادوا

---

(١) المعجم الكبير ١٣/ ٤٠١.

(٢) مجمع الزوائد ١/ ١٨٥.

(٣) المعجم الأوسط ٢/ ٢٥٢.

(٤) مسند أحمد ٣٦/ ١٩٤.

(٥) المنتخب من مسند عبد بن حميد ١/ ٢٠٢.

(٦) المعجم الكبير ٤/ ٨٥.

لأمور الدين **(ويشتغلوا بعبادتهم)** الظاهرة **(ومعايشهم)** بينهم **(ويتركوا العلم)** والغوص في معانيه **(للعلماء)** الصادقين **(فالعاميّ لو يزني أو يسرق كان خيرًا له من أن يتكلم في العلم، فإنه من تكلم في الله وفي دينه من غير إتقان العلم)** وذلك بمعرفة حججه وبراهينه مع مساعدة تأييد الله تعالىٰ وشهود نور اليقين **(وقع في الكفر من حيث لا يدري، كمن يركب لجَّة البحر وهو لا يعرف السباحة)** ومن ذلك قول سهل التستري: إفشاء سر الربوبية كفرٌ. فإن العوام إذا ورد علىٰ أسماعهم ما تنبو عنه طباعُهم لم يقبلوه، وصاروا أعداء ما جهلوه، فالأَولىٰ أن لا يخاطَبوا بمثل ذلك صيانةً لهم عن الزيغ والوقوع في الكفر.

(ومكائد الشيطان فيما يتعلق بالعقائد والمذاهب) والأهواء والآراء **(لا تُحصَر، وإنما أردنا بما أوردناه المثالَ)** لينبِّه علىٰ ما وراءه.

(ومن أبوابه) العظيمة: **(سوء الظن بالمسلمين، قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾)** [الحجرات: ١٢] قال[١] ابن عباس: نهىٰ الله المؤمن أن يظن بالمؤمن سوءًا. أخرجه ابن جرير[٢] وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب[٣]. ورویٰ الشيخان[٤] من حديث أبي هريرة: «إياكم والظن، فإنَّ الظن أكذبُ الحديث». وأخرج ابن مردويه[٥] من حديث عائشة مرفوعًا: «مَن أساء بأخيه الظن فقد أساء بربه، إن الله تعالىٰ يقول: ﴿ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾» **(فمَن يحكم بشرٍّ علىٰ غيره بالظن)** والظن يخطئ ويصيب **(بعثه الشيطان)** أي حمله **(علىٰ أن يطوِّل فيه اللسان بالغيبة فيهلك، أو)** حمله علىٰ أن

---

(١) الدر المنثور ١٣/ ٥٦٥.

(٢) جامع البيان ٢١/ ٣٧٤.

(٣) شعب الإيمان ٩/ ١٠٧.

(٤) صحيح البخاري ٣/ ٣٧٣، ٤/ ١٠٣، ٢٣٥. صحيح مسلم ٢/ ١١٩٢.

(٥) وكذلك الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب ٣/ ٥٨٣.

(يقصِّر في القيام بحقوقه) الواجبة عليه **(أو يتوانَىٰ)** أي يتهاون **(في إكرامه، وينظر إليه بعين الاحتقار، ويرىٰ نفسه خيرًا منه. وكل ذلك من المهلكات)** وأصله الذي نشأ منه سوءُ الظن، فليجتنبْه ليَسلم من المَهالِك **(ولأجل ذلك منع الشرعُ من التعرُّض للتُّهَم، فقال ﷺ: اتقوا مواضع التُّهَم)** قال العراقي[١]: لم أجد له أصلاً.

قلت: أخرج الزبير بن بكار في الموفَّقيات[٢] عن عمر بن الخطاب قال: مَن تعرَّض للتهمة فلا يلومنَّ مَن أساء به الظنَّ.

وأخرج البيهقي في الشعب[٣] عن سعيد بن المسيب قال: كتب إليَّ بعضُ إخواني من أصحاب رسول الله ﷺ: مَن عرَّض نفسَه للتهم فلا يلومنَّ إلا نفسه.

(حتىٰ احترز هو ﷺ من ذلك. رُوي عن علي بن حسين) بن[٤] علي بن أبي طالب الهاشمي، زين العابدين، ثقة، ثبت، عابد، فقيه، فاضل مشهور، قال ابن عيينة عن الزهري: ما رأيت قرشيًّا أفضل منه. توفي سنة ثلاث وتسعين من الهجرة **(إن صفية بنت حُيَي بن أخطب)** الإسرائيلية[٥]، أم المؤمنين، تزوجها النبي ﷺ بعد خيبر، وماتت في خلافة معاوية علىٰ الصحيح **(أتته)** زائرةً **(وقت الصبح، وكان معتكفًا في المسجد، فتحدثتْ عنده، ثم انصرفت)** وانطلق معها يشيِّعها إلىٰ دارها **(فمرَّ به رجلان من الأنصار، فسلَّما)** عليه **(ثم انصرفا، فناداهما وقال)** لهما: **(إنها صفية بنت حُيي. فقالا)**: يا سبحان الله **(يا رسول الله، لا نظن بك إلا خيرًا. قال: إن الشيطان يجري من ابن آدم مَجرىٰ الدم في الجسد، وإني خشيت أن يُدخِل عليكما)** رواه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه من حديث صفية، ورواه أيضًا أحمد

---

(١) المغني ٢/ ٧٢١.

(٢) الأخبار الموفقيات ص ١٠١.

(٣) شعب الإيمان ١٠/ ٥٦٠.

(٤) تقريب التهذيب ص ٦٩٣.

(٥) السابق ص ١٣٦٠.

والشيخان وأبو داود من حديث أنس. وقد تقدم في الصوم.

(فانظر كيف أشفق ﷺ علىٰ دينهما فحرسهما) عن مرور ذلك الوهم في قلبهما **(وكيف أشفق)** ﷺ **(علىٰ أمَّته فعلَّمهم طريق الاحتراز من التهم حتىٰ لا يتساهل العالِم الورِع)** المتَّقي **(المعروف بالدين)** والصلاح **(في أحواله فيقول: مثلي لا يُظَن به إلا الخير، إعجابًا منه بنفسه، فإن أورع الناس وأتقاهم وأعلمهم لا ينظر الناس كلُّهم إليه بعين واحدة، بل بعين الرضا بعضهم، وبعين السخط بعضهم، ولذلك قال الشاعر**[1]:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

وذلك لأن الإنسان إذا غلب الحبُّ علىٰ قلبه ولم يكن له داعٍ من عقل أو دين أصمَّه حبُّه عن العدل، وأعماه عن الرشد. وقال بعضهم في ذلك:

* وعين أخي الرضا عن ذاك تعمىٰ[2] *

(فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الأشرار، فإن الأشرار لا يظنون بالناس كلِّهم إلا الشر، فمهما رأيتَ إنسانًا يسيء الظنَّ بالناس طالبًا للعيوب فاعلمْ أنه خبيث في الباطن، وأن ذلك) أي سوء ظنه **(خبثه يترشَّح منه، وإنما رأىٰ غيرَه من حيث هو)** والإناء يرشح بما فيه **(فإن المؤمن يطلب المعاذير)** أخرج أحمد في الزهد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءًا وأنت تجد

---

(١) هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الطالبي.
عيون الأخبار ٣/ ١٦. الوافي بالوفيات ١٧/ ٣٣٨. ربيع الأبرار ٣/ ٣٧٤.

(٢) عجز بيت، صدره:

* وعين السخط تبصر كل عيب *

وهو لأبي همام روح بن عبد الأعلىٰ المؤدب البصري. الوافي بالوفيات ١٤/ ١٠٢. معجم الأدباء ٣/ ١٣١٢. الحيوان للجاحظ ٣/ ٤٨٨. ونسبه ابن قتيبة في عيون الأخبار ٣/ ١٥ إلىٰ المسيب بن علس.

لها في الخير محملاً. وفي الموفقيات للزبير بن بكّار مثله بزيادة: وضعْ أمر أخيك علىٰ أحسنه حتىٰ يأتيك منه ما يغلبك[1] (**والمنافق يطلب العيوب**) ويتتبّع العثرات (**والمؤمن سليم الصدر**) من الغل والحقد (**في حق كافّة الخلق**.

فهذه بعض مداخل الشيطان إلىٰ القلب، ولو أردتُ استقصاء جميعها) علىٰ سبيل الإحاطة (**لم أقدر عليه، وفي هذا القدر**) الذي ذُكر (**ما ينبّه علىٰ غيره، فليس في الآدمي صفة مذمومة إلا وهي سلاح الشيطان**) يقاتل به المؤمنَ (**ومدخل من مداخله**) إلىٰ القلب.

(**فإن قلتَ: فما العلاج في دفع الشيطان**) عن حِمَىٰ القلب؟ (**وهل يكفي في ذلك ذِكرُ الله تعالىٰ**) بأيِّ وجه كان (**وقول الإنسان: لا حول ولا قوة إلا بالله**) وغير ذلك من الأذكار الواردة في السنَّة؟ (**فاعلمْ أن علاج القلب في ذلك**) أولاً (**سدُّ هذه المداخل**) التي هي عبارة عن أبواب هي تلك الأوصاف المذكورة (**بتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة**) فإذا سَلِمَ القلب من دخوله عليه من هذه الأبواب فقد طهر، فالكلام كله علىٰ التجنُّب عن هذه الصفات مهما أمكن (**وذلك مما يطول ذِكرُه، وغرضنا في هذا الربع من الكتاب بيان علاج الصفات المهلكات، وتحتاج كل صفة إلىٰ كتاب منفرد، كما سيأتي شرحه**) إن شاء الله تعالىٰ (**نعم، إذا قُطعت من القلب أصول هذه الصفات**) وسُدَّت مداخله منها (**كان للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات، ولم يكن له استقرار**) وتمكُّنٌ بالكلية (**ويمنعه من الاجتياز ذِكرُ الله تعالىٰ؛ لأن حقيقة الذكر لا تتمكَّن من القلب إلا بعد عمارة القلب بالتقوىٰ وتطهيره من الصفات المذمومة**) وذلك بعد التنصُّل عن العلائق وصِدق التوبة والإنابة (**وإلا فيكون الذكر حديث نفس لا سلطان له علىٰ القلب فلا يدفع سلطانَ الشيطان، ولذلك قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ۝٢٠١﴾**) [الأعراف: ٢٠١] فإنه (**خصَّص بذلك المتَّقي**) فقال:

---

(١) هذا جزء من الأثر الذي تقدم قريبا عن عمر رضي الله عنه: من تعرض للتهمة ... الخ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ فعُلم من ذلك أن عمارة القلب بالتقوىٰ شرطٌ في تأثير الذكر ودفع سَوْرة الشيطان (**فمثل الشيطان كمثل كلب جائع يقرُب منك، فإن لم يكن بين يديك خبز أو لحم فإنه ينزجر بأن تقول له: اخسأ**) أي تأخرْ (**فمجرد الصوت يدفعه، فإن كان بين يديك لحم**) أو خبز (**وهو جائع فإنه يهجم على اللحم**) أو الخبز (**ولا يندفع بمجرد الكلام**) الزاجر (**فالقلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر**) ولا يحتاج في دفعه إلىٰ معالجة (**فأما الشهوة إذا غلبت على القلب دفعت حقيقةَ الذكر إلىٰ حواشي القلب فلم يتمكَّن من سويدائه**) أي داخله (**فيستقر الشيطان في سويداء القلب**) فيحتاج إلىٰ معالجة شديدة لإخراجه منه (**وأما قلوب المتقين الخالية من الهوىٰ والصفات المذمومة فإنه يطرقها الشيطانُ لا للشهوات بل لخلوِّها بالغفلة عن الذكر، فإذا عاد إلىٰ الذكر خنس الشيطان**) أي تأخر وانقبض (**ودليل ذلك قوله تعالىٰ**: ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨﴾) [النحل: ٩٨] أي اطلب اللجأ إلىٰ الله تعالىٰ من شرِّه (**وسائر الأخبار والآيات الواردة في الذكر. وقال أبو هريرة**) رضي الله عنه: (**التقىٰ شيطان المؤمن وشيطان الكافر، فإذا شيطان الكافر دهين سمين**) أي مدهون، مسرَّح الشعر، وافر اللحم (**كاسٍ، وشيطان المؤمن مهزول**) أي نحيف البدن (**أشعث أغبر عاري**) الجسد (**فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن: ما لك مهزول؟ قال: أنا مع رجل إذا أكل سمَّىٰ الله**) تعالىٰ علىٰ أكله (**فأظل جائعًا، وإذا شرب سمىٰ الله**) تعالىٰ علىٰ شربه (**فأظل عطشانًا، وإذا لبس سمىٰ الله**) تعالىٰ عند لبسه (**فأظل عريانًا، وإذا ادَّهن سمَّىٰ الله**) تعالىٰ عند ادِّهانه (**فأظل شعثًا**) مثقلاً (**فقال**) شيطان الكافر: (**لكني مع رجل لا يفعل شيئًا من ذلك، فأنا أشاركه في طعامه وشرابه ولباسه**) وادِّهانه. فقد روىٰ مسلم[1] من حديث جابر: «إن الشيطان يحضُر أحدَكم عند كل شيء من شأنه، حتىٰ يحضُره عند طعامه، فإذا سقطت من أحدكم اللقمةُ فليُمِطْ ما كان بها من أذىٰ ثم ليأكلها، ولا يدعها للشيطان ...» الحديث.

(١) صحيح مسلم ٢/ ٩٧٦.

وروىٰ الترمذي[١] والحاكم[٢] من حديث أبي هريرة: «إن الشيطان حسَّاس لَحَّاس من الطعام، فاحذروه علىٰ أنفسكم ...» الحديث.

ودل أثر أبي هريرة السابق أن الشيطان يأكل ويشرب ويلبس ويشم حقيقةً، وقد شنَّع ابن العربي في شرح الترمذي[٣] علىٰ من قال إن أكله إنما هو الشم فقط، بل الصحيح أنه يشم ويأكل، وله لذَّة في الشم كلذَّتنا في اللقمة في كل طعمة.

(**وكان**) أبو عبد الله (**محمد بن واسع**) البصري العابد (**يقول كل يوم بعد صلاة الصبح**) هذه الاستعاذة: (**اللهم إنك سلَّطت علينا عدوًّا بصيرًا بعيوبنا**) يعني به الشيطانَ (**يرانا هو وقبيله**) أي جماعته (**من حيث لا نراهم**) لكونهم يجرون مجاري الدم (**اللهم فآيسه منا**) أي اجعله مأيوسًا منا (**كما آيسته من رحمتك، وقنِّطْه منا كما قنَّطته من عفوك، وباعِدْ بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين رحمتك، إنك علىٰ كل شيء قدير. قال**) الراوي: (**فتمثَّل له إبليس يومًا في طريق المسجد، فقال له: يا ابن واسع، هل تعرفني؟ قال: ومن أنت؟ قال: أنا إبليس. قال: وما تريد؟ قال: أريد أن لا تعلِّم أحدًا هذه الاستعاذة ولا أتعرَّض لك. قال: واللهِ لا أمنعها ممَّن أرادها، فاصنعْ ما شئتَ**) وأخرج أبو نعيم في الحلية[٤] في ترجمته من طريق سلام بن أبي مطيع قال: كان محمد بن واسع إذا صلىٰ المغرب يلتزق بالقبلة يصلي. قال: فحدثني خيَّاط كان يقرب منه قال: كان يقول في دعائه: أستغفرك من كل مقام سوء [ومقعد سوء ومدخل سوء] ومَخرج سوء وعمل سوء وقول سوء ونية سوء، أستغفرك منه فاغفر لي، وأتوب إليك منه فتُبْ عليَّ، وألقي إليك بالسلام قبل أن يكون لِزامًا.

---

(١) سنن الترمذي ٣/ ٤٣٥.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٢٢٢، ٢٤٣.

(٣) عارضة الأحوذي ٧/ ٣٠٤.

(٤) حلية الأولياء ٢/ ٣٤٥.

(**وعن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ**) الأنصاري، تابعي، وهو والد محمد. وأبوه أبو ليلىٰ له صحبة، واختُلف في اسمه علىٰ أقوال، شهد أحدًا وما بعدها، وعاش إلىٰ خلافة علي (**قال: كان شيطان يأتي النبيَّ ﷺ بيده شعلة من نار، فيقوم بين يديه وهو يصلي فيقرأ أو يتعوَّذ فلا يذهب، فأتاه جبريل عليه السلام فقال له: قل: أعوذ بكلمات الله التامَّات التي لا يجاوزهنَّ برٌّ ولا فاجر من شر ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن. فقال ذلك فطفئت شعلتُه وخرَّ علىٰ وجهه**) قال العراقي[١]: رواه ابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان» هكذا مرسلاً. ولمالك في الموطأ[٢] نحوه عن يحيىٰ بن سعيد مرسلاً، ووصله ابن عبد البر في التمهيد[٣] من رواية يحيىٰ بن [سعيد عن] محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زُرارة عن عَيَّاش الشامي عن ابن مسعود. ورواه أحمد[٤] والبزار من حديث عبد الرحمن بن خَنْبَش وقيل له: كيف صنع رسول الله ﷺ ليلة كادته الشياطين؟ ... فذكر نحوه.

سُئل[٥] أبو زُرعة عن عبد الرحمن: هل له صحبة؟ فقال: لا أعرفه [إلا في هذا الحديث].

(**وقال الحسن**) البصري رحمه الله تعالىٰ: (**نُبِّئتُ أن جبريل عليه السلام أتىٰ النبيَّ ﷺ فقال: إن عفريتًا من الجن يكيدك، فإذا أويت إلىٰ فراشك فاقرأ آية الكرسي**) قال العراقي[٦]: رواه ابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان»[٧] هكذا مرسلاً.

---

(١) المغني ٢/ ٧٢١ - ٧٢٢.

(٢) الموطأ ٢/ ٩٥٠ - ٩٥١.

(٣) التمهيد ٢٤/ ١١٢ - ١١٤. ووصله النسائي في الكبرىٰ ٩/ ٣٤٩.

(٤) مسند أحمد ٢٤/ ٢٠٠ - ٢٠٣.

(٥) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٥/ ٢٢٨.

(٦) المغني ٢/ ٧٢٢.

(٧) وكذلك الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٧/ ٢٩. وروىٰ عبد الرزاق في مصنفه =

(**وقال ﷺ: لقد أتاني الشيطان فنازعني**) أي في الصلاة (**ثم نازعني، فأخذت بحلقه، فوالذي بعثني بالحق ما أرسلته حتىٰ وجدت برد ماء لسانه علىٰ يدي، ولولا دعوة أخي سليمان عليه السلام لأصبح طريحًا في المسجد**) قال العراقي[١]: رواه ابن أبي الدنيا من رواية الشعبي مرسلاً هكذا. وللبخاري[٢] من حديث أبي هريرة: «إن عفريتًا من الجن تفلَّتَ عليَّ البارحة – أو كلمة نحوها – ليقطع عليَّ صلاتي، فأمكنني الله منه ...» الحديث. وللنسائي في الكبير[٣] من حديث عائشة: كان يصلي، فأتاه الشيطان، فأخذه فصرعه فخنقه، قال: «حتىٰ وجدتُ برد لسانه علىٰ يدي. وإسناده جيد.

قلت: وللبخاري أيضًا: «إن الشيطان عرض لي فشدَّ عليَّ ليقطع الصلاة عليَّ، فأمكنني الله منه فذَعتُّه، ولقد هممت أن أوثقه إلىٰ سارية حتىٰ تصبحوا فتنظروا إليه، فذكرت قول سليمان: ربِّ هَبْ لي مُلكًا لا ينبغي لأحد من بعدي. فردَّه الله خاسئًا». ورواه مسلم[٤] أيضًا نحوه، وفي لفظ له: «فشدَّ عليَّ بشهاب من نار ليجعله في وجهي»[٥]. وفي لفظ آخر: «عرض لي في صورة هِر»[٦].

(**وقال ﷺ: ما سلك الشيطان فجًّا**) أي طريقًا (**سلكه عمر**) كذا في النسخ. وفي

= ١١/ ٣٥ والبيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٣٩٠ – ٣٩١ من طريق قتادة عن أبي رافع: أن خالد بن الوليد جاء إلىٰ النبي ﷺ فشكا إليه وحشة يجدها، فقال له: «ألا أعلمك ما علمني الروح الأمين جبريل؟ قال لي: إن عفريتا من الجن يكيدك، فإذا أويت إلىٰ فراشك فقل: أعوذ بكلمات الله التامات ...» فذكر مثل الحديث الذي قبل هذا.

(١) المغني ٢/ ٧٢٢.

(٢) صحيح البخاري ١/ ١٦٥، ٣٧٣، ٢/ ٤٨٣، ٣/ ٢٨٤.

(٣) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٢٣٤.

(٤) صحيح مسلم ١/ ٢٤٥.

(٥) هذا لفظ حديث أبي الدرداء، أورده مسلم عقيب حديث أبي هريرة.

(٦) هذه اللفظ ذكره القاضي عياض في الشفا ٢/ ١١٨.

بعض النسخ: ما سلك عمر فجًّا إلا سلك الشيطان فجًّا غير فجه. قال العراقي[١]: متفق عليه[٢] من حديث سعد بن أبي وقاص بلفظ: «يا ابن الخطاب، ما لقيك الشيطانُ سالكًا فجًّا ...» الحديث.

قلت: وروىٰ الدارقطني في الأفراد[٣] وابن منده وابن عساكر[٤] من حديث حفصة: «ما لقي الشيطانُ عمرَ منذ أسلم إلا خرَّ لوجهه». ورواه الحكيم[٥] والطبراني[٦] وأبو نعيم[٧] من طريق الأوزاعي عن سُدَيسة مولاة حفصة، ولا يُعلَم للأوزاعي سماع من أحد من الصحابة. ورواه الطبراني في الأوسط[٨] فقال: عن الأوزاعي عن سالم عن سُدَيسة. وهو الصواب.

وروىٰ الحكيم في النوادر[٩] عن عمر: «ما لقي الشيطانُ قط عمرَ في فج فسمع صوته إلا أخذ في غيره».

وروىٰ أحمد[١٠] والترمذي[١١] وابن حبان[١٢] من حديث بُرَيدة: «إن الشيطان لَيَفْرَقُ منك يا عمر».

---

(١) المغني ٢/ ٧٢٢.
(٢) صحيح البخاري ٢/ ٤٤٢، ٣/ ١٥، ٤/ ١٠٧. صحيح مسلم ٢/ ١١٢٤.
(٣) أطراف الغرائب والأفراد ٢/ ٣٩٢.
(٤) تاريخ دمشق ٣٨/ ١٩٤، ٤٤/ ٨٦.
(٥) نوادر الأصول ص ٧٩.
(٦) المعجم الكبير ٢٤/ ٣٠٥.
(٧) معرفة الصحابة ٦/ ٣٣٧٠، وفيه: «عن الأوزاعي عن سالم عن سديسة عن حفصة».
(٨) المعجم الأوسط ٤/ ١٩١.
(٩) نوادر الأصول ص ٧٩.
(١٠) مسند أحمد ٣٨/ ٩٣.
(١١) سنن الترمذي ٦/ ٦٢.
(١٢) صحيح ابن حبان ١٥/ ٣١٥، وفيه: يفر، بدل: يفرق.

(وهذا لأن القلوب كانت مطهَّرة من مَرعىٰ الشيطان وقوتِهِ وهي الشهوات، فمهما طمعتَ في أن يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر ﵁ كان مُحالاً، وكنتَ كمَن يطمع أن يشرب دواء قبل الاحتماء) من المغلظات (والمعدة مشغولة بغليظ الأطعمة) ورديئها (ويطمع أن ينفعه كما نفع الذي شربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة) لا يستويان (فالذِّكر) بمنزلة (الدواء، والتقوىٰ) بمنزلة (الاحتماء، وهي تخلِّي القلب عن الشهوات، فإنه إذا نزل الذكرُ قلبًا فارغًا عن غير الذكر اندفع الشيطان كما تندفع العلة بنزول الدواء في المعدة الخالية عن الأطعمة، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧] وقال الله تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾ [الحج: ٤] ومَن ساعد الشيطان بعمله فهو مُواليه) ومُصادِقه (وإن ذكر الله بلسانه) فإنه لا يمنع موالاته (وإن كنت تقول: الحديث قد ورد مطلقًا أن الذكر يطرد الشيطان) يشير إلىٰ ما تقدم: «فإن ذكر اللهَ خنس» (ولم تفهم أن أكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط) معروفة (نقلها علماء الدين، فانظر إلىٰ نفسك، فليس الخبر كالعِيان) بالكسر، أي كالمعاينة، فهو حديث، وقد تقدم الكلام عليه (وتأمَّلْ أن منتهَىٰ ذكرك وعبادتك الصلاة) إذ هي أعظم القربات إلىٰ الله تعالىٰ (فراقِبْ قلبك) وتأمَّلْ (إذا كنت في صلاتك كيف يجاذبه الشيطان إلىٰ الأسواق وحساب المُعامِلين وجواب المعاندين، وكيف يمر بك في أودية الدنيا ومهالكها حتىٰ إنك لا تذكر ما قد نسيتَه من فضول الدنيا إلا في صلاتك، ولا يزدحم الشيطان علىٰ قلبك إلا إذا صليتَ) فيسوِّله بأنواع التسويلات، ويشتِّته في أودية لا آخر لها حتىٰ لا يدري تارة كم صلىٰ (فالصلاة محكُّ القلوب، فبها تظهر محاسنها ومساوئها) فإن كانت مطهَّرة عن الشهوات ظهرت محاسنها في الصلاة بالإقبال علىٰ الله بكنه الهمة وإلقاء الوسواس وراء ظهره، وإلا فبعكس ذلك (فالصلاة لا تُقبَل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا، فلا جَرَم لا ينطرد عنك الشيطان) ولا ينزجر بالذكر (بل ربما يزيد عليك الوسواس، كما أن الدواء قبل الاحتماء ربما

يزيد عليك الضررَ، فإن أردتَ الخلاص من الشيطان فقدِّم الاحتماءَ بالتقوىٰ) أولاً **(ثم أردِفْه بدواء الذكر فقد يفر الشيطان منك كما فرَّ من ظل عمر** رضي الله عنه) وهذا[1] حال مَن انتهىٰ به سلوكه وأشرقت عليه أنوار التوفيق فلبس لأمةَ الصدق وتحلَّىٰ بأسلحة العزل ودخل في حومة الحرب بين باعث الدين وداعي الهوىٰ [والشيطان] فكانت الغلبة لداعي الدين، وفرَّت جيوشُ الشياطين [مغلوبة] ولذا قال أبو حازم: ما الشيطان حتىٰ يُهاب؟ فواللهِ لقد أُطيعَ فما نفع، وعُصي فما ضرَّ[2]. وقال بعضهم: لولا أن الحق سبحانه أمرنا بالاستعاذة منه ما استعذتُ منه لحقارته[3]. وهذا شأن المتقين (**ولذلك قال وهب بن منبه**) رحمه الله تعالىٰ: (**اتقِ الله ولا تسب الشيطان في العلانية وأنت صديقه في السر**[4]. **أي أنت مطيع له.**

وقال بعضهم: واعجبًا لمَن يعصي المحسنَ) المطلَق **(بعد معرفته بإحسانه)** وإصابته منه **(ويطيع اللعين)** المسيء **(بعد معرفته بطغيانه)** وعداوته **(وكما أن الله تعالىٰ قال)** في كتابه العزيز: (﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] **وأنت تدعوه ولا يستجيب لك، فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لفقد شروط الذكر والدعاء)** أخرجه أبو نعيم في الحلية[5].

(قيل لإبراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالىٰ: **(ما بالنا ندعو فلا يُستجاب لنا وقد قال الله تعالىٰ: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾؟ قال: لأن قلوبكم ميتة. قيل: وما الذي**

(١) فيض القدير ٢/ ٣٥٢.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ٢٤٥ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٢/ ٦٦ دون قوله (حتىٰ يهاب).

(٣) ذكره الكلاباذي في بحر الفوائد ص ٢١٤.

(٤) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ١٥٤ عن وهيب بن الورد. وكذا هو في صفة الصفوة لابن الجوزي ص ٣٨٢. وعزاه القرطبي في تفسيره ١٧/ ٣٤٧ إلىٰ الفضيل بن عياض.

(٥) لم أقف عليه في الحلية، وقد أورده القرطبي في تفسيره عقيب قول الفضيل بن عياض حتىٰ قوله (وعداوته) وعزاه لابن السماك الواعظ.

أماتها؟ قال: ثمان خصال: عرفتم الله ولم تقوموا بحقه، وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده، وقلتم نحب رسول الله ﷺ ولم تعملوا بسنَّته، وقلتم نخشىٰ الموت ولم تستعدُّوا له، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾ [فاطر: ٦] **فواطأتموه)** أي وافقتموه **(على المعاصي، وقلتم نخاف النار وأرهقتم أبدانكم فيها، وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها، وإذا قمتم من فُرُشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وافترشتم عيوب الناس أمامكم، فأسخطتم ربَّكم، فكيف يستجيب لكم)؟!** أخرجه أبو نعيم في الحلية[1] فقال: حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسين، حدثنا أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب، حدثنا أبو أحمد محمد بن مهدي بن قُدامة، حدثنا أبو ياسر عمار بن عبد المجيد، حدثنا أحمد بن عبد الله الجوباري قال: سمعت حاتمًا الأصم يقول: قال شقيق بن إبراهيم: دخل إبراهيم بن أدهم في أسواق البصرة، فاجتمع إليه الناس، فقالوا له: يا أبا إسحاق، إن الله يقول في كتابه: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ ونحن ندعوه منذ دهر فلا يستجيب لنا. فقال إبراهيم: يا أهل البصرة، ماتت قلوبكم في عشرة أشياء، أولها: عرفتم الله ولم تؤدُّوا حقَّه، والثاني: قرأتم كتاب الله ولم تعملوا به، والثالث: ادَّعيتم حبَّ رسول الله ﷺ وتركتم العمل بسنَّته، والرابع: ادَّعيتم عداوة الشيطان ووافقتموه، والخامس: قلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها، والسادس: قلتم نخاف النار ورهنتم أنفسكم بها، والسابع: قلتم إن الموت حقٌّ ولم تستعدوا له، والثامن: اشتغلتم بعيوب إخوانكم ونبذتم عيوبكم، والتاسع: أكلتم نعمة ربكم ولم تشكروها، والعاشر: دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم.

(فإن قلتَ: فالداعي إلىٰ المعاصي المختلفة شيطان واحد أو شياطين مختلفون؟ فاعلمْ أنه لا حاجة لك إلىٰ معرفة ذلك في المعاملة، فاشتغلْ بدفع العدو) حيث عرفتَه بإخبار الصادق المصدوق، وثبتت لك عداوته **(ولا تسأل عن صفته)** فإنه مما لا يعنيك، ومن أمثالهم الدالة علىٰ ذلك يقولون: **(كلِ البقلَ**

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ١٥.

من حيث يؤتَىٰ به ولا تسأل عن المَبقلة)[١] أي منبته. ومن ذلك أيضًا قولهم: خذ الهدية ولا تسأل عن جالبها **(ولكن الذي يتضح بنور الاستبصار وشواهد الأخبار أنهم جنود مجنَّدة)** أي كثيرة **(وأن لكل نوع من المعاصي شيطانًا يخصُّه ويدعو إليه، فأما طريق الاستبصار فذِكرُه يطول، ويكفيك القدرَ الذي ذكرناه)** آنفًا **(وهو أن اختلاف المسببات يدل علىٰ اختلاف الأسباب، كما ذكرناه في نور النار وسواد الدخان. وأما الأخبار فقد قال مجاهد)** بن جبر المكي التابعي في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ﴾ الآية [الكهف: ٥٠]: إن **(لإبليس خمسة من الأولاد، قد جعل كل واحد منهم علىٰ شيء من أمره، فذكر زلنبور)** وقد تقدم ذِكرُه وضبطُه في كتاب الحلال والحرام **(والأعور، ومِسْوَط)** كمنبر، كأنه مِفْعَل من السوط **(وداسم، وثُبور)** وفي لفظ: ثبر **(فأما ثبور فهو صاحب المصائب الذي يأمر)** ابنَ آدم **(بالثبور)** والويل **(وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوىٰ الجاهلية. وأما الأعور فإنه صاحب الزنا، يأمر به ويزيِّنه)** في أنفسهم **(وأما مسوط فهو صاحب الكذب)** يزيِّنه لهم **(وأما داسم فإنه يدخل مع الرجل إلىٰ أهله، يرميهم بالعيب عنده ويغضبه عليهم. وأما زلنبور فهو صاحب السوق، فبسببه لا يزالون متظلِّمينَ)** أخرجه[٢] ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان وأبو الشيخ[٣] عن مجاهد، ولفظه: باض إبليس خمس بيضات: زَلَنْبُور وداسم وثَبْر ومسوط والأعور، أما الأعور فصاحب الزنا، وأما ثَبْر فصاحب المصائب، وأما مسوط فصاحب أخبار الكذب يلقيها علىٰ أفواه الناس ولا يجدون لها أصلاً، وأما داسم فصاحب البيوت، إذا دخل الرجل بيته ولم يسلِّم دخل معه، وإذا أكل ولم يسمِّ أكل معه، ويريه من متاع البيت ما لا يُحصَىٰ موضعه، وأما زلنبور

---

(١) ذكر الميداني الشطر الأول فقط في مجمع الأمثال ٢/ ١٧١ ضمن أمثال المولدين. وذكره الثعالبي في التمثيل والمحاضرة ص ٢٧٢ بلفظ: كل البقل ولا تسأل عن المبقلة. ونسبه للعامة. وذكره الزبيدي في تاج العروس ٢٨/ ١٠٠ كبيت شعر دون نسبة.

(٢) الدر المنثور ٩/ ٥٦٩ - ٥٧٠.

(٣) العظمة ٥/ ١٦٨٢.

فصاحب الأسواق، يضع رايته في كل سوق بين السماء والأرض.

وأخرج ابن أبي الدنيا وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: ولد إبليسُ خمسة: ثَبْر والأعور وزلنبور ومِسْوَط وداسم، فمسوط صاحب الصَّخَب، والأعور وداسم لا أدري ما يعملان، وثبر صاحب المصائب، وزلنبور الذي يفرِّق بين الناس ويبصِّر الرجلَ عيوبَ أهله.

وأخرج ابن أبي حاتم [وأبو الشيخ[1]] عن قتادة في قوله تعالىٰ: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ قال: هم أولاده، يتوالدون كما يتوالد بنو آدم، وهم أكثر عددًا.

وأخرج ابن أبي حاتم عن سفيان قال: باض إبليس خمس بيضات، وذرِّيته من ذلك[2].

(**وشيطان الصلاة يسمَّىٰ: خنزب**) رواه مسلم من حديث عثمان بن أبي العاص، وقد تقدم قريبًا (**وشيطان الوضوء يسمىٰ: الولهان**) رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث أبيِّ بن كعب بلفظ: «إن للوضوء شيطانًا يقال له: الولهان، فاتقُوا وسواس الماء». وقد تقدم (**وقد ورد في ذلك أخبار كثيرة**) كما ذكرناها. ومن ذلك ما روىٰ الحكيم في النوادر[3] عن أبي سلمة بن عبد الرحمن مرسلاً: «وُكِّلَ بالنفوس شيطان يقال له: الهو، فهو يخيِّل إليها ويتراءىٰ لها إذا عُرِج بها، فإذا انتهت إلىٰ السماء فما رأت فهو الرؤيا التي تصدُق».

ومنهم جماعة سلَّطهم علىٰ الحجاج والمجاهدين، روىٰ الطبراني[4] من حديث ابن عباس: «إن لإبليس مَرَدة من الشياطين يقول لهم: عليكم بالحجاج والمجاهدين فأضِلُّوهم عن السبيل».

---

(١) السابق ٥/ ١٦٨٥.

(٢) تمام الأثر: وبلغني أنه يجتمع علىٰ مؤمن واحد أكثر من ربيعة ومضر.

(٣) نوادر الأصول ص ٩٠٨.

(٤) المعجم الكبير ١١/ ١٦٣.

ومنهم جماعة سلَّطهم على المصلِّين، روى الشيخان[١] وأبو يعلى[٢] من حديث أبي سعيد: «إن الشيطان لَيأتي أحدَكم وهو في صلاته فيأخذ بشعرة من دُبُره فيمدُّها فيرى أنه أحدث، فلا ينصرف حتى يسمع صوتًا أو يجد ريحًا».

(وكما أن الشياطين فيهم كثرة، فكذلك الملائكة فيهم كثرة، وقد ذكرنا في كتاب الشكر) على ما سيأتي (السرَّ في كثرة الملائكة واختصاص كل واحد منهم بعمل منفرد به) أي يخصُّه دون غيره (وقد قال أبو أمامة الباهلي) رضي الله عنه: (قال رسول الله ﷺ: وُكِّل بالمؤمن مائة وستون مَلَكًا يذبُّون عنه) أي يدفعون عنه (ما لم يقدر عليه، من ذلك للبصر سبعة أملاك يذبُّون عنه كما يُذَبُّ الذباب) أي يُطرَد ويُدفَع (عن قصعة العسل في يوم صائف) أي حارٍّ، فإنه يكثُر فيه الذباب ويعسُر دفعُه (وما لو بدا لكم لرأيتموه على كل سهل وجبل، كلٌّ باسط يده، فاغر فاه) أي فاتح (و) ما لو (وُكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين) قال العراقي[٣]: رواه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان والطبراني في المعجم الكبير[٤] بإسناد ضعيف.

قلت: وكذا رواه ابن قانع[٥] والبزار والصابوني في المائتين، ولفظهم جميعًا: «وُكِّلَ بالمؤمن ستون وثلاثمائة مَلَك يذبون عنه ما لم يقدر عليه، من ذلك للبصر تسعة أملاك يذبون عنه كما تذبُّون عن قصعة العسل من الذباب في اليوم الصائف وما لو بدا لكم لرأيتموهم على كل جبل وسهل، كلهم باسط يديه، فاغر فاه، وما لو وُكِّل العبد فيه إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين».

---

(١) هذا الحديث ليس في الصحيحين، وإنما رواه أحمد في مسنده ١٨/ ٤٠٦.

(٢) مسند أبي يعلى ٢/ ٤٤٣.

(٣) المغني ٢/ ٧٢٣.

(٤) المعجم الكبير ٨/ ١٩٦.

(٥) معجم الصحابة ٢/ ٧.

وروىٰ الطبراني في الكبير[١] وأبو الشيخ في العظمة[٢] وابن مردويه من حديث أبي أمامة: «وُكِّل بالشمس تسعة أملاك يرمونها بالثلج كل يوم، ولولا ذلك ما أتت علىٰ شيء إلا أحرقتْه».

وروىٰ ابن ماجه[٣] من حديث أبي هريرة: «وُكِّل بالركن اليماني سبعون مَلَكًا ...» الحديث.

(**وقال أيوب بن يزيد**) ويقال: ابن أبي يزيد، روىٰ عن التابعين، قال الرازي: مجهول[٤]. كذا في المغني[٥] للذهبي (**بلغنا أنه يولد مع أبناء الإنس من أبناء الجن ثم ينشئون معهم**) ونحو ذلك ما رُوي عن قتادة أنهم يتوالدون كما يتوالد بنو آدم. وعن سفيان: أنه يجتمع علىٰ كل مؤمن واحد أكثر من ربيعة ومُضَر.

(**وقال جابر بن عبد الله**) رضي الله عنه: (**إن آدم** عليه السلام **لما أُهبِط إلىٰ الأرض قال: يا رب، هذا الذي جعلتَ بيني وبينه عداوة إلاَّ تعينني عليه لا أقوىٰ عليه. قال: لا يولَد لك ولدٌ إلا وُكِّل به مَلَك**) يحفظه من شرِّه (**قال: يا رب زدني. قال: أجزي بالسيئة سيئة، وبالحسنة عشرًا إلا ما أزيد. قال: رب زدني. قال: باب التوبة مفتوح ما دام في الجسد الروح. قال إبليس: يا رب، هذا العبد الذي كرَّمتَه عليَّ إلاَّ تعينني عليه لا أقوىٰ عليه. قال: لا يولَد له ولدٌ إلا وُلد لك ولدٌ. قال: رب زدني. قال: تجري منهم مَجرىٰ الدم وتتخذون صدورهم بيوتًا. قال: رب زدني. قال: ﴿وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿غُرُورًا ١٢٠﴾**)[٦] [الإسراء: ٦٤] ومن

---

(١) المعجم الكبير ٨/ ١٩٧.

(٢) العظمة ٤/ ١١٥٤.

(٣) سنن ابن ماجه ٤/ ٤٤١.

(٤) في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢/ ٢٦٢: «أيوب بن يزيد، ويقال: ابن زيد، روىٰ عن جابر بن زيد قوله، روىٰ عنه المنذر بن ثعلبة، سمعت أبي يقول ذلك، وسألت أبي عنه فقال: هو مجهول».

(٥) المغني في الضعفاء ١/ ١٥٨.

(٦) رواه ابن منده في التوحيد ص ٢٠٣، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٧/ ٤٣٨ - ٤٣٩.

هنا كان منه الإضلال والتمنية والاحتناك وغير ذلك، وكلٌّ منهما أجيبَ دعاؤه في صاحبه.

(وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: **قال رسول الله ﷺ: خلق الله الجن ثلاثة أصناف: صنف حيات وعقارب وخشاش الأرض**) أي وحشراتها، أي[1] على هيئاتهم وصُوَرهم، ومن ثَم نُدب الإنذار قبل القتل (**وصنف كالريح في الهواء**) وهذان الصنفان لا حساب عليهم ولا عقاب، كما يشير إليه قوله: (**وصنف عليهم الثواب والعقاب**) أي مكلَّفون ولهم وعليهم [فيما كُلِّفوا ما يستحقُّونه] (**وخلق الله تعالىٰ الإنس ثلاثة أصناف، فصنف كالبهائم، كما قال الله تعالىٰ: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾** [الأعراف: ١٧٩] **وصنف أجسامهم أجسام بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين**) أي مثلها في الخبث والشر (**وصنف في ظل الله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله**) يعني في ظل عرشه، فلا يصيبهم وهجُ الحر في ذلك الموقف الأعظم حين يصيب الناسَ ويلجمهم العرق إلجامًا.

قال العراقي[2]: رواه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان وابن حبان في الضعفاء[3] في ترجمة يزيد بن سِنان وضعَّفه، وللحاكم[4] نحوه مختصرًا في الجن فقط «الجن ثلاثة أصناف» من حديث أبي ثعلبة الخشني وقال: صحيح الإسناد.

قلت: وكذلك رواه الحكيم في النوادر[5] وأبو الشيخ في العظمة[6] وابن

---

(١) فيض القدير ٣/ ٤٤٨.

(٢) المغني ٢/ ٧٢٣ - ٧٢٤.

(٣) المجروحون من المحدثين ٢/ ٤٥٨.

(٤) المستدرك على الصحيحين ٢/ ٥٣٧.

(٥) نوادر الأصول ص ١٥٤.

(٦) العظمة ٥/ ١٦٣٩.

مردويه في التفسير والديلمي في مسند الفردوس[١]. ويزيد بن سنان الرهاوي أحد رواته ضعَّفه ابن معين وغيره[٢]، وتركه النسائي[٣]، ثم ساق له في الميزان[٤] مناكير، هذا منها.

وأما[٥] حديث أبي ثعلبة الخشني فرواه كذلك الطبراني في الكبير[٦] والبيهقي في الأسماء والصفات[٧] وأبو نعيم في الحلية[٨] والديلمي في مسند الفردوس[٩]، ولفظهم جميعًا: «الجن ثلاثة أصناف: فصنف لهم أجنحة يطيرون بها في الهواء، وصنف حيات وكلاب، وصنف يحلُّون ويظعنون». قال الحكيم الترمذي[١٠]: والصنف الثاني هم الذين ورد النهيُ عن قتلهم وهم ذوات البيوت فإن تلك في صور الحيات وهم من الجن وهم سكَّان البيوت.

(وقال وهيب بن الورد) المكي، قيل: اسمه عبد الوهاب و«وهيب» لقب له، روىٰ له مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي. وقد تقدمت ترجمته في كتاب الحج **(بلغنا أن إبليس تمثَّل ليحيىٰ بن زكريا عليهما السلام وقال: إني أريد أن أنصحك. قال: لا حاجة لي في نصحك، ولكن أخبِرْني عن بني آدم. قال: هم عندنا ثلاثة أصناف، أما صنف منهم فهم أشد الأصناف علينا، نُقبِل علىٰ أحدهم حتىٰ**

---

(١) الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ١٨٩.

(٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٩/ ٢٦٦ - ٢٦٧.

(٣) الضعفاء والمتروكون للنسائي ص ٢٥٦.

(٤) ميزان الاعتدال ٤/ ٤٢٧ - ٤٢٨.

(٥) فيض القدير ٣/ ٣٦٤ - ٣٦٥.

(٦) المعجم الكبير ٢٢/ ٢١٥.

(٧) الأسماء والصفات ٢/ ٢٦٤.

(٨) حلية الأولياء ٥/ ١٣٧.

(٩) الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ١٢٣.

(١٠) نوادر الأصول ص ١٥٣، وعبارته: «فأما ما روي عن رسول الله ﷺ أنه نهىٰ عن قتل الجان، فإن تلك في صورة الحيات هن من الجن وهن سكان البيوت، فإذا قتلتها ضرت بك».

نفتنه ونتمكَّن منه فيفزع إلىٰ الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كلَّ شيء أدركنا منه، ثم نعود إليه) بالافتتان والتمكُّن منه **(فيعود)** إلىٰ الاستغفار والتوبة **(فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه)** ما نريده من **(حاجتنا، فنحن منه في عناء)** أي مشقة **(وأما الصنف الآخَر فهم في أيدينا بمنزلة الكرة في أيدي صبيانكم نقلِّبهم كيف نشاء)** فقد كفونا أنفسَهم **(وأما الصنف الثالث فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم علىٰ شيء)** أخرجه أبو نعيم في الحلية[1] فقال: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا أحمد ابن الحسين، حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثني محمد بن يزيد بن خنيس، عن وهيب بن الورد قال: بلغنا أن الخبيث إبليس تبدَّىٰ ليحيىٰ بن زكريا فقال له: إني أريد أن أنصحك. فقال: كذبتَ، أنت لا تنصحني، ولكن أخبِرْني عن بني آدم .. ثم ساقه كسياق المصنف، وزاد في آخره: فقال له يحيىٰ عند ذلك: فهل قدرتَ مني علىٰ شيء؟ قال: [لا، إلا] مرة واحدة، فإنك قدَّمتَ طعامًا تأكله، فلم أزل أشهِّيه إليك حتىٰ أكلتَ أكثر مما تريد، فنمتَ تلك الليلة ولم تقُم إلىٰ الصلاة كما كنت تقوم إليها. قال: فقال له يحيىٰ: لا جَرَم لا شبعتُ من طعام أبدًا حتىٰ أموت. فقال له الخبيث: لا جَرَم لا نصحتُ آدميًّا بعدك.

(فإن قلتَ: فكيف يتمثَّل الشيطان لبعض الناس دون البعض؟ وإذا رأىٰ صورته فهل هي صورته الحقيقية أو هو مثال يمثَّل له به؟ فإذا كان علىٰ صورته الحقيقية فكيف يُرَىٰ في صور مختلفة؟ وكيف يُرَىٰ في وقت واحد في مكانين) مختلفين **(وعلىٰ صورتين)** مختلفتين **(حتىٰ يراه شخصان بصورتين مختلفتين؟ فاعلمْ أن المَلَك والشيطان لهما صورتان هي حقيقة صورتهما، ولا تُدرَك حقيقة صورتهما بالمشاهدة)** بعين البصر **(بل بأنوار النبوة، فما رأىٰ النبي ﷺ جبريل عليه السلام في صورته)** الحقيقية **(إلا مرتين، وذلك أنه سأله أن يريه نفسه علىٰ صورته، فواعده بالبقيع وظهر له بحِراء فسدَّ الأفقَ من المشرق إلىٰ المغرب. ورآه مرة أخرىٰ علىٰ**

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ١٤٨.

صورته ليلة المعراج عند سِدرة المنتهىٰ) قال العراقي[١]: رواه الشيخان[٢] من حديث عائشة وسُئلت: هل رأىٰ محمد ربه؟ وفيه: ولكنه رأىٰ جبريل في صورته مرتين.

قلت: وأخرج[٣] عبد بن حميد والترمذي[٤] وابن جرير[٥] وابن المنذر والحاكم[٦] وابن مردويه عن الشعبي قال: لقي ابنُ عباس كعبًا بعرفة، فسأله عن شيء، فكبَّر حتىٰ جاوبته الجبالُ، فقال ابن عباس: إنّا بنو هاشم نزعم أو نقول إن محمدًا قد رأىٰ ربه مرتين. فقال كعب: إن الله قسَّم رؤيته وكلامه بين محمد وموسىٰ صلىٰ الله عليهما وسلم، فرآه محمد مرتين، وكلَّم موسىٰ مرتين. قال مسروق: فدخلت علىٰ عائشة فقلت: هل رأىٰ محمد ربَّه؟ فقالت: لقد تكلمتَ بشيء قفَّ له شعري. قلت: رويدًا. ثم قرأتُ: ﴿لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ١٨﴾ [النجم: ١٨] قالت: أين يُذهَب بك؟ إنما هو جبريل، مَن أخبرك أن محمدًا رأىٰ ربه أو كتم شيئًا مما أُمِرَ به أو يعلم الخمس التي قال الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ الآية [لقمان: ٣٤] فقد أعظم الفِرْيةَ، ولكنه رأىٰ جبريل، لم يره في صورته إلا مرتين: مرة عند سِدرة المنتهىٰ ومرة عند أجياد[٧] له ستمائة جناح قد سد الأفق.

وأخرج أبو الشيخ في العظمة[٨] عن ابن مسعود قال: رأىٰ رسول الله ﷺ

(١) المغني ٢/ ٧٢٤.
(٢) صحيح البخاري ٣/ ٢٩٨. صحيح مسلم ١/ ٩٥.
(٣) الدر المنثور ١٤/ ١٣ - ٢٤.
(٤) سنن الترمذي ٥/ ٣١٥.
(٥) جامع البيان ٢٢/ ٣١.
(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٦٧٨ مقتصرا علىٰ كلام كعب.
(٧) نقل ياقوت في معجم البلدان ١/ ١٠٥ عن أبي القاسم الخوارزمي أن أجياد موضع بمكة يلي الصفا. وذكر في سبب تسميته بذلك أقوالا انظرها فيه.
(٨) العظمة ٣/ ٩٧٨.

جبريل في صورته عند سِدرة المنتهىٰ له ستمائة جناح، جناحٌ منها سد الأفق، يتناثر من أجنحته التهاويل الدر والياقوت ما لا يعلمه إلا الله عَزَّوَجَلَّ.

وأخرج أحمد[١] وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني[٢] وأبو الشيخ في العظمة[٣] عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ لم يرَ جبريل في صورته إلا مرتين، أما واحدة فإنه سأله أن يراه في صورته فأراه صورته فسدَّ الأفق، وأما الثانية فإنه كان معه حين صعد به.

وأخرج أحمد[٤] وعبد بن حميد وابن المنذر والطبراني[٥] وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي[٦] معًا في الدلائل عن ابن مسعود قال: رأىٰ النبي ﷺ جبريل في صورته وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سد الأفق، يسقط من جناحه من التهاويل الدر والياقوت ما الله به عليم.

وأخرج ابن جرير[٧] [وأبو الشيخ[٨]] عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «رأيت جبريل عند سدرة المنتهىٰ له ستمائة جناح، ينفُض من ريشه التهاويل الدر والياقوت».

وأخرج ابن جرير[٩] وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل[١٠] عن عائشة قالت:

---

(١) مسند أحمد ٦/ ٤١١.

(٢) المعجم الكبير ١٠/ ٢٧٧.

(٣) العظمة ٢/ ٧٩١.

(٤) مسند أحمد ٦/ ٢٩٤.

(٥) المعجم الكبير ٩/ ٢٤٦.

(٦) دلائل النبوة ٢/ ٣٦٦ - ٣٦٧، ٣٧١.

(٧) جامع البيان ٢٢/ ٢٥.

(٨) العظمة ٣/ ٩٧٧ - ٩٧٨.

(٩) جامع البيان ٢٢/ ١٧ - ١٨.

(١٠) دلائل النبوة ٢/ ٣٦٨.

كان أول شأن رسول الله ﷺ أنه رأىٰ في منامه جبريل بأجياد، ثم خرج لبعض حاجته، فصرخ به جبريل: يا محمد. فنظر يمينًا وشمالاً فلم يرَ شيئًا، ثلاثًا، ثم رفع بصره فإذا هو ثاني إحدىٰ رجليه علىٰ الأخرىٰ علىٰ أفق السماء.

وأخرج عبد بن حميد عن مُرَّة الهَمْداني قال: لم يأتِه جبريل عليه السلام في صورته إلا مرتين، فرآه في خَضِرٍ يتعلق به الدُّرُّ.

(**وإنما كان يراه في صورة الآدمي غالبًا**) أي في أكثر الأوقات. قال العراقي[1]: روىٰ الشيخان[2] من حديث عائشة وسُئلت: فأين قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [النجم: ٨] قالت: ذلك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل ... الحديث (**فكان يراه في صورة دِحْية الكلبي، وكان**) دحية (**رجلاً حَسن الوجه**) هو دِحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي، صحابي مشهور، شهد أحدًا، ونزل دمشق بقرية المِزَّة، وتوفي في خلافة معاوية[3]. وهو بفتح الدال وكسرها معًا، ومعناه: الرئيس.

قال العراقي[4]: روىٰ الشيخان[5] من حديث أسامة بن زيد أن جبريل أتىٰ النبيَّ ﷺ وعنده أم سلمة، فجعل يحدِّث، ثم قام، قال النبي ﷺ لأم سلمة: مَن هذا؟ قالت: دحية ... الحديث.

قلت: وأخرج[6] عبد بن حميد عن ابن عمر أن جبريل كان يأتي النبيَّ ﷺ في

---

(١) المغني ٢/ ٧٢٤.
(٢) صحيح البخاري ٢/ ٤٢٩. صحيح مسلم ١/ ٩٥.
(٣) الإصابة في تمييز الصحابة ٣/ ١٩١ - ١٩٢.
(٤) المغني ٢/ ٧٢٤.
(٥) صحيح البخاري ٣/ ٣٣٦. صحيح مسلم ٢/ ١١٤٧. وتمام الحديث: فلما قام قالت: والله ما حسبته إلا إياه حتىٰ سمعت خطبة النبي ﷺ يخبر خبر جبريل.
(٦) الدر المنثور ١٤/ ١٨.

صورة دحية الكلبي. وأخرج أبو الشيخ في العظمة(١) وأبو نعيم في الدلائل(٢) عن شريح بن عبيد قال: لما صعد النبيُّ ﷺ إلىٰ السماء ... ثم ساق الحديث، وفيه: فرأيته - يعني جبريل - في خَلقه الذي خُلق عليه منظومٌ أجنحتُه بالزبرجد واللؤلؤ والياقوت، فخُيِّلَ إليَّ أن ما بين عينيه قد سد الأفق، وكنت لا أراه قبل ذلك إلا علىٰ صور مختلفة، وأكثر ما كنت أراه علىٰ صورة دحية الكلبي، وكنت أحيانًا لا أراه قبل ذلك إلا كما يرىٰ الرجل صاحبَه من وراء الغِربال».

وأخرج الطبراني في الكبير(٣) من حديث أنس: «يأتيني جبريل علىٰ صورة دحية الكلبي».

(والأكثر أنه يكاشَف أهل المكاشفة من أرباب القلوب بمثال صورته، فيتمثَّل الشيطان له في اليقظة فيراه بعينه، ويسمع كلامه بأذنه، فيقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما ينكشف في المنام لأكثر الصالحين، وإنما المكاشَف في اليقظة هو الذي انتهىٰ إلىٰ رتبة لا يمنعه اشتغالُ الحواس بالدنيا عن المكاشفة التي تكون في المنام، فيرىٰ في اليقظة ما يراه غيره في المنام، كما رُوي عن عمر بن عبد العزيز) الأموي **(رحمه الله تعالىٰ أن رجلاً سأل ربَّه أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم، فرأىٰ في النوم جسد رجل شبه البِلَّور)** بكسر الموحدة وفتح اللام المشدَّدة: حجر شفَّاف **(يُرَىٰ داخله من خارجه، ورأىٰ الشيطان في صورة ضِفدع)**: حيوان مائي معروف **(قاعد علىٰ منكبه الأيسر بين منكبه وأذنه)** من طرف اليسار **(له خرطوم)** وهو من الحيوان مقدم فمه وأنفه **(طويل دقيق)** كما يكون للبعوض **(قد أدخله من منكبه الأيسر إلىٰ قلبه يوسوس إليه، فإذا ذكر الله تعالىٰ خنس)** أي انقبض وتأخر، فهذا رؤيا منام.

---

(١) العظمة ٢/ ٧٨٠.

(٢) دلائل النبوة ص ٢٢٢.

(٣) المعجم الكبير ١/ ٢٦١.

(ومثل هذا قد يشاهَد بعينه في اليقظة، فقد رآه بعض المكاشَفين في صورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس إليها، وكانت الجيفة مثال الدنيا) وذلك لرداءتها وخِسَّتها، وكذا قال الشافعي[1] في تمثيلها:

وما هي إلا جيفة مستحيلة عليها كلابٌ همُّهن اجتذابُها

فإن تجتنبها كنتَ سِلمًا لأهلها وإن تجتذبها نازعتك كلابُها

(وهذا يجري مجرى مشاهدة صورته الحقيقية، فإن القلب لا بد وأن تظهر فيه حقيقة من الوجه الذي يقابل عالم الملكوت) وعالَم الملكوت تتجلَّى فيه حقائق الأشياء لمقابلتها اللوح الذي رُسمت فيه تلك الحقائق بقلم القدرة (وعند ذلك يشرق أثرُه على وجهه الذي يقابل عالمَ المُلك والشهادة؛ لأن أحدهما متصل بالآخر) وبينهما ارتباط، كما تقدم (وقد بيَّنَّا أن القلب له وجهان: وجه إلى عالم الغيب، وهو مدخل الإلهام والوحي) للأنبياء والأولياء (ووجه إلى عالم الشهادة. فالذي يظهر منه في الوجه الذي يلي جانبَ عالم الشهادة لا يكون إلا صورة متخيَّلة؛ لأن عالم الشهادة كلَّه متخيَّلات، إلا أن الخيال تارةً يحصل من الباطن إلى ظاهر عالم الشهادة بالحس، فيجوز أن لا تكون الصورة على وفق المعنى) أي ما رآه في الظاهر مخالف لِما هو في الباطن (حتى يرى شخصًا جميل الصورة) في ظاهره (وهو خبيث الباطن قبيح السر؛ لأن عالم الشهادة عالم كثير التلبيس) والتخليط (أما الصورة التي تحصل في الخيال من إشراق عالم الملكوت على باطن سر القلوب) من الوجه الذي يليه (فلا تكون إلا محاكية للصفة) بعينها (وموافِقة لها) من غير اختلاف (لأن الصورة في عالم الملكوت تابعة للصفة وموافقة لها، فلا جَرَم لا يُرَى المعنى القبيح إلا بصورة قبيحة، فيرى الشيطان في صورة كلب) تارةً (و) صورة (ضفدع) مرة أخرى (و) صورة (خنزير وغيرها) من الصور الخبيثة (ويُرَى المَلَك في صورة جميلة، فتكون تلك الصورة عنوان المعاني ومحاكية لها بالصدق،

(١) البيتان في ديوانه ص ٤٥ (ط - دار الأرقم).

ولذلك يدل القرد والخنزير في النوم علىٰ مثال خبيث) لخبثهما **(وتدل الشاة علىٰ إنسان سليم الصدر)** منقاد للأمر، كثير النفع **(وهكذا جميع أبواب الرؤيا والتعبير)** كما هو معروف عند أهله **(وهذه أسرار عجيبة، وهي من عجائب أسرار القلب، ولا يليق ذِكرُها بعلم المعاملة، وإنما المقصود أن تصدِّق بأن الشيطان ينكشف لأرباب القلوب، وكذلك المَلَك تارة بطريق التمثيل والمحاكاة كما يكون ذلك في النوم، وتارة بطريق الحقيقة، والأكثر هو التمثيل بصورة محاكية للمعنىٰ هو مثال المعنىٰ لا عين المعنىٰ، إلا أنه يشاهَد بالعين مشاهدة محقَّقة، وينفرد بمشاهدته المكاشَف دون مَن حوله كالنائم)** قال الشيخ الأكبر قُدِّس سره في الفتوحات[1]: للجن التشكُّل في الصور كالملائكة، وأخذ الله بأبصارنا عنهم فلا يراهم إلا بعضنا بكشف إلهي، ولما كانوا من عالم اللطف قبلوا التشكيل فيما يريدونه من الصور الحسية، فالصورة الأصلية التي يُنسَب إليها الروحاني إنما هي أول صورة أوجده الله تعالىٰ عليها، ثم تختلف عليه الصور بحسب ما يريد أن يدخل فيها، ولو كشف الله عن أبصارنا حتىٰ نراها بصورة القوة المصوِّرة التي وكَّلها الله بالتصوير في خيال المتخيِّل لرأيتَ مع الإنسان ألف صورة مختلفة لا يشبه بعضُها بعضًا، وكما وقع التناسل في البشر بإلقاء الماء في الرحم فكان التوالد في النوع البشري وقع التناسل في الجان بإلقاء الهواء في رحم الأنثىٰ فكانت الذرية والتوالد، وهم محصورون في اثنتي عشرة قبيلة أصولاً، ثم يتفرَّعون إلىٰ أفخاذ، وتقع بينهم حروب، و[بعض] الزوابع من حربهم. ثم قال: هذا العالَم الروحاني إذا تشكَّل وظهر في صورة حسية يقيِّده البصر بحيث لا يقدر أن يخرج عن تلك الصورة ما دام البصر ناظرًا إليه بالخاصية من الإنسان، فإذا قيَّده ولم يبرح ناظرًا إليه وليس له موضع يتوارىٰ فيه أظهر له ذلك الروحاني صورة جعلها عليه كالستر ثم خيَّل له مشي تلك الصورة إلىٰ جهة مخصوصة فيُتبِعها بصره، فإذا أتبعها بصره خرج الروحاني عن تقييده فغاب عنه، وبمغيبه تزول تلك الصورة عن

(١) الفتوحات المكية ١/ ١٤٦ - ١٤٨.

النظر، فإنها للروحاني كالنور مع السراج المنتشر في الزوايا نوره، فإذا غاب جسم السراج فقد النورَ، وهذا من الأسرار الإلهية، وليست الصورة غير الروحاني، بل هي عينه ولو كانت في ألف مكان أو في أشكال مختلفة، وإذا قُتلت صورة من تلك الصور انتقل ذلك الروحاني من الحياة الدنيا إلىٰ البرزخ كما ننتقل نحن بالموت، ولا يبقىٰ له في الدنيا حديث مثلنا سواء. والفرق بين الجن والملائكة وإن اشتركوا في الروحانية: أن الجن غذاؤهم من الأجسام الطبيعية[1]، بخلاف الملائكة.

(١) في الفتوحات: غذاؤهم ما تحمله الأجسام الطبيعية من الروائح.

بيان ما يؤاخَذ به العبد من وساوس القلوب وهمِّها وخواطرها وقصودها وما يُعفَى عنها ولا يؤاخذ به

(اعلمْ أن هذا أمر غامض) أي خفيٌّ يحتاج إلىٰ تفصيل (وقد وردت فيه أخبار وآيات متعارضة) مع بعضها (يلتبس طريق الجمع بينها إلا علىٰ سماسرة العلماء بالشرع) أي نُقَّادهم وأذكيائهم (فقد رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: عُفي لأمَّتي) أي أمة الإجابة (عما حدَّثت به نفوسها ما لم تتكلم به أو تعمل به) قال العراقي[١]: متفق عليه[٢] من حديث أبي هريرة: «إن الله تجاوز لأمَّتي عما حدَّثت به أنفسها ... الحديث.

قلت: لفظ البخاري: «إن الله تجاوز لي عن أمَّتي ما حدَّثتْ به أنفسها». وتمامه: «ما لم تتكلم به أو تعمل». وفي رواية للبخاري: «عما وسوست به». وفي رواية لمسلم: «ما حدَّثت به أنفسها». وفي رواية للبخاري «صدورها» بدل «أنفسها». وفي رواية لمسلم: «ما لم يتكلموا به أو يعملوا به». و«أنفسُها» بالرفع علىٰ الفاعلية، ويُروَىٰ بالنصب علىٰ المفعولية. ورواه كذلك أئمة السنن الأربعة[٣].

ورواه[٤] أيضًا الطبراني في الكبير[٥] من حديث عمران بن حصين، وفيه المسعودي وقد اختلط، وبقية رجاله رجال الصحيح.

---

(١) المغني ٢/ ٧٢٤ - ٧٢٥.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٢١٥، ٣/ ٤٠٥، ٤/ ٢٢٢. صحيح مسلم ١/ ٦٩ - ٧٠.

(٣) سنن أبي داود ٣/ ٧٩. سنن الترمذي ٢/ ٤٧٥. سنن النسائي ص ٥٣٢. سنن ابن ماجه ٣/ ٤٤١، ٤٤٤.

(٤) مجمع الزوائد ٦/ ٣٧٩.

(٥) المعجم الكبير ١٨/ ٢١٦.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالىٰ يقول للحَفَظة: إذا همَّ عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه، فإن عملها فاكتبوها سيئة، وإذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة، فإن عملها فاكتبوها عشرًا. أخرجه مسلم)** واللفظ له (و) كذا **(البخاري)** كلاهما **(في الصحيحين**[1]**)** وإنما قدَّم مسلمًا في الذكر نظرًا إلىٰ أن سياق اللفظ له، وإلا فالبخاري مقدَّم في الذكر؛ لتقدُّمه في الفضل وفي الزمان، وربما من يجهل ما ذكرناه اعترض علىٰ المصنِّف في تقديمه مسلمًا علىٰ صاحبه ونسبه لمخالفة الاصطلاح **(وهو دليل علىٰ العفو عن عمل القلب وهمِّه بالسيئة)** قال[2] عياض[3]: قال أبو جعفر الطبري: فيه دليل علي أن الحفظة يكتبون أعمال القلوب وعقدها، خلافًا لمَن قال إنها لا تكتب إلا الأعمال الظاهرة. وحكىٰ النووي[4] ذلك عن أبي جعفر الطحاوي. وذكر بعضهم أن المَلَك يعلم ذلك برائحة طيبة تفوح من الإنسان، بخلاف ما إذا همَّ بالسيئة فإنه تفوح منه رائحة خبيثة. والله أعلم **(وفي لفظ آخر)** من سياق هذا الحديث: **(مَن همَّ بحسنة فلم يعملها كُتبت له حسنة، ومَن همَّ بحسنة فعملها كُتبت له إلىٰ سبعمائة ضِعف، ومَن همَّ بسيئة فلم يعملها لم تُكتَب عليه، وإن عملها كُتبت)** رواه الشيخان[5] من حديث ابن عباس رفعه فيما يرويه عن ربِّه تبارك وتعالىٰ قال: «إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بيَّن ذلك، فمَن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلىٰ سبعمائة ضِعف إلىٰ أضعاف كثيرة». ورواه[6] أحمد في مسنده[7] بلفظ: «مَن همَّ بحسنة ولم يعملها كُتبت له حسنة، فإن عملها

(١) صحيح البخاري ١/ ٣٠، ٤/ ٤٠٣. صحيح مسلم ١/ ٧٠.

(٢) طرح التثريب ٨/ ٢٢٩ - ٢٣٠.

(٣) إكمال المعلم ١/ ٤٢٧.

(٤) شرح صحيح مسلم ٢/ ٢٠٠.

(٥) صحيح البخاري ٤/ ١٨٩. صحيح مسلم ١/ ٧١.

(٦) يعني حديث أبي هريرة.

(٧) مسند أحمد ١٢/ ١٢٣، ١٥/ ١٨٨.

كُتبت له بعشر أمثالها إلىٰ سبعمائة وسبع أمثالها، ومَن همَّ بسيئة لم تُكتب عليه، فإن لم يعملها كُتبت له حسنة، فإن عملها كُتبت عليه سيئة واحدة، فإن لم يعملها لم تُكتَب عليه»(١) **(وفي لفظ آخَر)** عن هَمَّام عن أبي هريرة: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالىٰ: إذا تحدَّث عبدي بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعمل، فإذا عملها فأنا أكتبها له بعشر أمثالها **(وإذا تحدَّث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها)** فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها». رواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق. ومعنىٰ «تحدِّث» المراد بذلك: حدَّث بذلك نفسه، ولا يتوقَّف ذلك علىٰ تحدُّثه به بلسانه، وقد دلَّ علىٰ ذلك ما تقدم من الرواية: «وإذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة». والظاهر أن المراد إذا منعه من ذلك عذرٌ، ولا تُكتَب له الحسنة بمجرد الهم مع الانكفاف عن الفعل بلا عذر. ويحتمل حمله علىٰ إطلاقه، وأن مجرد الهم بالخير قُربة وإن لم يمنع منه مانعٌ **(وكل ذلك يدل علىٰ العفو)** وهل تكتب له الملائكة الهمَّ بالحسنة أو فعل الحسنة؟ فيه نظر واحتمال، وظاهر لفظ الحديث يقتضي كتابةَ نفس الحسنة. وقوله «فاكتبوها عشرًا» أي عشر حسنات، فهل المراد أنه تُكتَب له عشر حسنات مضمومة إلىٰ الحسنة المكتوبة علىٰ الهم أو يكمُل له عشر حسنات أو ينتظر المَلَك بكتابة الهم فإن حقَّقه كتب عشرًا وإن لم يحقِّقه كتب واحدة؟ فيه احتمال، ويحتاج إلىٰ نقل صريح. وقوله «إلىٰ سبعمائة ضِعف» فيه أن التضعيف قد ينتهي إلىٰ سبعمائة ضِعف، وهذا جود واسع وكرم محض، وحديث ابن عباس المتقدم صريح في أن التضعيف لا يقف علىٰ سبعمائة، بل قد يزيد عليها لمَن أراد الله تعالىٰ زيادته له، وهو أحد القولين في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١] أي زيادة عن المذكور، والقول الثاني: أن المراد: والله يضاعف

---

(١) في سياق هذا الحديث اضطراب، ولفظ أحمد: «من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشر أمثالها إلىٰ سبعمائة وسبع أمثالها، فإن لم يعملها كتبت له حسنة، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه، فإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة، فإن لم يعملها لم تُكتب عليه».

لمَن يشاء هذا التضعيف. والأول أصح. وقال النووي: المذهب الصحيح المختار عند العلماء أن التضعيف لا يقف علىٰ سبعمائة.

(**فأما ما يدل علىٰ المؤاخذة فقوله سبحانه:** ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ [البقرة: ٢٨٤] **وقوله تعالىٰ:** ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦] **فدل علىٰ أن عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يُعفىٰ عنه. وقوله تعالىٰ:** ﴿وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ﴾) [البقرة: ٢٨٣] فدل علىٰ أن القلب يأثم بكتمان الشهادة. أخرج ابن جرير[1] عن السُّدِّي في قوله: ﴿ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ﴾ قال: فاجر قلبه. وكتمان الشهادة من أكبر الكبائر، كما رواه ابن جرير عن ابن عباس (**وقوله تعالىٰ:** ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ﴾ [البقرة: ٢٢٥] فدلَّ علىٰ أن القلب مؤاخَذ به. فهذه أربع آيات دلَّت علىٰ مؤاخذة عمل القلب. ومن ذلك أيضًا قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [النور: ١٩] وقوله تعالىٰ: ﴿ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾ [الحجرات: ١٢] والآيات في هذا كثيرة، وقد تظاهرت نصوص الشرع وإجماع العلماء علىٰ تحريم الحسد واحتقار المسلمين وإرادة المكروه وغير ذلك من أعمال القلوب وعزمها، وفي الآية الأولىٰ خلاف هل هي محكمة أو منسوخة، فرُوِي[2] عن الربيع بن أنس قال: إنها مُحكَمة لم ينسخها شيء، يعرِّفك الله يوم القيامة أنك أخفيت في صدرك كذا وكذا ولا يؤاخذك. أخرجه ابن جرير[3] وابن أبي حاتم. ورُوي ذلك عن ابن عباس أيضًا، قال: ذلك سر أمرك وعلانيته يحاسبكم الله به، فإنها لم تُنسَخ ولكن الله إذا

---

(١) جامع البيان ٥/ ١٢٦ - ١٢٧.

(٢) الدر المنثور ٣/ ٤١١ - ٤١٨.

(٣) جامع البيان ٥/ ١٤٠.

جمع الخلائق يوم القيامة يقول: إني أخبركم بما أخفيتم في أنفسكم ممَّا لم تطَّلع عليه ملائكتي، فأما المؤمنون فيخبرهم ويغفر لهم ما حدَّثوا به أنفسهم، وهو قوله: ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ وأما أهل الشك والرَّيب فيخبرهم بما أخفوا من التكذيب، وهو قوله: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أخرجه ابن جرير[1] وابن أبي حاتم وابن المنذر[2] عن ابن عباس. وقيل: بل هي منسوخة، نسختها ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ الآية [البقرة: ٢٨٦] أخرجه أحمد[3] ومسلم[4] وابن جرير[5] عن ابن عباس، وأخرجه الترمذي[6] عن علي، وأخرجه سعيد بن منصور[7] عن ابن مسعود، وأخرجه ابن جرير[8] من طريق قتادة عن عائشة. وقيل: نزلت هذه الآية في الشهادة، أخرجه سعيد بن منصور[9] وابن جرير[10] وابن أبي حاتم وابن المنذر[11] عن ابن عباس.

(والحق عندنا في هذه المسألة لا يوقَف عليه ما لم تقع الإحاطة بتفصيل أعمال القلوب من مبدأ ظهورها إلىٰ أن يظهر العمل علىٰ الجوارح. فنقول: أول ما يَرِدُ علىٰ القلب: الخاطر:) وهو[12] اسم لِما يتحرك في القلب من رأي أو معنىٰ،

---

(١) السابق ٥/ ١٣٩.

(٢) تفسير ابن المنذر ١/ ٩٤.

(٣) مسند أحمد ٣/ ٤٩٧، ٥/ ١٩٤.

(٤) صحيح مسلم ١/ ٦٩.

(٥) جامع البيان ٥/ ١٣١.

(٦) سنن الترمذي ٥/ ٩٦.

(٧) تفسير سعيد بن منصور ٣/ ١٠١٨.

(٨) جامع البيان ٥/ ١٣٨.

(٩) تفسير سعيد بن منصور ٣/ ١٠٠٤.

(١٠) جامع البيان ٥/ ١٢٩.

(١١) تفسير ابن المنذر ١/ ٩٣.

(١٢) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف ص ١٥١.

ثم سُمِّي محله باسم ذلك، وهو من الصفات الغالبة، وأصل تركيبه يدل علىٰ الاضطراب والحركة؛ ذكره المطرزي **(كما لو خطرت له مثلاً صورة امرأة وأنها وراء ظهره في الطريق لو التفت إليها لرآها. والثاني: هيجان الرغبة إلىٰ النظر وهو حركة الشهوة التي في الطبع، وهذا يتولَّد من الخاطر الأول، ونسمِّيه: ميل الطبع، ويسمىٰ الأول: حديث النفس. والثالث: حكمُ القلب بأن هذا ينبغي أن يُفعَل، أي ينبغي أن يُنظَر إليها، فإن الطبع إذا مال لم تنبعث الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف)** أي الموانع **(فإنه قد يمنعه حياء أو خوف من الالتفات)** إليها **(وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتأمل، وهو علىٰ كل حال حكمٌ من جهة العقل، ويسمىٰ هذا اعتقادًا، وهو يتَّبع الخاطرَ والمَيل)** وذكر صاحب العوارف أن خاطر العقل [أصله] تارةً من خاطر الملك، وتارة من خاطر النفس، وليس من العقل خاطر علىٰ الاستقلال؛ لأن العقل - كما ذكرنا - غريزة يتهيَّأ بها إدراك العلوم، ويتهيَّأ بها الانجذاب إلىٰ دواعي النفس تارة، وإلىٰ دواعي الروح تارة، وإلىٰ دواعي المَلَك تارة، وإلىٰ دواعي الشيطان تارةً **(الرابع: تصميم العزم علىٰ الالتفات وجزم النية فيه، وهذا نسمِّيه همًّا بالفعل ونية وقصدًا، وهذا الهم قد يكون له مبدأ ضعيف، ولكن إذا أصغىٰ القلب)** أي مالَ **(إلىٰ الخاطر الأول حتىٰ طالت مجاذبتُه للنفس)** ومحادثته لها بحسب أصل الامتزاج **(تأكَّد هذا الهمُّ وصار إرادة مجزومة)** هذا إذا كانت مجاذبة القلب للنفس من باب موافقته لها فيما تنطلق في شيء تهواه من القول والفعل، فأما إذا كانت من باب المعاتبة لها وذلك عند عَوْد العبد من مواطن مطالبات النفس والاعتماد علىٰ ذكر الله تعالىٰ فهو يلومها فيما صدر منها من القول والفعل، فلا تتأكد حينئذٍ الهمَّة المذكورة، ولا تصير إرادة مجزومة، فتأملْ **(فإذا انجزمت الإرادة فربما يندم بعد الجزم فيترك العمل، وربما يغفل بعارض فلا يعمل به ولا يلتفت إليه، وربما يعوقه عائق فيتعذَّر عليه العمل. فههنا أربعة أحوال للقلب قبل العمل بالجارحة: الخاطر وهو حديث النفس، ثم المَيل، ثم الاعتقاد، ثم الهم. فنقول: أما الخاطر فلا يؤاخَذ به؛ لأنه لا يدخل تحت الاختيار)** ولا يمكن دفعُه **(وكذلك المَيل وهيجان الشهوة؛**

لأنهما لا يدخلان أيضًا تحت الاختيار، وهما المرادانِ بقوله ﷺ: عُفي لأمَّتي عمَّا حدَّثتْ به أنفُسها) تقدم قريبًا

(**فحديث النفس عبارة عن الخواطر التي تهجس في النفس ولا يتبعها عزمٌ علىٰ الفعل، فأما العزم والهم فلا يسمَّىٰ حديث نفس، بل حديث النفس كما رُوي عن عثمان بن مظعون**) بن حبيب بن وهب الجُمَحي، يكنىٰ أبا السائب، أحد السابقين، رضي الله عنه (**حيث قال للنبي ﷺ: يا رسول الله، نفسي تحدثني أن أطلِّق خولة**) ويقال لها: خُوَيلة بنت حكيم بن أميَّة السلمية، وهي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ (**قال: مهلاً، إن من سنَّتي النكاح. قال: نفسي تحدثني أن أجبَّ نفسي**) أي أقطع آلة الشهوة مني (**قال: مهلاً، خِصاء أمَّتي دؤوب الصيام**) أي ملازمته، فإنه يقطع الشهوة (**قال: نفسي تحدثني أن أترهَّب بنفسي**) أي أعتزل الناس وأكون كالراهب في الصومعة (**قال: مهلاً، رهبانية أمَّتي الجهاد والحج. قال: نفسي تحدثني أن أترك اللحم**) أي أكله، فإنه يحرك الشهوة (**قال: مهلاً، فإني أحبه، ولو أصبتُه**) أي وجدته (**لأكلته، ولو سألت الله لأطعمنيه**) قال العراقي[1]: رواه الترمذي الحكيم في نوادر الأصول[2] من رواية علي بن زيد عن سعيد بن المسيب مرسلاً نحوه، وفيه القاسم بن عبد الله العُمَري، كذَّبه أحمد وابن معين[3]. وللدارمي[4] من حديث سعد بن أبي وقاص: لما كان من أمر عثمان بن مظعون الذي كان من ترك النساء بعث إليه رسول الله ﷺ فقال: «يا عثمان، إني لم أؤمَر بالرهبانية ...» الحديث، وفيه: «فمَن رغب عن سنَّتي فليس مني». وهو عند مسلم[5] بلفظ: رد رسولُ الله ﷺ علىٰ عثمان بن مظعون

---

(١) المغني ٢/ ٧٢٥ - ٧٢٦.

(٢) نوادر الأصول ص ١٠٨٤.

(٣) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٧/ ١١١ - ١١٢.

(٤) سنن الدارمي ٢/ ١٧٩.

(٥) صحيح مسلم ١/ ٦٣١. وقد رواه أيضا البخاري في صحيحه ٣/ ٣٥٦.

التبتُّل، ولو أذن له لاختصينا. وللبغوي[١] والطبراني[٢] في معجمَي الصحابة بإسناد حسن من حديث عثمان بن مظعون أنه قال: يا رسول الله، إني رجل تشق عليَّ هذه العزبة في المغازي، فتأذن لي يا رسول الله في الخِصاء فأختصي؟ قال: «لا، ولكن عليك يا ابن مظعون بالصيام، فإنه مجفرة». ولأحمد[٣] والطبراني[٤] بإسناد جيد من حديث عبد الله بن عمرو: «خِصاء أمَّتي الصيام والقيام». وله[٥] من حديث سعيد بن العاص بإسناد فيه ضعفٌ: أن عثمان بن مظعون قال: يا رسول الله، ائذنْ لي في الاختصاء. فقال له رسول الله ﷺ: «إن الله قد أبدلنا بالرهبانيةِ الحنيفيةَ السمحة والتكبيرَ على كل شرف ...» الحديث. ولابن ماجه[٦] من حديث عائشة بسند ضعيف: «النكاح من سنَّتي». ولأحمد[٧] وأبي يعلىٰ[٨] من حديث أنس: «لكل نبي - وقال أبو يعلىٰ: لكل أمة - رهبانية، ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله». وفيه زيد العَمِّي، وهو ضعيف. ولأبي داود[٩] من حديث أبي أمامة: «إن سياحة أمتي الجهادُ في سبيل الله». وإسناده جيد.

(فهذه الخواطر التي ليس معها عزمٌ علىٰ الفعل هي حديث النفس، ولذلك شاور) عثمان **(رسولَ الله ﷺ)** واستأذنه **(إذ لم يكن معه عزمٌ وهمٌّ بالفعل)** فهذان الحالان لا يؤاخَذ بهما العبد، وهو مُجمَع عليه فيما لا يستقر من الخواطر ولا يقترن به عزمٌ **(وأما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بأنه ينبغي أن يفعل فهذا**

---

(١) معجم الصحابة ٤/ ٣٤١.

(٢) المعجم الكبير ٩/ ٢٦.

(٣) مسند أحمد ١١/ ١٨٣.

(٤) المعجم الكبير ١٤/ ٨٣.

(٥) السابق ٦/ ٦٢.

(٦) سنن ابن ماجه ٣/ ٣٠٠.

(٧) مسند أحمد ٢١/ ٣١٧.

(٨) مسند أبي يعلىٰ ٧/ ٢١٠.

(٩) سنن أبي داود ٣/ ٢٠٣ - ٢٠٤.

مردَّد بين أن يكون اضطرارًا أو اختيارًا، والأحوال تختلف فيه، فالاختياري منه يؤاخَذ به، والاضطراري لا يؤاخذ به. وأما الرابع وهو الهم بالفعل فإنه مؤاخذ به) قال المازري[(١)]: مذهب القاضي أبي بكر بن الطيب أن مَن عزم علىٰ المعصية بقلبه ووطَّن نفسه عليها آثم في اعتقاده وعزمه، ويُحمَل ما وقع في هذه الأحاديث وأمثالها علىٰ أن ذلك فيمن لم يوطِّن نفسه علىٰ المعصية وإنما مر ذلك بفكره من غير استقرار، ويسمىٰ هذا همًّا، ويفرَّق بين الهم والعزم. هذا مذهب القاضي أبي بكر، وخالفه كثير من الفقهاء والمحدِّثين وأخذوا بظاهر الأحاديث. وقال القاضي عياض[(٢)]: عامة السلف وأهل العلم من الفقهاء والمحدِّثين [والمتكلمين] علىٰ ما ذهب إليه القاضي أبو بكر للأحاديث الدالَّة علىٰ المؤاخذة بأعمال القلوب **(إلا أنه إن لم يفعل نُظر: فإن كان قد تركه خوفًا من الله تعالىٰ وندمًا علىٰ همِّه كُتبت له حسنة؛ لأن همه)** بذلك الفعل **(سيئة، وامتناعه)** عنه **(ومجاهدته نفسه)** في تركه **(حسنة، والهم علىٰ وفق الطبع مما يدل علىٰ تمام الغفلة عن الله تعالىٰ، والامتناع بالمجاهدة علىٰ خلاف الطبع يحتاج إلىٰ قوة عظيمة، فجدُّه في مخالفة الطبع هو العمل لله، والعمل لله أشد من جدِّه في موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكُتبت له حسنة؛ لأنه رجح جهدُه في الامتناع وهمُّه به علىٰ همِّه بالفعل، وإن تعوَّق الفعلُ بعائق أو تركه لعذر لا خوفًا من الله كُتبت عليه سيئة، فإنَّ همه فعلٌ من القلب اختياريٌّ)** وقال القاضي عياض بعد أن صوَّب ما ذهب إليه القاضي أبو بكر ونقله عن عامة أهل العلم ما لفظه: لكنهم قالوا: إن هذا العزم يُكتَب سيئة، وليست السيئة التي همَّ بها لكونه لم يعملها وقطعه عنها قاطعٌ غير خوف الله تعالىٰ والإنابة، لكن نفس الإصرار والعزم معصية فيُكتَب معصية، فإذا عملها كُتبت معصية ثانية، فأما الهم الذي لا يُكتَب فهو الخواطر التي لا توطِّن النفس عليها ولا يصحبها عقدٌ ولا

---

(١) المعلم بفوائد مسلم ١/ ٣١١ - ٣١٢. في الزبيدي ٧/ ٢٩٥: الماوردي. وكذا في شرح البخاري ٩/ ٢٨١ وهو تصحيف.

(٢) إكمال المعلم ١/ ٤٢٥.

نية وعزم. ا.هـ. قال النووي[1]: وهو ظاهر حسن لا مزيد عليه (**والدليل على هذا التفصيل ما ورد في الصحيح**) لمسلم (**مفصَّلاً في لفظ الحديث**) رواه عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق [عن معمر] عن هَمَّام عن أبي هريرة قال: (**قال رسول الله ﷺ: قالت الملائكة: رب، ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة. وهو أبصرُ به، فقال: ارقبوه، فإن هو عملها فاكتبوها له بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة، إنما تركها من جَرَّائي**) بفتح الجيم وتشديد الراء، يُقصَر ويُمَدُّ، أي من أجلي، يقال: فعلتُه من جَرَّاك ومن جَرَّائك ومن جريرتك، أي من أجلك (**وحيث قال «فإن لم يعملها» أراد به تركها لله**) وعند[2] البخاري: «فإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة» زيادة على قوله أيضًا في لفظ: «فإذا تحدَّث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها ما لم يعملها»؛ لأنه لا يلزم من مغفرتها كتابة حسنة بسبب تركها، وهو مقيَّد في الحديث بأن يكون تركها من أجل الله، وعليه يدل ما عند مسلم: «إنما تركها من جَرَّائي»، فإن التعليل بذلك دالٌّ على تصوير المسألة به، ووجهُه أن تركه لها لخوف الله تعالى ومجاهدته نفسه الأمَّارة بالسوء في ذلك وعصيانه هواه حسنة. وفي الصحيحين من حديث ابن عباس: «ومَن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة». فلم يقيِّد ذلك بأن يكون تركها لأجل الله تعالى، فقد يُتمسك به على كتابتها حسنة وإن لم يتركها لخوف الله تعالى، وقد حكى القاضي عياض[3] عن بعض المتكلمين أنه ذكر في ذلك خلافًا، وعلَّل كتابتها حسنة بأنه إنما حمله على تركها الحياءُ. قال القاضي عياض: وهذا ضعيف لا وجه له. قال الولي العراقي: والظاهر حملُ هذا المطلق على ذلك المقيَّد، فهو الذي يقتضيه الدليل وتساعده القاعدة. والله أعلم. وقال الخطابي[4]: هذا إذا لم يعملها تاركًا لها مع القدرة عليها لا إذا هم بها فلم يعملها مع العجز عنها

---

(١) شرح صحيح مسلم ٢/ ١٩٩.

(٢) فتح الباري ٨/ ٢٣١.

(٣) إكمال المعلم ١/ ٤٢٦.

(٤) أعلام الحديث ٣/ ٢٣٥٢.

وعدم القدرة عليها، ولا يسمَّىٰ الإنسان تاركًا للشيء الذي لا يُتوهم قدرته عليه. وقوله عند مسلم «فاكتبوها بمثلها»، وعند البخاري «فأنا أكتبها له بمثلها» أي إن جازيتُه علىٰ ذلك، وقد يتجاوز الله عنه فلا يؤاخذه بها. وفي لفظ لمسلم في حديث ابن عباس: «كتبها الله سيئة واحدة أو محاها الله». وعنده[١] أيضًا من حديث أبي ذر: «ومَن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر». وعند البخاري[٢] معلَّقًا من حديث أبي سعيد الخدري: «وكل سيئة يعملها تُكتَب له بمثلها، إلا أن يتجاوز الله عنها». ووصله النسائي في سننه[٣]، وكذلك وصله الدارقطني في «غرائب مالك» من تسعة طرق.

(فأما إذا عزم علىٰ فاحشة وتعذَّرت عليه بسبب) من الأسباب **(أو بغفلة فكيف تُكتَب له حسنة؟! وقد قال ﷺ: إنما يُحشَر الناس علىٰ نيَّاتهم)** قال العراقي[٤]: رواه ابن ماجه[٥] من حديث جابر دون قوله «إنما». وله من حديث أبي هريرة: «إنما يُبعَث الناس علىٰ نيَّاتهم». وإسنادهما حسن. ولمسلم[٦] من حديث عائشة: «يبعثهم الله علىٰ نيَّاتهم». وله من حديث أم سلمة: «يُبعثون علىٰ نيَّاتهم».

(ونحن نعلم أن مَن عزم ليلاً علىٰ أن يصبح ويقتل مسلمًا أو يزني بامرأة فمات تلك الليلة مات مصرًّا) علىٰ المعصية **(ويُحشَر علىٰ نيَّته وقد همَّ بسيئة ولم يعملها. والدليل القاطع فيه ما رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: إذا التقىٰ المسلمانِ بسيفَيْهما)** فقتل أحدهما صاحبه **(فالقاتل والمقتول في النار. فقيل: يا رسول الله،**

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ١٢٣٨.

(٢) صحيح البخاري ١/ ٣٠.

(٣) سنن النسائي ص ٧٥٩.

(٤) المغني ٢/ ٧٢٦.

(٥) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٢٨.

(٦) صحيح مسلم ٢/ ١٣١٧ - ١٣١٨. ولفظ حديث أم سلمة: «يبعث يوم القيامة علىٰ نيته». وحديث عائشة عند البخاري ٢/ ٩٤ بلفظ: «يبعثون علىٰ نياتهم».

هذا القاتل) يستحق النار **(فما بال المقتول)**؟ أي فما ذنبه؟ **(قال)** ﷺ: **(لأنه أراد قتل صاحبه)** قال العراقي[١]: متفق عليه[٢] من حديث أبي بكرة.

قلت: وكذلك رواه أحمد[٣] وأبو داود[٤] والنسائي[٥]. ورواه ابن ماجه[٦] من حديث أبي موسىٰ. ولفظهم جميعًا: قال: «إنه كان حريصًا علىٰ قتل صاحبه». أي[٧] إذا التقيا بآلة القتال يتقاتلان بها سيفًا كان أو غيره، وإنما خص السيف لأنه أعظم آلاته وأكثرها استعمالاً، فكلٌّ منهما ظالم معتدٍ **(وهذا نص في أنه صار من أهل النار بمجرد الإرادة مع أنه قُتل مظلومًا)** ولا يلزم من كونهما في النار كونُهما في رتبة واحدة، فالقاتل يعذَّب علىٰ القتال والقتل، والمقتول يعذَّب علىٰ القتال فقط. وأفاد قولُه «حريصًا» أن العازم علىٰ المعصية يأثم، وأن كلاً منهما كان قصد القتل لا الدفع عن نفسه، فلو قصد أحدُهما الدفعَ فلم يندفع إلا بقتله فقُتل هدر المقتولُ لا القاتل. ثم هذه المقاتَلة يُشترط فيها أن يكون عدوانًا بغير تأويل سائغ ولا شبهة، فأما إذا كان بتأويل كقتال علي وطلحة فلا، فإنَّ كلاً منهما لديانته وفرط صيانته كان يرىٰ أن الإمامة متعينة عليه لا يسوغ له تركُها **(فكيف يُظَن أن الله لا يؤاخِذ بالنية والهم؟! بل كل همٍّ دخل تحت اختيار العبد فهو مأخوذ به، إلا أن يكفِّره بحسنة، ونقضُ العزم بالندم حسنةٌ)** وقد روىٰ أحمد[٨] والبخاري في التاريخ[٩]

(١) المغني ٢/ ٧٢٧.

(٢) صحيح البخاري ١/ ٢٧، ٤/ ٢٦٧، ٣١٧. صحيح مسلم ٢/ ١٣٢٠.

(٣) مسند أحمد ٣٤/ ٨٧، ١١٩، ١٤٩.

(٤) سنن أبي داود ٥/ ٢٣.

(٥) سنن النسائي ص ٦٣٥.

(٦) سنن ابن ماجه ٥/ ٤٣٧.

(٧) فيض القدير ١/ ٣٠٠.

(٨) مسند أحمد ٦/ ٣٧، ٧/ ١١٣، ١١٥، ١١٦، ١٩٣.

(٩) التاريخ الكبير ٣/ ٣٧٤.

وابن ماجه[١] والحاكم[٢] من حديث ابن مسعود: «الندم توبة» **(فلذلك كُتبت له حسنة، فأما فوات المراد بعائق)** من العوائق **(فليس بحسنة، وأما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت الاختيار، فالمؤاخذة به تكليف ما لا يُطاق، ولذلك لما نزل قوله تعالىٰ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٢٨٤﴾** [البقرة: ٢٨٤] **جاء ناس من الصحابة إلىٰ رسول الله ﷺ)** ثم جَثَوْا علىٰ الرُّكَب **(فقالوا)**: يا رسول الله **(كُلِّفنا)** من الأعمال **(ما)** نطيق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أُنزلت عليك هذه الآية و**(لا نطيق، إن أحدنا لَيحدِّثُ نفسَه بما لا يحب أن يثبُت في قلبه ثم يحاسَب بذلك. فقال ﷺ: لعلكم تقولون)** وفي رواية: أتريدون أن تقولوا **(كما قالت بنو إسرائيل)** وفي لفظ: كما قال أهل الكتاب من قبلكم: **(سمعنا وعصينا)** بل **(قولوا: سمعنا وأطعنا)** غفرانك ربنا وإليك المصير. فاقترأها القوم وذلَّت بها ألسنتُهم **(فقالوا: سمعنا وأطعنا. فأنزل الله الفرج بعد سنة بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾)** إلىٰ آخرها. قال العراقي[٣]: رواه مسلم[٤] من حديث أبي هريرة وابن عباس نحوه.

قلت: وسياق المصنِّف أشبهُ بسياق أبي هريرة مع الزيادات التي سقتُها في أثنائه دون قوله «إن أحدنا لَيحدِّثُ» إلىٰ قوله «بذلك».

وقد[٥] رواه كذلك أحمد[٦] وابن جرير[٧] وابن أبي حاتم وابن المنذر[٨].

---

(١) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٤١.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٣٧٣.

(٣) المغني ٢/ ٧٢٧.

(٤) صحيح مسلم ١/ ٦٨ - ٦٩.

(٥) الدر المنثور ٣/ ٤١١ - ٤٢٠.

(٦) مسند أحمد ١٥/ ١٩٨.

(٧) جامع البيان ٥/ ١٣٠.

(٨) تفسير ابن المنذر ٣/ ٩٧.

وأما لفظ حديث ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾ الآية دخل في قلوبهم منها شيء لم يدخل من شيء، فقالوا للنبي ﷺ، فقال: «قولوا: سمعنا وأطعنا وسلَّمنا». فألقىٰ الله الإيمان في قلوبهم، فأنزل الله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ الآية ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ﴾ قال: قد فعلتُ ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ﴾ قال: قد فعلت ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾ قال: قد فعلت ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ﴾ الآية، قال: قد فعلت. هكذا رواه أحمد[١] ومسلم والترمذي[٢] والحاكم[٣] وابن جرير[٤] وابن المنذر[٥] من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

وأخرج عبد الرزاق[٦] وأحمد[٧] وابن جرير[٨] وابن المنذر[٩] بسند صحيح عن مجاهد قال: دخلت علىٰ ابن عباس، فقال: إن هذه الآية لما نزلت غَمَّت أصحابَ رسول الله ﷺ غمًّا شديدًا، وغاظتهم غيظًا شديدًا وقالوا: يا رسول الله، هلكنا إن كنا نؤاخَذ بما تكلمنا وبما نعمل، فأما قلوبنا فليست بأيدينا. فقال لهم رسول الله ﷺ: «قولوا: سمعنا وأطعنا». قال: فنسختها هذه الآية: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾

---

(١) مسند أحمد ٣/ ٤٩٧.

(٢) سنن الترمذي ٥/ ٩٧.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٣٤٣.

(٤) جامع البيان ٥/ ١٣١.

(٥) تفسير ابن المنذر ٣/ ٩٥.

(٦) تفسير عبد الرزاق ١/ ١١٣ - ١١٤.

(٧) مسند أحمد ٥/ ١٩٤.

(٨) جامع البيان ٥/ ١٣٣.

(٩) تفسير ابن المنذر ٣/ ٩٦.

إلىٰ ﴿وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ فتُجُوِّز لهم عن حديث النفس وأُخِذوا بالأعمال.

وأخرج أبو داود في ناسخه وابن جرير[١] بسند صحيح عن سعيد بن مرجانة أنه بينما هو جالس مع عبد الله بن عمر تلا هذه الآية: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ الآية فقال: واللهِ لئن آخَذَنا الله بهذا لنهلكن. ثم بكىٰ حتىٰ سُمع نشيجه. قال ابن مرجانة: فقمت حتىٰ أتيت ابن عباس فذكرت له ما قال ابن عمر [وما فعل حين تلاها] فقال ابن عباس: يغفر الله لأبي عبد الرحمن، لعَمْري لقد وجد المسلمون منها حين أُنزِلت مثل ما وجد عبد الله بن عمر. فأنزل الله بعدها: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا﴾ الآية إلىٰ آخر السورة. قال ابن عباس: فكانت هذه الوسوسة لا طاقة للمسلمين بها، وصار الأمر إلىٰ أن قضىٰ الله أن للنفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت من القول والعمل.

وقد رُوي نحو ذلك من حديث علي وابن مسعود وغيرهما.

وعند الفريابي وابن المنذر[٢] عن محمد بن كعب القُرَظي قال: لما نزلت هذه الآية اشتد علىٰ المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، أنؤاخَذ بما نحدِّث به أنفسَنا ولم تعمله جوارحنا؟ قال: «نعم، فاسمعوا وأطيعوا، واطلبوا إلىٰ ربكم». فذلك قوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ الآية، فوضع الله عنهم حديث النفس إلا ما عملت الجوارح، لها ما كسبت من خير، وعليها ما اكتسبت من شر.

وفي الآية أقوال أُخَر ذكرناها قريبًا.

(فظهر به أن كل ما لا يدخل تحت الوسع من أعمال القلب هو الذي لا يؤاخذ به، فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس، وكل من يظن أن كل ما يجري علىٰ القلب يسمىٰ حديث النفس ولم يفرِّق بين هذه الأقسام الثلاثة فلا بد وأن

---

(١) جامع البيان ٥/ ١٣١ - ١٣٢.

(٢) تفسير ابن المنذر ٣/ ٩٨ - ٩٩.

يغلط) في ظنِّه ويخطئ في فهمه **(وكيف لا يؤاخَذ بأعمال القلوبِ والكبرُ والعُجْب والرياء والنفاق والحسد وجملة الخبائث من أعمال القلوب)** وعزمِها؟! وقد تظاهرت نصوصُ الشرع وأقوال العلماء على تحريمها **(بل السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً، أي مما يدخل تحت الاختيار، فلو وقع البصر بغير اختيار على غير ذي مَحرم لم يؤاخَذ به)** وهذا معنى قولهم: النظرة الأولى لك **(فإذا أتبعها نظرةً ثانية كان مؤاخَذًا بها؛ لأنه مختار)** ولولا اختياره لَما نظر إليها ثانيًا، وهذا معنى قولهم: والثانية عليك[1] **(فكذا خواطر القلب تجري هذا المَجرى، بل القلب أَولى بمؤاخذته؛ لأنه الأصل، قال رسول الله ﷺ: التقوى ههنا. وأشار إلى القلب)** قال العراقي[2]: رواه مسلم[3] من حديث أبي هريرة، وقال: إلى صدره.

(وقال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٧].

وقال ﷺ) فيما رواه ابن مسعود: ما حاكَ في صدرك فدَعْه **(الإثم حَوَّاز القلوب)** بتشديد الواو وبتشديد الزاي، وجهان، يعني ما يؤثِّر فيها فيحزها أو يحوزها لرقَّتها وصفائها ولينها ولطفها. وقد تقدم في كتاب العلم مفصَّلاً.

(وقال) ﷺ: (البِر ما اطمأن إليه القلب) وسكنت إليه النفس **(وإن أفتوك وأفتوك)** رواه[4] الطبراني من حديث أبي ثعلبة، ولأحمد نحوه من حديث وابصة بلفظ «وإن أفتاك الناسُ وأفتوك»، وقد تقدَّما في كتاب العلم. فهذا وصفُ قلب مكاشَف بالذكر، ونعتُ نفس ساكنة بمزيد السكينة والبر. ولفظ حديث وابصة:

---

(١) هو من قول سعيد بن جبير كما في مصنف ابن أبي شيبة (٤/ ٣٢٤). وأصله قول النبي ﷺ كما عند أبي داود (٢١٥١) وغيره قال عليه الصلاة والسلام فإن لك الأولى وليست لك الآخرة.

(٢) المغني ٢/ ٧٢٧.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ١١٩٣.

(٤) المغني للعراقي ٢/ ٧٢٧.

«استفْتِ قلبَك وإن أفتاك المُفتون»، أي إن المفتين يعلمون معنىٰ التأويل والرخصة من علمهم العلانية، وأنت علىٰ علم فوقهم مطالَب بالتحقيق والعزيمة من علمك السر (حتىٰ إنَّا نقول: إذا حكم قلب المفتي بإيجاب شيء وكان مخطئًا فيه صار مُثابًا علىٰ فعله) نظرًا لحكم القلب (بل مَن ظن أنه متطهِّر فعليه أن يصلي، فإن صلىٰ ثم تذكَّر أنه لم يتوضأ كان له ثوابٌ بفعله، وإن تذكَّر ثم ترك كان معاقَبًا عليه، ومَن وجد علىٰ فراشه امرأة فظن أنها زوجته) فوطِئها (لم يعصَ بوطئها وإن كانت أجنبية) في الحقيقة (وإن ظن أنها أجنبية فوطئها عصىٰ وإن كانت زوجته، وكل ذلك نظرًا إلىٰ القلب دون الجوارح) فالقلوب تؤاخَذ بأعمالها وعُزومها، كما أن الجوارح تؤاخَذ بأعمالها.

بيان أن الوسواس هل يتصور أن ينقطع بالكلّية عند الذكر أم لا

وفي بعض النسخ: ينقلع، بدل: ينقطع.

(اعلمْ أن العلماء المراقبين للقلوب) المحافظين عليها **(الناظرين في صفاتها وعجائبها)** وما لها من الأحوال الغريبة **(اختلفوا في هذه المسألة على خمس فِرَق، فقالت فرقة: الوسوسة تنقطع بذكر الله تعالى؛ لأنه قال ﷺ)**: إن[1] الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم **(فإذا ذكر الله خنس)** رواه ابن أبي الدنيا وابن عدي من حديث أنس، وقد تقدم قريبًا **(والخنوس)** وفي بعض النسخ: والخنس **(هو السكوت)** المفهوم من الانقباض والتأخُّر، ويُستعمَل لازمًا ومتعدِّيًا، يقال: خنسته فانخنس، أي زويته فانزوي[2] **(فكأنه يسكت)** عن وسوسته فلا يتحرك، بل يتطلَّب فرصة للغفلة عن الذكر فيعود إلى الوسوسة **(وقالت فرقة)** منهم: **(لا ينعدم أصلُه، ولكن يجري في القلب، ولا يكون له أثرٌ)** يظهر عليه **(لأن القلب إذا صار مستوعَبًا بالذكر)** أي مستغرقًا به **(كان محجوبًا عن التأثُّر بالوسوسة)** فهو **(كالمشغول بهمِّه، فإنه قد يُكلَّم ولا يفهم وإن كان الصوت يمر على سمعه)** وعلى هذا المعنى يحملون الخنوس في الحديث **(وقالت فرقة)** منهم: **(لا تسقط الوسوسة ولا أثرُها أيضًا، ولكن تسقط غلبتُه للقلب)** أي لا يكون القلب مغلوبًا

---

(١) المغني للعراقي ٢/ ٧٢٧.

(٢) في المصباح المنير ص ١٨٣: «خنست الرجل خنسا: أخرته أو قبضته وزويته فانخنس، ويستعمل لازما أيضا فيقال: خنس هو، ومن المتعدي في لفظ الحديث، وخنس إبهامه: أي قبضها. ومن الثاني: الخناس، في صفة الشيطان؛ لأنه اسم فاعل للمبالغة؛ لأنه يخنس إذا سمع ذكر الله تعالى، أي ينقبض. ويعدى بالألف أيضا».

للأثر عند الذكر. وفي بعض النسخ: غلبتها. أي الوسوسة (**وكأنه يوسوس من بُعد وعلىٰ ضَعْف. وقالت فرقة**) منهم: (**ينعدم عند الذكر في لحظة**) أي حالَ الذكر ينعدم (**وينعدم الذكر بها في لحظة، ويتعاقبان**) علىٰ القلب (**في أزمنة متقاربة يُظَن لتقارُبها أنها متساوية، وهي كالكرة التي عليها نقط متفرقة، فإنها إذا أُديرت بسرعة رأيت النقط دوائر لسرعة تواصُلها بالحركة. واستدلَّ هؤلاء بأن الخنس قد ورد**) في الحديث بأنه عند الذكر يحصل له ذلك (**ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر**) في حال واحد (**ولا وجه له إلا هذا**) وإلىٰ هذا ذهب صاحب القوت، فإنه قال: وهذان المعنيان من ظهور الخير والشر والطاعة والمعصية، فلهذه الأسباب يوجدان في طرفة عين، فتصير أجزاء العبد جزءًا واحدًا، ومفصَّلاته تعود بالمراد منه فصلاً واحدًا كالبرقة في السرعة بتغليب القدرة علىٰ المشيئة إذا قال له «كن» فيكون (**وقالت فرقة**) منهم: إن (**الوسوسة والذكر يتساوقان في القلب علىٰ الدوام تساوُقًا لا ينقطع، وكما أن الإنسان قد يرىٰ في حالة واحدة بعينه شيئين مختلفين فكذلك القلب قد يكون مَجرىٰ لشيئين، وقد قال رسول الله ﷺ: ما من عبد إلا وله أربعة أعيُن: عينان في رأسه يبصر بهما أمر دنياه، وعينان في قلبه يبصر بهما أمر دينه**) قال العراقي[(١)]: رواه الديلمي في مسند الفردوس[(٢)] من حديث معاذ بلفظ «الآخرة» مكان «دينه»، وفيه الحسين [بن أحمد] بن محمد الهَرَوي الشَّمَّاخي الحافظ، كذَّبه الحاكم[(٣)]، والآفة منه.

قلت: ولفظ[(٤)] الديلمي: «ما من عبد إلا وفي وجهه عينان يبصر بهما أمر الدنيا ...» ثم ساق الحديث، وفي آخره: «فإذا أراد الله بعبد خيرًا فتح عينيه اللتين في

---

(١) المغني ٢/ ٧٢٨.

(٢) الفردوس بمأثور الخطاب ٤/ ١٤.

(٣) سؤالات السجزي للحاكم ص ٦٢ (ط - دار الغرب الإسلامي) وفيه: «كذاب، لا يُشتغل بالسؤال عنه».

(٤) كنز العمال ٢/ ٤٢.

قلبه فأبصر بهما [ما وعده بالغيب فآمن الغيب على الغيب] وإذا أراد به غير ذلك تركه على ما فيه». ثم قرأ: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤].

(وإلى هذا ذهب) الحارث بن أسد (**المحاسبي**) رحمه الله تعالى وأشار إليه في «الرعاية» (**والصحيح عندنا**) في هذا (**أن كل هذه المذاهب صحيحة**) ولها وجوه ومخارج (**ولكن كلها قاصرة عن الإحاطة بأصناف الوسواس، وإنما نظر كل واحد منهم إلى صنف واحد من الوسواس فأخبر عنه.**

والوسواس أصناف:

الأول: أن يكون من جهة التلبيس بالحق، فإن الشيطان قد يلبِّس الحقَّ) ويغطيه (**فيقول للإنسان: لا تترك التنعُّم**) في الدنيا (**واللذات**) بمتاعها. وفي بعض النسخ: التنعُّم باللذَّات (**فإن العمر طويل**) والأجل المحتوم بعيد (**والصبر عن الشهوات طول العمر ألمُه عظيم**) وإذا وسوس له بذلك (**فعند هذا إذا ذكر العبد عظيم حق الله وعظيم عقابه وثوابه وقال: الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار أشد منه ولا بد من أحدهما، فإذا ذكر العبد وعد الله ووعيده وجدَّد إيمانه ويقينه خنس الشيطان وهرب**) وتأخر وانقبض (**إذ لا يستطيع أن يقول: ليست النار أشد من الصبر عن المعاصي. ولا يمكنه أن يقول: المعصية لا تفضي إلى النار. فإن إيمانه بكتاب الله يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه، وكذلك يوسوس إليه بالعُجْب بعمله فيقول: أيُّ عبد يعرف الله كما تعرفه ويعبد الله كما تعبده، فما أعظم مكانك عند الله! فيتذكَّر العبد حينئذٍ أن معرفته**) وقدرته (**وقلبه وأعضاءه التي بها علمه وعمله كل ذلك من خلق الله، فمن أين يُعجَب به؟ فيخنس الشيطان**) ويتأخر (**إذ لا يمكنه أن يقول: ليس هذا من الله؛ لأن المعرفة والإيمان**) كلٌّ منهما (**يدفعه، فهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين**) بالله (**المستبصرين بنور الإيمان والمعرفة**) فهذا وجه من قال إنه ينقطع بالكلية.

(الصنف الثاني: أن يكون وسواسه بتحريك الشهوة وتهيُّجها) وإثارتها (وهذا ينقسم إلىٰ ما يعلم العبد يقينًا أنه معصية وإلىٰ ما يظنه بغالب الظن، فإنْ علمه يقينًا خنس الشيطانُ عن تهييج يؤثِّر في تحريك الشهوة، ولم يخنس عن) أصل (التهييج، وإن كان مظنونًا فربما يبقىٰ مؤثِّرًا بحيث يحتاج إلىٰ مجاهدة) ومعالجة شديدة (في دفعه، فتكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة) وهذا وجه مَن مال إلىٰ قول الفرقة الثانية.

(الصنف الثالث: أن تكون وسوسة بمجرد الخواطر وتذكُّر الأحوال الغالبة والتفكُّر في غير الصلاة مثلاً، فإذا أقبل علىٰ الذكر تُصُوِّر أن يندفع ساعةً ويعود) مرة أخرىٰ (فيندفع ويعود، فيتعاقب الذكر والوسوسة) معًا علىٰ القلب (ويُتصور أن يتساوقا جميعًا حتىٰ يكون الفهم مشتملاً علىٰ فهم معنىٰ القراءة وعلىٰ تلك الخواطر كأنهما في موضعين من القلب، وبعيد جدًّا أن يندفع هذا الجنس بالكلية بحيث لا يخطر، ولكنه ليس محالاً؛ إذ قال ﷺ: من صلىٰ ركعتين لم يحدِّث فيهما نفسه بشيء من أمر الدنيا غُفر له ما تقدم من ذنبه) تقدم في كتاب الصلاة (فلولا أنه متصوَّر لَما ذكره، إلا أنه لا يُتصور ذلك إلا في قلب استولىٰ عليه الحب حتىٰ صار كالمستهتر) المغلوب علىٰ عقله (فإنَّا قد نرىٰ المستوعَب القلب بعدوٍّ تأذَّىٰ به قد يتفكَّر بمقدار ركعتين وركعات في مجادلة عدوِّه بحيث لا يخطر بباله غير حديث عدوه، وكذلك المستغرق في الحب قد يتفكَّر في محادثة محبوبه بقلبه ويغوص في فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوبه) لاستغراقه فيه (ولو كلَّمه غيره لم يسمع) أي لم يُعْرِ له سمعًا (ولو اجتاز) أي مرَّ (واحد بين يديه لكان) في حال (كأنه لا يراه، وإذا تُصُوِّر هذا من خوف من عدو وعند الحرص علىٰ جاه ومال فكيف لا يُتصور من خوف النار والحرص علىٰ الجنة؟! ولكن ذلك عزيز) قليل الوجود (لضعف الإيمان بالله واليوم الآخر.

وإذا تأمَّلتَ جملة هذه الأقسام وأصناف الوساوس علمتَ أن لكل مذهب من

المذاهب) للفِرَق المتقدمة (وجهًا) وجيهًا (ولكن في محل مخصوص. وبالجملة، فالخلاص من الشيطان في لحظة) واحدة (أو ساعة) واحدة (غير بعيد، ولكن الخلاص منه عمرًا طويلاً) وزمانًا مديدًا (بعيد جدًّا أو مُحال في الوجود) لا يكاد يتيسَّر (ولو تخلَّص أحد من وساوس الشيطان بالخواطر وتهييج الرغبة لتخلَّص رسولُ الله ﷺ، فقد رُوي أنه ﷺ نظر إلىٰ عَلَم ثوبه في الصلاة، فلما سلَّم رمىٰ بذلك الثوب وقال: شغلني عن الصلاة. وقال: اذهبوا به إلىٰ أبي جَهْم وائتوني بأنبجانية) تقدَّم في كتاب الصلاة (وكان ﷺ في يده خاتم من ذهب، فنظر إليه وهو علىٰ المنبر، فرماه وقال: نظرة إليه ونظرة إليكم) رواه النسائي من حديث ابن عباس، وقد تقدم أيضًا في الصلاة (وكان ذلك لوسوسة الشيطان بتحريك لذَّة النظر إلىٰ خاتم الذهب وطراز الثوب، وكان ذلك قبل تحريم الذهب، فلذلك لبسه ثم رماه) وهو بإجماع العلماء من السلف والخلف، إلا ما كان من ابن حزم الظاهري فإنه جوَّز لبس خاتم الذهب للرجال[1]، وهو ضعيف لمخالفته النصوص (فلا تنقطع وسوسة عُروض الدنيا ونقدها إلا بالرمي والمفارقة) فيكون سببًا للخلوص والإخلاص (فما دام يملك شيئًا وراء حاجته ولو دينارًا واحدًا فلا يخلِّيه الشيطان في صلاته عن الوسوسة في الفكر في ديناره وأنه كيف يحفظه، وفي ماذا ينفقه، وكيف يخفيه حتىٰ لا يعلم به أحد، أو كيف يُظهِره حتىٰ يتباهَىٰ به) بين أقرانه (إلىٰ غير ذلك من الوساوس) وهذا أصعب ما يكون (فمَن أنشب مخالبه في الدنيا) ورتع فيها (وطمع في أن يتخلص من الشيطان كان) مثله (كمَن انغمس في العسل) في الصيف (وظن أن الذباب لا يقع عليه، وهو مُحال، فالدنيا باب عظيم لوساوس الشيطان، وليس له باب واحد) حتىٰ يحترز عنه (بل أبواب كثيرة) وبعضها أصعب من بعض (قال حكيم من الحكماء) العارفين: (الشيطان يأتي ابنَ آدم من قِبَل المعاصي، فإن امتنع) منها (أتاه من وجه

---

(١) المحلىٰ ٦/ ٧٧. واحتج علىٰ ذلك بما في التاريخ الكبير للبخاري ٧/ ٣٥١ عن مصعب بن سعد الزهري قال: رأيت علىٰ طلحة وسعد وصهيب خواتم من ذهب.

النصيحة حتىٰ يلقيه في بدعة) ويحسِّن له إيَّاها **(فإن أبىٰ أمره بالتحرُّج والشدة حتىٰ يحرِّم ما ليس بحرام، فإن أبىٰ)** من ذلك **(شكَّكه في وضوئه وصلاته حتىٰ يخرجه عن العلم، فإن أبىٰ خفَّف عليه أعمال البِر حتىٰ يراه الناس صابرًا عفيفًا فتميل قلوبهم إليه فيُعجَب بنفسه، وبه يهلكه، وعنده يشتد لجاجه، فإنها آخر درجة، ويعلم أنه لو جاوزها أفلت منه إلىٰ الجنة)** فآخر أعماله إذا عجز عن ابن آدم إيقاعه في العُجْب. وهو سوس الأعمال، وبه يتم الهلاكُ، فإن سلم منه نجا بعمله، أعاذنا الله منه. وقد يُستأنَس لهذا القول بما مر آنفًا من الحديث: «إن الشيطان قعد لابن آدم بطرقه، فقعد له بطريق الإسلام ...» الخ، فراجعْه.

بيان سرعة تقلُّب القلب وانقسام القلوب في التغيُّر والثبات

(اعلمْ أن القلب - كما ذكرناه - تكتنفه الصفات التي ذكرناها، وتنصبُّ إليه الآثار والأحوال) المختلفة (من الأبواب التي وصفناها، فكأنه هدف يُصاب علىٰ الدوام من كل جانب، فإذا أصابه شيء يتأثَّر به أصابه من جانب آخر ما يضادُّه فتغيَّر وصفُه، فإن نزل الشيطان به فدعاه إلىٰ الهوىٰ نزل المَلَك به وصرفه عنه، وإن جذبه شيطان إلىٰ شر جذبه شيطان آخر إلىٰ غيره، وإن جذبه ملكٌ إلىٰ خير جذبه آخر إلىٰ غيره، فتارةً يكون متنازَعًا بين ملكين، وتارة بين شيطانين، وتارة بين ملك وشيطان، ولا يكون قط مهمَلاً) فالخواطر الواردة علىٰ القلب أربعة: خاطر مَلكي وخاطر شيطاني، وهما الأصلان المفهومان من حديث اللَّمَّتين المتقدم ذِكره قريبًا، وخاطر روحي وخاطر نفسي، وهما الفرعان. وفي كلام بعضهم أن حركة النفس والروح هما الموجِبتان للمتين. والصحيح أن اللمتين تتقدَّمان علىٰ حركة الروح والنفس، فحركة الروح من لمة الملك، والهمَّة العالية من حركة الروح، وهذه الحركة من الروح ببركة لمة الملك، وحركة النفس من لمة الشيطان، ومن حركة النفسِ الهمةُ الدنيئة، وهي من شؤم لمة الشيطان، فإذا وردت اللمتان ظهرت الحركتان، وظهر سرُّ العطاء والابتلاء من مُعْطٍ كريم ومُبْتَلٍ حكيم. وقد تكون هاتان اللمتان متداركتين وينمحي أثرُ إحداهما بالأخرىٰ، كما تقدم بيانه قريبًا، والمتفطِّن المتيقِّظ ينفتح عليه بمطالعة وجود هذه الآثار في ذاته بابُ أنس، ويبقىٰ أبدًا متفقِّدًا حاله، مطالعًا آثار اللمتين. وذكروا خاطرين آخرين: خاطر العقل وخاطر اليقين، فخاطر العقل متوسط بين الخواطر الأربعة، يكون مع النفس والعدو؛ لوجود التمييز وإثبات الحُجة علىٰ العبد؛ ليدخل العبد في الشيء بوجود عقلي؛ إذ لو فُقد العقل سقط العتاب والعقاب، وقد يكون مع الملك والروح ليوقع الفعل مختارًا ويستوجب به

الثوابَ، وقد تقدمت الإشارة إلىٰ أنه ليس من العقل خاطر علىٰ الاستقلال وإنما أصله تارة من خاطر الملك، وتارة من خاطر النفس. وأما خاطر اليقين فهو روح الإيمان ومزيد العلم(١)، وحاصله راجع إلىٰ ما يَرِدُ من [خاطر] الحق سبحانه.

وقال صاحب القوت: جُمَل الخواطر ستة هي حدود القلب وقوادحه، من ورائها خزائن الغيب وملكوت القدرة، وهي جنود الله تعالىٰ [عتيدة] والقلب خزانة من خزائن الملكوت، وقد أودعه مقلِّبُه من لطائف الرغبوت والرهبوت، وشعشع فيه من أنوار العظمة والجبروت. فأول التفصيل: خاطر النفس وخاطر العدو، وهذان لا يعدمهما عمومُ المؤمنين، وهما مذمومان، محكوم لهما بالسوء، لا يَرِدان إلا بالهوىٰ وضد العلم. وخاطر الروح وخاطر المَلَك، وهذان لا يعدمهما خصوصُ المؤمنين، وهما محمودان، لا يَرِدان إلا بحق وبما دلَّ عليه العلم. وخاطر العقل متوسط بين هذه الأربعة، يصلُح للمذمومين، فيكون حُجة علىٰ العبد لمكان تمييز العقل وتقسيم المعقول، ويصلُح أيضًا أن يكون للممدوحين، فيكون شاهدًا للملَك ومؤيِّدًا لخاطر الروح. والخاطر السادس هو خاطر اليقين، وهو روح الإيمان ومزيد العلم، يَرِدان إليه ويصدران عنه، وهذا الخاطر مخصوص بخصوص لا يجده إلا الموقنون وهم الشهداء والصِّدِّيقون، لا يَرِدُ إلا بحق وإن خفي ورودُه ودقَّ، ولا يقدح إلا بعلم اختيار لمراد مختار وإن لطُفت أدلتُه وبطنَ وجهُ الاستدلال به، ولكن ليس يخفَىٰ هذا الخاطر علىٰ مقصود به ومراد له، وهم الذين وصفهم الله تعالىٰ بالذكرىٰ فقال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧] أي مَن تولَّىٰ الله تعالىٰ حِفظ قلبه. وسائر ما ذكرناه من الخواطر لا يعدمه المؤمنون، والقلب خزانة الله تعالىٰ من خزائن الغيب، وهذه المعاني جنود الله تعالىٰ مقيمة حول القلب، يُخفِي منها ما يشاء، ويُظهِر ويبدي منها ما يريد، ويعيد ويبسط القلبَ بما يشاء منها، ويقبضه فيما يشاء عنها.

---

(١) في المطبوعة: (ومزيد اليقين) والمثبت من العوارف.

ثم قال: وقد أجمل اللهُ تعالىٰ ذِكر تقليب الكون بمشيئته في قوله: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ [النور: ٤٤] المعنىٰ: بما فيهما؛ لأنهما ظرفان للأشياء، فعبَّر عنهما، فهما كقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣] والمعنىٰ: مكركم في الليل والنهار، فعبَّر بهما عن مكرهم؛ لأنهما مكانان لمكرهم.

(**وإليه الإشارة بقوله تعالىٰ**: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ [الأنعام: ١١٠].

ولاطِّلاع رسول الله ﷺ علىٰ عظيم صنع الله في عجائب القلب وتقلُّبه) لـمَّا رأىٰ من سرعة نفاذ القدرة بالمراد في المقلَّبات مما لم يشهده سواه (**كان يحلف به فيقول: لا ومقلِّب القلوب**) رواه البخاري[١] من حديث ابن عمر.

(**وكان كثيرًا ما يقول**) في دعائه: (**يا مقلِّب القلوب ثبِّتْ قلبي علىٰ دينك. قالوا: وتخاف يا رسول الله؟ قال: وما يؤمِّنني والقلب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلِّبه كيف شاء**) قال العراقي[٢]: رواه الترمذي[٣] من حديث أنس وحسَّنه، والحاكم[٤] من حديث جابر وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم. ولمسلم[٥] من حديث عبد الله بن عمرو: «اللهم مصرِّفَ القلوب صرِّفْ قلوبنا علىٰ طاعتك» (**وفي لفظ**) حديث (**آخر: إن شاء أن يقيمه أقامه، وإن شاء أن يزيغه أزاغه**) قال العراقي: رواه النسائي في الكبير[٦] وابن ماجه[٧] والحاكم[٨] وصحَّحه علىٰ شرط الشيخين من حديث النَّوَّاس بن سمعان: «ما من قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن،

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ٢١٣، ٢١٥، ٣٨٢.

(٢) المغني ٢/ ٧٢٩.

(٣) سنن الترمذي ٤/ ١٩.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٣٤٥ - ٣٤٦.

(٥) صحيح مسلم ٢/ ١٢٢٥.

(٦) السنن الكبرىٰ ٧/ ١٥٦.

(٧) سنن ابن ماجه ١/ ١٩٧.

(٨) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٣٤٦.

إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه». وللنسائي في الكبير[١] بإسناد جيد من حديث عائشة نحوه.

قلت: لفظ حديث النواس عند الجماعة: «ما من قلب إلا وهو معلَّق بين أصبعين ...» والباقي سواء، وفي آخره: «والميزان بيد الرحمن، يرفع أقوامًا ويخفض آخرين إلىٰ يوم القيامة». وكذلك رواه أحمد[٢] والطبراني في الكبير[٣].

وأما لفظ حديث عائشة: «ما من قلب إلا [وهو] بين إصبعين من أصابع الرحمن: إن شاء أن يقيمه أقامه، وإن شاء أن يزيغه أزاغه». كذلك رواه ابن عساكر[٤] وابن النجار في تاريخيهما.

(وضرب له) رسول الله (ﷺ **ثلاثة أمثلة، فقال: مثل القلب مثل العصفور يتقلَّب في كل ساعة**) قال العراقي[٥]: رواه الحاكم في المستدرك[٦] وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم، والبيهقي في الشعب[٧] من حديث أبي عبيدة عامر بن الجرَّاح.

قلت: وكذلك رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص، ولفظهم: «إن قلب ابن آدم مثل العصفور يتقلَّب في اليوم سبع مرات».

قال العراقي: ورواه البغوي في معجمه من حديث أبي عبيدة غير منسوب، وقال: لا أدري له صحبة أم لا.

(**وقال ﷺ: مثل القلب في تقلُّبه كالقِدر إذا استجمعت غليانًا**) ولفظ القوت:

---

(١) السنن الكبرىٰ ٧/ ١٥٦.

(٢) مسند أحمد ٢٩/ ١٧٨.

(٣) ورواه أيضا في مسند الشاميين ١/ ٣٣١، ٦/ ١٠٧. وفي الدعاء ص ١٣٩١.

(٤) تاريخ دمشق ٢٦/ ٢٦٩.

(٥) المغني ٢/ ٧٢٩.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٤٩، ٤٧٤.

(٧) شعب الإيمان ٢/ ٢٠٨.

إذا استجمعت في غليانها. وتقدَّم للمصنف قريبًا بلفظ: «قلب المؤمن أشد تقلُّبًا من القِدر في غليانها». وقال العراقي[1]: رواه أحمد والحاكم - وقال: صحيح علىٰ شرط البخاري - من حديث المقداد بن الأسود.

قلت: ولفظهما: «لَقلبُ ابن آدم أشدُّ انقلابًا من القِدر إذا استجمعتْ غليانًا».

(وقال) ﷺ: (مَثل القلب كمثل ريشة بأرض فلاة تقلِّبها الرياح ظهرًا لبطن) قال العراقي[2]: رواه الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب[3] من حديث أبي موسىٰ الأشعري بإسناد حسن، وللبزار[4] نحوه من حديث أنس بسند ضعيف.

قلت: لفظ حديث أبي موسىٰ عند الطبراني: «مَثل هذا القلب مثل ريشة بفلاة من الأرض ...» والباقي سواء. ولفظه عند البيهقي: «مَثل القلب كمثل ريشة ...» والباقي كسياق المصنف، وكذلك رواه ابن النجار في التاريخ. ورواه ابن ماجه[5] بلفظ: «مَثل القلب مثل الريشة تقلِّبها الرياح بفَلاة».

وأما لفظ حديث أنس عند البزار: «مثل المؤمن كريشة بفلاة تقلِّبها الرياح مرة وتفيئها أخرىٰ».

وهذه الأمثلة الثلاثة أوردها صاحب القوت، ثم قال: فالقلب مكان للتقليب بما فيه من خزائن الغيب، كالليل والنهار مكانان للأحكام بالتصريف من اختلاف الأزمان في الأوقات، والإيمان بتقليب القلوب وبأنَّ المقلِّب سبحانه يحول بين القلب وصاحبه واجبٌ، والكون بأسره عند الموحِّدين في القدرة بالتقليب كمثل ريشة في ريح عاصف تقلِّبه القدرة علىٰ مشيئة القادر تعالىٰ، وليس في القدرة ترتيب

---

(١) المغني ٢/ ٧٢٩.

(٢) السابق ٢/ ٧٣٠.

(٣) شعب الإيمان ٢/ ٢٠٧.

(٤) مسند البزار ١٤/ ٦٠.

(٥) سنن ابن ماجه ١/ ١٠٩.

ولا مسافة ولا بُعد، ولا يحتاج إلىٰ زمان ولا مكان، فما ظهر من المُلك وثبت للعيون بمكان وزمان فلأجل الحكمة والصنع والإتقان، وما خفي من الملكوت وتقلَّب ببصائر القلوب فبلطف القدرة وقهر السلطان، ونصيب كل عبد من مشاهدة القدرة بقدْر نصيبه من التوحيد [ونصيبه من التوحيد] حسب قسمِه من اليقين.

(**وهذه التقليبات وعجيب صنع الله في تقليبها من حيث لا تهتدي إليه المعرفة لا يعرفها إلا المراقبون لقلوبهم والمُراعون لأحوالهم مع الله تعالىٰ، والقلوب في الثبات علىٰ الخير والشر والترديد بينهما ثلاثة**) أحدها: (**قلب عُمِّر بالتقوىٰ، وزُكِّي بالرياضة، وطُهِّر عن خبائث الأخلاق**) والترتيب في هذا المقام غير مُراعىٰ، فإن التطهير عن الخبائث هو أول ما يكون، ثم التزكية بالرياضة ثانيًا، فالذي ينتج عنهما عمارةُ القلب بالتقوىٰ، فهو آخر المراتب، جعله أولاً، أو يكون المراد بعمارته بالتقوىٰ: الاتِّقاء من الشرك المضادِّ للتوحيد، ثم التزكية بالرياضة هي أعمال الجوارح، ثم التطهير عن الخبائث هو انشراحه بنور اليقين حسبما قُسم له (**تنقدح فيه خواطر الخير**) وهي التي تَرِدُ من الله تعالىٰ بواسطة الملائكة (**من خزائن الغيب ومداخل الملكوت**) الأعلىٰ (**فينصرف العقل إلىٰ التفكُّر فيما خطر له ليعرف دقائق الخير فيه ويطَّلع علىٰ أسرار فوائده فينكشف له بنور البصيرة وجهُه**) ويتبيَّن له أمرُه (**فيحكم بأنه لا بد من فعله فيستحثُّه عليه ويدعوه إلىٰ العمل به**) وهذا القلب هو المتطلِّع إلىٰ الروح العلوي، الميَّال إليه، وهو القلب المؤيَّد الذي ورد فيه أنه أجرد فيه سراج يزهر (**وينظر الملَك إلىٰ**) هذا (**القلب فيجده طيبًا في جوهره**) أي في تكوُّنه في أصل خلقته عند سكون الروح إلىٰ النفس (**طاهرًا بتقواه، مستنيرًا بضياء العقل، معمورًا بأنواع المعرفة**) مغمورًا بأنوار اليقين (**فيراه صالحًا لأن يكون مستقَرًّا له ومهبطًا**) لتنزُّلاته (**فعند ذلك يمدُّه بجنود**) معنوية (**لا تُرىٰ، ويهديه إلىٰ خيرات أخرىٰ**) تتراءىٰ (**حتىٰ ينجرَّ الخيرُ إلىٰ الخير و**) هلم جرًّا (**كذلك علىٰ الدوام، ولا يتناهَىٰ إمدادُه بالترغيب في الخير**) في كل لحظة (**وبتيسير الأمر عليه**) في كل حركة

وسكون. ولفظ القوت: وإن أراد الله تعالىٰ إظهارَ خير وإلهام تقوىٰ من خزائن الملكوت حرك الروح بخفيِّ اللطف فتحرك بأمره تعالىٰ فقدح من جوهرها نورًا ساطعًا في القلب فظهرت همَّة عالية، وهمة الخير تَرِدُ بأحد ثلاثة معانٍ لا تُحصَىٰ فروعها؛ لأن همة كل عبد في الخير مبلغ علمه ومنتهَىٰ مقامه، فأحد الأصول مسارعة إلىٰ أمر بفرض أو ندب لفضل يكون عن عمل حال العبد أو علم يكون مَظَنَّة له أُظهِر عليه من مكاشفة غيب من مُلْك أو ملكوت. والمعنىٰ الثالث: تحمُّل مباح من تصرُّف فيما يعني مما يعود صلاحه عليه، أو استراحة للنفس بما أبيحَ له يكون نفعُه لغيره، أو ترويحات من الأفكار القلبية تكون حملاً لكَرْبه وتخفيفًا لثقله، فهذه مرافق للعبد، وفي كلها رضاه تعالىٰ، فإمضاؤها أفضل للعبد، وبعضها أفضل من بعض، فإذا أراد الله إظهار خير من خزانة الروح حرَّكها فسطعت نورًا في القلب فأثَّرت، فينظر الملَك إلىٰ القلب فيرىٰ ما أحدث اللهُ فيه فيظهر مكانه فيتمكَّن، والملك مجبول علىٰ الهداية، مطبوع علىٰ حب الطاعة، فيلقي الإلهامَ وهو خطوره علىٰ القلب بقدح خواطره، فيأمر بتنفيذ ذلك ويحسِّنه له ويحثُّه عليه، وهذا هو إلهام التقوىٰ والرشد، وينظر الملك إلىٰ اليقين فيشهد اليقينُ للملك بذلك فيطمئن العقلُ ويسكن إلىٰ شهادة اليقين فيصير مع الملك، فينشرح الصدر لطمأنينة العقل، فتظهر أدلة العلم لانشراح الصدر، فيقوَىٰ سلطانُ اليقين لصفاء الإيمان، وتندرج ظلمة الهوىٰ في أنوار اليقين، وتنطفئ شعلة الشهوة لظهور نور الإيمان [ويزيِّن الإيمان] بزينة الحياء فتضعف صفاتُ النفس لسقوط الشهوة، ويقوَىٰ القلبُ لضعف النفس، ويزيد الإيمان بقوة اليقين وظهور أدلَّة العلم، فتغلب الهدايةُ لمزيد الإيمان وسعة الحياء فتظهر الطاعة لغلبة الحق ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف: ٢١] (**وإليه الإشارة بقوله تعالىٰ:** ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴿٧﴾﴾) [الليل: ٥ - ٧] فالإعطاء إشارة إلىٰ تزكية العمل، والاتِّقاء هو عمارة القلب بالتقوىٰ، والتصديق بالحسنىٰ هو التطهُّر عما يضادُّ الأخلاقَ المحمودة (**وفي مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مِشكاة**

الربوبية) فالقلب بمنزلة القنديل، وعلىٰ قدْر رقَّته ولطف جوهره وصفائه عن كدره وحسن طهارته عن الأكدار تكون العلوم الحسنة فيه والأنوار، وجوهر الزجاجة يحتاج إلىٰ صفاء الماء، كما أن صفاء الماء يحتاج إلىٰ صفاء الجوهر، وبمعيارهما يكون القلب والعقل، ووقود النار يحتاج إلىٰ قوة الفتيلة، فبموضعها في القوة يكون العلم بالله تعالىٰ واليقين **(حتىٰ لا يخفَىٰ فيه الشرك الخفيُّ الذي هو أخفَىٰ من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء)** روىٰ الحكيم الترمذي في النوادر[١] من حديث ابن عباس: «الشرك فيكم أخفَىٰ من دبيب النمل علىٰ الصفا». وروىٰ الحاكم وأبو نعيم في الحلية[٢]: «الشرك أخفَىٰ في أمَّتي من دبيب النمل علىٰ الصفا في الليلة الظلماء ...» الحديث. قال صاحب القوت: وهذا لا يعدمه المؤمنون إلا الصِّدِّيقين **(فلا تخفَىٰ علىٰ هذا النور خافيةٌ)** بل تنكشف له حقائق الأشياء **(ولا يروج عليه شيء من مكائد الشيطان، بل يقف الشيطان)** من بعيد **(ويوحي زخرف القول غرورًا فلا يلتفت إليه)** وليس عليه سبيل **(وهذا القلب بعد طهارته من)** الصفات **(المهلكات)** وأعظمها الجهل والطمع وحب الدنيا **(يصير علىٰ القرب معمورًا بالمنجيات التي سنذكرها)** بعدُ **(من الصبر والشكر والخوف والرجاء والفقر والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكُّر والمحاسبة وغير ذلك)** مما سيأتي ذِكره في الربع الأخير **(وهو القلب الذي أقبل الله عليه بوجهه)** فسلبه عن أن يكون فيه مستكَن لغيره **(وهو القلب المطمئن المراد بقول الله تعالىٰ: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾)** [الرعد: ٢٨] أي تسكن لجلال تجلِّياته وتنشرح، وهو المراد من حديث حذيفة: «إن قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر» في تقسيمه القلوب، علىٰ ما تقدم **(و)** المراد **(بقوله: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ﴾)** [الفجر: ٢٧ - ٢٨] وهذا مخرَّج علىٰ أن القلب يتكوَّن من سكون النفس إلىٰ النفس، كما تقدم.

---

(١) نوادر الأصول ص ١١٩٤.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٣٤٨. حلية الأولياء ٨/ ٣٦٨، ٩/ ٢٥٣ من حديث عائشة.

(القلب الثاني: القلب المخذول) الموصوف بالخذلان المضادِّ للتوفيق (المشحون بالهوىٰ، المدنَّس بالخبائث، الملوَّث بالأخلاق الذميمة) مثل الجهل والطمع وحب الدنيا وغيرها (المفتَّحة فيه أبواب الشياطين، المسدودة عنه أبواب الملائكة. ومبدأ الشر فيه أن ينقدح فيه خاطرٌ من الهوىٰ ويهجس فيه) وكل قلب اجتمع فيه ثلاثة معانٍ لم تفارقه خواطرُ الهوىٰ وهي الجهل والطمع وحب الدنيا، ثم يضعف خاطرُ الهوىٰ ويقوَىٰ علىٰ قدر ضعف هذه الثلاثة وقوتها، ويظهر خاطر الهوىٰ في القلب [ويخفَىٰ] علىٰ قدر تمكُّن هذه الثلاثة من النفس وخفائها (فينظر القلب إلىٰ حاكم العقل ليستفتي منه) إذا ردَّ إليه الفتوىٰ بإذن الشارع (ويستكشف وجه الصواب فيه، فيكون العقل قد أَلِفَ خدمةَ الهوىٰ وأنسَ به واستمر علىٰ استنباط الحِيَل له في موافقة الهوىٰ ومساعدته، فتسوِّل النفس) وتزيِّن (وتساعد عليه) وذلك لأن بين القلب والنفس مناغاة ومحادثات وتودُّدًا وتآلفًا، فيكون أُنسه بالهوىٰ إنما هو بتسويل النفس له من قول أو فعل، فيواقعها أحيانًا، فتروم عليه النفس من نواحيه وتحسِّن له تلك الموافقةَ (فينشرح الصدر بالهوىٰ وتنبسط فيه ظلماته لانخناس جند العقل) أي تأخُّره (عن مدافعته، فيقوَىٰ سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوىٰ) في جوانبه (فيُقبِل عليه) حينئذٍ عن قرب (بالتزين والغرور والأماني) الكاذبة ويخدعه بها (ويوحي بذلك زخرفًا من القول وغرورًا، فيَضعف سلطان الإيمان بالوعد والوعيد، ويخبو نور اليقين بخوف الآخرة؛ إذ يتصاعد من الهوىٰ) عند التمكُّن (دخان مظلم إلىٰ القلب يملأ جوانبه) فيحجب البصيرة (حتىٰ تنطفئ أنواره، فيصير العقل) فيه (كالعين التي ملأ الدخان أجفانها فلا تقدر علىٰ أن تنظر) إلىٰ شيء (وهكذا تفعل غلبة الشهوة بالقلب) إذا استولت عليه أعمت بصيرته (حتىٰ لا يبقىٰ للقلب إمكان التوقُّف والاستبصار) في جليَّات الحقائق (ولو) فُرض أنه (بصَّره واعظٌ وأسمعَه ما هو الحق فيه) وأفهمَه بحسن تقريره (عمي عن الفهم، وصُمَّ عن السمع، وهاجت الشهوة فيه، وسطا الشيطانُ، وتحركت الجوارح علىٰ وفق الهوىٰ، وظهرت المعصية إلىٰ عالم الشهادة من خزائن الغيب بقضاء من الله

وقدر) ولفظ القوت: وإذا أراد الله بعبد هلكةً وكان قد حكم بوقوع الشر نظر القلب بعد الهمة بهوىٰ النفس إلىٰ العقل فراجع العقل النفس فسوَّلت وطوَّعت، فسكن العقل واطمأنَّ إلىٰ تسويل النفس وطوعها، فانشرح الصدر بالهوىٰ لسكون العقل، وانتشر الهوىٰ في القلب لشرح الصدر وتوسعته، فقوي سلطانُ العدو لاتساع مكانه وأقبل بتزيينه وغروره وأمانيه ووعده يوحي بذلك زخرفًا من القول وغرورًا، فضعُف سلطان الإيمان لقوة سلطان العدو، وخبا نور اليقين لآثار ظلمة الهوىٰ، فقويت صفاتُ النفس لضعف القلب، واشتعلت نيران الشهوة لخمود نور الإيمان، فغلب الهوىٰ لقوة الشهوة فأحرقت [الشهوة] العلم والإيمان، فارتفع الحياء، واستتر الإيمان بالشهوة، فظهرت المعصية لغلبة الهوىٰ وارتفاع الحياء (**وإلىٰ مثل هذا القلب الإشارة بقوله تعالىٰ**: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝٤٣ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝٤٤﴾ [الفرقان: ٤٣ - ٤٤] **وبقوله تعالىٰ**: ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧﴾ [يس: ٧] **وبقوله تعالىٰ**: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾) [البقرة: ٦] وهذا هو القلب المنكوس الذي ذُكر في حديث حذيفة عند تقسيم القلوب، وهو الميَّال إلىٰ النفس، وإليه الإشارة بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣] **(ورُب قلب هذا حاله بالإضافة إلىٰ بعض الشهوات كالذي يتورَّع عن بعض الأشياء ولكنه إذا رأىٰ وجهًا حسنًا لم يملك عينه وقلبه، وطاش عقلُه، وسقط إمساك قلبه. أو كالذي لا يملك نفسه فيما فيه الجاه والرياسة والكبر، ولا تبقىٰ معه مسكة للتثبُّت عند ظهور أسبابه. أو كالذي لا يملك نفسه عند الغضب مهما استُحقِر وذُكر عيب من عيوبه. أو كالذي لا يملك نفسه عند القدرة علىٰ أخذ درهم أو دينار، بل يتهالك عليه تهالُك الواله المستهتر فينسىٰ فيه المروءة والتقوىٰ، فكل ذلك لتصاعُد دخان الهوىٰ إلىٰ القلب حتىٰ يظلم وتنطفئ منه أنواره فينطفئ نور الحياء والمروءة والإيمان ويسعىٰ في تحصيل مراد الشيطان.**

القلب الثالث: قلب تبدو فيه خواطر الهوىٰ فتدعوه إلىٰ الشر، فيلحقه خاطرُ الإيمان فيدعوه إلىٰ الخير) وهذا هو القلب المتردد بينهما، وبحسب غلبة ميله يكون حكم السعادة والشقاوة، كما أشار إليه المصنف بقوله: (**فتنبعث النفس بشهوتها إلىٰ نصرة خاطر الشر، فتقوىٰ الشهوةُ وتحسِّن التمتعَ**) والتلذُّذ (**والتنعُّم، فينبعث العقل إلىٰ خاطر الخير، ويدفع في وجه الشهوة، ويقبِّح فعلها، وينسبها إلىٰ الجهل، ويشبِّهها بالبهيمة والسبع في تهجُّمها علىٰ الشر وقلة اكترائها بالعواقب**) وهذا هو معاتبة القلب للنفس حين تكدُّره منها فيما انطلقت فيه بهواها، وذلك يكون عند عَود العبد من مَواطِن مطالبات النفس والإقبال علىٰ الذكر والمراقبة (**فتميل النفس إلىٰ نصح العقل**) وتضعُف قوتُها، وهذا المَيل منها إليه بموجِب الألفة التي جعل الله بينهما أن كان تكوُّنه منها عند سكونها مع الروح (**فيحمل الشيطان حملةً علىٰ العقل ويقوِّي داعي الهوىٰ ويقول: ما هذا التحرُّج البارد**) والتكلُّف الذي لا معنىٰ له؟ (**ولِمَ تمتنع عن هواك فتؤذي نفسك؟ وهل ترىٰ أحدًا من أهل عصرك يخالف هواه أو يترك غرضه؟ أفتترك ملاذَّ الدنيا لهم يتمتعون بها وتحجر علىٰ نفسك حتىٰ تبقىٰ محرومًا شقيًّا متعوبًا يضحك عليك أهل الزمان؟ أتريد أن يزيد منصبك علىٰ فلان وفلان**)؟ ويسمِّيهم بأسمائهم (**وقد فعلوا مثل ما اشتهيتَ ولم يمتنعوا**) عن التمتع بالمَلاذِّ (**أما ترىٰ العالِم الفلاني ليس يحترز عن فعل ذلك؟ ولو كان ذلك شرًّا لامتنع عنه**) أتريد أن تكون أفضل منه؟ (**فتميل النفس إلىٰ الشيطان وتنقلب إليه**) بمقتضَىٰ جبلَّتها الأصلية، وتلقي نصح القلب إلىٰ ورائها (**فيحمل الملَك حملة علىٰ الشيطان ويقول: هل هلك إلا مَن اتَّبع لذَّة الحال**) في العاجل (**ونسي العاقبة؟ أفتقنع بلذة يسيرة**) قريبة الزوال (**وتترك لذة الجنة ونعيمها أبد الآباد**) لا تنقطع؟ (**أم تستثقل ألم الصبر عن شهوة**) زائلة، أي تعدُّه ثقيلاً عليك (**ولا تستثقل ألم النار**) التي مَن عُذِّب بها لم يُفلِح (**أتغترُّ بغفلة الناس عن أنفسهم واتِّباعهم هواهم ومساعدتهم الشيطان مع أن عذاب النار لا يخفُّ عنك بمعصية غيرك؟ أرأيت لو كنتَ في زمان صيف شديد الحر ووقف**

الناس كلُّهم في الشمس وكان لك بيت بارد) مظلَّل (أكنت مساعدًا للناس أو تطلب لنفسك الخلاص؟ فكيف تخالف الناس خوفًا من حر الشمس ولا تخالفهم خوفًا من حر النار؟ فعند ذلك تميل النفس إلىٰ قول الملك، فلا يزال متردِّدًا بين الجندين متجاذبًا بين الحزبين إلىٰ أن يغلب علىٰ القلب مَن هو أَولىٰ به، فإن كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية التي ذكرناها) من الجهل والطمع وحب الدنيا وغيرها (غلب الشيطانُ) وكانت تلك الصفات جندًا له ومداخل إلىٰ القلب (ومال القلب) بحكم الغلبة (إلىٰ جنسه من أحزاب الشياطين، معرضًا عن حزب الله تعالىٰ وأوليائه، ومساعدًا لحزب الشيطان وأعدائه، وجرىٰ) بسبب ذلك (علىٰ أعضائه بسابق) القضاء و(القدر ما هو سبب بُعده عن) حضرة (الله تعالىٰ. وإن كان الأغلب علىٰ القلب الصفات الملكية) التي تقدمت الإشارة إليها (لم يصغِ القلب إلىٰ إغواء الشيطان) أي لم يَمِلْ (وتحريضه إياه علىٰ العاجلة) أي الدنيا (وتهوينه أمر الآجلة) أي الآخرة (بل مال إلىٰ حزب الله تعالىٰ، وظهرت الطاعة بموجِب ما سبق من القضاء علىٰ جوارحه، و) قول رسول الله ﷺ: (قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن) كما تقدم ذِكرُه (أي بين تجاذُب هذين الحزبين) المفهوم من قوله في تفسيره: إن المراد به تحت قبضة قهره وقدرته (و) هذا (هو الغالب، أعني التقلُّب والانتقال من حزب إلىٰ حزب) حتىٰ بالغوا في ذلك وقالوا:

وما سُمِّي الإنسان إلا لأُنسه ... وما القلب إلا أنه يتقلَّب[١]

فالتقلُّب والانتقال من شأن القلب، هذا هو الأصل (أما الثبات علىٰ الدوام مع حزب الملائكة أو مع حزب الشياطين فنادر من الجانبين) قليل الوقوع. واعلمْ أن أعمال العِباد لا تخلو عن ثلاثة أنواع: فرض ونفل ومعصية، فالفرض بأمر الله تعالىٰ ومحبته ومشيئته، تجتمع هذه المعاني الثلاث في الفرائض. والنفل لا بأمر الله تعالىٰ لأنه لم يوجبه ولم يعاقب علىٰ تركه ولكن بمحبَّته تعالىٰ [ومشيئته]

(١) تقدم هذا البيت في كتاب الزكاة.

والمعصية بمشيئته، إلا أنه قد كرهها؛ إذ لم يأمر بها ولم يندب إليها، ولكن بمشيئته؛ إذ لا يخرج شيء عن إرادته، كما لا يخرج شيء عن علمه، والإرادة والمشيئة اسمان لمعنىٰ واحد، قد دخل كل شيء فيهما كما دخل كل شيء في العلم، قال تعالىٰ: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝﴾ [هود: ١٠٧، البروج: ١٦] فهو عالِم بما أراده [وقد سبق به علمُه] كذلك هو مريد لِما علمَه، أظهرت إرادتُه سابقَ علمه، وكشف علمه الغيب ظهور إرادته الشهادة، فالغيب علمُه، والشهادة معلومه، فكيف يخالف المعلومُ العلمَ وهو إجراء ما تنفذ إرادته سابق علمه في معلومات خلقه، وهذا فرض التوحيد، فخرجت النوافل عن الأمر، وخرجت المعاصي عن المحبة في تفصيل الأحكام، ولم تخرج معصية عن مشيئة. فإذا عرفتَ ذلك فاعلمْ أن (**هذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزائن الغيب إلىٰ عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب، فإنه من خزائن الملكوت، وهي أيضًا إذا ظهرت كانت علامات**) وأمارات (**تعرِّف أربابَ القلوب سابقَ القضاء، فمَن خُلق للجنة يُسِّرت له الطاعة وأسبابها، ومَن خُلق للنار يُسِّرت له أسباب المعصية وسُلِّط عليه أقران السوء وأُلقي في قلبه حكم الشيطان**) وإذا كانت الأشياء [عن علمه] بعلمه جاريات جعل تسليط العدو بسلطانه كشفًا وإظهارًا لِما أخفاه من سابق علمه كما جعل أفعال العباد الظاهرة كشفًا وإظهارًا لإرادته الباطنة، وورد في بعض الأخبار: «سبق العلم وجفَّ القلم وقُضي القضاء وتم القدَر بالسعادة من الله عَزَّوَجَلَّ لأهل طاعته وبالشقاء من الله تعالىٰ لأهل معصيته». كذا نقله صاحب القوت. وروىٰ الطبراني في الكبير[١] من حديث ابن عباس: «اعملوا، فكلٌّ ميسَّر لِما خُلق له» (**فإنه**) أي الشيطان (**بأنواع الحِكَم يغرُّ الحمقىٰ**) أي يوقعهم في الغرور (**كقوله: إن الله**) غفور (**رحيم، فلا تُبالِ**) بما صنعتَ (**فإن الناس كلَّهم ما يخافون الله، فلا تخالفهم. وأن العمر طويل**) والأجل بعيد (**فاصبر**) اليوم واعمل خلاصك فيه (**حتىٰ تتوب غدًا**) ولفظ القوت: والخاطر بعد

---

(١) المعجم الكبير ١١/ ١٨.

الهمَّة هو خطور العدوِّ علىٰ القلب [بالوسوسة] يزيِّن الهمة، ويملي للعبد ويرجيه، ويفسح له في أمله، ويمنِّيه التوبة، حتىٰ يهوِّن عليه المعصية، ويعده بعدها المغفرة، حتىٰ يجرِّئه علىٰ الخطيئة، وهذا هو الوعد بالغرور، وبعده الهلاك والثبور، كما قال تعالىٰ: (﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [النساء: ١٢٠] **يَعِدِهم أي بالتوبة، ويمنِّيهم أي بالمغفرة، فيهلكهم بإذن الله تعالىٰ بهذه الحِيَل وما يجري مَجراها، فيوسِّع قلبه لقبول الغرور، ويضيِّقه عن قبول الحقائق، وكل ذلك بقضاء الله وقدره)** ولفظ القوت: وهذا كله تصديق ظن العدو بالعبد، واتِّباع العبد له بالهوىٰ عن مقام البُعد، وكشفٌ لعلم الله تعالىٰ بإظهار الحُكم وإنفاذ المشيئة وهو الابتلاء بالأسباب، فصار العدو سببًا، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سبأ: ٢٠] ثم أحكمَ ذلك بسابق علمه، فقد قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ يعني بحوله وقوته ولا بقهره ومشيئته ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ﴾ [سبأ: ٢١] وهذه الأوصاف المذمومة للعبد مبتلًىٰ بها علىٰ تضادِّ تلك الصفات المحمودة التي هي من المنعم بها، ولكلٍّ وجهةٌ هو مولِّيها، ومكان الهوىٰ من القلب علىٰ قدْر تزيين العدو له وتسلُّطه عليه (﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾) بأن يقذف في قلبه النورَ فينشرح له الصدر (﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾) [الأنعام: ١٢٥] قيل[١]: معنىٰ ﴿يَشْرَحْ﴾ يوسِّع قلبَه للتوحيد والإيمان به. وقوله ﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ أي شاكًّا ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ أيْ كما أن ابن آدم لا يستطيع أن يبلغ السماء كذلك لا يقدر علىٰ أن يُدخِل التوحيدَ والإيمان قلبَه حتىٰ يُدخِله الله تعالىٰ في قلبه. كل ذلك رُوي عن ابن عباس، أخرجه عبد بن حميد[٢]. وقيل: ﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ أي ملتبسًا. رواه أبو الشيخ[٣]

---

(١) الدر المنثور ٦/ ١٩٨ - ١٩٩.

(٢) وكذلك ابن بطة في الإبانة الكبرىٰ ٣/ ٢٨٠.

(٣) وكذلك الطبري في جامع البيان ٩/ ٥٤٦.

عن قتادة. ويُروىٰ أن عمر بن الخطاب قرأ يومًا بين يدي أصحاب رسول الله ﷺ ﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ بفتح الراء، فقالوا: يا أمير المؤمنين «حَرِجًا» بكسر الراء[1]، فقال: ابغوني رجلًا من كِنانة[2]. فأتوه به، فقال له عمر: يا فتىٰ، ما الحَرِجة فيكم؟ قال: الحرجة فينا الشجرة تكون بين الأشجار التي لا تصل إليها راعية ولا وحشية ولا شيء. فقال له عمر: كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير. رواه عبد بن حميد وابن جرير[3] وابن المنذر (﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾) [آل عمران: ١٠٦] ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧] **(فهو الهادي والمضل، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد)** فإذا كان الهادي هو المضِل فمَن يهدي؟ وقد قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ [النحل: ٣٧] أي فإن الله تعالىٰ من شأنه أن أحدًا لا يهدي مَن أضله، ومن كان أضله الله تعالىٰ في سابق علمه فكيف يهديه الآن؟! فإذا كان المعطي هو المانع فمن يعطي؟! ولو كان الخير كلُّه في قلب عبد ما قدر أن يوصل إلىٰ قلبه من قلبه ذرةً، ولا قدر أن ينفع نفسه بنفسه خردلةً؛ لأن قلبه وإن كان جارحة فهو خزانته، وله فيه ما لا يعلم هو فهو لا يطَّلع علىٰ ما في قلبه فكيف به أن يملك ما فيه فيصرفه بما يحب؟! فإذا كان المالك عزيزًا وجبَّارا وكان كل شيء بيده لم يوصَل إلىٰ ما عنده بقوة ولا حيلة، فليس الطريق إليه إلا الصدق والإخلاص والذل والافتقار **(لا رادَّ لحكمه ولا معقِّب لقضائه، خلق الجنة وخلق لها أهلاً فاستعملهم بالطاعة)** ويسَّر لهم أسبابها **(وخلق النار وخلق لها أهلاً فاستعملهم بالمعاصي، وعرَّف الخلقَ علامة أهل النار و)** علامة **(أهل الجنة فقال:** ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤﴾ [الانفطار: ١٣ - ١٤] **ثم**

---

(١) الكسر قراءة نافع وشعبة عن عاصم، وقرأ الباقون بالفتح. النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢/ ٢٦٢.

(٢) بعده في الدر: واجعلوه راعيا، وليكن مدلجيا.

(٣) جامع البيان ٩/ ٥٤٤ - ٥٤٥.

قال تعالىٰ فيما يروي عنه نبيُّنا ﷺ: هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي) قال العراقي[1]: رواه أحمد[2] وابن حبان[3] من حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمي. وقال ابن عبد البر في الاستيعاب[4]: إنه مضطرب الإسناد.

قلت: وأخرج البزار[5] والطبراني[6] وابن عساكر[7] من حديث أبي الدرداء: «خلق الله آدم فضرب كتفه اليمنىٰ فأخرج ذرية بيضاء كأنهم اللبن، ثم ضرب كتفه اليسرىٰ فأخرج ذرِّية سوداء كأنهم الحُمَم، فقال للذين علىٰ يمينه: هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وقال للذين علىٰ يساره: هؤلاء في النار ولا أبالي».

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾) [المؤمنون: ١١٦] كل ذلك [إلهام وإلقاء] من خالق النفس ومسويِّها وجبار القلوب ومقلِّبها، حكمةً منه وعدلاً لمن شاء، ومِنَّة وفضلاً لمن أحب، كما قال تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي بالهداية والإضلال ﴿صِدْقًا﴾ لأوليائه ما وعدهم من الثواب ﴿وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥] علىٰ أعدائه ما أعدَّ لهم من العقاب، ثم قال تعالىٰ: (﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣].

ولنقتصر علىٰ هذا القدر اليسير من ذكر عجائب القلب، فإن استقصاءه لا يليق بعلم المعاملة، وإنما ذكرنا منه ما يُحتاج إليه لمعرفة أغوار علوم المعاملة وأسرارها لينتفع بها من لا يقنع بالظواهر) بل يتطلَّع إلىٰ ما وراءها من الأسرار (ولا

---

(١) المغني ٢/ ٧٣٠.
(٢) مسند أحمد ٢٩/ ٢٠٦.
(٣) صحيح ابن حبان ٢/ ٥٠.
(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١/ ٥١٢.
(٥) مسند البزار ١٠/ ٧٨.
(٦) مسند الشاميين ٣/ ٢٦١.
(٧) تاريخ دمشق ٧/ ٣٩٧، ٥٢/ ٣٦٦.

يجتزئ) أي لا يكتفي **(بالقشور عن اللباب، بل يتشوَّق إلىٰ معرفة دقائق حقائق الأسباب، وفيما ذكرناه كفاية له ومَقنع إن شاء الله تعالىٰ)** وهذا آخر كتاب عجائب القلب، وقد ألحقت به فصولاً مما يناسب ذكرُه في هذا الباب هي كالمتمِّمات له، وذلك مما اقتطفته من كتابَي قوت القلوب وعوارف المعارف وغيرهما مما تيسَّر لي الوقوف عليه، وقد أعزو ما نقلته عن غيرهما.

فصل: كون خاطر العقل تارةً مع النفس والعدوِّ وتارة مع الروح والمَلَك فيه حكمة من الله تعالىٰ لصنعته وإتقان لصنعه؛ ليدخل العبد في الخير والشر بوجودِ معقولٍ وصحةِ شهود وتمييز، فتكون عاقبة ذلك من الجزاء أو العقاب عائدًا له وعليه؛ إذ جعل سبحانه هذا الجسم مكانًا لجريان أحكامه ومحلاًّ لنفاذ مشيئته في مباني حكمته، كذلك جعل العقل مطيَّة للخير والشر يجري معهما في خزانة الجسم؛ إذ كان مكانًا للتكليف وموضعًا للتصريف وسببًا للتعريف العائد من معاني ذلك علىٰ صورة العبد من لذة نعيم أو عذاب أليم، فلم يكن العقل غائبًا، فيكون العبد عن العقل ذاهبًا، ولم تكن الشهوة عازبة فتكون النفس مفقودة؛ إذ في ذلك تضعيف لحُجة الله عليه ووهن لبرهانه؛ لأن العقل شاهد الحُجة، والشهوة في النفس [مكان البلوىٰ] والنية في القلب طريق الحجة، وذلك أصل [سبب] عَود جزاء الأمر والنهي، فالعقل مطبوع علىٰ التمييز، مجبول علىٰ التحسين والتقبيح، والنفس مجبولة علىٰ الشهوة، ومطبوعة علىٰ الأمر بالهوىٰ، وهذا نصيبهما من عطائه وهداه لهما إلىٰ رشاده وإغوائه، وحظهما من الكتاب، وقسمهما من وليِّ الأسباب، كما قال تعالىٰ في أحكام ما ذكرناه تكملةً لِما أخبرنا عمَّا سبق في علمه: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝﴾ [طه: ٥٠] وقال تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الأعراف: ٣٧] وقال تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝﴾ [الحج: ٤].

فصل: كل قلب اجتمع فيه ثلاثة معانٍ لم تفارقه خواطر اليقين ولكن

يضعُف الخاطرُ ويخفَىٰ لضعف المعاني ودقَّتها ويقوَىٰ اليقينُ ويظهر بقوتها؛ لأن هذه الثلاثة مكان اليقين، أحدها: الإيمان، وموضعه من اليقين [مكان] حجر النار. الثاني: العلم، ومكانه موضع الزناد. والثالث: العقل، وهو مكان الحراق. فإذا اجتمعت هذه الأسباب قدح خاطر اليقين في القلب. ومَثل القلب في قوته بقوة مدده وفي صفائه بجودة عدده مثل المصباح في القنديل، الماء مكان العقل منه، والزيت موضع العلم به وروح المصباح وبمدده يكون ظهور اليقين، والفتيلة مكان الإيمان منه وهي أصله وقوامه الذي يظهر بها، فعلىٰ قدر قوة الفتيلة وجودة جوهرها يقوَىٰ اليقينُ، وهو مثل الإيمان في قوته بالورع وكماله بالخوف، وعلىٰ مقدار صفاء الزيت ورقَّته واتساعه تضيء النار التي هي اليقين، وهو مثل العلم في مدده بالزهد وفقدِ الهوىٰ، فصار العلم مكانًا للتوحيد، فتمكُّنُ الموحِّد في التوحيد علىٰ قدْر المكان، فكلما اتسع القلب بالعلم بالله تعالىٰ وزهدَ في الدنيا ازداد إيمانًا وعلا، ثم يشهد كلَّ ما آمن به، فيكون بذلك يقينه[1] وسعة مشاهدته، وكلما قصر علمُ القلب بالله وبمعاني صفاته وأحكام ملكوته قلَّ إيمانه، ثم أشهدَ ما آمن به من وراء حجاب لمَّا غلب عليه من حب الأسباب، وسمع الكلام من خلف ستر؛ لعجزه عن المسارعة إلىٰ البر، فيضعُف بذلك إيمانه وتختلُّ مشاهدته ولا يتحقق.

فصل: كل قلب اجتمع فيه ثلاثة معانٍ لم تفارقه خواطرُ الهوىٰ وهي الجهل والطمع وحب الدنيا، ثم يضعُف خاطرُ الهوىٰ ويقوَىٰ علىٰ قدر ضَعف هذه الثلاثة وقوتها، ويظهر الهوىٰ في القلب ويخفَىٰ علىٰ قدر تمكُّن هذه الثلاثة من النفس وخفائها علىٰ مثل ما ذكرناه من تمكُّن خواطر اليقين وضعفها لوجود مكانها [في السعة والضيق] وهو العلم والإيمان والعقل، وفي القلب يظهر سلطان ذلك أجمع، فأيُّ جند كانت المشيئة معه غلب.

فصل: من خواطر اليقين ما يَرِدُ بشيء لا تظهر دلائله في الظاهر لخفائه

---

(١) في القوت: فيكون بذلك قوة نفسه.

وغموض شواهده، فليس يُعلَم إلا بباطن العلم وغامض الفهم والغوص علىٰ لطائف معاني التبيين وباطن الاستنباط من فهم التنزيل وتعليم التأويل، فأهل اليقين العارفون بأحكام الله الباطنة يعلمون تفصيل خواطر اليقين ومقتضاها من حيث أُشهِدوا مطلعها من الغيب، وبحيث عرفوا موجِبها من الوصف بنور الله الثاقب وقربه الحاضر وسلطانه النافذ.

فصل: وليس يكاد علم اليقين يقدح من معدن العقل؛ لأن علوم العقل مخلوقات، ولا يكاد ينتجه الفكر ولا يخرجه التدبُّر، فما أنتجته الأفكار واستخرجته الفِطَن من الخواطر والعلوم فتلك علوم العقل، وهي كشوف المؤمنين ومحمودات لأهل الدين، فأما خاطر اليقين فإنه يظهر من عين اليقين، يُبادأ به العبد مُبادأة ويبغته مفاجأةً؛ لأنه مخصوص به، مراد، مقصود به، محبوب، متولَّىٰ به، مطلوب، لا يجده إلا عارف أو خائف أو محب، ومَن سوىٰ هؤلاء فبحاله محجوب، وبعباداته مطلوب، وإلىٰ مقامه ناظر، وفي طريقه بمعقوله سائر، فأما العارفون المواجَهون بعين اليقين المكاشَفون بعلم الصِّدِّيقين فإنهم مسيَّرون محمولون سابقون مستهترون، ظاهر أوصافهم الصلاح، وأول عطائهم اندراج ذِكرهم في ذكره، ومشاهدتهم وصفُ التحقيق بعين اليقين إلىٰ حق[1] اليقين، فأول نصيبهم من مطلوبهم علم اليقين وهو صفاء المعرفة بالله عَزَّوَجَلَّ، وآخر علم الإيمان أول علم[2] اليقين وهو مشاهدة وصف [معروف] وهذه وجهة التوحيد، ولا آخر لأول عين اليقين، ولا انقطاع لآخر نصيبهم من مشاهدتهم، وظاهر التوحيد توحيد الله سبحانه في كل شيء وتوحيده بكل شيء ومشاهدة إيجاده قبل كل شيء، ولا نهاية لعلم التوحيد، ولا غاية لمزيد عطاء الموحِّدين، ولكن لهم نهايات يوقَفون تحتها وغايات يصدرون عنها، فجُعلت أماكن لمزيدهم، ويزدادون في وسعها، ويُمَدُّون بعلوم يطلبون بها ما يكاشَفون به لِما وراءها أبد الأبد بلا آخر ولا أَمَد،

---

(١) في المطبوعة: (إلىٰ عين). والمثبت من القوت.

(٢) في القوت: أول عين.

ولا يصل العبد إلىٰ مشاهدة علوم التوحيد إلا بعلم المعرفة وهو نور اليقين، ولا يعطَىٰ نور اليقين حتىٰ تمخض الجوارح بالأعمال الصالحات كما يمخض الزِّق باللبن حتىٰ تظهر الزُّبدة وهي علم اليقين، وليست هذه الزبدة غاية الطاليين ولا بُغية الصِّدِّيقين؛ لأن وراءها صفوها وخالصها، ثم تُذاب هذه الزبدة حتىٰ يخلُص سمنها وهو صفوها ونهايتها، وهذا مَثل لعين اليقين بعد علمه وبعد مشاهدته الوجه بمرآة القُرب - وهي نوره - فحينئذٍ لا يفارقه وجوده وحضوره، فيرتفع العبد من خواطر اليقين إلىٰ مشاهدة الصفات، وبعد ذوق علوم الخواطر يتجوهر نورُ شعاع وجه الذات، وهذا مقام الإحسان.

فصل: قال بعض العارفين: لي قلب إذا عصيتُه عصيت الله تعالىٰ. يعني أنه لا يُقذَف فيه إلا طاعة، ولا يُقَرُّ فيه إلا حق، فقد صار رسوله تعالىٰ إليه، فإذا عصاه فقد عصىٰ المرسِل، بمعنىٰ الخبر: «الإيمان ما وقر في القلب وصدَّقه العمل». وبقوله ﷺ: «المؤمن ينظر بنور الله تعالىٰ، فمَن نظر بنور الله تعالىٰ كان علىٰ بصيرة من الله تعالىٰ، وكان عمله بنوره طاعة لله». وقال بعض العارفين: منذ عشرين سنة ما سكن قلبي إلىٰ نفسي ساعة، وما ساكنتُه طرفة عين.

فصل: خواطر اليقين والروح والملَك من خزائن السموات، وخواطر العقل والنفس والعدوِّ من خزائن الأرض، كما قيل: النفس ترابية خُلقت من الأرض، فهي تميل إلىٰ التراب، والروح روحاني خُلقت من الملكوت، فهي ترتاح إلىٰ العلو، والقلب خزانة من خزائن الملكوت مثله كالمرآة تقدح فيه هذه الخواطر عن أواسطها من خزائن الغيب فتؤثِّر في القلب فيتلألأ فيه التأثير، فمنها ما يقع في سمع القلب فيكون فهمًا، ومنها ما يقع في بصر القلب [فيكون نظرًا وهو المشاهدة، ومنها ما يقع في لسان القلب] فيكون كلامًا وهو الذوق، ومنها ما يقع في شم القلب فيكون علمًا وهو العقل(١)، وهذا أقلُّها لبثًا وأيسرها عناءً، وما وقع

---

(١) في القوت: فيكون علما وهو الفكر وهو العقل المكتسب بتلقيح العقل الغريزي.

في باطن القلب وحسِّه فخرق شغافه ووصل إلىٰ سويدائه كان وجدًا، وهذا هو الحال عن مقام مشاهدة، ومن هذا قوله ﷺ: «أسألك إيمانًا يباشر قلبي». وقال بعض العارفين: إذا كان الإيمان في ظاهر القلب كان العبد محبًّا للآخرة وللدنيا، وكان مرة مع الله ومرة مع نفسه، فإذا دخل الإيمان إلىٰ باطن القلب أبغض الدنيا وهجر هواه. فإذا كانت هذه الخواطر من أواسط الهُداة به وهي المَلَك والروح كانت تقوىٰ وهدىٰ ورشدًا، وكانت من خزائن الخير ومفاتيح الرحمة، قدحت في قلب العبد نورًا وطِيبًا أدركته الحفظةُ وهم أملاك اليمين فأثبتوها حسنات، وإن كانت الخواطر عن أواسط الغُواة - وهم العدو والنفوس - كانت فجورًا وضلالاً، وهي من خزائن الشر ومغالق الأعراض، قدحت في القلب ظلمة ونتنًا، أدرك ذلك الحَفَظة من أملاك الشِّمال فكتبوها سيئات. فهذه جنود منقادة لأمره، وهو تعالىٰ قادر علىٰ كل شيء، بيده [ملكوت] كل شيء، حكيم في كل شيء، والعبد ضعيف عاجز جاهل ساكن لا يقدر علىٰ شيء، قد ابتُلي بالأسباب، ووقع عليه الحجاب، وجُعل مكانًا للأحكام بالعقاب والثواب، فالأسباب أواسط البلاء، والعبد موضع الابتلاء، والله هو المبلي المريد المبدئ المعيد، وينشئكم فيما لا تعلمون، وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنًا، وليس يشهد العبدُ إلا ما أُشهِدَ، فكذلك تفاوت العِباد في المشاهدة، ولا يستبين له إلا ما أُبينَ له وأُريدَ به، فعن ذلك اختلفوا في الأدلة، فإذا أراد الله سبحانه إظهار شيء من خزائن الغيب حرَّك النفسَ بلطيف القدرة فتحركت بإذنه فقدح من جوهرها بحركتها ظلمة نكتت في القلب همة سوء، فينظر العدو إلىٰ القلب وهو مُراصِد ينتظر والقلوب له مبسوطة والنفوس لديه منشورة، يرىٰ ما فيها ما كان من عمله المبتلَىٰ به المصرَّف فيه، فإذا رأىٰ همَّة قد قدحت في النفس فأثرت ظلمةً في القلب ظهر مكانه فقويَ بذلك سلطانه. والهمة تَرِدُ علىٰ أحد ثلاثة معانٍ، أحدها: هوًىٰ، وهو عاجل حظ النفس وأمنيته، وهذا عن الجهل الغريزي أو دعوىٰ حركة أو سكون، وهو آفة العقل ومحنة القلب. فأيُّ هذه الثلاث قدح في القلب فهو وسوسة نفس وحضور عدوٍّ منسوب إليه محكوم عليه بالذم ليست تصدر إلا بأحد

ثلاثة أصول: بجهل أو غفلة أو طلب فضول دنيا. وهي مما لا يعني ومضافات إلىٰ الدنيا وأعمالها، فالأفضل مجاهدة النفس والعدو عن إمضائها وحبس الجوارح عن السعي فيها إن كنَّ من فضول الدنيا المباحات، فإن كنَّ هذه الثلاث وردنَ بمحرَّمات ففرضٌ عليه كفُّ الجوارح عن السعي فيها، فإن أمرحَ قلبه في ذكرها أو نشر خطواته في طلبها كنَّ حجابًا بين قلبه وبين اليقين، وإن كنَّ وردنَ بمباحات ففضلٌ له نفيُها عن قلبه كيلا يكون قلبه موطنًا للفضلات، وأصلهنَّ الابتلاء من الله تعالىٰ بالتقليب والامتحان منه في التصريف، فإن أراد الله تعالىٰ سلامة هذا العبد بعد أن أشفَىٰ علىٰ الهلاك والبُعد بتسليط العدو عليه وتسويل النفس له نظر القلب عند الابتلاء فهدىٰ النفسَ بنور إيمانه إلىٰ الله تعالىٰ وأسَرَّ الالتجاءَ إليه وأخفىٰ التوكلَ عليه عائذًا لائذًا به واضطر مخلصًا له، فهناك توكَّل عليه فكان حسبه، ووقاه مكر عدوه، وجعل له مخرجًا، ونجَّاه من شرِّه، فينظر تعالىٰ إلىٰ القلب نظرة تُخمِد النفسَ وتمحق الهمةَ وتخنس العدوَّ بسقوط مكانه، ويذهب لخنوسه شر سلطانه، فيصفو القلب من التأثير بنور السراج المنير، فيخاف العبد مقامَ الرب لصفاء القلب فيفزع من الخطيئة ويهرب أو يستغفر منها ويتوب، ويظهر عليه شِعار تقواه.

فصل: وقد تختلف اللَّمَّتان، فربما تقدَّمت إليه لمة العدو بالأمر بالشر، وتقدح بعدها لمة المَلَك نصرةً للعبد وتثبيتًا علىٰ الخير وعنايةً من الرب، فيُنهَىٰ عن ذلك، فعلىٰ العبد أن يعصي الخاطرَ الأول ويتبع الثاني. وقد يتقدم إلهام الملك [بالأمر] بالخير ثم يقدح بعده خاطرُ العدو بالنهي عنه [والتثبيط] والإملاء بالتأخير عنه محنةً من الله تعالىٰ للعبد؛ لينظر كيف يعمل. فعليه أن يطيع الخاطر الأول ويعصي الثاني. ثم تدِقُّ الخواطر من إلهام ووسوسة، وقد يتفاوت ذلك لقوة وضعف لتفاوت الأحكام والإرادة من الحاكم ومن قِبَل تقدير القدرة وغرائب الأحكام بالمشيئة؛ لأن له في خزانة الخير خزائن شر إذا شاء، وله في خزانة الشر خزائن خير إذا أحب لمن يحب لئلاً يسكن إلىٰ سواه، فإذا شهد العارفُ ذلك لم

يقطع بخير ولم يُدِلَّ به أبدًا؛ لأنه لا يأمن مكر الله بتقليب خزائن الشر من خزائن الخير إذا عليه أبداه، ولم ييأس من شرٍّ عليه أبداه؛ لأنه يرجو تقليب خزائن الخير من خزائن الشر، فيكون بين الخوف والرجاء، ولا يدرك ذلك إلا بدقائق العلوم ولطائف الفهوم وصفاء الأنوار من تعليم الرحيم الجبَّار، فما كان العبد يجد بعد خطرة الشر خطرةَ خير تنهاه عنها فهو منظور إليه متدارَك، وهذا هو الواعظ القائم في القلب والزاجر المؤيِّد للعقل، وقد تترادف خواطرُ الشر من النفس والهوىٰ فلا يعتقبها خاطرُ خير من المَلَك، وهذا علامة البُعد ونهاية قسوة القلب. وقد تتتابع خواطر الخير من الروح والملك ويعافَىٰ العبد من خواطر الهوىٰ والنفس، وهذه علامة القرب، وهو حال المقرَّبين. وقد تَرِدُ خواطر العدو ووساوسه بالخير ابتلاءً من الله تعالىٰ لعبده وحيلةً من العدو ومكرًا من النفس، يريد العدو بذلك الشرَّ، أو يخرجه آخرًا إلىٰ إثم أو [خير] ليقطعه بذلك عن واجب يشغله به عن الأفضل في الحال، فيكون ظاهره برًّا وباطنه إثمًا، ويكون أوله خيرًا وآخره شرًّا، وبُغية العدو من ذلك باطنه وآخره، وشهوة النفس من ذلك هواها ومُناها، قد لبَّسا ظاهرَه بالخير [تزيينًا] وموَّها أوله بالبر تحسينًا، وهذا من أدقِّ ما يُبتلَىٰ به العاملون، ولا يعرف بواطنه وسرائره إلا العالِمون. فأما خاطر الملك فلا يَرِدُ إلا بخير صريح وبِر محض علىٰ كل حال إذا ورد؛ لأن الخداع والحيلة ليسا من وصف الملائكة، ولكن قد تنقطع خواطر الملك من القلب إذا اشتدَّت قسوته ودامت معصيته من المبعَدين فيخلَّىٰ بين القلب وبين نوازع العدو اللعين، ويتخلَّىٰ العدو بهوىٰ النفس فيستحوذ ويقترن بالعبد، نعوذ بالله من إبعاده. ولا يزال العبد مع إلهام الملك في مقام الإيمان، فإذا رُفع إلىٰ مقامات اليقين تولاَّه الله تعالىٰ بواسطة أنوار الروح، فكان الروح مكان لقاء الحق سبحانه حتىٰ يَرِدَ عليه من الله تعالىٰ [بواسطة أنوار الروح] من السرائر ما لا يطَّلع عليه الملك، ولا يكون ذلك حتىٰ تفنَىٰ خواطر النفس بالهوىٰ فلا تبقىٰ منها باقية، وتُطوَىٰ النفس فتُدرَج في الروح فلا تظهر منها داعية، ثم يتولاَّه الله بنور اليقين فيسطع له نور اليقين من خزانة الغيب بمكاشفة

الجبروت فيشهد العبد شهادةَ الحق بالحق معاينة الغيب بفقد كونه ووجدِ كينونته وما لا يصلُح بعد ذلك كشفُه إلا لأهله أو لمن سأل عنه، وهذا يكون في مقام التوحيد، وهو أنصبة المقرَّبين.

فصل: كل عمل وإن قلَّ لا بد له من ثلاثة معانٍ قد استأثر الله تعالىٰ بتولِّيها، أولها: التوفيق، وهو الاتفاق أن يجمع بينك وبين الشيء. والثاني: القوة، وهو اسم لثبات الحركة التي هي أول الفعل. الثالث: الصبر، وهو تمام الفعل الذي به يتم. وقد ردَّ الله تعالىٰ هذه الأصول التي يظهر عنها كل عمل إليه تعالىٰ فقال: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [هود: ٨٨] وقال: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [الكهف: ٣٩] وقال: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [النحل: ١٢٧].

فصل: قد قرن الله القلب بالإيمان والبعث والأمر بهما في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝﴾ [الأنفال: ٢٤] قال ابن عباس: يحول بين المؤمن والكفر، وبين الكافر والإيمان. وقيل: بين العبد وبين الاستجابة لله والرسول. وقيل: بين المؤمن وسوء الخاتمة، وبين الكافر وحسن الخاتمة. وقيل: بين المؤمن وأن يلقيه في كبيرة يهلك فيها، وبين المنافق وأن يوفِّقه لطاعة ينجو بها(١). وهذه مخاوف للمؤمنين بتحقيق الوعيد.

فصل: نصيب كل عبد من مشاهدة القدرة بقدْر نصيبه من التوحيد، ونصيبه منه حسب قسمه من اليقين، وقسمه منه علىٰ قربه من القريب، وقربه [علىٰ حسب قرب الله تعالىٰ من قلبه، وقربُ الله تعالىٰ] منه بقدر علمه به تعالىٰ، واتساعه في العلم به علىٰ نحو مكانه من مزيد الإيمان، ومزيد إيمانه علىٰ قدر إحسانه إليه، وإحسانه إليه علىٰ قدر عنايته به وإيثاره له، وعلمُ الله من وراء ذلك، وذلك سر القدرة المحجوب المختزَن. ونصيب كل عبد من الجهل علىٰ قدر نصيبه من

(١) انظر: الدر المنثور ٧/ ٨٣ - ٨٥.

الغفلة، ونصيبه من الغفلة علىٰ حسب حبه للدنيا، وحبه للدنيا علىٰ قدر قوة الهوىٰ، وقوة الهوىٰ علىٰ قدر غلبة سلطان النفس ونشرِ صفاتها عليه، وقوة صفات النفس علىٰ قدر ضعف اليقين، وضعف يقينه علىٰ قدر كثافة الحجاب وبُعد البعد بينه وبين الله تعالىٰ، والحجاب والبعد ميراثهما الكبر والقسوة، والقسوة تورث الانهماكَ في المعاصي، وإدمان المعاصي تورث الإعراض والمقت، والاعراض [والمقت] عن قلة عناية المولىٰ بعبده وسوء نظره إليه، ومن وراء ذلك سر القدَر المحجوب الذي به عن الخلق استأثر.

فصل: قد حُجب العقل المكيد عن النظر إلىٰ المبدئ المعيد بما أُظهِر له من صورته وحركته، فستره ذلك عن الأول المصوِّر القادر المحرِّك فادَّعىٰ - عن نظره إلىٰ حركته وسكونه التي هي حجبة له عن المحرِّك - الغيبَ ادِّعاء الحركة والسكون لنفسه؛ لوقوف نظره علىٰ نفسه؛ إذ كان مشهودًا وعميَ عن النظر إلىٰ الشاهد المحرِّك المسكِّن لبُعد مقامه؛ لأنه غيبٌ من وراء الحركة، والغيب لا يُشهَد إلا بالغيب وهو اليقين، كما لا تُدرَك الشهادة إلا بشهادة وهي العين، فمَن عميَ بصرُه لم يرَ من المُلك شيئًا، كذلك مَن حُجب قلبه لم يرَ من الملكوت شيئًا، فلعدم اليقين عميَ عن الشهادة، ولإيقاع الحُجة [والحجاب] أدرك بالمعقول الشهادةَ، ولو كان من أولي الأبصار لاعتبر الحركة الغيبية بالمتحرِّك المشاهد، فكما أن الحركة غيبٌ في الجسم ظهر عنها التحرُّك فأظهر تعالىٰ المتحركَ وأخفىٰ الحركة فيه، وأظهر الصنعة وأخفىٰ الصنع فيها لتفصيل حكمته، كذلك الصانع ذو الصنعة الأول والحاكم الأعلىٰ ذو الحكم الأغلب غيبٌ عن الحركة التي أخفاها هو من ورائها بلطائف القدرة فشهد المعقولُ ما أُشهِد مما ظهر له ووجد به؛ لأنه معقول عليه محدود له، وعميَ عمَّا غُيِّبَ عنه لفقد اليقين منه، فعندها ادَّعىٰ الحركة والسكون للشاهد فحجبه ذلك عن الشهيد، وشهد الموحِّد شهادة التوحيد فوحَّد لمَّا كُشِفَ له الملكوت بنور اليقين فأفرد.

فصل: الخلق محجوبون بثلاثة حُجُب بعضها أكثفُ من بعض، أحدها أواسط وأسباب معترضة وشهوات جاذبة وعادات [راجعة] صادرة. فالأسباب توقفهم عليها، والشهوات تجذبهم إليها، والعادات تردُّهم فيها، فأيُّ هذه الحُجُب ظهر في قلب - وبعضها أشد من بعض - فهو مكان للعدو أوسع من مكان، فتمكَّن سلطانه علىٰ قدر سعة مكانه فقويت النفسُ بتزيين العدو وسوَّلت بتأمليه فملكت العبدَ ملكًا أشد من ملك، فإذا ملكت النفسُ العبدَ كان مملوكها وأسيرها، وكانت بالهوىٰ أميرة، فاستهواه الشيطان حينئذٍ بالغواية والإضلال، واستحوذ عليه بمعاني المشاركة في الأولاد والأموال فشغله بذلك عن الله تعالىٰ وأنساه ذِكره، وهذا هو الاقتران الذي ذمَّه الله تعالىٰ في قوله: ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾ [النساء: ٣٨] وهو فوق النزغ والهمز.

فصل: ما كان من لائح يلوح في القلب من معصية ثم ينقلب ولا يلبث فهذا نزغٌ من قِبَل العدو، وما كان في القلب من هوىٰ ثابت أو حال مزعج دائم لابث فهذا من قِبَل النفس الأمَّارة بطبعها أو مطالبة منها بسوء عادتها، وما ورد علىٰ العبد من هَمة بمعصية ووجد العبد فيه كراهتها فالورود من قِبَل العدو، والكراهة من قِبَل الإيمان، وما وجده العبد وجدًا بهوىٰ أو معصية ثم ورد عليه المنع من ذلك فالوجد من النفس، والوارد بالمنع من المَلَك. وما وجده العبد من فكر في عاقبة الدنيا أو تدبير الحال ونظر إلىٰ معهود فهذا من قِبَل العقل. وما وجده من خوف أو حياء أو ورع أو زهد أو من شأن الآخرة فهذا من الإيمان. وما شهده القلب من تعظيم أو هيبة أو إجلال أو قرب فهذا من اليقين، وهو مزيد الإيمان ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣].

وكل هذه الفصول لخَّصتُها من كتاب القوت.

فصل: إذا كان شأن العبد تمييز خواطر النفس في مقام تخلُّصه من لَمَّات الشيطان تكثُر لديه خواطر الحق وخواطر الملك، وتصير الخواطر الأربعة في حقِّه

ثلاثة، ويسقط خاطرُ الشيطان إلا نادرًا لضِيق مكانه من النفس؛ لأن الشيطان يدخل بطريق اتساع النفس، واتساع النفس باتِّباع الهوىٰ والإخلاد إلىٰ الأرض، ومَن ضايق النفس علىٰ التمييز بين الحظ والحق ضاقت نفسه وسقط محلُّ الشيطان إلا نادرًا لدخول الابتلاء عليه.

فصل: من المرادين [المتعلقين] بمقام المقرَّبين مَن إذا صار قلبه سماء مزيَّنًا بزينة كواكب الذِّكر يصير قلبه سماويًّا فيرتقي ويعرج بباطنه ومعناه وحقيقته في طبقات السموات، وكلما ترقَّىٰ تتضاءل النفس المطمئنة وتبعُد عنه خواطرُها حتىٰ يتجاوز السموات بعروج باطنه، كما كان ذلك لرسول الله ﷺ بظاهره وقالبه، فإذا استكمل العروج تنقطع عنه خواطر اليقين لتستُّره بأنوار القرب وبُعد النفس عنه، وعند ذلك تنقطع عنه خواطر الحق أيضًا؛ لأن الخاطر رسول، والرسالة إلىٰ مَن بعُد، وهذا قريب، وهذا الذي وصفناه نازل ينزل به ولا يدوم، بل يعود في هبوطه إلىٰ منازل مطالبات النفس وخواطره، فتعود إليه خواطر الحق وخواطر الملك، وذلك أن الخواطر تستدعي وجودًا، وما أشرنا إليه حالة الفناء ولا خاطر فيه، وخاطر الحق انتفىٰ لمكان القرب، وخاطر النفس بعُد عنه لبُعد النفس، وخاطر الملك تخلَّف عنه كتخلُّف جبريل عليه السلام في ليلة المعراج عن رسول الله ﷺ، حيث قال: لو دنوتُ أُنملة لاحترقتُ.

فصل: وسبب اشتباه الخواطر أربعة أشياء لا خامس لها: إما ضعف اليقين، أو قلة العلم بمعرفة صفات النفس وأخلاقها، أو متابعة الهوىٰ بخرم قواعد التقوىٰ، أو محبة الدينا وجاهها ومالها، وطلب الرفعة والمنزلة عند الناس. فمَن عُصم عن هذه الأربعة يفرِّق بين لمة الملك ولمة الشيطان، ومَن ابتُلي بها لا يعلمها ولا يطلبها، وانكشاف بعض الخواطر دون البعض لوجود بعض هذه الأربعة دون البعض، وأقوَمُ الناسِ بتمييز الخواطر أقومهم بمعرفة النفس، ومعرفة النفس عسرة المنال لا تكاد تتيسَّر إلا بعد الاستقصاء في الزهد والتقوىٰ، واتفق المشايخ علىٰ

أن من كان أكلُه من الحرام لا يفرِّق بين الإلهام والوسوسة. وقال أبو علي الدَّقَّاق: من كان قوته معلومًا لا يفرِّق بين الإلهام والوسوسة، وهذا لا يصح علىٰ الإطلاق إلا بقيد، وذلك أن من المعلوم ما يقسمه الحق تعالىٰ لعبد سبق إليه الإذن في الأخذ منه والتقوُّت به، ومثل هذا المعلوم لا يحجب عن تمييز الخواطر، إنما يقال ذلك في حق مَن دخل في معلوم باختيار منه وإيثار؛ لأنه يُحجَب لموضع اختياره، والذي أشرنا إليه منسلخ عن إرادته ولا يحجبه المعلوم.

فصل: فرَّقوا بين هواجس النفس ووسوسة الشيطان وقالوا: إن النفس تطالب وتلحُّ، فلا تزال كذلك حتىٰ تصل إلىٰ مرادها، والشيطان إذا دعا [إلىٰ زلَّة] ولم يُجَب يوسوس بأخرىٰ؛ إذ لا غرض له في تخصيص، بل مراده الإغواء كيف أمكنَ.

فصل: تكلم الشيوخ في الخاطرينِ إذا كانا من الحق أيُّهما يُتَّبَع؟ قال الجنيد: الخاطر الأول؛ لأنه إذا بقي رجع صاحبه إلىٰ التأمل، وهذا بشرط العلم. وقال ابن عطاء: الثاني؛ لأنه ازداد قوة بالأول. وقال أبو عبد الله ابن خفيف: هما سواء؛ لأنهما من الحق، فلا مزية لأحدهما علىٰ الآخَر.

فصل: قالوا: الواردات أعمُّ من الخواطر؛ لأن الخواطر تختصُّ بنوع خطاب أو مطالبة، والواردات تكون تارة خواطر، وتارة تكون وارد سرور ووارد حزن ووارد قبض ووارد بسط.

فصل: مَن قصر عن درك دقائق الزهد وتطلَّع إلىٰ تمييز الخواطر يزن الخواطر أولاً بميزان الشرع، فما كان من ذلك فضلاً أو فرضًا يمضيه، وما كان من ذلك محرَّما أو مكروهًا ينفيه، فإذا استوىٰ الخاطران في نظر العلم ينفذ أقربهما إلىٰ مخالفة هوىٰ النفس، فإن النفس قد يكون لها هوًىٰ كامنًا في أحدهما، والغالب من شأن النفس الاعوجاج والركون إلىٰ الدون، وقد يلمُّ الخاطر بنشاط النفس،

والعبد يظن أنه بنهوض القلب، وقد يكون من القلب نفاق لسكونه إلىٰ النفس، ولا يدرك نفاقَ [القلب و] الخواطر المتولدة منه إلا [العلماء] الراسخون، وأكثر ما تدخل الآفات علىٰ أرباب القلوب والآخذين من اليقين واليقظة والحال بسهم من هذا القبيل، وذلك لقلة العلم بالنفس والقلب وبقاء نصيب الهوىٰ فيهم، وينبغي أن يعلم العبد أنه مهما بقي عليه أثرٌ من الهوىٰ وإن دقَّ وقلَّ يبقىٰ عليه بحسبه بقية من اشتباه الخواطر، ثم قد يغلط في تمييز الخواطر مَن حُرِم قليل العلم ولا يؤاخَذ بذلك ما لم تكن عليه من الشرع مطالبة، وقد لا يسامَح بذلك بعض الغالطين لِما كوشفوا به من دقيق الخفاء في التمييز ثم استعجالهم مع علمهم وقلة التثبُّت.

وهذه الفصول لخَّصتها من كتاب العوارف.

فصل: قال المصنف في مشكاة الأنوار(١): مراتب الأرواح البشرية النورانية، وهي خمسة، الأول: الروح الحسَّاس، وهو أصل الروح الحيواني وأوله؛ إذ به يصير الحيوان حيوانًا، وهو موجود للصبي الرضيع. الثاني: الروح الخيالي، وهو الذي يكتب ما أوردته الحواس ويحفظه مخزونًا عنده ليعرضه علىٰ الروح العقلي الذي فوقه عند الحاجة إليه، وهذا لا يوجد للصبي الرضيع في بداية نشوئه، فلذلك يولَع بالشيء ليأخذه فإذا غُيِّبَ عنه ينساه ولا تنازعه نفسه إليه إلىٰ أن يكبر قليلاً فيصير بحيث إذا غُيِّبَ عنه بكىٰ وطلبه، وذلك لبقاء صورته محفوظة في خياله، وهذا قد يوجد لبعض الحيوانات دون بعض. الثالث: الروح العقلي الذي يدرك المعاني الخارجة عن الحس والخيال، ولا يوجد للبهائم ولا للصبيان، ومدرَكاته المعارف الضرورية الكلية. الرابع: الروح الفكري، وهو الذي يأخذ العلوم العقلية المحضة فيوقع بينها تأليفات وازدواجات، ويستنتج منها معارف شريفة. الخامس: الروح القدسي النبوي الذي به يختصُّ الأنبياء وبعض الأولياء، وفيه تتجلَّىٰ لوائح الغيب وأحكام الآخرة وجملة من معارف ملكوت السموات والأرض، وإليه

---

(١) مشكاة الأنوار ص ٨١ - ٨٨.

الإشارة بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢﴾ [الشورىٰ: ٥٢] فالروح الحسَّاس أوفق مثال له في عالم الشهادة المشكاة، والروح الخيالي أوفق مثال له الزجاجة، والروح العقلي أوفق مثال له المصباح، والروح الفكري أوفق مثال له الشجرة، والروح القدسي أوفق مثال له الزيت. وإذا كانت هذه الأنوار مرتَّبة بعضها علىٰ بعض فالحسي هو الأول، وهو كالتوطئة للخيالي؛ إذ لا يُتصور الخيالي إلا موضوعًا بعده، والفكري والعقلي بعدهما، فبالحريِّ أن تكون الزجاجة كالمحل للمصباح، والمشكاة كالمحل للزجاجة، فيكون المصباح في زجاجة، والزجاجة في مِشكاة، وإذا كانت هذه كلها أنوارًا بعضها فوق بعض فبالحريِّ أن تكون نورًا علىٰ نور، وهذا مثل قلب المؤمن.

فصل: ومثال قلب الكافر هو المشار إليه بقوله تعالىٰ: ﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾ الآية [النور: ٤٠] فالبحر اللجي هو الدنيا بما فيها من الشهوات المردية[1] والكدورات المعمية، والموج الأول موج الشهوات الداعية إلىٰ الصفات البهيمية والاشتغال باللذَّات الحسية، فبالحريِّ أن يكون هذا الموج مظلمًا؛ لأن حب الشيء يُعمِي ويُصِمُّ. والموج الثاني موج الصفات السبعية الباعثة علىٰ الغضب والعداوة والحقد والحسد والمباهاة والتكاثر، وبالحريِّ أن يكون مظلمًا؛ لأن الغضب غول العقل، وبالحريِّ أن يكون هو الموج الأعلىٰ؛ لأن الغضب في الأكثر مستولٍ علىٰ الشهوات، حتىٰ إذا هاج أذهل عن الشهوات وأغفل عن اللذات، فإن الشهوة لا تقاوم الغضب الهائج أصلاً، وأما السحاب فهو الاعتقادات الخبيثة والظنون الكاذبة والخيالات الفاسدة التي صارت حُجُبًا بين الكافر وبين الإيمان ومعرفة الحق والاستضاءة بنور شمس القرآن والعقل، فإن خاصِّية السحاب أن يحجب إشراق نور الشمس، وإذا كانت

---

(١) في مشكاة الأنوار: بما فيها من الأخطار المهلكة والأشغال المردية.

هذه كلها مظلمة فبالحريِّ أن تكون ظلمات بعضها فوق بعض، وإذا كانت هذه الظلمات تحجب عن معرفة الأشياء القريبة فضلاً عن البعيدة فلذلك يُحجَب الكفار عن معرفة عجائب أحوال النبي ﷺ مع قرب تناوُله وظهوره بأدنىٰ تأمُّل، فبالحريِّ أن يعبَّر عنه بأنه إن أخرج يده لم يكدْ يراها. وإذا كان منبع الأنوار كلها من النور الأول الحق فبالحريِّ أن يعتقد كل موحِّد أن مَن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور.

فصل: ولنختم هذا الكتاب بكلام الإمام قطب الأقطاب أبي الحسن الشاذلي قدَّس الله سره، قال في كتاب جُمع من كلامه علىٰ أسرار الطريق ما نصه: قرأت[(١)] سورة الإخلاص والمعوِّذتين ذات ليلة، فلما انتهت إلىٰ قوله: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ [الناس: ٤] رأيت بعد ذلك يقال لي: شر الوسواس وسواسٌ يدخل بينك وبين حبيبك، يذكِّرك أعمالَك السيئة، وينسيك ألطافه الحسنة، ويُكثِر لديك ذات الشمال، ويقلِّل عندك ذات اليمين؛ ليعدل بك عن حسن الظن بالله تعالىٰ ورسوله إلىٰ سوء الظن بالله ورسوله، فأحذِّرك هذا البابَ فقد أُخِذَ منه خلقٌ كثير من العُبَّاد والزهاد وأهل الورع والاجتهاد.

وفيه أيضًا: قال[(٢)] رحمه الله تعالىٰ: إذا كثُر عليك الخواطر والوساوس فقل: سبحان الملك الخَلاَّق، إن يشأ يذهبكم ويأتِ بخلق جديد، وما ذلك علىٰ الله بعزيز.

وقال[(٣)] رحمه الله تعالىٰ: إن أردت أن تَسلم من الوسواس فلا تدبِّر لغد ولا لبعد غد.

---

(١) لطائف المنن لابن عطاء الله ص ٢٩٧.

(٢) الطبقات الكبرىٰ للشعراني ٢/ ٥. وفي لطائف المنن ص ١٧٧: وكان أبو الحسن يلقن للوسواس: سبحان الملك الخلاق ... الخ.

(٣) المفاخر العلية في المآثر الشاذلية لأحمد بن محمد المحلي ص ٦٥ (ط - المكتبة الأزهرية للتراث).

وبه ختمتُ شرح كتاب عجائب القلب، والفكر منقسم، والخاطر متشعِّب، والهم إلىٰ الضرورات الدنيوية منصرف. وأسأل الله العفو مما طغىٰ به القلم أو زلَّت به القدم، فإنَّ خوض غمرة الأسرار الإلهية خطير، واستكشاف الأنوار العلوية من وراء الحُجُب عسير غير يسير.

والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا.

فهرس موضوعات كتاب شرح عجائب القلب

٢١ – كتاب شرح عجائب القلب